COLUMBIA UNIVERSITY
THE
LIBRARIES
IN THE CITY OF NEW YORK
GENERAL
LIBRARY

البيان والتبيين

لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب

الجاحظ

« كتب الجاحظ تعلم العقل »
« أولا ، والأدب ثانيا »
ابن العميد

مصدر بترجمة للجاحظ مستفيضة

بقلم محققه وشارحه

حسن السندوبي

صاحب جريدة الثمرات

الجزء الاول

الطبعة الاولى — حق الطبع محفوظ

١٣٤٥ - ١٩٢٦

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

المطبعة التجارية الكبرى بشارع عابدين حارة فايد رقم ٣

PJ
7745
.J53
A6
1926

الجاحظ *

نسبه وكنيته

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء . وانما لقب « الجاحظ » لجحوظ عينيه أي بروزهما ، وقد يقال له « الحدقي » لكبر حدقتيه أيضاً

وكان جده محبوب رجلا أسود وكان جمالا لعمرو بن قلع ، وكان هو مولى للقَلَمَّس بن عمرو بن قلع الكناني الفقيمي الليثي

مقامه ومنزلته

ويعد الجاحظ سيد كتاب العربية بلا منازع ، وشيخ أدباء العرب بلا مدافع ، وإمام ذوي اللسن والبيان وأهل الفصاحة والكلام . وكان من محاسن الدنيا ومفاخر الاسلام

مولده ومنشاؤه

ولد بالبصرة حوالى سنة ١٥٩ هـ ٧٧٥ م ونشأ ببغداد وأخذ علومه ومعارفه عن شيوخ البلدين وجلّة علمائهما وصفوة أهل الكلام فيهما . وتخصص في مذاهب الاعتزال على استاذه أبي اسحق ابرهيم بن سيار النظام ، وحدث عن يزيد بن هرون والسرى بن عبدويه وأبي يوسف القاضي والحجاج بن محمد بن حماد بن سلمة . وعنه روى ابو بكر عبدالله بن داود السجستاني ومحمد بن عبد الله بن أبي الدهـاب وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد وبموت بن المزرع ابن أخته، اعني ابن اخت الجاحظ

---

* عن الحيوان والبيان والتبيين للجاحظ . وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة . ومروج الذهب للمسعودى . والاغانى لابى الفرج الاصبهانى . وأمالى السيد المرتضى . واعجاز القرآن للباقلانى . والملل والنحل للشهرستانى . والامالى لابى على القالى . والانساب للسمعانى . والفرق بين الفرق للبغدادى . والانتصار للخياط . وشرح العيون لابن نباتة المصري . ومعجم الادباء لياقوت . ووفيات الاعيان لابن خلكان . وشرح الصلاح الصفدى على لامية العجم . وطبقات الاطباء لابن ابى أصيبعة . وزهر الآداب للحصرى . وبغيـة الوعاة للسيوطى . وثلاث رسائل طبعت حديثاً بالمطبعة السلفية . ومطالعات شتى فى كتب الادب والتاريخ

معارفه

أتقن فنونا كثيرة ، ويظهر أنه تعلم الفارسية وأجادها ، وقرأ كتب الفلاسفة من اليونان والفرس والروم والهند ، ونظر في علوم الاوائل ، ولم ينقل كتاب حتى عهده الى العربية في أي علم وفي أي فن الا قرأه وتمثله . وكان كثير الحفظ ، واسع الرواية ، قوي الحجة ، ناصع البرهان . ملأت تصانيفه الآفاق وانتفع بها الخلق ، وعمت فوائدها حتى لقد قيل : مما فضل الله به أمة محمد ﷺ على غيرها من الامم : عمر بن الخطاب بسياسته ، والحسن البصرى بعلمه ، والجاحظ ببيانه

صحبته بابن الزيات

وكان منقطعا الى الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، منحرفا عن احمد بن أبي دؤاد لما كان بين محمد واحمد من الشنآن . فلما قُبض على محمد بن الزيات هرب الجاحظ فقيل له : لم هربت ؟ فقال : خفت ان أكون ثاني اثنين اذ هما في التنُّور يشير الى التنور الذى صنعه ابن الزيات وجعل فيه مسامير ليعذب به خصومه فعذب هو فيه حتى مات

الجاحظ وابن أبي دؤاد

ولما أُتى بالجاحظ الى احمد بن أبي دؤاد بعد موت ابن الزيات دخل عليه مغلول العنق بسلسلة، مقيد الرجلين، في قميص صمل ؛ فلما وقع نظر ابن أبي دؤاد عليه قال : والله ما علمتك الا متناسيا للنعمة ، كفوراً للصنيعة ، مَعْدِناً للمساوي ، وما قصرتُ باستصلاحي لك ، ولكن الايام لاتصلح منك لفساد طويتك ، ورداءة دخلتك ، وسوء اختيارك ، وغالب طبعك . فقال الجاحظ : خفِّض عليك ايدك الله ، فوالله لأن يكون لك الامر على خير من أن يكون لى عليك ، ولان اسيء وتحسن أحسن في الأحدوثة عنك من أن أحسن وتسيء ، ولان تعفو عني في حال قدرتك أجمل بك من الانتقام مني . فقال ابن أبي دؤاد : قبحك الله ، فوالله ماعلمتك الا كثير تزويق اللسان ، وقد جعلتَ بيانك أمام قلبك ثم اضطغنت فيه النفاق والكفر . ياغلام ، صر به الى الحمام وأمط عنه الأذى

فنزع عنه الغل والقيد وأدخل الحمام وحمل اليه تخت من ثياب وطويلة وخف ،

فلبس ذلك ثم جاءه فصدره في مجلسه ثم اقبل عليه وقال : هات الآن حديثك يا أبا عثمان

مذهبه في الاعتزال

انفرد الجاحظ بآراء خاصة في علم الكلام ، واختص بمذهب في الاعتزال ، وصار شيخ فرقة من فرق المعتزلة تسمى « الجاحظية » نسبة اليه . ومما تفرد به القول بان المعرفة طباع، وهى مع ذلك فعل العبد على الحقيقة . وقوله في سائر الافعال انها تنسب الى العباد على انها وقعت منهم طباعا ، وانها وجبت بارادتهم ، وليس بجائز أن يبلغ أحد ولا يعرف الله تعالى . والكفار عنده بين معاند وبين عارف قد استغرقه حبه لمذهبه وعصبيته، فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه

وتحدث عن نفسه فقال : قلت لأبى يعقوب الخزيمى : من خلق المعاصي ؟ قال : الله . قلت : فمن عذب عليها ؟ قال : الله . قلت : فلم ؟ قال : لا أدرى والله

* * *

وقد ثارت بينه وبين مخالفيه فى الرأي من الملاحدة والمرجئة والرافضة مناظرات عنيفة، ومحاولات حادة، تناولوه فيها بكل أنواع الشنع، ولكن النصر كان من نصيبه ، والظفر في جانبه ؛ ولم تقف هجمات خصومه عليه في حياته بل استمرت واشتدت بعد وفاته . غير أن أنصاره تمكنوا من رد تلك الهجمات ودحض هاتيك الخصومات . فهذا أبو الحسين الخياط روى في كتابه « الانتصار » مهاجمات لابن الراوندي تناول فيها بالطعن الجارح عقيدة الجاحظ، وكيف عقب الخياط على هذه المطاعن والمثالب بردها على صاحبها ابن الراوندي . فمما رواه الخياط قوله : ثم قال (يعنى ابن الراوندي) :

وأما الجاحظ فانه يقول « انه محال أن يُعدم الله الاجسام بعد وجودها ، وان كان أوجدها بعد عدمها » قال : ومتى استحال أن يعدم الجسم بعد وجوده ، استحال أيضاً وجوده بعد عدمه . وهذا كذب على الجاحظ عظيم وذلك أن قول الرجل انما يعرف بحكاية أصحابه عنه أو بكتبه ، فهل وجد هذا القول فى كتاب من كتبه ؟ فإن كتب عمرو الجاحظ معروفة مشهورة فى أيدى الناس . أو هل حكاه عنه أحد من أصحابه ؟

فاذا كان الرجل ميتاً فكتبه وأصحابه تخبر بخلاف ماقرفه به هذا الماجن الكذاب ، فقد تبين كذبه وبهته وجهله . ومن بعد ، فمن قرأ كتاب عمرو الجاحظ فى الرد على المشبهة ، وكتابه فى الاخبار وإثبات النبوة ، وكتابه فى نظم القرآن ، علم أن له فى الاسلام غَناء عظيما لم يكن الله عز وجل ليضيعه له

قلت : لعمري إن القول ببقاء المادة وعدم تلاشيهاقد أصبح فى عصرنا هذامذهبا معروفا يسلم به ويدين بصحة أسسه الكثير من اكابر العلماء وفحولهم فى أوربا وغيرها ، ولهم على صحته من الادلة والبراهين العلمية المبنية على البحث والاستقراء ما لا سبيل الى دفعه أو إضعافه ، إلا اذا جاء الزمن من الا كتشافات بما لم يخطر على بال ، فينتصر المذهب الروحي على المذهب المادي ؟ فاذا كان الجاحظ قد ارتآى هذا الرأي كان له فضل السبق اليه والقول به منذ احد عشر قرنا

ثم قال صاحب « الانتصار » فيما يرد به على ابن الراوندى : وأما رميك للجاحظ ببغض الرسول فهو دليل على انك لاتعرف المحب من المبغض ، ولا الولى من العدو ، لانه لا يعرف المتكلمون أحداً منهم نصر الرسالة واحتج للنبوة بلغ فى ذلك مابلغه الجاحظ . ولا يعرف كتاب فى الاحتجاج لنظم القرآن وعجيب تأليفه وأنه حجة لمحمد ﷺ على نبوته غير كتاب الجاحظ . وهـذه كتبه فى إثبات الرسالة وكتبه فى تصحيح مجيء الاخبار مشهورة . وهل يستدل على حب الرسول ﷺ والايمان به وتصديقه فيما جاء به بشيء اؤكد مما يستدل به على حب الجاحظ الرسول وتصديقه إياه ؟

***

ومما ثلبه به خصومه تقرباً الى العامة والحشوة :

قال ابن قتيبة : ثم نصير الى الجاحظ ، وهو آخر المتكلمين والمعابر على المتقدمين ، وأحسنهم للحجة استثارة ، وأشدهم تلطفاً لتعظيم الصغير حتى يعظم ، وتصغير العظيم حتى يصغر ، ويبلغ به الاقتدار الى أن يعمل الشيء ونقيضه ، ويحتج بفضل السودان على البيضان ، وتجده يحتج مرة للعثمانية على الرافضة ، ومرة للزيدية على العثمانية وأهل السنة . ومرة يفضل علياً رضي الله عنه ومرة يؤخره . ويقول :

قال رسول الله ﷺ ويتبعه قال الجماز ، وقال اسمعيل بن غزوان كذا ، كذا من الفواحش ، ويجل رسول الله ﷺ عن أن يذكر في كتاب ذكرا فيه ، فكيف في ورقة أو بعد سطر أو سطرين ؟

ويعمل كتاباً يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين، فاذا صار الى الرد عليهم تجوز في الحجة كأنه إنما أراد تنبيههم على مالا يعرفون ، وتشكيك الضعفة من المسلمين. وتجده يقصد في كتبه للمضاحيك والعبث يريد بذلك استمالة الاحداث وشراب النبيذ ، ويستهزيء من الحديث استهزاء لايخفى على أهل العلم، كذكره كبد الحوت، وقرن الشيطان ، وذكر الحجر الاسود ، وأنه كان أبيض فسوده المشركون وقد كان يجب أن يبيضه المسلمون حين اسلموا . ويذكر الصحيفة التى كان فيها المُنزَلُ في الرضاع تحت سرير عائشة فأكلتها الشاة ، وأشياء من أحاديث أهل الكتاب في تنادم الديك والغراب ، ودفن الهدد في رأسه ، وتسبيح الضفدع ، وطوق الحمامة وأشباه هذا . وهو مع هذا من أكذب الأمة وأوضعهم لحديث وأنصرهم لباطل

وروي عن أبي عمرو أنه جرى ذكر الجاحظ في مجلس أبي العباس احمد بن يحيى فقال : امسكوا عن ذكر الجاحظ فانه غير ثقة

وقال الازهرى : كان الجاحظ روى عن الثقات ماليس فى كلامهم ، وكان قد أوتى بسطة في لسانه ، وبياناً فى خطابه ، ومجالا واسعاً في فنون ، غير أن أهل العلم والمعرفة ذموه ، وعن الصدق دفعوه

وقال البديع الهمذاني في المقامة الجاحظية :

إن الجاحظ في أحد شقي البلاغة يقطف ، وفي الآخر يقف ، والبليغ من لم يقصر نظمه عن نثره ، ولم يُزر كلامه بشعره ، فهل ترون للجاحظ شعراً رائقاً ؟ قلنا : لا . قال : فهلموا الى كلامه : فهو بعيد الاشارات ، قريب العبارات ، قليل الاستعارات ، منقاد لعريان الكلام يستعمله ، نفور من معتاصه يهمله ، فهل سمعتم له بكلمة غير مسموعة ، أو لفظة غير مصنوعة ؟

وقال المسعودي : وزعم الجاحظ أن نهر مُكران الذي هو نهر السند من النيل ، ويستدل على أنه من النيل بوجود التماسيح فيه ، فلست أدري كيف وقع له هذا

الدليل ؟ وذكر ذلك في كتابه « الامصار » وهو كتاب في نهاية الغثاثة ، لأن الرجل لم يسلك البحار ، ولا أكثر الاسفار ؛ ولا تعرف المسالك والاقطار ، وإنما هو حاطب ليل ينقُل من كتب الوراقين

قلت : ليس المسعودي من أولئك الذين اشرنا الى أنهم إنما يقصدون بثلب الجاحظ القربى الى العامة والحشوة ، ولكنه عالم ينظر فيما هو مخصص به من فروع العلوم والمعارف . ولا شك في أن الحق في هذه المسئلة فى جانبه . وقد أذكرتنى طعنة المسعودي فى الجاحظ طعنة مثلها للجاحظ فى الخليل بن احمد .

رأي الجاحظ في الخليل

قال الجاحظ : إن الخليل بن احمد من أجل إحسانه فى النحو والعروض ، وضع كتابا في الايقاع وتراكيب الاصوات ، وهو لم يعالج وتراً قط ، ولامس بيده قضيباً قط ، ولاكثرت مشاهدته للمغنين . وكتب كتاباً في الكلام ولو جهد كل بليغ في الارض أن يتعمد ذلك الخطأ والتعقيد لما وقع له ذلك ، ولو ان ممروراً استفرغ قوى مرته في الهذيان لما تهيأ له مثل ذلك منه ، ولا يتأتى ذلك لأحد إلا بخذلان من الله تعالى

قلت:وهذامن طريف الاتفاقات ، ولعل الله قيض المسعودي ليقول فى الجاحظ ماقال الجاحظ فى الخليل بن أحمد « والجروح قصاص »

* * *

ومن آراء العارفين فيه :

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد : ما رأيت أحرص على العلم من ثلاثة : الجاحظ ، والفتح بن خاقان ، واسماعيل بن اسحق القاضى . فأما الجاحظ فانه كان إذا وقع بيده كتاب قرأه من أوله الى آخره ، أي كتاب كان . . . الخ

وكتب الفتح بن خاقان إلى الجاحظ كتاباً يقول فى فصل منه :

ان أمير المؤمنين يجد بك ويهش عند ذكرك . ولولا عظمتك فى نفسه، لعلمك ومعرفتك ، لحال بينك وبين بعدك عن مجلسه ، ولغصبك رأيك وتدبيرك فيما أنت مشغول به ، ومتوفر عليه . ولقد كان ألقى إليَّ من هذا عنوانه ، فزدتك في نفسه زيادة

كف بها عن تجشيمك . فاعرف لي هذه الحال ، واعتقد هذه المنة على كتاب «الرد على النصارى» وافرغ منه وعجل به إليَّ ، وكن ممن جـدابه على نفسه ، وتنـال مشاهرتك . قد استطلقته لما مضى ، واستسلفت لك لسنة كاملة مستقبلة ، وهذا مما لم تحتكم به نفسك . وقد قرأت رسالتك في « بصيرة غنام » ولولا اني أزيد في مخيلتك لعرفتك مايعترينى عند قراءتها والسلام

وكان الرئيس ابو الفضل بن العميد من المعجبين بالجاحظ ، المتوفرين على كتبه ومصنفاته ، المغترفين من بحار علومه وآدابه ، الذاهبين مذهبه في أسلوبه وكتابه ، حتى لقـد كان يلقب أحياناً « بالجاحظ الثاني » قال أبو القاسم السيرافي : حضرنا مجلس الاستاذ أبي الفضل بن العميد الوزير فجرى ذكر الجاحظ فغض بعض الحاضرين منه وأزرى به ، وسكت الوزير عنه ، فلما خرج الرجل قلت له : سكت أيها الاستاذ عن هذا الرجل في قوله ، مع عادتك في الرد على أمثاله ؟ فقال : لم أجد في مقابلته أبلغ من تركه على جهـله ، ولو واقفته وبينت له لنظر في كتبه وصار بذلك إنساناً يا أبا القاسم ، فكُتُب الجاحظ تعلم العقل أولا ، والأدب ثانياً ، ولم استصلحه لذلك

وقال القاضي ابن خلكان : الجاحظ صاحب التصانيف في كل فن ، وله مقالة في أصول الدين . ومن أحسن تصانيفه وأمتعها كتاب الحيوان ، فلقـد جمع فيه كل غريبة ، وكذلك « البيان والتبيين » وهي كثيرة جداً . وكان مع فضائله مشوه الخلق

شيء من أخباره ونوادره

وللجاحظ أخبار شائقة ، ونوادر فائقة ، وأحاديث رائقة ، وكان مع جده وجلالة مقامه ، وسمو منزلته ، ومع مواقفه المشهورة في الجدل والتناظر ، ومع مجالدته خصومه بقوة لسنه ، ومتانة بيانه ، كان مع هذا كله ميالا إلى الملح واللطائف ، والنكت والطرائف والتندر والعبث ، والسخرية والهزء ، لا يبالى ان يدون النكتة وأن يرويها ولو كان فيها ما يتناول سمته ، ويمس جلاله ، ويأخذ من حلى وقاره . فمن ذلك ما حـدث به عن نفسه فقال :

ذُكِرت للمتوكل لتأديب بعض ولده فلما رآني استبشع منظري ، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني ، فخرجت من عنده فلقيت محمد بن ابرهيم وهو يريد الانصراف

الى مدينة السلام فعرض على الخروج معه والانحدار في حراقته ، وكنا بسُر مَن رآى ، فركبنا في الحراقة فلما انتهينا الى فم نهر القاطول نصب ستارة وأمر بالغناء ، فاندفعت عوادة فغنت :

كل يوم قطيعةٌ وعتابُ ينقضي دهرنا ونحن غضاب
ليت شعري أنا خُصصت بهذا دون ذا الخلق أم كذا الأحباب ؟

وسكتت ، فأمر الطنبورية فغنت :

وا رحمتا للعاشقينا ما إن أرى لهم معينا
كم يُهجرون ويُصرمو ن ويقطعون فيصبرونا؟

فقالت لها العوادة : فيصنعون ماذا ؟ قالت : هكذا يصنعون . وضربت بيدها الى الستارة فهتكتها وبرزت كأنها فلقة قمر فألقت نفسها في الماء ، وعلى رأس محمد غلام يضاهيها في الجمال وبيده مِذبة فأتى الموضع ونظر اليها وهي تمر بين الماء وأنشد :

أنت التي غرقتني بعد القضا لو تعلمينا

وألقى نفسه في أثرها ، فأدار الملاح الحراقة فاذا بهما معتنقان ، ثم غاصا فلم يُريا . فاستعظم محمد ذلك وهاله أمرهما ثم قال : ياعمرو ، لتحدثني حديثاً يسليني عن فعل هذين وإلا ألحقنك بهما . قال : فحضرني حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم يوماً وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها : إن رآى أمير المؤمنين أن يخرج إليَّ جاريته فلانة حتى تغنيني ثلاثة أصوات فعل . فاغتاظ يزيد من ذلك ، وأمر مَن يخرج اليه ويأتيه برأسه ، ثم اتبع الرسول رسولا آخر يأمره أن يُدخل اليه الرجل فأدخله فلما وقف بين يديه قال له : ما الذي حملك على ماصنعت ؟ قال : الثقة بحلمك ، والاتكال على عفوك . فأمره بالجلوس حتى لم يبق أحد من بني أمية إلا خرج ، ثم أمر فأخرجت الجارية ومعها عودها ، فقال لها الفتى : غني :

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

فغنته . فقال له يزيد : قل . فقال : غني :

تألق البرق نجدياً فقلت له ياأيها البرق إني عنك مشغول

فغنته . فقال له يزيد : قل . فقال : يامولاي ، تأمر لي برطل شراب . فأمر له

به ، فما استتم شربه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى نفسه على دماغه فمات. فقال يزيد : إنا لله وإنا اليه راجعون ، أتراه الأحمق الجاهل ظن أني أخرج اليه جاريتي وأردها الى ملكي ؟ ياغلمان ، خذوها بيدها واحملوها الى أهله ، إن كان له أهل ، وإلا فبيعوها وتصدقوا عنه بثمنها . فانطلقوا بها الى أهله ، فلما توسطت الدار نظرت الى حفيرة في وسط دار يزيد قد أعدت للمطر فجذبت نفسها من أيديهم وأنشدت:

مَن مات عشقاً فليمت هكذا لاخير في عشق بلا موت

وألقت نفسها في الحفيرة على دماغها فماتت . فَسُرِّي عن محمد وأجزل صلتي

وقال : أتيت منزل صديق لي فطرقت الباب فخرجت الىَّ جارية سندية فقلت: قولي لسيدك ، الجاحظ بالباب . فقالت : أقول ، الجاحد بالباب ؟ على لغتها. فقلت: لا ، قولي : الحدقي بالباب. فقالت : أقول ، الحلقي ؟ فقلت لاتقولي شيئاً . ورجعت

وقال مرة : ما أخجلني أحد مثل امرأتين ، رأيت إحداهما في العسكر، وكانت طويلة القامة، وكنت على طعام، فأردت أن أمازحها فقلت :إنزلي كلي معنا . فقالت : إصعد أنت حتى ترى الدنيا . وأما الاخرى فانها أتتني وأنا على باب داري فقالت : لي اليك حاجة وأريد أن تمشي معي . فقمت معها الى أن أتت بي إلى صائغ يهودي وقالت له : مثل هذا . وانصرفت : فسألت الصائغ عن قولها فقال : انها أتت الىّ بفص وأمرتني أن أنقش لها عليه صورة شيطان، فقلت لها: ياستي مارأيت الشيطان ؟ فأتت بك وقالت ماسمعت

وقال : دخلت ديوان المكاتبات ببغداد، فرأيت قوماً قد صقلوا ثيابهم ،وصفوا عمائمهم، ووشوا طُرُزهم ، ثم اختبرتهم فوجدتهم كما قال الله تعالى .فأما الزَّبَدُ فيذهبُ جُفاء ، ظواهر نظيفة ، وبواطن سخيفة ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون

وقال : وقفت يوماً على قاض فأردت الولع به، فقلت لمن حوله : إنه رجل صالح لايحب الشهرة . فتفرقوا عنه . فنظر الىَّ وقال : حسبك الله ؟

وقال : قلت يوماً لعُبيد الكلابي : أيسرك أن تكون هجيناً ولك ألف دينار؟ فقال : لا أحب اللؤم بشيء . قلت : فان أمير المؤمنين ابن أمةٍ ؟ فقال : أخزى الله

من أطاعه . قلت: نبيا الله اسماعيل ومحمد ابني أمةٍ ؟ فقال : لايقول هذا إلا قدري. قلت : وما القدري ؟ قال : لا أدري ، الا إنه رجل سوء

وقال : أتاني بعض الثقلاء فقال : سمعت ان لك ألف جواب مسكت ، فعلمني منها . فقلت : نعم . فقال : إذا قال لي شخص : يازوج القحبة ، يانقيل الروح ، أى شيء أقول له ؟ قلت : قل له ، صدقت

وسأله بعضهم كتاباً الى بعض أصحابه بالوصية به ، فكتب له رقعة وختمها ، فلما خرج الرجل من عنده فضها فاذا فيها : كتابي اليك مع من لا أعرفه ولا أوجب حقه ، فان قضيت حاجته لم أحمدك ، وإن رددته لم أذمك . فرجع الرجل اليه فقال الجاحظ : كأنك فضضت الورقة ؟ قال : نعم . قال : لايضيرك مافيها فانه علامة لي إذا أردت العناية بشخص . فقال الرجل : قطع الله يديك ورجليك ولعنك؟ فقال الجاحظ : ماهذا ؟ قال : علامة لي اذا أردت أن أشكر شخصاً

وقال : نزلت على صديق لي فلم آكل عنده لحماً ، فعرّضت له فقال : اني لاأكثر من اللحم منذ سمعت الحديث : ان الله يكره البيت اللَّحِمَ . فقلت : ياأخي ، انما أراد البيت الذي تؤكل فيه لحوم الناس بالغيبة ؟ فلم يؤخر حضور اللحم من ذلك اليوم

قلت : وهذه من معابث الجاحظ

∴

نخب من رسائله الخاصة

كتب الى محمد بن عبد الملك الزيات ، وكان قد تنكر له :

اعاذك الله من سوء الغضب ، وعصمك من سرَف الهوى ، وصرف ما أعارك من القوة إلى حب الانصاف ، ورجح في قلبك إيثار الاناة ، فقد خفت ـ ايدك الله ـ أن اكون عندك من المنسوبين الى نزق السفهاء ، ومجانبة سبل الحكماء ،

وبعد ، فقد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

وإن امرا أمسى وأصبح سالما من الناس إلا ما جنى لسعيد

وقال الآخر

ومن دعا الناس الى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

فان كنت اجترأت عليك ـ أصلحك الله ـ فلم اجتريء الا لان دوام تغافلك عنى شبيه بالاهمال الذى يورث الاغفال ، والعفو المتتابع يؤمن من المكافأة . ولذلك قال عيينة بن حصن بن حذيفة لعثمان رحمه الله : عمرٌ كان خيراً لي منك ، أرهبنى فاتقانى ، وأعطانى فاغنانى . فان كنت لاتهب عقابي ـ ايدك الله ـ لخدمة سلفت لى عندك ، فهبه لاياديك عندى ، فان النعمة تشفع في النقمة ، وإلا تفعل ذلك لذلك فعُد إلى حسن العادة ، والا فافعل ذلك لحسن الاحدوثة ؛ والا فأت ما انت أهله من العفو ، دون ما أنا أهله من استحقاق العقوبة ؛ فسبحان من جعلك تعفو عن المتعمد ، وتتجافى عن عقاب المُصر ، حتى اذا صرتَ الى من هفوته ذكر ، وذنبه نسيان ؛ ومن لايعرف الشكر الا لك ، والانعام الا منك ، هجمت عليه بالعقوبة

واعلم ـ ايدك الله ـ أن شين غضبك عليَّ كزين صفحك عنى ، وأن موت ذكرى مع انقطاع سببى منك كحياة ذكرى مع اتصال سببى بك . واعلم أن لك فطنة عليم ، وغفلة كريم ، والسلام

وكتب الى احمد بن أبي دؤاد يستعطفه فقال :

ليس عندى اعزك الله سبب ولا أقدر على شفيع ، الا ماطبعك الله عليه من الكرم والرحمة ، والتأميل الذى لايكون إلا من نتاج حسن الظن واثبات الفضل بحال المأمول ، وأرجو أن اكون من العتقاء الشاكرين ، فتكون خير مُعتب ، وأكون افضل شاكر ، ولعل الله أن يجعل هذا الامر سبباً لهذا الانعام ، وهذا الانعام سبباً للانقطاع اليكم ، والكون تحت أجنحتكم ، فيكون لا أعظم بركة ، ولا انمى بقية من ذنب أصبحت فيه ، وبمثلك ـ جُعلت فداك ـ عاد الذنب وسيلة ، والسيئة حسنة . ومثلك من انقلب به الشر خيرا ، والغُرم غُنما

من عاقب فقد أخذ حظه ، وانما الاجر في الآخرة وطيب الذكر في الدنيا ، على قدر الاحتمال وتجرع المرائر . وأرجو أن لا أضيع واهلك فيما بين عقلك وكرمك . وما اكثر من يعفو عمن صغر ذنبه ، وعظم حقه ، وإنما الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم ، ضعيف الحرمة . وإن كان العفو العظيم مستطرفا من غيركم فهو تلاد فيكم ، حتى ربما دعا ذلك كثيراً من الناس الى مخالفة أمركم ، فلا أنتم عن

ذلك تنكلون ، ولا على سالف إحسانكم تندمون . وما مثلكم إلا كمثل عيسى ابن مريم حين كان لايمر بملإ من بنى اسرائيل إلا أسمعوه شراً وأسمعهم خيراً ، فقال له شمعون الصفا : ما رأيت كاليوم ؛ كلما أسمعوك شراً أسمعتهم خيراً ؟ فقال : كل امرىء ينفق مما عنده . وليس في أوعيتكم الا الخير ، ولا فى أوعيتكم إلا الرحمة ، وكل إناء بالذى فيه ينضح

وكتب يقول :

زينك الله بالتقوى ، وكفاك ما أهمك من الآخرة والاولى . من عاقب أبقاك الله تعالى على الصغيرة عقوبة الكبيرة ، وعلى الهفوة عقوبة الاصرار ، فقد تناهى في الظلم . ومن لم يفرق بين الاسافل والاعالى ، والادانى والاقاصي ، فقد قصر . والله لقد كنت أكره سرف الرضا مخافة أن يؤدى الى سرف الهوى ، فما ظنك بسرف الغيظ وغلبة الغضب من طياش عجول فحاش ، ومعه من الخرق بقدر قسطه من النهاب المرة الحمراء ؟ وأنت روح كما أنت جسم ، وكذلك جنسك ونوعك ، الا ان التأثر في الرقاق أسرع ، وضده في الغلاظ الجفاة أكمل ، ولذلك اشتد جزعي عليك من سلطان الغيظ وغلبته ؛ فاذا أردت أن تعرف مقدار الذنب اليك من مقدار عقابك عليه ، فانظر في علته ، وفي سبب اخراجه من معدنه الذى منه نجم ، وعشه الذى منه درج ، والى جهة صاحبه في التسرع والثبات ، والى حلمه عند التعريض ، وفطنته عند التوبة : فكل ذنب كان سببه ضيق صدر من جهة الفيض في المقادير ، أو من طريق الأنفة وغلبة طباع الحمية ، من جهة الجفوة أو من جهة استحقاقه فيما زين له عمله انه مقصر به في حقه ، مؤخر عن رتبته ، أو كان مبلغاً عنه مكذوباً عليه ، أو كان ذلك جائزاً فيه غير ممتنع منه . فاذا كانت ذنوبه من هذا الشكل فليس يقف عليها كريم ، ولا ينظر فيها حليم . ولست أسميه بكثرة معروفه كريماً ، حتى يكون عقله غامراً لعلمه ، وعلمه غالباً على طباعه ، كما لا أسميه بكف العقاب حليما ، حتى يكون عارفاً بمقدار ما أخذ وترك ؛ ومتى وجدت الذنب بعد ذلك لاسبب له الا البغض المحض ، والنفار الغالب فلو لم ترض لصاحبه بعقاب دون قعر جهنم لعذرك كثير من العقلاء ، ولصوب رأيك عالم من الاشراف . والأناة أقرب من الحمد وأبعد من الذم ، وأنا أى من خوف العجلة .

وقد قال الاول : عليك بالاناة فانك على إيقاع ماتتوقعه أقدر منك علي رد ماقد أوقعته . وليس يصارع الغضب أيام شبابه شيء إلا صرعه ، ولا ينازعه قبل انتهائه [منازع] الا قهره ، وإنما يحتال له قبل هيجه ، فمتى تمكن واستفحل ، وأذكى ناره واشتعل ، ثم لاقى من صاحبه قدرة ، ومن أعوانه شمماً وطاعة ، فلو استبطنته بالتوراة ، وأوجرته بالانجيل ، ولددته بالزبور ، وأفرغت على رأسه القرآن إفراغاً ، وأتيته بآدم شفيعاً ، لما قصر دون أقصى قوته . ولن يُسَكِّن غضبَ العبد إلا ذكره غضب الرب ،

فلا تقف ـ حفظك الله ـ بعد مضيك في عتابي التماساً للعفو عني ، ولا تقصر عن إفراطك من طريق الرحمة بي ، ولكن قف وقفة من يتهم الغضب على عقله ، والشيطان على دينه ، ويعلم أن للكرم أعداء ، ويمسك امساك من لا يبرىء نفسه من الهوى ، ولا يبرىء الهوى من الخطأ ، ولا تنكر لنفسك أن تزل ، ولعقلك أن يهفو . فقد زل آدم عليه السلام وقد خلقه بيده . ولست أسألك الا ريثما تسكن نفسك ، ويرتد اليك ذهنك ، وترى الحلم وما يجلب من السلامة وطيب الاحدوثة ؛ والله يعلم وكفى به علما

لقد أردت أن أفديك بنفسي في مكاتباتي ، وكنت عند نفسي في عداد الموتى وفي حيز الهلكى ، فرأيت ان من الخيانة لك ، ومن اللؤم في معاملتك أن أفديك بنفس ميتة ، وأن أريك اني قد جعلت لك أنفس ، ذخر والذخر معدوم . وأنا أقول كما قال أخو ثقيف : مودة الأخ التالد وإن أخلق خير من مودة الاخ الطارف وإن ظهرت مساعدته وراقت جدته .

سلمك الله وسلم عليك ، وكان لك ومعك

وكتب الى قليب المغربي يقول :

والله ياقليب لولا أن كبدي في هواك مقروحة ، وروحي بك مجروحة ، لساجلتك هذه القطيعة ، ومادتك حبل المصارمة ، وأرجو أن الله تعالى يديل صبري من جفائك ، فيردك الى مودتي وأنف القلى راغم ، فقد طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند الالتقاء

نبذ من شعره

وشعر الجاحظ وإن كان دون طبقته في البلاغة، ودون منزلته فى الفصاحة، الا أننا لا يمكننا أن نترك هذه الترجمة دون إثبات ماعثرنا عليه منه

روى يموت بن المزرع هذه الابيات للجاحظ يهجو بها الجماز :

نسب الجماز مقصور اليه منتهاه
تنتهي الأحساب بالناس ولا يعدو قفاه
يتحاجى مَن أبو الجماز فيه كاتباه
ليس يدري مَن أبو الجماز الا من يراه

وروى له أبو العيناء هذه الابيات في الخضاب

زرت فتاة من بني هلال فاستعجلت إلىَّ بالسؤال :
مالي أراك قاني السِّبال كانما كرعتَ في جريال
مايبتغى مثلك من أمثالى ؟ تنح قدامي ومن حيالى

وقال .

يطيب العيش ان تلقى حكيما غذاه العلم والفهم المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل وفضل العلم يعرفه اللبيب
سَقام الحرص ليس له شفاء وداء الجهل ليس له طبيب

وقال

إن حال لون الرأس عن حاله ففي خضاب المرء مُستمتع
هب أن من شاب له حيلة فما الذى تُخفى له الاضلع ؟

وروى له أبو الحسن البرمكي

وكان لنا أصدقاء مضوا تفانوا جميعاً وما خلدوا
تساقوا جميعاً كؤس المنون فمات الصديق ومات العدو

وله من أبيات فى المدح

بدا حين أثرى باخوانه ففلل عنهم شباة العدم
وذكره الحزم صرف الزمان فبادر قبل انتقال النعم
فتى خصه الله بالمكرمات فمازج منه الحيا بالكرم

مرضه وما قيل في سببه وما أحاط به

قال ابن أبي أصيبعة : نقلت من خط المختار بن الحسن بن بطلان ان أبا عثمان الجاحظ ويوحنا بن ماسويه : اجتمعا بغالب ظني على مائدة اسماعيل بن بلبل الوزير (قلت : الأقرب الى الصواب مارواه جمال الدين بن نباته المصري في شرحه على رسالة ابن زيدون من أن اجتماعهما كان على مائدة احمد بن أبي دؤاد) وكان فى جملة ماقدم مضيرة بعد سمك ، فامتنع يوحنا من الجمع بينهما ، فقال له ابو عثمان : أيها الشيخ ، لايخلو أن يكون السمك من طبع اللبن أو مضاد له ، فان كان أحدهما ضد الآخر فهو دواء له ، وان كانا من طبع واحد فلنحسب أنا قد أكلنا من أحدهما الى ان اكتفينا ؟ فقال يوحنا : والله مالي خبرة بالكلام ، ولكن كل يا أبا عثمان وانظر مايكون في غد . فأكل ابو عثمان نصرة لدعواه ففلج فى ليلته ، فقال : هذه والله نتيجة القياس المحال

وقال ابو العباس محمد بن يزيد المبرد : عدت الجاحظ فسمعته يقول : أنا من جانبي الايسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ماعلمت ؛ ومن جانبي الايمن منقرس فلو مر بى الذباب لالمت ، وبى حصاة لاينسرح لى البول معها ، وأشد ماعلى ست وتسعون

وقال يموت بن المزرّع (وهو ابن أخت الجاحظ) وجه المتوكل في السنة التى قتل فيها (٢٤٧) ان يحمل اليه الجاحظ من البصرة ـ وقد سأله الفتح بن خاقان ذلك ـ فوجده لافضل فيه ؛ فقال لمن أراد حمله : مايصنع بامرىء ليس بطائل ، ذى شق مائل ، ولعاب سائل ، وفرج بائل ، وعقل زائل ، ولون حائل ؟

وقال أبو معاذ عبدالله الخولى المتطبب : دخلنا يوما بسر من رآى على عمرو بن بحر الجاحظ نعوده وقد فلج ، فلما أخذنا مجالسنا أتى رسول المتوكل فيه فقال : وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل ، ولعاب سائل ؟ ثم أقبل علينا فقال : ما تقولون في رجل له شقان : أحدهما لو غرز بالمسال ما احس ، والشق الآخر يمر به الذباب فيغوث ، وا كثر ما اشكوه النمانون ؟ ثم أنشدنا أبياتا من قصيدة عوف بن محلم الخزاعى ـ قال ابو معاذ : وكان سبب هذه القصيدة ان عوفاً دخل على عبد الله

ابن طاهر ، فسلم عليه عبدالله فلم يسمع ، فأُعلم بذلك ، فزعموا أنه ارتجل هـذه القصيدة ارتجالات فانشده :

يا ابنَ الذي دَان له المشرقان ... طُرا وقـد دَان له المَغْرِبان
إن الثمانين وبُلْغتهـا ... قد أحوجت سمعي إلى تَرجُمان
وبدلتني بالشَّطاط انحِنَـا ... وكنتُ كالصعدةِ تحت السنان
وبدلتني من زَمَاعِ الفَتَى ... وهمتي همَّ الجبان الهدان
وقاربت مني خُطا لم تكن ... مُقاربات وثنت من عنان
وأنشأت بيني وبين الورى ... عَنانة من غير نسج العِنان
ولم تدع في لمستمتعٍ ... إلا لساني ، وبحسبي لسان
أدعو به الله وأثني به ... على الامير المُصْعَبِيّ الهِجان
فقرِّباني بأبي انتما ... من وطني قبل اصفرار البنان
وقبل منعاى الى نسوة ... أوطانهـا حرَّان والرقتان

وقال بعض البرامكة : كنت تقلدت السند فأقمت بها ماشاء الله ثم اتصل بي اني صرفت عنها ، وكنت قد كسبت بها ثلاثين الف دينار فخشيت ان يفجأني الصارف فيسمع بمكان المال فيطمع فيه ، فصغته عشرة آلاف اهليلجة ، ولم يلبث الصارف ان أتى فركبت البحر وانحدرت الى البصرة ، فخبرت أن الجاحظ بها ، وانه عليل بالفالج ، فأحببت ان أراه قبل وفاته فصرت اليه فافضيت الى باب دار لطيف فقرعته فخرجت الىّ خادم صفراء فقالت : من انت ؟ فقلت : رجل غريب واحب أن أسر بالنظر الى الشيخ . فبلغته الخادم ماقلت ، فسمعته يقول : قولى له : وما تصنع بشق مائل ، ولعاب سائل ، ولون حائل : فقلت للجارية : لابد من الوصول اليه . فلما بلغته قال : هـذا رجل قـد اجتاز بالبصرة وسمع بعلتي فقال أحب أن أراه قبل موته فاقول قـد رأيت الجاحظ . ثم أذن لى فدخلت وسلمت عليه فرد رداً جميلا وقال : من تكون أعزك الله ؟ فانتسبت له فقال : رحم الله تعالى أسلافك وآباءك السمحاء الاجواد ، فلقـد كانت ازمانهم رياض الازمنة ، ولقد نجبر بهم خلق كثير ، فسقيا لهم ورعياً . فدعوت له وقلت : أنا أسألك أن تنشدنى شيئاً من شعرك ؟ فانشدنى :

لئن قـدمت قبلى رجال فطالمـا مشيت على رِسلى فـكنت المقدما
ولـكن هـذا الدهر تأتى صروفه فتبرم منقوضا وتنقض مبرماً

ثم نهضت فلما قاربت الدهليز قال : ياقتى ، أرأيت مفلوجا ينفعه الاهليلج ؟ قلت : لا . قال : فان الاهليلج الذى معك ينفعني ، فابعث لى منه . فقلت : نعم . وخرجت متعجبا من وقوفه على خبري مع كتمانى له ، وبعثت اليه مائة اهليلجة

وقال ابو طاهر : صرت الى الجاحظ ومعي جماعة ، وقد أسن واعتل في آخر عمره ، وهو فى منظرة له وعنده ابن خاقان جاره ، فقرعنا الباب فلم يفتح لنا وأشرف من المنظرة وقال : الا إنى قد حوقلت ، وحملت رميح أبى سعد ، وسقت الغنم (١) ، فما تصنعون بي ؟ سلموا سلام الوداع . فسلمنا وانصرفنا

وشكا يوماً لطبيبه علته فقال : قد اصطلحت الاضداد على جسدي ، إن أكلت بارداً أخذ برجلي ، وإن أكلت حاراً أخذ برأسى

وما زال في علته هذه الى أن وقعت عليـه مجلدات العلم فمات رحمه الله في سنة ٢٥٥ هـ ٨٦٨ م

مؤلفاته

نثبت هنا ما أمكن العثور عليه من أسماء مؤلفاته

كتاب الحيوان
« البيان والتبيين
« البخلاء
« سـلوة الحريف في مناظرة الربيع والخريف

مجموعة رسائل تحوى :
رسالة الحاسد والمحسود
« في مناقب الترك وعامة جند الخلافة
« « فخر السودان على البيضان
« « التربيع والتدوير

(١) حوقلت : اكثرت من قول لا حول ولا قوة الا بالله ، لتتابع الامراض . وقوله : رميح أبى سعد : هو رجل من العرب أسن فاستعان بالعصا ، وهو أول من فعل ذلك فقليل لـكل من شاخ : أخذ رميح أبى سعد . وقوله سقت الغنم : كناية عن الهرم ، لان سائق الغنم يطأطىء من رأسه

رسالة في تفضيل النطق على الصمت
« « مدح التجار وذم عمل السلطان
« « العشق والنساء
« « الوكلاء
« « استنجاز الوعد
« « بيان مذاهب الشيعة
« « طبقات المغنين
أسماء ما ذكر منها فى كتاب الحيوان
كتاب حيل اللصوص
« غش الصناعات
« الملح والطرف
« احتجاج البخلاء (ويظهر انه السابق ذكره)
كتاب الصرحاء والهجناء
« مفاخرة السودان والحمران
« الزرع والنخل والزيتون والاعناب
« أقسام فضول الصناعات ومراتب التجارات
« فضل مابين الرجال والنساء
« القحطانية والعدنانية
« العرب والموالى
« العرب والعجم
« الاصنام
« المعادن

كتاب فرق مابين هاشم وعبد شمس
« فرق مابين الجن والانس
« فرق ما بين الملائكة والجن
« الأوفاق والرياضات
« الرسائل الهاشميات
« خلق القرآن
« الرد على المشبهة
« أصول الفتيا والاحكام
« الاحتجاج لنظم القرآن
« معارضة الزيدية
« الوعد والوعيد
« النصراني واليهودى
« الجوابات
« المسائل
« أصحاب الالهام
« الحجة في تثبيت النبوة
« الاخبار
« بصيرة غنام المرتد
« الرد على الجهمية
« فرق مابين النبى والمتنبي
« العباسية
رسالة في مفاخرة المسك والرماد (١)
ثلاث رسائل هي :
رسالة في الرد على النصارى

(١) أشار اليها الصلاح الصفدى فى شرحه على لامية العجم وقال انها رسالة بديعة

رسالة في ذم أخلاق الكتاب
« « القيان
عن كتاب الانتصار للخياط بعد حذف المكرر
كتاب أفعال الطبائع
« فضيلة المعتزلة
عن كتاب التاج

كتاب أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة مانسب الى الجاحظ
« التاج في أخلاق الملوك . نسبه اليه احمد زكى باشا
« تنبيه الملوك والمكايد . أشار زكي باشا الي انه مما نسب اليه
« المحاسن والاضداد

هـذا ما أعجل الوقت به من استخلاص ترجمة الجاحظ عن شتى الكتب ومختلف الاسفار مما لم يسبقنا اليه سابق ولله الحمد والمنة ؟

حسن السندوبي

القاهرة فى يوم الاحد ١٧ ربيع الثانى سنة ١٣٤٥ / ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وسلم

عونك اللهم وتيسيرك

اللهم إنّا نعوذ بك من فتنة القول ، كما نعوذ بك من فتنة العمل : ونعوذ بك من التكلف لما لا نُحسن ، كما نعوذُ بك من العُجْبِ بما نُحسن . ونعوذ بك من السَّلَاطة والهَذَر(١) كما نعوذ بك من العِيِّ والحَصَر ، وقديماً تعوَّذوا بالله من شرّهما ، وتضرعوا الى الله في السلامة منهما

وقد قال النَّمِرُ بنُ تَوْلَبٍ : (٢)

أعِذْنِي ربِّ من حَصَرٍ وَعِيٍّ ومن نَفْسٍ أعالجُهَا عِلاجا

وقال الهُذَلِيُّ : (٣)

---

(١) السلاطة : البذاءة . والهذر : الاكثار من الكلام الفارغ

(٢) النمر بن تولب العكلى : شاعر مخضرم أسلم وحسن أسلامه ، وكان من أجواد العرب المذكورين ، وفرسانهم المشهورين ، وكان شاعراً فصيحا وشجاعا كريما ، لقبه أبو عمرو بن العلاء بالكيس لحسن شعره . وقال عنه حماد الراوية : انه كثير البيت السائر والمتمثل به . وهذا البيت الذى تمثل به الجاحظ أحد أبيات هو أولها و بعده :

ومن حاجات نفسى فاعصمنى فان لمضمرات النفس حاجا
فانت وليها و برئت منها اليك فما قضيت فلا خلاجا

شاخ حتى خرف ، وكان هجيراه في خرفه : أصبحوا الضيف ، أغبقوا الضيف .

(٣) الهذلى هذا هو أبو العيال بن أبى عنترة من سعد هذيل . كان شاعراً فصيحا أدرك الجاهلية والاسلام ، وأسلم فيمن أسلم من هذيل . والبيت الذى جاء به الجاحظ هو من قصيدة يرثى بها ابن عمه عبد بن زهرة . يقول فيها :

ألا لله درك من فتى قوم اذا رهبوا
وقالوا من فتى للحر ب يرقبنا و يرتقب

ولا حَصِرٌ بخطبتِهِ إذا ما عَرَّتِ الخُطَبُ

وقال مكيُّ بنُ سوادة : (١)

حَصِرٌ مُسْهِبٌ جَرِيءٌ جبانٌ خيرُ عِيِّ الرِّجالِ عِيٌّ سَكُوتُ

وقال الآخر :

ملىء بِبُهْرٍ والْتِفاتٌ وسَعْلَةٌ وَمَسْحَةُ عُثْنُونٍ وفتلُ الأَصابع (٢)

ومما ذمّوا به العِيّ قوله :

وما بِيَ من عِيٍّ ولا أنطِقُ الخَنا إذا جمعَ الأقوامَ في الخَطْبِ مَحْفِلُ

وقال الراجز وهو يمتَح بدَلْوِهِ : (٣)

عَلِقْتَ ياحارِثُ عِنْدَ الوِرْدِ بجابىء لارَفِلِ التَّرَدِّى (٤)

ولا عَيِيٍّ بابْتِناءِ المجد

وهذا كقول بَشَّار الأعمى : (٥)

وعِيُّ الفِعالِ كَعِيِّ المقالِ وفي الصَّمْتِ عِيٌّ كَعِيِّ الْكَلِمْ

وهذا المذهب شبيه بما ذهب اليه شُتَيْم بنُ خُوَيْلِد في قوله :

فكنت فتاهم فيها اذا يدعى لها يثب

الخ . إمتد به العمر حتى أدرك عهد معاوية وتوفى فى خلافته

(١) مكى بن سوادة (لم أعثر على شىء عنه فيما بين يدى من كتب)

(٢) البهر : الاعياء . والعثنون : اللحية (٣) المتح : الاستقاء

(٤) الورد : ورود الماء . الجابىء : المفاجىء بقدومه . لارفل الترددى : غيرجاهل بخطر السقوط

(٥) بشار الاعمى : هو بشار بن برد ، ومحله فى الشعر وتقدمه فى الابداع أشهر من ان يدل عليه. وهوزعيم الشعراء المحدثين بلا منازع ، ذاع أمره فى الدولتين الاموية والعباسية ، وأخذ سنى الجوائز من خلفائهما وامرائهما ، وكان مرهوب الجانب مخشى اللسان . ولد سنة ٧٦ هـ ٦٩٥ م وقتل سنة ١٦٨ هـ ٧٨٤ م

ولا يشعَبون الصَّدْعَ بعد تفاقمٍ وفي رِفقِ أيديكم لذى الصدعِ شاعبُ(١)

وهذا كقول زيّان بن سيار:

ولسنا كأقوامٍ أجَدُّوا رياسةً يُرى مالُها ولا يُحَسُّ فِعالُها

يُريغون في الخِصْبِ الأُمورَ وَنفعُهم قليلٌ إذِ الأَمْوالُ طال هُزالُها(٢)

وقُلنا بلا عِيٍّ وسُنّا بِطَاقةٍ إذِ النّارُ نارُ الحرب طال اشتعالُها

لانهم يجعلون العجز والعى من الخرق ، كانا في الجوارح أو في الألسنة . وقال بن أحمر الباهلي :

لو كنتُ ذا علمٍ علمتُ وكيفَ لي بالعلم بعدَ تَدَبُّرِ الأَمْرِ

وقالوا في الصمت كقولهم في النطق . قال أُحَيْحَةُ بنُ الجُلاحِ :(٣)

والصَّمتُ أحْسَنُ بالفتى مَالم يكنْ عِيٌّ يَشينُه

والقولُ ذو خَطَلٍ إذَا مالم يكنْ لُبٌّ يُعِينُه

وقال محرز بن علقمة :

لقد وارى المقابرُ من شَريكٍ كَثيرَ تَحَامُّ وقليلَ عَاب

صَمُوتاً في المجالس غيرَ عِيٍّ جديراً حين ينطِقُ بالصواب

وقال مكى بن سوادة :

تَسَلَّمَ بالسُّكوتِ مِنَ العُيوبِ فكان السَّكتُ أجلبَ للعيوبِ

---

(١) يقول : ان اعداءكم لايصلحون فاسدا ، أما أنتم ففى أيديكم كل صلاح

(٢) يريغون من الاراغة وهى الطلب

(٣) أحيحة بن الجلاح : شاعر أوسي جاهلى فارس شجاع وكريم جواد ، وله أحداث وخطوب مع تبع بن حسان ملك اليمن ،ومع الحرث بن ظالم، مما هو معروف ومشهور

وَيَرْتجل الكلامَ وليسَ فيه سوى الهَذَيانِ من حَشَد الخطيبِ (١)

وقال آخر :

جمعتَ صنوفَ العِيِّ من كل وِجهةٍ وكنتَ حَرِيا بالبلاغةِ من كَثَبْ
أبُوكَ مُعِمٌّ في الكلام ومُخْوِلٌ وخالُكَ وثّابُ الجرائمِ في الخُطبْ

وقال حُميد بن ثور الهلالي : (٢)

أتانا ولم يَعْدِله سَحْبانُ وائلٍ بيانًا وعِلمًا بالذي هو قائل (٣)
فما زال عنه اللَّقْمُ حتى كأنَّهُ من العِيِّ لمَّا أنْ تكلَّمَ باقِلُ (٤)

سَحْبان مثلٌ في البيان، وباقِلٌ مثل في العِيِّ، ولهما أخبار . وقال آخر :

ماذا رُزِئْنا منكِ أمَّ الأسودِ من رَحَبِ الصَّدْرِ وعَقْلٍ مُتْلِدِ

وهي صناع باللسان واليد

وقال آخر :

لو صُحِبتْ شهرَبْنِ داباً لم تُملْ وجَعلتْ تُكْثِرُ قولَ: لا، و: بلْ

(١) الحشد هنا بمعنى الاستعداد

(٢) حميد بن ثور شاعر مخضرم ، ادرك الجاهلية والاسلام ، وكان شاعراً مجيداً وقال الشعر فى أيام عمر، وله وصف فى القطاة تفاخر فيه مع العجير السلولى، واوس بن غلفاء الهجيمى ،ومزاحم العقيلى، والعباس بن يزيد الكندى، ولما اختلفوا فيمن كان منهم أحسن وصفا احتكموا الى ليلى الاخيلية فقالت :

ألا كل ما قال الرواة وانشدوا بهـا غير ما قال السلولى بهرج

فقضت للعجير السلولى عليهم . ويعد حميد من الصحابة

(٣) سحبان : هو سحبان بن زفر بن إياس، يضرب به المثل فى الفصاحة والخطابة فيقال : اخطب من سحبان وائل . كان من ألسنة العرب فى الجاهلية، فلما جاء الاسلام أسلم . خطب فى وفود خراسان بين يدى معاوية من صلاة الظهر الى صلاة العصر ما تنحنح ولا سعل ولا توقف . مات سنة ٥٤ هـ ٦٧٣ م . وباقل بعكسه يضرب به المثل فى العى فيقال : أعيا من باقل

(٤) اللقم : توالى اللقم فى الفم

حبُّكَ للباطلِ قِدْماً قدْ شَغَلْ كسبَكَ عَنْ عِيَالِنَا قلتُ أجَلْ
تَضَجُّراً مني وعِيًّا بالحِيَلْ

قال وقيل لِبُزُرْجُمِهْر بن البختكان الفارسى (١) : أى شىء أستر للعى ؟ قال : عقل يجمله . قالوا . فان لم يكن له عقل ؟ قال : فمال يستره. قالوا : فان لم يكن له مال؟ قال . فاخوان يُعتَرُونَ عنه . قالوا : فان لم يكن له اخوان يعبرون عنه ؟ قال : فيكون ذا صمت . قالوا فان لم يكن ذا صمت ؟قال : فموت وحى خير له من أن يكون فى دار الحياة

وسأل الله موسى عليه السلام حين بعثه الى فرعون بابلاغ رسالته، والابانة عن حجته، والافصاح عن أدلته ، فقال حين ذكر العقدة التى كانت فى لسانه ، والحبسة التى كانت فى بيانه « وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِى يَفْقَهُوا قَوْلِى» وأنبانا الله تبارك وتعالى عن تعلق فرعون بكل سبب ، واستراحته الى كل شغب ، ونبهنا بذلك على مذهب كل جاحد معاند، وعلى كل مختال مكايد ، حين خبرنا بقوله : « أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِن هَذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ» وقال موسى عليه السلام « وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِى رِدْءاً يُصَدِّقُنِى» وقال: «وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلاَ يَنْطَلِقُ لِسَانِي » رغبة منه فى غاية الافصاح بالحجة، والمبالغة فى وضوح الدلالة ، لتكون الاعناق اليه أسرع ، وان كان قد يأتى من وراء الحاجة ، ويبلغ افهامهم على بعض المشقة . ولله عز وجل أن يمتحن عباده بما يشاء من التخفيف والتثقيل ، ويبلوا أخبارهم كيف أحب من المكروه والمحبوب ، ولكل زمان ضرب من المصلحة ، ونوع من المحنة ، وشكل من العبادة. ومن الدليل على أن الله عز وجل حل تلك العقدة، وأطلق ذلك التعقيد والحبسة، قوله «رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى وَيَسِّرْ لِى أَمْرِى وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِى يَفْقَهُوا قَوْلِى وَاجْعَلْ لِى وَزِيراً مِنْ أَهْلِى هَرُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِى وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي» الى قوله « قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى» فلم تقع الاستجابة على شىء من دعائه دون شىء لعموم الخبر .

وسنقول فى شأن موسى عليه السلام ومسألته فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

وذكر الله تعالى جميل بلائه فى تعليم البيان ، وعظيم نعمته فى تقويم اللسان ،

(١) بزرجمهر . وقد يقال بزرج مهر : حكيم فارسى مشهور، نكبه كسرى لقول الحق

فقال: «الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» وقال «هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ» ومدح القرآن بالبيان والافصاح، وبحسن التفصيل والايضاح، وبجودة الافهام، وحكمة الابلاغ، وسماه فرقانا، وقال «عربى مبين» وقال «وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً» وقال «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ» وقال «وكل شيء فصلناه تفصيلا»

وذكر الله تعالى لنبيه حال قريش فى بلاغة المنطق، ورجاحة الأحلام، وصحة العقول. وذكر العرب وما فيها من الدهاء والنكراء والمكر، ومن بلاغة الألسنة، واللدد عند الخصومة، فقال: «إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ» وقال: «لِتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا» وقال «وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ» وقال «أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ» ثم ذكر خلابة ألسنتهم، واستمالتهم الاسماع بحسن منطقهم، فقال، «وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ» ثم قال: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» مع قوله «وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ» وقال الشاعر فى قوم يحسنون فى القول ويسيؤون في العمل، قال أبو حفص: أنشدنى الأصمعى للمكعبر الضبي:

كُسَالَى إِذَا لاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ ... يُلَهَّى بِهِ المحروبُ وهو عناء

وقيل لِذَوْهَمَان: ماتقول في خزاعة؟ قال: جوع وأحاديث. وفى شبيه بهذا المعنى قال أَفْنُونُ بنُ صُرَيْمٍ التَّغْلِبِي: (١)

لو أننى كنتُ من عادٍ ومن إِرَمٍ ... غَذِيَّ قَيْلٍ ولُقمانٍ وذى جَدَنِ
لما وَقَوا بأخيهم من مُهَوِّلَةٍ ... أخا السُّكُونِ ولا حادُوا عن السَّنَنِ
أنى جَزَوْا عامراً سُوءاً بفعلِهِمِ ... أم كَيْفَ يَجْزُونَنِي السُّوآى من الحسنِ

(١) افنون بن صريم التغلبي شاعر قديم، له حكاية غريبة، ذلك أن بعض الكهان أنذره بهلاكه من لدغة تصيبه، فكان لاينام الا على ظهر راحلته، فبينا هو ذات ليلة على ناقته وهي ترعى اذ التوت حية على مشفرها فاضطربت ورمت بها اليه فلدغته. فقال:

لعمرك مايدرى الفتى كيف يتقى ... اذا هو لم يجعل له الله واقياً

ثم خر ميتاً لساعته وذلك حوالى سنة ٥٦٧ م

أم كيفَ ينفعُ ما تُعطي العَلوق بهِ رئمـان أنف إذَا مَاضَنَّ باللبَنِ

ورئمان: أصله الرقة والرحمة . والرؤوم أرق من الرؤف. فقال « رئمان أنف » كأنها تبر ولدها أنفها وتمنعه اللبن

ولان العرب تجعل الحديث والبسط والتأنيس والتاتي بالبشر من حقوق القرى، ومن تمام الاكرام . وقالوا : تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة ، واطالة الحديث عند المؤاكلة . وقال شاعرهم وهو حاتمُ الطَّائِي :(١)

سـلى الجائعَ الغرْثانَ يا أمَّ مُنذرٍ إذا ما أتانى بين نارِي ومَجْزَرى

هل آبسطُ وجهى؟ انهُ أول القِرى وأبذِلُ معروفي له دون مُنكَرِى ؟

وقال الآخر

إنكَ يا ابنَ جعفر خيرُ فتَى وخـيرُهم لطـارِقٍ إذا أتى

ورُبَّ نِضْوٍ طَرَقَ الحيَّ سُرى صادَفَ زَاداً وحديثاً ما اشتهى

إن الحديثَ جانبٌ من القِرَى

وقال الآخر :

لحافي لحافُ الضَّيفِ والبيتُ بيتهُ ولم يُلْهـني عنـهُ غَزالٌ مقـنَّعُ

أُحدِّثه إن الحديثَ منَ القِرَى وتعلم نفسى أنهُ سوْفَ يهجعُ

ولذلك قال عَمْرُو بنُ الاَهْـتَم : (٢)

فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرْحباً فهـذا مَبِيتٌ صالحٌ وصَدِيق

---

(١) حاتم الطائى : هو الجواد المشهور ، كان شاعراً فحلا، وفارساً شجاعا، وله فى الجود والكرم حوادث وأخبار معروفة. توفى حوالى سنة ٦٠٥ م

(٢) عمرو بن الاهتم : هو عمرو بن سنان الاهتم المنقرى التميمى ، وكان من سادات تميم وخطبائهم وشعرائهم وذوى الفصاحة واللسن فى الجاهلية والاسلام . وهو صاحب الحديث مع الزبرقان بن بدر بين يدى النبى (ص) وله مواقف مشهورة . توفى سنة ٥٧ هـ ٦٧٦ م

وقال الاخر:

أضاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِه ... ويخصبُ عندي والمحلُّ جَدِيبُ

وما الخِصبُ للأَضْيافِ أن يَكْثُرَ القِرى؟ ... ولكِنَّما وجهُ الكريم خَصِيبُ

ثم قال الله تبارك وتعالى فى باب آخر من صفة قريش والعرب «أم تَأْمُرُهم أحلامُهم بهذَا» وقال: «فاعتبروا يا اولى الالباب» وقال: «أُنظر كيف ضربوا لك الأَمثال» وقال: «وَإِن كان مَكرهم لِتَزُولَ منه الجبال» وعلى هذا المذهب قال: «وَإِن يكادوا الذين كفروا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصارهم» وقد قال الشاعر:

يَتَقَارَضُونَ إِذَا الْتَقَوا فِي مَوْقِفٍ ... نَظَراً يُزِيلُ مَوَاقِعَ الأَقدَامِ

وقال تبارك وتعالى «وَمَا أرسلنا من رَسولٍ إِلا بِلسانِ قومه لِيُبَيِّنَ لهم» لان مدار الامر على البيان والتبيين، وعلى الافهام والتفهيم. وكلما كان اللسانُ أبينَ كان أحمدَ، كما أنه كلما كان القلب أشدّ استِبانة كان أحمدَ. والمفهم لك والمتفهّم عنك شريكان فى الفضل. إلا أن المُفهِم أفضل من المتفهم، وكذلك المعلم والمتعلم

هكذا ظاهر هذه القضية، وجمهور هذه الحكومة، إلا فى الخاص الذى لا يذكر، والقليل الذى لا يشهر

وضرب الله مثلا لعىّ اللسان ورداءة البيان حين شبه أهله بالنساء والولدان وقال تعالى «أَوَمن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وهو فى الخصام غير مبين» ولذلك قال النمر بن تولب:

وكلُّ خَلِيلٍ عليهِ الرِّعَاثُ ... والحِبلاتُ ضَعِيفٌ مَلِقْ (١)

وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة، وسقطات الخطل يوم اطالة الخطبة، بأعظم مما يحدث عن العى من اختلال الحجة، وعن الحصر من فوت درك الحاجة. والناس لا يُعَيِّرون الخُرس، ولا يلومون من استولى على بيانه العجز، وهم يذمون الحصر، ويؤنبون العى. فان تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء، وتعاطيا

(١) الرعاث. الاقراط. والحبلات. ضرب من الحلى

مناظرة البلغاء تضاعف عليهما الذم ، وترادف عليهما التأنيب . ومماتنة العى الحصر للبليغ المصقع ،فى سبيل مماتنة المنقطع المفحم للشاعر المفلق . وأحدهما ألوم من صاحبه، والالسنة اليه أسرع . وليس اللَّجْلاجُ ، والتَّمْتَامُ ، والاَلْثَغ ، والفَأْفَاء ،وذو الحُبْسة ، والحُكلة ، والرُّتَّة ، وذو اللَّفَف (١) والعجلة فى سبيل الحصر فى خطبته، والعى فى مناضلة خصومه ، كما أن سبيل المفحم عند الشعراء ، والبكىء عند الخطباء خلاف سبيل المسهب الثرثار، والخطل المكثار

ثم أعلم أبقاك الله أن صاحب التَّشْدِيق والتَّقْعِير والتَّقْعِيب (٢) من الخطباء والبلغاء مع سماجة التكلف ، وشنعة التَّزَيُّد أعذر من عىّ يتكلف الخطابة ، ومن حصر يتعرض لاهل الاعتياد والدّربة . ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف ، وبياناً يمازجه التزيد ، الا ان تعاطى الحصر المنقوص مقام الدّرب التام ، اقبح من تعاطى البليغ الخطيب ،ومن تشادق الاعرابى القح. وانتحال المعروف ببعض الغزارة فى المعانى والالفاظ ، وفى التحبير والارتجال،أنه البحر الذى لا ينزح ، والغَمر الذى لا يسبر،أيسر من انتحال الحصر المنخوب أنه فى مسلاخ(٣) التام الموفر،والجامع المحكك ، وان كان رسول الله ﷺ قد قال:« اياى والتشادق» وقال : أبغضكم الىّ الثرثارون المتفيهقون » وقال:« من بدا جفا »وعاب الفدادين(٤) والمتزيدين فى جهارة الصوت ، وانتحال سعة الاشداق ، ورحب الغلاصم ، وهدل الشفاه . وأعلمنا أن ذلك فى أهل الوبر أكثر ،وفى أهل المدر أقل . فاذا عاب المدرى بأكثر مما عاب به الوبرى ، فما ظنك بالمولد القروى والمتكلف البلدى ؟ فالحصر المتكلف والعى المتزيد ، ألوم من البليغ المتكلف لاكثر مماعنده،وهو أعذر، لان الشبهة الداخلة عليه أقوى . فمن أسوأ حالا أبقاك الله ممن يكون ألوم من المتشدقين ، ومن الثرثارين المتفيهقين ، وممن ذكره النبى ﷺ نصا ، وجعل النهى عن مذهبه مفسرا ، وذكر مقته له وبغضه اياه ؟

---

(١) كل هذه صفات من عيوب اللسان الموجبة للعى والحصر . (٢) صفات مذمومة فى الخطيب (٣) المنخوب : الرعديد . فى مسلاخ : فى جلد، يعنى فى ثيابه وصفاته (٤) الفدادون : ذووا الاصوات المزعجة

ولما علم واصلُ بن عطاء (١) أنه ألثغ فاحش اللثغ، وأن مخرج ذلك منه شنيع، وأنه اذ كان داعية مقالة، ورئيس نحلة، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل، وزعماء الملل، وأنه لا بد من مقارعة الابطال، ومن الخطب الطوال، وان البيان يحتاج الى تمييز وسياسة، والى ترتيب ورياضة، والى تمام الآلة وإحكام الصنعة، والى سهولة المخرج وجهارة المنطق، وتكميل الحروف، واقامة الوزن، وأن حاجة المنطق الى الطلاوة والحلاوة كحاجته الى الجلالة والفخامة، وأن ذلك من أكبر ماتستمال به القلوب، وتنثنى اليه الأعناق، وتزين به المعانى

وعلم واصلٌ أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام، واللسان المتمكن، والقوة المتصرفة، كنحو ما أعطى الله نبيه موسى صلوات الله عليه من التوفيق والتسديد، مع لباس التقوى، وطابع النبوة، ومع المحبة، والاتساع فى المعرفة، ومع هدى النبيين، وسمت المرسلين، وما يغشيهم الله به من القبول والمهابة، ولذلك قال بعض شعراء النبى ﷺ

لو لم تكن فيهِ آيات مبيّنةٌ كانت بَدَاهَتُهُ تنْبِيكَ بالخبَرِ

ومع ماأعطى الله موسى عليه السلام من الحجة البالغة، ومن العلامات الظاهرة، والبرهانات الواضحة، إلى أن حل الله تلك العقدة، ورفع تلك الحبسة، وأسقط تلك المحنة. ومن أجل الحاجة الى حسن البيان، وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة ـ رام أبو حُذَيفَةَ (١) إسقاط الراء من كلامه، وإخراجها من حروف منطقه، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه، ويناضله ويساجله، ويتأنى لستره والراحة من هجنته، حتى انتظم له ما حاول، واتسق له ما أمل، ولولا استفاضة هذا الخبر

---

(١) واصل بن عطاء، ويكنى أبا حذيفة، ويلقب الغزّال لجلوسه فى سوق الغزالين عند رضيع له يعرف بأبى عبدالله الغزال، وما كان لزومه لسوق الغزالين الا ليتصدق على من يغشاه من النساء المتعففات، وكانت به لثغة فى الراء قبيحة، فكان يتجنب الراء فى كلامه وخطبه ومحاوراته، وكان شيخا من شيوخ المعتزلة، وعلماً من أعلامهم، مدحه بشار بن برد كثيراً، ثم هجاه لاختلافهما فى الرأى. وكانت بينه وبين عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة فى مجلس الحسن البصرى مناظرة هامة فى مرتكب الكبيرة، هل هو كافر أو فاسق؟ أخذ ابو عمرو بقول واصل، وهو المنزلة بين المنزلتين
ولد سنة ٦٩٩ م وتوفى سنة ١٣١ هـ ٧٤٨ م

وظهور هذه الحال حتى صار لغرابته مثلا،ولظرافته معلماً ، لما استجزنا الاقرار به والتأكيد له ، ولست أعنى خطبه المحفوظة، ورسائله المخلدة ، لأن ذلك يحتمل الصنعة ، وإنما عنيت محاجة الخصوم ، ومناقلة الاكفاء ، ومفاوضة الاخوان

واللثغة فى الراء تكون بالغين ، والذال ، والياء . والغين أقلها قبحاً ، وأوجدها فى كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم

وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين ، فاذا حمل على نفسه وقوم لسانه أخرج الراء . وقد ذكر ذلك أبو الطروق الضبي فقال :

عليمٌ بابدَالِ الحرُوفِ وقامعٌ لكلّ خطيبٍ يغلبُ الحقَّ باطلا

وكانَ واصلُ بنُ عَطَاءٍ قبيح اللثغة شنيعها ، وكان طويل العنق جداً ، وفيه قال بشار الاعمى :

مَالِى أُشايعُ غزَالاً له عُنقٌ كَنِقْنِقِ الدَّوِّ إن ولّى وان مَثَلا(١)

عُنقَ الزَّرافةِ ما بالى وبالكم أتُكفرون رجالا أكفَروا رَجلا ؟

فلما هجا وَاصِلا وصوب رأى إبليس فى تقديم النار على الطين وقال:

الأرضُ مُظلمةٌ والنارُ مُشْرِقَةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانتِ النارُ

وكان وَاصِلُ بنُ عَطاءٍ غزالا ، وزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فقيل له : وعلىّ أيضاً ؟ فانشد :

وما شَرُّ الثلاثةِ أمَّ عمرٍو بصاحبكِ الذى لا تَصْحَبِينَا

قالَ وَاصِلُ بنُ عَطَاءٍ عند ذلك « أما لهذا الملحد الأعمى المشنف المكتنى بأبى معاذ من يقتله ؟ أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لبعثت اليه من يبيت بطنه على مضجعه ، ويقتله فى جوف منزله ، وفى يوم حفله ، ثم كان لا يتولى ذلك منه إلا عقيلى أو سدوسى »

قال إسمعيل بن محمد الانصارى ، وعبد الكريم بن روح الغفارى ، قال أبو

(١) كنقنق الدو: كعنق الظليم الفلوى

حفص عمر بن أبى عثمان الشَّمَّرى : ألا تريان كيف تجنب الراء فى كلامه هذا وأنتما للذى تريان من سلامتـه وقلة ظهور التكلف فيه ، لا تظنان به التكلف مع امتنـاعه من حرف كثير الدوران فى الـكلام ؟ ألا تريان أنه حين لم يستطع أن يقول بشار ، وابن برد ، والمرعث ، جعل المشنف بدلا من المرعث ، والملحد بدلا من الكافر ؟ وقال : إن الغيلة سجية من سجايا الغالية ، ولم يذكر المنصورية ، ولا المغيرية ، لمكان الراء ؟ وقال : لبعثت اليه من يبعج بطنه، ولم يقل لأرسلت اليـه ؟ وقال: على مضجعه، ولم يقل على فراشه ؟

وكان إذا أراد أن يذكر : البُرقال : القمح ، والحنطة . والحنطة لغـة كوفية ، والقمح لغة شامية . هذا وهو يعلم أن لغة من قال بر أفصح من قال قمح أو حنطة قال المتنخل الهذلى : (١)

لادَرَّ دَرِّىَ ان أطعمتُ نازلَهم ... قِرْفَ الحَتِىِّ وعندى البُرُّ مكنوزُ (٢)

وقالَ أميةُ بنُ أبى الصَّلتِ (٣) فى مديح عبد الله بن جُدْعان (٤)

لَهُ داعٍ بمكةَ مُشْمَعِلٌّ ... وآخَرُ فوْقَ دارَتِهِ ينادى

---

(١) المتنخل: هو مالك بن عويمر الهذلى،ويكنى أبا أنيل، شاعر فحل من شعراء هذيل وفصحائهم . (٢) قرف الحتى : سويق المقل (الدوم)

(٣) أمية بن أبى الصلت الثقفى ، قال عنه الرواة :انه أشعر أهل المدر . كان قد نظر فى كتب الاوائل. وتعبدلرب ابرهيم واسمعيل، وحرم الخمر،وشك فى الاوثان، والتمس الدين،وطمع فى النبوة . ولما بعث النبى حسده ،وكان يحرض قريشاً بعدوقعة بدر ويرثى قتلاها من المشركين . وقبل هذين البيتين يقول :

ومالى لا أحييه وعنـدى ... مواهب يطلعن على النجاد
لأبيض من بنى تيم بن كعب ... وهم كالمشرفيات الحداد
لكل قبيلة هاد ورأس ... وانت الرأس تقدم كل هاد
له بالخيف قـد علمت معد ... وان البيت يرفع بالعماد

مات على غير دين سنة ٢ هـ ٦٢٣ م وقيل سنة ٩ هـ ٦٣٠ م

(٤) عبدالله بن جدعان التيمى، كان من مشاهير الأجواد ، وكان يلقب بحاسي الذهب لانه كان يشرب فى اناء من الذهب . كان فى مبدأ أمره صعلوكا شريراً

الى رُدُحٍ من الشِّيْزَى عليها لُبابُ البُرِّ يُلْبَكُ بالشِّهادِ(١)

وقال بعض القرشيين يذكر قيس بن معد يكرب ومقدمه مكة فى كلمة له :

قَيْسٌ أبو الأشْعَثِ بِطْرِيقُ اليمنْ لا يَسألُ السائلُ عنه : ابنُ منْ

أشْبَعَ آلَ اللهِ من بُرِّ عَدَنْ

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أترون أنى لا أعرف رقيق العيش؟ لباب البر بصغار المعزى . وسمع الحسن رجلا يعيب القالوذق فقال : لباب البر ، بلعاب النحل ، بخالص السمن ؟ ما عاب هذا مسلم . وقالت عائشة رضى الله عنها : ما شبع رسول الله ﷺ من هذه البرة السمراء حتى فارق الدنيا

وأهل الامصار انما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب . ولذلك تجد الاختلاف فى ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر

حدثنى أبو سعيد عبد الكريم بن روح قال : قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر : ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، انما الفصاحة لنا أهل مكة . فقال ابن المناذر : أما ألفاظنا فأحكى الالفاظ للقرآن ، وأكثرها له موافقة ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم : أنتم تسمون القدر برمة ، وتجمعون البرمة على برام ، ونحن نقول : قدر ونجمعها على قدور ، وقال الله عز وجل « وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ » وأنتم تسمون البيت اذا كان فوق البيت علّيةً ، وتجمعون هذا الاسم على علالِى ، ونحن نسميه غرفة ، ونجمعها على غرفات وغرف ، وقال الله تبارك وتعالى « غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ » وقال : « وَهُمْ فِى الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ » وأنتم تسمون الطلع الكافور ، والاغريض ، ونحن نسميه الطلع ، وقال الله عز وجل « ونخل

فاتكا فنفاه أهله لكثرة جناياته ، وكثرة مغارمه التى يجرها عليهم ، فخرج هائما فى شعاب مكة فعثر بقبر قديم فيه من الذهب والاحجار الكريمة شيء كثير ، فنقله الى منزله وصار ينفق منه فى صالح الاعمال ، حتى ضرب به المثل فى الكرم فقيل « أقرى من حاسى الذهب »

(١) الردح : الجفان الواسعة : الشيزى : خشب أسود تصنع منه القصاع . عليها ، فى رواية : ملاء . يلبك يعجن . الشهاد : العسل

طَلْعُهَا هَضِيمٌ » فعد عشر كلمات لم أحفظ أنا منها الا هذا

ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس فى قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ؟ ولذلك يسمون البطيخ الخربز ، ويسمون السميط الروذق ويسمون المصوص المزوز ، وتسمون الشطرنج الاشترنج، الى غير ذلك من الاسماء؟

وكذا أهل الكوفة فانهم يسمون المسحاة بال ، وبال بالفارسية . ولو علق ذلك لغة أهل البصرة ـ اذ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب ـ كان ذلك أشبه ، اذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد النبط وأقصى بلاد العرب . ويسمى أهل الكوفة الحوك (١) باذروج ، والباذروج بالفارسية ، والحوك كلمة عربية

وأهل البصرة اذا التقت أربع طرق يسمونها مربعة ، ويسميها أهل الكوفة الجهارسو ، والجهارسو ، بالفارسية . ويسمون السوق أو السويقة وازار، والوازار بالفارسية ، ويسمون القثاء خياراً ، والخيار فارسية. ويسمون المجذوم ويذى بالفارسية

وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر فى القرآن الجوع الا فى موضع العقاب ، أو فى موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر؟ والناس لا يذكرون السغب ، ويذكرون الجوع فى حال القدرة والسلامة . وكذلك ذكر المطر لانك لا تجد القرآن يلفظ به الا فى موضع الانتقام ، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث . ولفظ القرآن الذى عليه نزل أنه اذا ذكر الابصار لم يقل الاسماع، واذا ذكر سبع سموات لم يقل الارضين ، ألا تراه لا يجمع الارض أرضين ولا السمع أسماعا ؟ والجارى على أفواه العامة غير ذلك ، لا يتفقدون من الالفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال . وقد زعم بعض القراء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح فى القرآن الا في موضع التزويج

والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما ، وتستعمل ما هو أقل فى أصل اللغة استعمالا وتدع ما هو أظهر وأكثر . ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجود منه . وكذلك المثل السائر . وقد يبلغ الفارس والجواد الغاية فى الشهرة ، ولا يرزق ذلك الذكر والتنويه بعض من هو أولى بذلك منه . ألا ترى أن العامة ابن القِرِّيَّةِ (٢) أشهر عندها فى الخطابة من سحبان وائل، وعبيد الله بن الحر

(٢) الحوك : البقلة الحمقاء (الرجلة)

(١) ابن القرية : هو أيوب بن زيد ، والقرية امه ، كان خطيباً لسنا وبيناً مفوهاً،

أذكر عندهم فى الفروسية من زهير بن ذؤيب ؟ وكذلك مذهبهم فى عنترة بن شداد وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وهم يضربون المثل بعمرو بن معديكرب ولا يعرفون بسطام بن قيس

وفى القرآن معان لا تكاد تفترق مثل :الصلاة والزكاة ، والجوع والخوف ، والجنة والنار ، والرغبة والرهبة ، والمهاجرين والانصار ، والجن والانس

قال قطرب: أنشدنى ضرار بن عمرو قول الشاعر فى واصل :

ويَجعلُ البُرَّ قمحاً فى تصرُّفهِ وجانبَ الراء حتَّى احتالَ للشَّعرِ

ولم يُطقْ مطراً والقول يُعجلهُ فعادَ بالغيثِ اشفاقاً من المطرِ

قال : وسألت عثمان البرى : كيف كان واصل يصنع فى العدد ؟ وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين ؟ وكيف كان يصنع بالقمر والبدر ويوم الاربعاء وشهر رمضان ؟ وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الاخر وجمادى الاخرة ورجب ؟ فقال : مالى فيه قول الا ما قال صفوان :

مُلقَّنٌ مُلْهَمٌ فيما يُحاولهُ جَمٌ خواطِرُه جوَّابُ آفاقِ

وأنشدنى دينَمٌ قال : أنشدنى أبو محمد اليزيدى :

وخَلَّةُ اللفظِ فى اليا آتِ إن فُقِدَتْ كَخَلَّةِ اللفظِ فى اللاَّماتِ والألفِ

وخَصلَةُ الرَّاءِ فيهَا غيرُ خافيةٍ فاعرِفْ مواقعَهافى القَولِ والصُّحفِ

يزعم أن هذه الحروف أكثر ترددا من غيرها، والحاجة اليها أشد . واعتبرذلك بان تأخذ عدة رسائل، وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم ، فانك متى حصلت جميع حروفها،وعددت كل شكل على حدة ، علمت أن هذه الحروف الحاجة اليها أشد

﴿ ذكر ماجاء في تلقيب واصل بالغزَّال ومن نفي ذلك عنه ﴾

قال أبو عثمان . فمن ذلك ما أخبرنا به الاصمعى قال: أنشدنى المعتمر بن سليمان لاسحق بن سويدالعدوى .

قتله الحجاج بتهمة مناصرته لابن الاشعث سنة ٨٤ هـ ٧٠٣ م

بَرِئْتُ من الخوارجِ لستُ منهم ... من الغزَّالِ منهم وابنِ بابِ
ومنْ قومٍ إذا ذَكَرُوا عليًّا ... يَرُدُّونَ السلامَ على السَّحابِ
ولكنِّى أحبُّ بكل قلبى ... وأعلم أنَّ ذاك من الصوابِ
رسول اللهِ والصِّدِّيقَ حبًّا ... بهِ أرجو غداً حُسنَ المآبِ

وفى ذلك قال بشار:

مالى أُشايعُ غزّالاً لهُ عُنُقٌ ... كَنِقْنِقِ الدَّوِّ إنْ ولّى وإن مثلا

ومن ذلك قول معدان السميطى .

يَوْمَ تُشفى النفوس من يعصر اللؤ ... م ويُثنى بسامة الرحّال
وعدىٍّ وتَيمِها ونقيفٍ ... وأُمىٍّ وتَغْلِبٍ وهلال
لاحرور ولا النوائب تنجو ... لا ولا صحب واصلِ الغزَّالِ

وكان بشار كثير المديح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بالرجعة ويكفر جميع الامة ، وكان قد قال فى تفضيله على خالد بن صفوان (١) وشبيب بن شيبة والفضل

(١) خالد بن صفوان بن عبدالله بن الاهتم ، كان خطيباً مبيناً ، ولسنا بليغاً ، وكان بخيلا مطلاقاً . وكان يقول : أربعة لا يطمع فيهن عندى : القرض، والفرض والهرس ، وأن أسعى مع أحد فى حاجة . قيل له : وما يصنع بك بعد هذه؟ فقال: الماء البارد ، وحديث لا ينادى وليده . وقيل له : من أحب اخوانك اليك ؟ قال : من سد خللى ، وغفر زللى ، وقبل عللى . وكان يقول : مامن ليلة أحب الى من ليلة قد طلقت فيها نسائى فأرجع والستور قد قلعت ، ومتاع البيت قد نقل ، فبعثت الى بنتى بسليلة فيها طعامى ، وتبعث الى الاخرى بفراش أنام عليه . وقال خالد لبعض الولاة : قدمت فأعطيت كلا بقسط من وجهك وكرامتك ، حتى كانك لست من أحد ، أو حتى كأنك من كل أحد

وسأل عبدالملك الحجاج عن عيبه فتلكأ عليه ، فأبى الا ان يخبره ، فقال : أنا حديد حسود حقود لجوج ذو قسوة . فبلغ هذا الكلام خالد بن صفوان فقال : لقد انتحل الشر بحذافيره ، والمروق من جميع الخير بزوبره ، ولقد تأنق فى ذم نفسه، وتجود فى الدلالة على لؤم طبعه ، وفى اقامة البرهان على افراط كفره، وشدة المشاكلة

ابن عيسى يوم خطبوا عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والى العراق :

أبَا حُذَيفةَ قد أُوتيتَ مَعجبـةً ... من خُطْبةٍ بدَهَتْ من غيرِ تقديرِ

وإنَّ قوْلاً يروقُ الخالِدَيْنِ معـا ... لَمُسكِتٌ مُخرِسٌ عن كل تَحْبيرِ

لانه كان مع ارتجاله الخطبة التى نزع منها الراء كانت مع ذلك أطول من خطبهم. وقال بشار :

تكلَّفوا القوْلَ والأقوامُ قد حفَلوا ... وحَبَّروا خُطباً ناهيكَ من خُطبِ

فقـامَ مُرْتَجِلاً تغلِي بَدَاهتـهُ ... كمَرْجَلِ القَيْنِ لمـا حُفَّ باللَّهَبِ

وجانَبَ الراءَ لم يشعُرْ بهِ أحـدٌ ... قبل التصفُّحِ والإغْراقِ في الطلبِ

وقال فى كلمة له يعنى تلك الخطبة :

فهـذا بديهٌ لا كتَحْبير قائلٍ ... إذا ما أرادَ القوْلَ زوَّرَهُ شَهرا

فلما انقلب عليهم بشار، ومقاتله لهم بادية، هجوه ونقوه، فما زال غائبا حتى مات عَمْرُو بْنُ عُبيد .(١) وقال صَفْوَانُ الانصارى:

منى كان غزَّالٌ لهُ يابنَ حوْشَبٍ ... غلامٌ كعمرٍو، أو كعيسى بنِ حاضِرِ

أما كان عثمانُ الطويلُ بنُ خالدٍ ... أو القَرْمُ حفْص نُهْيةً للمَخاطِرِ

لهخَلْفَ شِعْبِ الصينِ في كل ثَغْرَةٍ ... الى سُوسِهَا الأقصى وخَلْفَ البَرَابِرِ

شيطانه الذى أغواه. ورأى خالد السفاح ومات فى عهده سنة ١٣٣ هـ ٧٥٠ م

وشبيب بن شيبة الخطيب اللسن المعروف من رهط خالد ومن بابه

(١) عمرو بن عبيد : هو عمرو بن عبيد بن باب شيخ المعتزلة، وهو أول من ترك مجلس الحسن البصرى للاختلاف فى الرأى، فقال الحسن : اعتزلنا عمرو. فسمى كل من أخذ برأيه المعتزلة . وكان جده باب من سبى كابل سباه عبد الرحمن بن سمرة وكان عمرو متزهداً متقشفا ، وكانت بينه و بين واصل بن عطاء محاورة في شأن مرتكب الكبيرة .

ولد سنة ٨٠ هـ ٦٩٩ م وتوفى سنة ١٤٤ هـ ٧٦١ م

رِجالٌ دُعاةٌ لايفُلُّ عزيمَهُمْ نهكُم جبّار ولا كيدُ ماكِرِ
إذا قالَ :مُرُّوا فى الشتاءِ ،تطاوعُوا وإن كان صيفاً لم يَخَفْ شهرَ ناجِرِ
بهِجْرَةِ أوْطانٍ وبذلٍ وكُلْفَةٍ وشِدَّةِ أخطارٍ وكَدِّ المسافرِ
فأنجحَ مَسعاهُمْ وأنقبَ زَندَهُم وأورَى بِفَلج للمخاصم قاهِرِ
وأوتادُ أرضِ اللهِ في كلِّ بلدةٍ وموضعُ فُتياها وعلم التّشاجُرِ
وما كان سَحْبانٌ يَشُقُّ غبارَهم ولا الشُّدقُ من حيَّيْ هلالِ بن عامرِ
ولا الناطِقُ النَّحّارُ والشيخ دَغْفَلٌ إذا وصلوا أيمانَهم بالمَخاصرِ
ولا القالَةُ الاعْلَوْنَ رهط مكحَّلٍ إذا نَطقوا في الصُّلحِ بين العشائرِ
بجمعٍ من الجَفَّينِ راضٍ وساخطٍ وقد زَحفت برّاؤهم للمحاضر

الجفان : بكر وتميم . والروقان : بكر وتغلب . والفاران : الازد وتميم . قيل ذلك لكل عمارة من الناس ، وهى جمع : والعمائر أيضا : غار . والجف أيضا : قشر الطلعة

تَلَقَّبَ بالغزّالِ واحدُ عصرِهِ فَمن لليتامى والقَبيلِ المكاثِرِ
ومن لَحرُبِيّ وآخر رافضٍ وآخر مُرْجيّ وآخر حائر ؟
وأمرٍ بمعروف وانكارِ مُنكرَ وتحصينِ دينِ اللهِ من كل كافر
يصيبون فصلَ القولِ فى كل منطق كما طبقت في العظم مُدْيةُ جازِرِ
تراهُم كأنَّ الطيرَ فوق رؤسهم على عمّةٍ معروفةٍ فى المعاشر
وسيماهُم معروفةٌ في وجوهِهم ، وفي المشى حُجّاجاً ،وفوقَ الاباعر
وفى رَكْعةٍ تأتي على الليل كلِه وظاهرِ قولٍ فى مثالِ الضمائرِ
وفى قَصِّ هُدّابٍ وإحفاءِ شاربٍ وكَوْر على شيبٍ يضيء لناظرِ

وعَنْقَةٍ مصلومةٍ ولنعلهِ قِبالانِ في رُدنٍ رحيبِ الخواطرِ

فتلك علاماتٌ تحيط بوَصفهم وليس جهول القوم في جرم خابر

وفى واصل يقول صفوان :

فما مَسَّ ديناراً ولا صَرَّ درْهَماً ولا عَرَف الثوبَ الذى هو قاطعهُ

وفيه يقول اسباط بن واصل الشيبانى :

وأشهدُ أنَّ اللهَ سماكَ واصلاً وأنكَ ميمونُ النقيبةِ والشّيم

ولما قام بشار يعذر ابليس فى أن النار خير من الارض، وذكر واصلا بما ذكره قال صفوان :

زَعمتَ بأنَّ النارَ أكرَمُ عُنصراً وفى الارضِ تحيا بالحجارةِ والزَّندِ

ويُخلَقُ في أرحامها وأرومها أعاجيبُ لاتحصى بخطٍّ ولاعَقدِ (١)

وفي القعرِ من لُجِّ البحارِ منافعٌ من اللؤلؤِ المكنونِ والعنبرِ الوردِ

كذلك سرُّ الارضِ في البحرِ كله وفي الغَيْضةِ الغنّاء والجبلِ الصّلدِ

ولا بدَّ من أرضٍ لكلِّ مطهَّرٍ وكل سَبُوحٍ في الغمائرِ من جدِّ

كذلك وما يَنساحُ في الارضِ ماشياً على بطنِهِ مشيَ المُجانبِ للقصدِ

ويسرِى على جِلْدٍ يقيمُ حزوزهُ تَعَمُّجَ ماءِ السيلِ في صَبَبٍ حَرْدِ (٢)

وفي قُللِ الأجبالِ خلفَ مُقطمٍ زَبَرْجَدُ أملاكِ الورَى ساعةَ الحشْدِ

وفى الحرَّةِ الرَّجْلاءِ تلقى معادِنَا لهنَّ مَغاراتٌ تبجسُ بالنقدِ (٣)

من الذّهَبِ الابْرِيزِ والفِضةِ التى تَرُوقُ وتُصْبِي ذا القناعةِ والزُّهدِ

---

(١) أرومها : المقصود بها أصول الغابات (٢) تعمج وتمعج بمعنى تلوى . فى صبب حرد : فى المسايل المنحدرة (٣) الحرة الرجلاء : الارض الخشنة ذات الحجارة السود البركانية . تبجس بالنقد : تتبجس بالذهب والفضة، وقد أبان ذلك البيت

وكل فِلِزٍّ من نُحاس وآنك ... ومن زِئْبقٍ حيٍّ ونوشادرٍ يسدى(١)
وفيها زرانيخٌ ومكرٌ ومرتكٌ ... ومن مرقشيشا غيرِ كابٍ ولامكدى(٢)
وفيها ضُروبُ القارِ والشبِّ والنِّهى ... وأصنافُ كبريتٍ مطاولةِ الوقْدِ(٣)
ترى العرقَ منها فى المقاطع لائحاً ... كما قدَّت الحسناء حاشية البُرْدِ(٤)
ومن إثمدٍ جَوْنٍ وكلسٍ وفضةٍ ... ومن تُوتيا في معادنهِ هندى(٥)
وفي كلِّ أغوارِ البلادِ معادنٌ ... وفي ظاهرِ البيداءِ من مُسْتَوى نجْدِ
وكلُّ يواقيتِ الانامِ وحَلْيِها ... من الارضِ والاحجارُ فاخرةُ المجدِ
وفيها مقامُ الخلِّ والرُّكنُ والصَّفَا ... ومُسْتَلَمُ الحجاجِ من جنَّةِ الخلْدِ
وفى صَخرةِ الخضْرِ التي عند حُوتِها ... وفى الحجرِ المُهْمَى لموسى على عمْدِ
وفي الصَّخرةِ الصَّمَّاءِ تَصْدَعُ آيةٌ ... لامِّ فصيلٍ ذى رُغاءٍ وذي وَجْدِ(٦)
مَفاخِرُ للطينِ الذي كان أصْلَنا ... ونحنُ بنوهُ غيرَ شكٍّ ولا جحْدِ
فذلك تدبيرٌ ونفعٌ وحكمةٌ ... وأوضحُ بُرْهانٍ على الواحدِ الفَرْدِ
أتجعلُ عَمراً والنِّظَامىَّ واصلاً ... كأتْباعِ دَيصانٍ وهم قمش المدِّ(٧)
وتَفْخَرُ بالميلادِ والعِلْجِ عاصمٍ ... وتضحكُ من جيدِ الرئيس أبي جعْدِ
وتَحكى لدَى الأقوامِ شُنْعَةَ رأيهِ ... لتصرِفَ أهواءَ النفوسِ الى الرَّدِّ

التالى . وفى نسخة : تبخسن ولا معنى لها ههنا (١) فلز : قطع النحاس والبرنز وغيرها من المعادن (٢) المكر : المغرة الحمراء ، والمرتك ! الحجر المحرق (٣) النهى : الزجاج (٤) العرق : أى عروق المعادن فى الأرض (٥) اثمد جون : كحل أسود . كلس : جير

(٦) يشير بهذا البيت الى آية صالح النبى والى انشقاق الصخرة له عن ناقة ومعها فصيلها

(٧) عمرو : يريد عمرو بن عبيد رأس المعتزلة . وواصل : هو واصل بن عطاء المعتزلى وقد مر الكلام عليهما . ديصان : هو رأس فرقة من الفرق المجوسية

وسميته الغزال في الشعر مطنباً ومولاك عند الظلم قصته مردى

يقول : ان مولاك ملاح ، لان الملاحين اذا تظلموا رفعوا المرادى

فيا ابن حليف الطين واللؤم والعمي ... وأبعد خلق الله من طرق الرشد

أتهجو أبا بكر وتخلع بعده ... عليًا وتعزو كل ذاك الى بُرد؟

كأنك غضبان على الدين كله ... وطالب ذحل لا يبيت على حقد(١)

رجعت الى الامصار من بعد واصل ... وكنت شريداً في التهائم والنجد

أتجعل ليلى الناعطية نحلة ... وكل عريق في التناسخ والردّ(٢)

عليك بدعد والصدوف وفرتنى ... وحاضنتى كسف وزاملتى هند(٣)

ثوائب أقماراً وأنت مشوهة ... وأقرب خلق الله من شبه القرد

ولذلك قال فيه حمّاد عجرد (٤) بعد ذلك :

ويا أقبح من قرد ... اذا ما عمى القرد

ويقال انه لم يجزع من شيء قط جزعه من هذا البيت . وذكره الشاعر وذكر أخويه لامه فقال :

لقد ولدت أمّ الاله كيمه أعرجاً ... وآخر مقطوع القفا ناقص العضد

وكانوا ثلاثة مختلفى الآباء والام واحدة ، وكلهم ولد زمنا . ولذلك قال بعض من يهجوه :

يقولون بأصلين للوجود: نور وظلمة ، وان النور يفعل الخير قصداً واختباراً ، والظلمة تفعل الشر طبعاً واضطراراً (١) الذحل : الثأر

(٢) ليلى الناعطية: امرأة عاقلة مدبرة لها حكايات فى البخل طريفة طالما تندربها الجاحظ . التناسخ : انتقال الروح من جسم الى جسم ،وهو من مذاهب براهمة الهند(٣)الصدوف وفرتنى واخواتهما اسماء نساء قيان من أهل الملاهى والاهواء

(٤) حماد عجرد . شاعر معروف من أهل العبث والمجون له، فى بشار أهاج كثيرة

اذا دَعاهُ الخال أقْعى ونكَصْ وهُجْنَةُ الإقْرافِ فيه بالخَصَص (١)

وقال الشاعر :

لاَ تَشْهَدَنَّ بخارجيِ مطْرِفٍ حتى ترى من نجـلهِ أفراسا

وقال صفوان الانصارى فى بشار وأخويه، وكان يخاطب أمهم :

ولدت خُلْداً وَذِبخاً في تَشتّمه وبعدَهُ خُزَزاً يشتدُّ في العضدِ

والخلد: ضرب من الجرذان يولد أعمى. والذبخ: ذكر الضباع، وهو أعرج. والخزز: ذكر الارانب، وهو قصير اليدين لا يلحقه الكلب فى الصيد

ثلاثةٌ من ثلاثٍ فُرقوا فِرَقاً فاعرفْ بذلك عرْقَ الخال من ولد

وقال بعد ذلك سليمان الاعمى، أخو مسلم بن الوليد الانصارى الشاعر، فى اعتذار بشار لابليس، وهو يخبر عن كرم خصال الارض :

لاَ بدَّ للأرض ان طابتْ وان خبُثَتْ من أن تحيلَ اليها كلَّ مغروس

وتُرْبةُ الأرْض انْ جيدَتْ وانْ قُحطَتْ فَحَمْلها أبداً في إثْر منفوسِ

وبطْنها بِفلزِّ الارضِ ذو خبرٍ بكلِّ جَوْهَرَةٍ في الارْضِ مرْموسِ

الفلز: جوهر الارض من الذهب والفضة والنحاس والآنك وغير ذلك

وكلِّ آنيـةٍ عمَّتْ مَرافقها وكلِّ منْتقدٍ فيها ومَلبوس

وكلُّ ما عونها كالملحِ مِرْفَقَةٌ وكلها مضحكٌ من قولِ ابليسِ

وقال بعض خلفاء بغداد :

عجبت من ابليس فى كبرِه وخبثِ ما أبداه مِنْ نيتـهْ

تاهَ على ادمَ في سجدةٍ وصارَ قـوَّاداً لذريتـه

---

(١) أقعى ونكص : استخذى وخجل لانحطاط أصله من جهة أمه . هجنة الاقراف: أى انحطاطه من جهة أبيه أيضاً خاصة به وظاهرة فيه

وذكره بهذا المعنى سليمان أخو مسلم الانصارى فقال :

يأبى السُّجود له منْ فرط نَخْوَتِهِ ... وقد تَحَوَّلَ فى مِسلاخ قوادِ (١)

وقال صفوان، في شأن واصل وبشار ، وفى شأن النار والطين، فى كلمة له :

وفى جَوْفها لِلعَبدِ أستَرُ منْزِلٍ ... وفى ظهرِها يقضى فرائضه العَبدُ

تَمجُّ لُفَاظَ المِلْحِ مَجًّا وَتَصْطَفي ... سَبَائكَ لا تصْدَى وَانْ قدُمَ العَهد

وليسَ بمحصٍ كنْهَ مَا فى بطونها ... حسابٌ ولا خطٌّ وَانْ بلغ الْجهد

فسائِلْ بعبدِ الله فى يوم حفْلِه ... وذاكَ مقامٌ لا يشاهِدهُ وغْـد (٢)

أقامَ شبيباً وابنَ صفوَانَ قبله ... بقوْلِ خطيبٍ لا يجانبه القصد (٣)

وقامَ ابنُ عيسى ثم قفّاه وَاصلٌ ... فابْدَع قولاً ماله فى الورَى نِدّ

فما نقصتْه الراء اذ كانَ قادِراً ... على ترْكها واللّفْظ مطَّردٌ سَرْد

ففضّلَ عبدُ الله خطبة وَاصِلٍ ... وضوعفَ في قَسم الصّلات له الشُّكْد (٤)

فأقنع كلّ القومِ شكر حِبائِهم ... وقلّلَ ذاك الضّعْفَ فى عَينه الزُّهْد

قد كتبنا احتجاج من زعم أن واصل بن عطاء كان غزالا ، واحتجاج من دفع ذلك عنه . و يزعم هؤلاء أن قول الناس واصل الغزال ، كما يقال خالد الحذاء، وكما يقولون هشام الدستوانى . وانما قيل ذلك لان الاباضية (٥) كانت تبعث اليه من

---

(١) مسلاخ : جلد ، والمراد به تحول فى زى قواد أو ديوث (٢) عبدالله : هو ابن عمر بن عبد العزيز (٣) شبيب : هو شبيب بن شيبة أحد الخطباء البلغاء . وهو من رهط خالد بن صفوان ومن بابه . ابن صفوان : هو خالد المار ذكره . ابن عيسي : هو الفضل بن عيسي كان خطيبا لسنا بليغا . واصل : هو واصل بن عطاء ، مر ذكره . (٤) الشكد : الشكر (٥) الاباضية : هم فرقة من فرق الخوارج اتباع عبدالله بن أباض الذى خرج فى أيام مروان بن محمد ، ولهم فى تكفير بعض المسلمين واستباحة حرماتهم آراء غريبة

صدقاتها بثياب دستوانية، فكان يكسوها الاعراب الذين يكونون بالحباب، فاجابوه الى قول الاباضية، وكانوا قبل ذلك لا يزوجون الهجناء، فأجابوه الى التسوية وزوجوا هجينا . فقال الهجين فى ذلك :

انّا وَجدنا دَستوانِينا الصَّائمينَ المتبعدينا
أفضل منكم حسباً ودينا أخزَى الآله المتكبّرينا
أفيكم من يُنكح الهجينا ؟

وإنما قيل ذلك لواصل لكثرة جلوسه في سوق الغزالين الى أبى عبد الله مولى قطن الهلالى ، وكذلك كانت حال خالد الحذاء الفقيه . وكما قالوا أبو مسعود البدرى لانه كان نازلا على ذلك الماء. وكما قالوا أبو مالك الغُدى لانه كان يبيع الخُمُرَ (١) فى سُدة المسجد

وهذا الباب مستقصى فى كتاب الأسماء والكنى . وقد ذكرنا جملة منه فى أنباء السرارى والمهيرات (٢)

قال أبو عثمان :

﴿ ذكر الحروف التى تدخلها اللثغة وما يحضرني منها ﴾

وهى أربعة أحرف: القاف ، والسين، واللام والراء. فأما التى هى على الشين المعجمة فذلك شيء لا يصوره الخط ، لانه ليس من الحروف المعروفة ، وانما هو مخرج من المخارج، والمخارج لا تحصى ولا يوقف عليها. وكذلك القول فى حروف كثيرة من حروف لغات العجم. وليس ذلك فى شيء أكثر منها فى لغة الخوز. وفى سواحل البحر من أسياف فارس ناس كثير كلامهم شبيه بالصفير . فمن يستطع ان يصور كثيراً من حروف الزمزمة [وهى] الحروف التى تظهر من فم المجوسى اذا ترك الافصاح عن معانيه، واخذ فى باب الكناية وهو على الطعام ؟

فاللثغة التى تعرض للسين تكون ثاء ، كقوله لابى يكسوم : أبى يكثوم ، وكما يقولون: بُثرة إذا أرادوا بسرة ، وباثم الله اذا أرادوا بسم الله

والثانية اللثغة التى تعرض للقاف ، فان صاحبها يجعل القاف طاء ، فاذا أراد أن

(١) الخمر جمع خمار، وهو ما تغطى به المرأة رأسها (٢) المهيرات . الجوارى الحرائر

يقول : قلت له ، قال : طلت له . وأراد أن يقول : قال لى ، قال : طال لى

وأما اللثغة التى تقع فى اللام فان من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله: اعتللت ، اعتييت . وبدل جمل ، جمى . وآخرون يجعلون اللام كافا كالذى عرض لعمر أخى هلال، فانه كان اذا أراد ان يقول: ما العلة فى هذا ؟ قال : ما اكعكة فى هذا ؟

فاما اللثغة التى تقع فى الراء فان عددها يضعف على عدد لثغة اللام ، لان الذى يعرض لها أربعة أحرف : فمنهم من اذا أراد أن يقول: عمرو ، قال:عمى ، فيجعل الراء ياء . ومنهم من اذا اراد أن يقول : عمرو ، قال:عمغ، فيجعل الراء غينا.ومنهم من اذا أراد أن يقول:عمرو ، قال:عمذ .فيجعل الراء ذالا . واذا أنشد قول الشاعر :

واستَبَدَّتْ مَرَّةً واحِدَةً إنّما العاجِزُ مَنْ لاَ يَسْتَبِدْ

قال : واستبدت مذة واحدة انما العاجز من لا يستبد

فمن هؤلاء على بن جنيد بن فريدى

ومنهم من يجعل الراء ظاء معجمة ، فيقول اذا أنشد هذا البيت :

واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد

قال : واستبدت مظة واحدة انما العاجز من لا يستبد

ومنهم من يجعل الراء غينا معجمة ،فاذا أراد أن ينشد هذا البيت :

واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد

قال : واستبدت مغة واحدة انما العاجز من لا يستبد

كما أن الذى لثغته بالياء اذا أراد أن يقول:واستبدت مرة واحدة،قال:واستبدت مية واحدة

وأما اللثغة الخامسة التى كانت تعرض لواصل بن عطاء،وسليمان بن يزيد العدوى الشاعر ، فليس الى تصويرها سبيل . وكذلك اللثغة التى تعرض فى الشين كنحو ما كان لمحمد بن الحجاج كاتب داود بن محمد كاتب أم جعفر، فان تلك أيضا ليس لها صورة فى الخط ترى بالعين،وانما يصورها اللسان وتتادى الى السمع . وربما اجتمعت فى الواحد لثغتان فى حرفين ، كنحو لثغة شوشى صاحب عبدالله بن خالد الاموى ، فانه كان يجعل اللام ياء والراء ياء ، قال مرة : مو ياى وبى ايَّىْ ، يريد

مولاى ولى الرى

واللثغة فى الراء اذا كانت بالياء فهى أحقرهن وأوضعهن اذى المروءة ، ثم التى على الظاء ، ثم التى على الذال . فأما التى على الغين فهى أيسرهن . ويقال ان صاحبها .لو جهد نفسه جهده، وأخذ لسانه، وتكلف مخرج الراء على حقها والافصاح بها، لم يكن بعيدا من أن تجيبه الطبيعة، ويؤثر فيها ذلك التعهد أثراً حسنا. وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين ، وكان إذا شاء أن يقول : عمر ولعمرى، وما أشبه ذلك على الصحة قاله ، ولكنه كان يستثقل التكلف والتهيؤ لذلك ، فقلت له:اذا لم يكن المانع إلا هذا العذر فلست أشك أنك لو احتملت هذا التكلف والتتبع شهرا واحدا ان لسانك كان يستقيم

أما من يعتريه اللثغ فى الضاد ربما اعتراه أيضا فى الصاد والراء، حتى اذا أراد أن يقول : مضر، قال : مضى . فهذا وأشباهه لاحقون بشوشى

وزعم ناس من العوام أن موسى صلوات الله وسلامه عليه كان ألثغ ، ولم يقفوا من الحروف التى كانت تعرض له فى شى بعينه ، فمنهم من جعل ذلك خلقة ، ومنهم من زعم أنه انما اعتراه حين قالت آسية بنت مراحم امرأة فرعون لفرعون : لا تقتل طفلا لا يفرق الجمر من التمر . فلما دعا له فرعون بهما جميعا تناول جمرة فأهوى بها الى فيه، فاعتراه من ذلك ما اعتراه

وأما اللثغة فى الراء فتكون فى الياء ، والذال ، والغين ، وهى أقلها قبحا وأوجدها فى ذى الشرف وكبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم ، وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين فاذا حمل على نفسه وقوم لسانه أخرج الراء على الصحة فتأتى له ذلك وكان يدع ذلك استثقالا ، أنا سمعت ذلك منه.قال: وكان الواقدى يروى عن بعض رجاله أن لسان موسى عليه السلام كانت عليه شامة فيها شعرات . وليس يدل القرآن على شىء مما قالوا، لانه ليس فى قوله « واحلل عقدة من لسانى » دليل على شىء دون شىء

قال الاصمعى : اذا تتعتع اللسان فى التاء فهو تمتام ، واذا تتعتع فى الفاء فهو فأفاء وأنشد لرؤبة بن العجاج .

يا حمد ذاك المنطق التمتام كأنَّ وَسْوَاسَكَ فِي اللمَامِ

حديثُ شَيطانِ بنى هَمَّام

و بعضهم ينشد : يا حمد ذات المنطق النمنام . وليس ذلك بشيء ، وانما ذلك كما قاله ابو الزحف :

لستَ بفأفاءٍ ولاَ تَمْتَامِ وَلاَ كَثِيرِ الْهُجْرِ فِي الْمَنَامِ

وأنشد أيضاً للخولانى فى كلمة له :

إنَّ السِيَاطَ تَرَكْنَ لاسْتِكَ مَنْطِقاً كَمَقَالَةِ التَّمْتَامِ لَيْسَ بِمُعْرِبِ

فجعل الخولانى التمتام غير معرب عن معناه ، ولا مفصح بحاجته

وقال أبو عبيدة : اذا أدخل الرجل بعض كلامه فى بعض فهو ألف ، وقيل: بلسانه لفف ، وأنشدنى لابى الزحف الراجز :

كأن فيه لَفَفاً إذا نَطَقْ مِن طُول تَخْبِيسٍ وهَمٍّ وأَرَقْ

كانه لما جلس وحده ولم يكن له من يكلمه وطال عليه ذلك أصابه لفف فى لسانه . وكان يزيد بن جابر قاضى الازارقة بعد المقعطل يقال له الصموت ، لانه لما طال صمته ثقل عليه الكلام فكان لسانه يلتوى ولا يكاد يبين . وأخبرنى محمد بن الجهم أن مثل هذا اعتراه أيام محاربة الزط من طول التفكر ولزوم الصمت . قال: وأنشدنى الاصمعى :

حديثُ بنى زُطّ إذا مالقيتهم كنَزْوِ الدَّبَى فى العَرفَجِ المتقارِبِ(١)

قال ذلك حين كان فى كلامهم عجلة . وقال سلمة بن عياش :

كأن بنى رَالانَ إذ جاء جمعُهم فَرَارِيجُ يُلْقَى بينهنَّ سَوِيقُ

فقال ذلك لرقة أصواتهم وعجلة كلامهم . وقال اللهبى فى اللجلاج :

ليسَ خطيبُ القوم باللَّجْلاَجِ ولا الذى يَزْحَلُ كالهِلْبَاجِ(٢)

وَرُبَّ بَيْدَاءَ وَلِيلٍ دَاجِ هَتَكْتُه بالنَّص وَالإِدْلاَجِ(٣)

وقال محمد بن سلام الجمحى : كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اذا رأى الرجل يتلجلج فى كلامه قال: خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد . ويقال

(١) النزو: الوثب . الدبى : صغار الجراد . العرفج : شجر سهلى (٢) يزحل : يزول . الهلباج : الاحمق القدم الجامع لصنوف الشر (٣) النص والادلاج : السير

فى لسانه حبسة ، اذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حد الفأفاء والتمتام. ويقال فى لسانه لُكنه ، اذا أدخل بعض حروف العجم فى حروف العرب وجذبت لسانه العادة الاولى الى المخرج الاول . فاذا قالوا فى لسانه حُكلة ، فانما يذهبون الى نقصان آلة المنطق وعجز أداة اللفظ حتى لا تعرف معانيه الا بالاستدلال . وقال رؤبة بن العجاج .

لو أنى أُوتيتُ عِلمَ الحُكْلِ عِلمَ سليمانَ كلامَ النَّمْلِ (١)

وقال محمد بن ذؤيب فى مديح عبد الملك بن صالح :

ويفهم قَول الحُكْلِ لو أن ذَرَّةً تُساوِدُ أُخرى لم يَفُتْهُ سِوادُها

وقال التيمى فى هجائه لبنى تغلب :

ولكنّ حُكْلاً لا تُبِينُ ودينُها عِبادةُ أعلاجٍ عليها البَرَانِسُ

قال سحيم بن حفص فى الخطيب الذى تعرض له النحنحة والسعلة ، وذلك اذا انتفخ سحره ، وكبا زنده ، ونبا حده ، فقال:

نَعُوذُ باللهِ من الإهْمالِ ومن كلالِ الغَرْبِ في المَقال

ومن خَطيبٍ دائمِ السُّعالِ

وأنشدنى الاعرابى :

إنّ زياداً ليسَ بالبَكِيِّ ولا بِهَيَّابٍ كثيرِ العِيِّ

وأنشدنى بعض أصحابنا :

نادَيْتُ هَيذَانَ والأبوابُ مُغْلَقَةٌ ومثْلَ هَيذانَ سنّىً فتحةَ البابِ

كالهِنْدُوَانِيِّ لَمْ يَنْلُلْ مَضَارِبُهُ وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غير وجّابِ

وقال الآخر :

اذَا اللهُ سنّى عَقْدَ شَيءٍ تَيَسَّرَا

وقال بشر بن معمر فى مثل ذلك :

---

(١) الحكل . الذور الشديد فى أول الليل

ومن الكبائر مِقْوَلٌ مُتَتَعْتِعٌ جَمٌّ التَّنَحْنُحِ متعبٌ ميهور

وذلك أنه شهد رَيسان أبا بجير بن ريسان يخطب ، وقد شهدت أنا هذه الخطبة ولم أرجبانا قط أجرأ منه ، ولا جريئا قط أجبن منه

وقال الاشل الازرقى ـ من بعض أخوال عمران بن حطان الصفرى القعدى ـ فى زيد بن جندب الايادى خطيب الازارقة ، واجتمعا فى بعض المحافل فقال بعد ذلك الاشل البكرى

تَنَحنَحَ زَيْدٌ وسعَلْ لما رَآى وقعَ الأَسَلْ

ويْلُ امهِ اذا ارْتَجَلْ ثم أطال وَاحتفلْ

وقد ذكر الشاعر زيد بن جندب الايادى الخطيب الازرقى فى مرثيته لابى دواد بن جرير الايادى حيث ذكره بالخطابة وضرب المثل بخطباء إياد فقال :

كقُسِّ إِيادٍ أَوْ لَقِيطِ بنِ مَعْبَدٍ وعُذْرَةَ والمِنْطِيقِ زَيْدِ بْنِ جُنْدَبِ

وزيد بن جندب، هو الذى يقول فى الاختلاف الذى وقع بين الازارقة :

قُلْ لِلْمُحِلِّينَ قَد قَرَّتْ عُيونكم بِفُرْقَةِ القَوْمِ والبَغضاء والهَرَبِ

كنا اناساً على دِينٍ فَفَرَّقَنا فَرْعُ الكلاَمِ وَخلطُ الجِدِّ باللَّعبِ

ما كان أغنى رِجالاً ضَلَّ سَعْيُهُمُ عن الجِدالِ وأغْناهُمْ عن الخُطَبِ

إِنِّى لأَهْوَنُكُمْ في الارضِ مُضْطَرَباً مالى سِوَى فَرَسِى والرُّمْحِ مِن نَشَبِ

وأما عذرة المذكور فى البيت الاول فهو عذرة بن حجرة الخطيب الايادى، ويدل على قدره فيهم ، وعلى قدره فى اللسن والخطب قول شاعرهم :

وَأَيُّ فتَى صَبْرٌ عَلى الأَيْنِ والظَّمَا اذا اعتَصَرُوا اللَّوحِ ماءَ فظاظِها(١)

إِذا ضَرَّجوها ساعَةً بدِمائِها وحُلَّ عن الكَوْماءِ عَقْدُ شِظَاظِها(٢)

(١) الاين : الاعياء من السير الطويل الشاق . اللوح : العطش . ماء الفظاظ : ماء فرث البعير . وكانت العرب اذا ازمعت سفراً بعيدا او اجتياز مفازة شاقة سقوا إبلهم ثم شدوا أفواهها لئلا تجتر فاذا أخذ منهم الظمأ شقوا بطن البعير واعتصروا فرثه وشربوا منه (٢) الكوماء : الناقة التامة الخلق العظيمة السنام . عقد الشظاظ

فانكَ ضحّاكٌ الى كلّ صاحبٍ وأنطقُ من قُسٍّ غَداةَ عُكاظِها (١)

إذا شعب المولى مشاعب معشر فعُذْرَةُ فيها آخذٌ بكِظاظِها (٢)

فلم يضرب هذا الشاعر الايادى، المثل لهذا الخطيب الايادى. الا برجل من خطباء إياد، وهو قس بن ساعدة. ولم يضرب صاحب مرثية أبى دواد بن جرير الايادى، المثل الا بخطباء اياد فقط، ولم يفتقر الى غيرهم حيث قال فى عذرة بن حجرة:

كقُسِّ إيادٍ أو لقيطِ بن معبَدٍ (٣) وعذْرةَ والمِنْطِيقِ زَيْدِ بْنِ جُنْدَبِ

وأول هذه المرثية قوله.

نَعَى ابنَ جَريرٍ جاهلٌ بمُصابِهِ فَعَمَّ نِزاراً بالبُكا والنحَوُّبِ (٤)

نَعاهُ لنا كاللَّيْثِ يَحْمى عَرِينَهُ وكالبدرِ يَغْشَى ضَوْءُهُ كلَّ كَوْكَبِ

وأصبر من عود وأهدى اذا سرى من النجم في داج من الليل غيهب (٥)

وأضْرَبُ من حَدِّ السِّنان لسانُه وأمضَى من السَّيفِ الحُسامِ المُشَطَّبِ

زَعِيم نِزارٍ كلِّها وخطيبُها اذا قال طاطا رأسَه كلُّ مِشْعَبِ

سَلِيلُ قُرومٍ سادة ثم قالةٍ يَبُزُّونَ يومَ الجمع أهلَ المحَصَّبِ (٦)

كقُسِّ إيادٍ أو لقيطِ بن معبد وعذرة والمِنْطِيقِ زيدِ بن جُنْدَبِ

فى كلمة له طويلة. وإياهم عنى الشاعر بقوله:

خشبة تدخل في عرى الغرائر

(١) قس: هو قس بن ساعدة الايادى خطيب العرب ونذيرها. سمعه النبى وهو صغير فى عكاظ وتحدث بخطبته، وكفى بهذا شرفاً. وقد عمر كثيرا وفى طول عمره اختلاف أقله ٣٨٠ وأكثره ٧٠٠ وتوفى قبل البعثة

(٢) لقيط بن معبد. وصاحب الاغانى يسميه لقيط بن يعمر: شاعر جاهلى قديم عرف بقصيدته التى ينذر بها قومه غزو الفرس لهم

(٣) التحوب: التوجع (٤) واصبر من عود: واصبر من بعير (٥) قروم: سادة امجاد. يبزون: يغلبون

يَرْمُونَ بِالخطَبِ الطوالِ وَتَارَةً وَحْىَ المَلاَحِظِ خِيفَةَ الرُّقَبَاءِ

قال أخبرنى محمد بن عباد بن كاسب كاتب زهير ومولى بجيلة من سبى دابق، وكان شاعراً راوية وطلاَّبة للعلم علامة ، قال: سمعت ابا دواد بن جرير يقول، وقد جرى شيء من ذكر الخطب وتحبير الكلام واقتضابه وصعوبة ذلك المقام وأهواله، فقال: تخليص المعانى رفق ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق من غير أهل البادية بغض ، والنظر فى عيون الناس عى ، ومس اللحية هلك ، والخروج مما بنى عليه اول الكلام اسهاب . وسمعته يقول : رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وجناحاها رواية الكلام ، وحليها الاعراب ، وبهاؤها تخير اللفظ ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه، وأنشدنى بيتاً له فى صفة خطباء اياد وهو قوله :

يَرْمُونَ بِالْخُطَبِ الطوال وتارةً وَحْىَ الْمَلاحَظِ خِيفَةَ الرُّقَبَاءِ

فذكر المبسوط فى موضعه ، والمحذوف فى موضعه، والموجز، والكناية، والوحى باللحظ ، ودلالة الاشارة . وأنشدنى له الثقة فى كلمة له معروفة :

الْجُودُ أَخْشَنُ مَسًّا يا بني مَطَرٍ مِنْ أَنْ تَبُزَّ كُمُوهُ كفٌّ مُسْتَلِبِ

مَا أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّ الْجُودَ مَدْفَعَةٌ لِلذَّمِّ لَكِنه يأتي على النَّشَبِ

قال: ثم لم يحفل بها، فادعاها مسلم بن الوليد الأنصارى، أو ادعيت له . وكان أحد من يجيد قريض الشعر وتحبير الكلام

وفى الخطباء من يكون شاعراً ، ويكون إذا تحدّث أو وصف أو احتج بليغاً مفوهاً بيناً . وربما كان خطيباً فقط ، وشاعراً فقط ، وبين اللسان فقط

ومن الشعراء الخطباء الأبيناء الحكماء : قس بن ساعدة الأيادى . والخطباء كثير، والشعراء أكثر منهم . ومن يجمع الخطابة والشعر قليل

ومنهم عمرو بن الاهتم المنقرى ، وهو المكحل . قالوا : كأن شعره فى مجالس الملوك حلل منشرة . قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل للاوسية أى منظر أحسن ؟ قالت : قصور بيض فى حدائق خضر . فأنشد عند ذلك عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بيت عدى بن زيد العبادى :

كدُمَى العَاجِ في المحاريبِ أو كالْ بيضِ في الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ (١)

(١) الدمى : الصور الماثلة . المحاريب : اماكن العبادة

قال : فقال قسامة بن زهير : كلام عمرو بن الاهتم آنق ، وشعره أحسن . هذا وقسامة أحد أبيناء العرب

ومن الخطباء الشعراء :البعيث المجاشعى ، واسمه خداش بن بشر بن لبيد

ومن الخطباء الشعراء:الكميت بن زيد الاسدى.، وكنيته أبو المستهل

ومن الخطباء الشعراء الطرماح بن حكيم الطائى ، وكنيته أبو نفر .

قال القاسم بن معن،قال محمد بن سهل راوية الكميت: أنشدت الكميت قول الطرماح:

اذا قُبِضتْ نَفْسُ الطِّرِمَّاحِ أَخْلَقَتْ عُرَى المجدِ وَاسْتَرْخَى عِنَانُ القَصَائِدِ

فقال الكميت : إى والله ، وعنان الخطابة والرواية

قال ابو عثمان الجاحظ : ولم ير الناس أعجب حالا من الكميت والطرماح . وكان الكميت عدنانياً عصبياً ، وكان الطرماح قحطانياً عصبياً . وكان الكميت شيعياً من الغالية ، وكان الطرماح خارجياً من الصفرية . وكان الكميت يتعصب لأهل الكوفة ، وكان الطرماح لأهل الشام . وبينهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة مالم يكن بين نفسين قط . ثم لم يجر بينهما صرم ولا جفوة ولا إعراض ولا شيء مما تدعو هذه الخصال اليه ، ولم ير الناس مثلهما إلا ماذكروا من حال عبدالله بن زيد الاباضي، وهشام بن الحكم الرافضى ، فانهما صارا الى المشاركة بعد الخلطة والمصاحبة. وقد كانت الحال بين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة ، الحال التى تدعو الى المفارقة بعد المناقشة والمحاسدة ، للذى اجتمع فيهما من اتفاق الصناعة والقرابة والمجاورة . فكان يقال:لولا أنهما أحلم تميم لتباينا تباين النمر والأسد. وكذلك كانت حال هشام ابن حكم الرافضي وعبد الله بن زيد الاباضى، إلا أنهما فضلا على سائر المتضادين بما صارا اليه من الشركة في جميع تجارتهما . وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبة فقال : ليس له صديق فى السر ولا عدو فى العلانية . فلم يعارضه شبيب

وتدل كلمة خالد هذه على أنه يحسن أن يسب سب الاشراف

ومن الخطباء الشعراء: عمران بن حطان ، (١) وكنيته ابو شهاب ، أحد بنى عمرو بن شيبان اخوة سدوس

(١) عمران بن حطان شاعر فصيح من شعراء الخوارج ودعاتهم، ادرك صدراً من الصحابة وروى عنهم وروى عنه اصحاب الحديث . ثم صار من الشراة الخوارج. طلبه الحجاج ففر منه وله فى فراره خطوب وأحداث . وكان بليغاً مبيناً

فمن بنى عمرو بن شيبان، مع قلتهم من العلماء والخطباء والشعراء:
عمران بن حطان رئيس القعدة من الصفرية، وصاحب فتياهم، ومقرعهم عند اختلافهم
ومنهم دَغفل بن حنظلة النسابه الخطيب العلامة
ومنهم القعقاع بن شور
وسنذكر شأنهم اذا انتهينا الى موضع ذكرهم ان شاء الله تعالى
ومن الخطباء الشعراء: نصر بن سيار أحد بنى ليث بن بكر صاحب خراسان وهو يعد فى أصحاب الولايات، وفى الحروب، وفى التدبير، وفى العقل وشدة الرأى
ومن الخطباء الشعراء: زيد بن جندب الأيادى، وقد ذكرنا شأنه
ومن الخطباء الشعراء: عجلان بن سحبان الباهلى. وسحبان هذا هو سحبان وائل، وهو خطيب العرب
ومن الخطباء الشعراء، العلماء وممن قد تنافر اليه الاشراف: أعشى همدان
ومن الشعراء الخطباء: عمران بن عصام العرنى. وهو الذى أشار على عبد الملك بخلع أخيه عبد العزيز، والبيعة للوليد بن عبد الملك، في خطبته المشهورة، وقصيدته المذكوره. وهو الذى لما بلغ عبد الملك بن مروان قتل الحجاج له قال: ولم قتله ويله؟ هلا رعى له قوله فيه:

وبعثت من وَلَدِ الاغرِ معتبٍ ... صَقْراً يَاُوذُ حَمَامُه بالْعَرْفَجِ
فإذا طبخت بنارِهِ أنضجتها ... وإذا طبخت بغيرِها لم ينضَجِ
وهو الهِزَبْرُ إذ أراد فَرِيسةً ... لم يُنجها منهُ صِياحُ الهجهج(١)

ومن خطباء الامصار وشعرائهم والمولدين منهم: بشار الأعمى. وهو بشار بن برد وكنيته ابو معاذ. كان من أحد موالى بنى عقيل، فان كان مولى أم ظباء - على مايقول بنو سدوس وما ذكره حماد عجرد - فهو من موالى بنى سدوس. ويقال انه من أهل خراسان نازلا فى بنى عقيل. وله مديح كثير فى فرسان أهل خراسان ورجالاتهم وهو الذى يقول:

مِنْ خُرَاسَانَ وبيتي في الذُّرى ... ولَدَى المَسْعَاةِ فرعى قد سَبَقْ
وإني لمِنْ قومٍ خُراسانُ دارُهم ... كرامٍ وفرْعي فيهمُ ناضرٌ بسَقْ

وكان شاعراً راجزاً سجاعاً خطيباً صاحب منثور ومزدوج، وله رسائل معروفة.

(١) صياح الهجهج: هو الصياح لطرد الاسد وزجره

وأنشد عُقْبَةُ بنُ رُؤْبَةٍ عُقْبَةَ بنَ سَلْمٍ رجزاً يمتدحه فيه وبشار حاضر ، فأظهر بشار استحسان الارجوزة ، فقال عقبة بن رؤبة : هذا طراز يا أبا معاذ فلا تحسنه . فقال بشار : ألمثلي يقال هذا الكلام ؟ أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك . ثم غدا على عقبة بن سلم بارجوزته التي أولها :

ياطَلَلَ الحيِّ بذاتِ الصَّمْدِ باللهِ خَبِّرْ كَيفَ كنتَ بعدِي

وهي التي يقول فيها :

إسْلَمْ وحُيِّيتَ أبا المُلَّمِ لله أيامُك فِي معَدِّ

وفيها يقول :

الحُرُّ يُلْحَى والعَصا للعبدِ وليسَ للمُلْحِفِ مثل الرَّدِّ

ويقول فيها :

وصاحبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ حَمَلْتُهُ في رُقْعَةٍ من جِلْدِي

وما وَراءَ رغبتي من زُهْدِي

أي لم أره زهداً فيه ولا رغبة . ذهب الى قول الشاعر :

لقد كنتَ في قومٍ عليك أشِحَّةٍ بنفسكَ لولا أن منْ طاحَ طائِحُ

يَوَدُّونَ لو خاطُوا عليكَ جلودَهم ولا تَدْفَعُ الموْتَ النفوسُ الشحائِحُ

والمطبوعون على الشعر من المولدين : بشار العقيلي ، والسيد الحميري ، وأبو العتاهية ، وابن أبي عيينة . وقد ذكر الناس في هذا الباب : يحيى بن نوفل ، وسلما الخاسر ، وخلف بن خليفة : وأبان بن عبد الحميد اللاحقي أولى بالطبع من هؤلاء ، وبشار أطبعهم كلهمُ .

ومن الخطباء الشعراء ، وممن يؤلف الكلام الجيد ، ويصنع المناقلات الحسان ، ويؤلف الشعر والقصائد الشريفة ، مع بيان عجيب ، ورواية كثيرة ، وحسن دَلّ وإشارة : عيسى بن يزيد بن دأب ، أحد بني ليث بن بكر ، وكنيته ابو الوليد

ومن الخطباء الشعراء ، ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد ، والرسائل الفاخرة ، مع البيان الحسن : كلثوم بن عمرو العتابي ، وكنيته أبو عمرو . وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين ، كنحو منصور

النمرى ، ومسلم بن الوليد الانصارى ، وأشباههما . وكان العتابى يحتذى حذو بشار فى البديع ، ولم يكن فى المولدين أصوب بديعاً من بشار وابن هرمة . والعتابى من ولد عمرو بن كلثوم، ولذلك قال :

إني امرؤٌ هَدَمَ الإقْتارُ مأثُرتى ... واجتاحَ مابَنَتِ الأيامُ مِنْ خَطَرِى

أيام عمرو بن كُلْثُومٍ يُسَوِّدُهُ ... حَيًّا ربيعةَ والأفناءَ من مُضَرِ

أُرُومَةٌ عَطَّلَتْنِى من مَكارِمِها ... كالقَوْسِ عَطَّلَها الرَّامي مِن الوَتَرِ

ودل فى هذه القصيدة على انه كان قصيراً قوله :

نَهى ظِرافَ الغَوانِي عن مُواصَلَتِي ... مايَفْجَأُ العَيْنَ من شَيْبي ومن قِصَرِى

ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب ، والرسائل الطوال والقصار ، والكتب الكبار المجلدة ، والسير الحسان المولدة ، والاخبار المدونة : سهل بن هرون بن راهيبونى (١) الكاتب ، صاحب كتاب « ثعلة وعفرة » فى معارضة كتاب « كليلة ودمنة » وكتاب « الاخوان » وكتاب « المسائل » وكتاب « المخزومى والهذلية » وغير ذلك من الكتب .

ومن الخطباء الشعراء: على بن ابرهيم بن جبلة بن مخرمة، ولا أعلمه يكنى الا أبا الحسن

وسنذكر كلام قس بن ساعدة ، وشأن لقيط بن معبد ، وهند بنت الخس ، وخُمعة (٢) بنت حابس ، وخطباء إياد، اذا صرنا الى ذكر خطباء القبائل ان شاء الله

---

(١) سهل بن هرون بن راهبون، ويكنى أبا عمر، أصله من نيسابور ونزل البصرة ، تفرد فى زمانه بالبلاغة والحكمة وسعة البيان ، وكان يميل الى مذهب الشعوبية الذين يدينون ببغض العرب. اعجب المأمون ببلاغته وعقله فولاه خزانة الحكمة، وهى التى كانت تحوى كتب الفلاسفة التى نقلت للمأمون من جزيرة قبرس . صنف كتباً كثيرة عارض بها كتب الاوائل حتى لقب « بزرجمهر الاسلام » وله نظم جيد ونثر فائق. ولقد كان الجاحظ كثير الاعجاب به والنقل عنه، وله رسالة فى البخل هى آية من الآيات، وكان بخيلا ظريفاً ،وله فى البخل نوادر معجبه

(٢) خمعة بنت حابس . وفى الاصل: جمعه. وهذا خطأ لا أدرى اذا كان من النساخ أو كان من الجاحظ، غير أننى تحققت أن صحة الاسم « خمعه » كما ضبطه صاحب العباب والمحكم ، وابن الشجرى فى كتابه ما اتفق لفظه واختلف معناه، وكذلك رواه

ولاياد وتميم فى الخطب خصلة ليست لأحد من العرب ، لأن رسول الله ﷺ هو الذى روى كلام قس بن ساعدة وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته ،وهو رواه لقريش والعرب ، وهو الذى عجب من حسنه وأظهر من تصويبه . وهذا إسناد تعجز عنه الامانى، وتنقطع دونه الآمال . وإنما وفق الله ذلك الكلام لقس بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد ، ولاظهاره معنى الاخلاص ، وإيمانه بالبعث . ولذلك كان خطيب العرب قاطبة .

وكذلك ليس لأحد فى ذلك مثل الذى لبنى تميم ، لأن رسول الله ﷺ لما سأل عَمْرَو بْنَ الأَهْتَمِ عن الزِّبْرِقَانِ بْنِ بَدْرٍ قال : مانع لحوزته ، مطاع فى أذينه . فقال الزِّبْرِقَان : أما إنه قد علم أكثر مما قال ، لكنه حسدنى شرفى . فقال عمرو : أما لئن قال ماقال . فوالله ماعلمته إلا ضيق الصدر ، زَمِرَ المروءة ، لئيم الخال ، حديث الغنى . فلما رأى انه خالف قوله الآخر قوله الاول ورأى الانكار فى عين رسول الله ﷺ قال : يارسول الله ، رضيت فقلت أحسن ماعلمت ، وغضبت فقلت أقبح ماعلمت ، وما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الآخرة . فقال النبى ﷺ عند ذلك : إن من البيان لسحرا

فهاتان الخصلتان خصت بهما إياد وتميم دون سائر القبائل

ودخل الأحنف بن قيس على معاوية بن أبى سفيان فأشار له إلى الوساد فقال له : اجلس . فجلس على الارض . فقال معاوية : مامنعك يا أحنف من الجلوس على الوساد ؟ فقال يا أمير المؤمنين : إن فيما أوصى به قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ المَنْقَرِىُّ ولده أن قال : لاتغشَ السلطان حتى يملّك ، ولا تقطعه حتى ينساك ، ولاتجلس له على فراش ولا وساد ، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين فانه عسى أن يأتى من هو أولى بذلك المجلس منك فتقام له فيكون قيامك زيادة له ونقصاً عليك . حسبى بهذا المجلس ياأمير المؤمنين لعله أن يأتى من هو أولى بذلك المجلس منى . فقال معاوية: لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقة حواشى الكلام، وأنشأ يقول :

يا أيُّها السائِلُ عمَّا مَضَى ... وعلم هذا الزَمَنِ العائِبِ

ان كنتَ تبغي العلم أو أهلهُ ... أو شاهداً يُخبرُ عن غائبِ

القاضى عياض فى شرحه لحديث ام زرع . والمعروف انها بنت الخس اخت هند

فاعتبر الأرضَ بسكانها واعتبرِ الصاحبَ بالصاحبِ

وذهب الشاعر فى مرثية أبى دؤاد فى قوله :

وأصبرُ من عودٍ وأهدَى اذا سرَى من النجمِ فى داجٍ من الليلِ غيهبِ

هـذا شبيه بقول جبار بن سلمان بن مالك بن جعفر بن كلاب حين وقف على قبر عامر بن الطفيل فقال : كان والله لا يضل حتى يضل النجم ، ولا يعطش حتى يعطش البعير ، ولا يهاب حتى يهاب السيل . وكان والله خير مايكون حين لا تظن نفس بنفس خيرا

وكان زيد بن جندب أشغى أقلح ، ولولا ذلك لـكان أخطب العرب قاطبـة .

وقال عبيدة بن هلال اليشكرى فى هجائه له :

أشغى عَفَنْبَاةٌ ونابٌ ذوعَصَلْ وقلحٌ بادٍ وسنٌّ قد نَصَـلْ (١)

وقال عبيدة أيضاً فيه :

ولفُوكَ أشْنَعُ حينَ تَنطِقُ فاغِراً مِن في قَرِيحٍ قد أصابَ بَرِيرَا (٢)

وقال الـكميت :

تَشـبّه بالهـامِ آثارها مَشافِرَ قُرْحاً أكَلْنَ البَرِيرَا

وقال أخو النمر بن تولب فى شنعة أشداق الجمل :

كم ضَرْبَةٍ لكَ نَحْكِى فا قُرَاسِيَةٍ من المَصَاعِبِ في أشْدَاقِهِ شَنَعُ

وفى الخطباء من كان أشغى ، ومن كان أروق ، ومن كان أشدق ، ومن كان أضجم ، ومن كان أفقم

القراسية : بعير أضجم ، والضجم اعوجاج فى الفم . والفقم مثله ، والرَّوَق ركوب السن الشفة . وفى كل ذلك روينا الشاهد والمثل

وروى الهيثم بن عدىٍّ ، عن أبى يعقوب الثقفى ، عن عبد الملك بن عمير قال : قدم علينا الأحنف الـكوفة مع مصعب بن الزبير ، فما رأيت خصلة تذم فى رجل إلا

---

(١) اشغى : بارز الاسنـان العليـا . عفنباة : حاد المخالب . ناب ذوعصل : ناب معوج . القلح : صفرة الاسنان . والسن الناصل : الخارج . (٢) البرير : ثمر الاراك أول

وقد رأيتها فيه . كان أصعل الرأس ، أحجن الأنف ، أغضف الأذن، متراكب الاسنان ، أشدق ، مائل الذقن ، نائىء الوجنة ، باخق العين ، خفيف العارضين ، أحنف الرجلين (١) ولكنه إذا تكلم جلى عن نفسه .

ولو استطاع الهيثم أن يمنعه البيان أيضاً لمنعة ، ولولا انه لم يجد بداً من أن يجعل له شيئاً على حال لما أقر بأنه إذا تكلم جلّى عن نفسه

وقولنا فى كلمته هذه كقول هند بنت عتبة حين أتاها نعى يزيد بن أبى سفيان ، وقال لها بعض المعزين : إنا لنرجو أن يكون فى معاوية خلف من يزيد ، فقالت هند: ومثل معاوية لا يكون خلفاً من أحد، فوالله لو جمعت العرب من أقطارها ثم رمى به فيها لخرج من أى أعراضها شاء. ولكنا نقول : ألمثل الأحنف يقال: إلا انه اذا تكلم جلى عن نفسه؟

ثم رجع بنا القول الى الكلام الاول فيما يعترى اللسان من ضروب الافات

قال ابن الاعرابى : طلّق أبو رمادة امرأته حين وجدها لثغاء وخاف أن تجيئه بولد ألثغ فقال :

لُثْغاءُ تأْتي بِحَيْفَسٍ أَلْثَغِ ... تَمِيسُ فى الْمَوْشِيِّ والمُصَبَّغِ

الحيفس الولد القصير .

وأنشد ابن الاعرابى كلمة جامعة لكثير من هذه المعانى وهو قول الشاعر :

أسكتْ وَلا تَنطِقْ فأنتَ حَبَحَابْ ... كُلُّكَ ذو عَيْبٍ وأنْتَ عيَّابْ

إن صَدَقَ القومُ فانتَ كذّابْ ... أوْ نَطقَ القومُ فأنْتَ هَيَّابْ

أو سَكتَ القومُ فأنتَ قَبْقابْ ... أو أقدَموا يوْماً فأنتَ وجَّابْ

وأنشدنى :

ولست بِزِمّيجَةٍ في الفِرَاشِ ... وجَّابَةٍ يَحْتَمِي أنْ يُجيبَا

ولاذى قلاَزمَ عِندَ الحِياض ... إذا ما الشّريب أرابَ الشّريبَا

الزميجة : الثقيل عن الحركة . والقلازم : كثرة الصياح :

وأنشدنى :

بُبَّغَرِيبٍ نَاصِحِ الجَيبِ ... وابن أبٍ مُتَّهَمِ الغَيْبِ

ظهوره (١) صعل الرأس : الصعل دقة الرأس مع طول . احجن: معوج : اغضف: مسترخى الاذن . باخق : اعور . احنف: الحنف اعوجاج القدمين نحو بعضهما

وَرُبَّ عَيَّابٍ له مَنْظَرٌ مُشْتَمِلُ الثَّوْبِ على الْعَيْبِ

وأنشد :

وأجْرَا مَنْ رَأَيْتُ بِظَهْرِ غَيْبٍ على عَيْبِ الرِّجَالِ ذوو الْعُيُوبِ

وقال سهل بن هرون : لو عرف الزنجى فرط حاجته الى ثناياه فى اقامة الحروف وتكميل جميل البيان لما نزع ثناياه

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سهيل بن عمرو الخطيب : يارسول الله، إنزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبدا

وانما قال ذلك لان سهيلا كان أعلم من شفته السفلى

وقال خلاد بن يزيد الارقط : خطب الجحى خطبة نكاح أصاب فيها معانى الكلام ، وكان فى كلامه صفير يخرج من موضع ثناياه المنزوعة ، فأجابه زيد بن على ابن الحسين بكلام فى جودة كلامه الا أنه فضله بحسن المخرج والسلامة من الصفير . فذكر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر سلامة لفظ زيد بسلامة أسنانه فقال فى كلمة له :

قَالَتْ قَوَادِحُهَا وتَمَّ عَدِيدُهَا فَلَهُ بِذَاكَ مَزِيَّةٌ لاَ تُنْكَرُ

ويروى : صحت مخارجها وتم حروفها

المزية : الفضيلة

وزعم يحيى بن نجيم بن معاوية بن زَمعة أحد رواة أهل البصرة قال : قال يونس ابن حبيب فى تأويل قول الأحنف بن قيس :

أنا ابنُ الزَّافِرِيَّةِ أرْضَعَتْنِي بِثَدْيٍ لا أجَدُّ ولا وَخِيمُ

أتَمَّتْنِي فَلَم تَنْقُص عِظامى ولا صَوْتى إذا اصْطَكَّ الخصُومُ

قال: انما عنى بقوله: عظامى، أسنانه التى فى فمه . وهي التى اذا تمت تمت الحروف. وقال يونس : وكيف يقول مثله : أتمتنى فلم تنقص عظامى ، وهو يريد بالعظام عظام اليدين والرجلين وهو أحنف من رجليه جميعاً مع قول الحتات له : والله لانك ضئيل، وان أمك لورهاء ، وكان أعرف بمواقع العيوب وأبصر بدقيقها وجليلها ؟ وكيف يقول

ذلك وهو نصب عيون الاعداء والشعراء والا كفاء ، وهو أنف مضر الذى تعطس عنه ، وأبين العرب والعجم قاطبة ؟

قالوا : ولم يتكلم معاوية على منبر جماعة مذ سقطت ثناياه فى الطست

قال أبو الحسن وغيره : لما شق على معاوية سقوط مقادم فمه قال له يزيد بن معن السُّلمى : والله مابلغ أحد سنك الا أبغض بعضه بعضا ، ففوك أهون علينا من سمعك وبصرك . فطابت نفسه

وقال أبو الحسن المدايني : لما شد عبد الملك أسنانه بالذهب قال : لولا المنابر والنساء ماباليت متى سقطت

قال : وسألت مباركا الزنجى الفاشكار ـ ولا أعلم زنجياً بلغ فى الفشكرة مبلغه ـ فقلت له : لم ينزع الزنجى ثناياه ؟ ولم يحدد ناس منهم أسنانهم ؟ فقال : أما أصحاب التحديد فللقتال والنهش ، ولأنهم يأكلون لحوم الناس ، ومتى حارب ملك ملكا فأخذه قتيلا أو أسيراً أكله . وكذلك اذا حارب بعضهم بعضاً أكل الغالب منهم المغلوب

وأما أصحاب القلع فانهم قالوا : نظرنا الى مقادم أفواه الغنم فكرهنا أن تشبه مقادم أفواهنا مقادم أفواه الغنم . فكم تظنهم حفظك الله فقدوا من المنافع العظام بفقد تلك الثنايا ؟

وفى هذا كلام يقع فى « كتاب الحيوان » . وقال أبو الهندى فى اللثغ :

سقيت أبا المُطَرِّحِ إذ تأنّى وذو الرَّغَبَاتِ مُنْتَصِبٌ يَصيحُ

شَرَاباً يَهْرُبُ الذّبانُ عَنهُ ويَلْثَغُ حينَ يَشرَبُهُ الفَصيحُ

وقال محمد بن عمرو الرومى ، مولى أمير المؤمنين : قد صحت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الاسنان أصلح فى الابانة عن الحروف منه اذا سقط أكثرها وخالف أحد شطريها الشطر الآخر

وقد رأينا تصديق ذلك فى أفواه قوم شاهدهم الناس بعد أن سقط جميع أسنانهم وبعد أن بقى منها الثلث أو الربع . فممن سقط جميع أسنانه ، وكان معنى كلامه مفهوماً ، الوليد بن هشام القحذمى صاحب الاخبار . ومنهم أبو سفيان ، والعلاء بن لبيد التغلبى ، وكان ذا بيان ولسن . وكان عبيد الله بن ابى غسان ظريفا يصرّف لسانه كيف أحب . وكان الالحاح على القيس (؟) قد برد أسنانه حتى كان لا يرى أحد منها شيئا الا أن تطلع فى لحم اللثة ، وفى أصول منابت الاسنان . وكان سفيان بن الابرد

الكلى كثيرا ما يجمع بين القار والحار ،فتساقطت أسنانه جمعيا، وكان مع ذلك خطيبا بينا

وقال اهل التجربة : اذا كان فى اللحم الذى فيه مغارز الاسنان تشمير وقصر سمك ،ذهبت الحروف وفسد البيان ،واذا وجداللسان من جميع جهاته شيئا يقرعه ويصكه ولم يمر فى هواء واسع المجال وكان لسانه يملأ جوبة فمه لم يضره سقوط اسنانه الا بالمقدار المغتفر ، والجزء المحتمل . ويؤكد ذلك قول صاحب المنطق فانه زعم فى « كتاب الحيوان » أن الطائر والسبع والبهيمة كلما كان لسانه الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين،وأحكى لما يلفن ولما يسمع كنحو الببغاء والغداف وغراب البين وما أشبه ذلك ، وكالذى يتهيأ من أفواه السنانير اذا تجاوبت من الحروف المقطعة المشاركة لمخارج حروف الناس . فاما الغنم فليس يمكنها أن تقول الا « ماء » والميم والباء أول ما يتهيأ فى أفواه الاطفال كقولهم:ماما ، و: بابا.لانهما خارجان من عمل اللسان ، وانهما يظهران بالتقاء الشفتين .وليس شىء من الحروف أدخل فى باب النقص والعجز من فم الاهتم من الفاء والسين اذا كانا فى وسط الكلمة . فاما الصاد فليس تخرج الا من الشدق الايمن الا أن يكون المتكلم أعسر يسراً مثل عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كان يخرج الضادمن أى شدقية شاء.فأما الايمن والاعسر والاضبط ،فليس يمكنهم ذلك الا بالاستكراه الشديد . وكذلك الانفاس مقسومة المنخرين ، فحالا يكون الاسترواح ودفع البخار من الجوف من الشق الايمن ،وحالا يكون من الشق الايسر ، ولا يجتمعان على ذلك فى وقت الا أن يستكره ذلك مستكره ،أو يتكلفه متكلف . فاما اذا ترك أنفاسه على سجيتها لم يكن الا كما قالوا

وقالوا: الدليل على أن من سقط جميع أسنانه أن عظم اللسان نافع له قول كعب بن جعيل ليزيد بن معاوية حين أمره بهجاء الانصار فقال :أرادى أنت الى الكفر بعد الايمان ؟ لا أهجو قوما نصروا رسول الله ﷺ وآووه . ولكنى سادلك على غلام فى الحى كافر كان لسانه لسان ثور . يعنى الاخطل . وجاء فى الحديث « أن الله تبارك وتعالى يبغض الرجل يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة الخلى باسنانها » . قالوا: ويدل على ذلك قول حسان بن ثابت حين قال له النبى ﷺ ما بقى من لسانك ؟ فاخرج لسانه حتى قرع بطرفه طرف أرنبته ثم قال : والله إنى لو وضعته على صخر لفلقه ، أو على شعر لحلقه،وما يسرنى به مقول من معد. وأبوالسمط (١)

(١) ابو السمط ، فى الاصل: ابو الصمت .وهو خطأ وما اثبتناه هو الصواب

مروان بن أبى الجنوب بن مروان بن أبى حفصة وأبوه، وابنه فى نسق واحد يقرءون باطراف ألسنتهم أطراف آنفهم

وتقول الهند: لولا أن الفيل مقلوب اللسان لكان أنطق من كل طائر يتهيأ فى لسانه كثير من الحروف المقطعة المعروفة

وقد ضرب الذين يزعمون أن ذهاب جميع الاسنان أصلح فى الابانة عن الحروف من ذهاب الشطر أو الثلثين فى ذلك مثلا فقالوا : الحمام المقصوص جناحاه جميعاً أجدر أن يطير من الذى يكون أحدهما وافراً والآخر مقصوصا ، قالوا، وعلة ذلك ، التعديل والاستواء ، واذا لم يكن كذلك ارتفع أحد شقيه وانخفض الآخر فلم يجذف ولم يطر . والقطا من الطير قد يتهيأ من أفواهها أن تقول « قطا قطا » وبذلك سميت. ويتهيأ من أفواه الكلاب العينات، والفا آت، والواوات، كنحو قولها « وو، وو » وكنحو قولها « عف ، عف » قال الهيثم بن عدى : قيل لصبي : من أبوك ؟ قال « وو، وو » لان أباه كان يسمى كلبا

ولكل لغة حروف تدور فى أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين ، واستعمال الجرامقة للعين . قال الاصمعى : ليس للروم ضاد ، ولا للفرس ثاء ، ولا للسريان دال

ومن ألفاظ العرب ألفاظ تنافر، وإن كانت مجموعة فى بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها الا ببعض استكراه . فمن ذلك قول الشاعر:

وَقَبرُ حَرْبٍ بمكانٍ قَفْرٌ وليسَ قُربَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

ولما رأى من لاعلم له أن أحدا لا يستطيع أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات فى نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج ، وقيل لهم : ان ذلك انما اعتراه اذ كان من أشعار الجن ، صدقوا بذلك .

ومن ذلك قول ابن بشير فى أحمد بن يوسف حين استبطأه:

هل مُعينٌ على البُكا والعَويلِ أم مُعَزٍّ على المُصابِ الْجَليلِ

مَيِّتٌ ماتَ وهو في وَرَقِ العَيـ ش ، مقيمٌ به ، وظِل ظَليلِ

في عِدادِ الموتى وفي غامِرِ الدنيا أبو جعفر أخي وخليلي

لم يَمُتْ مَيتَةَ الوَفاةِ ولكن ماتَ مِن كُلِّ صالحٍ وجَميلِ

لا أُذِيلُ الآمالَ بَعْدَكَ إنّى بَعْدَهَا بالآمال حَقُّ بخيلِ
كم لها موقفاً بباب صَدِيقٍ رَجَعَتْ من نَداهُ بالتَعْطيلِ

ثم قال :

لم يُضِرْها والحمدُ لِلّهِ شئٌ وانْثَنَتْ نحوَ عُرْفِ نَفْسٍ زهولِ

فتفقد النصف الاخير من هذا البيت فانك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض. وأنشدنى أبو العاصى ، قال أنشدنى خلف الاحمر فى هذا المعنى :

وبعضُ قَرِيضِ القَوْمِ أولادُ عَلّةٍ يُكِدُّ لسانَ النَّاطِقِ المُتَحَفِّظِ

وقال أبو العاصى: أنشدنى فى ذلك أبو البيداء الرياحى :

وشِعرٌ كَبَعْرِ الكَبْشِ فَرّقَ بينه لسانُ دَعِيٍّ فى القَرِيضِ دَخِيلِ

أما قول خلف « وبعض قريض القوم أولاد علة » فانه يقول : اذ كان الشعر متسكرها وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات ، واذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب أختها مرضياً موافقاً كان على اللسان عند إنشاء ذلك الشعر مؤونة . وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج ، فيعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً جيداً ، وسبك سبكا واحداً ، فهو يجرى على اللسان كما يجرى على الدهان

وأما قوله « كبعر الكبش » فانما ذهب الى أن بعر الكبش يقع متفرقاً غير مؤتلف ولا متجاور . وكذلك حروف الكلام وأجزاء الشعر من البيت تراها متفقة لسا ولينة المعاطف سهلة . وتراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة ، تشق على اللسان وتكده . والاخرى تراها سهلة لينة ، ورطبة مواتية سلسة(١) النظام، خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد

قال سحيم بن حفص : قالت بنت الحطيئة للحطيئة : تركت قوماً كراماً ونزلت فى بنى كليب بعر الكبش ؟ فعابتهم بتفرق بيوتهم . فقيل لهم : فانشدونا بعض مالا تتنافر أجزاؤه ولا تتباين ألفاظه ، فقالوا : قال الثقفى :

(١) كان فى الاصل متوانية سليسة وليس هذا بشىء فأصلحناها كما هى مثبتة هنا

مَن كانَ ذا عَضُدٍ يُدْرِكْ ظُلامَتَهُ إن الذليلَ الذى ليستْ له عَضُدُ
تَنبُو يداه إذا ما قلَّ ناصرُه ويأنفُ الضَّيْمَ إن أثْرَى له عَدَدُ

وأنشدوا :

رَمَتنى وَسِترُ اللهِ بينى وبينها عشيةَ أرآمِ الكِناس رميمُ
رميمُ التي قالتْ لجاراتِ بَيتِها ضَمِنْتُ لكم أن لا يزالَ بهيمُ
ألا رُبَّ يومٍ لو رَمَتْني رَمَيْتُها ولكنَّ عهدى بالنِّضالِ قديمُ

وأنشدوا :

ولستُ بِزِمّيجَةٍ في الفراش وجابَةِ يَحتمي أن يُجيبا
ولاذى قلازِمَ عندالحياضِ إذاماالشَّريبُ أرَابَ الشريبا

قال نَوْفَلُ بنُ سالمٍ لِرُؤبَةَ بنِ العَجّاج : يا أبَا الجَحّاف، مُت متى شئت . قال: وكيف ذلك ؟ قال : رأيت عقبة بن رؤبة ينشد رجزاً أعجبنى . قال : إنه يقول لو كان لقوله قِرَان . وقال الشاعر :

مهارِبَةٌ مناجِبَةٌ قِرانٌ مَنادِبَةٌ كأنَّهم الأُسُودُ (١)

وأنشد ابنُ الأعْرَابى :

وباتَ يَدْرُسُ شِعْراً لا قِرَانَ لَهُ قد كانَ ثقَّفَهُ حَوْلاً فما زادَا

وقال بشار :

فهذا بَدِيهٌ لا كتخْبِير قائلٍ إذَامَا أرَادَالقولَ زوّره شَهرا

فهذا فى افتراق الالفاظ ، فاما افتراق الحروف فان الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا تأخير . والزاى لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير .

وهذا باب كثير وقد يكتفى بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التى اليها يجرى وقد يتكلم المغلاق الذى نشأ فى سواد الكوفة بالعربية المعروفة ، ويكون لفظه

(١) مهاربة : مسارعون : قران : متماثلون

متخيراً فاخراً ، ومعناه شريفاً كريماً ، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نَبطيٌّ . وكذلك اذا تكلم الخراسانى على هذه الصفة فانك تعرف مع اعرابه وتخير ألفاظه فى مخرج كلامه أنه خراسانى . وكذلك إن كان من كتاب الأهْوَاز . ومع هـذا إنا نجد الحاكية من الناس يحكى ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لا يغادر من ذلك شيئا ، وكذلك تكون حكايته للخراسانى ، والاهوازى ، والزنجى والسندى ، والحبشي (١) وغير ذلك . نعم حتى تجده كانه أطبع منهم . فاما اذا حكى كلام الفأفاء فكأنما قد جمعت كل طرفة فى كل فأفاء فى الارض فى لسان واحد ، كما أنك تجده يحكى الاعمى بصور ينشئها لوجهه وعينه وأعضائه لا تكاد تجد من ألف اعمى واحداً يجمع ذلك كله ، فكانه قد جمع جميع طرف (٢) حركات العميان فى أعمى واحد .

ولقد كان أبو دبُّوبة الزنجى مولى آل زياد يقف بباب الكرخ بحضرة المكارين فينهق فلا يبقى حمار مريض ، ولا هرم حسير ، ولا متعب بهير ، إلا نهق . وقبل ذلك تسمع نهيق الحمار على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ولا يتحرك منها متحرك حتى كان أبو دبوبة يحركه . وكأنه قد جمع جميع الصور التى تجمع نهيق الحمار فجعلها فى نهيق واحد . وكذلك فى نباح الكلاب . ولذلك زعمت الاوائل أن الانسان انما قيل له : العالم الصغير سليل العالم الكبير ، لانه يصور بيده كل صورة ، ويحكى بفمه كل حكاية ، ولانه ياكل النبات كما تاكل البهائم ، ويأكل الحيوان كما تاكل السباع ، وأن فيه من أخلاق جميع أجناس الحيوان أشكالا . وانما تهيأ وأمكن الحاكية بجميع مخارج الامم لما أعطى الله الانسان من الاستطاعة والتمكن ، وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة ، فبطول استعمال التكلف ذلت لذلك جوارحه ومتى ترك شمائله ولسانه على سجيتها كان مقصوراً بعادة المنشأ على الشكل الذى لم يزل فيه

وهـذه القضية مقصورة على هـذه الجملة من مخارج الالفاظ وصور الحركات والسكون . فاما حروف الكلام فان حكمها اذا تمكنت فى الالسنة خلاف هـذا الحكم . ألا ترى أن السندى اذا جاب كبيرا فانه لا يستطيع الا أن يجعل الجيم

(١) والحبشى . كان فى الاصل : الاجناس وليس هذا مقامها فمحوناها واثبتنا مكانها الحبشى كما يقتضيه السياق (٢) كان فى الاصل كلمة طرق ولم نر لها موقعاً هنا والاليق بهذا المقام كلمة « طرف » كما اثبتناها

زايا ولو أقام فى عليا تميم ، وسفلى قيس ، وبين عجز هوازن ، خمسين عاما ؟ وكذلك النبطى القح خلاف المغلاق الذى نشأ فى بلاد النبط ، لان النبطى القح يجعل الزاى سينا ، فاذا أراد أن يقول : زورق . قال : سورق . ويجعل السين همزة ، فاذا أراد أن يقول : مشمعل ، قال : مشمئل . والنخاس يمتحن لسان الجارية اذا ظن أنها رومية وأهلها يزعمون أنها مولدة بان تقول ناعمة ، وتقول شمس ثلاث مرات متواليات

والذى يعترى اللسان مما يمنع من البيان أمور : منها اللثغة التى تعترى الصبيان الى أن ينشؤا ، وهو خلاف ما يعترى الشيخ الهرم الماج المسترخى الحنك المرتفع اللثة ، وخلاف ما يعترى أصحاب اللكن من العجم ومن نشأ من العرب مع العجم

فمن اللكن ، ممن كان خطيباً أو شاعراً أو كاتباً داهياً . زياد بن سلمى ابو امامة وهو زياد الاعجم ، قال ابو عبيدة : كان ينشد قوله :

قَىً زادَهُ السلطانُ في الودّ رِفعةً إذا غيَّر السُّلطانُ كلَّ خليلِ

قال : كان يجعل السين شينا ، والطاء تاء ، فيقول :

قتى زاده الشلتان في الود رفعة

ومنهم سحيم عبد بنى الحسحاس قال له عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وانشده قصيدته التى اولها :

عُمَيرَةَ وَدِّعْ إنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيا كفَى الشَّيْبُ والاسلامُ للمرءِ ناهِيا

لو كان شعرك كله مثل هذا لأجزتك

(هكذا وقع فى جميع نسخ الكتاب والحكاية مروية عن عمر رضى الله تعالى عنه فى غير هذا الموضع كما وقعت داخل الكتاب : لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك (١))

قال : ما سعرت . يريد ما شعرت . فجعل الشين المعجمة سيناً غير معجمة

ومنهم عبيد الله بن زياد والى العراق ، قال لهانىء بن قبيصة : أهرورى سائر اليوم ؟ يريد أحرورى

ومنهم صهيب بن سنان النمرى صاحب رسول الله ﷺ ، كان يقول . إنك لهائن . يريد : انك لخائن . وصهيب بن سنان يرتصخ لكنة رومية . وعبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية . وقد اجتمعا على جعل الحاء هاء وازدا نقاذار لكنته نبطية ، وكان مثلهما فى جعل الحاء هاء . وبعضهم يروى أنه أملى على كاتب له فقال

(١) هذه العبارة ، التى بين القوسين ، يظهر انها ليست من أصل الكتاب ، ولعلها حاشية علقها بعض قدماء المطلعين عليه . واذ قامت بنا هذه الشبهة وضعنا العبارة بين قوسين ونبهنا عليها

كتب : الهاصل ألف كر. فكتبها الكاتب بالهاء كما لفظ بها ، فأعاد عليه الكلام فأعاد عليه الكاتب . فلما فطن لاجتماعهما على الجهل قال : أنت لا تحسن أن تكتب وأنا لا أحسن أن أملى ، فا كتب : الجاصل الف كر . فكتبها بالجيم معجمة

ومنهم أبو مسلم صاحب الدعوة ، كان جيد الالفاظ جيد المعانى ، وكان اذا أراد أن يقول : قلت له ، قال: كلت له. فشارك فى تحويل القاف كافا عبيدالله بن زياد. كذلك خبرنا أبو عبيدة ، وانما أتى عبيد الله بن زياد فى ذلك أنه نشأ فى الأساورة عند شيرَويهِ الاسوارى زوج أمه مرجانة . وقد كان فى آل زياد غير واحد يسمى شيرويه . قال : وفى دار شيرويه عاد على بن ابى طالب كرم الله وجهه زياداً فى علة كانت به

فهذا ما حضرنا من لكنة البلغاء والشعراء والرؤساء ، فاما لكنة العامة ومن لم يكن له حظ فى المنطق فمثل قيل مولى زياد ، فانه مرة قال لزياد : أهدوا الينا حمار وحش. يريد : حمار وحش . قال زياد: وأى شىء تقول ويلك ؟ قال : أهدوا الينا أيراً . يريد : عيراً . فقال زياد : الاول أهون . وقالت أم ولد لجرير بن الخطفى لبعض ولدها : وقع الجردان فى عجان أمكم : أبدلت الذال دالا من الجرذان وضمت الجيم وجعلت العجين عجانا. قال بعض الشعراء فى أم ولد له يذكر لكنتها

أكثر ما أسمَعُ منها في السَّحَرْ تذكيرَها الأُنثى وتأنيثَ الذَّكَرْ

والسوأة السوآءُ في ذِكر القَمَرْ

لانها كانت اذا أرادت أن تقول : القمر. قالت: الكمر. وقال ابن عباد: ركبت عجوز سندية جملا فلما مشى تحتها متخلعا اعتراها كهيئة حركة الجماع فقالت . هذا الذمل يذكرنا بالسر . تريد أنه يذكرها بالوطء . فجعلت الشين سينا والجيم ذالا . وهذا كثير

وباب آخر من اللكنة كما قيل للنبطى : لم ابتعت هذه الاتان ؟ قال . أركبها وتلِد لى: فقد جاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها ولا زاد فيها ولا نقص ، ولكنه فتح المكسور حين قال: تلد لى ، ولم يقل تلِد لى . والصقلى يجعل الذال المعجمة دالا فى الحروف

باب البيان

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني : المعانى القائمة فى صدور العباد المتصوَّرة فى أذهانهم، والمتخلجة فى نفوسهم ، والمتصلة بخواطرهم ، والحادثة عن فكرهم مستورة خفية ، و بعيدة وحشية ، ومحجوبة مكنونة، وموجودة فى معنى معدومة، لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة أخيه وخليطه. ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه الا بغيره * وانما تحيا تلك المعانى فى ذكرهم لها ، واخبارهم عنها ، واستعمالهم اياها * وهذه الخصال هي التى تقربها من الفهم وتجلبها للعقل ، وتجعل الخفى، منها ظاهراً ، والغائب شاهداً ، والبعيد قريبا . وهى التى تخلص (١) الملتبس، وتحل المنعقد . وتجعل المهمل مقيداً ، والمقيد مطلقا ، والمجهول معروفا ، والوحشي مألوفا ، والغفل موسوما ، والموسوم معلوما ، وعلى قدر وضوح الدلالة، وصواب الاشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل ، يكون اظهار المعنى. وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الاشارة ابين وانور ، كان انفع وانجع . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمعت الله تبارك وتعالى يمدحه يدعو اليه ويحث عليه . و بذلك نطق القرآن . و بذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت وأصناف الاعجام

والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجب دون الضمير، حتى يفضى السامع الى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان . ومن أى جنس كان ذلك الدليل ، لان مدار الامر والغاية التى اليها يجرى القائل والسامع انما هو الفهم والافهام ، فبأى شيء بلغت الافهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان فى ذلك الموضع

ثم اعلم حفظك الله ان حكم المعانى خلاف حكم الألفاظ ، لأن المعانى مبسوطة الى غير غاية، وممتدة الى غير نهاية ، وأسماء المعانى مقصورة معدودة ، ومحصلة محدودة

(١) كانت فى الاصل «تلخص» ولا معنى للتلخيص هنا وانما هى تخلص كما اثبتناها

وجميع أصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد ، أولها : اللفظ ، ثم الاشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال ، وتسمى نصبة. والنصبة هي الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الاصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات

ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها ، وحلية مخالفة لحلية أختها ، وهى التى تكشف لك عن أعيان المعانى فى الجملة ، ثم عن حقائقها فى التفسير ، وعن أجناسها واقدارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها فى السار والضار ، وعما يكون منها لغواً بهرجا وساقطاً مطرحاً

قال أبو عثمان : وكان فى الحق أن يكون هذا الباب فى أول هذا الكتاب ، ولكنا أخرناه لبعض التدبير

وقالوا : البيان بصر، والعى عمى ، كما أن العلم بصر، والجهل عمى. والبيان من نتاج العلم، والعى من نتاج الجهل . وقال سَهْلُ بنُ هَرُون : العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والبيان ترجمان العلم . وقال صاحب المنطق : حد الانسان : ألحى الناطق المبين . وقالوا: حياة المروءة الصدق ، وحياة الروح العفاف ، وحياة الحلم العلم، وحياة العلم البيان . وقال يونس بن حبيب : ليس لعى مروءة ، ولا لمنقوص البيان بهاء ، ولوحك بيافوخه عنان السماء . وقالوا : شعر الرجل قطعة من كلامه ، وظنه قطعة من علمه ، واختياره قطعة من عقله . وقال ابن التوام : الروح عماد البدن ، والعلم عماد الروح ، والبيان عماد العلم

قد قلنا فى الدلالة باللفظ ، فأما الاشارة : فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب ، اذا تباعد الشخصان ، وبالثوب وبالسيف. وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاجراً رادعاً ، ويكون وعيداً وتحذيراً

والاشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هى له، ونعم الترجمان هى عنه ، وما اكثر ماتنوب عن اللفظ. وما تغنى عن الخط ؟

وبعد، فهل تعدو الاشارة أن تكون ذات صورة معروفة ، وحلية موصوفة ، على اختلاف فى طبقاتها ودلالتها ؟ وفى الاشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير، ومعونة حاضرة فى أمور يسرها الناس من بعض ، ويخفونها من الجليس وغير الجليس . ولولا الاشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ، ولجهلوا هذا الباب البتة . ولولا أن تفسير هذه الكلمة يدخل فى باب صناعة الكلام لفسرتها لكم . وقد قال الشاعر فى دلالات الاشارة :

أشارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خيفَةَ أهْلِها إشارَةَ مَذعُورٍ ولم تَتَكَلَّمِ
فأيْقنتُ أنَّ الطرفَ قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحَبيبِ المُتَيَّمِ

وقال الآخر :

وللقلب على القَلْـ ـبِ دَليلٌ حِينَ يلقاهُ
وفي الناسِ مِن النَّا سِ مَقاييسٌ وأشْباهُ
وفى العَـينِ غَنًى للمر ءِ أنْ تنطِقَ أفواهُ

وقال الآخر :

ومَعْشَرٍ صيدٍ ذَوِى تَجِلَّهْ ترَى عليهـم للنَّدَى أدِلَّهْ

وقال الآخر :

ترَى عينُها عينى فتعرِفُ وحْيَها وتعرِفُ عينى ما بهِ الوحْىُ يَرْجِعُ

وقال الآخر :

وعين الفتى تُبْدِى الذي في ضَميرِهِ وتَعْرِفُ بالنَّجْوَى الحديثَ المُغَمَّسَا

وقال الاخر :

ألعين تُبدِى الذي في نفسِ صاحبها من المحبةِ أو بغضٍ إذا كانَا
والعينُ تنطقُ والأفواهُ صَامِتَةٌ حتى ترى من ضميرِ القلبِ تِبْيَانَا

هذا ، ومبلغ الاشارة أبعد من مبلغ الصوت. فهذا أيضا باب تتقدم فيه الاشارة الصوت . والصوت هو آلة اللفظ ، وهو الجوهر الذى يقوم به التقطيع ، و به يوجد التأليف . ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاما موزوناً ولا منثوراً الا بظهور الصوت . ولا تكون الحروف كلاما الا بالتقطيع والتأليف . وحسنُ الاشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان، مع الذى يكون مع الاشارة من الدل والشكل والتَّفَتُّل والتثنى واستدعاء الشهوة ، وغير ذلك من الامور

قد قلنا فى الدلالة بالاشارة ، فاما الخط فمما ذكر الله تبارك وتعالى فى كتابه من فضيلة الخط والانعام بمنافع الكتاب قوله لنبيه ﷺ « إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » وأقسم به فى كتابه المنزل على نبيه المرسل ﷺ حيث قال « نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ » ولذلك قالوا : القلم أحد اللسانين . كما قالوا : قلة العيال أحد اليسارين . وقالوا : القلم أبقى أثراً ، واللسان أكثر هذراً . وقال عبدالرحمن بن كيسان : استعمال القلم أجدر أن يحض الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام . وقالوا : اللسان مقصور على القريب الحاضر ، والقلم مطلق في الشاهد والغائب ، وهو للغابر الكائن ، مثله للقائم الراهن . والكتاب يقرأ بكل مكان ، ويدرس فى كل زمان ، واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه الى غيره

وأما القول فى العقد ، وهو الحساب ، دون اللفظ والخط ، فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به قول الله عز وجل « فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » وقال جل وتقدس « الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ؛ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ » وقال تبارك وتعالى « هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ » وقال تبارك وتعالى « وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ » والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة ، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب فى الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل ذكره معنى الحساب فى الآخرة

وفى عدم اللفظ وفساد الخط ، والجهل بالعقد ، فساد جل النعم ، وفقدان جمهور المنافع ، واختلال كل ما جعله الله عز وجل لنا قواما ، ومصلحة ونظاما

وأما النصبة فهى الحال الناطقة بغير اللفظ ، والمشيرة بغير اليد . وذلك ظاهر فى خلق السموات والارض ، وفى كل صامت وناطق ، وجامد ونام ، ومقيم وظاعن ، وزائد وناقص . فالدلالة التى فى الموات الجامد ، كالدلالة التى فى الحيوان الناطق .

فالصامت ناطق من جهة الدلالة ، والعجماء معربة من جهة البرهان . ولذلك قال الاول : سل الارض فقل : من أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ؟ فان لم تجبك حواراً ، أجابتك اعتباراً . وقال بعض الخطباء : أشهد أن السموات والارض آيات دالات ، وشواهد قائمات ، كل يؤدى عنك الحجة ، ويعرب عنك بالربوبية موسومة بآثار قدرتك ، ومعالم تدبيرك التى تجليت بها لخلقك ، فأوصلت الى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر ورجم الظنون ، فهى على اعترافها لك ، وذلها اليك ، شاهدة بانك لا تحيط بك الصفات ، ولا تحدك الاوهام ، وأن حظ المفكر فيك الاعتراف لك . وقال خطيب من الخطباء حين قام على سرير الاسكندر وهو ميت : الاسكندر كان أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس . ومتى دل الشىء على معنى فقد أخبر عنه وان كان صامتا ، وأشار اليه وان كان ساكتا

وهذا القول شائع فى جميع اللغات ؛ ومتفق عليه مع افراط الاختلافات

وأنشد أبو الرديني العكلى فى تنسم الذئب للريح واستنشاقه واستراحه :

يَسْتَخْبِرُ الرِّيحَ إذا لم يسمعِ ... بِمِثْلِ مِقْراعِ الصَّفَا الموقَّعِ

المقراع : الفأس التى يكسر بها الصخر . والموقع : المحدد ، يقال : وقعت الحديدة اذا حددتها . وقال عنترة بن شداد العبسى ، وجعل نعيب الغراب خبرا للزاجر :

حَرِقُ الجَناحِ كأنَّ لَحْيَ رأسِهِ ... جَلَمَانِ بالأخبار هَشٌّ مُولَعُ

الحرق : الاسود . شبه لحييه بالجلمين لان الغراب يخبر بالفرقة والغربة ، ويقطع كما يقطع الجلمان . وقال الراعى :

إن السَّماءَ وإن الريحَ شاهدةٌ ... والأرضُ تشهدُ والأيامُ والبلدُ

لقد جزيت بنى بَدرٍ بِبَغْيِهم ... يومَ الهباءةِ يوماً ما له قَوَدُ

وقال نُصَيبٌ فى هذا المعنى يمدح سليمان بن عبد الملك :

أقول لرَكب صادِرِينَ لَقِيتُهم ... قِفا ذات أوشال ومولاكَ قارِبُ

قِفُوا نَخبِّرونا عن سُليمانَ إنَّنى ... لِمعروفه من آل ودَّانَ طالب

فعاجُوا فأثنوا بالذي أنت أهلهُ ... ولو سكتوا أثْنَتْ عليك الحقائِب

وهذا كثير جدا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : قيمة كل انسان مايحسن

فلو لم نقف من هـذا الـكتاب الا على هذه الـكلمة لوجدناها كافية شافية ، ومجزية مغنية ، بل لوجدناها فاضلة على الـكفاية ، وغير مقصرة عن الغاية

وأحسن الـكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه ، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحـكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله. فاذا كان المعنى شريفاً ، واللفظ بليغا ، وكان صحيح الطبع ، بعيداً من الاستكراه ، ومنزهاً عن الاختلال ، مصوناً عن التـكلف ، صنع فى القلب صنيع الغيث فى التربة الـكريمة . ومتى فصلت الـكلمة على هذه الشريطة ، وتقذت من قائلها على هذه الصفة ، أصحبها الله من التوفيق ، ومنحها من التأييد مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة

وقد قال عامرُ بنُ عبد القيس : الـكلمة اذا خرجت من القلب وقعت فى القلب ، واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان

قال الحسن رضي الله تعالى عنه ـ وسمع متكلما يعظ فلم تقع موعظته بموضع من قلبه ولم يرق عندها ـ ياهـذا إن بقلبك لشرا أو بقلبى . وقال على بن الحسين ابن على رضى الله عنهم . لو كان الناس يعرفون جملة الحال فى فضل الاستبانة ، وجملة الحال فى صواب التبيين ، لاعربوا عن كل مانخالج فى صدورهم ، ولوجدوا من برد اليقين مايغنيهم عن المنازعة الى كل حال سوى حالهم ، وعلى أن دَرَكَ ذلك كان يعدمهم فى الايام القليلة العدة ، والفكرة القصيرة المدة ، ولـكنهم من بين مغمور بالجهل ، ومفتون بالعجب ، ومعدول بالهوى عن باب التثبت ، ومصروف بسوء العادة عن تفضيل التعلم . وقد جمع محمد بن على بن الحسين صلاح شأن الدنيا بحذافيرها فى كلمتين فقال : صلاح شأن جميع التعايش والتعاشر ملء مكيال : ثلثاه فطنة ، وثلثه تغافل فلم يجعل لغير الفطنة نصيبا من الخير ، ولا حظا فى الصلاح . لان الانسان لا يتغافل إلا عن شيء قد فطن له وعرفه

وذكر هذه الثلاثة الاخبار ابرهيم بن داحة ، عن محمد بن عمير . وذكرها صالح بن على الاقفم عن محمد بن عمير ، وهؤلاء جميعا من مشايخ الشيع ، وكان ابن عمير أغلاهم وأخبرنى ابرهيم بن السندى ، عن على بن صالح الحاجب ، عن العباس بن محمد

قال : قيل لعبد الله بن عباس : أنى لك هذا العلم ؟ قال : قلب عقول، ولسان سؤول. وقد رووا هذا الكلام عن دَغْفل بن حنظلة (١) العلامة ، وعبد الله أولى به منه. والدليل على ذلك قول الحسن : إن أول من عرف بالبصرة ابن عباس، صعد المنبر فقرأ سورة البقرة ففسرها حرفا حرفا ، وكان مِثجّا يسيل غربا

المثج : السائل الكثير ، وهو من الثجاج. والغرب ههنا الدوام

أخبرنا هِشام بن حسان وغيره قال : قيل للحسن : يا أبا سعيد ، ان قوما زعموا انك تذم ابن عباس ؟ قالوا : فبكى حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : إن ابن عباس كان من الاسلام بمكان ، ان ابن عباس كان من العلم بمكان ، وكان والله له لسان سؤول، وقلب عقول ، وكان والله مثجاً يسيل غربا

قالوا : وقال على بن عبد الله بن عباس : من لم يجد مس نقص الجهل فى عقله، وذل المعصية فى قلبه ، ولم يستبن موضع الخلة فى لسانه عند كلال حده عن حد خصمه، فليس ممن يفزع عن ريبة ، ولا يرغب عن حال معجزة ، ولا يكترث لفصل ما بين حجة وشبهة قالوا : وذكر محمد بن على بن عبد الله بن عباس بلاغة بعض أهله فقال: انى لا كره أن يكون مقدار لسانه فاضلا عن مقدار علمه ، كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله

وهذا كلام شريف نافع، فاحفظوا لفظه وتدبروا معناه

ثم اعلموا أن المعنى الحقير الفاسد، والدنىء الساقط، يعشش فى القلب، ثم يبيض ثم يفرخ ، فاذا ضرب بجرانه ، ومكن لعروقه ، استفحل الفساد وبزل ، وتمكن الجهل وفرخ ، فعند ذلك يقوى داؤه، ويمتنع دواؤه . اللفظ الهجين الردىء، والمستكره الغبى أعلق باللسان ، وآلف للسمع ، وأشد التحاما بالقلب ، من اللفظ النبيه الشريف والمعنى الرفيع الكريم . ولو جالست الجهال والنوكى، والسخفاء والحمقى، شهرا فقط لم تنق من أوضار كلامهم، وخبال معانيهم بمجالسة أهل البيان والعقل دهرا. لان الفساد أسرع الى الناس وأشد التحاما بالطبائع . والانسان بالتعلم والتكلف وبطول الاختلاف

(١) دغفل بن حنظلة السدوسي الشيبانى . كان مضرب المثل فى معرفته أنساب العرب . فكانوا يقولون «انسب من دغفل» ادرك النبى ﷺ ولم يروعنه شيئا، وله مع ابى بكر محاورة فى النسب تزيد عليه فيها . وقد وصف العلم فقال : إن للعلم آفة وإضاعة ، ونكدا واستجاعة ، فآفته النسيان، واضاعته أن تحدث به من ليس بأهله ، ونكده الكذب فيه، واستجاعته أن صاحبه منهوم لا يشبع . قتله الازارقة

الى العلماء ، ومدارسة كتب الحكماء ، يجود لفظه، ويحسن أدبه . وهو لا يحتاج فى الجهل الى اكثر من ترك التعلم ، وفى فساد البيان الى اكثر من ترك التخير

ومما يؤكد قول محمد بن على بن عبد الله بن عباس قول بعض الحكماء حين قيل له : متى يكون الادب شراً من عدمه ؟ قال : اذا كثر الأدب، ونقصت القريحة. وقد قال بعض الأولين : من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه، كان حتفه فى أغلب خصال الخير عليه . وهذا كله قريب بعضه من بعض

وذكر المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ عُمرَ بنَ الخطاب رضى الله عنه فقال . كان والله أفضل من أن يخدع، وأعقل من أن يخدع . وقال محمد بن على بن عبد الله بن عباس : كفاك من علم الدين أن تعلم مالا يسع جهله ، وكفاك من علم الادب أن تروى الشاهد والمثل . وكان عبد الرحمن بن اسحق القاضي يروى عن جده ابرهيم بن سلمة قال : سمعت أبا مسلم يقول : سمعت الامام ابرهيم بن محمد يقول : يكفى من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع

قال أبو عثمان : وأما أنا فأستحسن هذا القول جداً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله . وصلى الله على سيدنا محمد خاصة ، وعلى الانبياء عامة

أخبرنى أبو الزبير كاتب محمد بن حسان ، وحدثنى محمد بن أبان ـ ولا أدرى كاتب من كان ـ قالا : قيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل . وقيل لليونانى : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الاقسام ، واختيار الكلام . وقيل للرومى : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يوم الاطالة . وقيل للهندى: ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الاشارة . وقال بعض أهل الهند : جماع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة . ثم قال : ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الافصاح بها الى الكناية عنها، اذ كان الافصاح أوعر طريقة ، وربما كان الاضراب عنها صفحاً أبلغ فى الدرك وأحق بالنظر

وقال مرة : جماع البلاغة التماس حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول ، وقلة الحرف بما التبس من المعانى أو غمض ، وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر . ثم قال وزين ذلك كله وبهاؤه ، وحلاوته وسناؤه ، أن تكون الشمائل موزونة ، والالفاظ

معدلة ، واللهجة نقية ، فان جامع ذلك السن والسمت والجمال وطول الصمت ، فقد تم كل التمام ، وكمل كل الكمال

وخالف عليه سهل بن هرون ـ وكان سهل فى نفسه عتيق الوجه، حسن الاشارة، بعيداً من الفدامة، (١) معتدل القامة ، مقبول الصورة ، يُقضى له بالحكمة قبل الخبرة، وبرقة الذهن قبل المخاطبة ، وبدقة المذهب قبل الامتحان ، وبالنبل قبل التكشف . فلم يمنعه ذلك أن يقول ماهو الحق عنده ، وان أدخل ذلك على حاله النقص ـ قال سهل بن هرون : لو أن رجلين خطبا أو تحدثا أو احتجا أو وصفا ، وكان أحدهما جميلا جليلا بهياً ذا لباس (٢) نبيلا، وذا حسب شريفاً ، وكان الآخر قليلا قميئا وباذ الهيئة دميما ، وخامل الذكر مجهولا ، ثم كان كلامها فى مقدار واحد من البلاغة ، وفي وزن واحد من الصواب ، لتصدع عنهما الجمع وعامتهم تقضى للقليل الدميم على النبيل الجسيم ، وللباذ الهيئه على ذى الهيئة ، ولشغلهم التعجب منه عن مساواة صاحبه ، ولصار التعجب منه سبباً للعجب به ، ولكان الاكثار فى شأنه علةً للاكثار فى مدحه ، لأن النفوس كانت له أحقرَ، ومن بيانه أيئس، ومن حسده أبعد . فاذا هجموا منه على مالم يحتسبوه ، وظهر منه خلاف ماقدروه ، تضاعف حسن كلامه فى صدورهم ، وكبر فى عيونهم ، لان الشيء من غير معدنه أغرب ، وكلما كان أغرب كان أبعد فى الوهم ، وكلما كان أبعد فى الوهم كان أظرف ، وكلما كان أظرف كان أعجب ، وكلما كان أعجب كان أبدع ، وانما ذلك كنوادر كلام الصبيان وملح المجانين، فان ضحك السامعين من ذلك أشد ، وتعجبهم به اكثر ، والناس موكلون بتعظيم الغريب واستطراف البديع ، وليس لهم فى الموجود الراهن المقيم ، وفيما تحت قدرتهم من الرأى والهوى ، مثل الذى معهم فى الغريب القليل ، وفى النادر الشاذ ، وكل ما كان فى ملك غيرهم . وعلى ذلك زهد الجيران فى عالمهم ، والاصحاب فى الفائدة من صاحبهم ، وعلى هذه السبيل يستطرفون القادم عليهم ، ويرحلون الى النازح عنهم ، ويتركون من هو أعم نفعاً، وأكثر فى وجوه العلم تصرفاً، وأخف مؤنة ، وأكثر فائدة

ولذلك قدّم بعض الناس الخارجىّ على العريق ، والطارف على التليد ، وكانوا يقولون : اذا كان الخليفة بليغاً والسيد خطيباً فانك تجد جمهور الناس وأكثر الخاصة فيهما على أمرين ، إما رجلا يعطى كلامهما من التعظيم والتفضيل والاكبار

(١) الفدامة : العى والغباء . (٢) فى نسخة : ولباسا نبيلا ، ولم نرلها معنى فابدلناها بما أثبتناه هنا ليستقيم اللفظ ويدنو المعنى من الصواب

والتبجيل على قدر حالهما فى نفسه، وموقعهما من قلبه . وإما رجلا تعرض له التهمة لنفسه فيهما والخوف من أن يعطى تعظيمه لهما يوهمه من صواب قولهما وبلاغة كلامهما ماليس عندهما ، حتى يفرط فى الاشفاق ويُسرف فى التهمة ، فالاول يزيد فى حقه للذى له فى نفسه. والآخر ينقصه من حقه لتهمته لنفسه ولا شفاقه من أن يكون مخدوعا فى أمره . فاذا كان الحب يعمى عن المساوى ، فالبغض يعمى عن الحقائق والمحاسن . وليس يعرف حقائق مقادير المعانى ومحصول حدود لطائف الامور الا عالم حكيم، أو معتدل الاخلاط (١) عليم . والاقوى المنة، لوثيق العقدة، والذى لا يميل مع ما يستميل الجمهور الاعظم والسواد الاكثر

وكان سهل بن هرون شديد الاطناب فى وصف المأمون فى البلاغة والجهارة ، وبالحلاوة والفخامة ، وجودة اللهجة والطلاوة

واذا صرنا الى ذكر ما يحضرنا من تسمية خطباء بنى هاشم، وبلغاء رجال القبائل قلنا فى وصفهما على حسب حالهما والفرق الذى بينهما ، ولاننا عسى أن نذكر جملة أسماء خطباء الجاهليين والاسلاميين والبدويين والحضريين ، وبعض مايحضرنا من صفاتهم وأقدارهم ومقاماتهم وبالله التوفيق

ثم رجع بنا القول الى ذكر الاشارة : وروى أبو شمر عن معمر أبى الأشعث خلاف القول الاول فى الاشارة والحركة عند الخطبة ، وعند منازعة الرجال ومناقلة الاكفاء

وكان أبو شمر اذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه، ولم يقلب عينيه ، ولم يحرك رأسه، حتى كأن كلامه انما يخرج من صدع (٢) صخرة ، وكان يقضى على صاحب الاشارة بالافتقار الى ذلك وبالعجز عن بلوغ ارادته ، وكان يقول : ليس من المنطق أن تستعين عليه بغيره ، حتى كلمه ابرهيم بن سيار النظام (٣) عند ايوب بن جعفر

---

(١) معتدل الاخلاط : معتدل المزاج (٢) الصدع : الشق

(٣) هو أبو اسحق ابرهيم بن سيار النظام، أحد شيوخ المعتزلة، واستاذ الجاحظ في علم الكلام، وفى انتحال الاعتزال. وكان من ائمة البلاغة وأعيان البيان. قرأ كثيراً من كتب الاوائل واستوعب ما تعلق منها بالطبيعيات والآلهيات ، واستنبط منها مسائل مزجها بكلام المعتزلة وتفرد بها عنهم وصار رأسا « لفرقة النظامية » المنسوبة اليه . وكان جيد المنطق ، حاد الذهن ، سريع الخاطر ، غواصا على المعانى ، دقيق الاستنباط، ذكى الفؤاد. وقد أداه ذلك الى ماذهب اليه من الآراء والافكار. ومن

فاضطره بالحجة وبالزيادة فى المسألة حتى حرك يديه ، وحلّ حبوته وحبا اليه حتى أخذ بيديه . فمى ذلك اليوم انتقل أيوب من قول أبى شمر الى قول ابرهيم

وكان الذى غرّ أبا شمر وموّه له هذا الرأى ان أصحابه كانوا يستمعون منه ، ويسلمون له ، ويميلون اليه ، ويقبلون كل مايورده عليهم ويثبته عندهم ، فلما طال عليه توقيرهم له وترك مجاذبتهم إياه ، وخفت مؤنة الكلام عليه نسى حال منازعة الأكفاء ، ومجاذبة الخصوم . وكان شيخاً وقوراً وزميتاً ركيناً . وكان ذا تصرف فى العلم ، ومذكوراً بالفهم والحلم

قال مَعْمَرٌ أَبُو الأَشْعَثِ : قلت لِبَهْلَةَ الهندى ـ أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباءَ الهند مثل « منكة » و « بازيكر » و « قلبرقل » و « سندباذ » وفلان وفلان ـ

قوله : أن الجوهر مؤلف من اعراض اجتمعت . وليس بين قوله هـذا و بين قول علماء الطبيعة فى عصرنا من انه لا يوجد جوهر فرد غير قابل للتجزئة ، فرق كبير . وكان من صغره يتوقد ذكاء ، ويتدفق فصاحة ، ويفيض بلاغة ، دفعه أبوه وهو صغير الى الخليل ابن احمد ليعلمه فقال له الخليل يوماً ليمتحنه وفى يده قدح زجاج : يا بنى ، صف لى هذه الزجاجة . فقال : أبمدح ام بذم ؟ فقال : بمدح . قال : نعم ، تريك القذى ، وتقيك الأذى ، ولا تسترما ورى . قال : فذمها ، فقال : سريع كسرها ، بطىء جبرها . قال : فصف هذه النخلة ، واوماً الى نخلة فى داره ، فقال : أبمدح أم بذم ؟ قال : بمدح . فقال : حلو مجتناها ، باسق منتهاها ، ناضر أعلاها . قال : فذمها . فقال : صعبة المرتقى ، بعيدة المجتنى ، محفوفة بالاذى . فقال الخليل : يا بنى ، نحن الى التعلم منك أحوج . ثم اشتغل على أبى الهذيل العلاف بمذهب الكلام الى أن برع وظهر فى أيام المعتصم وتبعه خلق كثير . وناظر شيخه أبا الهذيل وظهر عليه مراراً . ووصف يوما عبد الوهاب الثقفى فقال : هو أحلى من أمن بعد خوف ، وبره بعد سقم ، وخصب بعد جدب ، وغنى بعد فقر ، ومن طاعة المحبوب ، وفرج المكروب ، ومن الوصل الدائم ، مع الشباب الناعم . وكان كثير التطير وله فيه أحداث . وله كلام رشيق ، وشعر رقيق . فمن كلامه : العلم شىء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ، فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه لك البعض على خطر . وقال : مما يدل على لؤم الذهب والفضة صيرورتهما عند اللئام ، فالشيء يصير الى شبهه ، والجنسية علة الضم . وقال : اذا كان فى جيرانك جنازة وليس فى بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة ، فان المصيبة عندك اكثر منها عند القوم وبيتك أولى بالمأتم . ولد بالبصرة سنة ١٨٥ هـ ٨٠١ م وتوفى سنة ٢٢١ هـ ٨٣٥ م

ما البلاغة عند أهل الهند ؟ قال بهلة : عندنا فى ذلك صحيفة مكتوبة لا أحسن ترجمتها لك ، ولم أعالج هذه الصناعة فاثق من نفسى بالقيام بخصائصها وتلخيص لطائف معانيها . قال أبو الأشعث : فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة فاذا فيها :

« أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة . وذلك أن يكون الخطيب رابط الجاش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السوقة ، ويكون في قواه فضل للتصرف فى كل طبقة . ولا يدقق المعانى كل التدقيق ، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح ، ولا يصفيها كل التصفية ، ولا يهذبها غاية التهذيب ، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفاً عالما ، ومن قد تعود حذف فضول الكلام واسقاط مشتركات الألفاظ ، قد نظر فى صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة ، لا على جهة الاعتراض والتصفح ، وعلى جهة الاستطراف والتظرف »

وقال من علم : حق المعنى أن يكون الاسم له طبقاً ، وتلك الحال له وفقاً ، ويكون الاسم له لا فاضلا ولا مفضولا ، ولا مقصراً ولا مشتركا ولا مضمناً ، ويكون مع ذلك ذا كراً لما عقد عليه أول كلامه ، ويكون نصفحه لمصادره فى وزن تصفحه لموارده ، ويكون لفظه مؤنقاً ، ولهول تلك المقامات معاوداً ومدار الامر على إفهام كل قوم بقدر طاقتهم . والحمل عليهم على اقدار منازلهم . وأن تواتيه آلته ، وتتصرف معه أداته ، ويكون فى التهمة ، لنفسه معتدلا ، وفى حسن الظن بها مقتصداً ، فانه ان تجاوز مقدار الحق فى التهمة لنفسه ظلمها ، فأودعها ذلة المظلومين ، وان تجاوز الحق فى مقدار حسن الظن بها أمنها ، فأودعها تهاون الآمنين : ولكل ذلك مقدار من الشغل ، ولكل شغل مقدار من الوهن ، ولكل وهن مقدار من الجهل

وقال ابرهيم بن هانئ ـ وكان ماجناً خليعاً ، كثير العبث متمرداً ـ ولولا أن كلامه هذا الذى أراد به الهزل يدخل فى باب الجد لما جعلته صلة الكلام الماضى ، وليس فى الارض لفظ يسقط البتة ولا معنى يبور حتى لا يصلح لمكان من الأماكن ـ قال ابرهيم بن هانئ : من تمام آلة القصص أن يكون القاص أعمى ، ويكون شيخاً بعيد مدى الصوت . ومن تمام آلة الزمر أن تكون الزامرة سوداء . ومن تمام آلة المغنى أن يكون فاره البرذون براق الثنايا ، عظيم الكبر ، سيئ الخلق . ومن تمام آلة الخمار أن يكون ذمياً ، ويكون اسمه أذين ، أو مازيار ، أو ازدانقاذار ، أو ميشا ، أو شلوما ، ويكون أرقط الثياب مختوم العنق . ومن تمام آلة الشعر أن يكون

الشاعر اعرابياً ، ويكون الداعى الى الله صوفيا . ومن تمام آلة السؤدد أن يكون السيد ثقيل السمع عظيم الرأس

ولذلك قال ابن سنان الجديدى لراشد بن سَلَمَةَ الهُذَلى : ماأنت بعظيم الرأس ، ولا ثقيل السمع ، فتكون سيداً ، ولا بأرسح فتكون فارسا . وقال شبيب بن شيبة الخطيب لبعض فتيان بنى منقر : والله مامطلت مطل الفرسان،ولا فتقت فتق السادة قال الشاعر

تُقَلِّبُ رَأْساً لم يكنْ رَأْسَ سيِّدٍ وكفّاً كَكَفِّ الضَّبِّ أوْهِيَ أحْقَرِ

فعاب صغر رأسه وصغر كفه ، كما عاب الشاعر كف عبد الله بن مطيع العدوى حين وجدها غليظة جافية فقال :

دَعَا ابنُ مُطيعٍ للبياعِ فجئتُهُ إلَى بَيْعَةٍ قلبي لها غيرُ آلِفِ

فناولنى خَشْناءَ لمَّا لمَسْتُها بكفّيَ ليستْ من أكُفِّ الخَلائِفِ

وهذ باب يقع فى « كتاب الجوارح » مع ذكر البُرص والعُرج والعسر والأدر والفُلج والحدب والقرع وغير ذلك من علل الجوارح ، وهو وارد عليكم بعد هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

وقال إبرهيم بن هانئ : ومن تمام آلة الشيعى أن يكون وافر الجمة ، صاحب باز بكند . ومن تمام آلة الحارس أن يكون زميتاً قطوباً ، أبيض اللحية ، أقنى أجنى ، وصاحب تكلم بالفارسية

وأخبرنى ابرهيم بن السندى قال : دخل العمانى الراجز على الرشيد لينشده شعراً وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج فقال : إياك أن تنشدنى الا وعليك عمامة عظيمة الكور ، وخفان دمالقان. قال ابرهيم ، قال أبو نصر : فبكر عليه من الغد وقد تزيا بزى الاعراب فأنشده ثم دنا منه فقبل يده وقال : ياأمير المؤمنين قد والله أنشدت مروان ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته ، وأنشدت يزيد بن الوليد ، وابرهيم بن الوليد ورأيت وجوههما وقبلت أيديهما وأخذت جوائزهما،وأنشدت السفاح ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته ، وأنشدت المنصور ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته ، وأنشدت المهدى ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته ، وأنشدت الهادى ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته ، هذا الى كثير من أشباه الخلفاء وكبار الأمراء، والسادة الرؤساء ، ولا والله أن رأيت فيهم،

أبهى منظراً ، ولا أحسن وجهاً ، ولا أنعم كفاً ، ولا أندى راحة ، منك ياأمير المؤمنين ووالله لو ألقى فى روعى أنى أتحدث عنك ماقلت لك ماقلت. فأعظم له الجائزة على شعره ، وأضعف له على كلامه ، وأقبل عليه فبسطه حتى تمنى والله جميع من حضر انهم قاموا ذلك المقام

ثم رجع بنا القول الى الكلام الاول . قال ابن الاعرابى ، قال معاوية بن أبى سفيان لصحار بن عياش العبدى : ماهذه البلاغة التى فيكم ؟ قال : شىء نجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا . فقال له رجل من عرض القوم : ياأمير المؤمنين [هم] بالبسر والرطب أبصر منهم بالخطب . فقال له صحار : أجل ، والله انا لنعلم ان الريح لتنفخه ، وأن البرد ليعقده ، وأن القمر ليصبغه ، وان الحر لينضجه . فقال له معاوية : ماتعدون البلاغة فيكم ؟ قال : الايجاز . قال له معاوية : وما الايجاز ؟ قال له صحار: أن تجيب فلا تبطىء ، وأن تقول فلا تخطىء. فقال معاوية : أو كذلك تقول ؟ قال صحار : أقانى ياأمير المؤمنين ، لا تبطىء ولا تخطىء

وشأن عبد القيس عجيب ، وذلك انهم بعد محاربة إياد تفرقوا فرقتين : ففرقة وقعت بعمان وشق عمان ، وفيهم خطباء العرب ، وفرقة وقعت الى البحرين وشق البحرين ، وهم من أشعر قبيلة فى العرب . ولم يكونوا كذلك حين كانوا فى سرة البادية ، وفى معدن الفصاحة ، وهذا عجب . ومن خطبائهم المشهورين صعصعة بن صوحان ، وزيد بن صوحان ، وشيخان بن صوحان . ومنهم صحار بن عياش . وصحار من شيعة عثمان ، وبنو صوحان من شيعة على. ومنهم مصقلة بن رقبة ، ورقبة بن مصقلة ، وكرب بن رقبة

وإذا صرنا إلى ذكر الخطباء والنسابين ذكرنا من كلام كل واحد منهم بقدر مايحضرنا وبالله التوفيق

قال لى ابن الاعرابى ، قال لى المفضل بن محمد الضبى(١) ، قلت لاعرابى منا : ماالبلاغة ؟ قال : الايجاز فى غير عجز ، والاطناب فى غير خطل . قال ابن الاعرابى فقلت للمفضل : ما الايجاز عندك ؟ قال : حذف الفضول ، وتقريب البعيد . قال ابن الاعرابى : قيل لعبد الله بن عمر : لو دعوت الله لنا بدعوات ؟ فقال : اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا . فقال رجل : لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : نعوذ بالله من الاسهاب

(١) أنظر ترجمة المفضل محررة بقلمنا فى كتاب المفضليات الذى شرحناه ونشر حديثاً

﴿ باب ذكر ناس من البلغاء والخطباء والابيناء والفقهاء والامراء ﴾
(ممن لا يكاد يسكت مع قلة الخطأ والزلل)

منهم زيد بن صوحان

ومنهم أبو وائله إياس بن معاوية المزنى القاضى القائف وصاحب الزكن والمعروف بجودة الفراسة ، ولكثرة كلامه قال له عبدالله بن شُبْرُمَة : أنا وأنت لا نتفق ، انت لا تشتهى ان تسكت ، وانا لا اشتهى ان اسمع ، واتى حلقة من حلق قريش فى مسجد دمشق فاستولى على المجلس ، ورأوه احمر دمما باذ الهيئة قشيفاً فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا اليه وقالوا : الذنب مقسوم بيننا و بينك ، اتيتنا فى زى مسكين تكلمنا بكلام الملوك . ورايت ناسا يستحسنون جواب إياس حين قيل له : ما فيك عيب غير انك معجب بقولك . قال : أفأعجبكم قولى ؟ قالوا : نعم . قال : فانا احق بان اعجب بما اقول و بما يكون منى ـ منكم

والناس حفظك الله لم يضعوا ذكر العجب فى هذا الموضع . والمعيب عند الناس ليس هو الذى يعرف ما يكون منه من الحسن . والمعرفة لا تدخل فى باب التسمية بالعجب ، والعجب مذموم . وقد جاء فى الحديث « إن المؤمن من ساءته سيئته وسرته حسنته » وقيل لعمر : فلان لا يعرف الشر . قال : ذلك أجدر أن يقع فيه . وانما العجب اسراف الرجل في السرور بما يكون منه ، والافراط في استحسانه حتى يظهر ذلك منه فى لفظه وفى شمائله . وهو كالذى وصف به صَعْصَعَةُ بنُ صُوْحَان المُنذِرَ بنَ الجارود عند على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال : أما والله انه مع ذلك لنظار فى عطفيه ، تفال فى شراكيه ، تعجبه حمرة برديه

قال أبو الحسن : قيل لاياس : مافيك عيب إلا كثرة الكلام . قال : فتسمعون صوابا أم خطأ ؟ قالوا : بل صوابا . قال : فالزيادة من الخير خير . وليس كما قال ، للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية ، وما فضل عن مقدار الاحتمال ، ودعا إلى الاستثقال والملال ، فذلك الفاضل هو الهذر ، وهو الخطل ، وهو الاسهاب الذى سمعت الحكماء يعيبونه . وذكر الأصمعى أن عمر بن هبيرة لما أراده(١) على القضاء قال : إنى لا أصلح له . قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنى عيى ، ولأنى دميم ، ولأنى حديد . قال

(١) لما أراده : يعنى لما أراد إياس بن معاوية

ابنُ هُبيرة : أما الحدة فان السوط يقوّمك ، وأما الدَّمامة فانى لا أريد أن أحاسن بك أحداً ، وأما العى فقد عبرت عما تريد. فان كان إياس عند نفسه عيياً ، فذاك أجدر ان يهجر الاكثار . وبعد هذا فما نعلم أحداً رمى إياساً بالعى وإنما عابوه بالاكثار . وذكر صالح بن سليمان عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث قال : مارأيت عقول الناس إلا قريباً بعضها من بعض ، إلا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف ، وإياس بن معاوية ، فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس كثيراً . وقال قائل لاياس : لم تعجل بالقضاء ؟ فقال له إياس : كم لكفك من إصبع ؟ قال : خمس . قال : عجلت . قال : لم يعجل من قال بعد ماقتل الشيء علماً ويقينا . قال إياس : فهذا هو جوابى لك . وكان كثيراً ماينشد قول النابغة الجعدى :

أبَى لى البَلاءُ وأنى امرؤٌ إذَا ماتَبَيَّنْتُ لم أرْتَبِ

قال: ومدح سَلَمَةُ بنُ عياشٍ سوَّارَ بنَ عبد الله بمثل ماوصف به إياس نفسه حين قال :

وأوقَفَ عند الأمرِ مالم يَبِنْ لهُ وأمْضَى إذا ماشَكَّ ما كان ماضيا

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى الى عدىّ بن أرطاة : انَّ قِبلك رجلين من مزينة فول أحدهما قضاء البصرة . يعنى بكر بن عبد الله المزنى ، وإياس بن معاوية . فقال بكر : والله ما أحسن القضاء ، فان كنت صادقاً فما يحل لك أن توليني ،وان كنت كاذباً انها لأحراها. وكانوا اذا ذكروا البصرة قالواشيخها الحسن، وفتاها بكر. وقال اياس بن معاوية : لست بخب والخب لايخدعنى، ولا يخدع ابن سيرين، وهو يخدع أبى ويخدع الحسن . ودخل الشام وهو غلام فتقدم خصماً له ـ وكان الخصم شيخاً كبيراً ـ الى بعض قضاة عبد الملك بن مروان، فقال له القاضى: أتتقدم شيخاً كبيراً ؟ قال الحق اكبر منه . قال : أسكت . قال : فمن ينطق بحجتى؟ قال : لا أظنك تقول حقاً حتى تقوم ؟ قال : لااله الا الله ، أحقاً هذا أم باطلا ؟ فقام القاضى فدخل على عبد الملك من ساعته فخبره بالخبر . فقال عبد الملك : اقض حاجته الساعة وأخرجه من الشام لايفسد علىَّ الناس. فاذا كان من إياس وهو غلام يخاف على جماعة أهل الشام فما ظنك به وقد كبرت سنه، وعض ناجذه؟

وجملة القول فى اياس انه كان من مفاخر مضر ، ومن مقدمى القضاة ، وكان فقيه البدن، رقيق المسلك فى الفطن، وكان صادق الحدس نقاباً، وعجيب الفراسة ملهما ،وكان

عفيف الطعم ، كريم المدخل والشيم ، وجيها عند الخلفاء ، مقدما عند الاكفاء . وفى مُزينة خير كثير

ثم رجعنا الى القول الاول : ومنهم ربيعة الرأى وكان لا يكاد يسكت . قالوا : وتكلم يوما فاكثر وأعجب بالذى كان منه ، فالتفت الى اعرابى كان عنده فقال : ياأعرابى ، ما تعدون العى فيكم ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم . وكان يقول : الساكت بين النائم والاخرس

ومنهم عبيد الله بن محمد بن حفص التيمى ، ومحمد بن حفص هو ابن عائشة ، ثم قيل لعبيد الله بن أبى عائشة ، وكان كثير العلم والسماع ، متصرفا فى الخبر والاثر ، وكان من أجود قريش ، وكان لا يكاد يسكت ، وهو فى ذلك كثير الفوائد . وكان أبوه محمد ابن حفص عظيم الشأن كثير العلم ، بعث اليه ميخاب خليفته فى بعض الامر . فأتاه فى حلقته فى المسجد . فقال له فى بعض كلامه : أبو من أصلحك الله ؟ فقال له : هلا عرفت هذا قبل مجيئك ؟ وان كان لا بد لك من هذا فاعترض من شئت فاسأله . فقال له : إنى أريد أن تخلينى . قال : أفى حاجة لك أم فى حاجة لى ؟ قال : بل فى حاجة لى . قال : فالقنى فى المنزل . قال : فان الحاجة لك . قال : مادون اخوانى ستر

ومنهم محمد بن مسعر العقيلى ، وكان كريما ، كريم المجالسة ، يذهب مذهب النساك ، وكان جواداً . مر صديق له من بنى هاشم بقصر له و بستان نفيس فبلغه أنه استحسنه فوهبه له

ومنهم أحمد بن المُنذِل بن غَيْلان ، كان يذهب مذهب مالك ، وكان ذا بيان وتبحر فى المعانى وتصرف فى الالفاظ

وممن كان يكثر الكلام جداً الفَضْلُ بنُ سَهْلٍ ، ثم الحسن بن سهل فى أيامه . وحدثنى محمد بن الجهم ودؤاد بن أبى دؤاد قالا : جاس الحسن بن سهل فى مصلى الجماعة لنُعيم بن حازم ، فاقبل نعيم حافيا حاسرا وهو يقول : ذنبى أعظم من السماء ، ذنبى أعظم من الهواء ، ذنبى أعظم من الماء . قالا : فقال الحسن بن سهل : على رسلك تقدمت منك طاعة ، وكان آخر أمرك الى توبة ، وليس للذنب بينهما مكان وليس ذنبك فى الذنوب باعظم من عفو أمير المؤمنين فى العفو

ومن هؤلاء على بن هشام ، وكان لا يسكت ولا أدرى كيف كان كلامه

قال وحدثنى مهدى بن ميمون قال : حدثنا غيلان بن جرير قال : كان مطرف ابن عبدالله يقول : لا تطعم طعامك من لا يشتهيه . يقول : لا تقبل بحديثك على من

لا يقبل عليك بوجهه . وقال عبدالله بن مسعود : حدث الناس ماحدجوك باسماعهم ولحظوك بابصارهم ، فاذا رأيت منهم فترة فامسك . قال : وجعل السماك يوما يتكلم وجارية له حيث تسمع كلامه ، فلما انصرف اليها قال لها : كيف سمعت كلامى ؟ قالت: ما أحسنه لولا أنك تكثر ترداده ؟ فقال : أردده حتى يفهمه من لم يفهمه . قالت : الى أن يفهمه من لم يفهمه قد ملّه من فهمه . قال عباد بن عَوام عن شُعبة ، عن قتادة ، قال : مكتوب فى التوراة : لا يعاد الحديث مرتين . وسفيان بن عيينة عن الزهرى قال : إعادة الحديث أشد من نقل الصخر . وقال بعض الحكماء : من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤنة الاستماع منك

وجملة القول فى الترداد أنه ليس فيه حد ينتهى اليه ولا يؤنى الى وصفه ، وانما ذلك على قدر المستمعين له ومن يحضره من العوام والخواص . وقد رأينا الله عز وجل ردد ذكر قصة موسى وهود وهرون وشعيب وابرهيم ولوط وعاد وثمود ، وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة . لانه خاطب جميع الامم من العرب وأصناف العجم وأكثرهم غبى غافل ، أو معاند مشغول الفكر ساهى القلب . وأما حديث القصص والرقة فانى لم أر أحداً يعيب ذلك ، وما سمعناه باحد من الخطباء كان يرى إعادة بعض الالفاظ وترداد المعانى عياً إلا ما كان من النَّخَّارِ بنِ أَوْسٍ العُذْرِىّ (١) فانه كان إذا تكلم فى الحمالات ، وفى الصفح والاحتمال ، وصلاح ذات البين ، وتخويف الفريقين من التفانى والبوار ، كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف ، وربما حمى فنخر

قال ثُمامة بن أشرس : كان جعفر بن يحيى أنطق الناس ، قد جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة ، وإفهاماً يغنيه عن الاعادة ، ولو كان فى الارض ناطق يستغنى بمنطقه عن الاشارة لاستغنى جعفر عن الاشارة ، كما استغنى عن الاعادة . وقال مرة : مارأيت أحداً كان لا يتحبس ، ولا يتلجلج ، ولا يتنحنح ، ولا يرتقب لفظاً قد استدعاه من بعد ، ولا يلتمس التخلص الى معنى قد تعصى عليه طلبه ، أشد اقتداراً ولا أقل تكلفاً من جعفر بن يحيى . وقال ثُمامة : قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ قال : أن يكون

(١) النخار بن أوس بن الحرث بن هزيم القضاعى . كان من المقدمين فى علم النسب ، وقال عنه ابوعبيدة انه انسب العرب . وكان فصيحا بليغاً منطيقا ، دخل معاوية فازدراه وكان عليه عباءة فقال : إن العباءة لا تكلمك

الاسم يحيط بمعناك ، ويُجَلِّى عن مغزاك ، ونخرجه من الشركة، ولا تستعين عليه بالفكرة. والذى لا بد منه أن يكون سليما من التكلف ، بعيداً من الصنعة ، بريئا من التعقيد ، غنياً عن التأويل

وهذا هو تأويل قول الأصمعى : البليغ من طبق المفصل ، وأغناك عن المفسر

خبرنى جعفر بن سعيد رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه قال : ذكرت لِعَمْرِو بن مَسْعَدَةَ توقيعات جعفر بن يحيى قال : قد قرأت لام جعفر توقيعات فى حواشى الكتب وأسافلها فوجدتها أجود اختصارا وأجمع للمعانى . قال : ووصف اعرابى أعرابيا بالإيجاز والاصابة فقال . كان والله يضع الهناء مواضع النقب . يظنون أنه نقل قول دُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّةِ فى الخنساء بنت عمرو بن الشريد الى ذلك الموضع . وكان دريد قال فيها :

ما إنْ رَأَيْتُ ولاَ سَمِعْتُ بِهِ كَاليوم طَالِى أَيْنُقٍ جُرُبِ (١)
مُتَبَذِّلاً تَبْدُو محاسِنُهُ يَضَعُ الْهِنَاءَ مواضِعَ النُّقْبِ

ويقولون فى إصابة عين المعنى بالكلام الموجز : فلان يفل المحز ، ويصيب المفصل . وأخذوا ذلك من صفة الجزار الحاذق فجعلوه مثلا للمصيب الموجز . وأنشدنى أبو قطن الغنوى . وهو الذى يقال له شهيد الكرم، وكان أبين من رأيته من أهل البدو والحضر :

فلو كنتُ مولَى قَيْسِ عَيْلاَنَ لَم تَجِدْ علىَّ لمخلوقٍ مِنَ النَّاسِ دِرْهَمَا
وَلَكنني مولَى قُضَاعَةَ كلِّهَا فلستُ أُبَالِى أنْ أدِينَ وَتَغْرَمَا
أولئك قومٌ بارَكَ اللهُ فيهمُ على كلِّ حالٍ ما أعَفَّ وَأكْرَمَا
جُفَاةُ المَحَزِّ لاَ يُصيبونَ مَفْصِلاً وَلاَ يأكُلونَ اللحمَ الا تَخَذُّمَا (٢)

يقول: هم ملوك وأشباه الملوك، ولهم كفاة فهم لا يحسنون إصابة المفصل وأنشد أبو عبيدة فى مثل ذلك :

وصُلْعُ الرُّؤسِ عِظَامُ البُطُونِ جُفَاةُ المَحَزِّ غِلاَظُ القَصَرْ (٣)

---

(١) كان فى الاصل من كلمة «فى الناس» ولما كانت الرواية الصحيحة « كاليوم» فقد اثبتناها هنا ايثاراً للصحيح على الفاسد (٢) التخذم :التكلف (٣) القصر :

وكذلك :

ليسَ براعى إبلٍ وَلاَ غنَمْ وَلاَ بجزّارٍ على ظهرٍ وَضَمْ(١)

وقال الاخر وهو ابنُ الزّبَعْرى :

وفتيانِ صدقٍ حسانِ الوجوهِ لايجدونَ لشئ ألَمْ

مِنَ آلِ المغيرَةِ لاَ يَشْهَدونَ عندَ المجازِرِ لحمَ الوَضَمْ

وقال الراعى فى المعنى الاول :

فَطَبَّقْنَ عَرْضَ القُفِّ حتى لَقِينَهُ كَما طَبَّقَتْ في العَظْمِ مُدْيَةُ جازِرِ

وأنشد الأصمعى :

وكفٌّ قَىً لم يعرفِ السَّلْخَ قبلَهَا تَجُورُ يَداهُ في الأديمِ وتَجْرَحُ

وأنشد الاصمعى :

الاعناق (١) الوضم والوضمة : خشبة (أرمة) الجزار وقد نسب هذا البيت فى هامش النسخة التى طبعت سنة ١٣٣٢ الى الشريف الرضي مع أن الجاحظ كانت وفاته فى سنة ٢٥٥ وكانت ولادة الشريف فى سنة ٣٥٩ ، وقد كتبنا فى هذا وأمثاله نقداً نشرناه بجريدتنا «التمرات» بعددها الصادر في ٢٠ يونيه سنة ١٩١٦. هذا والصحيح أن هذا البيت من أرجوزة لرشيد بن رميض العنزى فى شريح بن ضبيعة المعروف بالحطم . وكان شريح هـذا غزا اليمن فى جموع من ربيعة فغنم وأسر وسبى، وكان من أسراه فرعان بن مهدى بن معديكرب عم الاشعث بن قيس الكندى فمر فى عودته بمفازة ضل فيها الدليل ومات فرعان فى أيديهم عطشاً مع خلق كثير، وجعل شريح يسوق بأصحابه سوقا عنيفاً حتى أدركوا الماء فقال فيه رشيد :

هذا أوان الشد فاشتدى زيم نام الحداة وابن هند لم ينم

بات يقاسيها غلام كالزلم خدلج الساقين خفاق القدم

قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعى ابل ولا غنم

ولا بجزار على ظهر وضم

فلقب من يومئذ بالحطم لقول رشيد فيه . أدرك الحطم الاسلام وأسلم ثم ارتد بعد وفاة النبى ﷺ

لا يُمسِكُ العُرْفَ إلاَّ رَيْثَ يُرْسِلُهُ ولا يُلاطِمُ عندَ اللَّحْمِ في السُّوقِ

وقد فسر ذلك لبيد بن ربيعة وبيّنه وضرب المثل به حيث قال فى الحكم بين عامر ابنِ الطُّفَيْلِ وعَلْقَمَةَ بنِ عَلاثَةَ :

يا هَرِمَ ابنَ الأكْرَمِينَ مَنْصِبا إنَّكَ قد أُوتِيتَ حُكْماً مُعْجِبا

فَطَبِّقِ المَفْصِلَ واغْنَمْ طَيِّبا

يقول : أحكم بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة بكلمة فصل و بأمر قاطع فتفصل بها بين الحق والباطل كما يفصل الجزار الحاذق مفصل العظمين . وقد قال الشاعر فى هرم :

قَضَى هَرِمٌ يومَ المِرِبَّةِ بَيْنَهُمْ قَضاءَ امرِيءٍ بالأوَّلِيَّةِ عالِمِ

قَضَى ثم وَلَّى الحُكْمَ مَنْ كانَ أهْلَهُ وليس ذُنابَى الرِّيشِ مثلَ القَوادِمِ

ويقال فى الفحل اذا لم يحسن الضراب: جمل عياياء ، وجمل طباقاء. وقالت امرأة فى الجاهلية تشكو زوجها : زوجى عَياياء طباقاء وكل داء له دواء . حتى جعلوا ذلك مثلا للعى الفدم الذى لا يتجه للحجة . وقال الشاعر :

طِباقاءُ لم يَشْهَدْ خُصوماً ولم يَقُدْ رِكاباً الى أكْوارِها حِينَ تَعْكِفُ

وذكر زُهَيْرُ بنُ أبى سُلْمَى الخَطَلَ فعابه فقال :

وذِى خَطَلٍ في القولِ يَحْسَبُ أنَّهُ مُصيبٌ فما يُلْمِمْ به فهو قائِلُهْ

عَبَأْتُ له حلماً وأكْرمتُ غيرَهُ وأعرضْتُ عنه وهو بادٍ مَقاتِلُهْ

وقال الشاعر :

شُمْسٌ اذا خَطَلَ الحديثُ أوانِسٌ يَرْقُبْنَ كلَّ مُجَذَّرٍ تِنْبالِ

الشمس : مأخوذة من الخيل وهى الخيل المرحة الضاربة بأذنها من النشاط . والمجذر : القصير . والتنبال : القصير الدنىء

وقال ابو الاسود الدؤلى — واسم أبى الاسود ظالم بن عمرو — وكان من المقدمين فى العلم :

وشَاعِرِ سُوءٍ يَهْضِبُ القول ظالما كما اقْتَمَّ أعْشَى مُظْلِم الليلِ حاطِب

وأنشد :

أعوذُ باللهِ الأعَزِّ الأكْرَمِ مِن قَوْلَىَ الشيءِ الذى لم أعْلَمِ

تَخَبُّطَ الأعمى الضريرِ الأيْهَمِ

وقال ابرهيم بن هرمة فى تطبيق المفصل ، وتلحق هذه بمعانى أخواتها قبل :

وعَمِيمَةٍ قد سُقْتُ فيها عائراً غُفْلاً وفيها عائرٌ مَوْسُومُ

طَبَّقتُ مَفْصِلَهَا بِغَيْرِ حَدِيدةٍ فرآى العَدُوُّ عنَاىَ حَيْثُ أقومُ

وهذه الصفات التى ذكرها ثمامة بن أشرس فوصف بها جعفر بن يحيى كان ثمامة بن أشرس قد انتظمها لنفسه واستولى عليها دون جميع اهل عصره . وما علمت أنه كان فى زمانه قَرَوِىٌّ ولا بلدى كان بلغ من حُسن الإفهام مع قِلة عدد الحروف ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه . وكان لفظه فى وزن إشارته ، ومعناه فى طبقة لفظه ، ولم يكن لفظه إلى سمعك باسرع من معناه إلى قلبك قال بعض الكتاب : معانى ثمامة الظاهرة فى ألفاظه الواضحة فى مخارج كلامه كما وصف الخُزَيمى شعرَ نفسه فى مديح أبى دُلَف حيث يقول :

لهُ كَلِمٌ فيكَ معْقُولَةٌ إزاء القلوبِ كركْبٍ وُقُوفْ

وأول هذه القصيدة :

أبَا دُلَفٍ دَلَفَتْ حاجَتى إليك وما خلْتُهَا بالدَّلُوف

ويظنون أن الخُزيمى إنما احتذى في هذا البيت على أيوب بن القِرّية حين قال له بعض السلاطين(١) ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : ثلاثة حروف ، كأنهن ركب وقوف ، دنيا وآخرة ومعروف

وحدثنى صالح بن خاقان قال : قال شبيب بن شيبة : الناسُ موكلون بتفضيل جَودة الابتداء و بمدح صاحبه ، وأنا موكل بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه ، وحظ

(١) المراد ببعض السلاطين هنا هو الحجاج بن يوسف الثقفى وله مع ابن القرية خطوب

جودة القافية وإن كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت . ثم قال شبيب : فان ابتليت بمقام لابدّ لك فيه من الاطالة فقدم إحكام البلوغ فى طلب السلامة من الخطل قبل التقدم فى إحكام البلوغ فى شرف التجويد ، وإياك أن تعدل بالسلامة شيئا ، فان قليلا كافياً خير من كثير غير شاف

ويقال انهم لم يروا قط خطيباً بليغا إلا وهو فى أول تكلفه لتلك المقامات كان مستثقلا مستصلفاً أيام رياضته كلها إلى أن يتوقح وتستجيب له المعانى ويتمكن من الالفاظ ، إلا شبيب بن شيبة فانه ابتدأ بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة فلم يزل يزداد منها حتى صار فى كل موقف يبلغ بقليل الكلام مالا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره . قالوا : ولما مات شبيب بن شيبة أتاهم صالح المرى أو بعض من أتاهم للتعزية فقال : رحمة الله على أديب الملوك ، وجليس الفقراء ، وأخى المساكين. وقال الراجز:

اذا غدت سعدٌ على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها
من مطلع الشمس الى مغيبها عجبتُ من كثرتها وطيبها

حدثنى صديق لى قال: قلت للعتابى: ما البلاغة ؟ قال : كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة ، فهو بليغ . فاذا اردت اللسان الذى يروق الالسنة ويفوق كل خطيب باظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل فى صورة الحق. قال: فقلت له: قد عرفت الاعادة والحبسة فما الاستعانة؟ قال: أما تراه اذا تحدث قال عند مقاطع كلامه : ياهناه ، وياهذا ، وياهيه ، واسمع منى ، واستمع الىّ ، وافهم عنى ، أو لست تفهم ؟ أو لست تعقل ؟ فهذا كله وما أشبهه عِىٌ وفساد

قال عبدالكريم بن روح الغفارى ، حدثنى عمر الشمرى قال : قيل لعمرو بن عبيد : ما البلاغة ؟ قال : ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار ، وما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيك . قال السائل : ليس هذا أريد ؟ قال : من لم يحسن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول . قال : ليس هذا أريد ؟ قال : قال النبى ﷺ : إنا معشر الانبياء بِكاء .

أى قليلو الكلام . ومنه قيل : رجل بَكى . وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله

قال السائل : ليس هذا أريد ؟ قال : كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام ، ما لا يخافون من فتنة السكوت ومن سقطات الصمت . قال السائل : ليس

هذا أريد ؟ قال عمرو : فكانك إنما تريد تحبير اللفظ فى حسن الافهام ؟ قال : نعم . قال : إنك إن اردت تقرير حجة الله فى عقول المتكلمين ، وتخفيف المؤنة على المستمعين، وتزيين تلك المعانى فى قلوب المريدين ، بالالفاظ المستحسنة فى الآذان ، المقبولة عند الاذهان ، رغبة فى سرعة استجابتهم ، ونفى الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت فصل الخطاب ، واستوجبت على الله جزيل الثواب

قلت لعبدالكريم : من هذا الذى صبر له عمرو هذا الصبر ؟ قال : قد سألت عن ذلك أبا حفص فقال : ومن كان يجترئ عليه هذه الجراءة الا حفص بن سالم ؟

قال عُمر الشمرى: كان عمرو بن عبيد لا يكاد يتكلم ، فان تكلم لم يكد يطيل. وكان يقول : لا خير فى المتكلم اذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه ، واذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف ،ولا خير فى شىء يأتيك به التكلف

وقال بعضهم ـ وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوّناه ـ لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك .

وكان موسى بن عمران يقول : لم أر أنطق من أيوب بن جعفر ويحى بن خالد. وكان ثمامة يقول : لم أر انطق من جعفر بن يحى بن خالد . وكان سهل بن هرون يقول. لم أر أنطق من المأمون امير المؤمنين . وقال ثمامة : سمعت جعفر بن يحى يقول لكتابه : ان استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا . وسمعت أبا العتاهية يقول: لو شئت أن يكون حديثى كله شعراً موزونا لكان . وقال اسحق بن حسان ابن قوهة : لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط ، سئل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان تجرى فى وجوه كثيرة . فمنها مايكون فى السكوت ، ومنها ما يكون فى الاستماع ، ومنها مايكون فى الاشارة ، ومنها مايكون فى الحديث ، ومنها مايكون فى الاحتجاج ، ومنها مايكون جوابا ، ومنها مايكون ابتداء ، ومنها ما يكون شعراً ، ومنها مايكون سجعاً وخطباً ، ومنها مايكون رسائل . فعامة ما يكون من هذه الابواب ألوحى فيها والاشارة الى المعنى . والايجاز هو البلاغة . فاما الخطب بين السماطين وفى اصلاح ذات البين فالاكثار فى غير خطل ، والاطالة فى غير املال ، وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذى اذا سمعت صدره عرفت قافيته

كأنه يقول : فرّق بين صدر خطبة النكاح ،و بين صدر خطبة العيد ، وخطبة الصلح ، وخطبة المواهب،حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه ، فانه لاخير فى كلام لا يدل على معناك ، ولا يشير الى مغزاك، والى العمود الذى اليه قصدت، والغرض الذى اليه نزعت .

قال: فقيل له: فان مل المستمع الاطالة التى ذكرت أنها حق ذلك الموقف؟ قال: اذا أعطيت كل مقام حقه ،وقمت بالذى يجب من سياسة ذلك المقام ، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام ، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو ،فانه لا يرضيهما شيء ، وأما الجاهل فلست منه وليس منك، ورضا جميع الناس شيء لا تناله ، وقد كان يقال : رضا الناس شيء لا ينال

قال : والسنّة فى خطبة النكاح أن يطيل الخاطب و يقصر المجيب . ألا ترى الى قيس بن خارجة بن سنان لما ضرب بصفيحة سيفه مؤخرة راحلتى الحامايين فى شأن حمالة داحس والغبراء ، وقال: مالى فيها أيها العشمتان ؟ قالا : بل ماعندك ؟ قال : عندى قِرى كل نازل ، ورضا كل ساخط ، وخطبة من لدن تطلع الشمس الى أن تغرب ، آمر فيها بالتواصل ، وأنهى فيها عن التقاطع

قالوا : نخطب يوماً الى الليل ، فما أعاد فيها كلمة ولا معنى

فقيل لابى يعقوب : هلا أكتفى بالامر بالتواصل عن النهى عن التقاطع ؟ أو ليس الامر بالصلة هو النهى عن القطيعة ؟قال : أو ماعلمت أن الكناية والتعريض لا يعملان فى العقول عمل الافصاح والتكشف ؟

قال : وسئل ابن المقفع عن قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما يتصعدنى كلام كما تصعدنى خطبة النكاح . قال : ماأعرفه إلا أن يكون أراد قربَ الوجوه من الوجوه ، ونظرا لحداق من قرب فى أجواف الحداق، ولأنه اذا كان جالساً معهم كانوا كأنهم نظراء وأكفاء ،واذا علا المنبر صاروا سوقة ورعية . وقد ذهب ذاهبون لى أن تأويل قول عمر يرجع الى أن الخطيب لا يجد بداً من تزكية الخاطب ، فلعله كره أن يمدحه بما ليس فيه فيكون قد قال زوراً وغر القوم من صاحبه . ولعمرى ان هذا التأويل ليجوز اذا كان الخطيب موقوفاً على الخطابة ، فأما عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأشباهه من الأئمة الراشدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فلم يكونوا ليتكلفوا ذلك الا فيمن يستحق المدح

وروى أبو مخنف عن الحارث الأعور قال : والله لقد رأيت علياً وانه ليخطب

قاعداً كقائم ، ومحارباً كسالم . يريد بقوله ، قاعداً ، خطبة النكاح

وقال الهيثم بن عدى : لم تكن الخطباء تخطب قعوداً إلا فى خطبة النكاح وكانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الخفل، وفى الكلام يوم الجمع ، آى من القرآن . فان ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار، والرقة وحسن الموقع. قال الهيثم: قال عمرانُ بنُ حطّان : إن أول خطبة خطبتها عند زياد ـ أو قال عند ابن زياد ـ فأعجب بها زياد وشهدها عمى وأبى . ثم أنى مررت ببعض المجالس فسمعت رجلا يقول لبعضهم : هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شىء من القرآن

وأكثر الخطباء لا يتمثلون فى خطبهم الطوال بشيء من الشعر ، ولا يكرهونه فى الرسائل إلا أن تكون الى الخلفاء . وسمعت مؤملَ بنَ خاقان ـ وذكر فى خطبته تميم بن مر ـ فقال : إن تميما له الشرف القديم العوْد ،والعز الأقعس، والعدد الهيضل، وهي فى الجاهلية القدّام ، والذّروة والسنام . وقد قال الشاعر :

فقلتُ لهُ وأنكرَ بعضَ شانى ألم تعرفْ رقابَ بنى تميم ؟

وكان المؤمّل وأهله يخالفون جمهور بنى سعد فى المقالة، فاشدة تحدّ به على سعد وشفقته عليهم ،كان يناضل عند السلطان كل من سعى على أهل مقالتهم وان كان قوله خلاف قولهم حدباً عليهم . وكان صالحُ المرى القاصّ العابد البليغ كثيراً ماينشد فى قصصه وفى مواعظه هذا البيت :

فباتَ يُرَوّى أصولَ الفَسيل فعاشَ الفَسيلُ ومَاتَ الرَّجُل

وأنشد الحسن فى مجلسه وفى قصصه وفى مواعظه :

ليسَ من ماتَ فاستَراحَ بمَيْتٍ إنَّمَا المَيْتُ مَيِّتُ الأحْيَاء

وأنشد عبدُ الصمد بنُ الفَضل بن عيسى بن أبان الرقاشى الخطيب القاص الشجاع ، إما فى قصصه وإما فى خطبة من خطبه رحمه الله سبحانه وتعالى :

أرضٌ تَخَيَّرَها لِطيبِ مَقيلِها كَعْبُ بنُ مَامَةَ وابنُ أُمِّ دُوَادِ

جَرَتِ الرِّيَاحُ على مَحَلِّ دِيارِهِمْ فَكأنَّهُمْ كانوا على مِيعادِ

فأرَى النعيمَ وكُلَّ ما يُلْهَى بِهِ يَوْماً يَصِيرُ إلَى بِلًى ونَفَادِ

وقال أبو الحسن : خطب عبد الله بن الحسن على منبر البصرة فى العيد فأنشد

فى خطبته :

أيْنَ الملوكُ التى عن حظّهَا غَفَلَتْ حتَّى سَقَاهَا بِكَأْسِ الموتِ ساقِيها

تلكَ المـدائنُ بالآفاقِ خالِيَةٌ أمْسَتْ خَلاَءً وَذاقَ الموْتَ بانِيها

وكان مالك بن دينار يقول فى قصصه : ما أشد فطام الـكبير ؟

وهو كما قال القائل :

وترُوضُ عِرْسَكَ بَعْدَ مَا هَرِمَتْ وَمنَ الْعَنَاءِ رياضَةُ الهَرِمِ

ومثله أيضاً قول صالح بن عبد القدوس:

والشيـخُ لاَ يترُكُ أخـلاَقَهُ حتّى يُوَارَى في ثَرَى رَمْسِهِ

إذَا ارْعَوَى عادَ إِلَى جَهْلِهِ كَذِى الضنَى عادَ إلى نُـكْسِهِ

قال كُلثوم بن عَمْرو العَتَّابِى :

وكنتَ امرأً لَو شئتَ أن تَبْلُغَ المَدَى بلغتَ بأدْنَى نِعْمَةٍ تَسْتَدِيمُهَا

ولَـكِنْ فِطَامَ النَّفْسِ أثْقَلُ مَحْمَلاً مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّماءِ حِينَ تَرُومُهَا

وكانوا يمدحون الجهير الصوت، ويذمون الضئيل الصوت .ولذلك تشادقوا فى الـكلام ومدحوا سعة الفم ، وذموا صغر الفم . حدثنى محمد بن بشير الشاعر : قيل لاعرابى ، ما الجمال ؟ قال القامة ، وضخم الهامة ، ورحب الشدق،وبعدالصوت. وسال جعفر بن سليمان أبا المِخشّ عن ابنه المخش ، وكان جزع عليه جزعاشديدا قال : صف لى المخش ؟ فقال : كان أشدق خُرطُمانِيا سائلا لعابه كانمـا ينظر من قلتين ، كأن ترقوته بوان أو خالفة ، كأن منكبه كِركرة جمـل ثقال ، فقأ الله عينى إن كنت رأيت قبله أو بعده مثله . قال . وقلت لاعرابى : ما الجمال ؟ قال : غؤور العينين ، واشراف الحاجبين ، ورحب الشدقين

قال دغفل بن حنظلة النسابة والخطيب العـلامة حين ساله معاوية عن قبائل قريش فلما انتهى الى بنى مخزوم الى بنى مخزوم . قال:معزى مطيرة،عليها قشعريرة الا بنى المغيرة ، فان فيهم تشادق الـكلام ، ومصاهرة الـكرام

وقال الشاعر فى عمرو بن سعيد الاشدق :

تَشَادَقَ حتى مَالَ بِالْقَوْلِ شِدْقُه وكلُّ خطيبٍ لا أبالكَ أشْدَقُ

وأنشد أبو عبيدة :

وصُلعُ الرُّؤسِ عِظَامُ البُطُونِ رِحابُ الشِّدَاقِ طِوَالُ الْقَصَرْ

وتكلم يوماً عند معاوية الخطباء فأحسنوا فقال : والله لأرمينهم بالخطيب الأشدق ، قم يا يزيد فتكلم

وهذا القول وغيره من الاخبار والاشعار حجة لمن زعم أن عمرو بن سعيد لم يسم الاشدق للفقم ولا للقوة . وقال يحيى بن نوفل فى خالد بن عبد الله القسرى :

بَلَّ السَّرَاوِيلَ مِنْ خَوْفٍ وَمِن وَهَلٍ وَاسْتَطْعَمَ الماءَ لَمَّا جدَّ في الْهَرَبِ

وألْحَنُ النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ قَاطِبَةً وكانَ يُولَعُ بِالتَّشْدِيقِ فِي الْخُطَبِ

ويدلك على تفضيلهم سعة الاشداق وهجائهم ضيق الافواه قول الشاعر :

لَحَا اللهُ أفْوَاهَ الدَّبَى من قَبيلَةٍ إذا ذكرتْ فى النَّائِباتِ أُمُورها

وقال الآخر :

وأفْوَاهُ الدَّبَى حَامُوا قَليلاً وليسَ أخو الحِمَايَةِ كالضَّجُورِ

وإنما شبه أفواههم بافواه الدَّبى لصغر أفواههم وضيقها . وعلى ذلك المعنى هجا عَبدة بنُ الطبيب حيَّ بن هزال وابنيه فقال :

تدعُو بنيكَ عبَّاداً وجرثمةً يا فأرَةً شَجَّها فِى الجُحْرِ مِحْفَارُ

وقد كان العباسُ بنُ عبد المطلب جهيراً ، جهير الصوت ، وقد مدح بذلك ، وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حنين حين ذهب الناس عن رسول الله ﷺ فنادى العباس : يا أصحاب سورة البقرة هذا رسول الله ﷺ . فتراجع القوم وأنزل الله عز وجل النصرة وأتى بالفتح .

أخبرنى ابنُ الكلبى عن أبيه عن أبى صالح عن ابن عباس قال: كان قَيسُ بنُ مَخْرمة بن المطلب بن عبد مناف يمكو حول البيت فيسمع ذلك من حراء . قال الله تعالى « وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً » فالتصدية التصفيق. والمكاء التصفير، أو شبيه بالصفير . ولذلك قال عنترة :

وحَليلِ غانِيَةٍ تركتُ مُجَدَّلاً تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأَعْلَمِ

وقال العجير السلولى فى شدة الصوت :

ومنهنّ قَرْعَى كلّ بابٍ كأنّما بِهِ القَوْمُ ، يَرْجُونَ الأَذِينَ نُشُورُ
فجئتُ وَخَصْمِى يَصْرِفُونَ نُيوبَهُم كما قُصِبَتْ بَيْنَ الشِّفَارِ جَزُورُ
لَدَى كُلّ مَوْثوقٍ بِهِ عِنْدَ مِثْلِهَا لهُ قَدَمٌ فِى النّاطِقِينَ خَطِيرُ
جَهِيرٌ وَمُمْتَدُّ العِنَانِ مُنَاقِلٌ بَصِيرٌ بِعَوْرَاتِ الكَلاَمِ خَبِيرُ
فَظَلَّ رِداءُ العَصْبِ مُلْقًى كأَنَّهُ سَلَى فَرَسٍ تَحْتَ الرِّجَالِ عَقِيرُ
لو انَّ الصُّخُورَ الصُّمَّ يَسْمَعْنَ صَلْقَنَا لَرُحْنَ وفي أَعْرَاضِهِنَّ فُطُورُ

الصلق : شدة الصوت ، وفطور: شقوق. وقال مُهَلْهِل :

ولَوْلاَ الرِّيحُ أَسْمِعُ أَهْلَ نَجْدٍ صَلِيلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكُورِ

والصريف : صوت احتكاك الانياب ، والصليل : صوت الحديد ههنا . وفى شدة الصوت يقول الأعشى فى وصفه الخطيب بذلك :

فيهم الخِصْبُ والسَّمَاحَةُ وَالنَّجْـ ـدَةُ جَمْعاً والخاطِبُ الصَّلاَّقُ

وقال بَشار بنُ برد فى ذلك ويهجو بعض الخطباء :

ومِنْ عَجَبِ الأَيّامِ أَنْ قُمْتَ ناطِقاً وَأَنْتَ ضَئِيلُ الصَّوْتِ مُنْتَفِخُ السَّحْرِ

ووقع بين فتى من النصارى وبين ابن فهريز كلام ، فقال له الفتى : ماينبغى أن يكون فى الأرض رجلٌ واحدٌ أجهل منك ؟ وكان ابن فهريز فى نفسه اكثر الناس علماً وأدباً ، وكان حريصاً على الجثلقة ، فقال للفتى : وكيف حلمت عندك هذا المحل ؟ قال: لأنك تعلم أنا لا نتخذ الجاثليق إلا مديدَ القامة،وأنت قصيرُ القامة ، ولا نتخذه الا جهيرَ الصوت، جيدَ الخلق،وأنت دقيقُ الصوت ردىءُ الخلق ، ولا نتخذه الا وهو وافرُ اللحية عظيمُها وأنت خفيفُ اللحية صغيرُها ، وأنت تعلم أنا لانختار للجثلقة الا رجلاً زاهداً فى الرياسة،وأنت أشدُّ الناس عليها كَلَباً،وأظهرهم لها طلباً ، فكيف لاتكون أجهل الناس وخصالك هذه كلها تمنع من الجثلقة ؟ وأنت

قد شَغَلْتَ فى طلبها بالك ، وأسهرت فيها ليلك ؟ وقال أبو الحجناء فى شدة الصوت:

إِنِّى إِذَا مَا زَبَّبَ الأَشْدَاقُ وَالْتَجَّ حَوْلِى النَّقْعُ وَاللَّقْلَاقُ

نَبْتُ الجَنَانِ مِرْجَمٌ وَدَّاقُ

المرجم: الحاذق بالمراجمة بالحجارة . والوداق: الذى يسيل الحجارة كالودق من المطر . وجاء فى الحديث « مَنْ وُقِيَ شرَّ لَقْلَقِه وقَبْقَبِه وذَبْذَبِه وُقِيَ الشَّر » يعنى لسانه وبطنه وفرجه . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بواكى خالد بن الوليد ابن المغيرة: وماعليهن أن يُرقن من دموعهن على أبى سُليمان مالم يكن نَقْعٌ أولَقْلَقَةٌ ؟ وجاء فى الاثر « ليس منا من حَلق أو صَلق أو سَلق أو شَق »

ومما مدح به العُمانى هرون الرشيد بالقصيد دون الرجز قوله :

جَهِيرُ العُطَاسِ شَدِيدُ النِّيَاطِ جَهْبَرُ الرُّوَاءِ جَهِيرُ النَّغَمْ

وَيَخْطُو على الأَيْنِ خَطْوَ الظَّلِيمِ وَيَعْلُو السِّمَاطَ بِجِسْمٍ عَمَمْ

النياط : معاليق القلب . الأين : الاعياء . الظليم: ذكر النعام . عمم : حسن . ومنه قيل : نبت عميم ، أى حسن كثير . ويقال: ان جسمه لعممٌ ، وانه لعم الجسم، اذا كان تاماً .

وكان الرشيد اذا طاف بالبيت جعل لازاره ذنبين عن يمين وشمال ثم طاف بأوسع من خطو الظليم ، وأسرع من رجع يد الارنب . وقد أخبرنى ابرهيمُ بن السندى بحصول ذرع ذلك الخطو ، الا انى أحسبه فراسخ فيما رأيته يذهب اليه . قال ابرهيم ـ ونظر اليه اعرابى فى تلك الحال والهيئة ـ فقال : « خَطْوَ الظَّلِيمِ رِيعَ مُمْسًى فَانْشَمَرْ »

ريع . فزع . ممسى : حين المساء . انشمر : جد فى الهرب .

وحدثنى ابراهيم السندى قال لما أتى عبدَ الملك بن صالح وفدُ الروم، وهو فى البلاد أقام على رأسه رجالا فى السماطين لهم قَصَرٌ وَهَامٌ ، وَمَنَاكِبُ وأجسامٌ ، وشوارب وشعور . فبيناهم قيام يكلمونه، ومنهم رجل وجهه فى قفا البطريق اذ عطس عطسة ضئيلة فلحظه عبد الملك فلم يدر أىَّ شىء أنكر منه ! فلما مضى الوفد قال له: ويلك، هلا اذ كنت ضيق المنخر كزّ الخيشوم أتبعتها بصيحة تخلع بها قلب العلج ؟

وفى تفضيل الجهارة يقول شبة بن عقال بعقب خطبته عند سليمان بن على ابن عبد الله بن عباس :

أَلاَ لَيْتَ أُمَّ الجَهْمِ والله سامِعٌ ... تَرَى حَيْثُ كانَتْ بالعِراقِ مَقامي

عَشِيَّةَ بَذَّ النّاسَ جَهْرِى ومَنْطِقِى ... وبَذَّ كلامَ النّاطِقِينَ كلامى

وقال طحلاء يمدح معاوية بالجهارة وبجودة الخطبة :

رَكُوبُ المَنـابِرِ وَثّابُهـا ... مِعَنٌّ بخطبتـه مِجْهَرُ

تُرِيعُ إِلَيْهِ هَوادى الـكلام ... إِذا ضَـلَّ خطْبَتَهُ المِهْذَرُ

معنّ : تعرض له الخطبة فيخطبها مقتضبا لها. تُريع اليه : ترجع إليه. هوادى الـكلام : أوائله . فأراد أن معاوية يخطب فى الوقت الذى يذهب فيه كلام المهذر. والمهذر . المـكثار

وزعموا أن أبا عطية عفيفا النصرى فى الحرب التى كانت بين ثقيف وبين بنى نصر لمـا رأى الخيـل بعقـوته يومئذ وأيس نادى : ياصباحاه ، أتيتم يابنى نصر فألقت الحبالى أولادها من شدة صوته . قالوا : فقال ربيعةُ بنُ مسعود يصف تلك الحرب وصوت عفيف :

عُقاماً ضَرُوساً بينَ عَوْفٍ ومالكٍ ... شَدِيداً لَظاها تَتْرُكُ الطِّفْلَ أَشْيَبا

وكانَتْ جُعَيلٌ يَوْمَ عمرو أَراكَةٍ ... أُسُودَ الغَضا غادَرْنَ لَحْماً مُنَرَّبا

ويومٍ بِمَكْرُوناءَ شَـدَّتْ مُعَتِّبٌ ... بِغاراتِها قَدْ كانَ يوماً عَصَبْصبا

فأَسْقَطَ أَحْبالَ النِّسـاءِ بِصَوْتِهِ ... عفيفٌ وقد نادَى بنَصْرٍ فَطَرَّبا

وكان أبو عروة ـ الذى يقال له أبو عروة السباع ـ يصيح بالسبع وقداحتمل الشاة فيخليها ، ويذهب هاربا على وجهه . فضرب به الشاعر المثل ، وهو النابغـة الجعدى فقال :

وأَزْجُرُ الكاشحَ العَدُوَّ إِذا اغْتا ... بَكَ عِندى زَجْراً على أَضَمِ

زَجْرَ أَبِى عُرْوَةَ السِّبَاعَ إِذا ... أَشْفَقَ أَنْ يلْتَبِسْنَ بِالْغَنَمِ

وأنشد أبو عمرو الشيبانى لرجل من الخوارج يصف صيحة شبيب بن يزيد ابن نعيم (١) قال أبو عبيدة وأبو الحسن : كان شبيب يصيح فى جنبات الجيش إذا أتاه فلا يلوى أحد على أحد . وقال الشاعر فيه :

إنْ صَاحَ يَوْماً حَسِبتَ الصَّخْرَ مُنْحَدِراً والرِّيحَ عاصِفَةً والمَوْجَ يَلْتَطِمُ

قال أبو العاصى : أنشدنى أبو محرز خلف بن حيان (٢) ـ وهو خلف الاحمر مولى الاشعريين فى ـ عيب التشادق :

---

(١) هو شبيب بن يزيد بن نعيم الشيبانى الحروري الخارجى أمير الخوارج في عصره ، ومزلزل أركان الدولة الاموية أيام عبد الملك بن مروان ، صاحب الوقائع الهائلة ، والاحداث العظيمة مع شبخ العتاة ، وأسد الولاة الحجاج بن يوسف الثقفى ، وقاتل قواده ، ومبيد أجناده . دخل الكوفة ـ وهى غاصة بجند السلطان ، حاشدة بأبطال الدولة وعلى رأسهم الحجاج ـ عنوة لينيل زوجته غزالة وفاء نذرها من الصلاة في مسجدها الجامع فأدت صلاتها ، وأطالت فيها ماشاءت ، ثم خرج يخترق بها صفوف أعدائه ولم يصب بأذى ، ولم ينلها مكروه .

وكانت زوجته غزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم ، فكانت تباشر الحروب بنفسها ، وتخوض المعامع بسيفها ، وتصرع الأبطال بقوة جنانها ، وهى التى لما أحجم الحجاج فى إحدى المواقع عن مبارزتها عيره بعض الشعراء بقوله :

أسد علىّ وفى الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت الى غزالة فى الوغى ؟ بل كان قلبك فى جناحى طائر

ولد شبيب سنة ٢٥ هـ ٦٤٥ م ومات غرقاً فى نهر دجيل سنة ٧٧ هـ ٦٩٦ م

(٢) ابو محرز خلف بن حيان الاحمر . كان مولى بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى . وكان راوية علامة ، شاعراً بليغاً يصنع الشعر وينسبه الى العرب ، فيشبه كلامه كلامهم ، وكان يذهب مذهب الأصمعى فى الرواية ، حتى قيل انه معلم الاصمعى ، وهما اللذان فتقا المعانى ، وأوضحا المسالك ، وبينا المعالم ، ولم يكن لهما فى علم الشعر نظير . ثم نسك فى أواخر أيامه وترك الشعر والكلام فيه . وعليه قرأ أهل الكوفة أشعارهم ، وكانوا يقصدونه بعد وفاة حماد الراوية ، لكنه فاق حمادا . ولما نسك خرج الى أهل الكوفة فعرفهم الأشعار التى أدخلها فى أشعار الناس ، فقالوا له : أنت كنت عندنا فى ذلك الوقت أوثق منك الساعة . مات سنة ١٨٠ هـ ٧٩٦ م

له حنجرٌ رَحْبٌ وقَوْلٌ مُنَقَّحٌ وفَصْلُ خِطابٍ لَيْسَ فيهِ تَشادُقُ
إذا كانَ صَوْتُ المَرْءِ خَلْفَ لِهاتِهِ وأَنْحى بأَشْداقٍ لهُنَّ شَقاشِقُ
وقَبْقَبَ يَحْكِي مُقْرَماً في هِبابِهِ فلَيْسَ بمَسْبوقٍ ولا هُوَ سابِقُ

وقال الفرزدق : شَقاشِقُ بينَ أشْداقٍ وهامِ

وأنشد خلف :

وما في يَدَيْهِ غيرُ شِدْقٍ يُميلُهُ وشِقْشِقَةٍ خَرْساءَ ليسَ لَها تَعْبُ
متى رامَ قَوْلاً خالَفَتْهُ سَجِيَّةٌ وضِرْسٌ كَقَعْبِ القينِ ثَلَّمَهُ الشَّعْبُ

وأنشد أبو عمرو بن [العلاء] :

وجاءَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشُ البِطاحِ هِيَ العُصَبُ الاوَلُ الدَّاخِلَهْ
يَقودُهُمُ الفِيلُ والزَّنْدَبِيلُ وذُو الضِّرْسِ والشَّفَةِ المائِلَهْ

والفيل والزندبيل : أبان والحكم ابنا عبد الملك بن بشر بن مروان . وذوالضرس وذو الشفة المائلة : هو خالد بن سلمة المخزومى الخطيب . يعنى دخولهم على ابن هبيرة. والزندبيل : الانثى من الفيلة فيما ذكر أبو اليقظان نجيح بن حفص . وقال غيره: هو الذكر . فلم يقفوا من ذلك على شيء .

وقال الشاعر فى خالد بن سلمة المخزومى الخطيب :

فما كانَ قائلُهُمْ دَغْفَلٌ ولا الحَيْقُطانُ ولا ذوالشَّفَهْ

قوله : دَغفل ، يريد دغفل بن يزيد بن حنظلة الخطيب الناسب. والحيقطان : عبد أسود ، وكان خطيباً لايجارى

وأنشد أصحابنا :

وقافِيَةٍ جَلَجْتُها فَرَدَدْتُها لِذِى الضِّرْسِ لوأَرْسَلْتُها قَطَرَتْ دَما

وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعر العرب ، ولربما كان نزع ضرس أيسر على من أن أقول بيت شعر .

وأنشدنا منيع :

فَجِئْتُ وَوَهْبٌ كَالْخَلاةِ تَضُمُّهَا ... إِلَى الشِّدْقِ أَنْيَابٌ لَهُنَّ صَرِيفُ

فَقَعْقَعْتُ لَحْيَيْ خَالِدٍ وَاهْتَضَمْتُهُ ... بِحُجَّةِ خَصْمٍ بِالْخُصُومِ عَنِيفُ

أبو يعقوب الثقفى عن عبد الملك بن عمير قال : سئل الحارث بن أبى ربيعة عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ؟ فقال : كم كان له ما شئت من ضرس قاطع فى العلم بكتاب الله ، والفقه فى السنة ، والهجرة الى الله و رسوله ، والبسطة فى العشيرة ، والنجدة فى الحرب ، والبذل للماعون . قال الاخر :

ولم تُلْفِنِى فَهًّا ولم تلْفِ حُجَّتِى ... مُلَجلَجَةً أَبْغِى لَهَا مَنْ يُقِيمُهَا

ولا بِتُّ أُزْجِيهَا قَضِيباً وتَلْتَوِى ... أُرَاوِغُهَا طَوْراً وطَوْراً أُضِيمُهَا

وأنشدنى أبو الرديني العكلى :

فَتًى كَانَ يَعْلُو مَفْرِقَ الْحَقِّ قَوْلُهُ ... إِذَا الْخُطَبَاءُ الصِّيدُ عَضَّلَ قِيلُهَا

وقال الخُزَيمى (١) فى تشادق على بن الهيثم (٢) :

---

(١) الخزيمى : هو اسحق بن حسان ، ويكنى أبا يعقوب ، أصله من فارس ، وهو مولى ابن خزيم الناعم من بنى مرة بن عوف . كان شاعراً حسن الديباج ، جيد المعانى . وكان متصلا بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح جياد ، ثم رثاه بعد موته فقيل له : يا أبا يعقوب ، مراثيك لال منصور بن زياد أحسن من مدائحك وأجود ! فقال : كنا نعمل على الرجاء ، ونحن الان نعمل على الوفاء ، و بينهما بون بعيد . وكان قد عمى فقال :

اذا ما ماتك بعضك فابك بعضا ... فان البعض من بعض قريب

يمنينى الطبيب شفاء عينى ... وهل غير الاله لها طبيب ؟

وقال فى معنى الغيرة والصيانة ، وهو كلام جيد :

ما أحسن الغيرة فى وقتها ... وأقبح الغيرة فى كل حين

من لم يزل متهما عرسه ... مناصبا فيها لريب الظنون

أوشك أن يغريها بالذى ... يخاف أن يبرزها للعيون

حسبك من تحصينها وضعها ... منك الى عرض صحيح ودين

لا تطلع منك على ريبة ... فيتبع المقرون حبل القرين

(٢) على بن الهيثم الكاتب الانبارى ، كان يعرف بجونقا ، وكان أديبا فاضلا

يا عَلِيَّ بْنَ هَيْثَمٍ يا سُماقا ... قد مَلأتَ الدُّنْيا عَلَيْنا بقاقا

خَلِّ لُحْيَيْكَ يَسْكُنانِ ولا تَضْـ ... ـرِبْ عَلى تَغْلِبٍ بِلَحْيَيْكَ طاقا

لا تُشادِقْ إذا تَكَلَّمْتَ وَاعْلَمْ ... أنَّ لِلنّاسِ كُلِّهِمْ أشْدَاقا

وكان على بن الهيثم جوادا بليغ اللسان والقلم

قال لى أبو يعقوب الخُزيمى : ما رأيت كثلاثة رجال يأكلون الناس أكلا حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الملح فى الماء ، أو الرصاص عند النار . كان هِشامُ بن الكَلبى علامة نَسابة ،ورواية للمثالب عيابة ، فاذا رآى الهَيثَمَ ابن عَدىّ ذاب كما يذوب الرصاص عند النار . وكان الهيثمُ بنُ عدى مُفَقِّعاً نيا صاحب تفقيع وتقعير ، ويستولى على كلام أهل المجلس لا يحفل بشاعر ولا بخطيب ، فاذا رأى موسى الضبى ذاب كما يذوب الرصاص عند النار . وكان عَوَانَة المغنى أحد الناس فى الرواية ، وفى الحكاية ، وفى صنعة الغناء ، وجودة الضرب ، وفى الاطراب وحسن الخلق ، فاذا رأى مخارقاً ذاب كما يذوب الرصاص عند النار

ثم رجع بنا القول إلى ذكر التشديق وبعد الصوت . قال أبو عبيدة : كان عروة ابن عتبة بن جعفر بن كلاب رديفا للملوك ورحالا اليهم، وكان يقال له عروة الرحّال فكان يوم أقبل مع ابن الجون يريد بنى عامر، فلما انتهى إلى واردات مع الصبح قال له عروة : انك قد عرفت طول صحبتى لك ،ونصيحتى اياك، فأذن لى فأهتف بقومى هَتفةَ . قال : نعم ، وثلاثا . فقام فنادى « ياصاحباه » ثلاث مرات، قال: فسمعنا شيوخنا يزعمون أنه أسمع أهلَ الشعب فتلببوا للحرب وعَسَبُوا الرَّبايَا (١) ينظرون من أين يأتى القوم . قالوا:وتقول الروم : لولا ضجة أهل رُومية وأصواتهم لسمع الناس جميعا صوت وجوب القرص فى المغرب

وأعيبُ عندهم من دقة الصوت،وضيق مخرجه،وضعف قوته،أن يعترض الخطيب البُهْرُ والارتماش والرّعدة والعرَق . قال أبو الحسن : قال سُفيان بن عُيينة : تكلم صعصعة عند معاويه فعرق ، قال معاوية : بهرَكَ القول ؟ فقال صعصعة :

وخطيبا مفوها، صاحب تشادق وتقعير ،كثير الاستعمال لعويص اللغة . كتب في ديوان المأمون وغيره من الخلفاء وكان المأمون يتحفظ فى كلامه اذا كان حاضرا

(١) عسبوا الربايا : أكثروا الديدبانات والرقباء

إن الجياد نضاحة بالماء

والفرس إذا كان سريع العرق وكان هشا كان ذلك عيبا . وكذلك هو في الكثرة . واذا أبطأ ذلك وكان قليلا قيل: قد كبا ، وهو فرس كاب ، وذلك عيب أيضا

وأنشدنى ابنُ الأعرابى لابى مسمار العكلى فى شبيه بذلك قوله :

لله دَرُّ عامِرٍ إذا نَطَقْ في حَفْلِ إمْلاكٍ وفي تلك الخُلَقْ
ليسَ كقومٍ يُعْرَفونَ بالشَّدَقْ مِنْ خُطَبِ النّاسِ وَمِمَّا في الْوَرَقْ
يُلَفِّقُونَ القَوْلَ تَلْفِيقَ الخُلَقْ مِنْ كُلِّ نَضّاحِ الذّفارى بالْعَرَقْ
إذا رَمَتْهُ الخُطَباءُ بالْحَدَقْ

والذفارى هنا : يعنى بدَن الخطيب . والذفريان للبعير : وهما اللحمتان فى قفاه . وانما ذكر خطب الاملاك لانهم يذكرون أنه يعرض للخطيب فيها من الحصر أكثر مما يعرض لصاحب المنبر ، ولذلك قال عُمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : ما يتصعدنى كلام كما تتصعدنى خطبة النكاح . وقال العُمانى :

لاذَفِرٌ هَشٌّ ولا بِكابِ ولا بِلَجْلاجٍ ولا هَيّابِ

الهشُّ : الذى يجود بعرقه سريعاً ، وذلك عيب . والذفِرُ : الكثير العرق . والكابى : الذى لا يكاد يعرق ، كالزند الكابى الذى لا يكاد يورى . فجعل له العُمانى حالا بين حالين إذا خطب ، وخبر أنه رابط الجأش ، معاود لتلك المقامات

وقال الكميتُ بن زيد ، وكان خطيباً : إن للخطبة صعداء وهى على ذى اللبّ أرمى

وقولهم : أرمى وأربَى سواء ، يقال : فلان قد أرمى على المائة وأربَى . ولم أر الكميت أفصح عن هذا المعنى ولا تخلص الى خاصته ، وانما يجترئُ على الخطبة الغمرُ الجاهل الماضي الذى لا يثنيه شىء ، أو المطبوع الحاذق الواثق بغرازته واقتداره فالثقة تنفى عن قلبه كل خاطر يورث اللجلجة والنحنحة والانقطاع والبُهر والعرق .

قال عُبيدُ الله بن زياد ، وكان خطيبا على لكنة كانت فيه : نِعم الشىء الامارة لولا قمقعة البُرُدِ ، والتشدق للخطب . وقيل لعبد الملك بن مروان : عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين ؟ قال : وكيف لا يعجل على وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين ؟

يعنى خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من الامور . قال بعض الكلابيين .

وَإِذَا خطَبْتَ على الرِّجالِ فلا تَكُنْ خَطِلَ الْكَلامِ تقُولُه مُخْتالا
واعلَمْ بأنَّ مِنَ السُّكوتِ إبانةً ومِنَ التَّكلُّمِ ما يَكُونُ خَبالا

﴿ كلام بِشْر بنِ المُعْتَمِر (١) ﴾ حين مر بابرهيم بن جَبلة بن مخرَمة السَّكونى الخطيب وهو يعلم فتيانهم الخطابة . فوقف بِشرٌ ، فظن ابرهيم أنه إنما وقف ليستفيد أو ليكون رجلا من النظارة . فقال بشر : أضربوا عما قال صفحا ، واطووا عنه كشحاً

ثم دفع اليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه، وكان أول ذلك الكلام :

« خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها إياك ، فان قليل تلك الساعة أكرمُ جوهراً ، وأشرفُ حسباً ، وأحسن فى الاسماع ، وأحلى فى الصدور

---

(١) بشر بن المعتمر، يكنى أبا سهل، كان من وجوه أهل الكلام. ومن أفاضل علماء المعتزلة ، ومن أكابر بلغاء الدهر وأبينائه، وكان جميع معتزلة بغداد من مستجيبيه وكان به برص . وكان له ولع بأبى الهذيل العلاف كثير الوقوع فيه، ورميه بالنفاق. ومن أبلغ وأظرف ما قاله فيه قوله : لأن يكون أبو الهذيل لا يعلم وهو عند الناس يعلم أحب إليه من أن يعلم وهو عند الناس لا يعلم ، ولأن يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية أحب اليه من أن يكون من العلية وهو عند الناس من السفلة، ولأن يكون نبيل المنظر سخيف المخبر أحب إليه من أن يكون نبيل المخبر سخيف المنظر. وهو بالنفاق أشد عجباً منه بالاخلاص ، ولباطل مقبول أحب إليه من حق مدفوع

وهو رأس فرقة من فرق المعتزلة تنسب اليه يقال لها « البشرية » لها أراء ومسائل أخذتها عنه وانفردت بها عن سائر الفرق . ولبشر أشعار كثيرة يحتج فيها على أصحاب المقالات . قال الجاحظ: أنه لم ير أحداً أقوى على الخمس والمزدوج مما قوى عليه بشر ، وانه كان فى ذلك أكثر وأقدر من أبان اللاحقى . ومن شعره :

إن كنت تعلم ما أقو ل وما تقول فأنت عالم
أو كنت تجهل ذا وذا ك فكن لاهل العلم لازم
أهل الرياسة من ينـ ـازعهم رياستهم فظالم
سهرت عيونهم وناـ ـمت من الذى قاسوه حالم
لا تطلبن رياسة بالجهل أنت لها مخاصم
لولا مقامهم رأيـ ـت الدين مضطرب الدعائم

وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرّة من لفظ شريف ومعنى بديع . واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة . ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصداً ، وخفيفا على اللسان سهلا ، وكما خرج من ينبوعه ، ونجم من معدنه . وإياك والتوعّر ، فان التوعر يسلمك الى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ويشين ألفاظك . ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظاً كريما ، فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويُهجّنهما ، وعما تعود من أجله الى أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس اظهارهما ، وترتهن نفسك بملابستهما ، وقضاء حقهما . وكن فى ثلاث منازل . فان أولى الثلاث : أن يكون لفظك رشيقاً عذبا ، وفخما سهلا ، ويكون معناك ظاهراً مكشوفا ، وقريبا معروفا ، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت . والمعنى ليس يَشرُف بان يكون من معانى الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بان يكون من معانى العامة ، وإنما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة ، مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال . وكذلك اللفظ العامى والخاصى . فان أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة قلمك ، ولطف مداخلك ، واقتدارك على نفسك ، على أن تُفهم العامة معانى الخاصة وتكسوها الالفاظ الواسطة التى لا تلطف عن الدهماء ، ولا تجفو عن الاكفاء ، فانت البليغ التّام »

قال بشرٌ : فلما قرئت على ابرهيم قال لى : أنا احوج الى هذا من هؤلاء الفتيان

قال أبو عثمان : أما أنا فلم أر قوما قط أمثل طريقة فى البلاغة من الكتاب ، فانهم قد التمسوا من الألفاظ مالم يكن مُتوعّراً وحشياً ، ولا ساقطاً سوقيا . واذا سمعتمونى أذكر العوام فانى لست أعنى الفلاحين والحشوة ، والصناع والباعة ، والباعة ، ولست أعنى الاكراد فى الجبال ، وسكان الجزائر فى البحار ، ولست أعنى من الامم مثل البربر والطيلسان ، ومثل موقان وجيلان ، ومثل الزنج وأمثال الزنج ؟ وانما الامم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب ، وفارس ، والهند ، والروم . والباقون همج وأشباه الهمج . وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا فالطبقة التى عقولها وأخلاقها فوق تلك الامم ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا ، على أن الخاصة تتفاضل فى الطبقات أيضا

ثم رجع بنا القول إلى بقية كلام بشر بن المعتمر ، والى ما ذكر من الاقسام .

قال بشرٌ :

« فان كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ، ولا تسنح لك عند أول نظرك وفى أول تكلفك ، وتجد اللفظة لم تقع موقعها، ولم تصر الى قرارها، والى حقها من أماكنها المقسومة لها ، والقافية لم تحلّ فى مركزها وفى نصابها ، ولم تصل بشكلها ، وكانت قلقةً في مكانها ، نافرة من موضعها ، فلا تكرهها على اغتصاب الاماكن والنزول فى غير اوطانها ، فانك اذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك أحد . وان أنت تكلفتها ولم تكن حاذقا مطبوعا ، ولا محكما لسانك بصيراً بما عليك او مالك ، عابك من انت أقل عيبا منه، ورآى من هو دونك انه فوقك . فان ابتليت بان تتكلف القول، وتتعاطى الصنعة، ولم تسمح لك الطباع فى اول وهلة ، وتعصّى عليك بعد إجالة الفكرة ، فلا تعجل ولا تضجر ، ودعه بياض يومك ، او سواد ليلك، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك فانك لا تعدم الاجابة والمواتاة ، ان كانت هناك طبيعة، او جريت من الصناعة على عِرق . فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض، ومن غير طول اهمال، فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة الى اشهى الصناعات اليك، واخفها عليك، فانك لم تشتهه ولم تنازع اليه الا و بينكما نسب ، والشيء لا يحن الا الى ما يشاكله ، وان كانت المشاكلة قد تكون فى طبقات ، لان النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة ، كما تجود به مع المحبة والشهوة . فهكذا هذا »

وقال : ينبغى للمتكلم ان يعرف اقدار المعانى، ويوازن بينها و بين اقدار المستمعين ، و بين اقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم اقدار الكلام على اقدار المعانى ، ويقسم اقدار المعانى على اقدار المقامات ، واقدار المستمعين على اقدار تلك الحالات . فان كان الخطيب متكلما تجنب الفاظ المتكلمين ، كما انه ان عبر عن شيء من صناعة الكلام : واصفا، او مجيبا، أو سائلا ، كان اولى الالفاظ به الفاظ المتكلمين، اذ كانوا لتلك العبارات أفهم ، والى تلك الالفاظ أميل ، واليها أحن ، وبها أشغف ، ولان كبار المتكلمين و رؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء ، وابلغ من كثير من البلغاء ، وهم تخيروا تلك الالفاظ لتلك المعانى ، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الاسماء ، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له فى لغة العرب اسم ، فصاروا فى ذلك سلفاً لكل خلف ، وقدوة لكل تابع . ولذلك قالوا: العرَض ، والجوهر ، وأيس ، وليس . وفرقوا بين البطلان والتلاشى . وذكروا الهَذِيّة والهُوية والماهية . واشباه ذلك، وكما وضع الخليل بن

احمد لاوزان القصيد وقصار الارجاز ألقابا لم تكن العرب تتعارف تلك الاعاريض بتلك الالقاب ، وتلك الاوزان بتلك الاسماء ، كما ذكر الطويل والبسيط والمديد والوافر والكامل، واشباه ذلك ، وكما ذكر الاوتادَ والاسباب والخرم والزِّحاف . وقد ذكرت العرب فى أشعارها السنادَ والاقواءَ والاكفاء ، ولم اسمع الايطاء . وقالوا في القصيد والرجز والسجع والخطب . وذكروا حروف الرَّوِىِّ والقوافى. وقالوا : هذا بيت ، وهذا مِصراع . وقد قال جندَل الطهوى حين مدح شعره :

لم اقْوِفيهنَّ ولم أُسانِدِ

وقال ذُو الرُّمَّةِ :

وشِعْرٍ قد أرِقْتُ لهُ غَرِيبٍ أُجانِبُهُ المسانِدَ والمحالا

وقال أبو حِزَامٍ العُكْلىُّ :

بُيُوتاً نَصَبْنا لنَقَوِيمِها جُذُولَ الرَّبِيئِينَ في المَرْبَأَهْ (١)

بيوتاً على الهَاَ لَهاَ سَجْحَةٌ بغير السِّنادِ ولا المُكْفَأَهْ (٢)

وكما سمى النحويون فذكروا الحال والظرف وما أشبه ذلك ، لانهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وأبناء البلديين علم العروض والنحو . وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء وجعلوها علامات للتفاهم

قالوا : وقبيح بالخطيب أن يقوم بخطبة العيد ، أو يوم السماطين أو على منبر جماعة ، أو فى سُدة دار الخلافة ، أو فى يوم جمع وحفل ، إما فى اصلاح بين العشائر ، واحتمال دماء القبائل ، واستلال تلك الضغائن والسخائم ، فيقول كما قال بعض من خطب على منبر ضخم الشان رفيع المكان : ثم ان الله عز وجل بعد أن أنشأ الخلق وسواهم ومكن لهم لاشاهم فتلاشوا . ولولا أن المتكلم افتقر الى أن يلفظ بالتلاشى لكان ينبغى أن يؤخذ فوق يده . وخطب آخر فى وسط دار الخلافة فقال فى خطبته : واخرجه الله من باب الليسيَّة فادخله فى باب الايسيه (٣)

---

(١) جذول الربيئين : استطلاع المراقبين . فى المربأة : فى المرقب (٢) سجحة يماثل . السناد والاكفاء : من عيوب القافية (٣) الليسية : النفى . والايسية الاثبات . وذلك من اصطلاح المتكلمين

وقال مرة أخرى فى خطبة له : هذا فريق ما بين السارّ والضار والدّفاغ . وقال مرة أخرى : فدل ساتره على غامره ، ودل غامره على منحله . فكاد ابرهيم ابن السندى يطير شفقا ، ويتقد غيظا . هذا وابرهيم من المتكلمين والخطيب لم يكن من المتكلمين

وإنما جازت هذه الالفاظ فى صناعة الكلام حين عجزت الاسماء عن اتساع المعانى . وقد تحسن أيضا ألفاظ المتكلمين فى مثل شعر ابى نواس ، وفى كل ماقالوه على جهة التظرف والتمالح . كقول أبى نواس:

وذاتِ خَدٍّ مُوَرَّدْ ... قُوهِيَّةِ المُتَجَرَّدْ (١)

تَأْمَّلُ العينُ مِنها ... مَحاسِناً ليسَ تَنْفَدْ

فَبَعْضُها قد «تَناهى» ... وبعضُها «يَتَوَلَّدْ»

والحُسْنُ فى كلِّ عُضْوٍ ... مِنها مُعادٌ مُرَدَّدْ

وكقوله .

ياعاقِدَ القَلْبِ مِنّى ... هَلاّ تَذَكَّرْتَ حَلاّ

تَرَكْتَ قَلبى قَليلاً ... مِنَ القَليلِ أقَلاّ

يَكادُ «لا يَتَجَزّا» ... أقَلُّ فى اللَّفْظِ مِنْ: لا

وقد يتلمح الاعرابى بان يدخل فى شعره شيئا من كلام الفارسية كقول العُمانى(٢ للرشيد فى قصيدته التى مدحه فيها :

---

(١) قوهية المتجرد . بيضاء الجسم بضته حتى تكاد تشبه المقانع القوهية المنسوبة الى قوهستان . وهذه الابيات فى وصف جنان ، وفيها بعض خلاف عما فى الديوان

(٢) العُمانى : هو محمد بن ذؤيب الحنظلى الدارمى الفقيمى . شاعر بصرى ، قيل أنه لم يرُ عمان لاهو ولا أبوه ، وانما لقب « العمانى » لصفرة لونه . وكان شاعراً راجزاً من متوسطى شعراء الدولة العباسية ، ولم يكن من طبقة معاصرية أمثال أشجع ومسلم ومروان بن أبى حفصة ، ولكنه كان لطيفا داهيا مقبولا ، وكان الرشيد يستظرفه ويهش له فأفاد من ذلك مالا جليلا

مَنْ يَلْقَهُ مِنْ بَطَلٍ مُسَرَنْدِ في زَغْفَةٍ مُحْكَمَةٍ بالسَّرْدِ
يَجُولُ بَيْنَ رَأْسِهِ و « الْكَرْدِ »

يعنى العنق . ويقول فيه أيضا :

لمَّا هَوَى بَيْنَ غِيَاضِ الأُسْدِ وصارَ في كَفِّ الْهِزَبْرِ الوَرْدِ
آلى يَذُوقُ الدَّهْرَ « آبَ سَرْدِ »

وكقول الآخر :

وَوَالَهَنِي وَقْعُ الأَسِنَّةِ والْقَنَا و « كافر كوبات » لَها عِجَرٌ قُفْدُ
بأيدِي رِجَالٍ ما كَلامِي كلامُهُمْ يَسُومُونَنِي « مُرْدًا » وماأنا « والمرْدُ »

ومثل هذا موجود فى شعر العُذافر الكندى وغيره . ويجوز أيضا أن يكون الشعر مثل شعر الحروشاذ ، وأسود بن أبى كريمة ، كما قال يزيد بن ربيعة بن مُفرغ (١)

آب آسْتُ نَبِيذَ آسْتْ عُصاراتِ زَبِيبَ آسْتْ
سُمَيَّةُ رُوسبيد آسْتْ

وقال أسود بن أبى كريمة :

لَزِمَ الغُرَّامُ تَوْبِي بكْرَةً في يَوْمِ سَبْت
فتمايَلْتُ عَلَيْهِمْ ميلَ زَنْكِيٍّ بِمَسْت
قَدْحَسا الدَّاذِيَّ صِرْفا أو عقاراً بابنجست

(١) يزيد بن مفرغ الحميرى : كان شاعراً مجيدا غزلا ، له أشعار كثيرة فى هجاء يزيد ابن معاوية وفى آل زياد ، لأنه صحب عباد بن زياد لما ولى خراسان واشتغل عنه عباد بحروبه فذمه أقبح ذم وهجاه أوجع هجاء ، وسلقه بلسانه فحبسه وكان له معه ومع أخيه عبيد الله بن زياد خطوب . وله فى سعيد بن عثمان وغيره ممن واسوه فى نكباته مدائح جياد

ثم كفتم ذو زياد ... وبحكم ان خر كفت

إنَّ جِلْدِى دَبَغَتْهُ ... أهلُ صَنْعاءَ بحفت

وأبو عمْرَةَ عِنْدِى ... ان كور يذنمست

جالِس اندر مكناد ... ايا عمد بنهشت

وكما لا ينبغى أن يكون اللفظ عاميا ساقطاً سوقيا ، فكذلك لا ينبغى أن يكون غريبا وحشيا ، الا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا ، فان الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس ، كما يفهم السوقى رطانة السوقى

وكلام الناس فى طبقات ، كما أن الناس أنفسهم فى طبقات . فمن الكلام : الجزلُ ، والسخيفُ ، والمليحُ ، والحسنُ ، والقبيحُ ، والسميحُ ، والخفيفُ ، والثقيلُ ، وكله عربى ، وبكلٍ قد تكلموا ، وبكل قد تمادحوا وتعايبوا . قال زعم زاعم أنه لم يكن فى كلامهم تفاضل ، ولا بينهم فى ذلك تفاوت ، فلم ذكروا العَبِىَّ ، والبَكِيَّ ، والحَصِرَ ، والمِقَحَمَ ، والخَطِلَ ، والمسهبَ والمنشدق ، والمتفهق ، والمهماز ، والثرثار ، والمكثار ، والهماز ؟ ولم ذكروا الهُجر والهذر والهذيان والتخليط ؟ وقالوا : رجل تَلقاعة وتَلهاعة ، وفلان يتلهيع فى خطبته . وقالوا : فلان يخطىء فى جوابه ، ويحيل فى كلامه ، ويناقض فى خبره . ولولا أن هذه الامور قد كانت تكون فى بعضهم دون بعض لما سمى ذلك البعض والبعض الاخر بهذه الاسماء

وأنا أقول انه ليس فى الأرض كلام هو أمتع ، ولا أنفع ، ولا آنق ، ولا ألذ فى الاسماع ، ولا أشدّ اتصالا بالعقول السليمة ، ولا أفتق للسان ، ولا أجود تقويما للبيان ، من طول استماع حديث الاعراب الفصحاء العقلاء ، والعلماء البلغاء . وقد أصاب القوم فى عامة ما وصفوا ، الا أنى أزعم أن سخيف الالفاظ مشاكل لسخيف المعانى ، وقد يحتاج الى السخيف فى بعض المواضع ، وربما أمتع بأكثر من امتاع الجزل الفخم ، ومن الالفاظ الشريفة الكريمة المعانى . كما أن النادرة الباردة جدًّا قد تكون أطيب من النادرة الحارة جدًّا . وانما الكرب الذى يخيم (١) على القلوب

(١) فى نسخة : يحتم . وليس هذا مقام تحتيم ، والصحيح يخيم . كما يقتضيه السياق كما أثبتناه ها هنا

ويأخذ بالأنفاس: النادرة الفاترة التى لا هى حارة ولا هى باردة . وكذلك الشعر الوسط ، والغناء الوسط . وانما الشأن فى الحارّ جدًّا والبارد جدًّا

وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول : والله لفلان أثقل من مغنّ وسط ، وأبغض من ظريف وسط

ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من كلام الاعراب فاياك وأن تحكيها الا مع إعرابها ومخارج ألفاظها ؟ فانك ان غيرتها بان تلحن فى إعرابها وأخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوامّ ، وملحة من ملح الحشوة والطغام ، فاياك وأن تستعمل فيها الاعراب ، أو أن تتخير لها لفظا حسنا ، أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا ، فان ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذى أريدت له ويذهب استطابتهم اياها واستملاحهم لها

ثم اعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتقعيب ، والتشديق والتمطيط ، والجهورة والتفخيم . وأقبح من ذلك لحن الاعاريب النازلين على طرق السابلة و بقرب مجامع الاسواق . ولاهل المدينة السنة ذلقة والفاظ حسنة ، وعبارة جيدة . واللحن فى عوامّهم فاش ، وعلى من لم ينظر فى النحو منهم غالب

واللحن من الجوارى الظراف ، ومن الكواعب النواهد ، ومن الشواب الملاح ، ومن ذوات الخدور الغرائر ، أيسر . وربما استملح الرجل ذلك منهن ما لم تكن الجارية صاحبة تكلف . ولكن اذا كان اللحن سجية سكان البلد . وكما يستملحون اللثغاء اذا كانت حديثة السن ، ومقدودة مجدولة ، فاذا أسنت واكتهلت تغير ذلك الاستملاح ، وربما كان اسم الجارية غُليم وصُبية وما اشبه ذلك ، فاذا صارت كهلة جزلة ، وعجوزاً شهلة ، وحملت اللحم ، وتراكم عليها الشحم ، وصار بنوها رجالا ، وبناتها نساء ، فما أقبح حينئذ أن يقال لها : ياغليم كيف أصبحت ؟ ويا صبية كيف أمسيت ؟ ولأمرما كنّت العرب البنات فقالوا : فعلت أم الفضل ، وقالت أم عمرو ، وذهبت ام حكيم ، نعم حتى دعاهم ذلك الى التقدم فى تلك الكنى

وقد فسرنا ذلك كله فى « كتاب الاسماء والكنى والالقاب والانباز »

وقد قال مالك بن أسماء فى استملاح اللحن من بعض نسائه :

أمُغطّيَ مِنّى على بَصَرى لِلْـ ـحُبِّ ، أمْ أنتِ أكملُ النّاسِ حُسْنًا؟

وحَـديثٍ ألَذُّهُ هو مِمَّـا ... يَنْعَتُ النَّـاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنَا
مَنْطِقٌ صَائِبٌ وتَلْحَنُ أحْيَـا ... نًا وأحْـلَى الحَدِيثِ ما كانَ لَحْنا(١)

وهم يمدحون الحذق والرفق والتخلص الى حبات القلوب ، والى إصابة عيون المعانى . ويقولون : أصاب الهدف ، اذا أصاب الحق فى الجملة . ويقولون قَرْطسَ فلان ، وأصاب القرطاس ؛ اذا كان أجود اصابة من الأول . فاذا قالوا : رمى فاصاب الغرة ، وأصابَ عين القِرطاس ؟ فهو الذى ليس فوقه أحد . ومن ذلك قولهم : فلان يفل المحز ويصيب المفصل ، ويضع الهناء مواضع النقب . وقال زُرارةُ بنُ جزء حين أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتكلم عنده ورفع حاجته اليه :

أتَيْتُ أبا حَفْصٍ ولا يَسْتَطِيعُهُ ... مِنَ النَّاسِ إلاَّ كالسِّنَانِ طَرِيرُ
فَوَفَّقَنِى الرَّحْمٰنُ لَمَّا لَقِيتُهُ ... ولِلْبابِ من دُونِ الخُصومِ صَرِيرُ
قُرُومٌ غُيارَى عِنْدَ بابٍ مُمَنَّعٍ ... تُنازِعُ مَلْكاً يَهْتَدِي ويَجُورُ
فَقُلْتُ لهُ قَوْلاً أصَابَ فُؤادَهُ ... وبَعْضُ كلامِ القائِلِينَ غُرُورُ

وفى شبيه ذلك يقول عبد الرحمن بن حسان حيث يقول :

رِجالٌ أصِحَّاءُ الجُلُودِ مِنَ اللَّحْنَا ... وألْسِنَةٌ مَعْرُوفَةٌ أيْنَ تَذْهَبُ

(١) روى ابو الفرج الاصبهانى بسنده عن على بن يحيى المنجم أنه قال : قلت للجاحظ : إنى قرأت فى فصل من كتابك « البيان والتبيين : وإنما يستحسن من النساء اللحن فى الكلام » واستشهدت ببيتى مالك بن أسماء ؟ قال : هو كذلك . فقلت : أما سمعت بخبر هند ابنة اسماء بن خارجة مع الحجاج حين لحنت فى كلامها فعاب ذلك عليها فاحتجت ببيتى أخيها فقال لها : إن أخاك أراد أن المرأة فطنة تلحن بالكلام الى غير الظاهر بالمعنى لتستر معناه وتورى عنه وتفهمه من أرادت بالتعريض ، كما قال الله عز وجل ولتعرفنهم فى لحن القول . ولم يرد الخطأ من الكلام والخطأ لا يستحسن من أحد ؟ ؟ ؟

فوجم الجاحظ ساعة ثم قال : لو سقط الىَّ هذا الخبر أولا لما قلت ما تقدم . فقلت له : فأصلحه . فقال : الآن وقد سار به الكتاب فى الآفاق ؟ .

وفى اصابة فص الشيء وعينه ، يقول ذو الرُّمة فى مديح بلال بن أبى بردة الاشعرى :

تُناخِي عِنْـدَ خَيْرِ قَيِّ يَمَانٍ ... إذا النَّـكْبَاءُ عارَضَتِ الشَّمالا
وخَيْرِهِم مآثِرَ أهْلِ بَيْتٍ ... وأكْرَمِهِمْ وَإِنْ كَرُمُوا فِعالا
وأبْعَدِهِمْ مَسافَةَ غَوْرِ عَقْلٍ ... إذا ما الأمْرُ فى الشُّبُهاتِ عالا
ولَبَّسَ بينَ أقْوامٍ فَكُلٌّ ... أعَدَّ لَهُ الشَّغازِبَ والمحالا (١)
وكُلُّهُمُ أَلَدُّ لهُ كِظاظٌ ... أعَدَّ لِكُلِّ حالِ القَوْمِ حالا (٢)
فَصَلْتَ بِحِكْمَةٍ فأصَبْتَ مِنها ... فُصُوصَ الحَقِّ فانْفَصَلَ انْفِصالا

وكان أبو سعيد الراى ، وهو شرشير المدنى ، يعيب أبا حنيفة (٣) فقال الشاعر :

عِنْدِى مَسائِلُ لا شَرْشِيرُ يُحْسِنُهَا ... عِنْدَ السُّؤالِ ولا أصْحابُ شَرْشِيرِ
ولا يُصِيبُ فُصُوصَ الحَقِّ تَعْلَمُهُ ... إلاّ حَنِيفِيَّةٌ كُوفِيَّةُ الدُّورِ

ومما قالوا فى الايجاز و بلوغ المعانى بالالفاظ اليسيرة ، قال ثابت بن قطنة :

مازِلْتُ بَعْدَكَ فِي هَمٍّ يَجِيشُ بِهِ ... صَدْرِي وفي نَصَبٍ قد كادَ يُبْلِينِي
إنِّى تَذَكَّرْتُ قَتْلَى لَوْ شَهِدْتُهُمُ ... فى غَمْرَةِ الْمَوْتِ لَمْ يُصْلَوْا بِهادُونِى
لا أُكْثِرُ الْقَوْلَ فيما يَهْضِبُونَ بِهِ ... مِنَ الْكَلامِ قَلِيلٌ مِنْهُ يَكْفِينِي (٤)

وقال رجل من طيء ومدح كلام رجل فقال : هذا كلام يكتفى بأولاه ، و يشتفى باخراه . وقال أبو وجزة السعدى ، من سعد بن بكر ، يصف كلام رجل :

يَكْفِى قَلِيلُ كَلامِهِ وكَثِيرُهُ ... ثَبْتٌ إذا طالَ النِّضالُ مُصِيبُ

---

(١) الشغازب : المصارع الشغزبية وهى حركة من حركات المصارعين . وهى أن يعقل المصارع رجله برجل خصمه فيصرعه . والمحال : الاحتيال (٢) له كظاظ : أى صاحب تجارب ومراس فى الحرب (٣) ابوحنيفة هو الامام الاعظم ابوحنيفة النعمان صاحب المذهب وهو اشهر من أن يعرف توفى سنة ١٥٠ هـ ٧٦٧ م (٤) يهضبون : يسحون بالكلام سحا

ومن كلامهم الموجز فى أشعارهم قول العكلى فى صفة قوس :

فى كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مَنُوعُ مُوثَقَةٌ صَابِرَةٌ جَزُوعُ

وقال الآخر ووصف سهم رام أصاب حمارا فقال : حَتَّى نَجَا مِنْ جَوفِهِ وما نَجا

وقال الاخر وهو يصف ذئبا :

أَطْلَسُ يُخْفِى شَخْصَهُ غُبارُهُ فِي شِدْقِهِ شَفْرَتُهُ ونارُهُ

وَهُوَ الخَبِيثُ عَيْنُهُ فِرَارُهُ بَهْمُ بَنِى مُحارِبٍ مُزْدارُهُ

ووصف الآخر ناقة فقال : خَرْقَاءُ إلا أنها صَنَاعُ

وقال الآخر ووصف سهما صارداً (١)

أَلْقَى على مَفْطُوحِها مَفْطُوحا غادَرَ داءً ونَجا صَحِيحا

المفطوح الاول للقوس ، وهو العريض ، وهو هاهنا موضع مقبض القوس . والمفطوح الثانى السهم العريض . يعنى أنه ألقى على مقبض القوس سهما عريضا

وقال الاخر :

إِنكَ يا ابْنَ جَعْفَرٍ لا تُفْلِحُ اللَّيْلُ أَخْفَى والنَّهارُ أَفْضَحُ

وقالوا فى المثل: الليل أخفى للويل

وقال رؤبة يصف حمارا:

حَشْرَجَ فِي الجَوْفِ سَحِيلاً أَوْشَهَقْ حتى يُقَالَ ناهِقٌ وما نَهَقْ

الحشرجة: صوت الصدر. والسحيل: صوت الحمار اذا مده. والشهيق: أن يقطع الصوت

وقال بعض ولد العباس بن مرداس السُّلمى فى فرس أبى الاعور السلمى :

جاء كَلَمْحِ البَرْقِ جاشَ ناظِرُهْ يَسْبَحُ أولاهُ ويَطْفُوا آخِرُهْ

(١) فى نسخة صادرا وهو خطأ، والصواب صارداً كما اثبتناه

فَمَا يَمَسُّ الأَرْضَ مِنْهُ حافِرُهْ

قوله : جاش ناظره ، أى جاش بمائه . وناظر البرق سحابه . يسبح يعنى يمد ضبعية ، فاذا مدهما علا كفله

وقال الاخر : إنْ سَرَّكَ الأَهْوَنَ فابْدَأْ بالأَشَدّْ

وقال العجّاج :

يُمْكِنُ السَّيْفَ إذا الرُّمْحُ انْأَطَرْ مِنْ هَامَةِ اللَّيْثِ إذا اللَّيْثُ هَتَرْ (١)

كَجَمَلِ البَحْرِ إذا خاضَ جَسَرْ غَوارِبَ اليَمِّ إذا اليَمُّ هَدَرْ

حتى يُقالَ جاسِرٌ وما جَسَرْ

اليمّ : معظم الماء . وغوارب اليم مُعظمة . جَسر : قطع . ومنه قيل للجسرِ جسرٌ لان الناس يقطعون عليه . وقوله حتى يقال جاسر وما جسر ، اى قطع الامر وهو بعد فيه لما يرون من مضائه فيه وقدرته عليه

وقال الآخر :

يا دارُ قد غَيَّرَها بِلاهَا كأَنَّما بِقَلَمٍ مَحاها

أَخْرَبَها عُمْرانُ مَنْ بَناها وَكَرُّ مُمْساها على مَغْناها

وطَفِقَتْ سَحابَةٌ تَغْشاها تَبْكِي على عِراصِها عَيْناها

قوله : أخربها عمران من بناها ، يقول : عمرها بالخراب . وأصل العمران مأخوذ من العمر وهو البقاء ، فاذا بقى الرجل فى داره فقد عمرها . فيقول: ان مدة بقائه فيها أبلت منها، لان الايام مؤثرة فى الاشياء بالنقص والبلاء . فلما بقى الخراب بها وقام مقام العُمران فى غيرها سمى بالعمران

وقال غيره

يا عَجَّلَ الرَّحْمٰنُ بالعَذابِ لِعامِرَاتِ البَيْتِ بالخَرابِ

يعنى الفأر . يقول : هذا عمرانها ، كما يقول الرجل : ما نرى من خيرك ورفدك

(١) إنأطر : إنثنى والتوى فى يده

الا ما يبلغنا من خطبك علينا وفتك فى أعضادنا ؟ وقال الله عز وجل « هذا نزلهم يومَ الدين » والعذاب لا يكون نزلا، ولكنه لما أقام العذاب لهم في موضع النعيم لغيرهم سمى باسمه

وقال الآخر :

فَقُلْتُ أطْعِمِنى عُمَيرُ تَمْرا فكانَ تَمرِى كَهرَةً وزَبْرا (١)

والتمر لا يكون كهرة وزبرا ، ولكنه على ذا : وقال الله عز وجل « ولهم رزقهم فيها بُكرة وعَشيا » وليس فى الجنة بكرة ولا عشى، ولكن على مقدار البُكر والعشيات . وعلى هذا قول الله عز وجل « وقال الذين فى النار لخزنة جهنم » والخزنة الحفظة، وجهنم لا يضيع منها شىء فيحفظ ، ولا يختار دخولها انسان فيمنع منها ، ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ الخازن سميت به

قوله ممساها يعنى مساءها . ومغناها : موضعها الذى أقيم فيه . والمغانى: المنازل التى كان بها أهلوها ، وطفقت : يعنى ظلت . تبكى على عراصها عيناها: يقال لكل جوبة منفتقة ليس فيها بناء « عرصه » . عيناها هاهنا السحاب ، وجعل المطر بكاء من السحاب، على طريق الاستعارة ، وتسمية الشىء باسم غيره إذا قام مقامه

وقال أبو عمرو بن العلاء : (٢) اجتمع ثلاثة من الرّواة فقال لهم قائل : أى نصف بيت شعر أحكم وأوجز ؟ فقال أحدهم : قول حُمَيْدِ بنِ ثَوْرٍ الهِلالِىّ :

وَحَسبُكَ داءً أنْ تَصِحَّ وتَسلَما

ولعل حُمَيْدًا أخذه عن النَّمِرِ بنِ تَوْلَبٍ ، قال النمر :

---

(١) الكهر : الزجر والردع. والزبر : الرمى بما فى اليد من حجر ونحوه

(٢) ابو عمرو بن العلاء : هو امام أهل البصرة فى النحو واللغة والقراءآت . وهو أحد القراء السبعة المشهورين . أخذ عن جماعة من التابعين وقرأ القرآن على سعيد بن جبير ومجاهد ، وروى عن أنس بن مالك وأبى صالح السمان وعطاء وغيرهم مدحه الفرزدق ووثقه يحيى بن معين . وكان صدوقا ثقة حجة . قال ابو عبيدة : ابو عمرو أعلم الناس بالقراءآت والعربية وأيام العرب والشعر . وكان من سادات العرب ووجوههم . قرأ عليه اليزيدى وعبدالله بن المبارك وغيرهما خلق كثير. وأخذ عنه الأدب ابو عبيدة والاصمعى وغيرهما مات سنة ١٥٩ هـ ٧٧٥ م

يُحِبُّ الفتَى طُولَ السَّلامةِ والغِنَى فَكَيْفَ تَرَى طُولَ السَّلامةِ يَفعَلُ؟

وقال أبو العَتَاهِيَة : أسرَعَ في نَقْضِ أمرِ تَمَامُهُ

ذهب إلى كلام الأول : كلُّ ما أقام شخص ، وكلّ ما ازداد نقص، ولو كان الناس يُميتهم الداء إذاً لأعاشهم الدواء .

وقال الثانى من الرواة الثلاثة : بل قول أبى خراش الهذلى :(١)

نُوَكِّلُ بالأدْنَى وإنْ جَلّ ما يَمْضِي

وقال الثالث: بل قول أبى ذُؤَيب الهذلى :

وإذا تُرَدُّ إلى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

فقال قائل : هذا من مفاخر هُذَيل أن يكون ثلاثة من الرواة لم يصيبوا فى جميع أشعار العرب إلا ثلاثة أنصاف ، إثنان منها لِهُذَيل وحدها . فقيل لهذا القائل: إنما كان الشرط أن يأتوا بثلاثة أنصاف مستغنيات بأنفسها . والنصف الذى لأبى ذؤيب لا يستغنى بنفسه ، ولا يفهم السامع معنى هذا النصف حتى يكون موصولا بالنصف الاول ، لانك إذا أنشدت رجلا لم يسمع بالنصف الاول وسمع « وإذا تُرد إلى قليل تقنعُ » قال : ومن هذه التى تُرد الى قليل فتقنع ؟ وليس المضمن كالمطلق . وليس هذا النصف مما رواه هذا العالم، وإنما الرواية قوله :

والدّهرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

---

(١) ابو خراش الهذلى : هو خويلد بن مرة من شعراء هذيل المذكورين ، وفصائحهم المعروفين، أدرك الجاهلية والاسلام فأسلم . وكان من العدائين الذين يسبقون الخيل على أرجلهم . نهشته أفعى فمات في خلافة عمر بن الخطاب . وهذا الشطر من قصيدة يرثى بها أخاه عروة ويذكر خلاص ولده خراش :

حمدت الهَوَى بعد عروة إذ نجا خراش وبعض الشر أهون من بعض
فوالله لا أنسى قتيلا رزئته بجانب قوسى ماحييت على الارض
بلى إنها تعفو الكلام وإنما نوكل بالأدنى وإن جل مايمضى
ولم أدر من ألقى عليه رداءه ولكنه قد سل عن ماجد محض

ومما مدحوا به الايجاز ، والكلام الذى كالوحى والاشارة ، قول أبى ذؤاد بن جرير الايادى :

يَرْمُونَ بِالخُطَبِ الطِّوَالِ وَتَارَةً وَحْيَ الْمَلَاحِظِ خِيفَةَ الرُّقَبَاءِ

فمدح كما ترى الاطالة فى موضعها ، والحذف فى موضعه

ومما يدل على شغفهم وكلفهم وشدة حبهم للفهم والافهام قول الاسدى فى صفة كلام رجل نعت له موضعا من تلك السباسب التى لا أمارة فيها باقل اللفظ وأوجزه ، فوصف إيجاز الناعت وسرعة فهم المنعوت له فقال :

بِضَرْبَةِ نَعْتٍ لَمْ تُعَدْ غَيْرَ أَنَّنِي عَقُولٌ لِأَوْصَافِ الرِّجَالِ ذَكُورُهَا

وهو كقولهم لابن عباس : أنى لك هذا العلم ؟ قال : قلب عقول ، ولسان سؤول وقد قال الراجز :

وَمَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرْتَيْنِ جُبْتُهُمَا بِالنَّعْتِ لَا بِالنَّعْتَيْنِ

وقالوا فى التحذير من ميسم الشعر ، ومن شدة وقع اللسان ، ومن بقاء أثره على المدوح والمهجو . قال امرؤ القيس بن حجر : ١٥

وَلَوْ عَنْ نَثًا غَيْرِهِ جَاءَنِي وَجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ الْيَدِ (١)

وقال طَرَفَةُ :

بِحُسَامِ سَيْفِكَ أَوْ لِسَانِكَ وَالْـ كَلِمُ الْأَصِيلُ كَأَرْغَبِ الْكَلْمِ (٢)

قال وأنشدنى محمد بن زياد :

لَحَوْتُ شَمَّاسًا كَمَا تُلْحَى الْعِصِيّ سَبًّا لَوْ أَنَّ السَّبَّ يُدْمِي لَدَمِي (٣)

مِنْ نَفَرٍ كُلُّهُمُ نِكْسٌ دَنِي مَحَامِدُ الرَّذْلِ مَشَائِيمُ السَّرِي (٤)

---

(١) النثا : الحديث عن الغير . (٢) كارغب الكلم : أى أن من الكلام ما يجرح جرحا هو أوسع من جرح السيف أو السنان

(٣) لحوته : قشرته ، أى كشفت المستور منه يسبى له (٤) نكس دنى : نذل لا خير فيه . وهو موضع حمد الاراذل ، ومهبط لعنات السراة والأماثل

مَخَابِطُ الْعِكْمِ مَوَادِيعُ الْمَطَى مَتَارِكُ الرَّفِيقِ بِالْخَرْقِ النَّطِيِّ

وانشد محمد بن زياد :

تَمَنَّى أبو العَفَّاقِ عِنْدِى هَجْمَةً تُسَهِّلُ مأْوَى لَيْلِهَا بِالْكَلَاكِلِ

ولاعَقْلَ عِنْدِى غَيْرُ طَعْنٍ نوافِذٍ وضَرْبٍ كَأَشْدَاقِ الفِصالِ الْهَوادِلِ

وَسَبِّ يَوَدُّ الْمَرْءُ لَوْ مَاتَ قَبْلَهُ كَصَدْعِ الصَّفَا فَلَّقْتَهُ بِالْمَعَاوِلِ

الهَجْمة: القطعة من النوق فيها فحل . والكلكل : الصدر . والفصال : جمع فصيل ، والفصيل ولد الناقة إذا فصل عنها . والهوادل : العظام المشافر . والعقل ها هنا الدية. والعاقلة: أهل القاتل الادنون والابعدون . والصفا: جمع صفاة وهي الصخرة

وقال طرفة :

رَأَيْتُ الْقَوَافِي يَتَّلِجْنَ مَوَالِجاً تَضَايَقُ عَنْهَا أَنْ تَوَلَّجَهَا الإِبَرْ

وقال الأخطل (١)

حَتَّى أَقَرُّوا وهُمْ مِنِّى عَلَى مَضَضٍ والقَوْلُ يَنْفُذُ مالا تَنْفُذُ الإِبَرُ

وقال العُمانى:

إِذْ هُنَّ فِي الرَّيْطِ وفي الْمَوَادِعِ تَرْمِى الْيَهِنَّ كَبِذْرِ الزَّارِعِ

الرَّيط : الثياب واحدها ريطة ، والريطة كل ملاءة لم تكن لفقين . والحلة لا تكون إلا ثوبين . والموادع : الثياب التى تصون غيرها ، واحدها ميدعة

وقالوا : الحرب أولها شكوى ، وأوسطها نجوى، وآخرها بلوى . وكتب نصر ابن سيار الى ابن هُبَيْرَةَ أيام تحرك أمير السواد بخراسان :

---

(١) الأخطل : هو غياث بن غوث، يكنى أبا مالك، شاعر فحل من أكابر شعراء الاسلام ينازع جريراً والفرزدق التقدم والتفوق ، وقد فضله كثير فى العلماء بالشعر عليهما . وكان نصرانيا هاجى جريرا والفرزدق وغيرهما من الشعراء . وهو شاعر بنى أمية بلا منازع ، وهذا من قصيدة له طويلة مطلعها :

خف القطين فراحوا منك أو بكروا وازعجتهم نوى فى صرفها غير

مدح فيها عبد الملك بن مروان وبنى امية وهجا قيسا . وهى من أجود شعره ولد بالجزيرة سنة ٢٠ هـ ٦٤٠ م وتوفى سنة ٩٢ هـ ٧٤٠ م

أرَى خَلَلَ الرَّمادِ وَميضَ جَمْرٍ ... فَيُوشكُ أن يكونَ لهُ اضْطِرَامُ
فانَّ النَّارَ بالعُودَيْنِ تُذكِي ... وانَّ الحربَ أوَّلُها كَلامُ
فقُلتُ منَ التَّعَجُّبِ: ليتَ شِعْرِي ... أأيقاظٌ أُمَيَّةُ أمْ نِيامُ
فَانْ كانُوا لحِينِهِمُ نِياماً ... فقُلْ قُومُوا فَقَدْ حَانَ القِيامُ

وقال بعض المولدين :

إذا نِلتُ العَطِيةَ بَعْدَ مَطلٍ ... فلا كانَتْ، وإنْ كانَتْ جَزِيلهْ
وَسُقْياً لِلعَطِيةِ ثُمَّ سُقْياً ... إذا سَهُلَتْ، وإنْ كانتْ قَليلهْ
وللشُّعَراءِ ألسِنَةٌ حِدَادٌ ... عَلى العَوْرَاتِ مُوفِيَةٌ دَليلهْ
ومنْ عقلِ الكَرِيمِ إذا اتَّقاهُمْ ... وداراهُم مُداراةً جَمِيلهْ
إذا وَضَعُوا مكائِدَهُمْ عَليهِ ... وإنْ كَذَبُوا فَليْسَ لَهُنَّ حِيلهْ

وقالوا : مذاكرة الرجال تلقيح لألبابها . ومما قالوا فى صفة اللسان قول الاسدى، أنشدنيها ابنُ الاعرابى:

وأصْبَحْتُ أعْدَدْتُ للنَّائِبَاتِ ... عِرْضاً بَرِيئاً وَعَضْباً صَقِيلا
ووقعَ لِسانٍ كحَدِّ السِّنانِ ... وَرُمْحاً طويلَ القَناةِ عَسُولا

وقال الاعشى :

أُدَافِعُ عَنْ أعْرَاضِكم وَأُعِيرُكُم ... لِساناً كمِقْرَاضِ الخفَاجِيِّ مِلحباً

الملحب : القاطع .

وقال ابنُ هَرمة :

قُلْ للذِي ظَلَّ ذا الوَتِينِ يا كُلَنى ... لقدْ خَلَوْتَ بلحْمٍ عَارِمِ البَشَمِ
إيَّاكَ لاَ أُلْزِمَنْ لَحْيَيْكَ مِنْ لُجُمٍ ... نِكْلاً يُنَكِّلُ قَرَّاصاً مِنَ اللجُمِ

إِنِّى امْرُؤٌ لاَ أُصُوغُ الْحَلْىَ تَعْمَلُهُ ... كَفَّاىَ لَكِنْ لِسَانِى صَائِغُ الْكَلِمِ

وقال الراجز :

إِنِّى بَغَيْتُ الشِّعْرَ وابْتَغَانِى ... حَتَّى وَجَدْتُ الشِّعْرَ فِي مَكَانِي

فِى عَيْبَةٍ مِفْتَاحُهَا لِسَانِي

وأنشد :

إِنِّى وإِنْ كَانَ إِزَارِى خَلَقَا ... وَبُرْدَتَاىَ سَمَلاَ قد أَخْلِقَا

قَدْ جَعَلَ اللهُ لِسَانِى مُطْلَقَاً

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عثمان: والعتابى (١) حين زعم : أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ ، لم يعن أن كل من أفهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصده ومعناه بالكلام الملحون ، والمعدول عن جهته ، والمصروف من حقه ، أنه محكوم له بالبلاغة كيف كان ، بعد أن نكون قد فهمنا عنه معنى كلام النبطى الذى قيل له : لم اشتريت هذه الاتان ؟ قال : أركبها وتَلَدُلى ، وقد علمنا أن معناه كان صحيحا . وقدفهمنا قول الشيخ الفارسي

---

(١) العتابى: هو كلثوم بن عمرو التغلبي شاعر مطبوع ، وكاتب بليغ ، وخطيب مفوه . كان من شعراء الدولة العباسية ومن متقدميهم ، وكان منقطعا الى البرامكة فوصفوه للرشيد ووصلوه به فبلغ عنده كل مبلغ ، وعظمت منه فوائده . قيل أنه جاء وهو حدث الى بشار فانشده :

أتصدف عن أمامة أم تقيم ... وعهدك بالصبا عهد قديم

أقول لمستطار القلب عنى ... على عزماته السير العديم

أما يكفيك ان دموع عينى ... شآبيب يفيض بها الهموم

اشيم فلا ارد الطرف الا ... على ارجائه ماء سجوم

فمد بشار يده اليه ثم قال له : انت بصير؟ قال : نعم. قال : عجباً لبصير ان يقول هذا الشعر ؟

حين قال لاهل مجلسه : ما من شر من دين . و إنه قال حين قيل له : ولم ذاك يا أبا فلان ؟ قال : من جرى يتعلقون . وما نشك أنه قد ذهب مذهبا . وانه كما قال معنى قول أبى الجهير الخرسانى النخاس حين قال له الحجاج : أتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان ؟ قال : شريكاتنا فى هوازها وشريكاتنا فى مداينها وكما تجىء تكون . قال الحجاج : ما تقول ويلك ؟ فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك : يقول شركاؤنا بالاهواز والمدائن يبعثون الينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها . وقلت لخادم لى : فى أى صناعة أسلم هذا الغلام ؟ قال : أصحاب سند نعال . يريد : فى أصحاب النعال السندية وكذلك قول الكاتب المغلاق للكاتب الذى دونه : اكتب لى قل حطين وريحنى منه .

فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والاغلاق والابانة والملحون والمعرب كله سواء وكله بياناً . وكيف يكون ذلك كله بياناً ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعه للفاسد من الكلام لما عرفه ؟ ونحن لم نفهم عنه الا للنقص الذى فينا . وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلون على معانى هؤلاء بكلامهم كما لا يعرفون رطانة الرومى والصقلبى . وان كان هذا الاسم انما يستحقونه بأنا نفهم عنهم كثيراً من حوائجهم فنحن قد نفهم من حمحمة الفرس كثيراً من حاجاته ، ونفهم بضغاء السنور كثيراً من ارادته . وكذلك الكلب والحمار والصبى الرضيع ، وانما عنى العتابى إفهامك العرب حاجتك على مجرى كلام الفصحاء . وأصحاب هذه اللغة لا يفقهون قول القائل منا :

« مُكْرَهٌ أخاكَ لا بَطَلٌ » و « إذا عَزَّ أخاكَ فَهُنْ »

ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم : ذهبت الى أبو زيد . ورأيت أبى عمرو . ومتى وجد النحويون أعرابياً يفهم هذا وأشباهه بهرجوه (١) ولم يسمعوا منه ، لأن ذلك يدل على طول إقامته فى الدار التى تُفسد اللغة وتنقص البيان . لأن تلك اللغة انما انقادت واستوت واطردت وتكاملت بالخصال التى اجتمعت لها فى تلك الجزيرة وفى تلك الجيرة . ولفقد الخطأ من جميع الامم . ولقد كان بين يزيد بن كثوة يوم قدم علينا البصرة وبينه يوم مات بون بعيد . على أنه قد كان وضع منزله فى آخر موضع الفصاحة وأول موضع العُجمة . وكان لا ينفك من رواة ومذاكرين .

(١) بهرجوه : زيفوه

وزعم أصحابنا البصريون عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال . لم أر قرويين أفصح من الحسن(١) والحجاج . وكان مازعموا لا يبرئهما من اللحن . وزعم أبو العاصى أنه لم ير قروياً قط لا يلحن فى حديثه وفيما يجرى بينه وبين الناس إلا ماتفقده من أبى زيد النحوى (٢) ومن أبى سعيد المعلم .

وقد روى أصحابنا أن رجلاً من البلديين قال لاعرابى . كيف أهلك ؟ قالها بكسر اللام ، قال : صلباً . لأنه أجابه على فهمه ، ولم يعلم أنه أراد المسألة عن أهله وعياله . وسمعت ابن بشير ، وقال له المفضل العنبرى : انى عثرت البارحة بكتاب وقد التقطته وهو عندى ، وقد ذكروا أن فيه شعراً ، فان أردته وهبته لك ـ قال ابن بشير : اريده ان كان مقيداً . قال : والله ماأدرى أكان مقيداً أو مغلولا ! ولو عرف التقييد

---

(١) الحسن : هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن البصرى . كان بارع الفصاحة ، بليغ المواعظ ، كثير العلم . وكان أبوه يسمى يسار من أهل ميسان مولى لزيد بن ثابت الانصارى وكانت أمه خيرة مملوكة لأم سلمة زوج النبى ﷺ وكان ربما بكى فأعطته ثديها . ومن كلامه ، وقد تلا يوماً « إنا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال » إن قوماً غنوا فى المطارف العتاق ، والعمائم الرقاق ، يطلبون الإمارات ، ويضيعون الأمانات ، يتعرضون للبلاء ، وهم منه فى عافية ، حتى اذا أخافوا من فوقهم من أهل العفة ، وظلموا من تحتهم من أهل الذمة ، أهزلوا دينهم ، وأسمنوا براذينهم ، ووسعوا دورهم ، وضيقوا قبورهم ، ألم ترهم قد جددوا الثياب وأخلقوا الدين ؟ تبكى يمين أحدهم على شماله ، ويأكل من غير ماله ، طعامه غصب ، وخدمته سخرة ، يدعو بحلو بعد حامض ، وبحار بعد بارد ، وبرطب بعد يابس : حتى اذا أخذته الكظة تجشأ من البشم ثم قال : ياجاريه ، هاتى حاطوماً ، يعنى هاضوماً يهضم الطعام ، يا أحمق ، لا والله لن تهضم إلا دينك ، أين جارك ؟ أين يتيمك ؟ أين مسكينك ؟ أين ما أوصاك الله به ؟ . وله مواعظ كثيرة آية فى البلاغة والاعتبار . وهو من سادات التابعين وأعيانهم ولد بالبصرة سنة ٢١ هـ ٦٤١ م وتوفى بالبصرة سنة ١١٠ هـ ٧٢٨ م (٢) أبو زيد : هو سعيد بن أوس الانصارى كان أماما فى النحو والأدب واللغة والنوادر والغريب ، وكان حجة ثقة . أخذ عن أبى العباس المفضل بن محمد الضبى . قال أبو عثمان المازنى : رأيت الاصمعى جاء الى حلقة أبى زيد فقبل رأسه وجلس بين يديه وقال : أنت سيدنا ورئيسنا منذ خمسين سنة . وله تصانيف كثيرة ولد سنة ١٢٢ هـ ٧٣٩ م وتوفى سنة ٢١٥ هـ ٨٣٠ م

لم يلتفت الى روايته . وحكى الكسائى (١) أنه قال لغلام بالبادية : من خلقـْك ؟ وجزم القاف ـ فلم يدر ماقال ولم يجبه . فرد عليه السؤال . فقال الغلام : لعلك تريد من خَلَقَكَ ؟ وكان بعض الاعراب اذا سمع رجلا يقول : نعم . فى الجواب . قال: نعم وشـاء . لأن لغتـه « نِعم » وقيل لعمر بن لجاء : قل « إنّا مِنَ المُجْرِمُونَ منتقمين » ؟ قال « إنا من المجرمين منتقمون » وأنشد الكسائى كلاماً دار بينه و بين بعض فتيان البادية فقال :

عَجَباً مَا عَجَبٌ أعْجَبَنِي ... مِنْ غُلاَمٍ حكَمِيٍّ أُصُلاَ

قُلْتُ هَلْ أحْسَسْتَ رَكْباً نَزَلوا ... حِضْناً مادُونَهُ ؟قال: هَلاَ

قلتُ بَيِّنْ ماهلاءهلْ نَزَلوا؟ ... قال : حُوبا . ثُمَّ ولَّى عَجِلا

لسْتُ أدْرى عِنْدَهَاما قال لِى ... أنَعَمْ ماقالَ لى؟أمْ قالَ: لاَ

تِلكَ مِنْهُ لُغَةٌ تُعْجِبُنى ... زادَتِ الْقَلبَ خَبالا خبلا

قال أبو الحسن: قال مولى زياد لزياد : أهدوا لنا حِمار وحش. قال : أى شىء تقول ويلك ؟ قال : أهدوا لنا أيْراً ، يريد أهدوا لنـا عيرا . قال زياد : ويلك الاول خير . وقال الشاعر يذكر جارية له لـكناء :

أوَّلُ مَا أسْمَعُ مِنها في السَّحَرْ ... تَذْكِيرَهَا الأُنْثَى وَتَأْنِيثَ الذَّكَرْ

والسَّوْأةُ السَّوْآءُ في ذِكْرِ الْقَمَر

فزياد قد فهم عن مولاه، وصاحب الجـارية قد فهم عن جاريته . ولـكنهما لم يفهما عنهما من إفهامها لهما . ولـكنهما لما طال مقامهما فى الموضع الذى يكثر فيه سماعهما لهذا الضرب صارا يفهمان هذا الضرب من الـكلام

---

(١) الـكسائى: هو على بن حمزة الشهير بالـكسائى إمام الـكوفيين فى النحو واللغة وأحد القراء السبعة المشهورين . قال ابن الاعرابى : كان الـكسائى أعلم الناس بالفقه ضابطاً عالماً بالعربية قارئاً صدوقاً الا إنه كان يديم شرب النبيذ وغيره . مات بالرى سنة ١٩٢ هـ ٨٠٧ م

﴿ ذكر ماقالوا فى مديح اللسان بالشعر الموزون واللفظ المنثور ﴾

(ماجاء في الأثر وصح به الخبر)

قال الشاعر :

أرَى النّاسَ فِى الأَخْلاَقِ أَهْلَ تَخَلُّقٍ ... وأَخْبارَهُمْ شَتَّى فَمُعْرِفٌ وَمُنكَرُ

قَرِيباً تَدانيهِمْ إِذَا مَا رَأَيْتَهُم ... ومُخْتَلِفاً مَا بَيْنَهُمْ حِينَ تَخْبُرُ

فَلاَ تَحْمَدَنَّ الدَّهْرَ ظاهِرَ صَفْحَةٍ ... مِنَ المَرْءِ مالَمْ تَبْلُ ما لَيْسَ يَظْهَرُ

فما المَرْءُ إِلا الأَصْغَرَانِ لِسَانُهُ ... ومَعْقُولُهُ والجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرُ

وما الزَّيْنُ في ثَوْبٍ تَرَاهُ وَإِنَّما ... يَزِينُ الْفَتَى مَخْبُورُهُ حِينَ يُخْبَرُ

فانْ طُرَّةٌ رَاقَتْكَ مِنْهُمْ فَرُبَّما ... أَمَرَّ مذاقُ العودِ والعُودُ أَخْضَرُ

وقال سويد بنُ أبى كاهل (١) فى ذلك :

وَدَعَتْنِي بِرُقاها انَّها ... تُنْزِلُ الأَعْصَمَ مِنْ رَأْسِ الْيَفَعْ ٢

تُسْمِعُ الحُدَّاثَ قَولاً حَسَناً ... لَوْ أَرَادُوا غَيْرَهُ لَمْ يُسْتَطَعْ

ولِساناً صَبِرَفِيًّا صارِماً ... كَحُسَامِ السَّيفِ مَا مَسَّ قَطَعْ

وقال جَرير : (٣)

---

(١) سويد بن أبى كاهل اليشكرى : شاعر متقدم من مخضرمى الشعراء فى الجاهلية والاسلام . وهذه الابيات من قصيدته البارعة التى قال فيها الأصمعى : كانت العرب تفضلها وتعدها من حكمها ، وكانت تسميها فى الجاهلية « اليتيمة » وهى مثبتة كاملة بالمفضليات ومشروحة بقلمنا ، فمن شاءها فليرجع اليها

(٢) الاعصم : صفة من صفات الظباء والوعول . اليفع : المكان المرتفع

(٣) جرير : هو جرير بن عطية بن الخطفى اليربوعى يكنى أبا حزرة ، وهو والفرزدق والاخطل المقدمون على شعراء الاسلام ، وكان جرير اكثرهم فنون شعر ، وأسهلهم ألفاظا ، واقلهم تكلفها ، وأرقهم نسيباً ، وأسيرهم شعراً ، مع عفة ودين .

وليسَ لِسَيْفِي في العِظامِ بَقِيَّةٌ ولاالسَّيفُ أشْوَى وَقْعَةً من لِسانِيا

وقال الآخر :

وَجُرْحُ السَّيفِ تَدمُلُهُ فَيبرَى وَيَبقي الدَّهْرَ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

وقال الآخر :

أبا ضبيعةَ لاَ تَعْجَلْ بِسَيِّئَةٍ الى ابْنِ عَمِّكَ واذكُرْهُ بِاحسان
إمَّا تَرَانى وَأثوَابى مقاربة ليست بخز ولا من نسج كَتَّانِ
فانَّ فى المَجْدِ هِمَّاتي وفى لُغَتى عُلْوِيَّةٌ وَلِسانى غَيرُ لَحَّانِ

وفيما مدحوا به الاعرابيّ اذا كان أديباً انشدنى ابنُ أبى خُزيمة واسمه أسود:

ألا زَعَمَتْ عَفْرَاء بالشَّامِ أنَّنِي غُلامُ جَوَارٍ لا غُلامُ حرُوبِ
وإنّى لاَهدَى بالأَوَانِسِ كالدُّمَى وإنّى بأطرَافِ القَنَا لَلَعُوبُ
واني على ما كانَ من عُنْجُهِيَّتِي وَلَوْثَةِ أعْرَابِيَّتِى لاديبُ

وقال ابنُ هرْمَةَ :

للهِ دَرُّكَ مِنْ فَتًى فَجعَت بهِ يَوْمَ الْبَقيعِ حَوَادِثُ الأيّامِ
هَشٌّ إذا نَزَلَ الوفود بِبابهِ سَهْلُ الحِجَابِ مؤدَّبُ الْخُدَّامِ
فاذا رَأيتَ شَقِيقَه وصَدِيقَه لَمْ تَدرِ أيُّهُما أخُو الأرْحامِ

وقال كَعْبُ بنُ سَعْدِ الغَنَوِى :

حَبِيبٌ الى الزُّوَّارِ غِشْيَانُ بيتهِ جَمِيلُ المُحيَّا شَبَّ وَهْوَ أدِيب

قال الاصمعى: كان ينهش جريراً ثلاثة وأربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره ويرمى بهم واحدا واحدا، ومنهم من كان ينفخه فيرمى به وثبت له الفرزدق والاخطل. كانت ولادة جرير سنة ٢٩ هـ ٦٤٩ م. وتوفى بعد الفرزدق بسنة. وكانت وفاته باليمامة سنة ١١١ هـ ٧٢٩ م

اذا مَا تَرَاآهُ الرِّجال تَحفّظوا فَلَمْ تَنْطِقِ العَوْرَاء وَهْوَ قَرِيب

وقال الحارثى :

وَتعْلم أنّى ماجِدٌ وتَرُوعُها بَقِيّةُ أعْرَابِيّةٍ فى مُهَاجِر

وقال الآخر :

وانّ امرأً فى النّاسِ يُعطى ظُلامةً وَيُمْنَعُ نَصفَ الْحَقّ منه لَرَاضِع

أ ألموتَ يَخشَى أنْ كلَ اللهُ أُمَّهُ أمِ الْعَيْشَ يَرْجو نَفعَهُ وَهوَ ضَائِع

ويطْعَم مالَمْ يَنْدَفِعْ فِي مَرِيئِهِ وَيَمْسَحُ أعْلَى بَطْنِهِ وهوَ جائِعُ

وإنّ الْعُقُولَ فاعْلَمَنَّ أَسِنَّةٌ حِدادُ النواحِي أرْهَفَتْها المواقعُ

ويقول : كأن لسانه لسان ثور. وحدثنى من سمع أعرابياً مدح رجلا برقة اللسان فقال : كان والله لسانه أرق من ورقة، وألين من سرقة. وقال النبى ﷺ لحسان بن ثابت : ما بقى من لسانك ؟ فاخرج لسانه حتى ضرب بطرفه أرنبته ثم قال : والله ما يسرنى به مقول من معد ، والله لو وضعته على صخر لفلقه، أو على شعر لحلقه . قال: وسمعت أعرابياً يصف لسان رجل فقال : كان يشول بلسانه شولان البروق، و يتخلل به تخلل الحية . وأظن هذا الاعرابى أبا وجيه العكلى

يشول : يرفع . البروق : الناقة اذا طابت الفحل فانها حينئذ ترفع ذنبها . وانما سمى شوّال شوّالا لان النوق شالت باذنابها فيه . فان قال قائل : قد يتفق أن يكون شوّال فى وقت لا تشول الناقة بذنبها فيه فلم بقى هذا الاسم عليه وقد ينتقل ماله لزم عنه ؟ قيل له : إنما جعل هذا الاسم له سمة حيث اتفق أن شالت النوق باذنابها فيه فبقى عليه كالسمة ، وكذلك رمضان إنما سمى لرمض الماء فيه ، وان كان قد يتفق هذا الاسم فى وقت البرد والحر

ووصف أعرابى رجلا فقال : أتيناه فاخرج لسانه كانه مخراق لاعب . وقال العباس بن عبد المطلب للنبى ﷺ : يارسول الله ، فيم الجمال ؟ قال: فى اللسان . وكان مجاشع بن درام خطيبا سليطا ، وكان نهشل بكيئاً منزوراً ، فلما خرجا من عند بعض الملوك عذله مجاشع فى تركه الكلام. فقال له نهشل: انى والله لأحسن تكذابك ولا تأثامك ، تشول بلسانك شولان البروق .

وقالوا : على جميع الخلق مرتبة الملائكة ، ثم الانس ، ثم الجن . وأنما صار لهؤلاء المزية على جميع الخلق بالعقل ، وبالاستطاعة على التصرف ، وبالمنطق .

وقال خالد بن صفوان : ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة ، أو بهيمة مهملة.

وقال رجل لخالد بن صفوان : مالى اذا رأيتكم تتذاكرون الاخبار ، وتتدارسون الآثار ، وتتناشدون الاشعار ، وقع علىَّ النوم؟ قال : لانك حمار فى مسلاخ انسان .

وقال صاحب المنطق : حد الانسان الحى الناطق المبين . وقال الاعور الشنى (١)

وكائنْ ترَى مِنْ صامتٍ لكَ مُعْجِبٍ ... زِيادَتُهُ أوْ نَقْصُهُ فى التَّكلمِ

لِسانُ الفَتَى نِصْفٌ ونِصْفٌ فؤادُهُ ... فَلَمْ تَبْقَ الا صُورَةُ اللحْمِ والدَّمِ

ولما دخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر زرى عليه للذى رأى من دمامته وقصره وقلته فقال النعمان : تسمع بالمُعَيْدِيِّ لا أن تراه . فقال : أبيت اللعن ، ان الرجال لا تكال بالقفزان ، ولا توزن بميزان ، وليست بمسوك يستقى بها ، وانما المرء بأصغريه بقلبه ولسانه ، ان صال صال بجنان ، وان قال قال ببيان .

واليمانية تجعل هذا للصقعب النهدى ، فان كان ذلك كذلك فقد أقروا أن نهداً من معد .

وكان يقال : عقل المرء مدفون بلسانه

﴿ باب فى ذكر اللسان ﴾

أبو الحسن قال : قال الحسن : لسان العاقل من وراء قلبه ، فاذا أراد الكلام تفكر ، فان كان له قال ، وان كان عليه سكت . وقلب الجاهل من وراء لسانه ، فان هم بالكلام تكلم به له أو عليه

قال ابو عبيدة ، قال أبو الوجيه : حدثنى الفرزدق (٢) قال : كنا فى ضيافه

---

(١) هذان البيتان يرويان لزهير بن أبى سلمى وهما ضمن معلقته . ويظهر أن هذا من خلط الرواة وعبثهم

(٢) الفرزدق : هو همام بن غالب بن صعصعة التميمى ، ويكنى أبا فراس ، وهو وجرير والاخطل الذين ذهبوا بالتقدم على شعراء الاسلام ، وكان شاعرا فخم العبارة

معاوية بن أبى سفيان ومعنا كعب بن جعيل التغلبي فقال له يزيد : ان ابن حسان ـ يريد عبد الرحمن ـ قد فضحنا فاهج الانصار . قال: أرادى أنت الى الاشراك بعد الاسلام ؟ لا أهجو قوما نصروا رسول الله ﷺ ولكنى أدلك على غلام منا نصرانى كأن لسانه لسان ثور : يعنى الاخطل

وقال سعد بن أبى وقاص لعمر ابنه ـ حين نطق مع القوم فبذهم وقد كانوا كلموه فى الرضا عنه :ـ هذا الذى أغضبنى عليه أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « يكون قوم يأكلون الدنيا بألسنهم كما تلحس الارض البقرة بلسانها » .

وقال معاوية لعمرو بن العاص : يا عمرو ان أهل العراق قد أكرهوا عليا على أبى موسى ، وأنا وأهل الشام راضون بك ، وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأى ، فأجد الحز وطبق المفصل ، ولا تلقه برأيك كله

والعجب من قول ابن الزبير الاعرآب : سلاحكم رث ، وحديثكم غث؟وكيف يكون هذا وقد ذكروا أنه أحسن الناس حديثا وأن أبا نضرة وعبد الله بن أبى بكر انما كانا يحكيانه، فلا ادرى الا ان يكون حسن حديثه هو الذى القى الحسد بينه وبين كل حسن الحديث.

وقد ذكروا ان خالد بن صفوان تكلم فى بعض الامر فأجابه رجل من أهل المدينة بكلام لم يظن خالد أن الكلام كان عنده فلما طال بهما المجلس كان خالد عرض له (١) ببعض الامر فقال المدنى : يا أبا صفوان ، ما من ذنب الا اتفاق الصناعتين . ذكر ذلك الاصمعى . قال فضال الازرق ، قال رجل من بنى منقر : تكلم خالد بن صفوان فى صلح بكلام لم يسمع الناس قبله مثله ، واذا اعرابى فى بت (٢) ما فى رجليه حذاء ، فاجابه بكلام وددت والله أنى كنت متّ وأن ذلك

شديد أسر الكلام ، جيد الاسلوب . وكانت بينه وبين جرير والاخطل مناقضات ومنافرات ومنافسات واهاج . مات سنة ١١٠ هـ ٧٢٨ م ورثاه جرير بأبيات منها

فلا ولدت بعد الفرزدق حامل ولا ذات بعل من نفاس تعلت
هو الوافد الميمون والراتق الثآى اذا النعل يوما بالعشيرة زلت

(١) فى الأصل:أعرض، وليست بذاك ، والصواب: عرّض كما اثبتناه (٢) فى الاصل : بث ، ولا معنى للبث الذى هو الحزن الشديد ههنا، والصحيح انها : بت ، وهو طيلسان من خز أو نحوه أو هو قباء غليظ.

لم يكن ، فلما رأى خالد ما نزل بى قال : كيف نجاريهم وانما نحكيهم ، وكيف نسابقهم وانما نجرى على ما سبق الينا من أعراقهم ؟ (١) وليفرخ روعك(٢) فانه من مقاعس ، ومقاعس لك . فقلت : يا أبا صفوان والله ما ألومك على الاولى ، ولا أدع حمدك على الاخرى

قال أبو اليقظان: قال عمر بن عبد العزيز : ما كلمنى رجل من بنى أسد الا تمنيت أن يمد له فى حجته حتى يكثر كلامه فأسمعه

وقال يونس : ليس فى بنى أسد الا خطيب ، أو شاعر ، أو قائف، أو زاجر ، أو كاهن ، أو فارس . قال : وليس في هذيل الا شاعر ، أو رام ، أو شديد العدو

التَّرْجُمَانُ بنُ هُرَيْمِ بن عدى بن أبى طحمة قال : دعى رقبة بن مصقلة ـ أو كرب بن رقبة ـ الى مجلس ليتكلم فيه فرأى مكان أعرابى في شملة فانكر موضعه فسال الذى عن يمينه عنه فخبره أنه الذى أعدوه لجوابه، فنهض مسرعا لا يلوى على شيء كراهة أن يجمع بين الديباجتين فيتضع عند الجميع .

وقال خلاد بن يزيد : لم يكن أحد بعد أبى نضرة أحسن حديثا من مسلم بن قتيبة قال: وكان يزيد بن عمر بن هبيرة يقول : احذفوا الحديث كما يحذفه مسلم بن قتيبة

ويزعمون أنه لم يروا محدثاً قط صاحب آثار كان أجود حذفا وأحسن اختصارا للحديث من سفيان بن عيينة ، سالوه مرة عن قول طاوس في زكاة الجراد فقال ابنه عنه ، زكاته أخذه

(وباب آخر) وكانوا يمدحون شدة العارضة ، وقوة المسنة ، وظهور الحجة وثبات الجنان ، وكثرة الريق ، والعلو عن الخصم . ويهجون بخلاف ذلك قال الشاعر :

طَباقاءُ لم يَشْهَدْ خُصوماً ولم يَعِشْ حَمِيداً ولم يَشهدْ حلالا ولا عِطْرا

قال ابو زبيد الطائى (٣)

وخَطيبٍ إذا تَمُوت الأُحْـ جه يَوْماً فى مأقط مَشْهود

طباقاء : يقال للبعير إذا لم يحسن الضراب جمل عياياه ، وجمل طباقاء ، وهو هنا للرجل الذى لا يتجه للحجة . الحلال : الجماعات ، ويقال : حى حلال، اذا كانوا

(١) أعراقهم : اصولهم (٢) ليفرخ روعك : ليهدأ بالك ولتطمئن نفسك (٣) فى الاصل : ابو زيد وليس كذلك ،والصحيح انه ابو زبيد الطائى . وابو

متجاورين مقيمين . والعطر ها هنا : الحرس . الماقط : الموضع الضيق ، والمأقط : الموضع الذى يقتتل فيه

وقال نافعُ بن خليفةَ الغنوىُّ :

وخَصْمٍ لَدَى بابِ الأميرِ كأنَّهمْ قُرومٌ فَشَافِيها الزَّوائِرِ والهَـدْر

القروم : الجمال المصاعب . الزوائر : الذين يزأرون . الهدر : صوته عند هيجه ، ويقال له : الهديرُ

دَلَفْت لَهمْ دونَ المُنَى بِمِلِمَّةٍ من الدُّرِّ فى أعْقَابِ دُرَّتِها شَذْر

دَلفت : دنوت

إذَا القومُ قالوا : أدْنِ منها وَجَدْتَها مطَـبَّقَةً يَهْماءَ لَيسَ لها خَصْر

قوله : أدن منها ، أى قللها واختصرها . وجدتها مطبقة : أى طبقتهم بالحجة. اليهماء : الارض التى لا يهتدى فيها الطريق ، ويهماء ها هنا يعنى التى لا يهتدى اليها ، ويضل الخصوم عندها . والأيهم من الرجال : الحائر الذى لا يهتدى لشيء ، وأرض يهماءُ : اذا لم تكن فيها علامة

وقال الأسلعُ بن قطاف الطهوى :

فـداءٌ لِقَوْمي كلُّ مَعْشَرِ جارِمٍ طَرِيدٍ ومَخذولٍ بِمـا جرَّ مُسلَمُ

هُمُ أفْحَمُوا الخَصْمَ الذِى يَسْتَفِيدني وَهُمْ قَصَمُوا حِجْلي وهم حَقَنُوا دَمِى (١)

بأيْدٍ يُفَرِّجْنَ المَضِيقَ وألْسنٍ سِلاطٍ وَجَمعٍ ذِي زُهاء عَرَمْرَمِ

اذَا شِئتَ لَمْ تَعدَم لدَى البابِ منْهُم جَميلَ المحيَّا وَاضِحاً غَـيرَ تَوأمِ

التوأمان : الاخوان المولودان فى بطن .

وقال التَّميمى فى ذلك:

زبيد الطائى هو حرملة بن المنذر شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام ، ومات نصرانيا وكان لسنا فصيحا وصافا بليغا وهو الذى وصف الاسد فى حضرة عثمان عمر عمراً طويلا ومات فى عهد معاوية (١) حجلى : قيدى

أما رأيتَ الألسُنَ السِّلاطا والجاهَ والاقدامَ والنَّشاطا ؟
إنَّ النَّدَى حيثُ ترَى الضِّغاطا

ذهب فى البيت الأخير الى قول الشاعر :

يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَثِرُ الْحَبُّ وتُغْشَى مَنَازِلُ الكُرَماءِ

والى قول الآخر :

يَرْفَضُّ عَنْ بَيْتِ الفقيرِ ضُيوفُهُ وترَى الغِنَى يَهْدِى لَكَ الزُّوَّارا

وأنشد فى المعنى الأول :

وخَطيبِ قَوْمٍ قَدَّمُوهُ أمامَهمْ ثِقَةً بهِ مُتَخَمِّطٍ نَيَّاحِ
جَاوَبْتُ خُطْبَتَهُ فَظَلَّ كأنَّهُ لَمَّا خَطَبْتُ مُمَلَّحٌ بِمِلاَحِ

المتخمط : المتكبر مع غضب . النَّيَّاحُ والمُنيح : الذى يَعرض فى كل شيء، ويدخل فيما لا يعنيه . قوله مملح بملاح : أى منقبض كأنه ملح من الملح .

وأنشد أيضاً :

أرِقْتُ لِضَوْءِ بَرْقٍ فى نَشاص تَلأْلأَ فى مُمَلاَّةٍ غِصَاص

النشاص : السحاب الابيض المرتفع بعضه فوق بعض ، وليس بمنبسط . والتلألؤ : ظهور البرق فى سرعة . مُمَلاَّة بالماء . غصاص : قد غصت بالماء .

لواقِحُ دُلَّحٌ بالماءِ سُحْمٌ تَمُجُّ الغَيْثَ مِنْ خَلَلِ الْخَصاص

اللَّواقحُ : التى قد لقحت من الريح . والدُّلَّحُ : الدانية الظاهر المثقلة بالماء . سُحم : سود . الخصاص هاهنا خَلَلُ السحاب :

سَلِ الخُطَباءَ هَلْ سَبَحُوا كَسَبْحِي بُحُورَ القَوْلِ أو غَاصوا مَغاصِي
لِسَانِي بالنَّثيرِ وبالْقَوَافِي وبالأَسْجَاعِ أمْهَرُ في الغِواص

النثير : الكلام المنثور. القوافى : خواتم أبيات الشعر . الاسجاع : الكلام المزدوج على غير وزن

مِنَ الحوتِ الذى فى لُجِّ بَحْرٍ يُجيدُ الغَوْصَ فى لُجَجِ المَغاصِ
لَعَمْرُكَ إنَّنى لَأَصُونُ نَفْسى وأَسْتُرُ بالتَّكَرُّمِ مِن خصاصِ

وأنشد لرجل من بنى ناشب بن سليمان بن سلامة بن سعد بن مالك بن ثعلبة :

لَنَا قَمَرُ السَّماء وكلُّ نَجْمٍ يُضِيء لَنا إذَا القَمَرانِ غَارَا
ومَن يَفْخَر بِغيرِ أبي نِزَارٍ فَليسَ بِأَوَّلِ الخُطَباء جَارَا

وأنشد للاقرع :

إنّى امْرُؤٌ لا أُقِيلُ الخصمَ عَثْرَتَهُ عِندَ الأَمِيرِ اذا ماخَصْمُه طَلَعا
ينير وَجهِى إذَا جَدَّ الخِصامُ بِنا ووَجهُ خَصمِى تَرَاه الدَّهرَ مُلْتَفِعَا

وأنشد :

تَرَاه بِنَصْرِي فى الحَفيظة وَاثِقاً وَإِنْ صَدَّعَنى العَين مِنه وَحاجِبه
وَإِنْ خَطَرَت أَيْدِى الكُمَاةِ وجَدَتنى نَصوراً إذا ما اسْتَيْبَسَ الرِّيقَ عاصِبه

عاصبه : يابسه يعتصم به حتى يتم كلامه . الكُمَاة : جمع كَمِيّ ، والكَمِيُّ الرجل المُتكَمِّى ، وهو المتكمى بالسلاح ، يعنى المتكفر به المستتر ، ويقال كَمَّى الرجل شهادته يكميها إذا كتمها وسترها

وقال ابن أحمر ، وذكر الريق والاعتصام به :

هـذا الثَّناء وَأَجدِرْ أنْ أُصاحبه وَقَد يُدَوِّمُ رِيقَ الطّامع الأَمَلُ

وقال الزَّبيرُ بنُ العَوَّامِ وهو يُرقص ابنه عُروة :

أَبْيضُ من آلِ أبي عتيقِ مباركٌ من ولَدِ الصِّدّيقِ

أَلَذُّهُ كما أَلَذُّ رِيقِى

وقالت امرأةٌ من بنى أسد :

أَلا بَكَرَ النّاعِي بِخيرِ بَنِي أَسَد ... بِعمرِو بنِ مَسعُودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَد

فَمَنْ كَانَ يَعْيَا بِالْجَوَابِ فَإِنَّهُ ... أَبُو مَعْقِلٍ لا حَجْرَ عنْهُ ولا صَدَدْ

أَثارُوا بِصَحْرَاءِ الثَّوِيَّةِ قَبْرَهُ ... وما كنتُ أُخشى أنْ تَنَاءى بِهِ البَلَدْ

تَنَاءى: تبعد . الثَّوية : موضع يقال له صحراء الثوية ، ومن قال الثُّوَية فهى تصغير الثَّوِيّة

وقال أوْسُ بن حَجَرٍ فى فُضالة بنِ كَلَدة :

أَبادُلَيْجَةَ مَنْ يوصَى بأَرْمَلَةٍ ؟ ... أَمْ مَنْ لأَشْعَثَ ذِي هِدْمَيْنِ طِملالِ

أَمْ مَنْ يَكُونُ خَطِيبَ القَوْمِ إِنْ حَفَلُوا ... لَدَى المُلُوكِ أُولِى كَيْدٍ وأَقْوَالِ ؟

هدمين : ثوبين خَلَقين، يقال: ثوب أهدام، إذا كان خَلَقاً . والطملال:الفقير

وقال أيضاً فى فُضالة بنِ كَلَدة :

أَلِفَا عَلَى حُسْنِ آلائِهِ ... على الجَابِرِ الحَيِّ والحارِبِ

وَرَقْبَتِهِ حَتَمات المُلُوكِ ... بَيْنَ السَّرَادِقِ والحَاجِبِ

وَيَكْفِي المَقالَةَ أَهْلَ الرَّجا ... لِ غَيرَ مَعِيبٍ ولا عائِبِ

ورقبته: انتظاره إذن الملوك : وجعله بين السرادق والحاجب ليدل على مكانته من الملك

وأنشد أيضاً :

وخَصْمٍ غِضَابٍ يُنْغِضُونَ رُؤُسَهُمْ ... أُولِى قَدَمٍ فِي الشَّغْبِ صُهْبٍ سِبَالُها

ضَرَبْتُ لَهُمْ إِبْطَ الشِّمَالِ فَأَصْبَحَتْ ... يَرُدُّ غُوَاةً آخَرِينَ نَكَالُها

إبط الشمال : يعنى الفؤاد ، لأنه يكون فى تلك الناحية

وقال شُتَيْم بن خُوَيلد:

وَقُلْتُ لِسَيِّدِنا : يا حَلِيـمُ ... إِنَّكَ لَم تأسُ أسْواً رَفِيقا

أعَنْتَ عَدِيًّا عَلَى شَاْوِها ... تُعادِى فَرِيقاً وَتُبْقِى فَرِيقا

زَجَرْتَ بها لَيْلَةً كلَّها ... فَجِئْتَ بها مُؤْيِداً خَنْفَقِيقَا

تأسو: تداوى ، أسواً وأسى مصدران . والاسى : الطبيب . ومُؤْيِدٌ : داهية .

خنفقيق : داهية أيضاً . الشأو : الغلوة لركض الفرس

وأنشد لآدم مولى بَلعنبر يقولها لابن له :

يا بِأَبِى أنْتَ وَيَا فَوْقَ بِأَبْ ... يا بأَبِي خُصيكَ منْ خُصْيٍ وَرُبْ

أنْتَ الحَبيبُ وكَذا قولُ المحبّ ... جَنَّبَكَ اللهُ مَعَارِيضَ الوَصَبْ

حَتَّى تُفيدَ وتُدَاوِى ذَا الجَرَبْ ... وذا الجُنُونِ مِنْ سُعَالٍ وكَلَبْ

والجُدْبَ حَتَّى يَسْتَقيمَ ذُو الجَدَبْ ... وتَحْمِلَ الشاعِرَ فِي اليَوْمِ العَصِبْ

على مَباهِيرَ كَثِيرَاتِ النَّعَبْ ... وإنْ أرَادَ جَدِلٌ صَعْبٌ أرِبْ

خُصومَةً تَنْقُبُ أوْسَاطَ الرُّكَبْ ... أظْلَعْتَهُ مِنْ رُتَبٍ الى رُتَبْ

حَتَّى تَرَى الأبْصَارُ أمْثَالَ الشُّهُبْ ... يَرْمِي بها أشْوَسُ مِلْحَاحٌ كَلِبْ

مُجَرَّبُ الشَّدَّاتِ مَيْمُونٌ مِذَبْ

ألوَصب : المرض. والعصب: الشديد، يقال : يوم عَصِب، وعَصيب، وعصبصب اذا كان شديداً . مباهير : متاعيب، قد علاهم البُهر . الارب : يقال رجل أريب وأرب وله أرَبٌ ، اذا كان عاقلا أديباً حازماً . أظلعته : يقال ظلع الرجل اذا خمع فى مشيه . الرتبة : واحدة الرتب والرتبات ، وهى الدَّرج ، وهى هاهنا الاشياء المختلفة ، أى تخرجه من شىء الى شىء . الأشوس: الذى ينظر بمؤخر عينه . مِلحاح:

مُلحّ ، من الالحاح على الشيء . كلِبٌ : أى الذى قد كلَبَ . مذب : أى يذب، عن حريمه وعن نفسه

وقالت ابنةُ وَثِيمَةَ تَرثى أباها وَثِيمَةَ بنَ عُثمان :

الواهِبَ المالَ التّلاَ دَلنا ويَكْفِينا العَظيمهْ
ويَكُونُ مِدْرَهَنا إذَا نَزَلَتْ مُجَلّحَةٌ عَظِيمهْ
واحْمَرَّ آفاقُ السَّما ءِ ولَمْ تَقَعْ في الأرْضِ دِيمهْ
وتَعَذَّرَ الآكالُ حتَّى كانَ أحْمَدَها الهَشِيمَهْ
لاَ ثُلَّةٌ تَرْعَى ولاَ إبِلٌ ولاَ بَقَرٌ مُسِيمَهْ
ألْفَيتَهُ مأوَى الأرَا مِلِ والمُدَفَّعَةِ اليَتِيمَهْ
وَالدّافِعَ الخَصْمَ الألَ دَّ إذا تُفوضِحَ فى الخصُومَهْ
بِلسانِ لُقْمَانِ بنِ عا دوفَصْلِ خُطْبَتِهِ الحَكِيمَه
ألجَمْتَهُمْ بَعْدَ النّدَا فُعِ والتّجاذُبِ في الحُكومَهْ

التلاد : القديم من المال ، والطارف : المستفاد . والمدره : لسان القوم المتكلم عنهم. مجلحة : أى داهية مُصممة . احمر آفاق السماء. اشتد البرد وقل المطر وكثر القحط . ديمة : واحدة الدّيم ، وهى الامطار الدائمة مع سكون، تعذر : تمنع. الآكال ، جمع أكل وهو مايؤكل. الهشيمة : مايهشم من الشجر ، أى يكسر. الثلة: ما بين الست الى العشر من الغنم . مسيمة : راعية

وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد الاكبر والأصغر ، ولُقَيْم بن لُقمان فى النباهة والقدر ، وفى العلم والحكم ، وفى اللسان وفى الحلم . وهذان غير لقمان الحكيم المذكور فى القرآن على مايقول المفسرون . ولارتفاع قدره وعظم شأنه قال النّمِرُ بن تَوْلَبٍ :

لُقَيْمُ بنُ لُقْمَانَ مِنْ أُخْتِهِ فَكَانَ بنَ أُخْتٍ لهُ وابْنَما
لَيَالِيَ حُمَّقَ فَاسْتَحْصَنَتْ عليهِ فَغُرَّ بها مُظْلِمَا
فَغُرَّ بها رَجُلٌ مُحْكَمٌ فجاءتْ بِهِ رَجلاً مُحْكَمَا

وذلك أن أخت لقمان قالت لامرأة لقمان : إنى امرأة مُحْمِقَةٌ ، ولقمان رجل منجب محكم ، وأنا فى ليلة طهرى ، فهبى لى ليلتك . ففعلت . فباتت فى بيت امرأة لقمان ، وقع عليها ، فأحبلها بلقيم . فلذلك قال النمر بن تولب ماقال . والمرأة اذا ولدت الحَمْقَى فهى مُحْمِقَةٌ ، ولا يُعلم ذلك حتى يُرى ولد زوجها من غيرها أكياساً

وقالت امرأة ذات بنات :

وما أبالِى أنْ أكُونَ مُحْمِقَهْ اذَا رَأيتُ خُصْيَةً مُعَلَّقَهْ

وقال الآخر :

أزْرَى بِسَعْيِكَ أن كُنْتَ امْرَا حَمِقاً مِنْ نَسْلِ ضَاوِيَةِ الأعْرَاقِ مِحماقِ

ضاوية الاعراق : أى ضعيفة الاعراق نحيفتها ، يقال رجل ضاوٍ وفيه ضاوية اذا كان نحيفاً قليل الجسم ، وجاء فى الحديث « إغتربوا لاتضووا » أى لايتزوج الرجل القرابةَ القريبة فيجىء ولده ضاوياً ، والفعل منه ضَوِىَ يَضْوَى ضوًى . والاعراق : الأصول . والمِحماق : التى عادتها أن تلد الحَمْقَى

ولبعضهم فى البنات قالت احدى القوابل :

أيا سَحابُ طَرِّقِى بِخيرِ وَطَرِّقِى بِخُصْيَةٍ وأيْرِ
وَلا تُرِينا طَرَفَ الْبُظَيرِ

وقال آخر فى إنجاب الامهات ، وهو يخاطب بنى اخوته :

عَفَارِيناً عَلَيَّ وَأكلِ مَالِي وَحِلماً عَنْ أناسٍ آخرِينا
فَهَلاَّ غَيرَ عَمِّكمُ ظَلمْتُمْ إذا ما كُنْتُم مُتَظَلِّمِينا

فَلَوْ كُنْتُمْ لِكَيْسَةٍ أَكَاسَتْ وَكَيْسُ الأُمِّ أَكْيَسُ لِلْبَنِينَا
وَكَانَ لَنَا فَزَارَةُ عَمَّ سُوءٍ وَكُنْتُ لَهُ كَشَرِّ بَنِي الأَخِينَا

ولبغض البنات هجر أبو حمزة الضبي خيمة امرأته ، وكان يقيل ويبيت عند جيران له حين ولدت امرأته بنتاً ، فمر يوماً بخبائها واذا هي ترقصها وتقول :

مَالأَبِي حَمْزَةَ لا يَأْتِينا يَظَلُّ فِي البَيْتِ الذِي يَلِينا
غَضْبَانَ أَنْ لاَ نَلِدَ البَنِينَا تَا للهِ مَا ذَلِكَ فِي أَيْدِينا
وَإِنَّمَا نَأْخُذُ مَا أُعْطِينا وَنَحْنُ كَالأَرْضِ لِزَارِعِينا
نُنْبِتُ مَا قَدْ زَرَعُوهُ فِينا

فغدا الشيخ حتى ولج البيت فقبل رأس امرأته وابنتها

وهذا الباب يقع فى كتاب الانسان من « كتاب الحيوان » وفى فضل ما بين الذكر والانثى تاماً ، وليس هذا الباب مما يدخل فى باب البيان والتبيين ، ولكن قد يجرى السبب فيجرى معه بقدر ما يكون تنشيطاً لقارئ الكتاب ، لأن خروجه من الباب إذا اطال لبعض العلم كان ذلك أروح على قلبه وأزيد فى نشاطه إن شاء الله

وقد قال الاول فى تعظيم شأن لقيم بن لقمان :

قُومِي اصْبَحِينِي فَمَا صِيغَ الْفَتَى حَجَراً لَكِنْ رَهِينَةَ أَحْجَارٍ وَأَرْمَاسِ
قُومِي اصبحينى فانَّ الدَّهرَ ذُو غِيَرٍ أَفْنَى لُقَيماً وَأَفْنَى آلَ مرماسِ
اليَومَ خَمرٌ وَيَبدُو فِي غَدٍ خَبَرٌ والدَّهرُ من بينِ إنْعَامٍ وَإِبآسِ
فاشرَب عَلَى حَدَثَانِ الدَّهرِ مُرْتَفِقاً لا يَصحَبُ الهَمَّ قَرعُ السِّنِّ بالكاسِ

اصبحينى : الصبوح : شرب الغداة ، والغبوق : شرب العشي . الرمس : القبر ، يقال : رمست الميت أرمسه وأرمسه اذا دفنته

وقال أبو الطمحان القينى[1] فى ذكر لقمان :

(١) أبو الطمحان القينى . هو حنظلة بن الشرقى القينى القضاعى ، شاعر فارس

إِنَّ الزَّمَانَ وَلاَ تَفْنَى عَجَائِبُهُ ... فِيهِ تَقَطُّعُ أَلاَفٍ وَأَقْرَانِ

أَمْسَتْ بَنُو القَيْنِ أَفْرَاقاً مُوَزَّعَةً ... كَأَنَّهُمْ مِن بَقَايَا حَيِّ لُقْمَانِ

وقد ذكرت العرب هذه الامم البائدة والقرون السالفة . ولبعضهم بقايا قليلة وهم أشلاء فى العرب متفرقون مغمورون . مثل جُرهم ، وجاسم ، ووَبار ، وعِملاق ، وأميم ، وطَسم ، وجَديس ، ولقمان ، والهِس‌ماس ، وبنى الناصور ، وقَيْلِ بنِ عنز ، وذى جدَن ، ويقال فى بنى الناصور ان أصلهم من الروم

فأما ثمود فقد خبر الله عز وجل عنهم فقال : « وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى » وقال : « فهل ترى لهم من باقية ؟ » أنا أعجب من مسلم يصدق بالقرآن ويزعم أن فى قبائل العرب من بقايا ثمود . وكان أبو عبيدة يتأوّل قوله « وثمودَ فما أبقى » أن ذلك إنما وقع على الاكثر وعلى الجمهور الاكبر . وهذا التأويل أخرجه من أبى عبيدة سوء الرأى فى القوم وليس له أن يجىء الى خبر عام مرسل غير مقيد ، وخبر مطلق غير مستثنى منه فيجعله خاصاً كالمستثنى منه . وأى شيء بقى لطاعن أو متأوّل بعد قوله « فهل ترى لهم من باقية ؟ » فكيف يقول ذلك إذا كنا نحن قد نرى منهم فى كل حى باقية ؟ معاذ الله من ذلك . ورووا أن الحجاج قال يوماً على المنبر : يزعمون أنا من بقايا ثمود ، وقد قال الله تبارك وتعالى « وثمود فما أبقى »

فأما الامم البائدة من العجم مثل كنعان ويونان وأشباه ذلك فكثير ، ولكن العجم ليست لها عناية بحفظ شأن الاموات ولا الاحياء ..!

وقال المُسَيَّبُ بنُ علَسٍ(١) في ذِكر لقمان :

خارب صعلوك ، أدرك الجاهلية والاسلام فكان خبيثاً فيهما . وهو القائل:

إذا قيل أى الناس خير قبيلة ... وأصبر يوماً لا توارى كواكبه

فان بنى لأم بن عمرو أرومة ... علت فوق صعب لا تنال مراقبه

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

لهم مجلس لا يحصرون عن الندى ... اذا مطلب المعروف أجدب راكبه

(١) قوله : وقال المسبب بن علس . رأيت هذه الأبيات منسوبة الى الاعشى

وَإِلَيْكَ أَعْمَلْتُ المَطِيَّةَ مِنْ سَهْلِ العِرَاقِ وأَنْتَ بالْقَفْرِ
أَنْتَ الرَّئِيسُ إِذَا هُمُ نَزَلُوا وتَوَجَّهُوا كالأُسْدِ والنَّمْرِ
لَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ كُنْتَ المُنَوَّرَ لَيْلَةَ القَدْرِ
ولأَنْتَ أَجْوَدُ بالعَطَاءِ مِنَ الـ رَيَّانِ لَمَّا جاد بالقَطْرِ
ولأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ إِذْ نَقَعَ الصُّرَاخُ ولَجَّ في الذُّعْرِ (١)
ولأَنْتَ أَبْيَنُ حِينَ تَنْطِقُ مِنْ لُقْمَانَ لَمَّا عَيَّ بالأمر

وقال لَبِيدُ بنُ رَبيعة الجعفري :

وأَخْلُفُ قُسًّا لَيْتَنِي ولَوَ انَّنِي وأَعِي عَلَى لُقْمَانَ حُكْمَ التَّدَبُّرِ
فإِنْ تَسْأَلِينَا: كَيْفَ نَحْنُ فَإِنَّنَا عَصَافِيرُ مِنْ هٰذَا الأَنَامِ المُسَحَّرِ

السَّحَرُ : الرئة ، والمسحر : المُعلل بالطعام والشراب ، والمُسحر : المخدوع كما قال امرؤ القيس :

أَرَانَا مُوضِعِينَ لأَمْرِ غَيْبٍ ونُسْحَرُ بالطَّعَامِ وبالشَّرَابِ

أى نُعلل، فكأنا نخدع ونُسحر بالطعام و بالشراب

وقال الفرزدق :

لَئِنْ حَوْمَتِي صَانَتْ مَعَدٌّ حِيَاضَهَا لَقَدْ كَانَ لُقْمَانُ بنُ عادٍ يهابُها

وقال آخر :

ومثبته فى ديوانه (١) هذا البيت مركب من بيتين أولهما للمسيب بن علس حيث يقول.

ولأنت أشجع من أسامة إذ يقع الصراخ ولج فى الذعر

وثانيهما لزهير بن أبى سُلمى حيث يقول :

ولنعم حشو الدرع أنت إذا دعيت : نزال ، ولج فى الذعر

وليس من الصواب نسبة هذا البيت أو بعضه للاعشى ... وأسامة : الاسد .

نقع الصراخ : ارتفع

إِذَا مَامَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أن يَعيش فَجِئْ بِزَاد
بخبزٍ أوْ بِلَحْمٍ أوْ بِتمْرٍ أوِ الشّيء الملَفَّفِ في البِجادِ
تَرَاهُ يُطَوِّفُ الآفاقَ حِرْصاً لِيأكلَ رَأسَ لُقمان بنِ عادِ

وقال أفنون التغلبي :

لَوْ أنّنِي كُنْتُ من عادٍ ومن إِرَمٍ رَبيبَ قَيلٍ ولقمانٍ وذى جدَنِ

وقال آخر :

ما لَذَّةُ الْعَيْشِ والفَتى للـ ـدَّهْرِ ، والدَّهرُ ذُو فُنُونْ
أهْلكَ طَسْماً وَقبلَ طَسْمٍ أهْلكَ عاداً وذا جُدُونْ
وأهْلَ جَاسِمٍ ومَأرب وَحَىّ لُقمانَ والنقُونْ
والْيُسْرُ لِلعُسْرِ، والتَّغَنّى لِلفقرِ ، والحَىُّ لِلمَنُونْ

قال : وهم وان كانوا يحبون البيان والطلاقة، والتحبير والبلاغة، والتخلص والرشاقة، فانهم كانوا يكرهون السلاطة والهَذَر والتكلف والاسهاب والاكثار ، لما فى ذلك من التزيد والمباهاة واتباع الهوى والمنافسة فى العلو والقدر . وكانوا يكرهون الفضول فى البلاغة، لأن ذلك يدعو إلى السلاطة ، والسلاطة تدعو الى البذاء ، وكل مِراء فى الارض فانما هو من نتاج الفضول . ومن حصل كلامه وميزه وحاسب نفسه وخاف الاثم والذم أشفق من الضراوة وسوء العادة ، وخاف ثمرة العُجب وهُجنة القبح ، وما فى حب السمعة من الفتنة ، وما فى الرياء من مجانبة الاخلاص

ولقد دعا عُبادةُ بنُ الصامت بالطعام بكلام ظُن أنه ترك فيه المحاسبة ، فقال أوْسُ بن شداد : إنه قد ترك فيه المحاسبة ، فاسترجع ثم قال : ماتكلمت بكلمة منذ بايعت رسول الله ﷺ الا مزمومة مخطومة . قال : ورووا عن حماد بن سلمة عن أبى حمزة عن ابرهيم قال : إنما يهلك الناس فى فضول الكلام ، وفضول المال . وقال : دع المعاذر فان اكثرها مفاجر . وانما صارت المعاذر كذلك لأنها داعية الى التخلص بكل شىء . وقال سلام بن مطيع : قال لى أيوب : إياك وحفظ الحديث

خوفاً عليه من العُجب . وقال ابرهيم النخعى : دع الاعتذار فانه يخالط الكذب.

قالوا : ونظر شاب وهو في دار ابن سيرين الى فرش فى داره فقال : مابال تلك الآجرة أرفع من تلك الآجرة الاخرى ؟ فقال ابن سيرين : (١) يا ابن أخى ان فضول النظر يدعو الى فضول القول

وزعم ابرهيم بن السندى قال : أخبرنى من سمع عيسى بن على يقول : فضول النظر من فضول الخواطر ، وفضول النظر يدعو الى فضول القول ، وفضول القول يدعو الى فضول العمل ، ومن تعوّد فضول الكلام ثم تدارك استصلاح لسانه خرج من استكراه القول ، وإن أبطأ أخرجه إبطاؤه الى أقبح من الفضول

قال أبو عَمْرِو بنِ الْعَلَاء : أنكح ضرار بن عمرو الضبى ابنته معبدَ بنَ زُرارة فلما أخرجها اليه قال لها : يابنية ، أمسكى عليك الفضلين . قالت : وما الفضلان ؟ قال : فضل الغُلمة ، وفضل الكلام

وضرار بن عمرو هو الذى قال : من سرّه بنوه ساءته نفسه . وهو الذى لما قال له المنذر : كيف تخلصت يوم كذا وكذا ، وما الذى نجاك ؟ قال : تأخير الاجل ، واكراهي نفسى على المُقّ الطوال

المِقّاء : المرأة الطويلة ، والمِقّ جماعة النساء الطوال ، والمِقّ أيضاً الخيل الطوال

وكان اخوته قد استشالوه حتى ركب فرسه ورفع عقيرته بعكاظ فقال : ألا إن خير حائل أمٌّ ، ألا فزوجوا الامهات . وذلك أنه صُرع بين القنا فانشل عليه اخوته لأمه حتى أنقذوه

---

(١) ابن سيرين : هو محمد بن سيرين ، كان يكنى أبا بكر ، وكان والده سيرين عبداً لأنس بن مالك فكاتبه على عشرين ألفاً وأداها ، وكانت أمه صفية مولاة أبى بكر الصديق . وكان محمد بزازاً وحبس بدين كان عليه . قال الاصمعى : الحسن (البصرى) سيد سمح ، واذا حدثك الاصم — يعنى ابن سيرين — بشىء فاشدد يديك عليه ، وقتادة حاطب ليل . ولد سنة ٣٣ هـ ٦٥٣ م وتوفى سنة ١١٠ هـ ٧٢٨ م

باب الصمت

كان اعرابى يجالس الشَّعْبِيَّ يُطيل الصمت ، فسئل عن طول صمته فقال : أسمع فأعلم ، وأسكت فأسلم . وقالوا : لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب . وقالوا : مقتل المرء بين لَحْيَيه وفَكَّيْهِ . وأخذ أبو بكر الصديق رضي الله عنه بطرف لسانه وقال : هذا الذى أوردنى الموارد . وقالوا : ليس شيء أحق بطول سجن من لسان . وقالوا : اللسان سَبُعٌ عقور

وقال النبي ﷺ « وهل يُكب الناسَ على مناخرهم فى نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم ؟ »

وقال ابن الاعرابى عن بعض أشياخه : تكلم رجل عند النبي ﷺ فخطل فى كلامه فقال النبي ﷺ « ما أعطىَ العبدُ شراً من طلاقة اللسان »

وقال العايشي وخالد بن خداش (١) حدثنامهدى بن ميمون عن غيلان بن جرير عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه . قال : قَدِمنا على رسول الله ﷺ فى وفد فقلنا : يارسول الله ، أنت سيدنا وأنت أطولنا علينا طَولا ، وأنت الجفنة الغراء . فقال النبي ﷺ « أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستفزنكم الشيطان ، فانما أنا عبد الله ورسوله »

وقال خالدُ بنُ عبد الله القَسْرِيُّ لعمر بن عبد العزيز رحمه الله: من كانت الخلافة زانته فقد زنتها ، ومن شرفته فقد شرفتها ، فأنت كما قال الشاعر :

وتَزِيدينَ أطْيَبَ الطِّيبِ طِيباً ... إنْ تَمَسَّيهِ ، أين مثلك أينا

واذا الدرُّ زان حُسنَ وُجُوهٍ ... كان للدر حُسنُ وجهك زينا

قال عمر : ان صاحبكم أعطى مَقولا ولم يعط معقولا . وقال الشاعر :

لسانُك مَعْسُولٌ ونفسك شَحَّةٌ ... ودُونَ الثَّرِيَّا مِنْ صَدِيقِك مالكا

---

(١) كان فى الاصل خالد بن حداس وهذا خطأ ، والصواب ما أثبتناه . وهو خالد بن خداش بن عجلان ، يكنى أبا الهيثم ، وكان مولى المهلب بن أبى صفرة . توفى سنة ٢٢٣ هـ ٨٣٧ م

وأخبرنا باسناد له ان ناساً قالوا لابن عمر : أدع الله لنا بدعوات . فقال : اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا. فقالوا: لو زدتنا يا أبا عبدالرحمن؟ قال: نعوذبالله من الاسهاب .

وقال أبو الاسود الدؤلى فى ذكر الاسهاب ـ يقولها فى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة ، والحارث هو القُبَاع، وكان خطيباً من وجوه قريش ورجالهم، وإنما سمى القُباع لأنه أتى بمكتل لاهل المدينة فقال: ان هذا المكتل لقباعٌ. فسمى به . والقُباعُ الواسع الرأس القصير . وقال الفرزدق لجرير :

وقبلكَ ما أعْيَيْتُ كاسِرَ عينِه ... زِياداً فلمْ تقْدِرْ عَلىَّ حَبائِلهْ

فأقْسمتُ لا آتيهِ تِسْعينَ حِجَّةً ... ولو كُسِرَتْ عُنقُ القُباعِ وكاهِلهْ

ـ قال أبوالاسود :

أميرَ المؤمنينَ جُزيتَ خيراً ... أرِحْنا منْ قُباعِ بَنى المُغيرَه

بَلوْناهُ فلمْ نَرَ فيهِ عَيْباً ... عَلَيْنا ما يمرُّ لنا مريره(١)

على أنَّ الفتى نِكحٌ أكُولٌ ... ومِسْهابٌ مذاهبه كثيره

وقال الشاعر :

إيّاك إيّاك المِرَاءَ فانّهُ ... إلى الشّرّ دَعّاءٌ وللصّرم جالبُ

وقال ابو العتاهية :

والصّمتُ أجملُ بالفتى ... من منْطِقٍ في غير حينِهْ

كلُّ امْرئٍ في نفسهِ ... أعلى وأشرَفُ من قَرينه

وكان سَهل بنُ هرون يقول : سياسة البلاغة أشد من البلاغة ، كما أن التوقى على الدواء أشد من الدواء . وكانوا يأمرون بالتبين والتثبت ، وبالتحرز من زلل الكلام ، ومن زلل الرأى ، ومن الرأى الدَّبرى . والرأىُ الدَّبرىُ هو الذى يعرض من الصواب بعد مُضى الرأى الاول وفوت استداركه . وكانوا يأمرون

---

(١) فى الاصل: ما يمر لنا هريرة ، وليس بذاك والصواب ما أثبتناه . ومعنى ما يمر مريره : أى أنه غير محكم فى ما وليه من الامر

بالتحلم والتعلم ، وبالتقدم فى ذلك أشد التقدم . وقال الاحنف (٢) قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : تفقهوا قبل أن تسودوا . وكان يقول رضى الله عنه : السؤدد مع السواد. وأنشدوا لكثير عزة :

وفى الحلم والإسلام للمرء وازعٌ ... وفي تركِ طاعاتِ الفؤادِ المتيم

بصائرُ رُشدٍ للفتى مُستبينةٌ ... وأخلاقُ صِدْقٍ عِلمُها بالتعلُّم

الوازع : الناهى ، والوزعة جمع وازع : وهم الناهون الكافّون

وقال الافوه الاودى :

أضحتْ قرينةُ قد تغيرَ بِشْرُها ... وتجهّمت بتحيّة القوم العدا

ألوت بأصبعها وقالتْ إنّما ... يكفيك مما لا ترى ما قد ترى

وأنشد:

إبدأ بنفسك فانهَها عن غيّها ... فإذا انتهت عَنهُ فأنتَ حكيم

فهُناكَ تعذرُ إن وَعظتَ ويُقتدَى ... بالقولِ منكَ ويُقبلُ التعليمُ

قالوا : وكان الاحنف أشد الناس سلطانا على نفسه . وكان الحسن أترك لما نهى عنه . وقال الآخر :

لا تعذِراني في الإساءة إنّهُ ... شرُّ الرّجالِ من يُسيءُ فيُعذرُ

وقال الكميت بن زيد الاسدى :

---

(٢) الاحنف : هو الاحنف بن قيس ، ويقال أن أسمه الضحاك أو صخر ، ويكنى أبا بحر ، وبه يضرب المثل فى الحلم والسيادة ، وكان رسول الله ﷺ قد بعث الى قومه يدعوهم الى الاسلام فلما لم يجيبوا قال لهم الاحنف : إنه يدعوكم الى الاسلام والى مكارم الاخلاق، وينهاكم عن ملايمها. فأسلموا وأسلم. ولم يفد فيمن وفدوا على النبى،حتى اذا كان عهد عمر وفد عليه ، وبعثه عمر الى خراسان فبيتهم العدو ليلا فكان أول من ركب الاحنف وهو يقول : ان على كل رئيس حقاً * أن يخضب الصعدة أو تندقا * ثم حمل عليهم فقتل صاحب الطبل وانهزم القوم ومضوا فى آثارهم حتى فتحوا مرو الروذ فى خلافة عثمان . ثم شهد صفين مع على كرم الله وجهه ، وكان سيد تميم فى عهد معاوية . ثم خرج مع مصعب بن الزبير الى الكوفة فمات وقد كبر جداً وكانت وفاته فى سنة ٦٩ هـ ٦٨٨ م

ولم يقُـل بعد زلّةٍ لهمُ عند المعاذير إنّما حسبُوا

وأنشد الأحوص بن محمد :

قامت تخاصرني بقنّتها خَودٌ تأطّرُ غادةٌ بكرُ

كلٌّ يَرى أنّ الشّباب لهُ فى كلّ مبلغِ لَذّةٍ عذرُ

تخاصرنى : آخذ بيدها وتأخذ بيدى . والقنّة : المواضع الغليظة من الارض فى صلابة . الخود : الحسنة الخلق . تأطر : تثنى . والغادة : الناعمة اللينة

وقال جرير فى فوت الرأى :

ولا يتّقون الشّرّ حتى يصيبهم ولا يعرفُونَ الأمرَ إلا تَدَبُّرا

ومدح النابغة ناسا بخلاف هذه الصفة فقال :

ولا يحسَبُونَ الْخير لا شرّ بعده ولا يحسبُون الشّرّ ضربةَ لازب

اللازب واللازم واحد ، واللازب فى مكان آخـر : اليابس ، قال الله عز وجل : « من طين لازب» واللزَباتُ : السنون الجدبة

وأنشد :

هنا هفوةً كانت من المرء بدعةً ومَا مِثْلُهُ عَنْ مِثْلِهَا بِسَلِيمِ

فإن يَكُ أخْطَا فِى أخِيكُمْ فَرُبَّمَا أصَابَ الَّتِى فِيهَا صَلاَحُ تَمِيمِ

وقال قائل عند يزيد بن عُمر بن هُبيرة : والله ما أتى الحارث بن شريح بيوم خير قط . فقال له الترُجمانُ بن هُزيم : إلا يكن أتى بيوم خير فقد أتى بيوم شر . وذهب الترجمانُ بن هزيم الى مثل معنى قول الشاعر :

ومَا خُلِقَتْ بَنُو زِمّانَ إلا أخيراً بعد خلق النّاس طرًّا

ومَا فَعَلَتْ بَنُو زِمّانَ خيراً ولا فَعَلت بنو زِمّان شرًّا

ومن هذا الجنس من الاحاديث — وهو يدخل فى باب الملح — قال الاصمعى: وصلتُ بالعلم ، ونلت بالملح. قال رجل مرة : أبى الذى قاد الجيوش، وفتح الفتوح، وخرج على الملوك ، واغتصب المنابر. فقال له رجل من القوم : لاجرم ، لقد أسر وقُتل وصُلب . فقال له المفتخر بأبيه: دعنى من أسر أبى وقتله وصلبه ، أبوك أنت

حدث نفسه بشيء من هذا قط ؟

قد سمعنا رواية القوم واحتجاجهم ، وأنا أوصيك أن لا تدع الناس البيان والتبيين إن ظننت أن لك فيهما طبيعة، وأنهما يناسبانك بعض المناسبة، ويشاكلانك في بعض المشاكلة . ولا تهمل طبيعتك فيستولي الاهمال على قوة القريحة ويستبد بها سوء العادة . وان كنت ذا بيان وأحسست من نفسك بالنفوذ في الخطابة والبلاغة وبقوة المئنة يوم الحفل فلا تقصر في الناس اعلاها سورة وأرفعها في البيان منزلة . ولا يقطعنك تهييب الجهلاء ، وتخويف الجبناء . ولا تصرفنك الروايات المعدولة عن وجوهها ، والاحاديث المتناولة على أقبح مخارجها

وكيف تطيعهم بهذه الروايات المعدولة، والاخبار المدخولة، وبهذا الرأى الذى ابتدعوه من قِبل أنفسهم، وقد سمعت الله تبارك وتعالى ذكر داود النبي صلوات الله عليه فقال « وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ـ الى قوله ـ وفصل الخطاب؟» فجمع له بالحكمة: ألبراعة فى العقل، والرجاحة في الحلم، والاتساع في العلم ، والصواب في الحكم. وجمع له بفصل الخطاب : تفصيل المجمل ، وتخليص الملتبس(١)، والبصر بالحزّ في موضع الحز ، والحسم في موضع الحسم . وذكر رسول الله ﷺ شعيبا النبي عليه السلام فقال : « كان شعيب خطيب الانبياء » وذلك عند بعض ما حكاه الله عنه فى كتابه، وحلاه لاسماع عباده . فكيف تهاب منزلة الخطباء وداود عليه السلام سلفك، وشعيب أمامك، مع ما تلونا عليك فى صدر هذا الكتاب من القرآن الحكيم ، والآى الكريم ؟ وهذه خطب رسول الله ﷺ مدوّنة محفوظة ، ومخلدة مشهورة . وهذه خطب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم . وقد كان لرسول الله شعراء يناضلون عنه وعن اصحابه بأمره . وكان ثابت بن قيس بن الشماس الانصارى خطيب رسول الله ﷺ لا يدفع ذلك أحد

فأما ما ذكرتم من الاسهاب والتكلف، والخطل والتزيد، فانما يخرج إلى الاسهاب المتكلفُ ، والى الخطل المتزيد . فاما أرباب الكلام، ورؤساء أهل البيان، والمطبوعون المعاودون، وأصحاب التحصيل والمحاسبة، والتوقى والشفقة، والذين يتكلمون في صلاح ذات البين، وفى إطفاء نائرة أو فى حمالة ، أو على منبر جماعة ، أو فى عقد إملاك ، بين مسلم ومسلمة ، فكيف يكون كلام هؤلاء يدعو إلى السلاطة والمراء ، والى الهذر والبذاء ، والى النفج والرياء ؟ ولو كان هذا كما يقولون لكان على بن أبى طالب وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما أكثر الناس فيما ذكرتم . فلم خطب صعصعة ابن

(١) وتخليص الملتبس: فى الاصل، وتلخيص، وليس هذا مكانها والصواب ما أثبتناه

صوحان عند على بن أبى طالب ؟وقد كان ينبغى للحسن البصرى أن يكون أحق التابعين بما ذكرتم ؟

قال الاصمعى : قيل لسعيد بن المسيب : هاهنا قوم نُساكٌ يعيبون إنشاد الشعر؟ قال : نَسكوا نُسكا أعجميا .

وزعمتم أن رسول الله ﷺ قال« شعبتان من شعب النفاق : البذاء والبيان ، وشعبتان من شعب الايمان : الحياء والعى »

ونحن نعوذ بالله من العى ، ونعوذ بالله أن يكون القرآن يحث على البيان، ورسول الله ﷺ يحث على العى ، ونعوذ بالله أن يجمع رسول الله ﷺ بين البذاء والبيان، وإنما وقع النهى على كل شىء جاوز المقدار ، ووقع اسم العى على كل شىء قصر عن المقدار . فالعى مذموم ، والخطل مذموم ، ودين الله تبارك وتعالى بين المقصر والغالى.

وها هنا روايات كثيرة مدخولة وأحاديث معلولة. ورووا أن رجلا مدح الحياء عند الاحنف وأن الاحنف قال : بم يعود ذلك ضعفاً والخير لا يكون سببا للشر ؟ ولكنا نقول : إن الحياء اسم لمقدار من المقادير ما زاد على ذلك المقدار فسمّه ما أحببت . وكذلك الجود اسم لمقدار من المقادير ، فالتّرَف اسم لما فضل عن ذلك المقدار . والحزم مقدار ، فالجبن اسم لما فضل عن ذلك المقدار، والاقتصاد مقدار ، فالبخل اسم لما خرج عن ذلك المقدار . والشجاعة مقدار، فالتهور والخور اسم لما جاوز ذلك المقدار

وهذه الاحاديث ليست لعامتها أسانيد متصلة ، فان وجدتها متصلة لم تجاهد محمودة ، وأكثرها جاءت مطلقة ، ليس لها حامل محمود ولا مذموم ، فاذا كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحسن .

فان أردت أن تتكلف هذه الصّناعة وتنسب إلى هذا الادب ، فقرضت قصيدة ، أو حبرت خطبة ،أو ألفت رسالة ، فاياك أن تدعوك ثقتك بنفسك ويدعوك عجبك بثمرة عقلك إلى أن تنتحله وتدعيه ، ولكن أعرضه على العلماء فى عرض رسائل أو أشعار أو خطب ، فان رأيت الاسماع تصغى له والعيون تحدج اليه، ورأيت من يطلبه و يستحسنه فانتحله ، فان كان ذلك فى ابتداء امرك وفى اول تكلفك فلم تزله طالبا ولا مستحسنا ،فلعله أن يكون ـ ما دام ريضا قضيبا ـ تعنيسا أن يحل عندهم محل المتروك ، فان عاودت أمثال ذلك مراراً فوجدت الاسماع عنه منصرفة والقلوب لاهية ، فخذ فى غير هذه الصناعة واجعل رائدك الذى لا يكذبك حرصهم عليه أو زهدهم فيه . وقال الشاعر :

إِنَّ الْحَدِيثَ تَغُرُّ القومَ خَلوَتُهُ حَتَّى يُلِحَّ بهم عِيٌّ وَإِكثارُ

وفى المثل المضروب «كُلُّ مُجْرٍ فِي الْخَلاَ مُسَرٌّ» ولم يقولوا مسرور . وكلٌّ صواب فلا تثق فى كلامك برأى نفسك . فانى ربما رأيت الرجل متماسكا وفوق المتماسك حتى إذا صار إلى رأيه فى شعره، وفى كلامه، وفى ابنه، رأيته متهافتا وفوق المتهافت

وكان زهير بن سُلمى وهو أحد الثلاثة المتقدمين يسمى كبار قصائده (الحوليات) وقال نوح بن جرير: قال الحطيئة : خير الشعر الحولى المنقح . وقال البعيث الشاعر، وكان أخطب الناس : انى والله ما أرسل الكلام قضيباً خشيباً ، وما أريد أن أخطب يوم الحفل الا بالبائت المحكك

وكنت أظن أن قولهم: محكك، كلمة مولدة حتى سمعت قول الصعب بن على الكنانى:

أَبْلِغْ فَزَارَةَ أَنَّ الذِّئْبُ آكِلُهَا وجائعٌ سَغِبٌ شَرٌّ مِنَ الذِّيبِ

أَدَلُّ أَطْلَسُ ذُو نَفْسٍ مُحَكَّكَةٍ قَدْ كَانَ طَارَ زَمَاناً فِي الْيَعَاسِيبِ

وتكلم يَزِيدُ بنُ أبانِ الرقاشى ، ثم تكلم الحسن واعرابيّان حاضران . فقال أحدهما لصاحبه : كيف رأيت الرجلين ؟ قال: أما الاول فقاصٌّ مجيد ، وأما الاخر فعربىّ محكك . ونظر أعرابى الى الحسن فقال له رجل : كيف تراه ؟ قال : أرى خيشوم حر . وأرادوا عبدَ الله بنَ وهب الراسبىَّ (١) على الكلام يوم عقدت له الخوارج الرياسة . فقال : وما أنا والرأى الفطير والكلام القضيب ؟ ولما فرغوا من البيعة له قال : دعوا الرأى يغبّ ، فان غبوبه يكشف لكم عن محضه . وقيل لابن التوأم الرقاشي : تكلم . فقال : ما أشتهى الخبز إلا بائتاً . وقال عُبيد الله بن سالم لرؤبة : مت يا أبا الجحاف إذا شئت . قال : وكيف ذلك ؟ قال : رأيت اليوم عُقبة بنَ رُؤبة ينشد شعراً له أعجبنى . فقال رؤبة : نعم انه ليقول ولكن ليس لشعره قِران . وقال الشاعر :

مَهاذِبةٌ مناجبة قِرانُ مَنادبة كأنهم الأُسودُ

يريد بقوله : قِران ، التشابه والموافقة

وقال عمر بن لجاء لبعض الشعراء : أنا أشعر منك . قال : وبم ذاك ؟ قال :

(١) فى الاصل : الراسى ، وليس كذلك وهو الراسبى كما أثبتناه

لاني أقول البيت وأخاه، وتقول البيت وابن عمه . وذكر بعضهم شعر النابغة الجعدى وقال : مطرف بآلاف وحمار بواف . وكان الاصمعى يفضله من أجل ذلك. وكان يقول : الحطيئة عبد لشعره . عاب شعره حين وجده كله متخيراً منتخباً مستوياً ، لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه . وقالوا : لو كان شعر صالح بن عبد القدوس (١) وسابق البربرى كان مفرقاً فى أشعار كثيرة لصارت تلك الاشعار أرفع مما هى عليه بطبقات ، ولصار شعرهما نوادر سائرة فى الآفاق ، ولكن القصيدة إذا كانت كلها أمثالا لم تسر ولم تجر مجرى النوادر ، ومتى لم يخرج السامع من شيء الى شيء لم يكن لذلك النظام عنده موقع . وقال بعض الشعراء لرجل : أنا أقول فى كل ساعة قصيدة، وأنت تقرضها فى كل شهر، فلم ذلك ؟ قال : لانى لا أقبل من شيطانى مثل الذى تقبله من شيطانك (٢) . قالوا : وأنشد عقبة بن رؤبة أباه رؤبة بن العجاج شعراً وقال له : كيف تراه ؟ قال له : يابنى ، ان أباك ليعرض له مثل هذا يميناً وشمالا فما يلتفت اليه .

وقد رووا ذلك فى زهير وابنه كعب

وقيل لعقيل بن علفة : لم لا تطيل الهجاء ؟ قال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق. وقيل لأبى المهوس: لم لا تطيل الهجاء ؟ قال: لم أجد المثل النادر الا بيتاً واحداً، ولم أجد الشعر السائر الا بيتاً واحداً . وقال مسلمة بن عبد الملك لنصيب : يا أبا الحجناء ، أما تحسن الهجاء ؟ قال : أما ترانى أحسن مكان عافاك الله، لاعافاك

---

(١) صالح بن عبد القدوس . زعموا انه كان زنديقاً ،وانه كان يتظاهر بمذهب الثنوية القائلين بمبدأ النور والظلمة . جرت بينه و بين أبى الهذيل العلاف مناظرات كان نصيبه فيها الخزلان . وزعموا انه رؤى يصلى صلاة تامة الركوع والسجود فقيل له : ما هذا ومذهبك معروف ؟ فقال : سنة البلد ، وعادة الجسد ، وسلامة الأهل والولد . ولما شاع عنه ماشاع من انتحال الزندقة طلبه المهدى العباسى ونوظر بين يديه ثم حبسه وصلبه . وكان شاعراً من شعراء الحكمة

(٢) ذكرنى هذا بما يروى عن هوميروس الشاعر اليونانى انه جاءه يوماً الشاعر ابرخس يفاخره بكثرة شعره وسرعة عمله و يعيره بالبطء وقلة الشعر، فقال له هوميروس: بلغنى أن خنزيرة بانطاكية عيرت لبؤة بطول زمن الحمل وقلة الولد ، وفاخرتها بالسرعة والكثرة فقالت لها البؤة : لقد صدقت ، إنى ألد ا بطولدد الولد ولكن أسداً

الله ؟ ولاموا الكميت بن زيد على الاطالة فقال : أنا على القصار أقدر . وقيل للعجاج : مالك لاتحسن الهجاء ؟ قال : هل فى الارض صانع إلا وهو على الافساد أقدر ؟ وقال رؤبة : الهدم أسرع من البناء

وهذه الحجج التى ذكروها عن نُصيب والكُميت والعَجّاج ورُؤبة إنما ذكروها على وجه الاحتجاج لهم . وهذا منهم جهل ان كانت هذه الاخبار صادقة . وقد يكون الرجل له طبيعة فى الحساب وليس له طبيعة فى الكلام ، ويكون له طبيعة فى التجارة وليس له طبيعة فى الفلاحة ، ويكون له طبيعة فى الحداء أو فى التعبير أو فى القراءة بالألحان وليس له طبيعة فى الغناء ، وان كانت هذه الانواع كلها ترجع الى تأليف اللحون . ويكون له طبيعة فى الناى وليس له طبيعة فى السرناى ، ويكون له طبيعة فى قصبة الراعى ولا يكون له طبيعة فى القصبتين المضمومتين ، ويكون له طبع فى صناعة اللحون ولا يكون له طبع فى غيرها ، ويكون له طبع فى تأليف الرسائل والخطب والاسجاع ولا يكون له طبع فى قرض بيت شعر ، ومثل هذا كثير جداً

وكان عبد الحميد الاكبر وابن المقفع مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر الا مالا يذكر مثله ، وقيل لابن المقفع فى ذلك فقال : الذى ارضاه لا يجيئنى ، والذى يجيئنى لا أرضاه . وهذا الفرزدق وكان مشتهراً بالنساء ، وكان زيرغوان وهو فى ذلك ليس له بيت واحد فى النسيب مذكور ، ومع حسده لجرير ـ وجرير عفيف لم يعشق امرأة قط ـ وهو مع ذلك أغزل الناس شعراً . وفى الشعراء من لا يستطيع مجاوزة القصيد الى الرجز . ومنهم من لا يستطيع مجاوزة الرجز الى القصيد . ومنهم من يجمعها : كجرير ، وعمر بن لجاء ، وأبى النجم ، وحميد الارقط ، والعمانى . وليس الفرزدق فى طواله بأشعر منه فى قصاره . وفى الشعراء من يخطب ، وفيهم من لا يستطيع الخطابة . وكذلك حال الخطباء فى قرض الشعر . وشاعرٌ نفسه قد تختلف حالاته . وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعر الناس ، وربما مرت علىّ ساعة ونزع ضرسى أهون علىّ من أن أقول بيتاً واحداً . وقال العجاج : لقد قلت أرجوزتى التى أولها :

بكَيْتُ والمحْتَزَنُ البَكِىُّ وإنَّما يأْتى الصِّبا الصَّبِىُّ

أطَرَباً وأنْتَ قَنْسَرِىُّ والدَّهْرُ بالانْسَانِ دَوَّرِىُّ

وأنا بالرمل فانثالت علىّ قوافيها انثيالا ، وانى لأريد اليوم دونها فى الايام

الكثيرة فما أقدر عليه . وقال لى أبو يعقوب الخزيمى : خرجت من منزلى أريد الشماسية فابتدأت القول فى مرثية لابى التختاخ فرجعت والله وما امكننى بيت واحد . وقال الشاعر :

وَقَدْ يَقْرِضُ الشِّعْرَ البَكِىُّ لِسانُهُ وتُعيى القَوَافِي المرءَ وهو خَطِيبُ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ باب من القول في القوافي الظاهرة واللفظ الموجز ﴾

(من ملتقطات كلام النساك)

قال بعض الناس : من التوقى تركُ الافراط فى التوقي . وقال بعضهم : إذا لم يكن ماتريد فأرد مايكون .

وقال الشاعر :

قَدَرُ اللهِ وَارِدٌ حِينَ يُقْضَى وُرُودُهُ

فأرِدْ مَا يكُونُ إنْ لمْ يَكنْ مَا تُرِيدُهُ

وقيل لاعرابى فى شَكاته : كيف تجدك ؟ قال: أجد مالا أشتهى، وأشتهى مالا أجد، وأنا فى زمان من جاد لم يَجِد، ومن وَجدَ لم يَجُد . وقال بعض النساك : أنا لما لاأرجو أرَجى منى لما أرجو . وقال بعضهم : أعجب من العجب ترك التعجب من العجب . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لعبد بنى مخزوم : انى أخاف الله فيما تقلدت . قال : لست أخاف عليك أن تخاف وإنما أخاف عليك أن لاتخاف. وقال الأحنف لمعاوية : أخافك إن صَدَقتك، وأخاف الله إن كَذَبتك . وقال رجل من النساك لصاحب له وهو يجود بنفسه : أما ذنوبى فانى أرجو لها مغفرة الله، ولكنى أخاف على بناتى الضيعة . فقال له صاحبه : فالذى ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجه لحفظ بناتك؟ وقال رجل من النساك لصاحب له : مالى أراك حزيناً ؟ قال : كان عندى يتيم أربيه لأوجر فيه فمات فانقطع عنا أجره إذ بطل قيامنا بمؤنته. فقال له صاحبه: فاجتلب يتيما آخر يقوم لك مقام الاول . قال : أخاف أن لاأصيب يتيما فى سوء خلقه . قال

له صاحبه : أما أنا فلو كنت فى موضعك منه لاذكرت سوء خلقه . وقال آخر ، وسمعه أبو هريرة النحوى وهو يقول : مايمنعنى من تعلم القرآن إلا أنى أخاف أن أضيعه ، قال : أما أنت فقد عجلت له التضييع ولعلك اذا تعلمته لم تضيعه . وقال عمر بن عبد العزيز لرجل : من سيد قومك ؟ قال : أنا. قال : لو كنت كذلك لم تقل

(باب آخر)

وقالوا في حسن البيان ، وفى التخلص من الخصم بالحق والباطل ، وفى تخليص الحق من الباطل ، وفى الاقرار بالحق وفى ترك الفخر بالباطل :

قال أعرابى وذكر حماس بن عامل :

بَرِئتُ إلى الرَّحمٰنِ منْ كلّ صاحبٍ ... أُصاحبُهُ إلاّ حمـاسَ بنَ ثامِلِ
وَظَنّى به بَيْنَ السِّماطَيْنِ أنّهُ ... سَيَنْجُو بِحَقٍّ أوْ سَيَنْجُو بِباطِلِ

وقال العُجَيْرُ السَّلُولى :

وإنَّ ابْنَ زَيْدٍ لاَ ابْنُ عَمّى وَإنَّهُ ... لَبَلاَّلُ أيْدِى جِلةِ الشولِ بالدَّمِ
طَلوعُ الثَّنايَا بالمَطَايا وَإنَّهُ ... غَدَاةَ المَرَادِى لَلْخَطِيبُ المقدَّمُ
يَسُرُّكَ مَظْلوماً وَيُرْضِيكَ ظَالِماً ... وَيَكْفِيكَ مَا حُمِّلْتَهُ حِينَ تَغْرَمُ

الشول : جمع شائلة ، وهى الناقة التى جف لبنها ، واذا شالت بذنبها بعد اللقاح فهى شائل وجمعها شُول .

المرادى : المصادع والمقارع ، يقال رديت الحجر بصخرة أو بمعول اذا ضربته بها لتكسره ، والمرادة الصخرة التى تكسر بها الحجارة

وقال ابنُ رُبْع الهذلى :

أعَيْنِى ألاَ فَابكِي رُقَيْبَةَ إنَّهُ ... وَصُولٌ لِأرْحامٍ ومِعْطَاهُ سائِلِ
فأُقسِمُ لَوْ أدرَكْتُهُ لَحَمِيتُهُ ... وَإنْ كانَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لِقائِلِ

وقال بعض اليهود، وهو الربيع بن أبى الحُقَيْقِ من بنى النضير، و بعثه رسول الله ﷺ الى خيبر فقتلوه :

سائِلْ بِنا خابِرَ أكْفائِنا ... وَالعِلْمُ قَدْ يُلْفَى لَدَى السَّائِلِ
إنّا إذا مالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى ... وَأَنْصَتَ السَّامِعُ لِلْقائِلِ
وَاصْطَرَعَ النّاسُ بِأَلْبابِهِمْ ... نَقْضِي بِحُكْمٍ عادِلٍ فاصِلِ
لانَجْعَلُ الْباطِلَ حَقًّا وَلا ... نُلِطُّ دُونَ الْحَقِّ بِالْباطِلِ
نَكْرَهُ أَنْ تَسْفَهَ أَحلامُنا ... فَنَحْمِلَ الدَّهْرَ مَعَ الْحامِلِ

وقال الآخر، وذكر حماساً أيضاً :

أتانِي حِماسٌ بِابْنِ ماهِي يَسُوقُهُ ... لِيُبْغِيَهُ خَبْراً وَلَيْسَ بِفاعِلِ
لِيُعْطِيَ عَبْساً مالَنا ، وَصُدُورُنا ... مِنَ الغَيْظِ تَغْلِي مِثْلَ غَلْيِ المَراجِلِ
وَقافِيَةٍ قِيلَتْ لَكُمْ لَمْ أَجِدْ لَها ... جَواباً إِذا لَمْ تَضْرِبُوا بِالْمَناصِلِ
فَأَنْطِقَ فِي حَقٍّ بِحَقٍّ وَلَمْ يَكُنْ ... لِيَرْحَضَ عَنْكُمْ قالَةَ الْخِزْيِ باطِلِي

ليرحض : أى ليغسل، والراحض الغاسل ، والمرحاض : الموضع الذى يُغسل فيه

وقال عَمْرُو بْنُ مَعْدِ يكرِب :(١)

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِماحُهُمْ ... نَطَقْتُ وَلٰكِنَّ الرِّماحَ أَجَرَّتِ

الجرار : عود يعرض في فم الفصيل أو يشق به لسانه لئلا يرضع ، فيقول: قومى لم يطعنوا بالرماح فأثنى عليهم ، ولكنهم فروا فأمسكت كالجر الذى فى فمه جرار

وقال أبو عبيدة : صاح رؤبة في بعض الحروب التى كانت بين تميم والازد : يامعشر بنى تميم أطلقوا من لسانى . قال: أبصر رجلاً منهم قد طعن فارساً طعنة فصاح : لاعيا ولا شللا . والعرب تقول : عىّ أبأسُ من شلل . كأن العى فوق كل زمانة . وقالت الجهضمية :

ألا هَلَكَ الْحُلْوُ الْحَلالُ الْحَلاحِلُ ... وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَنائِلُ

(١) عمرو بن معد يكرب ، هو فارس اليمن بلا منازع، وبطل من أبطال العرب فى الجاهلية والاسلام، له غارات فى الجاهلية معروفة ، ومشاهد فى الاسلام موصوفة مات غازياً بنهاوند عن سن عالية

وذُوخُطَبٍ يَوْماً إذا القَوْمُ أُفْحِمُوا ... تُصِيبُ مَرَادِى قَوْلِهِ مايُحَاوِلُ
بَصِيرٌ بِعَوْرَاتِ الْكَلَامِ إذا التَقَى ... شَرِيجَانِ بَيْنَ الْقَوْمِ حَقٌّ وبَاطِلُ
أَنِىٌّ لِمَا يَأْتِي الْكَرِيمُ بِسَيْفِهِ ... وإنْ أَسْلَمَتْهُ جُنْدُهُ والْقَبَائِلُ
ولَيْسَ بِمُعْطَاءِ الظُّلَامَةِ عَنْ يَدٍ ... ولا دُونَ أعلى سُوْرَةِ الْمَجْدِ قَابِلُ

الحَلاحل : السيد . شريجان : جنسان . ويقال : الناس شَرجان وشريجان، أى فرقتان ، ومنه حديث النبى ﷺ أنه لما بلغ الكديد أمر الناس بالفطر فأصبح الناس شرجين ، أى بعضهم صائماً وبعضهم مُفطراً

وأنشد أبو عبيدة ـ في الخطيب يطول كلامه ويكون ذكوراً لأول خطبته وللذى بنى عليه أمره وان شغب شاغب فقطع عليه كلامه ، أو حدث عند ذلك حدث يحتاج فيه الى تدبير آخر وصل الثانى من كلامه بالاول حتى لايكون أحدُ كلاميه أجود من الآخر ـ :

فإنْ أحْدَثُوا شَغْباً يُقَطِّعُ نَظْمَهَا ... فإنَّكَ وَصَّالٌ لِمَا قَطَعَ الشَّغْبُ
ولَوْ كُنْتَ نَسَّاجاً سَدَوْتَ خِطَابَهَا ... بِقَوْلٍ كَطَعْمِ الشَّهْدِ بالْبَارِدِ العَذْبِ

وقال نُصيب :

ومَا بَذَلَتْ ابْتِذَالَ الثَّوْبِ وُدَّكُمُ ... وعابِدٌ خَلَقاً ما كانَ يُبْتَذَلُ
وَعِلْمُكَ الشَّيْءَ نَهْوَى أنْ تُبَيِّنَهُ ... أشْفِي بِقَلْبِكَ مِنْ أخْبارِ مَنْ تَسَلُ

وقال الآخر :

لَعَمْرُكَ ماوِدُّ اللِّسَانِ بِنَافِعٍ ... إذا لَمْ يَكُنْ أصْلُ الْمَوَدَّةِ فِى الصَّدْرِ

وقال الآخر :

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُولَدُ عَالِماً ... وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ
وَإنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لاعِلْمَ عِنْدَهُ ... صَغِيرٌ إذَا الْتَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ

وقال الآخر :

قَنًى مِثْلُ صَفْوِ الْمَاءِ لَيْسَ بِبَاخِلٍ ... عَلَيْكَ وَلا مُهْدٍ مَلَاماً لِبَاخِلِ

وَلا قائِلٍ عَوْرَاءَ تُؤْذِى رَفِيقَـهُ ... وَلا رافِعٍ رَأْساً بِعَوْراء قائِلِ
ولا مُسْـلِمٍ مَوْلًى لأَمْرٍ يُصِيبُهُ ... ولا خالِطٍ حَقًّا مُصِيباً بِباطِلِ
ولا رافِعٍ أُحدُونَةَ السُّوءِ مُعْجِباً ... بِها بَيْنَ أَيْدِى المجْلِسِ المُتَقابِلِ
تَرَى أَهْلَهُ فى نِعمَةٍ وهْوَ شاحِبٌ ... طَوِى البَطْنِ مخْماصُ الضُّحَى والاصائِلِ

وقالت أخت يزيد بن الطثرية :

أَرَى الأَثْلَ مِنْ بَطْنِ العَقِيقِ مُجاوِرِى ... قَرِيباً وقَدْ غالَتْ يَزِيدَ غَوائِلُهْ
فَتًى قُدَّ قَدَّ السَّيْفِ لامُتَضائِلٌ ... ولا رَهِـلٌ لَبَّـاتُهُ وبآدِلُهْ
فَتًى لايُرَى خَرَقُ القَمِيصِ بِخَصْرِهِ ... ولـكِنَّما تُوهِى القَمِيصَ كواهِلُهْ
إِذا نَزَلَ الأَضْيافُ كانَ عَذَوَّراً ... عَلَى الحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَراجِلُهْ
مَضَى فوَرِثْناهُ دَرِيسَ مُفاضَةٍ ... وأَبْيَضَ هِنْدِيًّا طَويلاً حَمائِلُهْ
يَسُرُّكَ مَظْلوماً ويُرْضِيكَ ظالِمـاً ... وَكلُّ الَّذِي حُمِّلْتَهُ فهْوَ حامِلُهْ
أَخو الجِدِّ إِنْ جَدَّ الرِّجالُ وشَمَّرُوا ... وذو باطِلٍ إِنْ شِئْتَ أَلْهاكَ باطِلُهْ

يصير هذا الشعر وما أشبهه مما وقع فى هذا الباب الى الشعر الذى فى أول الفصل

﴿ باب شعر وغير ذلك من الكلام ، مما يدخل في باب الخطب ﴾

قال الشاعر :

عَجِبْتُ لأَقْوامٍ يَعِيبونَ خُطْبَتِى ... وما مِنْهُمُ فى مَوْقِفٍ بِخَطِيبِ

وقال الآخر :

إِنَّ الـكَلامَ لَفِى الفُؤادِ وإِنَّما ... جُعِلَ اللِّسانُ على الفُؤادِ دَلِيلا
لا يُعْجِبَنَّكَ مِنْ خَطِيبٍ قَوْلُهُ ... حَتَّى يَكُونَ مَعَ اللِّسانِ أَصِيلا

وأنشد الآخر

أبرَّ فما يَزْدَادُ إلاّ حَماقةً ونَوْكاً وإنْ كانَتْ كَثيراً مَخارِجُهْ

وقد يكون ردىء العقل جيد اللسان

وكان ابو العباس الاعمى يقول :

إذا وَصَفَ الاسْلامَ أحسَنَ وصفَهُ بِفِيهِ ويأبَى قَلْبُهُ ويُهاجِرُهْ

وإنْ قامَ قالَ الحَقَّ مادامَ قائماً تقيُّ اللِّسانِ كافرٌ بَعْدُ سائِرُهْ

يقول انه يتيه عن قوله ويأباه ويهجره ، ويقول الحق على منبره بلسانه وسائره كافر

وقال قَيْسُ بنُ عاصِمِ المِنْقَرِيُّ يذكر ما في بنى منقر من الخطابة :

إنّى امْرُؤٌ لايَعْتَرِى خُلُقِى دَنَسٌ يُفَنِّدُهُ ولا أفْنُ

مِن منقرٍ في بَيْتِ مَكْرُمَةٍ والأصلُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الغُصْنُ

خُطَباءُ حِينَ يَقُومُ قائِلُهُمْ بِيضُ الوُجُوهِ مَصاقِعٌ لُسُنُ

لايَفْطُنُونَ لِعَيْبِ جارِهِمِ وَهُمُ لِحُسْنِ جِوارِهِمْ فُطُنُ

ومن هذا الباب ، وليس منه فى الجملة، قول الاخر :

أشارَت بِطَرْفِ العَينِ خِيفَةَ أهْلِها إشارَةَ مَذْعُورٍ ولَمْ تَتَكَلَّمِ

فأيْقَنْتُ أنَّ الطَّرْفَ قَدْ قال مَرْحَباً وأهْلاً وَسَهْلاً بالحَبيبِ المُسَلِّمِ

وقال نصيب :

يقولُ فَيُحْسِنُ القَوْلَ ابْنُ لَيْلَى وَيفعَلُ فوْقَ أحْسَنِ ما يَقولُ

وقال آخر :

ألا رُبَّ خَصْمٍ ذِى فُنُونٍ عَلَوْتُهُ وانْ كانَ ألْوَى يُشْبِهُ الحَقَّ باطِلُهْ

فهذا هو معنى قول العتابى : البلاغة إظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل فى صورة الحق . وقال الشاعر وهو كما قال :

عَجِبْتُ لإدلالِ العَيِيِّ بِنفسِهِ وصَمْتِ الذِى قد كانَ بالقَوْلِ أعلَما

وفي الصَّمْتِ سَتْرٌ لِلعَيِيِّ وإنَّمَا صَحِيفَةُ لُبِّ المرْءِ أنْ يَتَكَلَّمَا

وموضع الصحيفة من هذا البيت موضع ذكر العنوان فى شعره الذى رثى به عثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنه ، يقول :

ضَحُّوا بأشْمَطَ عُنوَانُ السُّجُودِ بهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وقُرآنا

وأنشد أيضا :

تَرَى الفِتْيَانَ كالنَّخل وما يدريكَ ما الدَّخلُ

وكلٌّ في الهَوَى ليثٌ وفيما نابَه فَشَلُ

وليْسَ الشأن في الوَصلِ ولَكنْ أن يُرَى الفضل

وقال كسرى أنو شروان لِبُزُرْجَمِهْرَ : أى الاشياء خير للمرء العيي ؟ قال : عقل يعيش به . قال : فان لم يكن له عقل ؟ قال : فاخوان يسترون عليه . قال : فان لم يكن له اخوان ؟ قال : فمال يتحبَّب به الى الناس . قال : فان لم يكن له مال ؟ قال : فعى صامت . قال : فان لم يكن ذلك ؟ قال : فموت مريح

وقال موسى بن يحيى بن خالد : قال أبو على : رسائل المرء فى كتبه أدل على مقدار عقله ، وأصدق شاهد على غيبه لك ومعناه فيك من أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة

* (و باب آخر) *

ووصفوا كلامهم فى أشعارهم فجعلوه كبُرُودِ الْمَصْبِ ، وكالحلل والمعاطف والديباج والوشى وأشباه ذلك

وأنشدنى أبو الجماهر جندب بن مدرك الهلالى :

لا يُشْتَرَى الحمدُ أُمنيَّةً ولا يُشْتَرَى الحمدُ بالمقصر

ولَكِنَّما يُشْتَرَى غالِياً فمَن يُعْطِ قيمتَهُ يَشترِ

وَمَنْ يَعْتَطِفْه على مِئْزَرٍ فَنِعْمَ الرِّدَاءُ على المِئْزَرِ

وأنشدنى لابن ميادة :

نَعَمْ أنْنِي مُهْدٍ ثَنَاءً ومِدْحَةً كبُرْدِ يمانٍ يُرْبِحُ البَيْعُ تَاجِرَهْ

وانشدنى :

فَانْ أَهْلِكْ فَقَدْ أَبْقَيْتُ بَعْدِى قَوَافِىَ تُعْجِبُ الْمُتَمَثِّلِينَا

لَذِيذَاتِ الْمَقَاطِعِ مُحْكَمَاتٍ لو انّ الشِّعْرَ يُلْبَسُ لارْتُدِينَا

وقال ابوقردودة يرثى ابن عمار قتيل النعمان ووصف كلامه وقد كان نهاه عن منادمته :

إِنّى نَهَيْتُ ابنَ عَمَّارٍ وَقلت لَه لاَ تَامَنَنْ أحمرَ العَيْنَينِ والشَّعَرَهْ

إِنّ الملوكَ مَتَى تَنْزِلْ بِسَاحَتِهِمْ تَطِرْ بِنَارِكَ مِن نِيرَانِهِم شَرَرَهْ

يَا جَفْنَةً كإِزاءِ الحوْضِ قَدهَدموا ومَنطقاً مِثلَ وَشى اليُمْنَةِ الحبرهْ

وقال الشاعر فى مديح احمد بن ابى دؤاد :

وعويصٌ من الأُمورِ بهيمٌ غَامِضِ الشَّخصِ مظلمٌ مستور

قَد تَسهَّلت ما توعَّر منه بلسانٍ يَزينه التَّحبير

مِثل وشى البرود هلهلَه النَّسـ ـج وعندَ الحِجاجِ درٌّ نثير

حَسَنُ الصَّمْتِ والمقَاطِعُ إِمَّا أنصتَ القَوْمُ والحديث يَدور

ثُمَّ مِنْ بَعْدُ لحظَةً تُورِثُ اليُسْـ ـرَ وعِرْضٌ مهـذَّبٌ مَوْفُور

ومما يضم الى هذا وليس منه بعينه قول جميل بن معمر :

نَمَتْ فِي الرَّوَابِى مِنْ مَعَدٍّ وأفلَجَتْ على الخَيفِرَاتِ النُّجْرِ وَهْىَ وَرِيد

أَنَاةٌ على نِيرَيْنِ أَضْحَى لِدَاتُها بَلِينَ بَلاءَ الرَّيطِ وَهْىَ جَدِيدُ

نمت : شبت . الروابى من معد : البيوت الشريفة ، وأصل الرابية والرباوة ما ارتفع من الارض. وأفلجت: ظهرت وقهرت . الخفرات : الحييات

الاناة : المرأة التى فيها فتور عند القيام. وقوله:على نيرين وصفها، بالقوة كالثوب الذى ينسج على نيرين، وهو الثوب الذى له سديان كالديباج وما أشبه. أضحى لداتها، اللدة : القرينة فى المولد والمنشأ . فيقول : ان أقرانها قد بلين وهى جديد لحسن

غذائها ودوام نعمتها

ومن هذا الشكل وليس منه بعينه قول الشاعر :

على كلِّ ذِى نيرَيْنِ زِيدَ مَحَالُهُ محالاً وفى أضلاعِهِ زِيد أضْلعا

المحال : محال الظهر وهى فقاره ، واحدها محالة

وقال ابو يعقوب الخزيمى الاعور : أول شعر قلته هذان البيتان :

بِقلبى سَقَامٌ لَسْتُ أُحسن وصفه على أنه ماكان فهْو شَديد

تمرُّ به الأيَّام تَسْحَبُ ذَيْلها فَتَبْلى به الأيَّامُ وَهوَ جَـدِيد

وقال آخر ، وهو ابو الاسود الدؤلى :

أَبىَ القلب إلاّ امَّ عمروٍ وحُبَّها عَجوزاً ومن يحبِب عجوزاً يفنَّدِ

كبِرْدِ اليَماني قد تَقادَمَ عَهْدُهُ وَرُقْعَتُهُ ما شئت في العين واليد

وقال ابن هَرمة :

إنَّ الأَدِيمَ الّذِى أصْبَحْتَ تَعْرُكُه جَهْـلاً لَذُو نَغَلٍ بَادٍ وَذُو حَلَمِ

وَلَنْ يُبَطَ بِأيْدى الخَـالِقِين وَلاَ أيْدِى الخَوَالِقِ إلاَّ جَيِّـدُ الأدَمِ

وفى غير هذا الباب وهو قريب منه قول ذى الرمة :

وفي قَعْرِ حجرٍ مِن ذُؤَابَةَ عَامِرٍ إمام هُدًى مُستَبْصِرُ الحُكْمِ عَادِلُهْ

كأنَّ عَلَى أعْطَافِهِ مَاءَ مُذْهَبٍ إذا سمل السِّربال طارت رَعَابِلُهْ

الرعابل : القطع ، وشواء مرعبل أى مقطع ، ورعبلت الشيء أى قطعته . ويقال : ثوب سمل وأسمال ، وأسمل الثوب وسمل اذا أخلق

وهو الذى يقول :

حَوْرَاء فى دَعَجٍ صَفْرَاء فِي نَعَجٍ كَأنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَـا ذَهَبْ

الحور : شدة بياض العين . والدعج : شدة سواد الحدقة . والنعج : اللين . قالوا لان المرأة الرقيقة اللون يكون بياضها بالغداة يضرب الى الحمرة ، و بالعشي يضرب الى الصفرة . ولذلك قال الاعشى :

بَيْضَاءُ ضَحْوَتَهَا وَصَفْـ ـرَاءُ الْعَشِيـةِ كَالْعَرَارَهْ

وقال آخر :

قَدْ عَلِمَتْ بَيْضَاءُ صَفْرَاءُ الأُصُلْ لأُغْنِيَنَّ اليـومَ مَا أَغْنَى رَجُـلْ

وقال بشار بن برد :

وخُـذي مَلابسَ زِينَةٍ وَمَصَبَّغَاتٍ فَهْيَ أَفْخَرْ

وإذَا دَخَلْتِ تَقَنَّعِي بِالْحُمْرِ إنَّ الْحُسْنَ أَحْمَر

وهذان أعميان قد اهتديا من حقائق هذا الامر الى مالا يبلغه تمييز البصير. ولبشار خاصة فى هذا الباب ماليس لاحد، ولولا أنه فى « كتاب الرجل والمرأة » وفى « باب القول فى الانسان » فى « كتاب الحيوان » أليق وأذكى لذكرناه فى هذا الموضع . ومما ذكروا فيه الوزن قوله :

زِنِي أَلْقَوْمَ حَتَّى تَعْرِفِي عِنْدَ وَزْنِهِمِ إِذَا رُفِعَ الْمِيزَانُ كَيْفَ أَمِيلُ

وقال ابنُ الزَّبِيْرِ الأَسَدِيُّ :

أَعَاذِلِ غُضِّي بَعْضَ لَوْمِكِ إِنَّنِي أَرَى الْمَوْتَ لاَ يَرْضَى بِدَيْنٍ وَلاَ رَهْنِ

وإِنِّي أَرَى دَهْراً تَغَيَّرَ صَرْفُهُ وَدُنْيَا أَرَاهَا لاَ تَقُومُ عَلَى وَزْنِ

﴿ باب آخر ﴾

ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به، ويفضلون اصابة المقادير ويذمون الخروج من التبوبل . قال جعفر بن سليمان : ليس يطيب الطعام بكثرة الانفاق وجودة التوابل ، وانما الشأن فى اصابة القدر . وقال الشاعر، وهو عارق بن أثال الطائى :

مَا إِنْ يَزَالُ بِبَغْدَادٍ يُزَاحِمُنَا عَلَى الْبَرَاذِيْنِ أَشْبَاهُ الْبَرَاذِيْنِ

أَعْطَاهُمُ اللهُ أَمْوَالاً وَمَنْزِلَةً مِنَ الْمُلُوكِ بِلاَ عَقْلٍ وَلاَ دِيْنِ

مَا شِئْتَ مِنْ بَغْلَةٍ شَقْرَاءَ نَاجِيَةٍ أَوْ مِنْ أُنَاثٍ وَقَوْلٍ غَيْرِ مَوْزُونِ

وأنشد بعض الشعراء :

رَأَتْ رَجُلاً أَوْدَى السِّفَارُ بِجِسْمِهِ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْطِقٌ وَجَنَاجِنُ

إِذَا حُسِرَتْ عَنْهُ الْعِمَامَةُ رَاعَهَا ... جَمِيلُ الْخُفُوقِ أَغْفَلَتْهُ الدَّوَاهِنُ

فَإِنْ أَكُ مَعْرُوقَ الْعِظَامِ فَإِنَّنِي ... إِذَا مَا وَزَنْتُ الْقَوْمَ بِالْقَوْمِ وَازِنُ

الجناجن : عظام الصدر

قال مَالِكُ بنُ أَسْمَاءَ فى بعض نسائه ، وكانت تصيب الكلام كثيرا ، وربما لحنت :(١)

أَمُغْطِّى مِنِّى عَلَى بَصَرِى لِلْحُبِّ ... أَمْ أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حُسْنَا

وَحَدِيثٍ أَلَذُّهُ هُوَ مِمَّا ... يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنَا

مَنْطِقٌ عَاقِلٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا ... نًا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا

وقال طَرَفَةُ فى المقدار وإصابته :

فَسَقَى دِيَارَكِ غَيْرَ مُفْسِدِهَا ... صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي

طلب الغيث على قدر الحاجة ،لان الفاضل ضار . وقال النبى ﷺ فى دعائه « اللهم اسقنا سقيا نافعا » لان المطر ربما جاء فى غير إبان الزراعات ، وربما جاء والتمر فى الجرن والطعام فى البيادر ، وربما كان فى الكثرة مجاوزاً لمقدار الحاجة . وقال النبى ﷺ « اللهم حوالينا ولا علينا » وقال بعض الشعراء لصاحبه : أنا أشعر منك . قال : ولم ؟ قال : لانى أقول البيت وأخاه وتقول البيت وابن عمه . وعاب رؤبة شعر ابنه عقبة فقال : ليس له قران . وجعل البيت أخا البيت اذا أشبهه وكان حقه أن يوضع الى جنبه ، وعلى ذلك التأويل قال الاعشى :

أَبَا مِسْمَعٍ أَقْصِرْ فَإِنَّ قَصِيدَةً ... مَتَى تَأْتِكُمْ تَلْحَقْ بِهَا أَخَوَاتُهَا

قال الله عز وجل « وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلاَّ هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا »

وقال عمرو بن معد يكرب :

(١) راجع ص ١١٢

وَكلُّ أخٍ مُفَارِقُهُ أخُوهُ لَعَمرُ أبيكَ إلاَّ الفَرْقَدَانِ

وقالوا فيما هو أبعد معنى وأقل لفظاً ، قال الهذلى :

أعَامرُ لا آلُوكَ إلاَّ مُهَنَّداً وجِلدُ أبِي عِجْلٍ وثِيقُ القَبَائِلِ

يعنى بأبى عجل : الثور .

وقالوا ما هو أبعد من هذا ، قال ابنُ عَسَلَةَ الشَّيْبَانِيُّ واسمه عَبدُالمسيح :(١)

وسَمَاعِ مُدْجِنَةٍ تُعَلِّلُنَا حتَّى نَنَامَ تَنَاوُمَ العُجْمِ

فَصَحَوْتُ والنَّمِرِيُّ يَحْسَبُهَا عَمَّ السِّمَاكِ وخَالَةَ النَّجْمِ

النجم : واحد وجمع ، والنجم : الثريا فى كلا العرب . مدجنة : أى سحابة دائمة

وقال أبو النجم فيما هو أبعد من هذا ووصف العير ، والمعيور الموضع الذى يكون فيه الأعيار : وظلَّ يُوفِي الأَكَمَ ابنُ خَالِهَا

فهذا مما يدل على توسعهم فى الكلام ،وحمل بعضه على بعض ،واشتقاق بعضه من بعض . وقال النبى ﷺ « نعمت العمة لكم النخلة » كأن بينها وبين الانسان تشابه وتشاكل من وجوه . وقد ذكرنا ذلك فى « كتاب الزرع والنخل » وفى مثل ذلك قال بعض الفصحاء:

شَهِدْتُ بأنَّ النَّمْرَ بالزُّبْدِ طَيِّبٌ وأنَّ الحُبَارَى خَالَةُ الكِرْوَانِ

لان الحبارى وان كانت أعظم بدنا من الكروان فان اللون وعمود الصورة واحد ،فلذلك جعلها خالته، ورأى أن ذلك قرابة تستحق بها هذا القول

﴿ باب آخر من الشعر ﴾

﴿ مما قالوا فى الخطب واللسن والامتداح به والمديح عليه ﴾

قال كعب الاشقرى :

إلاَّ أكُنْ فِى الأَرْضِ أخْطُبُ قَائِماً فَإنِّى عَلى ظَهْرِ الكُمَيْتِ خَطِيبُ

(١) انظر قصيدة عبد المسيح بن عسلة مشروحة بقلمنا فى المفضليات ص ١٣٣

وقال ثابت قطنة :

فإلاّ أكُنْ فِيكُمْ خَطِيباً فإنّنِي ... بِسُمْرِ القَنَا والسَّيْفِ جِدُّ لَعُوبِ

وقالت ليلى الاخيلية :

حتّى إذَا رُفِعَ اللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ ... تَحْتَ اللِّوَاءِ على الخَمِيسِ زَعِيمَا

وقال الآخر :

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ يَبِيتُونَ خُطْبَتِي ... وَما مِنْهُمُ فِي مَأْقِطٍ بِخَطِيبِ

وهؤلاء يفخرون بخطبهم التى عليها يعتمدون بالسيوف والرماح ، وان كانوا خطباء

وقال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ :

أُبْلِغْ نُعَيْماً وَأَوْفَى إنْ لَقِيتَهُمَا ... إنْ لَمْ يَكُنْ كانَ فِي سَمْعَيْهِمَا صَمَمُ

فَلا يَزَالُ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... يَهْدِي المَقَانِبَ مالم يُهْلِكِ الصَّمَمُ

عَارِي الأشَاجِعِ مَعْصُوبٌ بِلِمَّتِهِ ... أمرُ الزَّعَامَةِ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ

المقانب:جمع مقنب ، والمقنب الجماعة من الخيل ليست بالكثيرة.الاشاجع : عروق ظاهر الكف ، وهى مغرز الاصابع . اللمة : الشعيرة التى ألمت بالمنكب . زعيم القوم : رأسهم وسيدهم الذى يتكلم عنهم ، والزعامة مصدر للزعيم الذى يسود قومه . وقوله : معصوب بلمته ، أى يعصب برأسه كل أمر .عرنينه : انفه

وقال أبو العباس الاعمى مولى بنى بكر بن عبد مناف فى بنى عبد شمس :

لَيْتَ شِعْرِي أفَاحَ رائِحَةَ المِسْـ ... ـكِ ما إن اخَالُ بالخَيْفِ أُنْسِي

حِينَ غَابَتْ بَنُو أُمَيَّةَ عَنْهُ ... والبَهَالِيلُ مِن بَنِي عَبْدِ شَمْسِ

خُطَبَاءٌ عَلَى المَنَابِرِ فُرْسَا ... نٌ عَلَيْهَا وَقَالَةٌ غَيْرُ خُرْسِ

لا يُعَابُونَ صَامِتِينَ وَإنْ قَا ... لُوا أصَابُوا وَلَمْ يَقُولُوا بِلِبْسِ

بِحُلُومٍ إذا الحُلُومُ استخفَّتْ ... وَوُجُوهٍ مِثْلِ الدَّنَانِيرِ مُلْسِ

وقال العَجّاجُ :

وحَاصِنٍ مِنْ حَاصِنَاتِ مُلْسِ مِنَ الأَذَى وَمِنْ قِرَافِ الوَقْسِ

المحصنة : ذات الزوج : والحاصن العفيفة . والوقس : الجرب

وقال امرؤ القيس بن حجر :

ويَارُبَّ يَوْمٍ قدْ أَروحُ مرجلاً حَبِيباً إِلَى البِيضِ الكَوَاعِبِ أَمْلَسَا

وقال أبو العباس الاعمى :

ولَمْ أَرَ حَيًّا مِثْلَ حَيٍّ تَحَمَّلُوا إِلَى الشَّامِ مَظْلُومِينَ مُنْذُ بُرِيتُ

أَعزَّ وأَمْضَى حِينَ تَشْتَجِرُ القَنَا وأَعلَمَ بِالْمُسْكِينِ حَيْثُ يَبِيتُ

وأَرْفَقَ بالدُّنيَا بأَولَى سِيَاسَةٍ إِذا كَادَ أَمْرُ المسلمينَ يَفُوتُ

إِذا ماتَ مِنهمْ سَيِّدٌ قامَ سَيِّدٌ بَصِيرٌ بِعَوْرَاتِ الكَلامِ زَمِيتُ

وقال آخر :

لايُغْسَلُ العِرْضُ مِنْ تَدَنُّسِهِ والثَّوْبُ إِنْ مَسَّ مَدْنَساً غُسِلا

وزَلَّةُ الرِّجْلِ تُسْتَقَالُ ولاَ يَكَادُ رَأْيٌ يُقِيلُكَ الزَّلَلا

وقال آخر في الزلل :

أَلَهْفَى إِذْ عَصَيْتُ أَبَا يَزِيدٍ ولَهْفَى إِذْ أَطَعْتُ أَبَا العَلاَءِ

وكانَتْ هَفْوَةً مِنْ غَيْرِ رِيحٍ وكانَتْ زَلَّةً مِنْ غَيرِ مَاءِ

وقال آخر :

فانَّكَ لَمْ يُنْذِرْكَ أَمرٌ تَخَافُهُ إِذا كُنْتَ فِيهِ جَاهِلاً مِثْلُ خَابِرِ

وقال ابن وابصة ـ واسمه سالم ـ فى مقام قام فيه مع ناس من الخطباء :

يا أَيُّهَا المُتَحَلِّي غَيرَ شِيمَتِهِ ومَنْ سَجِيَّتُهُ الاكْثَارُ والمَلَقُ

أَعمِدْ إِلى القَصدِ فِيما أَنتَ رَاكِبُهُ إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الخُلُقُ

صَدَّتْ هُنَيْدَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا ... عَنِّي بِمَطْرُوفَةٍ إِنْسَانُهَا غَرِقُ
وَرَاعَهَا الشَّيْبُ فِي رَأْسِي فَقُلْتُ لَهَا ... كَذَاكِ يَصْفَرُّ بَعْدَ الْخُضْرَةِ الْوَرَقُ
بَلْ مَوْقِفٍ مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ قُمْتُ بِهِ ... أَحْمِي الذِّمَارَ وَتَرْمِينِي بِهِ الْحَدَقُ
فَمَا زَلَلْتُ وَلَا أُلْفِيتُ ذَا خَطَلٍ ... إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهَا زَلِقُوا

وأنشد أعرابى من باهلة:

سَأَعْمِلُ نَصَّ الْعِيسِ حَتَّى يَكُفَّنِي ... غِنَى الْمَالِ يَوْمًا أَوْ غِنَى الْحَدَثَانِ
فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا ... عَلَى الْحُرِّ بِالْإِقْلَالِ وَسْمُ هَوَانِ
مَتَى يَتَكَلَّمْ يُلْغَ حُكْمُ كَلَامِهِ ... وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمُ بَيَانِ
كَأَنَّ الْغِنَى فِي أَهْلِهِ بُورِكَ الْغِنَى ... بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانِ

وفى مثلها، فى بعض الوجوه، قول عروة بن الورد:

ذَرِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي ... رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمُ الْفَقِيرُ
وَأَهْوَنُهُمْ وَأَحْقَرُهُمْ لَدَيْهِمْ ... وَإِنْ أَمْسَى لَهُ نَسَبٌ وَخِيرُ
وَيُقْصَى فِي النَّدِيِّ وَتَزْدَرِيهِ ... حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
وَيُلْفَى ذُو الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ ... يَكَادُ فُؤَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلٌ ذَنْبُهُ وَالذَّنْبُ جَمٌّ ... وَلَكِنْ لِلْغِنَى رَبٌّ غَفُورُ

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنه: الهوى إله معبود. وتلا قوله عز وجل «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ»

وقال أبو الاعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل:

تِلْكَ عِرْسَايَ تَنْطِقَانِ عَلَى عَمْـ ... ـدٍ إِلَى الْيَوْمِ قَوْلَ زُورٍ وَهِتْرِ
سَأَلَتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأَتَانِي ... لِي قَلِيلًا؟ قَدْ جِئْتُمَانِي بِنُكْرِ
فَلَعَلِّي أَنْ يَكْثُرَ الْمَالُ عِنْدِي ... وَيُعَرَّى مِنْ الْمَغَارِمِ ظَهْرِي

وترى أعبُدَ لنا وأواقٍ ومناصيفَ من خوادمَ عشرِ
ونجرُّ الأذيالَ في نعمةٍ زو لٍ تقولانِ: ضعْ عصاكَ لِدهرِ
ويكأنْ منْ يكنْ له نشبٌ يحـ ـبَبْ ومنْ يفتقرْ يعشْ عيشَ ضُرِّ
ويجنَّبْ سرَّ النجيِّ ولكنْ أخا المال مُحضَرٌ كلَّ سِرِّ

المناصيف: الخدم، واحدهم منصف وناصف ،وقد نصف القوم ينصفهم نصافة اذا خدمهم. نعمة زول:حسنة ، والزول : الخفيف الظريف ، وجمعه أزوال

وقال عَبِيْدُ بنُ الأَبْرَص فى نحو هذا وليس كمثله :

تِلْكَ عِرْسِي غَضْبَى تُرِيدُ زِيَالِي أَلبَيْنِ تُرِيدُ أَمْ لِدَلالِ ؟
إِنْ يَكُنْ طِبُّكِ الفِرَاقَ فلا أحـ ـفِلُ أنْ تَعْطِفِي صُدُورَ الجِمَالِ
كُنْتِ بَيْضَاءَ كالمَهَاةِ وإِذْ آتِيكِ نَشْوَانَ مُرْخِياً أذْيَالِي
فاتْرُكِي مَطَّ حاجِبَيْكِ وعِيشِي مَعَنَا بالرَّجَاءِ والتَّأَمَّالِ
زَعَمَتْ أَنَّنِي كَبِرْتُ وأَنِّي قَلَّ مَالِي وَضَنَّ عَنِّي المَوالِي
وصَحَا بَاطِلِي وأَصْبَحتُ شَيخاً لايُوَاتِي أَمْثَالَهَا أَمْثَالِي
إِنْ تَرَيْنِي تَغَيَّرَ الرَّأْسُ مِنِّي وعلاَ الشَّيْبُ مَفْرِقِي وقَذَالِي
فبِمَا أَدْخُلُ الخِبَاءَ على مَهْـ ـضُومَةِ الكَشْحِ طِفْلَةٍ كالغَزَالِ
فَتَعَاطَيْتُ جِيدَهَا ثُمَّ مَالَتْ مَيَلانَ الكَثِيبِ بَينَ الرِّمالِ
ثُمَّ قالتْ : فِدًى لِنَفْسِكَ نَفسِي وفِدَاءً لِمَالِ أَهْلِكَ مَالِي

الكشح : الخصر . وقوله مهضومة : أراد لطيفة . والطفلة : الرخصة الناعمة

وخرج عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه من داره يوما ، وقد جاء عامر ابن عبد قيس فقعد فى دهليزه ، فلما رأى شيخاً دميماً أشعث طاً فى عباءة فانكره وأنكر مكانه ، فقال : يا أعرابى، أين ربك ؟ قال : بالمرصاد

والشغى :تراكب الاسنان واختلافها . ثط : صغير اللحية

يقال أن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه لم يفحمه أحد قط غير عامر بن عبد قيس ونظر معاوية الى النَّخَّار بن أوس العُذْرِىّ الخطيب الناسب فى عباءة فى ناحية من مجلسه ، فانكره وأنكر مكانه، زراية منه عليه ، فقال : من هذا ؟ فقال النخار : يا أمير المؤمنين، ان العباءة لا تكلمك إنما يكلمك من فيها

قال ونظر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى هَرِم بن قُطبَةَ ملتفا فى بت فى ناحية المسجد ، ورأى دمامته وقلته ، وعرف تقديم العرب له فى الحكم والعلم ، فأحب ان يكشفه ويسبر ما عنده ، فقال : أرأيت لو تنافرا اليك اليوم أيهما كنت تنفر؟ يعنى علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل . فقال : يا امير المؤمنين، لو قلت فيهما كلمة لأعدتها جذعة (١) فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : لهذا العقل تحاكمت اليك العرب . ونظر عمر الى الأحنف وعنده الوفد ، والأحنف ملتف فى بت له ،فترك جميع القوم واستنطقه ، فلما تبعَّقَ منه ما تبعَّقَ ، وتكلم بذلك الكلام البليغ المصيب ، وذهب ذلك المذهب ، لم يزل عنده فى علياء ، ثم صار الى أن عقد له الرياسة ثابتاً له ذلك الى أن فارق الدنيا

ونظر النعمان بن المنذر الى ضَمْرَةَ بن ضَمْرَةَ فلما رأى دمامته وقلته قال : تسمع بالمعيدى لا أن تراه. هكذا تقول العرب . فقال ضمرة : أبيت اللعن ، إن الرجال لا تكال بالقفزان ، وانما المرء بأصغريه لسانه وقلبه . وكان ضمرة خطيباً، وكان فارساً شاعراً شريفاً سيداً

وكان لزَّمِق بن زَيْدٍ مدح أبا جُبيلة الغسانى ، وكان الرمق دميما قصيراً ، فلما أنشده وحاوره قال : عسل طيب فى ظرف سوء

قال وتكلم عَلْبَاء بن الْهَيْثَمِ السَّدُوسِىُّ لدى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، وكان علباء أعور دميما ، فلما رأى براعته وسمع بيانه أقبل عمر يصعد فيه بصره ويحدِّره ، فلما خرج قال عمر : لكل أناس فى جميلهم خبرة

قال أبو عثمان : وأنشدت سهل بن هرون قول سلمة بن خُرْشُبٍ وشعره الذى أرسل به إلى سُبيع التغلبى فى شأن الرُّهن التى وضعت على يديه فى قتال عبس وذبيان ، فقال سهل بن هرون : والله لكأنه قد سمع رسالة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى أبى موسى الاشعرى فى سياسة القضاء وتدبير الحكم. والقصيدة قوله:

(١) يعنى لأعاد فتنة المنافرة بين قبائلهما، كما كانت فى أول أمرها

أبْلِغْ سُبَيْعاً وأنْتَ سَيِّدُنا ... قِدْماً وأوْفَى رجالِنا ذِمَما

أنَّ بَغِيضاً وأنَّ إخْوَتَها ... ذُبْيانَ قَدْ ضَرَّمُوا الَّذِي اضْطَرَما

نُبِّئْتُ أنْ حَكَّمُوكَ بَيْنَهُمُ ... فَلا يَقُولُنَّ بِئْسَ ما حَكَما

إنْ كُنتَ ذَا خِبْرَةٍ بِشَأْنِهِم ... تَعْرِفُ ذا حَقِّهِمْ ومَنْ ظَلَما

وتُنْزِلُ الأمْرَ في مَنازِلِهِ ... حُكْماً وعِلْماً وتُحْضِرُ الفُهَما

وَلا تُبالِي مَنِ الْمحِقُّ وَلاَ الْـ ... ـبْطِلُ لاَ إلَّةً ولا ذِمَما

فاحْكُمْ وأنْتَ الحَكِيمُ بَيْنَهُمُ ... لَنْ تَعْدَمُوا الحُكْمَ ثابِتاً صَتِما

واصْدَعْ أدِيمَ السَّواءِ بَيْنَهُمُ ... على رِضَا مَنْ رَضِي ومَنْ رُغِما (١)

إنْ كانَ مالاً فَفُضَّ عِدَّتَهُ ... مالاً بِمالٍ وإنْ دَماً فَدَما

حَتَّى تَرَى ظاهِرَ الحُكُومَةِ مِثْـ ... ـلَ الصُّبْحِ جَلَّى نَهارُهُ ظُلَما

هٰذا وإنْ لَمْ تُطِقْ حُكُومَتَهُمْ ... فانْبِذْ إلَيهِمْ أُمُورَهُمْ سَلَما

الصتم: الصحيح القوى ، يقال : رجل صتم ، اذا كان شديداً

وقال العايشى كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعلم الناس بالشعر ، ولكنه إذ ابتلى بالحكم بين النجاشى والعجلانى ، وبين الحطيئة والزبرقان ، كره أن يتعرض للشعراء ، واستشهد رجالا للفريقين مثل حسان بن ثابت وغيره ممن تهون عليه سبالهم ، فاذا سمع كلامهم حكم بما يعلم ، وكان الذى ظهر من حكم ذلك الشاعر مقنعاً للفريقين ، ويكون هو قد تخلص بعرضه سالما ، فلما رآه من لاعلم له يسأل هذا وهذا ظن أن ذلك لجهله بما يعرف غيره . ولقد أنشدوه شعراً لزهير ، وكان لشعره مقدما ، فلما انتهوا الى قوله :

وإنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلاثٌ ... يَمِينٌ أوْ نِفارٌ أوْ جِلاءُ

قال عمر كالمتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ، وإقامته أقسامها ـ :

وانّ الحقَّ مقطعه ثلاث ... يمين أو نفار أو جلاء ؟

(١) فى الاصل « زعما » وخطأها بين والصواب « رُغما » كما أثبتناه

يردد البيت من التعجب

وأنشدوه قصيدة عَبْدَةَ بنِ الطَّبِيبِ الطويلة التى على اللام ، فلما بلغ المنشد إلى قوله :

والمَرْءُ ساعٍ لِأَمْرٍ ليسَ يُدْرِكُهُ ... والعَيْشُ شُحٌّ وإِشْفاقٌ وتَأْمِيلُ (١)

قال عمر متعجباً : والعيشُ شحّ واشفاق وتأميل ؟

يعجبهم من حسن ما قسم وفصل . وأنشدوه قصيدة أبى قيس بن الاسلت التى على العين وهو ساكت ، فلما انتهى المنشد إلى قوله :

الكَيْسُ والقُوَّةُ خَيْرٌ مِنَ ال ... إِشْفاقِ والفَهَّةِ والهَاعِ (٢)

أعاد عمر البيت وقال :

الكيس والقوّه خير من ال ... إشفاق والفهّة والهاع

وجعل عمر يردد البيت ويتعجب منه . قال محمد بن سلام الجمحى عن بعض أشياخه : قال كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا يكاد يعرض له أمر الا أنشد فيه بيت شعر

وقال عمر بن العلاء : كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب بفرط حاجتهم الى الشعر الذى يقيد عليهم مآثرهم ، ويفخم شأنهم ، ويهول على عدوهم ومن غزاهم ، ويهيب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعر غيرهم ، فيراقب شاعرهم ، فلما كثر الشعر والشعراء ، واتخذوا الشعر مكسبة ، ورحلوا إلى السوقة ، وتسرعوا الى أعراض الناس ، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر . ولذلك قال الاول : الشعر أدنى مُروءة السرىّ ، وأسرى مُروءة الدني

قال : ولقد وضع قول الشعر من قدر النابغة الذبيانى ، ولو كان فى الدهر الاول مازاده ذلك الا رفعة

وروى مجالد عن الشعبى قال : ما رأيت مثلى ، ما أشاء أن ألقى رجلا أعلم منى بشىء الا لقيته . وقال الحسن البصرى : يكون الرجل عابدا ولا يكون عاقلا ، ويكون عابدا عاقلا ولا يكون عالما ، وكان مسلم بن يسار عاقلا عابدا عالما . وكان يقال : فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مطرف ، وحفظ قتادة . وذكرت البصرة

(١) انظر القصيدة بأكملها مشروحة بقلمنا فى المفضليات التى شرحناها ونشرناها حديثاً

(٢) فى المفضليات : الفكة ، بدل الفهة ، وانظر القصيدة بها مشروحة بقلمنا

فقيل : شيخها الحسن ، وفتاها بكر بن عبد الله المزنى. والذين بثوا العلم فى الدنيا أربعة : قتادة، والزهرى، والاعمش، والكلبى. وجمع سليمان بن عبد الملك بين قتادة والزهرى ، فغلب قتادة الزهرى ، فقيل لسليمان فى ذلك فقال : انه فقيه مليح . فقال القحذمى : لا ، ولكنه تعصب للقرشية ولانقطاعه اليهم ولروايته فضائلهم . وكان الاصمعى يقول :وصلت بالعلم، ونلت بالملح . وكان سهل بن هرون يقول : اللسان البليغ والشعر الجيد لا يكاد ان يجتمعان فى واحد، وأعسر من ذلك أن يجتمع بلاغة الشعر و بلاغة القلم . والمسجديون(١) يقولون: من تمنى رجلا حسن العقل ، وحسن اللسان ، وحسن القلم ، تمنى شيأ عسيرا

﴿ باب ﴾

وكانوا يعيبون النوك والعى والحمق وأخلاق النساء والصبيان

قال الشاعر :

إذا ما كُنْتَ مُتَّخِذاً خَلِيلاً ... فَلاَ تَثِقَنْ بِكُلِّ أَخى إِخَاءِ
فانْ خُيِّرْتَ بَيْنَهُمُ فَأَلْصِقْ ... بِأَهْلِ الْعَقْلِ مِنْهُمْ والْحَيَاءِ
فانَّ العَقْلَ لَيْسَ لَهُ إِذا مَا ... تَفَاضَلَتِ الْفَضَائِلُ مِنْ كِفَاءِ
فانَّ النَّوْكَ لِلأَحْسَابِ غَوْلٌ ... وأَهْوَنُ دائِهِ داءُ الْعِيَاءِ
ومَنْ تَرَكَ الْعَواقِبَ مُهْمَلاتٍ ... فَأَيْسَرُ سَعْيِهِ سَعْيُ الْعَنَاءِ
فَلا تَثِقَنَّ بِالنَّوكى لِشَيْءٍ ... ولَوْ كانُوا بَنِى ماءِ السَّمَاءِ
فَلَيْسُوا قابِلِى أَدَبٍ فَدَعْهُمْ ... وكُنْ مِنْ ذَاكَ مُنْقَطِعَ الرَّجَاءِ

وقال الاخر فى التضييع والنوك :

فَعِشْ فِي حَدِّ أَنْوَكَ ساعَدَتْهُ ... مَقَادِيرٌ يُخَالِفُهـا الصَّوَابُ
ذَهابُ الْمَالِ فِي حَمْدٍ وأَجْرٍ ... ذَهَابٌ لايقالُ لَهُ ذَهَابُ

وأنشد فى ذلك :

(١) كان المسجديون قوم يجلسون فى مسجد البصرة كما كان أهل الصفة يجلسون فى مسجد المدينة ولهم أحاديث

أرَى زَمَناً نَوْكاهُ أسْعَدُ أهْلِهِ ... وَلٰكِنَّمَا يَشْقَى بِهِ كُلُّ عاقِلِ
مَشَى فَوْقَهُ رِجْلاهُ والرَّأْسُ تَحْتَهُ ... فَكَبَّ الأعالِي بارْتِفاعِ الأسافِلِ

وقال الآخر :

ولَمْ أرَ مِثْلَ الفَقْرِ أوْضَعَ لِلْفَتَى ... ولَمْ أرَ مِثْلَ المالِ أرْفَعَ للرَّذْلِ
ولَمْ أرَ عِزّاً لامْرِئٍ كَعَشِيرَةٍ ... ولَمْ أرَ ذُلاً مِثْلَ نَأْيٍ عَنِ الأهْلِ
ولَم أرَ مِنْ عُدْمٍ أضَرَّ على امْرِئٍ ... إذا عاشَ وَسْطَ النّاسِ مِن عَدَمِ العَقْلِ

وقال الاخر :

تَحامَقْ مَعَ الحَمْقَى إذا ما لَقِيتَهُمْ ... وَلا تَلْقَهُمْ بِالعَقْلِ إنْ كُنْتَ ذا عَقْلِ
فَإنّي رأيْتُ المَرْءَ يَشْقَى بِعَقْلِهِ ... كَما كانَ قَبْلَ اليَوْمِ يَسْعَدُ بِالعَقْلِ

وقال الاخر :

وأنْزَلَنِي طُولُ النَّوَى دارَ غُرْبَةٍ ... إذا شِئْتُ لاقَيْتُ امْرَأً لا أشاكِلُهْ
فَحامَقْتُهُ حَتَّى يُقالَ سَجِيَّةٌ ... ولَوْ كانَ ذا عَقْلٍ لَكُنْتُ أُعاقِلُهْ

وقال بشر بن المعتمر وأنشد :

وإذا الغَبِيُّ رَأيْتَهُ مُسْتَغْنِياً ... أعيا الطَّبِيبَ وحِيلَةَ المُحْتالِ

وأنشدني آخر :

وَلِلدَّهْرِ أيّامٌ فَكُنْ في لِبَاسِهِ ... كلابسه يَوْماً أجِدَّ وأخْلَقا
وكُنْ أكْيَسَ الكَيْسَى إذا كُنْتَ فِيهِمِ ... وإنْ كُنْتَ في الحَمْقَى فَكُنْ أنْتَ أحْمَقا

وأنشدني آخر :

ولا تَفْرَحِي يا بِنْتَ عَمِّيَ بُوهَةً ... مِنَ القَوْمِ دِفْناساً غَبِيّاً مُفَنَّدَا
وإنْ كانَ أعطى رأسَ سِتِّينَ بَكْرَةً ... وحِكْماً على حُكْمٍ وعَبْداً مُوَلَّدَا
ألا فاحْذَرِي لا تُورِدَنَّكِ هَجْمَةٌ ... طِوالَ الذُّرَى جِبْساً مِنَ القَوْمِ قُعْدُدَا

وأنشدنى آخر :

كَسا اللهُ حَيَّىْ تَغْلِبَ ابْنَةَ وائِلٍ ... مِنَ اللُّؤْمِ أَظْفاراً بَطِيئاً نُصُولُها

إِذا ارْتَحَلُوا عَنْ دارِ ضَيْمٍ تعاذَلُوا ... عَلَيْها وَرَدُّوا وَفْدَهُمْ يَسْتَقِيلُها

وأنشدنى آخر :

وإِنَّ عَناءً أَنْ تُفَهِّمَ جاهِلاً ... وَتَحْسَبَ جَهْلاً أَنَّهُ مِنْكَ أَفْهَمُ

وقال جرير :

وَلاَ يَعْرِفُونَ الشَّرَّ حتّى يُصِيبَهُمْ ... ولا يَعْرِفُونَ الأَمْرَ الاّ تَدَبُّرا

وقال الأعرج المعنى الطائى :

لَقَدْ عَلِمَ الأَقوامُ أَنْ قَدْ قَدَرْتُمُ ... وَلَمْ تَبْدَأُوهُمْ بالمظالِمِ أَوَّلاَ

فَكُونُوا كَداعِى كَرَّةٍ بَعْدَ فَرَّةٍ ... أَلاَ رُبَّ مَنْ قَدْ فَرَّ ثُمَّتَ أَقبَلاَ

فَانْ أَنْتُمُ لَمْ تَفْعَلُوا فَتَبَدَّلُوا ... بِكُلِّ سِنانٍ مَعْشَرَ العُرْبِ مِغْزَلا

وأَعطُوهُمُ حكمَ الصَّبِىِّ بأَهلِهِ ... وانِّى لأَرجُو أَن يَقُولوا بأَنَّ لاَ

ويقال : أظلم من صبى ، وأكذب من صبى ، وأخرق من صبى

وأنشد :

وَلاَ تَحكُمَا حُكمَ الصَّبِىِّ فإِنَّه ... كَثِيرٌ على ظَهرِ الطَّرِيقِ مَجاهِلُه

سئل دَغفَلٌ عن بنى عامر فقال : أعناق ظباء ، وأعجاز نساء . قيل : فما تقول فى أهل اليمن ؟ قال : سَيِّدٌ وأنوكُ

﴿ باب في ذكر المعلمين ﴾

من أمثال العامة : أحمق من مُعلم كتاب . وقد ذكرهم صقلاب [فقال] :

وَكَيفَ يُرجَّى العَقلُ والرَّأىُ عِندَ مَن ... يَرُوحُ على أُنثى وَيَغدُو على طِفلِ

وفى قول بعض الحكماء : لا تستشيروا معلما ، ولا راعى غنم ، ولا كثير القعود مع النساء. وقال: لا تدع أم صبيك تضربه ،فانه أعقل منها،وان كانت أسن منه.

وقد سمعنا فى الامثال : أحمق من راعى ضان ثمانين

فاما استحماق رُعاة الغنم فى الجملة، فكيف يكون ذلك صواباً وقد رعى الغنمَ عدةٌ من جِلة الانبياء عليهم السلام ؟ ولعمرى ان الفدّادين من أهل الوبر ورُعاة الابل ليتلومون على رعاة الغنم، ويقول أحدهم لصاحبه : إن كنت كاذبا فحلبت قاعداً

وقال الآخر :

تَرَى حَالِبَ المِعزَى اذَا سُرَّ قاعِداً وَحالِبهنَّ القائِمُ المتطاوِلُ

قالت امرأة من غامد فى هزيمة ربيعة بن مُكدّم لجمع غامد وحده :

أَلاَ هَل أتاهَا على نأيِها بما فَضَحَت قومَها غَامِدُ

تَمَنَّيتُمُ مِائَتَيْ فارِسٍ فَرَدَّكُمُ فارِسٌ واحِدُ

فَلَيتَ لَنا بارتِباطِ الخُيُولِ ضأناً لهَا حَالِبٌ قاعِدُ

وقد سمعنا قول بعضهم : الحُمق في الحاكة والمُعلمين والغزالين . قال : والحاكة أقل وأسقط من أن يقال لهم حمقى ، وكذلك الغزالون، لان الأحمق هو الذى يتكلم بالصواب الجيد ثم يجىء بخطأ فاحش ، والحائك ليس عنده صواب جيد فى فعال ولا مقال، الا أن يجعل جودة الحياكة من هذا الباب ، وليس هو من هذا فى شيء

﴿وهذا باب آخر﴾

ويقال : فلان أحمق . فاذا قالوا : مائق، فليس يريدون ذلك المعنى بعينه . وكذلك إذا قالوا : أنوكُ . وكذلك اذا قالوا : رقيعٌ . ويقولون: فلان سليم الصدر . ثم يقولون : غبيٌّ . ثم يقولون : أبله . وكذلك اذا قالوا : معتوه ، ومسلوس . وأشباه ذلك

قال أبو عبيدة : يقال للفارس : شجاع . فاذا تقدم ذلك قيل : بطل . فاذا تقدم شيئا قيل : بهمة . فاذا صار الى الغايه قيل : أليسُ

قال العجاج : أليَسُ عَن حَوبائه سَخيُّ

وهذا المأخذ يجرى فى الصفات كلها من : جود ، وبخل ، وصلاح ، وفساد ، ونقصان ، ورجحان . وما زلت أسمع هذا القول فى المعلمين . والمعلمون عندى على ضربين : منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة الى تعليم أولاد الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة الى تعليم أولاد الملوك أنفسهم

المرشحين للخلافة ، فكيف تستطيع أن تزعم أن مثل على بن حمزة الكسائى ومحمد بن المستنير (١) الذى يقال له قُطرب وأشباه هؤلاء يقال لهم حمقى ؟ ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ، ولا على الطبقة التى دونهم . فان ذهبوا إلى مُعلمى كتاتيب القُرى فان لكل قوم حاشية وسَفلة ، فما هم فى ذلك إلا كغيرهم .

وكيف تقول مثل ذلك فى هؤلاء وفيهم الفقهاء ، والشعراء ، والخطباء ، مثل : كميت ابن زيد ، وعبد الحميد الكاتب ، وقيس بن سعد ، وعطاء بن أبى رباح

ومثل عبد الكريم بن أبى أمية ، وحسين المعلم ، وأبى سعيد المعلم ؟

ومن المعلمين : الضحاك بن مزاحم أبو معبد الجهنى ، وعامر الشعبى ، فكانا يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان ، وكان أبو معبد يعلم سعيدا

ومنهم أبو سعيد المؤدب ـ وهو غير ابى سعيد المعلم ـ وكان يحدث عن هشام ابن عروة وغيرهم ؟

ومنهم عبد الصمد بن عبد الاعلى . وكان معلم ولد عتبة بن أبى سفيان

وكان اسماعيل بن على ألزم بعض بنيه عبد الله بن المقفع ليعلمه ؟

وكان أبو بكر عبد الله بن كيسان معلما

ومنهم محمد بن السكن ، وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدرى بصنوف العلم ، ولا أحسن بيانا من أبى الوزير وأبى عدنان المعلمين ؟ وحالهما من أول ما أذكر من أيام الصبا

وقد قال الناس فى أبي البيداء ، وفى أبى عبد الله الكاتب ، وفى الحجاج بن يوسف وأبيه ما قالوا ؟

وقد أنشدوا مع هذا الخبر شاهداً من الشعر على أن الحجاج وأباه كانا معلمين بالطائف

ثم رجع بنا القول الى الكلام الاول . قالوا : أحق الناس بالرحمة عالم يجرى عليه حكم جاهل . وكتب الحجاج إلى المُهلب يُعجله فى حرب الازارقة ويُسمّعهُ ، فكتب اليه المهلب : ان البلاء كل البلاء أى يكون الرأى لمن يملكه ، دون من يبصره

---

(١) محمد بن المستنير سماه سيبويه « قطرب » أخذ النحو عن سيبويه وعن عيسى ابن عمر ، وأخذ علم الكلام عن النظام ، واتصل بابى دلف العجلى وأدب ولده ، وله تصانيف كثيرة . وكان ابن السكيت لا يوثقه . مات سنة ٢٠٦ هـ ٨٢٤ م

﴿ وباب آخر ﴾

قال بعض الربانيين من الادباء ، وأهل المعرفة من البلغاء ، ممن يكره التشادق والتعمق ، ويبغض الاغراق فى القول والتكلف والاجتلاب ، ويعرف أكثر أدواء الكلام ودوائه ، وما يعترى المتكلم من الفتنة بحسن ما يقول ، وما يعرض للسامع من الافتتان بما يسمع ، والذى يورث الاقتدار من التحكم والتسلط ، والذى يمكن الحاذق والمطبوع من التمويه للمعانى والخلابة وحسن المنطق ، وقال فى بعض مواعظه : أنذركم حسن الالفاظ وحلاوة مخارج الكلام ، فان المعنى اذا اكتسى لفظا حسنا ، وأعاره البليغ مخرجا سهلا ، ومنحه المتكلم قولا متعشقا ، صار فى قلبك أحلى ، ولصدرك أملا ، والمعانى اذا كُسيت الالفاظ الكريمة ، وألبست الاوصاف الرفيعة ، تحولت فى العيون عن مقادير صورها ، وأربت على حقائق أقدارها ، بقدر ما زُينت وعلى حسب ما زُخرفت ، فقد صارت الالفاظ فى معنى المعارض ، وصارت المعانى فى معنى الجوارى ، والقلب ضعيف وسلطان الهوى قوى ، ومدخل خدع الشيطان خفى

فاذكر هذا الباب ولا تنسه ، وتأمله ولا تفرط فيه ، فان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لم يقل للاحنف — بعد أن احتبسه حولا مجرّماً ليستكثر منه وليبالغ في تصفح حاله ، والتنقير عن شانه — ان رسول الله ﷺ قد كان خوّفنا كل منافق عليم ، وقد خفت أن تكون منهم — إلا لما كان راعه من حسن منطقه ، ومال اليه لما رأى من رفقه وقلة تكلفه ؟ ولذلك قال رسول الله ﷺ « ان من البيان لسحرا » وقال عمر بن عبد العزيز لرجل أحسن فى طلب حاجة وتأتى لها بكلام وجيز ، ومنطق حسن : هذا والله السحر الحلال . وقال رسول الله ﷺ « لا خلابة » فالقصد من ذلك أن تجتنب السوقىّ والوحشىّ ، ولا تجعل همك في تهذيب الالفاظ ، وشغلك فى التخلص الى غرائب المعانى ، وفى الاقتصار بلاغ ، وفى التوسط مجانبة للوعورة ، والخروج من سبيل من لا يحاسب نفسه ، وقد قال الشاعر :

عَليكَ بأوْسَاطِ الأُمُورِ فانّها نَجاةٌ وَلاَ تَرْكَبْ ذَلُولاً ولاَ صَعْبَا

وقال الآخر :

لا تَذْهَبَنَّ فى الأُمُورِ فَرَطَا لاَ تَسألَنَّ إنْ سألْتَ شَطَطَا

وكُن منَ النّاسِ جَميعا وسَطَا

وليكن كلامك بين المقصر والغالى ، فانك تسلم من الهجنة عند العلماء ، ومن فتنة الشيطان . وقال أعرابى للحسن : علمنى دينا وسطا ، لا ذاهبا شطوطا ، ولا هابطا هبوطا . فقال الحسن : لئن قلت ذاك إن خير الامور أوساطها . وجاء فى الحديث « خالطوا الناس وزايلوهم » وقال عبد الله بن مسعود فى خطبته : وخير الامور أوساطها ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها . وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : كن فى الدنيا وسطا وامش جانبا . وكانوا يقولون : إكره الغلو كما تكره التقصير . وكان رسول الله ﷺ يقول لاصحابه « قولوا بقولكم ولا يستجوذن عليكم الشيطان » وكان يقول « وهل يكب الناسَ على مناخرهم فى نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم ؟ »

﴿ باب من الخطب القصار ﴾

(من خطب السلف ومواعظ النساك وتأديب من تأديب العلماء)

قال رجل لابى هريرة النحوى : أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه . قال: كفى بترك العلم إضاعة . وسمع الاحنفُ رجلا يقول : التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر . فقال الاحنف : الكبير أكبر الناس عقلا ولكنه أشغل قلبا . وقال أبو الدرداء : مالى أرى علماءكم يذهبون ، وجهالكم لا يتعلمون ؟

وقال رسول الله ﷺ « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »

ولذلك قال عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه حين دَلّى زيد بن ثابت فى البئر : من سره أن يرى كيف ذهاب العلم فلينظر ، فهكذا ذهابه

وقال بعض الشعراء لبعض العلماء :

أبَعُدْتَ مِنْ يَوْمِكَ الفِرَارَ فَمَا ... جاوَزْتَ حَيْثُ انْتَهَى بِكَ القَدَرُ

لَوْ كانَ يُنْجِي منَ الرَّدَى حَذَرٌ ... نَجّاكَ مِمّا أصابَكَ الحَذَرُ

يَرْحَمُكَ اللهُ منْ أخي ثِقَةٍ ... لَمْ يَكُ في صَفْوِ ودِّهِ كَدَرُ

فَهٰكَذَا يَفْسُدُ الزَّمَانُ وَيَفْـ ـنَى الْعِلْمُ مِنْهُ وَيَدْرُسُ الأَثَرُ

وقال قتادة : لو كان أحدٌ مكتفيا من العلم لاكتفى نبى الله موسى عليه السلام إذ قال للعبد الصالح « هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا؟ »

أبو العباس التميمى قال: قال طاوس : الكلمة الصالحة صدقة

وعن عبد الله بن ثمامة بن انس عن أبيه عن النبى ﷺ أنه قال « فضل لسانك تعبر به عن أخيك الذى لا لسان له صدقة »

وقال الخليل : تَكَثَّر من العلم لتعرف ، وتقلل منه لتحفظ . وقال الفضيل : نعمت الهديةُ الكلمةُ من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها الى أخيه . وكان يقال : اجعل ما فى الكتب بيت مال ، وما فى قلبك للنفقة . وكان يقال : يكتب الرجل أحسن ما سمع ، ويحفظ أحسن ما كتب . وقال أعرابى : حرف في قلبك خير من عشرة فى طومارك . وقال عمر بن عبد العزيز : ما قرن شىء بشيء أفضل من علم الى حلم ، ومن عفو الى قدرة . وكان ميمون بن سياه اذا جلس الى قوم قال: إنا قوم منقطع بنا فحدثونا أحاديث نتجمل بها . وفخر سليم مولى زياد بزيادعند معاوية فقال معاوية : أسكت فوالله ما أدرك صاحبك شيئا بسيفه الا وقد أدركت أكثر منه بلسانى . وضرب الحجاج أعناق أسرى فلما قدموا اليه رجلا ليضرب عنقه قال : والله لئن كنا أسأنا فى الذنب فما أحسنت فى العفو . فقال الحجاج : أفّ لهذه الجيف ، أما كان فيها أحدٌ يحسن مثل هذا ؟ وأمسك عن القتل

وقال بشير الرحال: انى لاجد فى قلبى حراً لا يذهبه الا بردُ العدل أو حر السنان.

وقدموا رجلا من الخوارج الى عبد الملك لتضرب عنقه ـ ودخل على عبد الملك ابن صغيرٌ له قد ضربه المعلم وهو يبكى ـ فهمَّ عبد الملك بالمعلم فقال : دعه يبكى فانه أفتح لجرمه، وأصح لبصره ، وأذهب لصوته . فقال له عبد الملك : أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا ؟ قال : ما ينبغى للمسلم أن يشغله عن قول الحق شيء . فأمر بتخلية سبيله . وقال ابرهيم بن أدهم : أعربنا فى كلامنا فما نلحن حرفا ، ولحنا في أعمالنا فما نعرب حرفا . وأنشد :

نُرَقِّعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا فَلَا دِينُنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرَقِّعُ

وقال زياد على المنبر : ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يقطع بها ذنب عنزه صور

لو بلغت إمامه سفك بها دمه : وعزل عمرُ زياداً عن كتابة أبي موسى في بعض قدماته فقال له زياد : أعن عجز أم عن خيانة ؟ قال : لا عن واحدة منهما ، ولكن أكره أن أحمل على العامة فضل عقلك . و بلغ الحجاج موت أسماء بن خارجة فقال : هل سمعتم بالذى عاش ما شاء ومات حين شاء ؟

وكان يقال : كدر الجماعة خير من صفو الفرقة . قال أبو الحسن : مر عمر بن ذر بعبد الله بن عياش المنتوف وقد كان سفه عليه ثم أعرض عنه فتعلق بثو به فقال : يا هناه ، انا لم نجد لك اذا عصيت الله فينا خيرا من أن نطيع الله فيك .

وهذا كلام أخذه عمر بن ذر عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حين قال عمر : انى والله لا أدع حقا لله لشكاية تظهر ، ولا لغضب يحتمل ، ولا لمحاباة بشر ، وإنك والله ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه . وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى سعد بن أبي وقاص : ياسعد سعد بنى وهيب ، ان الله اذا احب عبداً حببه الى خلقه ، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلم أن مالك عند الله مثل الذى لله عندك .

ومات لعمر بن ذرّ ابنٌ فقال : أى بنى ، شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك .

وقال رجل من مجاشع : كان الحسن يخطب فى دَمٍ فينا فأجابه رجل فقال : وقد تركت ذلك لله ولوجوهكم . فقال الحسن : لا تقل هكذا ، بل قل : لله ثم لوجوهكم ، وآجرك الله

ومر رجل بأبى بكر رضى الله تعالى عنه ومعه ثوب فقال : أتبيع الثوب ؟ فقال : لا ، عافاك الله . فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : لقد علمتم لو كنتم تعلمون ، قل : لا ، وعافاك الله .

وسأل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا عن شيء فقال : الله أعلم . فقال عمر : لقد شقينا إن كنا لا نعلم أن الله أعلم ، إذا سئل أحدكم عن شيء لا يعلمه فليقل : لا علم لى . وكان أبو الدرداء يقول : أبغض الناس إلىّ إن أظلمه من لا يستعين علىّ باحد الا بالله .

وذكر ابن ذر الدنيا فقال : كأنكم انما زادكم فى حرصكم عليها ذم الله عز وجل لها . ونظر أعرابى الى مال له كثير من الماشية وغيرها فقال : يُنعة ، ولكل يُنعَة استحشاف . فباع ما هنالك من ماله ثم لزم ثغرا من ثغور المسلمين حتى مات فيه .

وتمنى قوم عند يزيد الرقاشي فقال : أتمنى كما تمنيتم ؟ قالوا : نتمنه . قال : ليتنا لم نخلق ،

وليتنا اذ خلقنا لم نعص ، وليتنا اذ عصينا لم نمت ، وليتنا اذ متنا لم نُبعث ، وليتنا اذ بعثنا لم نحاسب ، وليتنا اذ حوسبنا لم نعذب ، وليتنا اذ عذبنا لم نخلد .

وقال الحجاج : ليت الله اذ خلقنا الآخرة كفانا أمر الدنيا ؟ فرفع عنا الهمّ بالمأكل والمشرب والملبس والمنكح، أوليته اذ وقعنا فى هذه الدار كفانا أمر الآخرة فرفع عنا الاهتمام بما ينجى من عذابه . فبلغ كلامهما عبد الله بن حسن بن حسن، أو على بن الحسين فقال : ما علما شيئا فى التمنى ، ما اختار الله فهو خير . قال أبو الدرداء : من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى الا فيها ، ولا ينال ما عنده الا بتركها . قال شريح : الحدة كناية عن الجهل . وقال أبو عبيدة : العارضة كناية عن البذاء واذا قالوا : فلان مقتصد ، فتلك كناية عن البخل . واذا قالوا للعامل مستقص ، فهو كناية عن الجور . وقال حبيب بن أوس الشاعر أبو تمام الطائى :

كذبتُم ليس يُزْهَى مَن لهُ حَسَبٌ ... ومَن لهُ نَسَبٌ عمَّن لهُ أدبُ

انّى لَذُو عَجَبٍ منكُم أُردِّدُهُ ... فيكم وفى عَجَبى من زهوِكم عَجَبُ

لَجاجةٌ بىَ فيكم ليسَ يُشبِهُها ... الاّ لجاجتكُم فى أنّكمْ عربُ

وقيل لاعرابية مات ابنها : ما أحسن عزاءك عن ابنك ؟ قالت : ان مصيبته آمنتنى من المصائب بعده . وقال سعيد بن عثمان بن عفان لطويس المغنى : أينا أسن ، أنا أو أنت ياطويس ؟ فقال : بأبى أنت وأمى، لقد شهدت زفاف أمك المباركة الى أبيك الطيب . فانظر الى حذقه والى معرفته بمخارج الكلام كيف لم يقل : بزفاف أمك الطيبة الى أبيك المبارك ؟ وهكذا كان وجه الكلام فقلب المعنى .

وقال رجل من أهل الشام . كنت فى حلقة أبى مسهر فى مسجد دمشق ، فذكرنا الكلام وبراعته ، والصمت ونباله ، قال : كلا ان النجم ليس كالقمر ، انك تصف الصمت بالكلام، ولا تصف الكلام بالصمت . وقال الهيثم بن صالح لابنه وكان خطيبا : يابنى ، اذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب ، واذا أكثرت من الكلام أقللت من الصواب . قال : يا أبة ،فان أنا أكثرت وأكثرت؟ يعنى كلاما وصوابا ، قال : يابنى ، ما رأيت موعوظا أحق بان يكون واعظا منك .

وقال ابن عباس : لولا الوسواس ما باليت أن لا أكلم الناس .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : ما تسبقوا من الدنيا تجدوه فى

الآخرة . وقال رجل للحسن : إنى أكره الموت . قال :ذلك أنك أخرت مالك ، ولو قدمته لسرك أن تلحق به . وقال عامر بن الظرب العدوانيّ :الرأى نائم والهوى يقظان ، فمن هنا يغلب الهوى الرأى . وقال : مكتوب فى الحكمة : أشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكر لك . وقال أبو الدرداء : أيها الناس ، لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا، أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا .

وقال عبد الملك على المنبر : ألا تنصفوننا يامعشر الرعية ؟ تريدون منا سيرة أبى بكر وعمر،ولم تسيروا فى أنفسكم ولا فينا سيرة رعية أبى بكر وعمر ؟ نسأل الله أن يعين كلا على كل . وقال رجل من العرب : أربع لا يشبعن من أربع:أنثى من ذكر، وعين من نظر ، وأرض من مطر ، وأذن من خبر

وقال موسى عليه السلام لاهله « امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ » فقال بعض المعترضين : فقد قال « أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ » قال أبو عقيل : لم يعرف موقع النار من أبناء السبيل، ومن الجائع المقرور

وقال لبيد بن ربيعة :

وَمَقَامٍ ضَيِّقٍ فَرَّجْتُهُ ... بِبَيَانٍ وَلِسَانٍ وَجَدَلْ

لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ أَوْ فَيَّالُهُ ... زَلَّ عَنْ مِثْلِ مَقَامِي وَزَحَلْ

وَلَدَى النُّعْمَانِ مِنِّى مَوطِنٌ ... بَيْنَ فَائُورِ أُفَاقٍ فَالدَّحَلْ

إِذْ دَعَتْنِي عَامِرٌ أَنْصُرُهَا ... فَالْتَقَى الأَلْسُنَ كَالنَّبْلِ الدَّوَلْ

فَرَمَيْتُ الْقَوْمَ رِشْقاً صَائِباً ... لَيْسَ بِالْعُصْلِ وَلاَ بِالْمُنْثَعِلْ

وَانْتَضَلْنَا وَابْنُ سَلْمَى قَاعِدٌ ... كَعَتِيقِ الطَّيْرِ يُغْضِي وَيُجِلْ

وَقَبِيلٌ مِنْ أُكَيْزٍ شَاهِدٌ ... رَهْطَ مَرْجُومٍ وَرَهْطَ ابْنِ الْمُعَلْ

وقال :

وَأَبْيَضُ يَجْتَابُ الْخُرُوقَ عَلَى الْوَجَى ... خَطِيباً إِذَا الْتَفَّ الْمَجَامِعُ فَاصِلاَ

وقال لبيد :

لوْ كانَ حيٌّ في الحياةِ مُخَلَّداً ... فِي الدَّهْرِ أدْرَكَهُ أبُو يكْسُومِ
بِكَتَائِبٍ خُرْسٍ تَعَوَّدَ كَبْشُهَا ... نَطْحَ الْكِباشِ شَبِيهَةٍ بِنُجُومِ
وَلَقَدْ بَلَوْتُكَ وَابْتَلَيْتُ خَلِيقَتِى ... ولَقَدْ كَفَاكَ مُعَلِّمِى تَعْلِيمِى

وقد قال أيضا لبيد :

ذَهبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أكْنَافِهِمْ ... وبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الأجْرَبِ
يَتأكَّلُونَ مَغَالَةً وخِيانَةً ... ويُعابُ قَائِلُهُمْ وَإنْ لمْ يَشْغَبِ (١)

وقال زيدُ بنُ جُندب فى ذكر الشغب :

ما كانَ أغْنَى رِجالاً ضَلَّ سَعْيُهُمُ ... عنِ الجِدَالِ وأغْنَاهُمْ عَنِ الشَّغَبِ!

وقال آخر فى الشغب :

إنِّى إذَا عَاقَبْتَ ذُو عِقَاب ... وإنْ تُشَاغِبْنِي فَذُو شِغَابِ

وقال أحمر بن العمرَّد :

وكَمْ حَلَّهَا مِنْ تَيِّحَانٍ سَمَيْذَعٍ ... مُصافِي النَّدَى سَاقٍ بِسَهْمَاءَ مُطْعِمِ (٢)
طَوِى البَطنَ مِتْلافٍ إذا هَبَّتِ الصَّبا ... على الأمْرِ غَوَّاصٍ وفِي الحَيِّ شَيْظَمِ (٣)

وقال :

هلْ لاَمَنِى قَوْمٌ لِمَوْقِفِ سَائِلٍ ... أوْ فى مخاصمةِ اللَّجُوجِ الاصْيَدِ

وقال فى التطبيق :

فَلَمَّا أنْ بَدَا القَعْقَاعُ جَلَّتْ ... عَلى شَرَكٍ تُنَاقِلُهُ نِقَالاَ
تَعَاوَرْنَ الْحَدِيثَ وطَبَّقَتْهُ ... كَمَا طَبَّقْتَ بِالنَّعْلِ المِثَالا

وهذ التطبيق غير التطبيق الاول

(١) المغالة : الاغتيال . (٢) التيحان هنا الذى يتاح للامور فيمرض لقضائها. السميذع : السيد الكريم (٣) الشيظم : الشبيه بالهزبر

وقال آخر :

لو كُنْتُ ذا عِلْمٍ عَلِمْتُ وكيفَ لى ... بِالْعِلْمِ بَعْدَ تَدَبُّرِ الأَمْرِ

وقال المعترض على أصحاب الخطابة والبلاغة:

قال لقمان لابنه : يا بنى ، إنى قد ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت .

وقال الشاعر :

ما إنْ نَدِمْتُ عَلى سُكُوتِى مَرَّةً ... ولَقَدْ نَدِمْتُ عَلى الكلام مِرَارا

وقال آخر :

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِرَامٍ ... وَامْضِ عَنْهُ بِسَلَامِ

مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ ... لَكَ مِنْ دَاءِ الكَلَامِ

إِنَّمَا المُسْلِمُ مَنْ ... أَلْجَمَ فَاهُ بِلِجَامِ

وقال آخر فى التحذير والاحتراس :

اخْفِضِ الصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بِلَيْلٍ ... وانْفِثْ بالنَّهَارِ قَبْلَ الكَلامِ

وقال فى مثل ذلك:

لا أَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فى ضَمَائِرِهِمْ ... ما فِي ضَمِيرِى لَهُمْ مِنِّى سَيَكْفِينِي

وقال حمزةُ بنُ بَيضٍ (١)

لَمْ يَكُن عَنْ جِنايةٍ لَحَقَتْنِي ... لاَ يَسَارِى وَلاَ يَمِينِى جَنَتْنِي

بَلْ جَنَاهَا أَخٌ عَلَيَّ كَرِيمٌ ... وعلى أَهْلِهَا بَرَاقِشُ تَجْنِي

لان هذه الكلبة ـ وهى تراقش ـ انما نبحت غزيا وقد مروا من ورائهم، وقد رجعوا خائبين مخفقين ، فلما نبحتهم استدلوا بنباحها على أهلها فاستباحوهم ، ولو

(١) حمزة بن بيض، شاعر إسلامى كوفى من شعراء الدولة الاموية ، وكان خليعاً ماجناً يعد من فحول طبقته . وكان منقطعاً الى المهلب بن أبى صفرة ثم الى أبان ابن الوليد و بلال بن أبى بردة، وأفاد مالاعظيما ، ولم يدرك الدولة العباسية .

سكتت كانوا قد سلموا . فضرب ابن بيض بها المثل

وقال الاخطل :

تَنِقٌ بِلاَ شيء شُيوخُ مُحارِبٍ ... ومَا خِلْتُهَا كانَتْ تَرِيشُ ولاَ تَبْرِى

ضَفَادِعُ في ظَلْماءِ لَيْلٍ تَجاوَبَتْ ... فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُها حَيَّةَ النَّهْرِ

النقيق: صياح الضفادع .

وقالوا : الصمت حكم وقليل فاعله . وقالوا: استكثره من الهيبة صامت. وقيل لرجل من كلب طويل الصمت : بحق ماسمتكم العلماء خُرس العرب . فقال : أسكت فأسلم ، وأسمع فاعلم . وكانوا يقولون : لا تعدلوا بالسلامة شيئاً . ولا تسمع الناس يقولون: جُلد فلان حين صمت ، ولا قُتل حين سكت . وتسمعهم يقولون : جلد فلان حين قال كذا وكذا ، وقُتل حين قال كذا وكذا . وفى الحديث المأثور : رحم الله من سكت فسلم ، أو قال خيراً فغنم . والسلامة فوق الغنيمة ، لأن السلامة أصل والغنيمة فرع .

وقال النبى ﷺ « إن الله يبغض البليغ الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة بلسانها »

وقيل : إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب . وقال صاحب البلاغة والخطابة وأهل البيان وحب التبيين : إنما عاب النبى ﷺ المتشادقين والثرثارين ، والذى يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة بلسانها ، والاعرابى المتشادق، وهو الذى يصنع بفكيه وشدقيه مالا يستجيزه أهل الادب من خطباء أهل المدر ، فمن تكلف ذلك منهم فهو أعيب، والذم له ألزم . وقد كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة ، ولم يكن الناس جميعاً يتمثلون بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع ، ومدار العلم على الشاهد والمثل

وإنما حثوا على الصمت لان العامة الى معرفة خطأ القول أسرع منهم الى معرفة خطأ الصمت . ومعنى الصامت فى صمته أخفى من معنى القائل فى قوله ، وإلا فالسكوت عن قول الحق ، فى معنى النطق بالباطل

ولعمرى ان الناس الى الكلام لأسرع، لان فى أصل التركيب ان الحاجة الى القول والعمل اكثر من الحاجة الى ترك العمل والسكوت عن جميع القول . وليس الصمت كله أفضل من الكلام كله ، ولا الكلام كله أفضل من السكوت كله ، بل

قد علمنا ان عامة الكلام أفضل من عامة السكوت. وقد قال الله عز وجل « سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ » فجعل سمعه وكذبه سواء

وقال الشاعر :

بَنِي عَدَيٍّ أَلَا يُنْهَى سَفِيهُكُمُ ... إِنَّ السَّفِيهَ إِذَا لَمْ يُنْهَ مَأْمُورُ

وقال الآخر :

فَإِنْ أَنَا لَمْ آمُرْ وَلَمْ أَنْهَ عَنْكُمَا ... فَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَلَجَّ وَيَسْتَشْرِي

وكيف يكون الصمت أنفع والايثار له أفضل، ونفعه لا يكاد يجاوز رأس صاحبه، ونفع الكلام يعم ويخص ؟ والرواة لم يرووا سكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين. وبالكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصمت . ومواضع الصمت المحمودة قليلة، ومواضع الكلام المحمودة كثيرة . وطول الصمت يفسد البيان . وقال بكر بن عبد الله المزنى: طول الصمت حُبسة . كما قال عمر : ترك الحركة عقلة . واذا ترك الانسان القول ماتت خواطره وتبلدت نفسه، وفسد حسه. وكانوا يُرَوُّون صبيانهم الارجاز، ويعلمونهم المناقلات ، ويأمرونهم برفع الصوت ، وتحقيق الاعراب . لان ذلك يفتق اللهات ، ويفتح الجرم . واللسان اذا اكثرت تحريكه رق ولان ، واذا أقللت تقليبه وأطلت إسكانه جسأ وغلظ . وقال عُبابة الجُعفى: لولا الدربة وسوء العادة لامرت فتياننا أن يمارى بعضهم بعضاً . وأية جارحة منعتها الحركة ولم تمرنها على الاعمال أصابها من التعقد على حسب ذلك المنع .

فلم قال رسول الله ﷺ للنابغة الجعدى « لا يفضُضِ الله فاك ؟» ولم قال لكعب بن مالك « ما نسى الله لك مقالك ذلك؟» ولم قال لهيذان بن شيخ « رُبَّ خطيب من عبس ؟» ولم قال لحسان لما هيج الغطاريف على بنى عبد مناف « والله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام فى غبش الظلام ؟ »

وما نشك أنه عليه وعلى آله السلام قد نهى عن المِراء ، وعن التزيد والتكلف، وعن كل ماضارع الرياء أو السمعة والنفج والبذخ ، وعن التهاتر والتشاغب ، وعن المغالبة والمماتنة . فاما نفس البيان فكيف ينهى عنه وأبين الكلام كلام الله، وهو الذى مدح التبيين وأهل التفصيل ؟ وفى هذا كفاية ان شاء الله

قال دغفل بن حنظلة : ان للعلم أربعا : آفة ، ونكدا ، واضاعة ، واستجاعة . فآفته النسيان ، ونكده الكذب ، واضاعته وضعه فى غير موضعه ، واستجاعته

أنك لا تشبع منه . وإنما عاب الاستجاعة لسوء تدبير أكثر العلماء، ولخرق سياسة أكثر الرواة ، لان الرواة اذا شغلوا عقولهم بالازدياد والجمع عن تحفظ ما قد حصلوه وتدبر ماقد دونوه، كان ذلك الازدياد داعيا الى النقصان، وذلك الربح سببا للخسران

وقد جاء فى الحديث « منهومان لا يشبعان : منهوم فى العلم، ومنهوم فى المال »

وقالوا : عَلِّم علمكَ وتعلم علم غيرك ، فاذا أنت قد علمت ما جهلت وحفظت ما علمت . وقال الخليل بن أحمد (١) : اجعل تعليمك دراسة لعلمك، واجعل مناظرة المتعلم تنبيها لك على ما ليس عندك . وقال بعضهم ، وأظنه بكر بن عبد الله المزنى: لا تكدوا هذه القلوب ولا تُهملوها ، فخير الكلام ما كان عقب الجمام ، ومن أكره بصره عشى ، وعاودوا الفكر عند نبوات القلوب ، واشحذوها بالمذاكرة ، ولا تيأسوا من إصابة الحكمة إذا امتُحنتم ببعض الاستغلاق ، فان من أدام قرع الباب ولج .

وقال الشاعر :

إذا المَرءُ أعيَتْهُ المروءةُ نَاشِئاً فَمَطْلَبُهَا كَهْلاً عَلَيهِ شَدِيدُ

وقال الاحنف : السؤدد مع السواد . وتقول الحكماء : من لم ينطق بالحكمة قبل الاربعين لم يبلغ فيها .

وأنشد :

وَدُونَ النَّدَى في كلّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ لهَا مَصْعَدٌ حَزْنٌ وَمُنْحَدَرٌ سَهْلُ

وَوَدَّ الفتَى في كل نَيْلٍ يُنِيلُهُ إذا مَا انْقَضى لوْ أن نَائلَهُ جَزْلُ

وقال الهُذلى :

وانَّ سِيادَةَ الاقْوَامِ فاعْلَمْ لهَا صُعَدَاءُ مطلبُهَا طَويلُ

أترْجُو أن تَسُودَ ولنْ تَعَنَّى وكيفَ يَسُودُ ذُو الدَّعةِ البَخيلُ

---

(١) الخليل بن احمد بن عمرو الفراهيدى الازدى يكنى أبا عبد الرحمن : كان اماماً فى اللغة والنحو ، وهو مخترع علم العروض، وأول من صنف فى علم اللغة، وضع كتابه «العين» ولم يتمه ، وكان عفيفاً متزهداً صالحاً، وله كتب كثيرة وشعره لا بأس به ، ولد بالبصرة سنة ١٠٠ هـ ٧١٨ م وتوفى سنة ١٦٠ هـ ٧٧٦ م

صالح بن سليمان عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : ما رأيت عقول الناس إلا قريبا بعضها من بعض ، الا ما كان من الحجاج وإياس ابن معاوية، فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس . أبوالحسن قال : سمعت أبا الضعرى الحارثى(؟)يقول : كان الحجاج أحمق ، بنى مدينة واسط فى بادية النبط ثم قال لهم : لا تدخلوها . فلمامات دلفوا اليها من قريب . سمعت قَحطبةَ الجُشمى يقول : كان أهل البصرة لا يشكون أنه لم يكن بالبصرة رجل أعقل من عبيد الله ابن الحسن وعبيد الله بن سالم . وقال معاوية لعمرو بن العاص : ان أهل العراق قد قرنوا بك رجلا طويل اللسان قصير الرأى ، فآجد الحز وطبق المفصل ، واياك أن تلقاه برأيك كله .

﴿ باب ما قالوا فيه من الحديث الحسن الموجز المحذوف القليل الفضول ﴾

قال الشاعر :

لها بَشَرٌ مثلُ الحريرِ وَمنطِقٌ رَخيمُ الحواشِي لا هُرَاءٌ ولا نَزْرُ

وقال ابن أحمر :

تَضَعُ الحديثَ على مَوَاضِعِهِ وكلامها من بَعدِهِ نَزْر

وقال الآخر :

حَدِيثٌ كَطَعْمِ الشَّهْدِ حُلْوٌ صُدُورُهُ وأعْجَازُه الخُطبَانُ دُونَ المحارِمِ

وقال بشار :

أُنسٌ غَرَائرُ ما همَمْنَ بِرِيبَةٍ كظِبَاءِ مكّةَ صَيدُهُنَّ حَرَامُ

يُحسَبنَ مِن أُنس الحديثِ زَوَانياً ويَصُدُّهنَّ عنِ الخَنَا الاسلامُ

وقال بشار :

فَنَعِمْنا والعَيْنُ حَيٌّ كَمِيْتٍ بحديثٍ كَنشوَةِ الخندَرِيسِ(١)

وقال بشار :

(١) العين : الرقيب

وكأنَّ رَفْضَ حَدِيثِهَا قِطَعُ الرِّيَاضِ كُسِينَ زهْرَا (١)
وتَخالُ مَا جمعَتْ عَلَيهِ ثِيابَهَا ذَهَباً وَعِطْرَا
وكأنَّ تحتَ لِسَانِها هَارُوتَ يَنْفِثُ فيهِ سِحْرَا

وقال بشار العقيلي :

وفَتاةٍ صُبَّ الجمالُ عَلَيْهَا بحَدِيثٍ كَلَذَّةِ النَّشْوَانِ

وقال بشار :

وَبِكْرٍ كَنَوَّارِ الرِّيَاضِ حَدِيثُهَا تَروقُ بِوَجْهٍ وَاضِحٍ وَقَوَامِ

وقال بشار :

وحَدِيثٍ كأَنَّهُ قِطَعُ الرَّوْ ضِ وَفيهِ الصَّفْرَاءُ والحمْرَاء

وقال الاخطل :

فأَسْرَيْنَ خمساً ثُمَّ أَصْبَحْنَ غُدْوَةً يُخْبِرْنَ أَخْبَاراً أَلَذَّ منَ الخمرِ

أخبرنا عامر بن صالح أن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز كتب الى امرأته وعنده اخوان له :

إِنَّ عِنْدِي أَبْقَاكِ رَبُّكِ ضَيْفاً وَاجِباً حَقُّهُمْ كُهُولاً وَمُرْدَا
طَرَقُوا جَارَكِ الذِي كَانَ قِدْماً لاَ يَرَى مِنْ كَرَامَةِ الضَّيْفِ بُدَّا
فَلَدَيْهِ أَضْيَافُهُ قَدْ قَرَاهُمْ وهُمُ يَشْتَهُونَ تَمْراً وَزُبْدَا
فَلِهَذَا جَرَى الْحَدِيثُ ولَكِنْ قَدْ جَعَلْنَا بَعْضَ المَزَاحَةِ جِدَّا

(١) وكأن « رفض » حديثها : الرفض القليل . والرواية المتداولة « رجع » ولعل هذه رواية أخرى. ولست أرى داعياً يدعو شاعراً كبشار الى أن يغير ألفاظاً من شعره وهو المشهور بانتقاء الكلمات . غير أنني أرى أن التغيير من الجاحظ نفسه وقد خبرته فوجدته قليل التحرى للرواية، أو قليل العناية برواية الشعر على وجهه وهذا شأن الكثير من بلغاء الكتاب ، ولاسيما من غزرت مادته منهم

وأنشد الهذلى :

كُرُّوا الأحاديثَ عَنْ لَيْلَى إذَا بَعُدَتْ ... إنَّ الأحاديثَ عَنْ لَيلَى لَتُلْهِينى

وقال الهذلى فى حلاوة الحديث :

وإنَّ حَدِيثاً مِنْكِ لَوْ تَبْذُلِينَهُ ... جَنَى النَّحْلِ أوْ أَلْبَانُ عُوذٍ مَطَافِلِ

مَطَافِيلُ أبكارٌ حَدِيثُ نِتَاجُها ... تُشَابُ بِماءٍ مِثْلِ مَاءِ المَفَاصِل

العوذ : جمع عائذ وهى الناقة إذا وضعت . فاذامشى ولدها فهى مرشح . فاذا تبعها فهى متليـة لانه يتلوها . وهى فى هـذا كله مُطفل . فان كان أول ولد لهـا ولدته فهى بكر

ماء المفاصل فيـه قولان : أحدهمـا أن المفاصل ما بين الجبلين واحد مفصل ، وانمـا أراد صفاء المـاء لانه ينحدر عن الجبال ولا يمر بطين ولا تراب . ويقال انها مفاصل البعير وذكروا أن فيها ماء له صفاء وعذوبة

وفى الكلام الموزون يقول عبد الله بن مُعاية بن عبد الله بن جعفر :

فالْزَمِ الصَّمْتَ إنْ فِى الصَّمْتِ حُكْماً ... وإذَا أنْتَ قُلْتَ قَوْلاً فَزِنْهُ

وقال أبو ذؤيب :

وسِرْبٍ يُطَلَّى بالْعَبِير كَأنَّهُ ... دِماءُ ظِباءٍ بِالنُّحُورِ ذَبِيحِ

بَذَلتَ لَهُنَّ القَوْلَ إنَّكَ وَاجِدٌ ... لَمَاشِئْتَ مِنْ حُلْوِ الكَلَامِ فَصِيحِ

السرب : الجماعة من النساء والبقر والطير والظباء ، بكسر السين ، ويقال : فلان آمن السرب بفتح السين ، وخلى السرب ، وواسع السرب ، أى المسالك والمذاهب ، وانمـا هو مثل مضروب للصدر والقلب ، وعن الاصمعى فلان واسع السرب ، مكسور ، أى واسع الصدر ، بطىء التأنيب

وأنشد للحكم بن ريحان من بنى عمرو بن كلاب :

يا أجْدَلَ النَّاسِ إنْ جَادَلْتَهُ جَدِلاً ... وأكْثَرَ النَّاسِ إنْ عَاتَبْتَهُ عِلِلاَ

كأنَّما عَسَلٌ رُجْعَانُ مَنْطِقِهَا ... إنْ كَانَ رَجْعُ الـكَلَامِ يُشْبِهُ العَسَلَا

وقال القَطَامِيُّ (١) :

وفى الخُدُور غَمَامَاتٌ بَرَقْنَ لَنَا حتَّى تَصَيَّدْننا من كلّ مُصْطَادِ

فَهُنَّ يَنبِذْنَ مِن قولٍ يُصِبْنَ بِهِ مَوَاقِعَ المَاءِ مِنْ ذِى الغُلَّةِ الصَّادِى

ينبذن : يلقين . الغلة والغليل : العطش الشديد . والصادى : العطشان أيضا ، والاسم الصدى

وقال الاخطل :

شُمْسٌ إِذَا خَطِلَ الحَدِيثُ أَوَانِسٌ يَرْقُبْنَ كلَّ مُرَقَّبٍ تِنبالُ

أُنفٌ كأنَّ حَدِيثَهُنَّ تَنَادُمٌ بالكأسِ كلُّ عقيلةٍ مِكسالُ

التنبال : القصير ، والمجذر مثله . والشُّمس : النوافر. الأُنف جمع الانفة وهى المنكرة للشىء غير راضية عنه . العقيلة : المصونة فى أهلها، وعقيلة كل شىء خيرته . والمكسال : ذات الكسل عن الحركة .

وقال أبو العُمَيْثَلِ :

لَقِيتُ ابْنَةَ السَّهْمِىِّ زَيْنَبَ مِنْ غُفْرٍ ونَحْنُ حَرَامٌ مُسْىَ عاشِرَةِ العَشْرِ

وَإِنِّى وإِيَّاها لَحَتْمٌ مَبِيتُنا جمِيعاً وَمسرَانَا مُغِذٍ وذو فَترِ

فَكَلَّمَتُها ثِنْتَينِ كَالثَّلْجِ مِنْهُمَا عَلى اللَّوْحِ وَالأُخْرَى أَحَرُّ مِنَ الجَمْرِ

تقول: ما يلقانا فلان الا عن غُفر، أى بعد مدة. مسى : أى وقت المساء. ويقال: أغذ السير ، اذا جد فيه وأسرع . واللوح : بالفتح ، العطش . يقال: لاح الرجل يلوح لوحا ، والتاح يلتاح التياحا ، إذا عطش ، واللوح : أيضاً الذى يكتب فيه ، واللوح : بالضم الهواء. يقال: لا أفعل ذلك لو نزوت فى اللوح أو حتى تنزو فى اللوح. وأنشد :

---

(١) القطامى: هو عمير بن شييم شاعر اسلامى فحل مقل مجيد . لقب القطامى لقوله:

يصكهن جانباً فجانباً صك القطامى القطا القواربا

وقد يلقب (صريع الغوانى) لقوله:

صريع غوان راقهن ورقنه لدن شاب حتى شاب سود الذوائب

كان نصرانياً وقيل إنه أسلم . توفي سنة ١٠١ هـ ٧١٩ م

وإنا لنجرى بيننا حين نلتقى حديثاً له وشى كوشى المطارف
حديث كطعم القطر في المحل يشتفى به من جوى فى داخل القلب لاطف

وقال الشماخ بن ضرار الغطفانى :

يقر بعينى أن أنبأ أنها وإن لم أنلها أيم لم تزوج
وكنت إذا لاقيتها كان سرنا وما بيننا مثل الشواء الملهوج

يريد أنهما من خوف الرقباء كانا على عجلة . والملهوج : المعجل الذى لم ينتظر به النضج .

وقال جران العود :

فنلنا سقاطاً من حديث كأنه جنى النحل أو أبكار كرم يقطف
حديثاً لو ان البقل يولى بمثله زها البقل واخضر العضاه المصيف

وقال الكميت :

وحديثهن اذا التقين تهانف البيض الغرائر
فإذا ضحكن عن العذاب لنا المسفات الثواغر (٢)
كان التهلل بالتبسم لاة الفهاهة بالقراقر (٣)

وقال الآخر :

ولما تلاقينا جرى من عيوننا دموع كفقنا غربها بالأصابع
ونلنا سقاطاً من حديث كأنه جنى النحل ممزوج بماء الوقائع (٤)

وقال الاشعث بن سمى :

---

(١) النهانف: التضاحك بدل (٢) عن العذاب : عن الثنايا العذاب ، المسفات الثواغر: الذوات الثغور اللطاف. (٣) القراقر: الضحك المسموع (٤) الوقائع هنا بمعنى المنابع العذبة.

هَلْ تَعْرِفُ المَبْدَا إِلَى السَّنَام نَاطَ بِهِ سَوَاحِرُ الكَلام

كَلامَهُنَّ بُرْءُ ذِي السَّقَامِ

وقال الراجز، ووصف عيون الظباء بالسحر، وذكر قوساً صفراء فقال :

صَفرَاءُ فَرْعٌ خَطَمُوهَا بِوَتَرْ لأْمٍ مُمَرٍّ مِثلِ حُلْقُومِ النُّغَرْ (١)

حَدَّتْ ظُبَاتِ أَسْهُمٍ مِثلِ الشَّرَرْ فَصَرَعَتْهُنَّ بِأَكْنَافِ الحَفَرْ

حُورُ العُيُونِ بَابِلِيَّاتِ النَّظَرْ يَحْسَبُهَا النَّاظِرُ مِن وَحْشِ البَشَرْ

ويروى « البقر »

﴿ باب آخر من الاسجاع فى الكلام ﴾

قال عمر بن ذر : الله المستعان على ألسنة تصف، وقلوب تعرف، وأعمال تخلف.

ولما مدح عُتيبةُ بنُ مرداس عبدَ الله بنَ عباس قال : لأعطى مَن يَعصى الرحمن، ويطيع الشيطان، ويقول البهتان .

وفى الحديث المأثور « يقول العبد : مالى مالى، وانما لك من مالك ما أكلت فافنيت، أو أعطيتَ فأمضيت، أو لبست فأبليت »

وقال النَّمِرُ بنُ تَوْلَبٍ :

أَعَاذِلُ إِن يُصبِح صَدَاى بِقَفرَةٍ بَعِيداً فَأَنَّى صَاحِبِي وَقَرِيبِي

تَرَىْ أَنَّ مَا أَبقَيتُ لَم أَكُ رَبَّهُ وَأَنَّ الذِى أَنفَقتُ كَانَ نَصِيبِي

الصدى : طائر يخرج من قبر الميت فينعى اليه ضعف وليه وعجزه، وهذا كانت العرب تقوله فى الجاهلية، وهو هاهنا مستعار، أى إن أصبحت أنا

ووصف أعرابى رجلا فقال : صغير القدر، قصيرُ الشِّبر، ضيق الصدر، لئيم النجر، عظيم الكبر، كثير الفخر .

---

(١) صفراء فرع : قوس غير مشقوقه . خطموها : ربطوها لام ممر : يعنى أن الوتر قوى الفتل وهو شبيه بحلقوم النغر الذى هو البلبل

الشبر : القامة . والنجر : الطباع .

ووصف بعض الخطباء رجلا فقال : ما رأيت أضرب لمثل ، ولا أركب لجمل ، ولا أصعد فى قُلَل منه . وسأل بعض الامراء رسولا قدم من جهة السند : كيف رأيتم البلاد ؟ فقال : ماؤها وشل ، ولصها بطل ، وتمرها دقل . إن كثر الجند بها جاعوا ، وإن قلوا بها ضاعوا

وقيل لصعصعة بن معاوية : من أين أقبلت ؟ قال : من النجد العميق . قيل : فأين تريد ؟ قال : البيت العتيق . قيل : هل من مطر ؟ قال : نعم حتى عفا الاثر ، وانضر الشجر ، ودهده الحجر . واستجار عون بنُ عبد الله بن عتبة بن مسعود بمحمد بن مروان بنصيبين وتزوج بها امرأةً فقال محمد : كيف ترى نصيبين ؟ قال : كثيرة العقارب . قليلة الاقارب .

يريد بقوله : قليلة . كقول القائل : فلان قليل الحياء . ليس يريد أن هنا لك حياء وان قل . يضعون قليلا فى موضع ليس

وولى علاء الكلابى عملا خسيسا بعد أن كان على عمل جسيم : فقال : العنوق بعد النوق ؟ قال ونظر رجل من العباد الى باب بعض الملوك فقال : باب جديد ، وموت عتيد ، ونزع شديد ، وسفر بعيد . وقيل لبعض العرب : أى شيء تمنى وأى شيء أحب اليك ؟ قال : لواء منشور ، والجلوس على السرير ، والسلام عليك أيها الامير . وقيل لآخر ، وصلى ركعتين وأطال فيهما وقد كان أمر بقتله : أجزعت من الموت ؟ فقال : ان أجزع فقد أرى كفنا منشوراً ، وسيفا مشهوراً ، وقبراً محفوراً . وقال عبد الملك بن مروان لاعرابى : ما أطيب الطعام قال بكرة سنمة ، معتبطة غير ضمنه ، فى قدور رذمه ، بشفار خذمه ، فى غداة شبمه . (١) فقال عبد الملك : وأبيك لقد أطبت

والشبم : البرد

وقالوا لا تغتر بمناصحة الامير اذا غشك الوزير . وقالوا : من صادق الكتاب أغنوه ، ومن عاداهم أفقروه . وقالوا : اجعل قول الكذاب ريحا تكن مستريحا

---

(١) بكرة سنمة : ناقة فتية ذات سنام عظيم ، معتبطة غير ضمنة : نحرت لغير علة ولا زمانة ولا ضعف . القدور الرذمة : أى الممتلئة . بشفار خذمه : بسكاكين حادة قاطعة . فى غداة شبمة : فى صبيحة باردة لينة

وقيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي : لم تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافى و إقامة الوزن ؟ قال : إن كلامى لو كنت لا آمل فيه إلا سماع الشاهد لقل خلافى عليك ،ولكنى أريد الغائب والحاضر ، والراهن والغابر ، فالحفظ اليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ، وهو أحق بالتقييد و بقلة التفلت ،وما تكلمت به العرب من جيد المنثور اكثر مما تكلمت به من جيد الموزون : فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره .

قالوا : فقد قيل للذى قال : يارسول الله ، أرأيت من لاشرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، أليس مثل ذلك بطل ؟ فقال رسول الله ﷺ « أسجعٌ كسجع الجاهلية؟ »

قال عَبْدُ الصَّمَد : لو أن هذا المتكلم لم يرد الا الاقامة لهذا الوزن لما كان عليه باس ، ولكنه عسى أن يكون أراد إبطالا لحق فتشادق في كلامه .

وقال غير عبد الصمد : وجدنا الشعر من القصيد والرجز قد سمعه رسول الله ﷺ واستحسنه وأمر به شعراءه ، وعامة أصحاب رسول الله ﷺ قد قالوا شعراً قليلا كان ذلك أم كثيراً ، وسمعوا واستنشدوا ،فالسجع والمزدوج دون القصيد والرجز ، فكيف يحل ماهو اكثر ويحرم ماهو أقل ؟ وقال غيرهما : إذا لم يطل ذلك ،ولم تكن القوافى مطلوبة مجتلبة ،أو ملتمسة متكلفة ، وكان ذلك كقول الاعرابى لعامل الماء : حلبت ركابى ، وحرقت ثيابى ، وضربت صحابى ، ومنعت إبلى من الماء والكلاء؟ والركاب مايركب من الابل .

قال : أو سجع أيضاً ، فقال الاعرابى : فكيف أقول ؟

لانه لو قال : حلبت إبلى أو جمالى أو نوقى أو بعرانى أو صرمتى لكان لم يعبر عن حق معناه ، وانما حلبت ركابه ، فكيف يدع الركاب الى غير الركاب . وكذا قوله : حرقت ثيابى ، وضربت صحابى . لان الكلام اذا قل وقع وقوعاً لايجوز تغييره ، واذا طال وجدت في القوافى مايكون مجتلباً ومطلوباً مستكرهاً .

وفى الحديث المأثور ـ ويدخل على من طعن فى قوله تعالى « تبت يدا أبى لهب ». وزعم أنه شعر ، لأنه فى تقدير مستفعلن مفاعلن ـ وطعن فى قوله عليه السلام « هل أنت إلا أصبع دميت ، وفى سبيل الله ما لقيت »

فيقال له : اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم ،لوجدت فيها مثل مستفعلن فاعلن كثيراً ، وليس أحد فى الارض يجعل ذلك المقدار شعرا . ولو أن

رجلا من الباعة صاح : من يشترى باذنجان . لقد كان تكلم بكلام فى وزن مستفعلن مفعولان ، فكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصد الى الشعر ؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ فى جميع الكلام. واذا جاء المقدار الذى يعلم انه من نتاج الشعر والمعرفة بالاوزان والقصد اليها كان ذلك شعراً . وهذا قريب، والجواب فيه سهل بحمد الله . وسمعت غلاماً لصديق لى وكان قد سقى بطنه يقول لغلمان مولاه : اذهبوا بى الى الطبيب وقولوا قد اكتوى . وهذا الكلام يخرج وزنه: فاعلاتن مفاعلن، مرتين. وقد علمت أن هذا الغلام لم يخطر بباله قط أن يقول بيت شعر أبدا . ومثل هذا كثير لو تتبعته فى كلام حاشيتك وغلمانك لوجدته

وكان الذى كرّه الاسجاع بعينها، وان كانت دون الشعر فى التكلف والصنعة ، أن كهان العرب الذين كان اكثر أهل الجاهلية يتحاكمون اليهم وكانوا يدعون الكهانة وأن مع كل واحد منهم رئيا من الجن مثل « حازى جهينة » ومثل « شق » و « سطيح » و « عزى سلمة » وأشباههم كانوا يتكهنون ويحكمون بالاسجاع كقوله : والارض والسماء ، والعقاب والصقعاء ، واقعة ببقعاء ، لقد نفر المجد بنى العشراء ، للمجد والسناء. وهذا الباب كثير . ألا ترى أن « ضَمْرَةَ بنَ ضَمْرَةَ » و « هَرِم بن قُطبة » و « الاقرع بن حابس » و « نُفيل بن عبد العزى » كانوا يحكمون وينفرون بالاسجاع ؟ وكذلك « ربيعة بن حذار » فوقع النهى فى ذلك لقرب عهدهم بالجاهلية ولبقيتها فيهم وفى صدور كثير منهم . فلما زالت العلة زال التحريم

وقد كان الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فتكون فى تلك الخطب أسجاع كثيرة فلم ينهو منهم أحدا .

وكان الفضل بن عيسى الرقاشى سجاعاً فى قصصه ، وكان عمرو بن عبيد، وهشام ابن حسان ، وأبان بن أبى عياش يأتون مجلسه . قال له داود بن أبى هند : لولا انك تفسر القرآن برأيك لأتيناك في مجلسك. قال : فهل ترانى أحرم حلالا وأحل حراما ؟ وانما كان يتلو الآية التى فيها ذكر النار والجنة والحشر والموت وأشباه ذلك .

وقد كان عبدُ الصمد الفضل ، وأبو العباس القاسم بن يحيى ، وعامة قصاص البصرة ، وهم أخطب من الخطباء يجلس اليهم عامة الفقهاء . وقد كان النهى ظاهراً عن مرثية أمية بن أبى الصلت لقتلى أهل بدر كقوله :

هَلاَّ بَكَيتَ على الكِرَام بَنِي الكِرَامِ أولى المَمَادِحْ

وروى ناس شبيهاً بذلك فى هجاء الاعشى لعلقمة بن علاثة . فلما زالت العلة زال النهى

وقال أبو وائلة بن خليفة فى عبد الملك بن المهلب :

لَقَدْ صَبَرَتْ لِلدُّلِّ أَعْوَادُ مِنْبَرٍ ... تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ

بَكَى الْمِنْبَرُ الْغَرْبِيُّ إِذْ قُمْتَ فَوْقَهُ ... فَكَادَتْ مَسَامِيرُ الْحَدِيدِ تَذُوبُ

رَأَيْتُكَ لَمَّا شِبْتَ أَدْرَكَكَ الَّذِي ... يُصِيبُ سَرَاةَ الْأَزْدِ حِينَ تَشِيبُ

سَفَاهَةُ أَحْلَامٍ وَبُخْلٌ بِنَائِلٍ ... وَفِيكَ لِمَنْ عَابَ الْمُزُونَ عُيُوبُ

وخطب الوليد بن عبد الملك فقال : إن أمير المؤمنين عبدَ الملك كان يقول : إن الحجاج جلدة مابين عينى ، ألا وإنه جلدة وجهى كله . وخطب الوليد بعد وفاة الحجاج وتوليته يزيد بن أبى مسلم فقال : انما مثلى ومثل يزيد بن أبى مسلم بعد الحجاج كمن سقط منه درهم فأصاب دينارا .

شبيب بن شيبة قال: حدثنى خالد بن صفوان قال : خطبنا يزيد بن المهلب بواسط فقال : إنى قد أسمع قول الرعاع : قد جاء مسلمة ، وقد جاء العباس ، وقد جاء أهل الشام . وما أهل الشام إلا تسعة أسياف: سبعة منها معى واثنان علىّ . وأما مسلمة فجرادة صفراء . وأما العباس فنسطوس بن نسطوس ، أتاكم فى برابرة وصقالبة وجرامقة وجراجمة وأقباط وأنباط وأخلاط من الناس . انما أقبل اليكم الفلاحون والاوباش كأشلاء اللحم . والله مالقوا أقواماً قط كحدّكم وحديدكم ، وعددكم وعديدكم. أعيرونى سواعدكم ساعة من نهار تصفقون بها خراطيمهم . فانما هى غدوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا و بين القوم الفاسقين

ومدح بشار هزارَ مُرْدَ العتكى بالخطب وركوبه المنابر ، بل رثاهُ وابنه فقال:

مَا بَالُ عَيْنِكَ دَمْعُهَا مَسْكُوبُ ... سَهِرَتْ فَأَنْتَ بِنَوْمِهَا مَحْرُوبُ

وَكَذَاكَ مَنْ صَحِبَ الْحَوَادِثَ لَمْ يَزَلْ ... تَأْتِي عَلَيْهِ سَلَامَةٌ وَنُكُوبُ

يَا أَرْضُ وَيْحَكِ أَكْرِمِيهِ فَإِنَّهُ ... لَمْ يَبْقَ لِلْعَتَكِيِّ فِيكِ ضَرِيبُ

أَبْهَى عَلَى خَشَبِ الْمَنَابِرِ قَائِماً ... يَوْماً وَأَحْزَمُ إِذْ تُشَبُّ حُرُوبُ

﴿ خطباء البصرة ﴾

كان سَوَّارُ بنُ عبد الله أول تميمى خطب على منبر البصرة . ثم خطب عبيد الله بن الحسن . وولى منبر البصرة أربعة من القضاة، فكانوا قضاة أمراء : بلال ، وسوار ، وعبيد الله ، وأحمد بن رباح . وكان بلال قاضيا بن قاض بن قاض وقال روبة :

فانْتَ يا ابْنَ الْقاضِيَيْنِ قَاض مُعْتَزَم على الطَّرِيقِ ماض

قال أبو الحسن المدائنى : كان عبيد الله بن الحسن حيث وفد على المهدى معزيا أعد له كلاما . فبلغه أن الناس أعجبهم كلامه . فقال لشبيب بن شيبة : انى والله ما ألتفت الى هؤلاء . ولكن سل لى عنها أبا عبيد الله الكاتب . فسأله فقال : ما أحسن ما تكلم به ! على أنه اخذ مواعظ الحسن ورسائل غيلان فلقح بينهما كلاما. فأخبره بذلك شبيب ، فقال عبيد الله : لا والله أن أخطأ حرفا واحداً

وكان محمد بن سليمان له خطبة لا يغيرها ، وكان يقول : ان الله وملائكتُه. فكان يرفع الملائكة ، فقيل له [فى] ذلك فقال : خرجوا لها وجها، ولم يكن يدع الرفع

قال: وصلى بنا خزيمة يوم النحر فخطب فلم يسمع من كلامه إلا اذ كر أمير المؤمنين الرشيد وولى عهده محمد. قال: وكان زهير بن محمد الضبى يداريه اذا قرع المنبر

وقال الشاعر :

أمِيرَ المُؤمِنِينَ إلَيْكَ نَشكُو وإنْ كُنَّا نَقُومُ بِغيرِ عُذْرِ
غَفَرْتَ ذُنُوبَنا وعَفَوْتَ عَنَّا وَلَيْسَتْ مِنْكَ أنْ تَعْفُو بِبِكْرِ
فانَّ المِنْبَرَ البَصْرِىَّ يَشكُو على الْعِلاَّتِ اسْحٰقَ بنَ شِمْرِ
أضَبِّىٌّ على خَشَبَاتِ مُلْكٍ كَمَرْكَبِ ثَعْلَبٍ ظَهْرَ الهِزَبْرِ؟

وقال بعض شعراء العسكر يهجو رجلا من أهل العسكر :

مازِلْتَ تَرْكَبُ كلَّ شَىءٍ قائِمٍ حَتَّى اجْتَرَأْتَ على رُكوبِ المِنْبَرِ
مَا زَالَ مِنبَرُكَ الذِى دَنَّسْتَهُ بالأَمْسِ مِنْكَ كَحَائِضٍ لَمْ تَطْهُرِ

وقال آخر :

فما مِنبَرٌ دَنَّسْتَهُ باسْتِ أفْكَلٍ بِزَاكٍ ولَوْ طَهَّرْتَهُ بِابْنِ طَاهِرِ

﴿ باب أسجاع ﴾

عبد الله بن المبارك عن بعض أشياخه عن الشعبي قال: قال عيسى بن مريم عليه السلام « البر ثلاثة : المنطق ، والمنظر ، والصمت . فمن كان منطقه في غير ذكر فقد لغا ، ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته فى غير فكر فقدلها » وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه : أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج . وقال : يزيد بن المهاب وهو فى الحبس : والهفاه على طلبة بمائة ألف وفرج فى جبهة الاسد . وقال عمر رضى الله تعالى عنه : استغزروا الدموع بالتذكر.

وقال الشاعر : وَلا يَبْعَثُ الأحزانَ مِثْلُ التَّذَكُّرِ

حفص قال :سمعت عيسى بن عمر يقول: سمعنا الحسن يقول : إقدعوا هذه النفوس فانها طُلعة ، واعصوها فانكم إن أطعتموها تنزع بكم الى شر غاية، وحادثوها بالذكر فانها سريعة الدثور .

اقدعوا : كفوا . طُلعة:أى تطلع إلى كل شىء. حادثوا :أى اجلوا واشحذوا.

والدثور : الدروس ، يقال : دثر أثر فلان ، أى ذهب .كما يقال : درس وعفا

قال : فحدثت بهذا الحديث أبا عمرو بن العلاء فتعجب من كلامه

وقال الشاعر :

سَمِعْنَا بِهَيجا أَوْجَفَتْ فَذَكَرْتُهُ وَلا يَبْعَثُ الأَحْزَانَ مِثْلُ التَّذَكُّرِ

الوجيف : السير الشديد ، يقال:وجف الفرس والبعير وأوجفته،ومثله الايضاع وهو الاسراع . أراد بهيجاء أقبلت مسرعة

ومن الاسجاع قول أيوب بن القِرّيةِ ، وقد كان دعى لكلام فاحتبس القول عليه فقال : قد طال السمر ، وسقط القمر ، واشتد المطر ، فماذا ينتظر ؟ فاجابه فتى من عبد القيس فقال : قد طال الارق ، وسقط الشفق ، وكثر اللثق ، فلينطق من نطق .

اللثق:الندى الوحل

وقال أعرابى لرجل : نحن والله آكل منكم للمأدوم ، وأكسب منكم للمعدوم، وأعطى منكم للمحروم . ووصف أعرابى رجلا فقال : إن رفدك لنحيح ، وإن خيرك لسريح ، وإن منعك لمريح سريح .

عجل مريح: أى مريح من كدّ الطلب

وقال عبد الملك لاعرابى : ما أطيب الطعام ؟ فقال : بكرة سنمة ، فى قدور رذمة ، بشفار خذمة ، فى غداة شبمة . فقال عبد الملك : وأبيك لقد أطبت

وسئل أعرابى فقيل له : ما أشد البرد ؟ فقال : ريح جربياء ، فى طل عماء ، فى غب سماء .

ودعا أعرابى فقال : اللهم إنى أسألك البقاء ، والنماء ، وطيب الاتاء ، وحط الاعداء ، ورفع الاولياء .

الاتاء : الرزق

وقال ابرهيم النخعى لمنصور بن المعتمر : سل مسألة الحمقى ، واحفظ حفظ الكيسى . ووصفت عمة حاجز اللص حاجزاً فقالت : كان حاجز لا يشبع ليلة يضاف . ولا ينام ليلة يخاف .

ووصف بعضهم فرساً فقال : أقبل بزبرة الاسد ، وأدبر بعجز الذئب .

الزبرة: مغرز العنق. ويقال الشعر الذى بين كتفيه . ووصفه بأنه محطوط الكفل

ولما اجتمع الناس وقامت الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة قام رجل يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال : هذا أمير المؤمنين ـ وأشار بيده إلى معاوية ـ فان مات فهذا ـ وأشار بيده إلى يزيد ـ فمن أبى فهذا ـ وأشار بيده إلى سيفه . فقال معاوية : أنت سيد الخطباء .

ولما قامت خطباء نزار عند معاوية فذهبت فى الخطب كل مذهب قام صبرة ابن شيمان فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا حى فعال ، ولسنا حى مقال ، ونحن نبلغ بفعالنا أكثر من مقال غيرنا .

ولما وفد الأحنف فى وجوه أهل البصرة الى عبد الله بن الزبير تكلم أبوحاضر الأسيدى ـ وكان خطيباً جميلا ـ فقال له عبد الله بن الزبير : أسكت ، فوالله لوددت أن لى بكل عشرة من أهل العراق رجلا من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم . قال : يا أمير المؤمنين ، إن لنا ولك مثلا ، أفتأذن فى ذكره ؟ قال : نعم . قال : مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام قول الاعشى حيث يقول :

عُلِّقْتُها عَرَضاً وَعُلِّقَتْ رَجُلاً غَيرِى وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيرَهَا الرَّجل

أحبك أهل العراق ، وأحببتَ أهل الشام ، وأحب أهل الشام عبدَ الملك ابنَ مروان .

على بن مجاهد عن حميد بن أبى البخترى قال : ذكر معاوية لابن الزبير بيعةَ يزيد فقال ابن الزبير : إنى أناديك ولا أناجيك ، إن أخاك من صدقك، فانظر قبل أن تُقدم ، وتفكر قبل أن تندم ، فان النظر قبل التقدم ، والتفكر قبل التندم . فضحك معاوية ثم قال : تعلمت أبا بكر السجاعة عند الكبر ؟ إن فى دون ما سجعت به على أخيك ما يكفيك . ثم أخذ بيده فأجلسه معه على السرير

أخبرنا ثُمَامَةُ بنُ أَشْرَس قال : لما صرفت اليمانية ـ من أهل مزة ـ الماء عن أهل دمشق ووجهوه إلى الصحارى كتب اليهم أبو الهيذام : الى بنى استها أهل مزة ، ليمسينى الماء أو لتصبحنكم الخيل . قال : فوافاهم الماء قبل أن يعتموا .

أى يصيرون فى وقت عتمة الليل ، وعتمته ظلامه . يقال عتم الليل يعتم ، اذا أظلم . وأعتم الناس صاروا فى وقت العتمة .

فقال أبو الهيذام : الصدق ينبى عنك لا الوعيد .

وحدثنى ثمامة عمن قدم عليه من أهل الشام قال : لما بايع الناس يزيدَ ابن الوليد، وأتاه الخبر عن مروان بن محمد ببعض التلكؤ والتحبس كتب اليه:

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أمير المؤمنين يزيد بن الوليد الى مروان ابن محمد . أما بعد ،فانى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى . فاذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام .

وهاهنا مذاهب تدل على أصالة الرأى ، ومذاهب تدل على تمام النفس ، وعلى الصلاح والكمال ، لا أرى كثيراً من الناس يقفون عليها

واستعمل عبد الملك بن مروان نافعَ بنَ علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث خال مروان على مكة فخطب ذات يوم ـ وأبان بن عثمان بحذاء المنبر ـ فشتم طلحة والزبير . فلما نزل قال لأبان : أرضيتك من المدهنين فى أمير المؤمنين؟ قال :لا والله، ولكن سؤتنى . حسبى أن يكونا شركاء فى أمره .

فما أدرى أيهما أحسن : كلام أبان بن عثمان هذا أم إسحق بن عيسى؟ فانه قال: أعيذ علياً بالله أن يكون قتل عثمان . وأعيذ عثمان بالله أن يقتله على . فمدح علياً بكلام سديد غير نافر، ومقبول غير وحشي . وذهب الى معنى الحديث فى قول رسول الله ﷺ « أشد أهل النار عذاباً من قتل نبياً أو قتله نبي .»

يقول : لا يتفق أن يقتله نبي بنفسه إلا وهو أشد خلق الله معاندة وأجرأهم على معصيته . فيقول : لا يجوز أن يقتله علىّ إلا وهو مستحق للقتل

﴿ خطبة من خطب النبي ﷺ ﴾

خطب النبي ﷺ بعشر كلمات . حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أيها الناس ، إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم . وان لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم . إن المؤمن بين مخافتين : بين عاجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع به ، و بين آجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه . ومن دنياه لآخرته . ومن الشبيبة قبل الكبرة . ومن الحياة قبل الموت . فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مُستعتَب . ولا بعد الدنيا من دار ، إلا الجنة أو النار »

أبو الحسن المدائنى قال : تكلم عمار بن ياسر يوماً فأوجز فقيل له : لو زدتنا ؟ قال : أمرنا رسول الله ﷺ باطالة الصلاة وقصر الخطبة

محمد بن اسحق عن يعقوب بن عتبة عن شيخ من الانصار من بنى زريق أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما أتى بسيف النعمان بن المنذر دعا جُبَيْرَ بنَ مُطْعِم فسلحه إياه ثم قال : ياجبير ، ممن كان النعمان ؟ قال : من أشلاء قنص بن معد . وكان جبير أنسب العرب . وكان أخذ النسب عن أبى بكر الصديق رضي الله تعالى عنه . وعن جبير أخذ سعيدُ بنُ المسيب . وروى عن بعض ولد طلحة قال : قلت لسعيد ابن المسيب : علمنى النسب . قال : أنت رجل تريد أن تسابّ الناس . وثلاثة فى نسق واحد كانوا أصحاب نسب : عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . أخذ ذلك عن الخطاب . وكان كثيراً ما يقول : سمعت ذلك عن الخطاب ، ولم أسمع ذلك من الخطاب . والخطاب بنُ نُفَيْلٍ . ونُفَيْلُ عبد العُزَّى تنافر اليه عبد المطلب وحرب ابن أمية فنفرَ عبدَ المطلب . أى حكم لعبد المطلب . والمنافرة المحاكمة

والنساب أربعة : دغفل بن حنظلة ، وعميرة أبو ضمضام ، وصبيح الحنفى ، وابن الكيس النمرى .

قال الاصمعى : دغفل بن حنظلة ، النسابة البكرى ، وكان نصرانياً ولم يسمه

خطب سليمان بن عبد الملك فقال :

إتخذوا كتاب الله إماماً ، وارضوا به حكما ، واجعلوه قائداً ، فانه ناسخ لما قبله ، ولم ينسخه كتاب بعده . وأول كلام بارع سمعوه منه : الكلام فيما يعنيك خير من السكوت عما يضرك ، والسكوت عما لا يعنيك خير من الكلام فيما يضرك .

خلاد بن يزيد الارقط قال : سمعت من يخبرنا عن الشعبى قال : ماسمعت متكلماً على منبر قط تكلم فأحسن إلا تمنيت أن يسكت خوفاً من أن يسيء ، إلا زياداً فانه كلما كان أكثر كان أجود كلاما

وكان نَوْفَلُ بنُ مُسَاحِقٍ إذا دخل على امرأته صمت ، وإذا خرج من عندها تكلم ، فرأته يوماً كذلك فقالت : أما عندى فتطرق ، وأما عند الناس فتنطق . قال : لأنى أدق عن جليلك ، وتجلين عن دقيقى

قال أبو الحسن : قادعَيَّاشُ بنُ الزِّبْرِقَانِ بنِ بَدْرٍ الى عبدالملك بن مَرْوَانَ خمسة وعشرين فرساً . فلماجلس لينظر إليها نسب كل فرس منها إلى جميع آبائه وأمهاته، وحلف على كل فرس بيمين غير اليمين التى حلف بها على الفرس الآخر . فقال عبد الملك بن مروان : عجبي من اختلاف أيمانه أشدمن عجبي من معرفته بأنساب الخيل

وقال كان للزِّبْرِقَانِ بنِ بَدْرٍ ثلاثة أسماء: القمر ، والزبرقان ، والحصين. وكانت له ثلاث كنى : أبو شذرة ، وأبو عياش ، وأبو عباس . وكان عياش ابنه خطيباً مارداً، شديدالعارضة، شديد الشكيمة، وجيهاً ، وله يقول جرير :

أعيَّاشُ قدْ ذَاقَ القُيُونُ مَرَارَتِي وَأَوْقَدْتُ ناراً فادْنُ دُونَكَ فَاصْطَلِ

فقال عياش : إنى إذاً لمقرور ؟ قالوا: فغلب عليه

﴿ باب أسماء الخطباء والبلغاء والابيناء ، وذكر قبائلهم وأنسابهم ﴾

كان التدبير فى أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماء أهل الجاهلية على مراتبهم ، وأسماء أهل الاسلام على منازلهم ، ونجعل لكل قبيلة منهم خطباء ، ونقسم أمورهم باباً باباً على حدته ، ونقدم من قدمه الله عز وجل ورسوله ﷺ فى النسب، وفضله فى الحسب . ولكنى لما عجزت عن نظمه وتنضيده تكلفت ذكرهم فى الجملة، والله المستعان وبه التوفيق، ولا حول ولاقوة الا به

كان الْفَضْلُ بنُ عِيْسَى الرَّقَاشِيُّ من أخطب الناس ، وكان متكلما ، وكان قاصّا مجيداً . وكان يجلس اليه عمرو بن عبيد، وهشام بن حسان، وأبان بن أبى عياش، وكثير من الفقهاء . وهو رئيس الفضيلية واليه ينسبون . وخطب إليه ابنته سوادة بنت الفضل سليمان بن طرخان التيمى فولدت له المعتمر بن سليمان . وكان سليمان مباينا للفضل فى المقالة ، فلما ماتت سوادة شهد الجنازة المعتمر وأبوه فقدما الفضل

وكان الفضل لايركب إلا الحمير ، فقال له عيسى بن حاضر : انك لتؤثر الحمير على جميع المركوب فلم ذلك ؟ قال : لما فيها من المرافق والمنافع . قال : مثل أى شىء ؟ قال : لاتستبدل بالمكان على قدر اختلاف الزمان، ثم هي أقلها داء وأيسرها دواء،

وأسلم صريعا ، وأكثر تصريفاً، وأسهل مرتقى ، وأخفض مهوى ، وأقل جماحا ، وأشهر فارهاً ، وأقل نظيراً ، يزهى راكبه وقدتواضع بركوبه ، ويكون مقتصداً وقد أسرف فى ثمنه . قال: ونظر يوماً الى حمار فاره تحت سالم بن قتيبة فقال : قعدة نبي، وبذلة جبار . قال عيسى بن حاضر: ذهب الى حمار عزير ، والى حمار مَسيح الدجال، والى حمار بلعم . وكان يقول :لو أراد أبُو سَيَّارَةَ عُمَيْلَةُ بنُ أعْزَلَة أن يدفع بالموسم على فرس عربى ،أو جمل مَهرى لفعل ، ولكنه ركب عَيراً أربعين عاماً لانه كان يتأله. وقد ضرب به المثل فقالوا : أصح من عير(أبى) سيارة

والفضل هو الذى يقول فى قصصه : سل الارض فقل :من شق أنهارك ،وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ؟ فان لم تجبك حواراً، اجابتك اعتباراً .

وكان عَبْدُ الصَّمَدِ بنُ الفَضْلِ أغزر من أبيه وأعجب،وأبين وأخطب. وحدثنى أبو جعفر الصوفى القاصّ قال : تكلم عبد الصمد فى خلق البعوضة، وفى جميع شأنها ثلاثة مجالس تامة .

وكان يَزِيدُ بنُ أبَانٍ عم الفَضْلِ بنِ عِيسَى بنِ أبَان الرَّقَاشِيِّ من أصحاب أنَس والحسن ، كان يتكلم فى مجلس الحسن ، وكان زاهداً عابداً، وعالماً فاضلا ، وكان قاصّا مجيداً. قال أبو عبيدة : وكان أبوهم خطيباً ، وكذلك جدهم ، وكانوا خطباء الاكاسرة ، فلما سبوا وولد لهم الأولاد فى بلاد الاسلام وفى جزيرة العرب نزعهم ذلك العرق، فقاموا فى أهل هذه اللغة كمقامهم فى أهل تلك اللغة ،وفيهم شعر وخطب، وما زالوا كذلك حتى أصهر الغرباء اليهم، ففسد ذلك العرق ودخله الخور

ومن خطباء إياد « قُسُّ بنُ سَاعِدَةَ » وهو الذى قال فيه النبى ﷺ « رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول:« أيها الناس اجتمعوا،فاسمعوا وعوا . من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ماهو آت آت » وهو القائل فى هذه : «آيات محكمات، مطر ونبات ، وآباء وأمهات ، وذاهب وآت، ونجوم تمور ، وبحور لا تغور . وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، وليل داج ،وسماء ذات أبراج ، مالى أرى الناس يموتون ولا يرجعون ؟ أرضوا فأقاموا؟ أم حبسوا فناموا ؟» وهو القائل:« يامعشر إياد ، أين ثمود وعاد ، وأين الآباء والاجداد . أين المعروف الذى لم يشكر ، والظلم الذى لم ينكر ، أقسم قسّ قسما بالله أن لله ديناً هو أرضى له من دينكم هذا . وأنشدوا له هذه:

فِي الذَّاهِبِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ القُرُونِ لَنَا بَصَائِرْ

لمـا رَأيْتُ مَوَارِداً لِلْمَوتِ لَيسَ لَهَا مَصَادِرْ
وَرَأيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا تَمْضِي الأكَابِرُ وَالأصَاغِرِ
لاَ يَرْجِعُ المَاضِي وَلاَ يبْقَى مِنَ البَاقِينَ غَابِرْ
أيْقَنْتُ أنّي لاَ مَحَالَةَ حَيْثُ صَارَ القَوْمُ صَائِرْ

ومن الخطباء « زيد بن على بن الحسين » وكان خالد بن عبد الله أقرَّ على زيد بن على ، وداود بن على ، وأيوب بن سلمة المخزومى ، وعلى بن محمد بن عمر بن على ، وعلى ابن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف . فسأل هِشامُ زيداً عن ذلك فقال : أحلف لك ؟ قال : وإذا حلفت أصدقك ؟ قال زيد : اتق الله . قال : أو مثلك يا زيد يأمر مثلى بتقوى الله ؟ قال زيد : لا أحد فوق أن يوصى بتقوى الله ، ولا دون أن يوصى بتقوى الله . قال هشام : بلغنى أنك تريد الخلافة ، ولا تصلح لها لانك ابن أمة . قال زيد : فقد كان اسماعيل بن ابرهيم صلوات الله عليه ابن أمة ، واسحق عليه السلام ابن حرة ، فأخرج الله عز وجل من صلب اسماعيل عليه السلام خير ولد آدم محمداً ﷺ . فعندها قال له : قم . قال : إذاً لا ترانى إلا حيث تكره . ولما خرج من الدار قال : ما أحبّ أحدٌ الحياة قط إلا ذل . فقال له سالم مولى هشام : لا يسمعن هذا الكلام منك أحد .

وقال مُحَمَّدُ بنُ عُمَيْرٍ : إن زيداً لما رأى الارض قد طبقت جوراً ، ورأى قلة الاعوان ، ورأى تخاذل الناس ، كانت الشهادة أحب المنيات اليه . وكان زيد كثيراً ماينشد :

شَرَّدَهُ الخَوْفُ وَزْرَى بِهِ كَذَاكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الجِلادْ
مُنْخَرِقُ الخُفَّيْنِ يَشْكُو الوَحَى تَنْكُبُهُ أطْرَافُ مَرْوٍ حِدَادْ
قَدْ كَانَ فِي المَوْتِ لهُ رَاحَةٌ والمَوْتُ حَتْمٌ فِي رِقَابِ العِبَادْ

قال : وكثيراً ماينشد شعر العبسي فى ذلك :

إنَّ المُحكَّمَ مَنْ لَمْ يَرْتَقِبْ حَسَباً أوْ يَرْهَبِ السَّيْفَ أوْ حَدَّ القَنَا جَنَفَا
مَنْ عَاذَ بالسَّيْفِ لاَقَى فُرْصَةً عَجَباً مَوْتاً عَلَى عَجَلٍ ، أوْ عَاشَ مُنْتَصِفَا

ولما بعث يوسف بن عمر برأس زيد ونصر بن خزيمة مع شبيبة بن عقال ، وكلف آل أبي طالب أن يبرأوا من زيد ويقوم خطباؤهم بذلك ، فأول من قام عبد الله بن الحسن فأوجز فى كلامه ثم جلس . ثم قام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فاطنب فى كلامه ، وكان شاعراً بيّناً وخطيباً لسناً ، فانصرف الناس وهم يقولون : ابن الطيار أخطب الناس . فقيل لعبد الله بن الحسن فى ذلك فقال : لو شئت أن أقول لقلت ، ولكن لم يكن مقام سرور . فأعجب الناس ذلك منه

ومن أهل الدهاء والنكراء ، ومن أهل اللسن واللقن ، والجواب العجيب ، والكلام الصحيح ، والامثال السائرة ، والمخارج العجيبة «هِنْدُ بِنْتُ الْخُسِّ» وهي الزرقاء . و « خمعة بنت حابس »(١) ويقال ان حابساً من إياد . وقال عامر بن عبدالله الفزارى : جمع بين هند وخمعة ، فقيل لخمعة : أى الرجال أحب اليك؟ قالت : الشنق الكبد ، الظاهر الجلد ، الشديد الجذب بالمسد . فقيل لهند : أى الرجال أحب اليك ؟ قالت : القريب الامد ، الواسع البلد ، الذى يوفد اليه ولا يفد . وقد سئلت هند عن حر الصيف وبرد الشتاء فقالت : من جعل بؤساً كأذى ! وقد ضرب بها المثل ، فمن ذلك قول ليلى بنت النضر الشاعرة :

وكنز ابن جُدْعانٍ دَلالَةَ أمِّهِ وكانَتْ كَبِنْتِ الْخُسِّ أوْهِيَ أكْبرُ

وقال ابن الاعرابى : يقال بنت الخس ، وبنت الخص ، وهى الزرقاء ، وبنت الخسف . وقال يونس : لا يقال الا بنت الأخسّ ، وهى الزرقاء . وقال أبو عمرو بن العلاء : داهيتا نساء العرب : هند الزرقاء ، وعنز الزرقاء . وهى زرقاء اليمامة .

قال اليَقْطُرِيُّ : قيل لعبد الله بن الحسن : ما تقول فى المراء ؟ قال : ما عسى أن أقول فى شىء يفسد الصداقة القديمة ، ويحتل العقدة الوثيقة ؟ وان كان لأقل ما فيه ن يكون دُرْبَةً للمغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة ، إن رسول الله ﷺ لما أتاه السائب بن صيفى فقال : أتعرفنى يارسول الله ؟ قال : كيف لا أعرف شريكى الذى كان لا يشارينى ولا يمارينى؟ قال : فتحولت الى زيد بن على فقلت له : الصمت خير أم الكلام ؟ قال : أخزى الله المساكتة ، فما أفسدها للبيان وأجلبها للحصر ، والله للمماراة أسرع فى هدم العى من النار فى يَبس العرفج ، ومن السيل فى الحدور .

وقد عرف زيد أن المماراة مذمومة ولكنه قال : المماراة على ما فيها أقل ضرراً من المساكتة التى تورث البلدة ، وتحل العقدة ، وتفسد المنة ، وتورث عللا ، وتولد

(١) راجع ما كتبناه عنها محققاً فى هامش الصفحة ٥٥

أدواء أيسرها العى ، فالى هذا المعنى ذهب زيد

ومن الخطباء: خالد بن سلمة المخزومى من قريش ، وأبو حاضر ، وسالم ، وقد تكلم عند الخلفاء

ومن خطباء بنى أسيد: الحكم بن يزيد بن عمير، وقد رأس

ومن أهل اللسن منهم والبيان: الحجاج بن عُمير بن زيد

ومن الخطباء: سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية .

وقيل لسعيد بن المسيب : من أبلغ الناس ؟ قال : رسول الله ﷺ . فقيل له: ليس عن هذا نسألك. قال: معاوية، وابنه ، وسعيد ، وابنه ، وما كان ابن الزبير بدونهم ، ولكن لم يكن لكلامه طلاوة مقبولة

فمن العجب أن ابن الزبير ملأ دفاتر العلماء كلاما، وهم لا يحفظون لسعيد ابن العاص وابنه من الكلام الا مالا بال له.

وكان سعيد جوادا ولم ينزع قميصه قط ، وكان أسود نحيفا ، وكان يقال له : عُكّةَ العسل ،

وقال الحطيئة :

سَعِيدٌ فَلَا يَغْرُرْكَ قِلَّةُ لَحْمِهِ تَخَدَّدَ عَنْهُ اللَّحْمُ وهْوَ صَلِيبُ

وكان أول من خَشّ الابل فى نفس عظم الأنف ، وكان في تدبيره اضطراب. وقال قائل من أهل الكوفة:

يَاوَيْلَنَا قَدْ ذَهَبَ الْوَلِيدُ وَجَاءَنَا مُجَوِّعاً سَعِيدُ

يَنْقُصُ فِي الصَّاعِ وَلَا يَزِيدُ

والامراء تتحبب الى الرعية بزيادة المكاييل ، ولو كان المذهب فى الزيادة فى الاوزان كالمذهب فى الزيادة فى المكاييل ما قصروا ، كما سال الاحنف عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الزيادة فى المكاييل ، ولذلك اختلفت أسماء المكاييل كالزيادى ، والفالج ، والخالدى ، حتى صرنا الى هذا الملجم اليوم

ثم من الخطباء « عمرو بن سعيد » وهو الاشدق ، يقال ان ذلك إنما قيل له لتشادقه فى الكلام . وقال آخرون بل كان أفقم مائل الذقن . ولذلك قال عبيدالله بن زياد حين أهوى الى عبد الله بن معاوية : يدك عنه يالطيم الشيطان ، ويا عاصى الرحمن .

وقال الشاعر :

وعَمْرُو لَطِيمُ الجِنِّ وَابنُ محمَّدٍ بأسْوَأ هذَا الأَمْرِ مُلْتَبِسَانِ

ذكر ذلك عن عوانة ، وهذا خلاف قول الشاعر :

تَشَادَقَ حَتَّى مَالَ بِالْقَوْلِ شِدْقُهُ وكُلُّ خَطِيبٍ لاَ أَبَالَكَ أَشْدَقُ

وكان معاوية قد دعا به فى غِلمة من قريش ، فلما استنطقه قال : إن أول كل مركب صعب ، وان مع اليوم غدا . وقال له : إلى من أوصى بك أبوك ؟ قال : ان أبى أوصى الىّ ولم يوص بى . قال : وبأى شىء أوصاك ؟ قال : بان لا يفقد اخوانه منه إلا شخصه . فقال معاوية عنـد ذلك : إن ابن سعيد هذا لأشدق . فهذا يدل عندهم على أنه إنما سمى بالاشدق لمـكان التشادق

ثم كان بعد عمرو بن سعيد « سعيد بن عمرو بن سعيد » وكان ناسبا خطيبا ، وأعظم الناس كبرا . وقيل له عند الموت: ان المريض ليستريح إلى الانين،والى أن يصف مابه الى الطبيب ، فقال :

أجَالِيدُ مِنْ رَيْبِ المَنُونِ فَلاَ تَرَى على هَالِكٍ عَيْناً لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ

ودخل على عبد الملك مع خطباء قريش وأشرافهم ، فتكلموا من قيام وتـكلم وهو جالس ، فتبسم عبد الملك وقال : لقد رجوت عثرته ، ولقد أحسن حتى خفت عثرته . فسعيد بن عمرو بن سعيد خطيب ابن خطيب ابن خطيب

ومن الخطباء « سهيل بن عمرو الاعلم » أحد بنى حسل بن معيص ،وكان يكنى أبا يزيد ، وكان عظيم القدر ، شريف النفس ، صحيح الاسلام . وكان عمر رضي الله تعالى عنه قال للنبى ﷺ يا رسول الله، انزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا . فقال رسول الله ﷺ « لا أمثل فيمثل الله بى وإن كنت نبيا ، دعه ياعمر فعسى أن يقوم مقاما تحمده » فلما هاج أهل مكة عندالذى بلغهم من وفاة رسول الله ﷺ قام خطيبا فقال : أيها الناس ، ان يكن محمدقدمات فان الله حى لم يمت . وقد علمتم أنى أكثركم قتبا فى بر ، وجارية فى بحر ، فأقروا أميركم ، وأنا ضامن ان لم يتم الامر أن أردها عليـكم . فسكن الناس . وهو الذى قال يوم خرج إذن عمر وهو بالباب وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس وفلان وفلان ، فقال الآذن : أين بلال ، أين صهيب ، أين سلمان ، أين عمار ؟ فتمعرت

وجوه القوم ، فقال سهيل : لم تتمعر وجوهكم ؟ دعوا ودعينا فاسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم فى الجنة أكثر

ومن الخطباء « عبد الله بن عروة بن الزبير » قالوا كان خالد بن صفوان يشبه به ، وما علمت أنه كان فى الخطباء أحد أجود خطبا من خالد بن صفوان وشبيب ابن شيبة للذى يحفظ الناس ويدور على ألسنتهم من كلامهما ، وما علمنا أن أحدا ولد لهما حرفا واحدا

ومن النسابين من بنى العنبر ثم من بنى المنذر « الخنف بن زيد بن جعونة » وهو الذى تعرض له دغفل بن حنظلة العلامة عند ابن عامر بالبصرة فقال له : متى عهدك بسجاح أم صادر ؟ فقال له : مالى بها عهد منذ أضلت أم حلس . وهى بعض أمهات دغفل ، فقال له :

أنشدتك بالله ، أنحن كنا لكم أكثر غزوا فى الجاهلية أم أنتم لنا ؟ قال : بل أنتم فلم تفلحوا ولم تنجحوا ، غزانا فارسكم وسيدكم وابن سيدكم فهزمناه مرة ، وأسرناه مرة ، وقتلناه مرة ، وأخذنا فى فدائه خدر أمه . وغزانا أكثركم غزوا وأنبهكم فى ذلك ذكرا فأعرجناه ثم أرجلناه . فقال ابن عامر : أسألكما بالله لما كففتما.

وكان عبد الله بن عامر ومصعب بن الزبير يحبان أن يعرفا حالات الناس ، فكانا يغريان بين الوجوه وبين العلماء ، فلا جرم أنهما كانا اذا سبا أوجعا

وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه أنسب هذه الامة ، ثم عمر ، ثم جبير بن مطعم ، ثم سعيد بن المسيب ، ثم محمد بن سعيد بن المسيب . ومحمد هو الذى نفى الى عنكة المخزوميين فرفع ذلك الى والى المدينة فجلده الحد . وكان ينشد :

وَيَرْبُوعُ بْنُ عَنْكَةَ إِبْنُ أَرْضٍ وَأَعْتَقَهُ هُبَيْرَةُ بَعْدَ حِينِ

يعنى هبيرة بن أبى وهب المخزومى

ومن النسابين العلماء « عتبة بن عمرو » بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكان من ذوى الرأى والدهاء ، وكان ذا منزلة من الحجاج بن يوسف . وعمر بن عبد الرحمن خامس خمسة فى الشرف ، وكان هو الساعى بين الازد وتميم فى الصلح

ومن بنى الحرقوس « شعبة بن القلعم » وكان ذا لسان وجواب وعارضة ، وكان وصافا فصيحا . وبنوه عبد الله ، وعمر ، وخالد ، كلهم كانوا فى هذه الصفة. غير أن خالدا كان قد جمع مع بلاغة اللسان : العلم والحلاوة والظرف ، وكان

الحجاج لا يصبر عنه

ومن بنى أسيد بن عمرو بن تميم «أبو بكر بن الحكم» كان ناسبا راوية شاعرا، وكان أحلى الناس لسانا، وأحسنهم منطقا، وأكثرهم تصرفا، وهو الذى يقول له رُؤبة :

لقدْ خَشِيتُ أنْ تكُونَ سَاحرا رَاوِيَةً طَوْراً وطَوراً شَاعرا

ومنهم « معلل بن خالد » أحد بنى أنمار بن الهُجيم، وكان نسابة علامة راوية صدوقا مقلدا، وذُكر لِلْمُنْتَجِعِ بنِ نَبْهَانَ فقال : كان لايجارى ولا يمارى .

ومنهم من بنى العنبر ثم من بنى عمرو بن جندب « أبو الخنساء عباد بن كسيب » وكان شاعرا علامة، وراوية نسابة، وكانت له حرمة بابى جعفر المنصور

ومنهم « عمرو بن خولة » كان ناسبا خطيبا، وراوية فصيحا، من ولد سعيد بن العاص

والذى أتى سعيد بن المسيب ليعلمه النسب هو « اسحق بن يحيى بن طلحة »

وكان « يحيى بن عروة بن الزبير » ناسبا عالما، ضربه « ابرهيم بن هشام المخزومى » والى المدينة حتى مات لبعض القول

وكان « مُصْعَبُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ ثَابِتٍ » ناسبا عالما، ومن ولده « الزبيرى » عامل الرشيد على المدينة واليمن

ومنهم ثم من قريش « محمد بن جعفر بن حفص » وهو ابن عائشة، ويكنى أبا بكر، وابنه « عبيد الله » كان يجرى مجراه، يكنى أبا عبد الرحمن

ومن خزاعة بن مازن « أبو عمرو » و « أبو سفيان » ابنا العلاء بن عمار ابن العريان .

فأما « أبو عمرو » فكان أعلم الناس بأمور العرب، مع صحة سماع، وصدق لسان . وحدثنى الاصمعى قال : جلست الى أبى عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت اسلامى قال : وقال مرة: لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت أن آمر فتياننا برواياته

يعنى شعر جرير والفرزدق وأشباههما

وحدثنى أبو عبيدة :قال كان أبو عمرو أعلم الناس بالعرب والعربية، وبالقراءة والشعر وأيام الناس، وكانت داره خلف دار جعفر بن سليمان . وكانت كتبه التى

كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له الى قريب من السقف، ثم انه تقرأها فاحرقها كلها ، فلما رجع بعد الى علمه الاول لم يكن عنده الا ما حفظه بقلبه. وكان عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية

وفى أبى عمرو بن العلاء يقول الفرزدق :

مَازِلتُ أفتحُ أبوَاباً وأُغلقها حَتى أتَيتُ أباعمرِو بن عَمَّارِ

فاذا كان الفرزدق وهو راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم يقول فيه مثل هذا القول ، فهو الذى لا يشك فى خطابته و بلاغته

وقال يونس : لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس .

وقال فى أبى عمرو مِكّىُّ بنُ سَوَادَةَ :

الجَامعُ العِلْمَ نَسّاهُ وَيَحْفَظُهُ والصَّادِقُ القَوْلَ إنْ أنْدَادُهُ كَذَبُوا

وكان « أبو سفيان بن العلاء » ناسباً ، وكلاهما كناها أسماؤهما . وكذلك « أبو عمرو بن لبيد » و « أبو سفيان بن العلاء » بن لبيد التغلبى خليفة « عيسى ابن شبيب المازنى » على شرط البصرة

وكان « عَقِيلُ بنُ أبي طَالِبٍ » ناسباً عالماً بالامهات، بين اللسان، شديد الجواب ، لا يقوم له أحد .

وكان « ابو الجهم بن حذيفة العدوى » ناسباً شديد العارضة ، كثير الذكر للامهات بالمثالب .

ورؤساء النسابين « دَغْفَلُ بنُ حَنْظَلَةَ » أحد بنى عمرو بن شيبان، لم يدرك الناس مثله لساناً وعلماً وحفظا .

ومن هذه الطبقة « زَيْد بن الْكَيّس النَّمرى » . ومن نسابى كلب « محمد ابن السائبِ » و « هشام بن محمد بن السائب » و « شرقى بن القطامى » .

وكان أعلاهم فى العلم ومن ضرب به المثل « حماد بن بشر »

قال سِمَاكُ العُكْلِى :

فَسائِلْ دَغْفَلاَ وأخا هِلاَلٍ وَنَخّاراً يُنَبِّئكَ اليَقِينَا

وقد ذكرنا دغفلا . وأخو هلال هو زَيد بن الكيس ، و بنو هلال حى من

النَّمِر بن قاسط .

وقال مسكين بن أنيف الدارمى فى ذلك :

وَعِنْدَ الْكَيْسِ النَّمِرِيِّ عِلْمٌ ولوْ أمْسَى بِمُنْخَرِقِ الشِّمَالِ

وقال ثابت قطنة :

فَمَا الْعَضَّانِ لَوْ سُئِلاَ جَمِيعاً أخُو بَكْرٍ وَزَيْدُبني هِلاَلِ

ولا الْكَلْبِيُّ حَمَّادُ بْنُ بِشْرٍ ولا مَنْ قادَ في الزَّمَنِ الخَوَالِي

وقال زياد الاعجم :

بَلْ لَوْ سَأَلْتَ أخا رَبِيعَةَ دَغْفَلاً لَوَجَدْتَ في شَيْبَانَ نِسْبَةَ دَغْفَلِ

إن الاحاين والَّذِينَ يَلُونَهُمْ شَرُّ الأنامِ ونَسْلُ عَبْدِ الأعْزَلِ

يهجو فيها بنى الخنساء .

ومنهم « إياس النصرى » كان أنسب الناس ، وهو الذى قال : كانوا يقولون : أشعر العرب أبو دواد الايادى ، وعدى بن زيد العبادى .

وكان « أبو نَوفل بن أبى عقرب» علامة ناسباً خطيباً فصيحاً ، وهو رجل من كنانة أحد بنى عريج .

ومن بنى كنانة ثم من بنى الشَّدَّاخ « يزيد بن بكر بن دأب » وكان يزيد عالماً ناسباً ، وراوية شاعراً ، وهو القائل :

اللهُ يَعْلَمُ في عَلِيٍّ عِلْمَهُ وكَذَاكَ علْمُ اللهِ في عُثْمانِ

وولدَ يزيدُ : « يحيي » و « عيسى » هو الذى يعرف فى العامة « بابن دأب » وكان من أحسن الناس حديثاً وبياناً ، وكان شاعراً راوية ، وصاحب رسائل وخطب ، وكان يجيدها جداً .

ومن آل دأب « حذيفة بن دأب » وكان عالماً ناسباً . وفى آل دأب علم بالنسب والخبر

وكان « أبو الأسود الدؤلى » ـ واسمه ظالم بن عمرو بن جَندل بن سفيان ـ خطيباً عالماً ، وكان قد جمع شدة العقل ، وصواب الرأى ، وجودة اللسان ، وقول الشعر ، والظرف ، وهو يعد فى هذه الاصناف ، وفى الشيعة ، وفى العرجان ، وفى المفاليج .

وعلى كل شيء من هذا شاهد سيقع فى موضعه ان شاء الله تعالى

وقال الخس لابنته هند : أريد شراء فحل لابلى . قالت : إن اشتريته فاشتره أسجح الخدين،غائر العينين ، أرقب ، أخرم ، أعكى ، أكوم . إنعصى غشم، وإن أطيع تجرثم . وهى التى قالت لما قيل لها : ماحملك على أن زنيت بعبدك ؟ قالت : طول السواد ، وقرب الوساد .

السواد : السرار . أسجح : سهل واسع ، يقال : ملكت فأسجح . أرقب : غليظ الرقبة . أخرم : منتفخ موضع المخرم . أعكى : العكوة مغرزالوركين فى المؤخر. تصفه بشدة الوركين . إن عصي غشم : إن عصته الناقة غصبها نفسها .تجرثم : أى بقى ، مأخوذ من الجرثومة وهى الطين والتراب يجمع حول النخلة ليقويها . تصفه بالصبر والقوة على الضراب . أكوم : عظيم السنام .

وقال الشاعر فى السواد :

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحِكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفُتْهُ سِوَادُهَا

يقال : فى لسان فلان حكلة ، اذا كان شديد الحبسة مع لثغ

قالوا وعاتب هشام بن عبدالملك زيد بن على فقال له : بلغنى عنك شيء . فقال: ياأمير المؤمنين ، أحلف لك ؟ قال : واذا حلفت لى أصدقك ؟ قال : نعم . ان الله لم يرفع أحداً فوق أن لايرضى به ، ولم يضع أحداً دون أن لايرضى منه به

كان « زِيَادُ بنُ ظُبْيَانَ »التيمى العايشى خطيباً ، فدخل عليه ابنه عبيد الله وهو يكيد (١) بنفسه ، قال : ألا أوصى بك الامير زياداً ؟ قال : لا . قال : ولم ؟ قال : اذا لم يكن للحىّ الا وصية الميت ، فالحى هو الميت .

وكان «عبيد الله » أفتك الناس وأخطب الناس . وهو الذى أتى باب « مالك ابن مِسمَعٍ »ومعه نار ليحرق عليه داره.وقدكان نابه أمر فلم يرسل اليه قبل الناس. فأشرف عليه مالك فقال : مهلا يا أبا مطر ، فو الله إن فى كنانتى سهما أنا به أوثق منى بك. قال :وانك لتعدنى فى كنانتك ؟ فوا الله لو ان ثمت فيها لطلتها ، ولو قعدت فيها لخرقتها . قال مالك : مهلا ، أكثر الله في العشيرة مثلك . قال : لقد سألت الله شططا .

(١) يكيد بنفسه ، يقاسي المشقة فى سياقه عند الاحتضار

ودخل « عبيد الله » على « عبدالملك بن مروان » بعد أن أتاه برأس مُصعب ابن الزبير ، ومعه ناس من وجوه بكر بن وائل ، فأراد أن يقعد معه على سريره ، فقال له عبد الملك : ما بال الناس يزعمون أنك لا تشبه أباك ؟ قال : والله لأنا أشبه بأبى من الليل بالليل ، والغراب بالغراب ، والماء بالماء ، ولكن إن شئت أنبأتك بمن لا يشبه أباه . قال : ومن ذاك ؟ قال : من لم يولد لتمام ، ولم تنضجه الارحام ، ولم يشبه الاخوال والاعمام . قال : ومن ذاك ؟ قال : ابن عمى سويد بن منجوف . قال عبد الملك : أو كذلك أنت ياسويد ؟ قال : نعم . فلما خرجا من عنده اقبل عليه سُويد فقال : وَرِيت بك زنادى ، والله مايسرنى أنك نقصته حرفاً واحداً مما قلت له وأن لى حُمرَ النعم . قال: وأنا والله ما يسرنى بحلمك اليوم عنى سود النعم. وأتى « عبيدالله » عتاب بن ورقاء ، وعتاب على أصبهان ، فأعطاه عشرين ألف درهم فقال : والله ما أحسنت فاحمدك ، ولا أسأت فأذمك ، وانى لأقرب البعداء وأبعد القرباء . وقال أشيم بن شقيق بن ثور لعبيد الله بن زياد بن ظبيان : ما أنت قائل لربك وقد حملت رأس مصعب بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان؟ قال : اسكت فانت يوم القيامة أخطب من صعصعة بن صوحان إذا تكلمت الخوارج

فما ظنك ببلاغة رجل عبيد الله بن زياد يضرب به المثل؟

وانما أردنا بهذا الحديث خاصة الدلالة على تقديم صعصعة بن صوحان فى الخطب، وأولى من كل دلالة استنطاق علىّ له

وكان « عثمان بن عروة » أخطب الناس ، وهو الذى قال: والشكر وإن قل، ثمن لكل نوال وإن جل

وكان « ثابت بن عبد الله بن الزبير » من أبين الناس . ولم يكن خطيبا

وكان « قسامة بن زهير » أحد بنى رزام بن مازن، مع زهده ونسكه ومنطقه، من أبين الناس ، وكان يعدل بعامر بن عبد قيس فى زهده ومنطقه، وهو الذى قال : رَوحوا هذه القلوب تعى الذكر . وهو الذى قال : يامعشر الناس، إن كلامكم أكثر من صمتكم ، فاستعينوا على الكلام بالصمت ، وعلى الصواب بالفكر . وهو الذى كان رسول عمر فى البحث عن شأن المغيرة وشهادة أبى بكرة

وكان « خالد بن يزيد بن معاوية » خطيبا شاعراً ، وفصيحا جامعا ، وجيد الرأى كثير الادب . وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء

ومن خطباء قريش « خالد بن سلمة المخزومى » وهو ذو الشفة . وقال الشاعر فى ذلك :

فما كانَ قَائِلُهُمْ دَغْفَلٌ ولا الحَيْقطانُ وَلاَ ذُو الشَّفَهْ

ومن خطباء العرب « عُطارِدُ بنُ حاجِبِ بنِ زُرَارَةَ » وهو كان الخطيب عند النبى ﷺ وقال فيه الفرزدق بن غالب :

ومِنَّا خَطِيبٌ لاَ يُعَابُ وَحَامِلٌ أغَرُّ إِذَا الْتَفَّتْ عَلَيْهِ المَجَامِعُ

ومن الخطباء « عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود » وكان مع ذلك راوية ناسبا شاعراً . ولما رجع عن قول المرجئة إلى قول الشيعة قال :

وَأَوَّلُ مَانُفَارِقُ غَيْرَ شَكٍّ نُفَارِقُ مَا يَقُولُ المُرْجِئُونَا
وَقَالوا مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ جَوْرٍ وَلَيْسَ المُؤْمِنُونَ بِجَائِرِينَا
وَقَالوا مُؤْمِنٌ دَمُهُ حَلاَلٌ وَقَدْ حَرُمَتْ دِمَاءُ المؤمنينَا

وكان حين هرب إلى محمد بن مروان فى فل ابن الاشعث ألزمه ابنه يؤدبه ويقومه فقال له يوما : كيف ترى ابن أخيك ؟ قال : ألزمتنى رجلا إن غبت عنه عتب . وان أتيته حجب . وان عاتبته غضب . ثم لزم عمر بن عبد العزيز . وكان ذا منزلة منه . قالوا : وله يقول جرير :

يا أيُّهَا الرَّجُلُ المُرْخِي عِمَامَتَهُ هَذَا زَمَانُكَ إِنِّى قَدْ مَضَى زَمَنِى
أَبْلِغْ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لاَقِيَهُ أَنِّى لَدَى البَابِ كَالمَشْدُودِ فى قَرَنِ
وقَدْ رَآكَ وُفُودُ الخَافِقَيْنِ مَعاً وَمُذْ وَلِيتَ أُمُورَ النَّاسِ لَمْ تَرَنِى

وكان « الجارود بن أبى سبرة » ـ ويكنى أبا نوفل ـ من أبين الناس وأحسنهم حديثا . وكان راوية علامة شاعرا مفلقا . وكان من رجال الشيعة ، ولما استنطقه الحجاج قال : ما ظننت أن بالعراق مثل هذا ؟ وكان يقول : ما أمكننى وال قط من أذنه إلا غلبت عليه . ما خلا هذا اليهودى ـ يعنى بلال بن أبى بردة ـ وكان عليه متحاملا ، فلما بلغه أنه دهق حتى دقت ساقه وجعل الوتر فى خصيه أنشا يقول:

لَقَدْ قَرَّ عَيْنِي أَنَّ سَاقَيْهِ دُقَّتَا ... وَأَنَّ قُوَى الأَوْتَارِ فِي البَيْضَةِ اليُسْرَى
بَخِلْتَ وَرَاجَعْتَ الخِيَانَةَ وَالخَنَا ... فَيَسَّرَكَ اللهُ المُقَدَّسُ لِلعُسْرَى
فَمَا جِذْعُ سُوءٍ خَرَّبَ السُّوسُ جَوْفَهُ ... يُعَالِجُهُ النَّجَّارُ يُبْرَى كَمَا تُبْرَى

وانما ذكر الخصية اليسرى لان العامة تقول ان الولد منها يكون

ومن الخطباء الذين لا يضاهون ولا يجارون « عبد الله بن عباس » قالوا خطبنا بمكة ـ وعثمان رضي الله تعالى عنه محاصرا ـ خطبة لو شهدتها الترك والديلم لاسلمتا: وذكره حسان بن ثابت فقال :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلٍ ... بِمُلْتَقَطَاتٍ لا تَرَى بَيْنَهَا فَصْلاَ
كَفَى وَشَفَى مَا فِي النُّفُوسِ وَلَمْ يَدَعْ ... لِذِي إِرْبَةٍ فِي القَوْلِ جِدًّا وَلا هَزْلاَ
سَمَوْتَ إِلَى العُلْيَا بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ ... فَنِلْتَ ذُرَاهَا لا دَنِيًّا وَلا وَغْلاَ

وقال الحسن : كان عبد الله بن عباس أول من عرف بالبصرة صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ففسرها حرفا حرفا . وكان والله مثجا يسيل غربا . وكان يسمى « البحر » و « حبر قريش » وقال النبي ﷺ « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » وقال عمر :غص غواص . ونظر اليه يتكلم فقال :

شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ

الشعر لابى أخزم الطائى وهو جد أبى حاتم طى أوجد جده . وكان له ابن يقال له أخزم فمات وترك بنين ، فوثبوا يوما على جدهم أبى أخزم فأدموه ، فقال:

إِنَّ بَنِيَّ زَمَّلُونِي بِالدَّمِ ... شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ

أى انهم أشبهوا أباهم فى طبيعته وخلقه . وأحسبه كان به عاقا . فهكذا ذكر ابن الكلبي . والشنشنة مثل الطبيعة والسجية . فاراد عمر رضي الله تعالى عنه: إنى أعرف فيك مشابهة فى أبيك فى رأيه وعقله . ويقال إنه لم يكن لقرشي مثل رأى العباس

ومن خطباء بنى هاشم أيضا « داود بن على » وكان يكنى أبا سليمان . وكان

أنطق الناس وأجودهم ارتجالا واقتضابا للقول . ويقال إنه لم يتقدم فى تحبير خطبة قط . وله كلام كثير معروف محفوظ . فمن ذلك خطبته على أهل مكة : شكرا شكرا ، أما والله ما خرجنا لنحتفر فيكم نهرا ، ولا لنبنى فيكم قصرا . أظن عدو الله أن لم نظفر به أن أرخى له فى زمامه . حتى عثر فى فضل خطامه ؟ فالآن عاد الأمر فى نصابه . وطلعت الشمس من مطلعها . وأخذ القوس باريها . وعاد النبل إلى النزعة . ورجع الأمر الى مستقره، فى أهل بيت نبيكم، أهل بيت الرأفة والرحمة

ومن خطباء بنى هاشم « عبد الله بن الحسن » وهو القائل لابنه ابرهيم أو محمد: أى بنى ، إنى مؤد إليك حق الله فى تأديبك فاد إلىّ حق الله فى حسن الاستماع . أى بنى ، كف الأذى ، وارفض البذاء ، واستعن على الكلام بطول الفكر فى المواطن التى تدعوك نفسك فيها إلى القول . فان للقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب . واحذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشا ، يوشك أن يورطاك بمشورتهما فيسبق اليك مكر العاقل وغرارة الجاهل .

قال الحسن بن خليل : كان المأمون قد استثقل « سهل بن هرون » فدخل عليه سهل يوما والناس عنده على منازلهم ، فتكلم المامون بكلام فذهب فيه كل مذهب . فلما فرغ المامون من كلامه أقبل سهل بن هرون على ذلك الجمع فقال: ما لكم تسمعون ولا تعون ، وتشاهدون ولا تفهمون ، وتفهمون ولا تعجبون ، وتنظرون ولا تبصرون ؟ والله انه ليفعل ويقول فى اليوم القصير مثل ما فعل بنو مروان وقالوا فى الدهر الطويل . عربكم كعجمهم، وعجمكم كعبيدهم . ولكن كيف يعرف الدواء من لا يشعر بالداء ؟ قال : فرجع له المامون بعد ذلك إلى الرأى الاول

ومن خطباء بنى هاشم ، ثم من ولد جعفر بن سليمان « سليمان بن جعفر » والى مكة . قال المكى سمعت مشايخنا من أهل مكة يقولون: انه لم يرد عليهم أمير منذ عقلوا الكلام إلا وسليمان أبين منه قاعداً وأخطب منه قائما

وكان « داود بن جعفر » إذا خطب استحنفر ، فلم يرده شىء . وكان فى لسانه شبيه بالرثة

وكان « أيوب » فوق داود فى الكلام والبيان ، ولم يكن له مقامات داود

فى الخطب . قال عيسي بن اسحق لداود بن جعفر : بلغنى أن معاوية قال للنخار بن أوس : أبغنى محدثا . قال : ومعى يا أمير المؤمنين تريد محدثا ؟ قال : نعم ، استريح منك إليه ومنه إليك . وأنا لا أستريح إلى غير حديثك ، ولا يكون صمتك فى حال من الحالات أوفق لى من كلامك .

وكان « اسماعيل بن جعفر » من أدق الناس لسانا وأحسنهم بيانا

ومن خطباء بنى هاشم « جعفر بن حسن » بن الحسين بن على ، وكان أحد من ينازع زيدا فى الوصية ، فكان الناس يجتمعون ليسمعوا مجاوباتهما فقط

وجماعة من ولد العباس فى عصر واحد لم يكن لهم نظراء فى أصالة الرأى ، وفى الكمال والجلالة ، وفى العلم بقريش والدولة ، وبرجال الدعوة ، مع البيان العجيب ، والغور البعيد ، والنفوس الشريفة ، والاقدار الرفيعة . وكانوا فوق الخطباء ، وفوق أصحاب الاخبار . وكانوا يجلون عن هذه الاسماء الا أن يصف الواصف بعضهم ببعض ذلك

منهم « عبد الملك بن صالح » ساله الرشيد ـ وسليمان بن أبى جعفر وعيسى بن جعفر شاهدان ـ فقال له : كيف رأيت أرض كذا وكذا ؟ قال : مسافى ريح ، ومنابت شيح . قال : فارض كذا وكذا ؟ قال : هضاب حمر ، وبراث عفر . حتى اتى على جميع ما أراد . فقال عيسى لسليمان : والله ما ينبغى لنا أن نرضى لانفسنا بالدون من الكلام .

الهضبة : الجبل ينبسط على الارض ، وجمعها هضاب . والبراث : الاماكن اللينة السهلة ، واحدها برث . وقوله : عفر ، أى حمرتها كحمرة التراب . والظبى الاعفر الاحمر ، لان حمرته كذلك والعَفر والعَفَر : التراب . ومنه قيل : ضربه حتى عفره ، أى ألحقه بالتراب

ومن هؤلاء « عبد الله بن صالح » و « العباس بن محمد » و « اسحق بن عيسى » و « اسحق بن سليمان » و « أيوب بن جعفر » هؤلاء كانوا أعلم بقريش وبالدولة وبرجال الدعوة من المعروفين برواية الاخبار . وكان ابرهيم بن السندى يحدثنى عن هؤلاء بشىء هو خلاف ما فى كتب الهيثم بن عدى ، وابن الكلبى ، واذا سمعته علمت أنه ليس من المؤلف المزور

وكان « عبد الله بن على » و « داود بن على » يعدلان بامة من الأمم .

ومن مواليهم « ابرهيم »و « نصر » ابنا « السندى »

فاما « نصر » فكان صاحب أخبار وأحاديث ، وكان لا يعدو حديث ابن الكلبي والهيثم

وأما « ابرهيم »فانه كان رجلا لا نظير له ، وكان خطيبا ، وكان ناسبا ،وكان فقيها، وكان نحويا عروضيا ، وحافظا للحديث ، راوية للشعر ، شاعرا . وكان فخم الألفاظ ، شريف المعانى . وكان كاتب القلم ، كاتب العمل . وكان يتكلم بكلام رؤبة ، ويعمل فى الخراج بعمل زاذان فروح الاعور . وكان منجما ، طبيبا ، وكان من رؤساء المتكلمين . وعالما بالدولة وبرجال الدعوة . وكان أحفظ الناس لما سمع ، وأقلهم نوما وأصبرهم على السهر

ومن خطباء تميم « جحدب » وكان خطيبا راوية ، وكان قضى على جرير فى بعض مذاهبه ، فقال جرير :

قَبَحَ الالهُ وَلا يُقَبِّحُ غَيرُهُ بَظْراً تَفَلَّقَ عَنْ مَفَارِقِ حَجْدَبِ

وهو الذى كان لقية خالد بن سلمة المخزومى الخطيب الناسب فقال : والله ما أنت من حنظلة الاكرمين ، ولا سعد الاكثرين ، ولا عمرو الاسدين ، وما فى تميم خير بعد هؤلاء . فقال له جحدب : والله انك لمن قريش ، وما أنت من بيتها، ولا من ثبوتها ، ولا من شورها وخلافتها ، ولا من أهل سدانتها وسقايتها

وهو شبيه بما قال خالد بن صفوان للعبدرى ، فانه قال له : هشمتك هاشم ، وأمتك أمية ، وخزمتك مخزوم ، وأنت من عبد دارها ، ومنتهى عارها ، تفتح لها الابواب اذا أقبلت ، وتغلقها اذا أدبرت .

ومن ولد المنذر « عبد الله بن شبرمة » بن طفيل بن هبيرة بن المنذر . وكان فقيها عالما قاضيا . وكان راوية شاعرا . وكان خطيبا ناسبا . وكان حاضر الجواب مفوها . وكان لاجتماع هذه الخصال فيه يشبه بعامر الشعبي . وكان يكنى أباشبرمة. وقال يحيي بن نوفل :

لما سألتُ النّاسَ أينَ المَكْرُمَهْ وَالعِزُّ والجُرثُومَةُ المُقدَّمَهْ

وأينَ فَارُوقُ الأُمُورِ المُحْكَمَهْ تَتابَعَ النّاسُ على ابنِ شُبْرُمَهْ

وابن شبرمة الذى يقول فى ابن أبى ليلى :

وكيفَ تُرجَّى لِفصْلِ القضاءِ ... وَلَمْ تُصبِ الحُكْمَ فى نَفسِكا

فَتَزْعُمُ أنَّكَ لابْنِ الجَلاحِ ... وَهَيْهَاتَ دَعْوَاكَ مِنْ أصْلِكا

وقال رجل من فقهاء المدينة: من عندنا خرج العلم. فقال ابن شبرمة : نعم ، ثم لم يرجع اليكم . وقال عيسى بن موسى : دلونى على رجل أوليه مكان كذا وكذا. فقال ابن شبرمة : أصلح الله الامير ، هل لك فى رجل إن دعوتموه أجابكم ، وإن تركتموه لم يأتكم ، ليس بالملحّ طلبا، ولا بالممعن هربا ؟

وسئل عن رجل فقال : إن له شرفاً وبيتاً وقَدماً . ونظروا فإذا هو ساقط من السفلة ،فقيل له فى ذلك ؟ فقال : ما كذبتُ ، شرفه أذناه ، وقدمه التى يمشى عليها ، ولا بد من أن يكون له بيت يأوى اليه

قال أبو اسحق : بل كذبتَ ، إنما هو كقول القائل حين سأله بعض من أراد تزويج حرمة عن رجل فقال : هو يبيع الدواب . فلما نظروا فى أمره وجدوه يبيع السنانير ، فلما سئل عن ذلك قال : ما كذبتُ ، لأن السِّنورَ دابة . قال أبو اسحق : بل لعمرى لقد كذب . وهذا مثل القائل حين سئل عن رجل فى تزويج امرأة فقال : رزينُ المجلس ، نافذُ الطعنة ، فحسبوه سيدا فارسا ، فنظروا فوجدوه خياطاً ، فسئل عن ذلك فقال : ما كذبتُ ، انه لطويل الجلوس ، جيد الطعن بالابرة . فقال أبو اسحق : بل لعمرى لقد كذب،لانه قدغرهم منه . وكذلك لوسأله رجل عن رجل يريد أن يسلفه مالا عظيما فقال : هو يملك مالا كان يبيعه بمائة ألف ومائة ألف . فلما بايعه الرجل وجده منعدما ضعيف الحيلة . فلما قيل له فى ذلك قال : ما كذبك لانه يملك عينيه وأذنيه وأنفه وشفتيه . حتى عد جميع أعضائه وجوارحه .

ومن قال للمستشير هذا القول فقد غره ، وذلك مما لايحل فى دين ، ولا يحسن في الحرية ، وهذا القول معصية لله تعالى والمعصية لاتكون صدقا . وأدنى منازل هذا الخبر لايسمى صدقا . فاما التسمية له بالكذب فان فيها كلاما يطول

ومن الخطباء المشهورين فى العوام والمقدمين فى الخواص «خالد بن صفوان الاهتمى » زعموا جميعاً انه كان عند أبى العباس أمير المؤمنين وكان من سماره وأهل المنزلة عنده ، ففخر عليه ناس من بَلحارث بن كعب وأكثروا فى القول ، فقال أبو العباس : لم لاتتكلم ياخالد ؟ فقال : أخوال أمير المؤمنين وعصبته . قال : فانتم

أعمام أمير المؤمنين وعصبته . قال خالد : وما عسى أن أقول لِقوم كانوا بين ناسج بُرد ، ودابغ جلد ، وسائس قرد ، وراكب عرد . دل عليهم هدهد ، وغرقتهم فأرة ، وملكتهم امرأة ؟

فلئن كان خالد قد فكر وتدبر هذا الكلام إنه للراوية الحافظ، والمؤلف المجيد. ولئن كان هذا شيئا حضره حين حرك و بسط فما له نظير فى الدنيا . فتامل هذا الكلام فانك ستجده مليحا مقبولا، وعظيم القدر جليلا . ولو خطب اليمانى بلسان سحبان وائل حولا كريتا (١) ثم صُك بهذه الفقرة ما قامت له قائمة

وكان أذكر الناس لاول كلامه وأحفظهم لكل شىء سلف من منطقه . قال مَكى بنُ سوادة فى صفته له :

عَلِيمٌ بِتَنْزِيلِ الكَلاَمِ مُلَقَّنٌ ذَكُورٌ لِمَا سَدَّاهُ أَوَّلَ أَوَّلا

يَبُدُّ قَرِيعَ القَوْمِ فِي كُلِّ مَحْفِلٍ وإِنْ كَانَ سَحْبَانَ الخَطِيبَ وَدَغْفَلا

تَرَى خُطَبَاءَ النَّاسِ يَوْمَ ارْتِجَالِهِ كَأَنَّهُمُ الكِرْوَانُ عَايَنَ أَجْدَلا

الكِروان :جمع كَروان ، وهو ذكر الحبارى. والاجدل : الصقر

وكان يقارض « شبيب بن شيبة »لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة . فذكر شبيب عنده مرة فقال : ليس له صديق فى السر ، ولا عدو فى العلانية .

وهذا كلام ليس يعرف قدره إلا الراسخون فى هذه الصناعة.

وكان خالد جميلا ولم يكن بالطويل ، فقالت له امرأة: انك لجميل يا أباصفوان. قال : وكيف تقولين هذا وما فىّ عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه ؟ فقيل له : ما عمود الجمال ؟ قال : الطول ولست بطويل ، ورداؤه البياض ولست بأبيض ، و برنسه سواد الشعر وأنا أشمط . ولكن قولى : إنك لمليح ظريف . وخالد يعد فى الصلعان

ولكلام خالد كتاب يدور فى أيدى الوراقين

وكان « الازهر بن عبدالحارث » بن ضرار بن عمرو الضبى ، عالما ناسبا ومن خطباء بنى ضبة « حنظلة بن ضرار » وقد أدرك الاسلام وطال عمره حتى

(١) حولا كريتا : أى عاما كاملا

أدرك يوم الجمل ، وقيل له : ما بقى منك ؟ قال : أذكر القديم ، وأنسى الحديث ، وآرق بالليل ، وأنام وسط القوم

ومن خطباء بنى ضبة وعلمائهم « مشجور بن غيلان » بن خرشة، وكان مقدما في المنطق ، وهو الذى كتب إلى الحجاج : انهم قد عرضوا على الذهب والفضة، فما ترى أن آخذ ؟ قال : أرى أن تأخذ الذهب . فذهب عنه هاربا ، ثم قتله بعد

وذكره القلاح بن حزن المنقرى فقال :

مِثَالُ مَشْجُورٍ قَلِيلٌ ومِثْلُهُ ... فَتَى الصِّدْقِ إِنْ صَفَّقْتَهُ كلَّ مُصَفَّقِ

وَمَا كُنْتُ أَشْرِيهِ بِدُنْيا عَرِيضَةٍ ... وَلَا ابنِ خَالٍ بَيْنَ غَرْبٍ ومَشْرِقِ

إِذا قالَ بَذَّ القَائلينَ مَقالُهُ ... ويأخُذُ منْ أكفَائِهِ بالمُخَنَّقِ

ومن خطباء الخوارج « قَطَرِىُّ بنُ الفُجَاءَةِ » له خطبة طويلة مشهورة ، وكلام كثير محفوظ . وكانت له كنيتان : كنية فى السلم ، وهو : أبو محمد، وكنية في الحرب، وهو: أبو نعامة

وكانت كنية « عامر بن الطفيل » فى الحرب غير كنيته فى السلم . كان يكنى فى الحرب بأبى عقيل ، وفى السلم : بأبى على

وكان « يزيد بن مَزْيَد » يكنى فى السلم بأبى خالد ، وفى الحرب بابى الزبير

وقال مسلم بن الوليد الانصارى :

لَوْلَا سُيُوفُ أَبِي الزُّبَيْرِ وَخَيْلُهُ ... بَشَرَ الوَلِيدُ لِسَيْفِهِ الضَّحَّاكَا

وفيه يقول :

لَوْلَا يَزِيدُ وَمِقدَارٌ لَهُ سَبَبٌ ... عَاشَ الوَلِيدُ مَعَ الغَاوِينَ أَعْوَامَا

سَلَّ الخَلِيفَةُ سَيْفًا مِنْ بَنِى مَطَرٍ ... يَمْضِى فَيَخْتَرِقُ الأَرْوَاحَ وَالْهَامَا

إِذَا الخِلَافَةُ عُدَّتْ كُنْتَ أَنْتَ لَهَا ... عِزًّا وَكَانَ بَنُو العَبَّاسِ حُكَّامَا

ألا تراه قد ذكر قتل الوليد

وقد كان « خالد بن يزيد » اكتنى بها فى الحرب فى بعض أيامه بمصر

وهذا الباب مستقصى مع غيره فى أبواب الكنى والاسماء وهو وارد عليكم ان شاء الله تعالى

ومن خطباء الخوارج « ابن صديقة » وهو القاسم بن عبد بالرحمن بن صديقة ، وكان صفريا، خطيبا ناسبا ، ويشوبه ببعض الظرف والهزل

ومن علماء الخوارج « شُبَيْلُ بْنُ غَرْزَةَ الضَّبُعِي » صاحب الغريب، وكان راوية خطيبا ، وشاعرا ناسبا ، وكان سبعين سنة رافضيا ، ثم انتقل خارجيا صفريا

ومن علماء الخوارج « الضحاك بن قيس الشيبانى » ويكنى أبا سعيد ، وهو الذى ملك العراق وسار فى خمسين ألفا ، وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن هشام بن عبد الملك ، وصليا خلفه

وقال شاعرهم :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَظْهَرَ دِينَهُ ... وَصَلَّتْ قُرَيْشٌ خَلْفَ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ

وكان « ابن عطاء الليثي » يسامر الرشيد ، وكان صاحب أخبار وأسمار ، وعلم بالانساب ، وكان أظرف الناس وأحلاهم

وكان « عبد العزيز بن عبد الله بن عامر » بن كريز ، راوية ناسبا ، وعالما بالعربية فصيحا

وكان « عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر » من أبين الناس وأفصحهم ، وكان مسلمة بن عبد الملك يقول : إنى لأنحى كور العمامة عن أذنى لاسمع كلام عبد الاعلى ابن عبد الله . وقال بعض الامراء .. وأظنه بلال بن أبى بردة ـ لابى نوفل الجارود بن أبى سبرة : ماذا تصنعون عند عبد الاعلى إذا كنتم عنده ؟ قال : يشاهدنا باحسن استماع وأحسن حديث ، ثم يأتى الطباخ فيمثل بين عينيه فيقول : ماعندك؟ فيقول : عندى لون كذا ، وجدى كذا ، ودجاجة كذا ، ومن الحلو كذا . قال : ولم يسأل عن ذلك ؟ قال : ليقصر كل رجل عما لا يشتهى حتى يأتيه ما يشتهى، ثم يأتون بالخوان فيتضايق و نتسع، ويقصر ونجتهد، فاذا شبعنا خوى نخوية الظليم ثم أقبل يأكل أكل الجائع المقرور

والجارود هو الذى قال : سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل . وهو

الذى قال :عليكم بالمربد فانه يطرد الفكر،ويجلو البصر ،ويجلب الخبر ، ويجمع بين ربيعة ومضر .

وصعد عثمان المنبر فارتج عليه فقال : إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهـذا المقام مقالا ، وأنتم إلى امام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب . وستأتيكم الخطب على وجهها وتعلمون ان شاء الله تعالى

وشخص « يزيد بن عمر بن هبيرة » الى هشام بن عبدالملك فتكلم ،فقال هشام: مامات من خلف مثل هذا . فقال « الابرش الكلبي » : ليس هنـاك ، أما تراه يرشح جبينه لضيق صدره ؟ قال يزيد : ما لذلك رشح ، ولكن لجلوسك فى هـذا الموضع .

وكان الابرش ثلاثبة نسابة ، وكان مصاحبا لهشام بن عبدالملك ، فلما أفضت إليه الخلافة سجد وسجد من كان عنده من جلسائه ، والابرش شاهد لم يسجد ، فقال له هشام : ما منعك أن تسجد يا أبرش ؟ قال : ولم أسجد وأنت اليوم معى ماشيا وغدا فوق طائرا ؟ قال : فان طرت بك معى ؟ قال : أتراك فاعلا ؟ قال : نعم . قال : فالآن طاب السجود . ودخل يزيد بن عمر على المنصور ـ وهو يومئذ أمير ـ فقال : أيها الامير ، ان عهد الله لا ينكث ، وعقده لا يحل ، وإن إمارتكم بكر ،فاذيقوا الناس حلاوتها، وجنبوهم مرارتها .

قال سهل بن هرون : دخل قطرب النحوى على المخلوع فقال: يا أمير المؤمنين، كانت عدتك أرفع من جائزتك . وهو يتبسم ، قال سهل: فاغتاظ الفضل بن الربيع ، فقلت له : ان هذا من الحصر والضعف،وليس هذا من الجلد والقوة ، أما تراه يفتل أصابعه ويرشح جبينه ؟

وقال عبد الملك لخالد بن سلمة المخزومى : من أخطب الناس ؟ قال : أنا . قال : ثم من ؟ قال : سيد جذام . يعنى روح بن زنباع . قال : ثم من ؟ قال : أخيفش ثقيف . يعنى الحجاج . قال : ثم من ، قال : أمير المؤمنين . قال : ويحك ،جعلتنى رابع أربعة ، قال : نعم ، هو ما سمعت .

ومن خطباء الخوارج وعلمائهم ورؤسائهم فى الفتيا،وشعرائهم ورؤساء قعدهم

« عِمْرَانُ بنُ حِطَّانٍ »

ومن علمائهم وشعرائهم وخطبائهم « حبيب بن خدرة الهلالى » وعداده فى بنى شيبان .

وممن كان يرى رأى الخوارج « أبو عبيدة » النحوى معمر بن المثنى مولى تيم بن مرة ولم يكن فى الارض خارجى ولا جماعى أعلم بجميع العلم منه.

وممن كان يرى رأى الخوارج « الهيثم بن عدى » الطائى ثم البحترى

وممن كان يرى رأى الخوارج « شعيب بن رباب » الحنفى أبو بكار صاحب احمد بن أبى خالد ومحمد بن حسان السكسكى

ومن الخوارج من علمائهم ورواتهم « مسلم بن كرزين » وكنيته أبو عبيدة وكان اباضيا

ومن علمائهم الصفرية، وممن كان مقنعا فى الاخبار لاصحاب الخوارج والجماعة جميعا « مليل » وأظنه من بنى ثعلبة

ومن أهل هذه الصنعة « أصفر بن عبد الرحمن » من أخوال « طوق بن مالك »

ومن خطبائهم وفقهائهم وعلمائهم « المقعطِلُ » قاضي عسكر الازارقة أيام قطرى .

ومن شعرائهم ورؤسائهم وخطبائهم « عبيدة بن هلال اليشكرى » وكان فى بنى السمين ، ومن بنى شيبان خطباء العرب ، وكان فيهم ذاك فاشيا ، ولذلك قال الاخطل :

فأَيْنَ السَّمِينُ لاَ يَقُومُ خَطِيبُهَا وَأَيْنَ ابنُ ذِى الجَدَّيْنِ لاَ يَتَكَلَّمُ

وقال سحيم بن حفص : كان « يزيد بن عبدالله بن رؤبة الشيبانى » من أخطب الناس عند « يزيد بن الوليد » فأمر للناس بعطاءين

ومن الخطباء « معبد بن طوق العنبرى » دخل على بعض الامراء فتكلم وهو قائم فأحسن ، قال فلما جلس تلهيع فى كلامه ، فقال له : ما أظرفك قائما وأموقك قاعداً ! قال : إنى إذا قمت جددت ، واذا قعدت هزلت . قال ما : أحسن ما خرجت منها !

ومن خطباء عبد القيس «مَصْقَلَةُ بنُ رَقَبَةَ بنِ مَصْقَلَةَ» و«كَرِبُ بنُ رَقَبَةَ» والعرب قد ذكروا من خطب العرب «العجوز» وهى خطبة لآل رقبة، ومتى تكلموا فلا بد لهم منها أو من بعضها «والعذراء» وهى خطبة «قيس بن خارجة» لانه كان أبا عذرها. «والشوهاء» وهى خطبة «سحبان وائل» وقيل ذلك لها من حسنها، وذلك أنه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر ولم يخطب خطيب

وكان «أبو عمار الطائى» خطيب مذحج كلها فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته، وكان النعمان أحمر العينين، أحمر الجلد، أحمر الشعر، وكان شديد العربدة، قتالا للندماء، فنهاه أبو قردودة الطائى عن منادمته، فلما قتله رثاه فقال:

انّى نَهَيْتُ ابْنَ عَمّارٍ وَقُلْتُ لهُ ... لاَ تأمَنَنْ أحْمَرَ العَيْنَيْنِ والشَعَرَه

إنَّ المُلُوكَ متَى تَنْزِلْ بِساحَتِهِمْ ... تَطِرْ بِنَارِكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرَرَه

ياجَفْنَةً كَازَاءِ الحَوْضِ قَدْ هَدَمُوا ... وَمَنْطِقاً مِثلَ وشَى اليُمْنَةِ الحَبَرَهْ

وقال الاصمعى: هو كقوله:

وَمَنْطِقٌ خُرِّقَ بالعَوَاسِلِ ... لَذَّ كَوَشْىِ اليُمْنَةِ المَرَاجِلِ

وسأل رسول الله ﷺ عمرو بن الاهتم عن الزبرقان بن بدر فقال: انه لمانع لحوزته، مطاع فى أذينه. قال الزبرقان: يارسول الله، إنه ليعلم منى أكثر مما قال، ولكنه حسدنى يارسول الله فى شرفى فقصر بى. فقال عمرو: هو والله زَمِرُ المُرُوءة ضيقُ العطن، لئيم الخال. فنظر النبى ﷺ فى عينيه فقال: يارسول الله، رضيت فقلتُ أحسنَ ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت فى الاولى، ولقد صدقت فى الآخرة: فقال رسول الله ﷺ «إنّ منَ البيان لسحرا»

وتكلم رجل فى حاجة عند عمر بن عبد العزيز ـ وكانت حاجته فى قضائها مشقة ـ فتكلم الرجل بكلام رقيق موجز وتأتى لها فقال عمر: والله ان هذا للسحر الحلال.

ومن أصحاب الاخبار والاثار «أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبى سبرة» وكان القاضى قبل أبى يوسف

ومن أصحاب الاخبار والاثار « أبو هُنَيْدَةَ » و « أبو نعامة » العدويان

ومن الخطباء « أيوب بن القرية » وهو الذى لما دخل على الحجاج قال له: ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال: ثلاثة حروف ، كأنهن ركب وقوف ، دنيا وآخرة ومعروف . ثم قال له فى بعض ما يقول : أقلنى عثرتى ، وأسغنى ريقى ، فانه لا بد للجواد من كبوة ، وللسيف من نبوة ، وللحليم من هفوة ؟ قال : كلا والله حتى أوردك جهنم . ألست القائل برُستاقاباد : تغدوا الجدى قبل أن يتعشاكم ؟

ومن خطباء غطفان في الجاهلية « خُوَيْلِدُ بنُ عَمْرٍو » و « العُشَرَاءُ بنُ جَابِر » بن عقيل بن هلال بن سمى بن مازن بن فزارة . وخويلد خطيب يوم الفجار

ومن أصحاب الاخبار والنسب والخطب وأهل البيان « الوضاح بن خيثمة »

ومن أصحاب الاخبار والنسب والخطب والحكام عند أصحاب النفورات « بنو الكواء » واياهم يعنى مسكين بن أنيف الدارمى حين ذكر أهل هذه الطبقة فقال :

كِلانَا شَاعِرٌ مِنْ حَيِّ صِدْقٍ ... ولكنَّ الرَّحَى فوقَ الثفالِ

وَحَكِّمْ دَغْفَلاً وَارْحَلْ إِلَيْهِ ... وَلاَ تُرِحِ المَطِيَّ مِنَ الْكَلالِ

تَعالَ إِلَى بَنِي الكَوَّاءِ يَقْضُوا ... بِعِلْمِهِمِ بِأَنْسَابِ الرِّجالِ

تَعالَ إِلى ابنِ مَذْعُورٍ شِهَابٍ ... يُنَبِّي بالسَّوَافِلِ وَالعَوَالي

وعِنْدَ الكَيِّسِ النَّمَرِيِّ عِلْمٌ ... وَلَوْ أَضْحَى بِمُنْخَرِقِ الشِّمالِ

ومن الخطباء القدماء « كعب بن لؤى » وكان يخطب على العرب عامة ، ويحض كنانة خاصة على البر ، فلما مات أكبروا موته ، فلم تزل كنانة تؤرخ بموت كعب ابن لؤى إلى عام الفيل .

ومن الخطباء الابيناء العلماء الذين جروا من الخطابة على أعراق قديمة « شبيب ابن شيبة » وهو الذى يقول فى صالح بن أبى جعفر المنصور ـ وقد كان المنصور اقام صالحاً فتكلم ـ فقال شبيب : مارأيت كاليوم أبين بياناً ، ولا أجود لساناً ، ولا أربط جنانا ، ولا أبل ريقا ، ولا أحسن طريقاً ، ولا أغمض عروقاً ، من صالح. وحق لمن كان أمير المؤمنين أباه ، والمهدى أخاه ، أن يكون كما قال زهير :

يَطْلُبُ شأوَ امْرَأَينِ قَدَّمَا حَسَناً نَالا الملوكَ وَبَذَّا هذِهِ السُّوقَا
هُوَ الجَوَادُ فإنْ يَلْحَقْ بِشأوِهِما عَلى تَكالِيفِهِ فَمِثْلُهُ لَحِقَا
أَوْ يَسْبِقاهُ على ما كانَ مِنْ مَهَلٍ فَمِثْلُ ماقَدَّما مِنْ صالِحٍ سَبَقَا

وخرج شبيب من دار الخلافة يوماً فقال له قائل : كيف رأيت الناس ؟ قال : رأيت الداخل راجياً ، والخارج راضياً . وقال خالدُ بنُ صفوان : إتقوا مجانيق الضعفاء . يريد الدعاء . وقال شبيب : أطلب الادب ، فانه دليل على المروءة ، وزيادة فى العقل ، وصاحب فى الغربة ، وصلة فى المجلس. وقال شبيب للمهدى يوماً : أراك الله فى بنيك ما أرى أباك فيك ، وأرى الله بنيك فيك ماأراك فى أبيك .

وقال أبو الحسن : قال زَيد بن على بن الحسين : أطلب مايعنيك واترك مالا يعنيك ، فان فى ترك مالا يعنيك دَرَكاً لما يعنيك ، وإنما تقدم على ماقدمت، ولست تقدم على ماأخرت ، فآثر ماتلقاه غداً على مالا تراه أبداً . أبو الحسن عن ابرهيم بن سعد قال : قال خالد بن صفوان : ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة ، أو بهيمة مهملة .

أبو الحسن قال : كان « أبو بكر » خطيباً . وكان « عمرُ » خطيباً . وكان « عثمان » خطيباً . وكان « على » خطيباً .

وكان من الخطباء « معاوية » و « يزيد » و « عبد الملك » و « معاوية بن يزيد » و « مروان » و « سليمان » و « يزيد بن الوليد » و « الوليد بن يزيد » و « الوليد بن عبد الملك » و « عمر بن عبد العزيز » .

ومن خطباء بنى هاشم « زيد بن على » و « عبد الله بن حسن » و « عبد الله بن معاوية » خطباء لايجارون .

ومن خطباء النساك والعباد « الحسن بن أبى الحسن البصرى » و « مطرف بن عبد الله الحرشى » و « مؤرّق العجلى » و « بكر بن عبد الله المزنى » و « محمد بن واسع الازدى » و « يزيد بن أبان الرقاشى » و « مالك بن دينار السامى » .

وليس الامر كما قال . فى هؤلاء القاص المجيد ، والواعظ البليغ ، وذو المنطق الوجيز . فأما الخطب فانا لانعلم أحداً يتقدم الحسن البصرى فيها . وهؤلاء وإن لم

يسموا خطباء فان الخطيب لم يكن يشق غبارهم

أبو الحسن قال : حدثنى أبو سليمان الحميرى قال : كان هشامُ بن عبدالملك يقول: إنى لأستصفق العمامة الرقيقة أن تكون على أذنى اذا كان « عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر » يتكلم ، مخافة أن يسقط عنى من حديثه شيء .

ومن الخطباء من بنى عبد الله بن غطفان « ابو البلاد» وكان راوية ناسباً

ومنهم « هاشم بن عبد الاعلى » الفزارى

ومن الخطباء « حفص بن معاوية الغلابى » وكان خطيباً ، وهو الذى قال ـ حين أشرك سليمان بن على بينه و بين مولى له على دارةالقتب ـ « أشركت بينى و بين غير الكَفِيّ ، ووليتنى غير السنىّ .

ومن بنى هلال بن عامر « زُرعة بن ضمرة » وهو الذى قيل : لولا غلو فيه ما كان كلامه إلا الذهب . وقام عند معاوية بالشام خطيباً فقال معاوية : يا أهل الشام هذا خالى فأتونى بخال مثله .

وكان ابنه « النعمان بن زُرعة » بن ضمرة من أخطب الناس ، وهو أحد من كان تخلص من الحجاج من فل ابن الأشعث بالكلام اللطيف .

قال سحيم بن حفص : ومن الخطباء « عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى » تكلم هو و « عبد الله بن الاهتم » عند عمر بن هبيرة يفضل عاصما عليه . فقال قائل يومئذ : الخل الحامض مالم يكن ماءً .

ومن خطباء بنى تميم « عمرو بن الاهتم » وكان يدعى المكحل لجماله، وهوالذى قيل فيه : انما شعره حلل منشرة بين أيدى الملوك تأخذ منه ماشاءت . ولم يكن فى بادية العرب في زمانه أخطب منه .

ومن بنى منقر « عبد الله بن الاهتم » وكان خطيباً ذا مقامات ووفادات .

ومن الخطباء « صفوان بن عبد الله بن الاهتم » وكان خطيباً رئيساً . وابنه « خالد بن صفوان » وقد وفد إلى هشام وكان من سمار أبى العباس .

ومنهم « عبد الله بن عبد الله بن الاهتم » قد ولى خراسان ووفد على الخلفاء وخطب عند الملوك .

ومن ولده « شبيب بن شيبة » بن عبد الله بن عبد الله بن الاهتم و « عبد الله

ابن عبد الله بن عبدالله بن الاهتم »و « خاقان بن الاهتم » وهو عبد الله بن عبد الله ابن عبد الله بن الاهتم

ومن خطبائهم « محمد الأحول بن خاقان » وكان خطيب بنى تميم ، وقدرأيته وسمعت كلامه

ومن خطبائهم « معمر بن خاقان » وقد وفد

ومن خطبائهم « مؤمل بن خاقان »

وقال أبو الزبير الثقفى : ما رأيت خطيبا من خطباء الامصار أشبه بخطباء البادية من المؤمل بن خاقان

ومن خطبائهم « خاقان بن المؤمل بن خاقان »

وكان «صباح بن خاقان» ذا علم و بيان ومعرفة، وشدة عارضة، وكثرة راوية، مع سخاء واحتمال ، وصبر على الحق، ونصرة للصديق، وقيام بحق الجار

ومن بنى منقر « الحكم بن النضر » وهو « أبو العلاء المنقرى » وكان يصرف لسانه حيث شاء مع جهارة واقتدار

ومن خطباء بنى صريم بن الحارث « الخزرج بن الصَّدى »

ومن خطباء بنى تميم ثم من مقاعس « عمارة بن أبى سليمان»

ومن وُلد مالك بن سعيد « عبد الله » و «خير» ابنا حبيب ، كانا ناشبين عالمين أديبين دينين

ومن وُلد مالك بن سعيد « عبدالله »و « العباس » أبنا رُوبة، وكان «العباس» علامة ناسبا راوية . وكان « عبد الله » أرجز الناس وأفصحهم ، ويكنى «أبا الشعثاء » وهو « العجاج »

ومن أصحاب الاخبار والنسب « أبو بكر الصديق »رضي الله عنه ، ثم « جبير ابن مُطعم » ثم « سعيد بن المسيب »ثم « محمد بن سعيد » بن المسيب ،ثم «قتادة » و « عبيد الله بن عبد الله بن عتبة المسعودى » الذى قال فى كلمة له فى عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه :

فَمِنَّا تُرَابَ الأَرْضِ مِنْهُ خُلِقْتُمَا ... وَفِيهِ المَعادُ والمَصِيرُ إِلَى الحَشْرِ

وَلاَ تَأْنَفَا أَنْ تَرجِعَا فَتُسَلِّمَا ... فما حُشِيَ الانْسَانُ شَرًّا مِنَ الكِبْرِ

فلَوْ شِئْتُ أُولِى فيكُما غَيْرَ واحدٍ عَلَانِيَةً أَوْ قالَ عِنْدِى في سِرِّ
فإنْ أنا لَمْ آمُرْ ولمْ أنْهَ عَنْكُمَا ضَحِكْتُ لَهُ حَتى يَلِجَّ ويَسْتَشْرِى

وهو الذى قيل له : كيف تقول الشعر مع النسك والفقه ؟ فقال : إن المصدور لا يملك أن ينفث .

وقد ذكر المصدور أبو زُبيد الطائى فى صفة الاسد فقال :

للصَّدْرِ مِنْهُ عَوِيلٌ فيهِ حَشْرَجَةٌ كأنَّما هُوَ مِنْ أحْشَاءِ مَصْدُورِ

ومن خطباء هذيل « أبو المليح الهذلى » أسامة بن عمير

ومنهم « أبو بكر الهذلى » كان خطيبا قاصاً ، وعالما بينا ، وعالما بالاخبار والاثار ، وهو الذى لما فاخر أهل الكوفة قال : لنا الساج ، والعاج ، والديباج ، والخراج ، والنهر العجاج .

﴿ باب من أسماء الكُهان والحُكام والخُطباء والعُلماء من قَحْطَان ﴾

قالوا : أكهن العرب وأسجعهم « سلمة بن أبى حية » وهو الذى يقال له « عزى سلمة »

ومنهم ومن خطباء عُمان « مرة بن فهم التليد » وهو الخطيب الذى أوفده المهلب إلى الحجاج

ومن العتيك « بشر بن المغيرة بن أبى صفرة » وهو الذى قال لبنى المهلب : يابنى عمى ، إنى والله قد قصرت عن شكاة العاتب ، وجاوزت شكاة المستعتب ، حتى كانى لست موصولا ولا محروماً ؛ فعدونى امرأ اخفتم لسانه ، أو رجوتم شكره . وإنى وإن قلت هذا فلما أبلانى الله بكم أعظم مما أبلاكم بى .

ومن خطباء اليمن ثم من حمير « الصباح بن شقى الحميرى » كان أخطب العرب

ومنهم ثم من الانصار « قيس بن الشماس » ومنهم « ثابت بن قيس بن الشماس » خطيب النبى ﷺ

ومنهم « روح بن زنباع » وهو الذى لما هم به معاوية قال : لا تشمتن بى عدواً أنت وقمته ، ولا تسوءن بى صديقا أنت سررته ، ولا تهدمن منى ركنا أنت بنيته .

هلا أتى حلمك وإحسانك على جهلى وإساءتى؟

ومن خطبائهم « الأسود الكذاب بن كعب العنسى » وكان « طليحة » خطيبا وشاعرا، وسجاعا كاهنا ناسبا . وكان « مسيلمة الكذاب » بعيدا من ذلك كله

و « ثابت بن قيس بن شماس » هو الذى قال لعامر حين قال : أما والله لئن تعرضت لعنى وفنى ، وذكاء سنى ، لتولين عنى . فقال له ثابت : أما والله لئن تعرضت لسبابى ، وشبا أنيابى ، وسرعة جوابى، لتكرهن جنابى . فقال النبى ﷺ « يكفيك الله وأبناء قيلة »

وأخذت هذا الحديث من رجل يصنع الكلام فأنا أتهمه

ومن خطباء الانصار « بشر بن عمرو بن محصن » وهو أبو عمرة الخطيب

ومن خطباء الانصار « سعد بن الربيع » وهو الذى اعترضت ابنته النبى ﷺ فقال لها : من أنت ؟ فقالت : ابنة الخطيب النقيب الشهيد، سعد بن الربيع .

ومنهم « خال حسان بن ثابت » وفيه يقول حسان :

إِنَّ خالِي خَطِيبُ جابِيَةِ الجَوْ ... لانَ عِنْدَ النُّعْمانِ حَيْثُ يَقُومُ

وإياه يعنى حسان بقوله :

رُبَّ خالٍ لِيَ لَوْ أَبْصَرْتَهُ ... سَبَطِ المِشْيَةِ فِي اليَوْمِ الخَصِرْ

ومنهم من الرواة والنسابين والعلماء « شرقى بن القطامى الكلبى » و « محمد ابن السائب الكلبى » و « عبد الله بن عياش الهمدانى » و « هشام بن محمد بن السائب الكلبى » و « الهيثم بن عدى الطائى » و « أبو روق الهمدانى » واسمه « عطية بن الحارث » و « أبو مخنف لوط بن يحيى الازدى » و « محمد بن عمر الاسلمى الواقدى » و « عوانة الكلبى » و « وابن عيينه المهلبى » و « الخليل بن احمد » الفراهيدى و « خلف بن حيان الاحمر » الاشعرى

قالوا: ومنا فى الجاهلية « عبيد بن شرية » ومنا « شق بن الصعب » ومنا « ربيع بن ربيعة السطيح الذئبى » ومنا « المأمور الحارثى » و « الديان بن عبد المدان الحارثى » الشريفان الكاهنان .

ومنهم « عمرو بن حنظلة بن نَهد الحكم » وله يقول القائل :

حَنْظَلَةُ بْنُ نَهْدٍ خَيْرُ ناسٍ مِنْ مَعَدّ

ومنهم « أبو الشطاح اللخمى » وجمع معاوية بينه و بين دَغفل بن حنظلة البكرى.

ومنهم « ابو الكناس الكندى » ومنهم « أبو مخوس الكندى » وكانا ناسبين عالمين .

ومن أصحاب الأخبار والآثار « عبدالله بن عتبة بن لهيعة » ويكنى أباعبدالرحمن.

ومن القدماء فى الحكمة والخطابة والرياسة « عبيد بن شرية » الجرهمى و « أسقف نجران » و « اُكَيْدِرْ » صاحب دومة الجندل و « أفيعى نجران » و « ذرب بن حوط » و « عُليم بن جناب » و « عمرو بن ربيعة » وهو لحى بن حارثة بن عمرو مزيقيا و « جَذِيمة بن مالك الابرش » وهو أول من أسرج الشمع ، ورمى بالمنجنيق

﴿ باب ذكر النسّاك والزهّاد من أهل البيان ﴾

« عامر بن عبد قيس » و « صلة بن أشيم » و « عثمان بن أدهم » و « صفوان بن محرز » و « الاسود بن كلثوم » و « الربيع بن خيثم » و « عمرو بن عتبة بن فرقد » و « هرم بن حيان » و « مؤرق العجلى » و « بكر بن عبد الله بن الشخير الحرشي »

وبعد هؤلاء « مالك بن دينار » و « حبيب أبو محمد » و « يزيد الرقاشى » و « صالح المرى » و « أبو حازم الاعرج » و « زياد » مولى عياش بن أبى ربيعة و « عبد الواحد بن زياد » و « حيان أبو الاسود » و « دهثم أبو العلاء »

ومن النساء « رابعة القيسية » و « معاذة العدوية » امرأة صلة بن أشيم و « أم الدرداء »

ومن نساء الخوارج « البلجاء » و « غزالة » و « قطام » و « حمادة » و « كحيلة »

ومن نساء الغالية « ليلى الناعطية » و « الصدوف » و « هند »

وممن كان من النساك ممن أدركناه « أبو الوليد » وهو « الحكم الكندى »

و « محمد بن محمد الحمرانى »

ومن القدماء، ممن كان يذكر بالقدر والرياسة ، والبيان ، والخطابة ، والحكمة، والدهاء والنكراء « لقمان بن عاد » و « لقيم بن لقمان » و « مجاشع بن دارم » و« سليط بن كعب » بن يربوع، سموه بذلك لسلاطة لسانه، وقال جرير :

إنَّ سَلِيطاً كاسْمِهِ سَلِيطُ

و« لؤى بن غالب » و « قس بن ساعدة » و « قصى بن كلاب »

ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء « أكثم بن صيفى » و « ربيعة بن حذار » و « هرم بن قطبة » و « وعامر بن الظرب » و « لبيد بن ربيعة »

وكان من الشعراء وأسماء الصوفية من النساك ممن يجيد الكلام « كلاب » و « كليب » و « هاشم الاوقص » و « أبو هاشم الصوفى » و « صالح بن عبد الجليل »

ومن القدماء العلماء بالنسب وبالغريب « الخطفى » وهو جد جرير بن عطية ابن الخطفى ، وهو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع ، وانما سمى الخطفى لابيات قالها

يَرْفَعْنَ بالليلِ إذا ما أسْدَفَا أعْنَاقَ جِنّانٍ وهاماً رُجَّفَا

وَعَنَقاً باقِى الرَّسِيمِ خَيْطَفَا

العَنق : ضرب من السير ، وهو المسبطرّ ، فاذا ارتفع عن العنق قليلا فهو التزيد ، فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل : والرسيم فوق الذميل . والخيطف : السريع، أى يخطف كما يخطف البرق ، وخيطف من الخطف ، والياء زائدة فى خيطف ، كما قالوا: رجل صيرف من الصرف ، ورجل جيدر من الجدر ، وهو القِصر ، وأصل الخطف الاخذ فى سرعة ، ثم استعير لكل سريع

﴿ ذكر القصاص ﴾

قص « الاسود بن سريع » وهو الذى قال :

فإنْ تَنْجُ مِنها تَنْجُ مِنْ ذِى عَظِيمَةٍ وإلاّ فإنّى لا إخالُكَ ناجِيَا

وقص « الحسن » و « سعيد » بن أبى الحسن

وكان « جعفر بن الحسن » أول من اتخذ فى مسجد البصرة حلقة وأقرأ القرآن [فيها]وقص« ابرهيم التيمى »

وقص « عبيد الله بن عمير الليثى » وجلس اليه « عبد الله بن عمر » حدثنى بذلك « عمرو بن فائد» باسناد له

ومن القصاص « أبو بكر الهذلى » وهو « عبدالله بن أبى سليمان» وكان خطيبا بينا ،صاحب أخبار وآثار

وقص ابنه « مطرف بن عبد الله » بن الشخير فى مكان أبيه

ومن كبار القصاص ثم من هذيل « مسلم بن جندب» وكان قاص مسجد النبى ﷺ بالمدينة،وكان امامهم وقارئهم ، وفيه يقول عمر بن عبد العزيز : من سره أن يسمع القرآن غضا فليسمع قراءة مسلم بن جندب

ومن القصاص«عبد الله بن عرادة » بن عبد الله بن الوضين ، وله مسجد فى بنى شيبان .

ومن القصاص « موسى الاسوارى » وكان من أعاجيب الدنيا،كانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس فى مجلسه المشهور به فيقعد العرب عن يمينه،والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية ، فلا يدرى بأى لسان هو أبين . واللغتان اذا التقتا فى اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها، إلا ما ذكروا من لسان « موسى بن سيار الاسوارى » ولم يكن فى هذه الامة بعد « أبى موسى الاشعرى » أقرأ فى محراب من « موسى بن سيار »

ثم « عثمان بن سعيد بن أسعد »

ثم «يونس النحوى» ثم «المعّلى»

ثم قص فى مسجده « أبو على الاسوارى » وهو «عمرو بن فائد »ستا وثلاثين سنة ، فابتدأ لهم فى تفسير سورة البقرة فما ختم القرآن حتى مات ، لانه كان حافظا للسير ولوجوه التأويلات ، فكان ربما يفسر آية واحدة فى عدة أسابيع ، كأن الآية ذكر فيها يوم بدر ، وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق فى ذلك من الاحاديث الكثيرة، وكان يقص فى فنون كثيرة من القصص ويجعل للقرآن نصيبا من ذلك. وكان « يونس بن حبيب » يسمع منه كلام العرب ويحتج به ، وخصاله المحمودة كثيرة .

ثم قص من بعده « القاسم بن يحيى » وهو « أبو العباس الضرير » لم يدرك فى القصاص مثله

وكان يقص معهما وبعدهما « مالك بن عبد الحميد المكفوف » ويزعمون أن « أبا على » لم يسمع منه كلمة غيبة قط ، ولا عارض أحدا من المخالفين والحساد والبغاة بشيء من المكافاة

فاما « صالح المرى » فانه كان يكنى «أبا بشر» وكان صحيح الكلام ، رقيق المجلس ، فذكر أصحابنا أن « سُفيان بن حبيب » لما دخل البصرة وتوارى عند « مرحوم العطار » قال له مرحوم : هل لك أن تأتى قاصا عندنا فتتفرج بالخروج والنظر الى الناس والاستماع منه ؟ فاتاه على تكره كانه ظنه كبعض من يبلغه شأنه ، فلما أتاه وسمع منطقه ، وسمع تلاوته للقرآن ، وسمعه يقول : حدثنا سعيد عن قتادة، وحدثنا قتادة عن الحسن، رأى بيانا لم يحتسبه ، ومذهبا لم يكن يدانيه ، فاقبل سُفيان على مرحوم فقال : هذا ليس قاصا هذا نذير

﴿ باب ماقيل في المَخاصِر والعِصِيّ وغيرهما ﴾

كانت العرب تخطب بالمخاصر ، وتعتمد على الأرض بالقسىّ ، وتشير بالعصي والقنا، نعم حتى كانت المخاصر لا تفارق أيدى الملوك فى مجالسها ، ولذلك قال الشاعر:

فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهَا عَبِقٌ ... بِكَفِّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ... فَمَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

إِنْ قَالَ قَالَ بِمَا يَهْوَى جَمِيعُهُمُ ... وَإِنْ تَكَلَّمَ يَوْمًا سَاحَتِ الكَلِمُ

يكادُ يُمسِكُهُ عِرْفانُ راحَتِهِ ... رُكْنُ الحَطِيمِ إذا ما جاءَ يَسْتَلِمُ
كَمْ هاتِفٍ لَكَ مِنْ داعٍ وداعِيَةٍ ... يَدْعُونَ ياقُثَمَ الخَيْراتِ ياقُثَمُ

وقال الشاعر قولا فسر فيه ما قلنا قال :

مجالِسُهُمْ خَفْضُ الحَدِيثِ وقَوْلُهُمْ ... إذا ماقَضَوْا في الأَمْرِ وحْيُ المَخاصِرِ

وقال الكميت بن زيد :

ونَزُورُ مَسْلَمَةَ المُهَذَّ ... بَ بالمُؤَيَّدَةِ السَّرائِرْ
بالمُذْهَباتِ المُعْجَبا ... تِ لِمُفْحَمٍ منّا وشاعِرْ
أهْلِ انتِجاوُبِ والمَحا ... فِلِ والمَقاوِلِ بالمَخاصِرْ
فَهُمُ كَذَلِكَ في المَجا ... لِسِ والمَحافِلِ والمَشاعِرْ

وكما قال الانصارى فى المجامع حيث يقول :

وسارَتْ بِنا سَيّارَةٌ ذاتُ سُورَةٍ ... بِكُومِ المَطايا والخُيولِ الجَماهِرِ
يَؤُمُّونَ مَلْكَ الشّامِ حَتّى تَمَكَّنُوا ... مُلُوكاً بأَرْضِ الشّامِ فَوْقَ المَنابِرِ
يُصِيبُونَ فَصْلَ القَوْلِ في كُلِّ خُطْبَةٍ ... إذا وَصَلُوا أَيْمانَهُمْ بالمَخاصِرِ

وفى المخاصر والعصي ، وفى خد وجه الارض باطراف القسى ، قال الحطيئة :

أَمْ مَنْ لَخِصْمٍ مُضْجِعِينَ قِسِيَّهُمْ ... صُعْرٍ خُدُودُهُمُ عِظامِ المَفْخَرِ

وقال لبيد بن ربيعة فى الاشارة :

غُلْبٌ تَشَذَّرُ بالدُّخُولِ كأَنَّها ... جِنُّ البَدِيِّ رَواسِياً أَقْدامُها

وقال فى خدّ وجه الارض بالعصى والقسي :

يَشِينِ صِحاحَ البِيدِ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... بِعُوجِ السَّراءِ عِنْدَ بابٍ مُحَجَّبِ

عوج : جمع عَوجاء، وهى هاهنا القوس . والسراء: شجر يعمل منه القوس : وفى مثله يقول الشاعر :

إذا اقْتَسَمَ النّاسُ فَضْلَ الفَخارِ ... أَطَلْنا عَلَى الأَرْضِ مَيْلَ العَصا

وقال الآخر .

كَتَبَتْ لَنَا فِي الأَرْضِ يَوْمَ مُحَرَّقٍ أَيَّامُنَا فِي الأَرْضِ يَوْماً فَيْصَلَا

وقال لبيد بن ربيعة فى ذكر القسى :

مَا إِنْ أُهَابُ إِذَا السُّرَادِقُ عَمَّهُ قَرْعُ القِسِيِّ وَأُرْعِشَ الرِّعْدِيدُ

وقال معن بن أوس المزنى :

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى رَسُولاً عُبَيْدَ اللهِ إِذْ عَجَلَ الرِّسَالَا

تُغَافِلُ دُونَنَا أَبْنَاءَ ثَوْرٍ وَنَحْنُ الأَكْثَرُونَ حَصًى وَمَالَا

إِذَا اجْتَمَعَ القَبَائِلُ جِئْتَ رِدْفاً أَمَامَ المَاسِحِينَ لَكَ السِّبَالَا

فَلَا تُعْطَى عَصَا الخُطَبَاءِ فِيهِمْ وَقَدْ تُكْفَى المَقَادَةَ وَالمَقَالَا

ومما قالوا فى حمل القناة قوله :

إِلَى آمْرِئٍ لَا تَخَطَّاهُ الرِّقَابُ وَلَا حُدْبُ الحِوَانِ إِذَا مَا اسْتُنْشِئَ الْعَرَقُ

صُلْبُ الحَيَازِيمِ لَا هَذْرُ الكَلَامِ إِذَا هَزَّ القَنَاةَ وَلَا مُسْتَعْجِلٌ زَهِقُ

وكما قال جرير الخطفى :

مَنْ لِلْقَنَاةِ إِذَا مَا عَنَّ قَائِلُهَا أَمْ لِلْأَعِنَّةِ يَا شِيبُ بْنَ عَمَّارِ

قال : ومثل هذا قول « أبى المجيب الربعى » : ما تزال تحفظ أخاك حتى يأخذ القناة، فعند ذلك يفضحك أو يسرك . يقول : اذا قام يخطب . وفى كتاب جبل بن يزيد : احفظ أخاك الا من نفسه . وقال عبد الله بن رؤبة : سأل رجل رؤبة عن أخطب بنى تميم، فقال. «خداش بن بشر بن لبيد» (١) ـ يعنى البعيث ـ وانما قيل له «البعيث» لقوله :

تُبَعِّثُ منى ما تُبَعِّثُ بعد ما أُمِرَّتْ حبالى كل مرّتها شَزَرا (٢)

---

(١) كان فى الاصل خداش بن لبيد بن بيلبة ، وهذا غلط والصواب ما أثبتناه « انظر صفحة ٥٢ »

(٢) البعيث : نقل صاحب المزهر عن وشاح ابن دريد أن البيت هكذا :

وزعم سحيم بن حفص أنه كان يقال : أخطب بنى تميم البعيث إذا أخذ القناة.
وقال يونس : لعمرى لئن كان مُغلباً فى الشعر لقد كان غلب فى الخطب .
ومن الشعراء من يغلب شيء قاله فى شعره على اسمه وكنيته فيسمى به (وهم) كثير فمنهم « البعيث » هذا
ومنهم عوف بن حصن (١) بن حذيفة بن بدر غلب عليه « عويف القوافى » لقوله :

سَأَكْذِبُ مَنْ قَدْ كانَ يَزْعُمُ أَنَّنِي إِذا قُلْتُ شِعْراً لا أُجِيدُ القَوافِيا

فسمى « عويف القوافى » :
ومنهم « يزيد بن ضرار » التغلبي غلب عليه « المزرد » لقوله :

فَقُلْتُ نَزَرِّدْهَا عُبَيْدُ فإِنَّنِي لِذُرْدِ المَوالِي فِي السِّنِينِ مُزَرِّدُ

فسمى « المزرد »
ومنهم « عمرو بن سعيد » بن مالك غلب عليه « المرقّش » وذلك لقوله :

الدَّارُ قَفْرٌ والرُّسُومُ كما رَقَّشَ فِي ظَهْرِ الأَدِيمِ قَلَمْ

فسمى « مرقشا »
ومنهم « شاس بن نهار العبدى » غلب عليه « الممزق » لقوله:

فإِنْ كُنْتُ مَأْكُولاً فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وإِلاَّ فأَدْرِكْنِي ولَمَّا أُمَزَّقِ

فسمى « الممزق »
ومنهم « جرير بن عبد المسيح » الضبعى غلب عليه « المتلمس » لقوله :

فَهَذَا أَوانُ العَرْضِ طَنَّ ذُبابُهُ زَنابِيرُهُ والأَزْرَقُ المُتَلَمِّسُ

ومنهم « عمرو بن رباح » بن عمرو السلمى أبو خنساء بنت عمرو، غلب « الشريد »

تبعث منى ما تبعث بعدما أمرت قواى واستتم غريمى

(١) عوف بن حصن : كان فى الاصل: عوف بن حصين وهو خطأ صوابه ما اثبتناه . وهو عوف بن معاوية بن عقبة بن عيينه بن حصن الفزارى . شاعر فحل من شعراء الدولة الاموية، ومن ساكنى الكوفة . وهو من أحد بيوت العرب المقدمة الفاخرة

على اسمه لقوله:

تَوَلَّى إِخْوَتِي وَبَقِيتُ فَرْداً وَحِيداً فِي دِيارِهِمِ شَرِيداً

فسمى « الشريد » وهذا كثير .

ودخل رجل من قيس عيلان على عبد الملك بن مروان فقال : زبيرى عميرى والله لا يحبك قلبي أبدا . قال : يا أمير المؤمنين إنما يجزع من فقدان الحب المرأة ولكن عدل وانصاف .

قال عمر لابى مريم الحنفى السلولى قاتل زيد بن الخطاب : لا يحبك قلبي أبدا، حتى تحب الارض الدم المسفوح .

وهذا مثل قول الحجاج : والله لاقلعنك قلع الصمغة . لان الصمغة اليابسة اذا فرقت عن الشجرة انقلعت انقلاع الجلبة . والارض لا تنشف الدم المسفوح ولا تمصه ، فمتى جف الدم وتجلب لم تره أخذ من الارض شيئا

ومن الخطباء « الغضبان بن القَبَعْثَرَىَ » وكان محبوسا فى سجن الحجاج ، فدعا به يوما فلما رآه قال : إنك لسمين ؟ قال : القيد والرتعة، ومن يكن ضيفا للامير يسمن

وقال يزيد بن عياض : لما نقم الناس على عثمان خرج يتوكأ على مروان وهو يقول : لكل أمة آفة ، ولكل نعمة عاهة ، وان آفة هذه الامة عيابون طعانون، يظهرون لكم ما تحبون، ويسرون ما تكرهون ، طغام مثل النعام، يتبعون أول ناعق. لقد نقموا على ما نقموه على عمر ، ولكن قمعهم ووقمهم ، والله إنى لاقرب ناصرا وأعز نفرا ، فضل فضل من مالى فمالى لا أفعل فى الفضل ماشاء ؟

ورأيت الناس يتداولون رسالة « يحيي بن يعمر » على لسان « يزيد بن المهلب » « إنا لقينا العدو فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة ، ولحقت طائفة بعرائر الاودية وأهضام الغيطان ، وبتنا بعرعرة الجبل، وبات العدو بحضيضه . فقال الحجاج : ما يزيد بابى عذرة هذا الكلام ؟ فقيل له : ان معه يحيي بن يعمر . فحمل اليه فلما أتاه قال : أين ولدت ؟ قال : بالاهواز . قال :فأنى لك هذه الفصاحة ؟ قال:أخذتها عن أبى

عرائر الاودية : أسافلها . وعراعر الجبال: أعاليها. وأهضام الغيطان:مداخلها . والغيطان : جمع غائط ، وهو الحائط ذو الشجر

ورأيتهم يديرون فى كتبهم ان امرأة خاصمت زوجها الى يحيي بن يعمر فانتهرها

مرارا ، فقال له يحيى : إن سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها ؟

قالوا :الضهل القليل . والشكر : الجماع . والشبر: البضع. تطلها : تذهب بحقها ، يقال دم مطلول . و يقال بئر ضهول أى قليلة الماء.

فان كانوا إنما رووا هذا الكلام لانه يدل على فصاحة ، فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة ، وان كانوا انما دونوه فى الكتب وتذاكروه فى المجالس لانه غريب فابيات من شعر العجاج ، أو شعر الطرماح ، أو أشعار هذيل ، تأتى لهم مع حسن الوصف على أكثر مما ذكروا . ولو خاطب بقوله : إن سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها . الأصمعى لظننت أنه سيجهل بعض ذلك ، فهذا ليس من اخلاق الكتاب ولا من آدابهم

أبو الحسن : كان غلام يقعر فى كلامه فأتى أبا الاسود الدؤلى يلتمس بعض ما عنده فقال له أبو الاسود: ما فعل أبوك ؟ قال : أخذته الحمى فطبخته طبخا ، وفتخته فتخا ، وفضخته فضخا ، فتركته فرخا .

فتخته: أضعفته ، والفتيخ: الرخو الضعيف . وفضخته: دقته

فقال أبو الاسود : فما فعلت أمرأته التى كانت تشاره وتماره وتهاره وتزاره ؟

قال : طلقها وتزوجت غيره، فرضيت ، وحظيت،وبظيت. قال أبو الاسود : قد علمنا رضيت وحظيت ، فما بظيت ؟ قال : بظيت ، حرف من الغريب لم يبلغك . قال أبو الاسود : يا بنى كل كلمة لا يعرفها عمك فاسترها كما تستر السنور خرؤها

قال ابو الحسن : مر « أبو علقمة النحوى » ببعض طرق البصرة وهاجت به مرة فوثب عليه قوم منهم فاقبلوا يعضون ابهامه ، ويؤذنون فى اذنه ، فأفلت من أيديهم فقال : ما لكم تتكأكأون على كانكم تتكأكأون على ذى جنة ؟ افرنقعوا عنى . قالوا : دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية . وقال أبو الحسن : هاج بأبى علقمة الدم فأتى بحجام فقال للحجام : اشدد قصب الملازم ، وأرهف ظبات المشارط ، وأسرع الوضع ، وعجل النزع ، وليكن شرطك وخزا ، ومصك نهزا ، ولا تكرهن أبيا ، ولا تردن أتيا . فوضع الحجام محاجمه فى جونته وانصرف

فحديث أبى علقمة فيه غريب ، وفيه أنه لو كان حجاما مرة مازاد على ماقال. وليس فى كلام يحيى بن يعمر شيء من الدنيا الا أنه غريب ،وهو أيضا من الغريب

بغيض

وذكروا عن محمد بن اسحق قال : لما جاء ابن الزبير - وهو بمكة - قتل مروان الضحاك بمرج راهط قام فينا خطيبا فقال : ان ثعلب بن ثعلب حفر بالصحصحة فأخطات أسته الحفرة ، والهف أم لم تلدنى على رجل من محارب كان يرعى فى جبال مكة فيأتى بالشربة من اللبن فيبيعها بالقبضة من الدقيق فيرى ذلك سدادا من عيش ثم أنشأ يطلب الخلافة ووراثة النبوة؟

وأول هذا الكلام مستكره ، وهو موجود فى كل كتاب ، وجار على لسان كل صاحب خبر ، وقد سمعت لابن الزبير كلاما كثيرا ليس هذا فى سبيله ولا يتعلق به

وقال أبو يعقوب الاعور السلمى:

وخَلْجَةِ ظَنٍّ يَسْبِقُ الطَّرْفَ حَزْمُهَا ... تَشِيفُ على غَيْمٍ وتُمْكِنُ مِنْ زَحْلِ

صَدَعْتُ بِهَا والقَوْمُ فَوْضَى كأَنَّهُمْ ... بَكَارَةُ مِرْبَاعٍ تُبَضْبِضُ لِلنَّحْلِ

خلجة ظن : أى ظن سريع . تشيف : تشرف . بكارة مرباع : أى نوق صغار قد أذلت للفحل ، مرباع : أى نوق ربيع ، والمرباع : ربع الغنيمة فى الجاهلية لصاحب الجيش . قال ابن عثمة :

لَكَ المِرْبَاعُ مِنْهَا والصَّفَايَا ... وَحُكْمُكَ والنَّشِيطَةُ والفُضُولُ

وقال رجل من بنى يربوع :

إِلَى اللهِ أَشْكُو ثُمَّ أَشْكُو إِلَيْكُمَا ... وهَلْ تَنْفَعُ الشَّكْوَى إِلَى مَنْ يَزِيدُهَا؟

حَزَازَاتِ حُبٍّ فِي الفُؤَادِ وعَبْرَةً ... أُظَلُّ بِأَطْرَافِ البَنَانِ أَذُودُهَا

بَخَعْنَ فُؤَادِى مِنْ مَخَافَةِ بَيْنِكُمْ ... حَنِينَ المُزَجَّى وِجْهَةً لا يُرِيدُهَا

وقد أحسن الآخر حيث يقول :

وأُكْرِمُ نَفْسِى عَنْ مَنَاكِحَ جَمَّةٍ ... ويَقْصُرُ مَالِى أَنْ أَنَالَ الغَوَالِيَا

وقال الآخر :

واذا العَبْدُ أَغْلَقَ البَابَ دُونِي ... لَمْ يُحَرِّمْ عَلَيَّ مَتْنُ الطَّرِيقِ

وقال الخليع المطاردى : كنا بالبادية إذ نشأ عارض ، وما فى السماء قزعة معلقة، وجاء السيل فاكتسح أبياتاً من بنى سعد فقلت :

فَرِحْنَا بِوَسْمِيٍّ تَأَلَّقَ وَدْقُهُ ... عِشَاءً فَأَبْكَانَا صَبَاحاً فَأَسْرَعَا

لَهُ ظُلَّةٌ كَأَنَّ رَيِّقَ وَبْلِهَا ... عَجَاجَةُ صَيْفٍ أَوْ دُخَانٌ تَرَفَّعَا

فَكَانَ عَلَى قَوْمٍ سَلَاماً وَنِعْمَةً ... وَأَلْحَقَ عاداً آخَرِينَ وَتُبَّعَا

وقال أبو عطاء السندى لعبيد الله بن عباس الكندى :

إِلَى مَعْشَرٍ أَرْدُوا أَخَاكَ وَكَفَّرُوا ... أَبَاكَ فَمَاذَا بَعْدَ ذَاكَ تَقُولُ

وَقُلْ لِعُبَيْدِ اللهِ : لَوْ كَانَ جَعْفَرٌ ... هُوَ الْحَيُّ لَمْ يَبْرَحْ وَأَنْتَ قَتِيلُ

فقال عبيد الله : أقول ، عض أبو عطاء ببظر أمه. فغلب عليه .

قال أبو عبيدة : قال أبو البصير فى أبى رهم السدوسى - وكان يلى الاعمال لأبى جعفر :

رَأَيْتُ أَبَارَهْمٍ يُقَرِّبُ مُنْجِحاً ... غُلَامَ أَبِي بِشْرٍ وَيَجْفُو أَبَا بِشْرِ

فَقُلْتُ لِيَحْيَى : كَيْفَ قَرَّبَ مُنْجِحاً؟ ... فَقَالَ : لَهُ أَيْرٌ يَزِيدُ عَلَى شِبْرِ

قال أبو عثمان : وقد طعنت الشعوبية على أخذ العرب المخصرة فى خطبها ،والقنا والقضيب ، والاتكاء والاعتماد على القوس ، والحد فى الارض ، والاشارة بالقضيب بكلام مستكره نذكره إن شاء الله تعالى فى الجزء الثالث .

ولا بد من أن نذكر فيه بعض كلام معاوية ، ويزيد ، وعبدالملك،وابن الزبير ، وسليمان ، وعمر بن عبد العزيز ، والوليد بن يزيد ، ويزيد بن الوليد ،لان الباقين من ملوكهم لم يذكر لهم من الكلام الذى يلحق بالخطب و بصناعة المنطق إلا اليسير .

ولا بد من أن نذكر فيه أقسام تأليف جميع الكلام ، وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور ، وهو منثور غير مقفى على مخارج الاشعار والاسجاع ، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان ، وتأليفه من أكبر الحجج .

ولا بد من أن يكون فيه ذكر شأن إسماعيل على نبينا وعليه السلام وانقلاب

لغته و بيانه بعد أربع عشرة سنة ، وكيف نسى لغته التى رُبى فيها وجرى على أعراقها ، وكيف لفظ بجميع حاجاته بالعربية عن غير تلقين ولا ترتيب ، وحتى لم تدخله عجمة ولا لكنة ولا حُبسة ، ولا تعلق بلسانه شيء من تلك العادة .

ولا بد من ذكر بعض كلام المأمون ومذاهبه و بعض ما يحضرنى من كلام آبائه وجِلة رهطة .

ولا بد أيضاً من ذكر من صعدا لمنبر فحصر وَخلط ،أو قال فأحسن ، ليكون الكتاب أكمل إن شاء الله تعالى .

ولا بد من ذكر المنابر ولم اتخذت ، وكيف كانت الخطباء من العرب فى الجاهلية وفى صدور الاسلام . وهل كانت المنابر لأمة غير أمتنا ؟ وكيف كانت الحال فى ذلك؟

وقد ذكرنا أن الامم التى فيها الأخلاق والآداب والحكم والعلم أربع ، وهى: العرب ، والهند ، وفارس ، والروم .

وقال حكيم بن عياش الكلبى :

أَلَمْ يَكُ مُلْكُ أَرْضِ اللهِ طُرًّا لِأَرْبَعَةٍ لَهُ مُتَمَيِّزِينَا ؟

لِحِمْيَرَ وَالنَّجَاشِيِّ وَابْنِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ غَيْرَ قَوْلِ الْمُمْتَرِينَا

فما أدرى بأى سبب وضع الحبشة فى هذا الموضع ، وأما ذكره لحمير فان كان إنما ذهب إلى تتبُّع نفسه فى الملوك فهذا له وجه ، وأما النجاشى فليس هو عند الملوك فى هذا المكان ، ولو كان النجاشى فى نفسه فوق تبع وكسرى وقيصر لما كان أهل مملكته من الحبش فى هذا الموضع ، وهو لم يفضل النجاشىَّ لمكان إسلامه؟ يدل على ذلك تفضيله لكسرى وقيصر ، وكان وضعُ كلامه على ذكر الممالك ثم ترك الممالك وأخذ فى ذكر الملوك

والدليل على أن العرب أنطق ، وأن لغتها أوسع ، وأن لفظها أدل ،وأن أقسام تأليف كلامها أكثر ، والامثال التى ضربت أجود وأسير .

والدليل على أن البديهة مقصورة عليها ،وأن الارتجال والاقتضاب خاص فيها.

وما الفرق بين أشعارهم و بين الكلام الذى تسميه الفرس والروم شعرا ؟ وكيف صار

النسيب فى أشعارهم وفى كلامهم الذى أدخلوه فى غنائهم وفى ألحانهم إنما يقال على ألسنة نسائهم ؟ وهذا لا يصاب فى العرب إلا القليل اليسير . وكيف صارت العرب تقطع الالحان الموزونة، على الاشعار الموزونة ، فتضع موزوناً على موزون ، والعجم تمطط الالفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل فى وزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون ؟

وسنذكر فى الجزء الثانى من أبواب اللحن والعى والغلط والغفلة أبواباً ظريفة ، ونذكر فيه النوكى من الوجوه ، ومجانين العرب ، ومن ضرب به المثل منهم ، ونوادر من كلامهم ، ومجانين الشعراء، لست أعنى مثل «مجنون بنى عامر» «ومجنون بنى جعدة» وإنما أعنى مثل «أبى حية» فى أهل البادية، ومثل «جعيفران» فى أهل الامصار، ومثل «أرسيموس» اليونانى ،

وسنذكر أيضاً بقية أسماء الخطباء والنساك، وأسماء الظرفاء والملحاء، ان شاء الله سبحانه وتعالى .

وسنذكر من كلام الحجاج وغيره ما أمكننا في بقية هذا الجزء إن شاء الله تعالى.

وقال أبو الحسن المدائنى : قال الحجاج لأنس بن مالك حين دخل عليه فى شأن ابنه عبد الله ، وكان خرج مع ابن الاشعث : لا مرحباً بك ولا أهلا ، لعنة الله عليك من شيخ جوّال فى الفتنة ، مرة مع أبى تراب، ومرة مع ابن الاشعث، والله لأقلعنك قلع الصمغة ، ولأعصبنك عصب السلمة ، ولأجردنك تجريد الضب . قال أنس : من يعنى الامير أبقاه الله ؟ قال : إياك أعنى ، أصم الله صداك . قال: فكتب أنس بذلك الى عبد الملك فكتب عبدُ الملك إلى الحجاج : بسم الله الرحمن الرحيم . يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب ، والله لقد هممتُ أن أركلك برجلى رَكلة تهوى بها فى نار جهنم ، قاتلك الله أخيفش العينين ، أصك الرجلين ، أسود الجاعرتين ، والسلام .

وكان الحجاج أخيفش مسلق الاجفان ، ولذلك قال إمام بن أرقم النميرى ، وكان الحجاج جعله على بعض شرط أبان بن مروان ثم حبسه فلما خرج قال :

طَليقُ اللهِ لَمْ يَمْنُنْ عَلَيْهِ ... أبُو داوُدَ وابْنُ أبِي كَثِيرِ

ولا الحَجَّاجُ عَيْنَىْ بِنْتِ ماءٍ ... تُقَلِّبُ طَرْفَها حَذَرَ الصقورِ

لان طير الماء لا يكون أبداً إلا منساق الاجفان . والخفش دون العمش . والعصب أن تعصب الشجرة ذات الشوك بالعصاب . وأصك الرجلين تصك احداهما الاخرى

وخطب الحجاج يوماً فقال فى خطبته : والله مابقى من الدنيا إلامثل مامضى، ولهو أشبه به من الماء بالماء ، والله ماأحب أن مامضى من الدنيا لى بعامتى هذه .

المفضل بن محمد الضبي قال : كتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم أن ابعث إلى بالآدم الجعدى الذى يفهمنى و يفهم عنى . فبعث إليه غدام بن شتير . فقال الحجاج: لله دره ، ما كتبت إليه فى أمر قط إلا فهم عنى وعرف ماأريد .

قال أبو الحسن وغيره : أراد الحجاج الحج فخطب الناس فقال : أيها الناس ، إنى أريد الحج وقد استخلفت عليكم ابنى محمداً هذا ، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله ﷺ فى الانصار ، إن رسول الله ﷺ أوصى أن يقبل من محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم ، ألا و إنى قد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ، ألا و إنكم ستقولون بعدى مقالة مايمنعكم من إظهارها إلا مخافتى ، ألا وإنكم ستقولون بعدى لا أحسن الله له الصحابة ، ألا و إنى معجل لكم الاجابة : لا أحسن الله الخلافة عليكم . ثم نزل

وكان يقول فى خطبته : أيها الناس ، إن الكف عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله .

وقال عمرو بن عبيد رحمه الله : كتب عبد الملك بن مروان وصية زياد بيده وأمر الناس بحفظها وتدبر معانيها : إن الله عز وجل جعل لعباده عقولا عاقبهم بها على معصيته وأثابهم بها على طاعته ، فالناس بين محسن بنعمة الله عليه، ومسىء بخذلان الله إياه ، ولله النعمة على المحسن والحجة على المسيء ، فما أولى من تمت عليه النعمة فى نفسه ورأى العبرة فى غيره بأن يضع الدنيا بحيث وضعها الله فيعطى ماعليه منها ولا يتكثر بما ليس له منها ، فان الدنيا دار فناء ولا سبيل الى بقائها ، ولا بد من لقاء الله. فأحذركم الله الذى حذّركم نفسه ، وأوصيكم بتعجيل ما أخرته العجزة قبل أن تصيروا إلى الدار التى صاروا إليها ، فلا تقدرون على توبة، وليس لكم منها أوبة، وأنا استخلف الله عليكم واستخلفه منكم .

وقد رُوى هذا الكلام عن الحجاج ، وزيادٌ أحق به منه

﴿ باب ما ذكروا فيه من أن أثر السيف يمحو أثر الكلام ﴾

قال جرير :

يُكَلِّفُنِي رَدَّ الْعَوَاقِبِ بَعْدَ مَا سَبَقْنَ كَسَبْقِ السَّيْفِ مَا قَالَ عَاذِلُهْ

وقال الكميت بن معروف :

خُذُوا الْعَقْلَ إِنْ أَعْطَاكُمُ الْعَقْلَ قَوْمُكُمْ وَكُونُوا كَمَنْ سِيمَ الْهَوَانَ فَأَرْبَعَا

وَلَا تُكْثِرُوا فِيهِ الضِّجَاجَ فَإِنَّهُ مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا

والمثل السائر من قبل هذا : سبق السيف العذل .

ومن أهل الادب « زكريا بن درهم » مولى بنى سليم بن منصور صاحب سعيد ابن عمرو الحرشى ، وزكريا هو الذى يقول :

لا تُنْكِرُوا لِسَعِيدٍ فَضْلَ نِعْمَتِهِ لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَا

ومن أهل الادب ممن وجهه هشام الى الحرشي « السرادق بن عبد الله السدوسى » الفارسى ، ولما ظفر سلم بن قتيبة بالازد كان من الجند فى دور الازد انتهاب وإحراق وآثار قبيحة فقام شبيب بن شيبة الى سلم بن قتيبة فقال : أيها الامير ، إن هريم بن عدى بن أبى طلحة ـ وكان غير منطيق ـ قال ليزيد بن عبد الملك فى شأن المهالبة : يا أمير المؤمنين ، إنا والله مارأينا أحداً ظلم ظلمك ، ولا نصر نصرك ، فافعل الثالثة نقلها .

قال الهيثم بن عدى : قام « عبدالله بن الحجاج » التغلبى الى عبدالملك بن مروان ، وقد كان أرادالاتصال به ، وقد كان عبدُ الملك حنقاعليه ، فأقام بابه حولا لا يصل ثم ثار فى وجهه فى بعض ركباته فقال :

أَدْنُو لِتَرْحَمَنِي وَتَرْتُقَ خَلَّتِي وَأَرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمَدْفَعُ

فقال عبد الملك : الى النار . فقال :

وَلَقَدْ أَذَقْتَ بَنِي سَعِيدٍ حَرَّهَا وَابْنَ الزُّبَيْرِ فَرَأْسُهُ مُتَضَعْضِعُ

فقال عبد الملك : قد كان بعض ذاك ، وأنا أستغفر الله

وقال أبو عبيدة: كان بين الحجاج وبين « العُدَيْلِ بنِ فَرْخ » العجلى بعض الامر فتوعده الحجاج بالقتل فقال العديل :

أَخَوَّفُ بِالْحَجَّاجِ حَتَّى كَأَنَّمَا ... يُحَرِّكُ عَظْمٌ فِى الْفُؤَادِ مَهِيضُ

وَدُونَ يَدِ الْحَجَّاجِ مِنْ أَنْ تَنَالَنِى ... بِسَاطٌ لِأَيْدِى الْيَعْمَلَاتِ عَرِيضُ

مَهَامِهُ أَشْبَاهٌ كَأَنَّ سَرَابَهَا ... مُلَاءٌ بِأَيْدِى الغَاسِلَاتِ رَحِيضُ

ثم ظفر به الحجاج فقال له : ياعديل ، هل نجاك بساطك العريض ؟ فقال: أيها الامير ، أنا الذى أقول فيك :

وَلَوْ كُنْتُ بِالْعَنْقَاءِ أَوْ بِأَسُومِهَا ... لَكَانَ لَحَجَّاجٍ عَلَىَّ دَلِيلُ

خَلِيلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيْفُهُ ... لِكُلِّ إِمَامٍ مُصْطَفًى وَخَلِيلُ

بَنَى قُبَّةَ الإِسْلَامِ حَتَّى كَأَنَّمَا ... هَدَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلَالِ رَسُولُ

فقال له الحجاج : اربح نفسك ، واحقن دمك ، وإياك واختها ، فقد كان الذى بينى وبين قتلك أقصر من إبهام الحبارى .

قال أبو الحسن : وقام الوليد بن عتبة بن أبى سفيان خطيباً بالمدينة ، وكان واليها، يعنى معاوية ويدعو الى بيعة يزيد ، فلما رأى روحُ بنُ زِنباع إبطاءهم قال : أيها الناس ، إنا لا ندعوكم إلى لخم وجذام وكلب ، ولكنا ندعوكم إلى قريش ، ومن جعل الله له هذا الامر واختصه به ، وهو يزيد بن معاوية ، ونحن أبناء الطعن والطاعون وفضلات الموت ، وعندنا إن أجبتم وأطعتم من المعونة والفائدة ماشئتم . فبايع الناس

قال: وخطب ابرهيم بن اسماعيل من وُلد المغيرة المخزومى فقال :

أَنَا ابْنُ الْوَغَى مَنْ شَاءَ أَحْرَزَ نَفْسَهُ ... (صَقْراً يَلُوذُ حَمَامُهُ بِالْعَرْفَجِ)

ثم قال :

اسْتَوْثِقِى أَحْمِرَةَ الْوَجِينِ ... سَمِعْنَ حِسَّ أَسَدٍ حَرُونِ

فَهُنَّ يَضْرِطْنَ وَيَنْتَزِين

ثم قال : والله إنى لابغض القرشى أن يكون فظا ، ياعجباً لقوم يقال لهم : من أبوكم ؟ فيقولون : أمنا من قريش . فتكلم رجل من عرض الناس وهو يخطب، فقال له غيره : صه ، فان الامام يخطب . فقال : إنما أمرنا بالانصات عند قراءة القرآن، لا عند ضراط أحمرة الوجين ؟

وقال آخر : سمعت « ابن هبيرة » على هذه الأعواد وهو يقول فى دعائه : اللهم انى أعوذ بك من عدوّ يسرى ، ومن جليس يفرى ، ومن صديق يطرى .

قال أبو الحسن : كان « نافع بن علقمة » بن نضلة بن صفوان بن محرث خال مروان واليا على مكة والمدينة ، وكان شاهراً سيفه لا يغمده ، و بلغه أن فتى من بنى سهم يذكره بكل قبيح ، فلما أتى به وأمر بضرب عنقه قال له الفتى : لاتعجل علىّ، ودعنى أتكلم . قال : أو بك كلام ؟ قال : نعم، وأزيد : يانافع ، وُليت الحرمين تحكم فى دمائنا وأموالنا ، وعندك أربع عقائل من العرب ، و بنيت ياقوتة بين الصفا والمروة ـ يعنى داره ـ وأنت نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث، أحسن الناس وجهاً وأكرمهم حسبا ، وليس لنا من ذلك إلا التراب ، فلم نحسدك على شىء منه ولم ننفسه عليك ، ونفست علينا أن نتكلم ؟ فقال : تكلم حتى ينفك فكاك .

على بن مجاهد عن جعد بن أبى الجعد ، قال صعصعة بن صوحان : ما أعيانى جواب أحد ما أعيانى جواب عثمان ، دخلت عليه فقلت له : أخرجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربنا الله . قال : نحن الذين أخرجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربنا الله ، فمنا من مات بأرض الحبشة ومنا من مات بالمدينة ؟

وقال الحجاج على منبره: والله لأحوننكم حو العصا ، ولاعصبنكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الابل . ياأهل العراق ، ياأهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الاخلاق ، إنى سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الذى يراد به الله فى الترغيب ، ولكنه التكبير الذى يراد به الترهيب ، وقد عرفت أنها عجاجة تحتها قصف فتنة . أى بنى اللكيعة، وعبيد العصا ، و بنى الاماء ، والله لئن قرعت عصا لأتركنكم كامس الدابر .

مالك بن دينار قال : ربما سمعت الحجاج يخطب ويذكر ماصنع به أهل

العراق وما صنع بهم ، فيقع في نفسي أنهم يظلمونه ، وأنه صادق ، لبيانه وحسن تخلصه بالحجج .

وقسم الحجاج مالا ، فأعطى منه مالكَ بنَ دينار فقبل ، وأراد أن يدفع منه إلى حبيب أبي محمد فأبى أن يقبل منه شيئاً . ثم مر حبيب بمالك وإذا هو يقسم ذلك المال ، فقال له مالك : أبا محمد ، لهذا قبلناه . فقال له حبيب : دعني مما هناك ، أسألك بالله : الحجاج اليوم أحب اليك أم قبل اليوم ؟ قال : بل اليوم . فقال حبيب : فلا خير في شيء حبب اليك الحجاج .

ومر « غَيْلَانُ بنُ خَرَشَةَ » الضَّبِّيّ مع « عبدالله بن عامر » على نهر عبدالله الذي يشق البصرة ، فقال عبد الله : ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر ؟ فقال غيلان : أجل أيها الامير ، يعلم القوم فيه صبيانهم السباحة ، ويكون لشفاههم ومسيل مياههم ، وتأتيهم فيه ميرتهم . قالوا : ثم مر غيلان يساير زياداً على ذلك النهر ، وكان قد عادى ابن عامر ، فقال زياد : ما أضر هذا النهر بأهل هذا المصر ؟ فقال غيلان : أجل والله أيها الامير ، تنزمنه دُروهم ، ويغرق فيه صبيانهم ، ومن أجله تكثر بعوضهم .

فالذين كرهوا البيان إنما كرهوا مثل هذا المذهب ، فأما نفسُ حسن البيان فليس يذمه إلا من عجز عنه ، ومن ذم البيان مدح العيَّ وكفى بذلك جهلا وخبالا

ولخالد بن صفوان في الجبن المأكول كلام ذهب فيه شبيهاً بهذا المذهب

ورجع طاوس عن مجلس محمد بن يوسف - وهو يومئذ والي اليمن - فقال : ما ظننت أن قول « سبحان الله » يكون معصية لله حتى كان اليوم ، سمعت رجلا أبلغ ابنَ يوسف عن رجل كلاماً ، فقال له رجل في المجلس « سبحان الله » كالمستعظم لذلك الكلام ، فغضب بنُ يوسف

قال أبو الحسن وغيره : دخل يزيد بن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك - وكان دميما - فلما رآه قال : على رجل أجرَّكَ رَسَنَكَ وسلّطَكَ على المسلمين لعنة لله . فقال : يا أمير المؤمنين ، انك رأيتني والامرُ عني مدبر ، ولو رأيتني والأمر عليَّ مقبل لاستعظمتَ من أمري ما استصغرت . فقال سليمان : أفترى الحجاجَ بلغ قعر جهنم بعدُ ؟ فقال يزيد : يا أمير المؤمنين ، يجيء الحجاج يوم القيامة بين أبيك وأخيك ، قابضاً على يمين أبيك وشمال أخيك ، فضعه من النار حيث شئت .

وذكر يزيدُ بنُ المهلب يَزِيدَ بنَ أبي مُسلم بالعفة عن الدينار والدرهم ، وهمَّ أن يستكفيه مُهماً من أمره ،فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ألا أدلك على من هو أزهد فى الدينار والدرهم منه ، وهو شر الخلق ؟ قال : بلى . قال : ابليس .

وقال أُسَيْلِم بن الاحنف للوليد بن عبد الملك قبل أن يستخلف : أصلح الله الامير ، اذا ظننت ظناً فلا تحققه ، واذا سألت الرجال فسلهم عما تعلم ، فاذا رأوا سرعة فهمك لما تعلم ظنوا بك ذلك فيما لاتعلم . ودُس من يسأل لك عما لاتعلم .

وكان أُسَيْلِم بن الأحنف الاسدى ذا بيان وأدب وعقل وجاه ، وهو الذى يقول فيه الشاعر :

أَلا أَيُّهَا الرَّكْبُ المحِثُّونَ هَلْ لَكُمْ ... بِسَيِّدِ أَهْلِ الشَّامِ تُحْبُوا وَتَرْجِعُوا

أُسَيْلِمُ ذَاكُمْ لاَ خَفَا بِمَكَانِهِ ... لِعَيْنٍ تَدَجَّا أَوْ لِأُذْنٍ تَسَمَّعُ

مِنَ النَّفَرِ الْبِيضِ الَّذِينَ إِذَا انْتَمَوْا ... وَهَابَ الرِّجَالُ حَلْقَةَ الْبَابِ قَعْقَعُوا

جَلاَ الأَذْفَرُ الأَحْوَى مِنَ الْمِسْكِ فَرْقَهُ ... وَطِيبُ الدهَانِ رَأْسَهُ فَهْوَ أَنْزَعُ

إِذَا النَّفَرُ السُّودُ الْيَمَانُونَ حَاوَلُوا ... لَهُ حَوْكَ بُرْدَيْهِ أَرَقُّوا وَأَوْسَعُوا

وهذا الشعر من أشعار الحفظ والمذاكرة

الهيثم بن عدى قال:قدمت وفود العراق على سليمان بن عبد الملك بعدما استخلف، فأمرهم بشتم الحجاج ،فقاموا يشتمونه ، فقال بعضهم : ان عدوّ الله الحجاج كان عبداً زَبَّاباً ، قَنوَّر بن قَنوَّر ، لانسب له فى العرب . قال سليمان : أى شتم هذا ؟ ان عدو الله الحجاج كتب الى : انما أنت نقطة من مداد . فان رأيت فىَّ مارأى أبوك وأخوك كنتُ لك كما كنت لهما . والا فانا الحجاج وأنت النقطة ، فان شئتُ محوتك وان شئتُ أثبتك . فالعنوه لعنه الله . فاقبل الناس يلعنونه . فقام ابن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى فقال : ياأمير المؤمنين . إنا نخبرك عن عدو الله بعلم . قال : هات . قال : كان عدو الله يتزين تزين المومسة . ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الاخيار . فاذا نزل عمل عمل الفراعنة . وأكذب فى حديثه من الدجال . فقال

سليمان لرجاء بن حيوة : هذا وأبيك الشتم . لا ماتأتى به السفلة .

وعن عوانة قال : قطع ناس من عمرو بن تميم وحنظلة على الحجاج بن يوسف، فكتب اليهم : من الحجاج بن يوسف ، أما بعد فانكم استخلصتم الفتنة ، فلا عن حق تقاتلون ، ولا عن منكر تنهون . وأيم الله ، انى لاهم أن يكون أول ما يردعليكم من قبلى خيل تنسف الطارف والتالد ، وتدع النساء أيامى ، والابناء يتامى ، والديار خرابا ، والسواد بياضا . فأيما رفقة مرت بأهل ماء فأهل ذلك الماء ضامنون لها حتى تصير الى الماء الذى يليه ، تقدمة منى اليكم ، والسعيد من وُعظ بغيره والسلام

مسلمة بن محارب قال : كان الحجاج يقول : أخطبُ الناس صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة ، اذا شاء خطب ، واذا شاء سكت .

يعنى الحسن . يقول : انه لم ينصب نفسه للخطب

ولما اجتمعت الخطباء عند معاوية في شأن يزيد وفيهم الاحنف قام رجل من حمير فقال : انا لا نطيق أفواه الكمال ، بريد الجمال ـ عليهم المقال ، وعلينا الفعال.

وهذا من الحميرى يدل على تشادق خطباء نزار

سفيان بن عيينة قال : قال ابن عباس : اذا ترك العالم قولَ لاأدرى أصيبت مقاتله . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : من قال:لاأدرى.فقدأحرز نصف العلم لان الذى له على نفسه هذه القوة فقد دلنا على جودة التثبت وكثرة الطلب وقوة المنة

وقيل للمسيح بن مريم صلوات الله عليه : من نجالس ؟ قال : من يزيد فى علمكم منطقه ، وتذكركم الله رؤيته ، ويرغبكم فى الآخرة عمله . ومر المسيح بقوم يبكون فقال : ما لهؤلاء يبكون ؟ قالوا : يخافون ذنوبهم.قال : اتركوها يغفرلكم :

قال الوصافى دخل الهيثم بن الاسود بن العريان — وكان شاعراً خطيبا — على عبد الملك بن مروان فقال له : كيف نجدك ؟ قال : أجدنى قد ابيض منى ما كنت أحب أن يسود ، وأسود منى ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين ، ولان منى ما كنت أحب أن يشتد . ثم أنشد:

إِسْمَعْ أُنَبِّئْكَ بِآيَاتِ الْكِبَرْ نَوْمُ الْعِشَاءِ وَسُعَالٌ بِالسَّحَرْ

وَقِلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرْ وَقِلَّةُ الطَّعْمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرْ

وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ وَتَحْمِيجُ النَّظَرْ وَحَذَراً أَزْدَادُهُ إِلى حَذَرْ
وَتَرْكِيَ الْحَسْنَاءَ فِي قَبْلِ الطُّهُرْ وَالنَّاسُ يَبْلَوْنَ كَمَا يَبْلَى الشَّجَرْ

وقالوا :مروا الاحداث بالمراء،والكهول بالفكر . وقال عبد الله بن الحسين: المراء رائد الغضب . فاخزى الله عقلا ياتيك به الغضب .

وقالوا : أربعة تشتد معاشرتهم : الرجل المتوانى ، والرجل العالم ،والفرس المرح، والملك الشديد المملكة . وقال غاز أبو مجاهد يعارضه : أربعة تشتد مؤنتهم: النديم المعربد ، والجليس الاحمق ، والمغنى التائه ، والسفلة اذ نفروا .

وقال أبو شمر الغسانى : أقبل على فلان باللحظ واللفظ . وما الكلام الازجر أو وعيد .

« قال عمير بن الحباب — وروى ذلك عنه مسعر — ما أغرت على حى فى الجاهلية أحزم امرأة ولا أعجز رجلا من كلب ، وأحزم رجلا وأعجز امرأة من تغلب . وقامت امرأة من تغلب إلى الجحاف بن حكيم ـ حين أوقع بالبشر فقتل الرجال وبقر بطون النساء ـ فقالت له : فض الله فاك ، وأصمك وأعماك ،وأطال سهادك ،وأقل رقادك . فوالله إن قتلت الا نساء أسافلهن دُمى . وأعاليهن ثدى . فقال الجحاف لمن حوله : لولا أن تلد مثلها لخليت سبيلها . فبلغ ذلك الحسن فقال: إنما الجحاف جذوة من نار جهنم .

وكان عامر بن الظرب العدوانى حكيما وكان خطيباً رئيساً ، وهو القائل:يامعشر عدوان ، إن الخير ألوف عزوف ، ولن يفارق صاحبه حتى يفارقه . وانى لم أكن حكيماً حتى اتبعتُ الحكماء ، ولم أك سيدكم حتى تعبدت لكم .

وقال أعشي بنى شيبان :

وَلاَ أَنَا فِي أَمْرِى وَلاَ فِى خَلِيقَتِى بِمُهْتَضَمٍ حَقِّى وَلاَ قَارِعٍ سِنِّى
وَلاَ مُسْلِمٍ مَوْلاَىَ مِنْ شَرِّ مَاجَنَى وَلاَ خَائِفٍ مَوْلاَىَ مِنْ شَرِّ مَا أَجْنَى
وَإِنِّ فُؤَاداً بَيْنَ جَنْبَىَّ عَالِمٌ بِمَا أَبْصَرَتْ عَيْنِى وَمَا سَمِعَتْ أُذْنِى
وَفَضَّلَنِى فِى الْقَوْلِ وَالشِّعْرِ أَنَّنِى أَقُولُ بِمَا أَهْوَى وَأَعْرِفُ مَا أَعْنَى

وقال رجل من ولد العباس : ليس ينبغى للقرشي أن يستغرق فى شيء من العلم الا علم الاخبار . فأما غير ذلك فالنتف والشذر من القول .

وقال آخر :

وَصَافِيَةٍ تُغْشِى الْعُيُونَ رَقِيقَةٍ ... رَهِينَةِ عَامٍ فِي الدِّنَانِ وَعَامِ

أَدَرْنَا بِهَا الْكَأْسَ الرَّوِيَّةَ بَيْنَنَا ... مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى انْجَابَ كُلَّ ظَلَامَ

فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى كَأَنَّنَا ... مِنَ الْعِىِّ نَحْكِى أَحْمَدَ بْنَ هِشَامَ

ومر رجل من قريش بفتى من ولد عتاب بن أسيد وهو يقرأ كتاب سيبويه فقال : أف لكم ، علم المؤدبين وهمة المحتاجين ؟ وقال ابن عتاب : يكون الرجل نحوياً عروضياً ،وقساماً فرضياً ، وحسن الكتابة جيد الحساب ، حافظاً للقرآن ، راوية للشعر ، وهو يرضى أن يعلم أولادنا بستين درهما ، ولو أن رجلا كان حسن البيان ، حسن التخريج للمعانى . ليس عنده غير ذلك ، لم يرض بألف درهم .

لأن النحوى الذى لا إمتاع عنده كالنجار الذى يدعى ليعلق باباً وهو أحذق الناس ثم يفرغ من تعليقه ذلك الباب فيقال له انصرف . وصاحب الامتاع يراد فى الحالات كلها .

وقال عبد الله بن يزيد السفيانى : عوّد نفسك الصبر على جليس السوء فانه لا يكاد يخطئك . وقال سهل بن عبد العزيز : من ثقل عليك بنفسه ، وغمك فى سؤاله، فألزمه أذنا صماء ، وعينا عمياء . سهيل بن أبى صالح عن أبيه قال : كان أبو هريرة إذا استثقل رجلا قال : اللهم اغفر له وأرحنا منه . وقال ابن أبى أمية : شهدت الرقاشى فى مجلس وكان الى بغيضاً مقيتا

فَقَالَ اقْتَرِحْ كُلَّ مَا تَشْتَهِى ... فَقُلْتُ اقْتَرَحْتُ عَلَيْكَ السُّكُوتَا

وقال ابن عباس : العلم أكثر من أن يحصى ، فخذوا من كل شيء أحسنه .

المدائنى عن العباس بن عامر قال : خطب محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر ابن عبد العزيز رحمه الله أخته فقال : الحمد لله رب العزة والكبرياء . وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء . أما بعد فقد أحسن بك ظناً من أودعك حرمته ، واختارك ولم يختر

عليك . وقد زوجناك على مافى كتاب الله . إمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ باحسان .

وخطب أعرابى وأعجله القول وكره أن تكون خطبته بلا تحميد ولا تمجيد فقال : الحمد لله غير ملال لذكر الله . ولا إيثار غيره عليه : ثم ابتدأ القول فى حاجته

وسأل أعرابي ناساً فقال : جعل الله حظكم فى الخير ، ولا جعل حظ السائل منكم عذرة صادقة .

وكتب ابرهيم بن سيابة الى صديق له كثير المال ، كثير الدخل ، كثير النض ، إما مستسلفاً وإما سائلا ، فكتب اليه الرجل : العيال كثير ، والدين ثقيل ، والدخل قليل ، والمال مكذوب عليه . فكتب اليه ابرهيم : إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وان كنت محجوجاً فجعلك الله محذورا .

وقال الشاعر :

لَعَلَّ مُفِيدَاتِ الزَّمَانِ يُفِدْنَنِي ... بَنِي صَامِتٍ فِي غَيرِ شَيءٍ يَضِيرُهَا

وقال أعرابى : اللهم لا تنزلنى ماء سوء فاكون إمرأ سوء . وقال أعرابى : اللهم قنى عثرات الكرام . وسمع مجاشع الربعى رجلا يقول : الشحيح أعذر من الظالم . فقال : أخزى الله شيئين خيرهما الشح :

وأنشدنا أبو فروة :

إنى مَدَحْتُكَ كاذِباً فَأَثَبْتَنِي ... لَمَا مَدَحْتُكَ مَا يُثَابُ الْكَاذِب

وأنشد على بن معاذ :

تَالَبَنِي عَمْرٌو وَتَالَبْتُهُ ... فَأَثِمَ الْمَثْلُوبُ وَالثَّالِبُ

قُلْتُ لَهُ خَيْراً وَقَالَ الْخَنَا ... كِلَّا عَلَى صَاحِبِهِ كَاذِبْ

أبو معشر قال : لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان عمرو ابن سعيد قام خطيباً فقال : إن أبا ذبان قتل لطيمَ الشيطان ، كذلك نوَلى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون .

ولما جلس عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه على المنبر قال : يا أيها الناس ، إن الله قد فتح عليكم أفريقية ، وقد بعث إليكم ابنُ أبى سرح عبدَ الله بن الزبير

بالفتح : قم يا ابن الزبير . قال : فقمت وخطبت ، فلما نزلت قال : يا أيها الناس ، أنكحوا النساء على آبائهن وأخواتهن ، فانى لم أر لأبى بكر الصديق ولداً أشبه به من هذا .

وقال الجرمى :

أَعْدَدْتُهُ ذُخْراً لِكُلِّ مُلِمَّةٍ وَسَهْمُ المَنَايَا بِالذَّخَائِرِ مُولَعُ

وذكر أبو العيزار جماعة من الخوارج بالادب والخطب :

وَمُسَوِّمٍ لِلْمَوْتِ يَرْكَبُ دِرْعَهُ بَيْنَ الْقَوَاضِبِ وَالْقَنَا الْخَطَّارِ
يَدْنُو وَتَرْفَعُهُ الرِّمَاحُ كَأَنَّهُ شِلْوٌ تَنَشَّبَ فِي مَخَالِبِ ضَارِ
فَثَوَى صَرِيعاً وَالرِّمَاحُ تَنُوشُهُ إِنَّ الشُّرَاةَ قَصِيرَةُ الأَعْمَارِ
أُدَبَاءُ إِمَّا جِئْتَهُمْ خُطَبَاءُ ضُمْنَاءُ كُلُّ كَتِيبَةٍ جَرَّارِ

ولما خطب «سفيان بن الابرد» الاصم الكلبى ، فبلغ فى الترغيب والترهيب المبالغ ، ورأى «عبد الله بن هلال اليشكرى» أن ذلك قد فت أعضاد أصحابه أنشأ يقول :

لَعَمْرِى لَقَدْ قَامَ الأَصَمُّ بِخُطْبَةٍ لَهَا فِي صُدُورِ الْمُسْلِمِينَ غَلِيلُ
لَعَمْرِى لَئِنْ أَعْطَيْتُ سُفْيَانَ بَيْعَتِى وَفَارَقْتُ دِينِي إِنَّنِى لَجَهُولُ

فت فى عضدى : أى غرنى وخوفنى .

وقال أحد الخطباء الذين تكلموا عند الاسكندر ميتا : كان أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس . فاخذ أبو العتاهية هذا المعنى بعينه فقال :

بَكَيْتُكَ يَا عَلِيُّ بِدَمْعِ عَيْنِي فَلَمْ يُغْنِ الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْا
طَوَتْكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرٍ كَذَاكَ خُطُوبُهُ نَشْراً وَطَيَّا
كَفَى حُزْناً بِدَفْنِكَ ثُمَّ إِنِّى نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدَيَّا
وَكَانَتْ فِى حَيَاتِكَ لِى عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَّا

ومن الاسجاع الحسنة قول الاعرابية لابنها حين خاصمته الى عامل الماء : أما

كان بطنى لك وعاء ؟ أما كان حجرى لك فناء ؟ أما كان ثدى لك سقاء ؟ فقال ابنها : أصبحت خطيبة ، رضى الله تعالى عنك .

لأنها قد أتت على حاجتها بالكلام الوجيز المتخير كما يبلغ ذلك الخطيب بخطبته وقال النمر بن تولب :

وَقَالَتْ أَلاَ فَاسْمَعْ لِلفْظِي وَخُطْبَتِي فَقُلْتُ سَمِعْنَا فَانْطقِي وَأَصِيبِي
فَلَمْ تنطقِي حَقًّا ولستِ بأهلهِ فقبحتِ مِنْ قائلٍ وخطيبِ

وقال أبو عياد كاتب أبى خالد : ماجلس أحد قط بين يدىَّ إلا تمثل لى أنى سأجلس بين يديه .

قال الله عز وجل «وَقُلْ لَهُمْ فِى أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا» ليس يريد بلاغة اللسان، وان كان اللسان لايبلغ من القلوب حيث يريد الا بالبلاغة

وكانت خطبة قريش فى الجاهلية ـ يعنى خطبة النساء ـ : باسمك اللهم. ذكرت فلانة وفلان بها مشغوف . باسمك اللهم . لك ماسألت ولنا ما أعطيت .

ولما مات عبدُ الملك بن مروان صعد المنبر الوليد ابنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : لم أر مثلها مصيبة ، ولم أر مثلها ثوابا : موت أمير المؤمنين ، والخلافة بعده . إنا لله وإنا إليه راجعون على المصيبة ، والحمد لله على النعمة . انهضوا فبايعوا على بركة الله رحمكم الله . فقام اليه عبد الله بن همام فقال :

اللهُ أعطاكَ التى لَا فَوْقَهَا وَقَدْ أَرَادَ المُلْحِدُونَ عَوْقَهَا
عَنْكَ ويأبَى اللهُ إلا سَوْقَها إِليكَ حتى قلدُوكَ طوْقَهَا

فبايع الناس

وقيل لعمرو بن العاص فى مرضه الذى مات فيه : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى أذوب ولا أثوب ، وأجد نجوى اكثر من رُزئى ، فما بقاء الشيخ على ذلك ؟

وقيل لاعرابى كانت به أمراض عدة : كيف تجدك ؟ قال : أما الذى يعمدنى فحصر وأسر .

وقال مقاتل : سمعت يزيد بن المهلب يخطب بواسط فقال : يا أهل العراق ،

يا أهل السبق والسباق، ومكارم الاخلاق ، ان أهل الشام فى أفواههم لقمة دسمة قد رتبت لها الاشداق ، وقاموا لها على ساق ، وهم غير تاركيها لكم بالمراء والجدال ، فالبسوا لهم جلود النمور

انتهى الجزء الأول ويتلوه الجزء الثانى
وأوله « استدراك وتكميل لترجمة الجاحظ »

فهرس الجزء الاول

من كتاب البيان والتبيين

	صفحة
الجاحظ : ترجمته	٢
نسبه وكنيته	
مقامه ومنزلته	
مولده ومنشأوه	
معارفه	٣
صحبته بابن الزيات	
هو وابن أبى دؤاد	
مذهبه فى الاعتزال	٤
مما ثلبه به خصومه	٥
رأيه فى الخليل بن احمد	٧
من آراء العافين فيه	
شىء من أخباره ونوادره	٨
نخب من رسائله الخاصة	١١
نبذ من شعره	١٥
مرضه وما قيل فى سببه	
مؤلفاته	١٨
فاتحة الكتاب	٢١
فتنة القول وفتنة العمل ، والاستعاذة منهما . ومن السلاطة والهذر ، والعى والحصر	
النمر بن تولب : ترجمته	
ابو العيال الهذلى : ترجمته	
بشار بن برد : ترجمته	٢٢
أحيحة بن الجلاح : ترجمته	٢٣
حميد بن ثور الهلالى : ترجمته	٢٤
سحبان وائل : ترجمته	
بزرجمهر بن البختكان : قوله فى وسائل ستر العى	٢٥
موسى عليه السلام وعقدة لسانه	
وصف العرب برجاحة الاحلام و بلاغة المنطق وصحة العقول وشاهد القرآن على ذلك	٢٦
أفنون التغلبى : ترجمته	
الضيافة وآدابها عند العرب	٢٧
حاتم الطائى : ترجمته	
عمرو بن الاهتم : ترجمته	
رجع الى وصف العرب وقوة لسنهم . وفرق مابين مضرة السلاطة والهذر ، والعى والحصر	٢٨
فى ان المتشدق المتقعر أعذر من العى يتكلف الخطابة	٢٩
الكلام على واصل بن عطاء ولثغته وقوة بيانه	٣٠
واصل بن عطاء : ترجمته	
اللثغة بالراء وضروبها	٣١
هجو بشار لواصل بن عطاء	
تفضيل بشار النار على الطين . وكلمة واصل فى بشار	
اعجاب عمر الشمرى باقتدار واصل على تجنب الراء فى كلامه .	٣٢
فرق مابين البر والقمح والحنطة ، لغة	
المتنخل الهذلى : ترجمته	
أمية بن أبى الصلت : ترجمته	
عبد الله بن جدعان : ترجمته	
يتكلم أهل الامصار بلغة النازلة فيهم من العرب	٣٣

	صفحة
فرق مابين لغة أهل مكة ولغة أهل البصرة	٣٣
العامة وحظ الالفاظ والاشعار والرجال عندهم من الشهرة	٣٤
ابن القرية : ترجمته	
ماجاء فى تلقيب واصل بالغزال	٣٥
خالد بن صفوان : ترجمته	٣٦
أقوال الشعراء فى اقتدار واصل على تجنب الراء ومنهم بشار	٣٧
عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة: ترجمته	
قصيدة صفوان الانصارى الرائية فى الانتصار لواصل وذم بشار	
قصيدة صفوان الدالية في وصف الارض وما فى جوفها من صنوف المعادن وكرائم الاحجار	٣٩
ديصاد المجوسى : ترجمته	٤٠
هجو حماد عجرد وغيره لبشار واخوته	٤١
ليلى الناعطية : ترجمتها	
حماد عجرد : ترجمته	
أبيات لسلمان بن الوليد الشاعر فى كرم خصال الارض	٤٢
ابيات لبعض الخلفاء فى التندر بابليس	
قصيدة صفوان الدالية الثانية فى فضل الطين على النار	٤٣
شبيب بن شيبة : ترجمته	
الاباضية : فرقة من فرق الخوارج	
الحروف التى تدخلها اللثغة	٤٤
الكلام على خطباء إياد	٤٩
قس بن ساعدة الايادى : ترجمته	٥٠
قيط بن معبد الايادى : ترجمته	

	صفحة
قول أبى دؤاد الايادى فى صفة الخطباء	٥١
الخطباء الشعراء	
متانة الصداقة مع الاختلاف في المذهب	٥٢
عمران بن حطان : ترجمته	
خطباء الامصار وشعراؤهم	٥٣
المطبوعون على الشعر من المولدين	٥٤
العتابى أول من أفتن فى البديع بعد بشار	
بشار شيخ المبدعين	٥٥
سهل بن هرون : ترجمته	
خمعة بنت حابس : تصحيح اسمها	
خصائص إياد وتميم دون العرب	٥٦
الاحنف بن قيس وعيوبه الجسمية	٥٧
بعض آفات اللسان	٥٨
عبد الملك بن مروان أول من شد أسنانه بالذهب	٦٠
نزع الزنجى ثناياه	
تباين الألفاظ	٦٣
تباين الحروف	٦٤
تقليد أصوات البهائم	٦٥
اللكن من المشاهير وغيرهم	٦٦
باب البيان	٦٨
المعانى والالفاظ	
الاشارة	٦٩
العقد	٧١
الحال أو النصبة	
قول مأثور فى صدق الكلام	٧٣
التحذير من سريان معانى السفلة الى الاذهان ومن مجالستهم	٧٤

	صفحة
البلاغة عند الفرس والروم والهند	٧٥
قول جامع لسهل بن مروان فى فرق	
ما بين الخطيب والخطيب من حيث الهيئة	٧٦
ابو اسحق ابرهيم النظام . ترجمته	٧٧
وصف البلاغة والبليغ فى صحيفة هندية	٧٩
حق المعنى على اللفظ.	
قول لابرهيم بن هانى الخليع فى مايلزم لبعض الناس من الآلات لتمام حالاتهم فى التأثير	٨٠
العمانى الراجز بين يدى الرشيد	
خطباء عبد القيس وفصحاؤهم	٨١
باب ذكر ناس من البلغاء المكثرين الخ	٨٢
كلام عن إياس بن معاوية وغيره	
النخار العذرى النسابة : ترجمته	٨٥
توقيعات جعفر بن يحيى وتوقيعات أم جعفر	٨٦
جودة الابتداء ، وجودة القطع	٨٩
البلاغة عند العتابى الشاعر	٩٠
قول عمرو بن عبيد فى البلاغة	
قول ابن المقفع فى البلاغة	٩١
رأى اعرابى فى الجمال	٩٤
قول فتى نصرانى لابن فهريز الجاثليق	٩٦
شبيب بن يزيد الخارجى: ترجمته	٩٩
خلف الاحمر : ترجمته	
الخزيمى الشاعر : ترجمته	١٠١
على بن الهيثم الكاتب : ترجمته	
كلام لبشر بن المعتمر ، وترجمته	١٠٤
أمثل طرق البلاغة عند الكتاب	١٠٥

	صفحة
تتمة كلام بشر	١٠٦
اصطلاحات العلوم واستعمالها فى الخطب	١٠٧
اصطلاحات العلوم وملح الشعراء	١٠٨
العمانى : ترجمته	١٠٨
يزيد بن مفرغ : ترجمته	١٠٩
طبقات كلام الناس	١١٠
ألذ الكلام كلام الاعراب	١١١
لحن الجوارى واستملاح الجاحظ له	١١١
تخطئة الجاحظ فى استجازة اللحن من الجوارى	١١٢
الامام أبو حنيفة : ترجمته	١١٣
أبو عمرو بن العلاء : ترجمته	١١٦
أبو خراش الهذلى : ترجمته	١١٧
الاخطل : ترجمته	١١٩
العتابى : ترجمته	١٢١
الحسن البصرى : ترجمته	١٢٣
أبو زيد الانصارى : ترجمته	
الكسائى : ترجمته	١٢٤
باب ماقالوا فى مدح اللسان الخ	١٢٥
سويد بن ابى كاهل : ترجمته	...
جرير : ترجمته	...
طول اللسان	١٢٧
باب فى ذكر اللسان	١٢٨
الفرزدق : ترجمته	...
أبو زبيد الطائى : ترجمته	١٣٠
تعظيم العرب للقمان ولقيم	١٣٦
أبو الطمحان القينى: ترجمته	١٣٨
ابن سيرين : ترجمته	١٤٢
باب الصمت	١٤٣
خالد بن خداش : ترجمته	...

	صفحة
الاحنف بن قيس : ترجمته	١٤٥
حث الجاحظ على التماس البيان والتبيين	١٤٧
صالح بن عبد القدوس : ترجمته	١٥٠
كلمة لهوميروس الشاعر اليونانى	...
باب القول فى القوافى الظاهرة الخ	١٥٢
باب آخر	١٥٣
عمرو بن معد يكرب : ترجمته	١٥٤
باب آخر	١٥٨
باب آخر	١٦١
باب آخر من الشعر	١٦٣
الهوى اله معبود	١٦٦
باب النوك والعى والحمق	١٧١
باب فى ذكر المعلمين	١٧٢
باب آخر	١٧٤
قطرب النحوى : ترجمته	١٧٥
باب آخر	١٧٦
باب من الخطب القصار	١٧٧
كلام عبد الملك فى الرعيه	١٨١
حمزة بن بيض : ترجمته	١٨٣
باب ماقالوا فيه من الحديث الحسن الخ	١٨٧
القطامى : ترجمته	١٩٠
باب آخر من الاسجاع في الكلام	١٩٢

	صفحة
خطباء البصرة	١٩٧
باب اسجاع	١٩٨
خطبة للنبى	٢٠١
باب أسماء الخطباء والبلغاء الخ	٢٠٢
الخطباء النسابون	٢٠٨
منزلة شعر الفرزدق	٢١٠
عبيد الله بن زياد بن ظبيان	٢١٢
خالد بن يزيد بن معاوية	٢١٣
خطباء بنى هاشم	٢١٦
منزلة المستشار	٢١٩
خطباء بن ضبة	٢٢٠
خطباء الخوارج وعلماؤهم	٢٢١
قائمة الطعام	٢٢٢
أخطب الناس	٢٢٣
ومن خطباء الخوارج وعلمائهم	٢٢٤
أسماء خطب العرب	٢٢٥
ومن خطباء العرب	٢٢٦
باب ذكر النساك والزهاد	٢٣٢
ذكر القصاص	٢٣٤
ماقيل فى المخاصر والعصى	٢٣٥
أثر السيف يمحو أثر الكلام	٢٤٦
الفهرس	٢٥٨
تنبيه ورجاء	٢٦٢

تنبيه ورجاء

وقع أثناء الطبع بعض الخطأ المرجو من القارىء الكريم اصلاحه قبل المضى فى القراءة

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٦	١٦	فنون	فنونه
١٠	٧	الحقبرة	الحفيرة
١١	٢٢	امرا	امرأ
١٦	١٩	عبد الله	عبدان
١٨	٢٣	فقليل	فقيل
٣١	٧	وقد ذكر	وقد ذكره
٠٠	١١	غزالاً	غزّالاً
٣٧	١٦	شيطانه	لشيطانه
٤١	١٦	واختبارا	واختيارا
٤٦	٢٦	ذاك	ذات
٥٦	٢٣	تميم	تميم
٥٧	١٩	الضحم	الضجم
٦١	١	جمعيا	جميعا
٦٣	١٣	انشاء	إنشاد
٦٦	٣	السين	العين
٧٠	٦	غنى	غنى
٧٢	٢	من أنهارك	من شق أنهارك
٧٧	٧	لوثيق	ألوثيق
٧٩	١٨	تهمة	النهمة
٨٢	٣	صولجان	صوحان
٨٥	٢٦	دخل معاوية	دخل على معاوية
٨٦	٢٤	من كلمة	كلمة
٨٦	٢٤	الصيحة	الصحيحة
٨٧	١٥	العبزى	العنبرى
٩٢	٢٣	لى	الى
٩٤	٢٢	الى بنى مخزوم بنى مخزوم	الى بنى مخزوم
١٠١	١٨	ماتك	مات

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٠٢	٢٤	كمثير	كثير
١١٠	١٠	قال زعم	فان زعم
١١٠	١٢	والمتفهق	والمتفيهق
١١٧	٢	أمر	أمرىء
١٢٧	٢٣	درام	دارم
١٢٨	١	على	أعلى
١٢٨	٢٣	يكن	يكنى
١٢٩	٧	بألسنهم	بألسنتهم
١٣٠	١٩	وقوة المسنة	وقوة المنة
١٣٣	٧	نرار	نزار
١٣٣	١٩	عررة	عروة
١٣٧	٦	وقع	فوقع
١٤٨	١٨	تجاهد	تجدها
١٤٩	٥	بن سلمى	بن أبى سُلمى
١٥٠	٢٧	الدا به لولدد	الولد بعد الولد
١٥١	١٩	يجمعها	يجمعهما
١٧٢	١١	امر	امرأ
١٧٥	٢٤	أى	أن
١٨٣	١٨	تراقش	براقش
١٨٩	٩	واحد	واحدها
١٩٠	٢٤	لدن شاب	لدن شب
٢٠١	١٨	ونفيل عبدالعزى	ونفيل بن عبد العزى
٠٠٠	٢٢	النسابة البكرى	والنسابة البكرى
٢٠٤	١٩	وزرى	وأزرى
٢٠٨	٢٣	وعمر	وعمرو
٢٣٠	١٨	اخفتم	خفتم
٢٣٩	١٨	ماشاء	ماأشاء

وهناك غير ماذكر قليل مما لايخفى على فطنة القارىء

البيان والتبيين

لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب

الجاحظ

كتب الجاحظ تعلم العقل أولا
والأدب ثانيا ابنه العميد

مصدر بترجمة للجاحظ مستفيضة

بقلم محققه وشارحه

حسن السندوبي

صاحب جريدة الثمرات

الجزء الثاني

الطبعة الأولى — حق الطبع محفوظ

١٣٤٥ - ١٩٢٧

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

المطبعة الرحمانية بمصر
لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف

استدراك وتكميل

لترجمة الجاحظ المصدر بها الجزء الأول

كان من أثر العجلة التى دفعتنا إلى تسليم ترجمة الجاحظ إلى الطابع أن سقطت منها أوراق لم يفطن إليها لعدم شهودنا تجارب الطبع ، فرأينا أن نستدركها هنا ، وجلها مما لخصناه عن كتاب « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » المعروف « بمعجم الأدباء » لمؤلفه « ياقوت الرومى » معما اقتبسناه من كتاب «الكامل» لأبى العباس « محمد بن يزيد المبرد » وغيره من الكتب . وأن ننشره على نسق ذلك القسم وتنسيقه ليؤلف ذلك ترجمة تامة كاملة لهذا الكاتب العظيم . وسنخلى هذا القسم مما ذكر في القسم الأول إلا ما كان فيه زيادة بيان أو فضل إيضاح :

نسبه وكنيته وأوليته

كان الجاحظ مولى لأبى القلمس عمرو بن قلع الكنانى . قال يموت بن المزرع : الجاحظ خال أمى وكان جده أسود يقال له فزارة وكان جمالا لعمرو بن قلع الكنانى وقال المرزبانى : حدث المادى قال: حدثنى من رأى الجاحظ يبيع الخبز والسمك بسيحان

مقامه ومنزلته

قال أبو حيان التوحيدى في كتابه الذى ألفه في « تقريظ الجاحظ » حدثنى ابو سعيد السيرافي — وهمك من رجل ، وناهيك من عالم ، وشرعك من صدوق — قال : حدثنا جماعة من الصابئين الكتاب : أن ثابت بن قرة قال : ما أحسد هذه الأمة العربية إلا على ثلاثة أنفس :

أولهم : عمر بن الخطاب في سياسته ويقظته ، وحذره وتحفظه ، ودينه ويقينه ، وجزالته وبذالته ، وصرامته وشهامته ، وقيامه في صغير أمره وكبيره بنفسه ، مع قريحة صافية ، وعقل وافر ، ولسان عضب ، وقلب شديد ، وطوية مأمونة ، وعزيمة مأمومة ،

وصدر منشرح ، وبال منفسح ، وبديهة نضوح ، وروية لقوح ، وسر طاهر ، وتوفيق حاضر ، ورأى مصيب ، وأمر عجيب ، وشأن غريب ؛ دعم الدين وشيد بنيانه ، وأحكم آساسه ورفع أركانه ، وأوضح حجته وأنار برهانه ؛ ملك فى زى مسكين ؛ ما جنح في أمر إلى ونا ، ولا غض طرفه على خنا ؛ ظهارته كالبطانة ، وبطانته كالظهارة ؛ جرح وأسا ، ولان وقسا ، ومنع وأعطى ، واستخذى وسطا

كل ذلك في الله ولله . لقد كان من نوادر الرجال

والثانى : الحسن بن أبى الحسن البصرى ، فلقد كان من دراري النجوم علماً وتقوى ، وزهداً وورعاً ، وعفة ورقة ، وتألهاً وتنزهاً ، وفقهاً ومعرفة ، وفصاحة ونصاحة ؛ مواعظه تصل إلى القلوب ، وألفاظه تلتبس بالعقول ؛ وما أعرف له ثانياً ، لا قريباً ولا مدانياً ؛ كان منظره وفق مخبره ، وعلانيته في وزن سريرته ؛ عاش سبعين سنة لم يُقرف بمقالة شنعاء ، ولم يُزَن بريبة ولا فحشاء ، سليم الدين ، نقى الأديم ، محروس الحريم ، يجمع مجلسه ضروباً من الناس ، وأصناف اللباس ، لما يوسعهم من بيانه ، ويفيض عليهم بافتنانه ، هذا يأخذ عنه الحديث ، وهذا يلقن منه التأويل ، وهذا يسمع منه الحلال والحرام ، وهذا يتبع في كلامه ، وهذا يجرد له المقالة ، وهذا يحكى له الفتيا ، وهذا يتعلم الحكم والقضاء ، وهذا يسمع الموعظة ، وهو فى جميع هذا كالبحر العجاج تدفقاً ، وكالسراج الوهاج تألقاً ، ولا تنس مواقفه ومشاهده بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عند الأمراء وأشباه الامراء ، بالكلام الفصل ، واللفظ الجزل ، والصدر الرحب ، والوجه الصلب ، واللسان العضب ؛ كالحجاج وفلان وفلان ، مع شارة الدين ، وبهجة العلم ، ورحمة التقى ؛ لا تثنيه لائمة فى الله ، ولا تذهله رائمة عن الله ؛ يجلس تحت كرسيه قتادة صاحب التفسير ، وعمرو وواصل صاحبا الكلام ، وابن أبى إسحق صاحب النحو ، وفرقد السبخى صاحب الدقائق ، وأشباه هؤلاء ونظراؤهم

فمن ذا مثله ، ومن ذا يجرى مجراه ؟

والثالث : أبو عثمان الجاحظ ، خطيب المسلمين ، وشيخ المتكلمين ، ومدره المتقدمين والمتأخرين ؛ إن تكلم حكى سحبان البلاغة ، وإن ناظر ضارع النظام في الجدال ، وإن جد خرج في مَسك عامر بن عبد قيس ، وإن هزل زاد على مزيد حبيب القلوب ، ومراح الأرواح ، شيخ الأدب ، ولسان العرب ، كتبه رياض زاهرة ، ورسائله أفنان مثمرة ، ما نازعه منازع إلا رشاه آنفاً ، ولا تعرض له منقوص إلا قدم له التواضع استبقاء ؛ الخلفاء تعرفه ، والامراء تصفه وتنادمه ، والعلماء تأخذ عنه ، والخاصة

تسلم له ، والعامة تحبه ، جمع بين اللسان والقلم ، وبين الفطنة والعلم ، وبين الرأى والأدب ، وبين النثر والنظم ، وبين الذكاء والفهم ؛ طال عمره ، وفشت حكمته ، ووطىء الرجال عقبه ، وتهادوا أدبه ، وافتخروا بالانتساب اليه ، ونجحوا بالاقتداء به

لقد أوتى الحكمة وفصل الخطاب

هذا قول ثابت ، وهو قول صابىء لا يرى للاسلام حرمة ، ولا للمسلمين حقاً ، ولا يوجب لأحدمنهم ذماما ، قدانتقد هذا الانتقاد ، ونظر هذا النظر ، وحكم هذا الحكم وأبصر الحق بعين لا غشاوة عليها من الهول ، ونفس لا لطخ بها من التقليد ، وعقل ما تحيل بالعصبية . ولسنا نجهل مع ذلك فضل غير هؤلاء من السلف الطاهر ، والخلف الصالح ، ولكنا عجبنا فضل عجب من رجل ليس منا ، ولا من أهل ملتنا ولغتنا ، ولعله ما خبر عمر بن الخطاب كل الخبرة ، ولا استوعب ماللحسن من المنقبه ، ولا وقف على جميع ما لابى عثمان من البيان والحكمة . يقول هذا القول ، ويعجب هذا العجب ، ويحسد أمتنا بهم هذا الحسد ، ويختم كلامه بأبى عثمان ويصفه بما يأبى الطاعن عليه أن يكون له شىء منه ، ويغضب اذا أدعى ذلك له ، وأنه للموفر عليه ، هل هذا الا الجهل الذى يرحم المبتلى به ....؟

وقال أبو الفضل بن العميد : ثلاثة علوم ألناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس : أما الفقه ، فعلى أبى حنيفة ، لانه دون وخلد ما جعل من يتكلم فيه بعده مشيراً اليه ، ومخبراً عنه . وأما الكلام ، فعلى أبى الهذيل . وأما البلاغة والفصاحة ، واللسن والعارضة ، فعلى أبى عثمان الجاحظ

وقال أبو محمد الحسن بن عمرو النجيرمى : كنت بالأندلس فقيل لى : إن ههنا تلميذا لأبى عثمان الجاحظ يعرف بسلام بن يزيد ، ويكنى أبا خلف . فأتيته فرأيت شيخاً هما فسألته عن سبب اجتماعه مع أبى عثمان ، ولم يقع أبوعثمان إلى الأندلس ؟ فقال : كان طالب العلم بالمشرق يشرف عند ملوكنا بلقاء أبى عثمان ، فوقع إلينا كتاب « التربيع والتدوير » له ، فأشاروا إليه ، ثم أردفه عندنا كتاب « البيان والتبيين » له . فبلغ الرجل الصكاك بهذين الكتابين . قال : فخرجت لا أعرج على شىء حتى قصدت بغداد فسألت عنه فقيل : هو بسر من رآى . فأصعدت إليها فقيل لى : قد انحدر إلى البصرة فانحدرت إليها وسألت عن منزله فأرشدت ودخلت إليه فاذا هو جالس وحواليه عشرون صبياً ليس فيهم ذو لحية غيره ، فدهشت ، فقلت : أيكم أبو عثمان ؟ فرفع يده وحركها في وجهى وقال : من أين ؟ قلت : من الأندلس . فقال : طينة حمقاء . فما الاسم ؟

قلت : سلام . قال : اسم كلب القراد. ابن من ؟ قلت : ابن يزيد . قال : بحق ماصرت. أبو من ؟ قلت : أبو خلف . قال : كنية قرد زبيدة . ما جئت تطلب ؟ قلت : العلم . قال : ارجع بوقت فانك لا تفلح . قلت له : ما أنصفتنى، فقد اشتملت على خصال أربع : جفاء البلدية ، وبعد الشقة ، وغرة الحداثة ، ودهشة الداخل . قال : فترى حولى عشرين صبياً ليس فيهم ذو لحية غيرى ، كان يجب أن تعرفنى بها ؟ ؟

فأقمت عليه عشرين سنة

قال أبو حيان : وحدثنا ابن مقسم [قال : قيل لأبى هفان] وقد طال ذكر الجاحظ [له] لم لا تهجو الجاحظ وقد ندد بك ، وأخذ بمخنقك ؟ فقال : أمثلى يخدع عن عقله ؟ والله لو وضع رسالة فى ارنبة أنفى لما أمست إلا بالصين شهرة ، ولو قلت فيه ألف بيت لما طن منها بيت فى ألف سنة

وقال أبو حيان : ومن عجيب الحديث فى كتبه ماحدثنا به على بن عيسى النحوى، الشيخ الصالح ، قال : سمعت ابن الاخشاد شيخنا أبا بكر يقول : ذكر أبو عثمان فى أول كتاب الحيوان أسماء كتبه ليكون ذلك كالفهرست ، ومر بى في جملتها « الفرق بين النبى والمتنبى » وكتاب « دلائل النبوة » وقد ذكرهما هكذا على التفرقة ، وأعاد ذكر « الفرق » فى الجزء الرابع لشىء دعاه إليه ، فأحببت أن أرى الكتابين ولم أقدر إلا على واحد منهما ، وهو كتاب « دلائل النبوة » وربما لقب « بالفرق » خطأ ، فهمنى ذلك وساءنى في سوء ظفرى به . فلما شخصت من مصر ودخلت مكة حرسها الله تعالى حاجاً أقمت منادياً بعرفات ينادى — والناس حضور من الآفاق على اختلاف بلدانهم وتنازح أوطانهم ، وتباين قبائلهم وأجناسهم ، من المشرق الى المغرب ، ومن مهب الشمال إلى مهب الجنوب ، وهو المنظر الذى لا يشابهه منظر — رحم الله من دلنا على كتاب « الفرق بين النبى والمتنبى » لأبى عثمان الجاحظ ، على أى وجه كان . قال : فطاف المنادى في ترابيع عرفات وعاد بالخيبة وقال : حجت الناس منى ، ولم يعرفوا هذا الكتاب ، ولا اعترفوا به . قال ابن الاخشاد : وانما أردت بهذا أن أبلغ نفسى عذرها

قال ياقوت : وحسبك بها فضيلة لأبى عثمان أن يكون مثل ابن الاخشاد — وهو هو في معرفة علوم الحكمة ، وهو رأس عظيم من رؤس المعتزلة — يستهام بكتب الجاحظ حتى ينادى عليها بعرفات والبيت الحرام . وهذا الكتاب موجود فى أيدى الناس اليوم لا تكاد تخلو خزانة منه ، ولقد رأيت أنا منه نحو مائة نسخة أو أكثر

مولده ومنشاؤه وأساتذته

قال الجاحظ : أنا أسن من أبي نواس بسنة ، ولدت في أول سنة ١٥٠ (٧٦٧ م) وولد في آخرها. قلت: وهذا هو الصحيح ، وليس بعده نص

وقال أبو القاسم البلخي : الجاحظ كناني من أهل البصرة .

سمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري ، وأخذ النحو عن أبي الحسن الأخفش ، وكان صديقه ، وأخذ الكلام عن النظام ، وتلقف الفصاحة من العرب شفاهاً بالمربد

معارفه

حدث أبو هفان قال : لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ ، فانه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائناً ما كان ، حتى أنه كان يكترى دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر ؛ والفتح بن خاقان ، فانه كان يحضر لمجالسة المتوكل فاذا أراد القيام ــ يعنى المتوكل ــ لحاجة أخرج كتاباً من كمه أو خفه وقرأه في مجلس المتوكل إلى حين عوده إليه، حتى في الخلاء ؛ واسماعيل بن اسحق القاضي ، فانى ما دخلت اليه إلا رأيته ينظر في كتاب ، أو يقلب كتباً ، أو ينفضها

وقال أبو بكر أحمد بن على : كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النظام ، وكان واسع العلم بالكلام ، كثير التبحر فيه ، شديد الضبط لحدوده ، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا ، وله كتب كثيرة مشهورة جليلة في نصرة الدين ، وفي حكاية المخالفين ، و[فى] الآداب والأخلاق ، وفى ضروب من الجد والهزل ، وقد تداولها الناس وقرأوها وعرفوا فضلها ، وإذا تدبر العاقل المميز أمر كتبه علم أنه ليس فى تلقيح العقول ، وشحذ الأذهان ، ومعرفة أصول الكلام وجواهره ، وايصال خلاف الاسلام ومذاهب الاعتزال الى القلوب ، كتب تشبهها ، والجاحظ عظيم القدر في المعتزلة وغير المعتزلة من العلماء الذين يعرفون الرجال ويميزون الأمور

الجاحظ في ديوان الرسائل

حدث عبد الرحمن بن محمد الكاتب قال : كان الجاحظ يتقلد خلافة ابرهيم بن العباس الصولى على ديوان الرسائل ، فلما جاء إلى الديوان جاءه أبو العيناء ، فلما أراد الانصراف تقدم الجاحظ الى حاجبه : إذا وصل الى الدهليز أن لا يدعه يخرج ، ولا

يمكنه من الرجوع إليه ، فخرج أبو العيناء ففعل به ذلك ، فنادى بأعلى صوته : يا أبا عثمان ، قد أريتنا قدرتك ، فأرنا عفوك ؟

وقال أبو دلف الكاتب : صُدر الجاحظ في ديوان الرسائل أيام المأمون ثلاثة أيام ثم استعفى فأعفى ، وكان سهل بن هرون يقول : إن ثبت الجاحظ فى هذا الديوان أفل نجم الكتاب

تخطئة الجاحظ وتصويبه

قال على بن يحيى المنجم : قلت للجاحظ : مثلك في علمك ومقدارك في الأدب يقول في كتاب « البيان والتبيين » ويكره للجارية أن تشبه بالرجال فى فصاحتها ، ألا ترى قول مالك بن أسماء الفزارى :

وحديث ألذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحيانا وخير الحديث ما كان لحنا

فتراه من لحن الاعراب ، وإنما وصفها بالظرف والفطنة ، وإنما تلحن أى تورى فى لفظها عن أشياء وتتنكت ما قصدت له ؟ فقال : فطنت لذلك . فقلت : فغيره . قال : فكيف لى بما سارت به الركبان ؟ فهو في كتابه على خطائه

قال أبو محلم : أراد الفزارى بقوله هذا أن خير الحديث ما أومأت إلىّ به وورت عن الافصاح به لئلا يعلمه غيرنا ، ومثله قول الكلابى :

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا ووحيت وحياً ليس بالمرتاب

ومنه قوله تعالى « وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ » أى فيما يتوحونه بينهم من النفاق والطعن

قال أبوحيان التوحيدى : وعندى أن المسألة محتملة للكلام ، لأن مقابل المنطق الصائب المنطق الملحون ، واللحن من الغوانى والفتيات غير منكر ولا مكروه ، بل يستحب ذلك لأنه بالتأنيث أشبه ، وللشهوة أدعى ، ومع الغزل أجرى ، والاعراب جد ، وليس الجد من التغزل والتعشق والتشاجى في شيء ، وعلى مذهب على بن يحيى أن المنطق الصائب هو الكلام الصريح ، وأن اللحن هوالتعريض ، وأنها تعرف هذا وهذا ، فهب أن هذا المعنى مقبول ؟ لم ينبغى أن يكون المعنى الآخر لهوجاومردودا ؟ وقد يجوز أن يكون مراد الشاعر ذاك ، لأن الشاعر يشعر بهذا كما يشعر بهذا ؟

جوائز بعض كتبه

قال ميمون بن هرون : قلت للجاحظ : ألك بالبصرة ضيعة ؟ فتبسم وقال : إنما أنا وجارية وجارية تخدمها وخادم وحمار :

أهديت «كتاب الحيوان »إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأعطانى خمسة آلاف دينار وأهديت كتاب « البيان والتبيين » إلى ابن أبى دؤاد فأعطانى خمسة الاف دينار وأهديت كتاب « الزرع والنخل » إلى ابرهيم بن العباس الصولى فأعطانى خمسة الاف دينار. فانصرفت إلى البصرة ومعى ضيعة لا تحتاج إلى تجديد ولا تسميد

نخب من رسائله الخاصة

من كتاب له إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

لا والله ما عالج الناس داء قط أدوى من الغيظ ، ولا رأيت شيئاً هو أنفذ من شماتة الأعداء ، ولا أعلم باباً أجمع لخصال المكروه من الذل ، ولكن المظلوم ما دام يجد من يرجون ، والمبتلى ما دام يجد من يرثى له ، فهو على سبب درك وإن تطاولت به الأيام ؛ فكم من كربة فادحة، وضيقة مصمتة . قد فتحت أقفالها ، وفككت أغلالها ، ومهما قصرت فيه فلم أقصر في المعرفة بفضلك ، وفي حسن النية بينى وبينك، لا مشتت الهوى ، ولا مقسم الأمل ، على تقصير قد احتملته ، وتفريط قد اغتفرته، ولعل ذلك أن يكون من ذنوب الادلال ، وجرائم الاغفال ، ومهما كان من ذلك فلن أجمع بين الاساءة والانكار ، وإن كنت كما تصف من التقصير ، وكما تعرف من التفريط ، فانى من شاكرى أهل هذا الزمان ، وحسنى الحال ، ومتوسطى المذهب ؛ وأنا أحمد الله على أن كانت مرتبتك في المنعمين ، فوق مرتبتى في الشاكرين ؛ وقد كانت على بك نعمة أذاقتنى طعم العز ، وعودتنى روح الكفاية ....

وكتبت إلى ابرهيم بن المدبر :

قال عبد الله بن جعفر الوكيل : كنت عند ابرهيم بن المدبر فرأيت بين يديه رقعة يردد النظر إليها فقلت له: ما شأن هذه الرقعة ؟ كأنه استعجم عليك شيء فيها ؟ فقال : هذه رقعة أبي عثمان الجاحظ ، وكلامه يعجبنى ، وأنا أردده على نفسى لشدة إعجابى . فقلت : هل يجوز أن أقرأها ؟ قال : نعم . وألقاها إلى فاذا فيها :

ماضاء لى نهار ولا دجا ليل،مذفارقتك،إلا وجدت الشوق إليك قد حز فى كبدى، والأسف عليك قد أسقط في يدى ، والنزاع نحوك قد خان جلدى ، فأنا بين حشا

خافقة ، ودمعة مهراقة ، ونفس قد ذبلت بما تجاهد ، وجوانح قد بليت بما تكابد ؛ وذكرت وأنا على فراش الارتماض ، ممنوع من لذة الاغتماض،قول بشار :

إذا هتف القمرى نازعنى الهوى بشوق، فلم أملك دموعى من الوجد
أبى الله إلا أن يفرق بيننا وكنا كماء المزن شيب مع الشهد
لقد كان ما بينى زماناً وبينها كما كان بين المسك والعنبر الوردى

فانتظم وصف ما كنا نتعاشر عليه ، ونجرى في مودتنا إليه ، فى شعره هذا ، وذكرت أيضاً ما رمانى به الدهر من فرقة أعزائى من إخوانى الذين أنت أعزهم ، ويمتحننى بمن نآى من أحبائى وخلصانى الذين أنت أحبهم وأخلصهم ، ويجرعنيه من مرارة نأيهم وبعد لقائهم ، وسألت الله أن يقرن آيات سرورى بالقرب منك ، ولين عيشى بسرعة أوبتك ، وقلت أبياتاً تقصر عن صفة وجدى وكنه ما يتضمنه قلبى، وهى:

بخدى من قطر الدموع ندوب وبالقلب منى مذ نأيت وجيب
ولى نفس حتى الدجى يصدع الحشا ورجع حنين للفؤاد مذيب
ولى شاهد من ضر نفسى وسقمها يخبر عنى أننى لكئيب
كأنى لم أفجع بفرقة صاحب ولا غاب عن عينى سواك حبيب

فقلت لابن المدبر :هذه رقعة عاشق ،لارقعة خادم ، ورقعة غائب ، لارقعة حاضر؟ فضحك وقال : نحن ننبسط مع أبى عثمان إلى ما هو أدق من هذا وألطف . فأما الغيبة فاننا نجتمع في كل ثلاثة أيام، وتأخر ذلك لشغل عرض لى فخاطبنى مخاطبة الغائب، وأقام انقطاع العادة مقام الغيبة

شذور من كلماته

قال أبو عثمان : ليس جهد البلاء مد الأعناق وانتظار وقع الصيف ،لأن الوقت قصير ، والحين مغمور ، ولكن جهد البلاء أن تظهر الخلة . وتطول المدة ، وتعجز الحيلة ، ثم لا تعدم صديقاً مونبا ، وابن عم شامتا ، وجاراً حاسداً ، ووليا قد تحول عدواً ، وزوجة مختلعة ، وجارية مسبعة ، وعبداً يحقرك ، وولداً ينتهرك

وقال : إذا سمعت الرجل يقول : ما ترك الأول للا خر شيئاً ، فاعلم أنه مايريد أن يفلح

وقال : إحذر من تأمن، فانك حذر ممن تخاف

وقال : أجمع الناس على أربع : انه ليس في الدنيا أثقل من اعمى ، ولا أبغض من

أعور ، ولا أخف روحاً من أحول ، ولا أقود من أحدب

وقال: اربعة أشياء ممسوخة :أكل الرز البارد ، والنيك في الماء ، والقبل على النقاب، والغناء من وراء ستار

وقال للسدرى مرة : إذا كانت المرأة عاقلة ظريفة كاملة كانت قحبة . فقال السدرى : وكيف ؟ قال : لأنها تأخذ الدراهم ، وتمتع بالناس والطيب ، وتختار على عينها من تريد ، والتوبة معروضة لها متى شاءت . فقال له السدرى : فكيف عقل العجوز ؟ قال : هي أحمق الناس وأقلهم عقلا

وقال : كل عشق يسمى حباً ، وليس كل حب يسمى عشقاً ، لأن العشق اسم لما فضل عن المحبة ، كما أن السرف اسم لما جاوز الجود ، والبخل اسم لما قصر عن الاقتصاد، والجبن اسم لما فضل عن شدة الاحتراس ، والهوج إسم لما فضل عن الشجاعة

وقال : إن تهيأ لك فى الشاعر أن تبره وترضيه وإلا فاقتله ! ! !

وقال : يجب للرجل أن يكون سخياً لا يبلغ التبذير ، شجاعاً لا يبلغ الهوج ، محترساً لا يبلغ الجبن ، ماضياً لا يبلغ القحة ، قوالا لا يبلغ الهذر ، صموتاً لا يبلغ العى ، حليماً لا يبلغ الذل ، منتصراً لا يبلغ الظلم ، وقوراً لا يبلغ البلادة ، نافذاً لا يبلغ الطيش

وقال أبو زيد البلخى : ما أحسن ما قال الجاحظ : عقل المنشىء مشغول ، وعقل المتصفح فارغ !

الجاحظ وابن أبى دؤاد

نشرنا هـذه الرواية ضمن ترجمة الجاحظ فى الجزء الأول ملخصة ، ثم رأينا أن ننشرها هنا مفصلة لما فيها من زيادات طريفة . ولنصحح بها رواية ياقوت التى وردت فى كتابه « معجم الادباء » محرفة

قال أبوعبيد (١) الله المرزبانى : حدث اسحق الموصلى وأبو العيناء قالا (٢) : كنا (٣) عند أحمد بن أبى دؤاد بعد أن قتل ابن الزيات ، فجيء بالجاحظ مقيداً ، وكان من أصحاب ابن الزيات وفي ناحيته ، فلما نظر [إليه] قال : والله ماعلمتك إلا متناسياً للنعمة كفوراً للصنيعة ، معدنا (٤) للمساوى ، وما فتئ باستصلاحى لك ، ولكن الأيام لا تصلح

(١) في معجم الادباء : أبو عبد الله (٢) وفيه : قال (٣) وفيه : كنت (٤) وفيه معدداً

منك (١) لفساد طويتك ، ورداءة دخلتك (٢) وسوء اختيارك ، وتغالب طبعك

فقال الجاحظ : خفض عليك ، والله لأن أسيء وتحسن ، أحسن [في الاحدوثة] عنك من أن أحسن وتسيء ، وأن تعفو عني في حال قدرتك أجمل [بك] من الانتقام مني

فقال له ابن أبي دؤاد : قبحك الله ، [والله] ما علمتك إلا كثير تزويق الكلام ، وقد جعلت بيانك (٣) أمام قلبك ثم اضطغنت (٤) فيه النفاق والكفر . ما تأويل هذه الآية ؟ « وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » ؟

قال : تلاوتها تأويلها ، أعز الله القاضي

فقال : جيئوا بحداد

فقال : أعز الله القاضي ، ليفك عني أو ليزيدني ؟

فقال : بل ليفك عنك

فجيء بالحداد فغمزه بعض أهل المجلس أن يعنف بساقه ويطيل أمره قليلا ، فلطمه الجاحظ وقال : اعمل عمل شهر في يوم ، وعمل يوم في ساعة ، وعمل ساعة في لحظة ، فان الضرر على ساقي وليس بجذع ولا ساجة . فضحك ابن أبي دؤاد وأهل المجلس منه . وقال ابن أبي دؤاد لمحمد بن منصور — وكان حاضراً — أنا أثق بظرفه ، ولا أثق بدينه . ثم قال : يا غلام ، صر به إلى الحمام ، وأمط عنه الأذى . الخ

شيء من أخباره ونوادره

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : حدثني عمرو بن بحر قال : أتيت أبا الربيع الغنوي ، وكان من أفصح الناس وأبلغهم ، ومعي رجل من بني هاشم ، فقلت : أأبا الربيع هاهنا ؟ فخرج إلي وهو يقول : خرج إليك رجل كريم . فلما رأى الهاشمي استحيا من فخره بحضرته فقال : أكرم الناس رديفاً ، وأشرفهم حليفاً(٥) . فتحدثنا مليا فنهض الهاشمي

---

(١) وفيه : إلا لفساد (٢) وفيه : داخلتك (٣) وفيه : ثيابك (٤) وفيه : اصطفيت . والكلمات التي بين المعقفين ليست هناك (٥) أكرم الناس رديفاً : فان أبا مرثد الغنوي كان رديف رسول الله ﷺ . وأشرفهم حليفاً : كان أبو مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب

فقلت لأبى الربيع : يا أبا الربيع ؛ من خير الخلق ؟

فقال : الناس ، والله

قلت : من خير الناس ؟

قال : العرب ، والله

قلت : فمن خير العرب ؟

قال : مضر ، والله

قلت : فمن خير مضر ؟

قال : قيس ؛ والله

قلت : فمن خير قيس ؛

قال : يعصر ؛ والله

قلت : فمن خير يعصر ؟

قال : غنى ، والله

قلت : فمن خير غنى ؟

قال : المخاطب لك ، والله

قلت : أفأنت خير الناس ؟

قال : نعم إى والله

قلت : أيسرك أن تحتك بنت يزيد بن المهلب ؟

قال : لا ؛ والله

قلت : ولك ألف دينار ؟

قال : لا ، والله

قلت : فألفا دينار ؟

قال : لا ، والله

قلت : ولك الجنة ؟ فأطرق

ثم قال : على أن لا تلد منى . وأنشد :

تأبى لأعصر أعراق مهذبة ... من أن تناسب قوماً غير أكفاء

فان يكن ذاك حتما لا مرد له ... فاذكر حذيف فانى غير أبهاء (١)

(١) فاذكر حذيف : أراد حذيفة بن بدر الفزارى ، وإنما ذكره من بين الأشراف. لأنه أقربهم إليه نسباً ، وذاك أن يعصر بن سعد بن قيس ، وهؤلاء بنو ربث بن. عطفان بن سعد بن قيس بن عيلان

وقال الجاحظ : كان رجل من أهل السواد تشيع ، وكان ظريفاً ، فقال ابن عم له : بلغنى أنك تبغض علياً عليه السلام ، ووالله لئن فعلت لتردن عليه الحوض يوم القيامة ولا يسقيك ؟ قال : والحوض فى يده يوم القيامة ؟ قال: نعم. قال : وما لهذا الرجل الفاضل يقتل الناس في الدنيا بالسيف ، وفي الا خرة بالعطش ؟ فقيل له : أتقول هذا مع تشيعك ودينك ؟ قال : والله لا تركت النادرة ولو قتلتنى في الدنيا وأدخلتنى النار في الا خرة

وقال الجاحظ : كان يحضر إلى رجل فصيح من العجم ، فقلت له : هذه الفصاحة وهذا البيان لو ادعيت فى قبيلة من العرب لكنت لا تنازع فيها ؟ فأجابنى إلى ذلك ، فجعلت أحفظه نسباً حتى حفظه وهذه هذاً ، فقلت له : الآن لا تته علينا ؟ فقال : سبحان الله ، إن فعلت ذلك فأنا إذاً دعى ؟

نبذ من شعره

قال فى أحمد بن أبى دؤاد :

وعويص من الأمور بهيم غامض الشخص مظلم مستور
قد تسنمت ما توعر منه بلسان يزينه التحبير
مثل وشى البرود هلهله النسج وعند الحجاج در نثير
حسن الصمت والمقاطع إما نصت القوم والحديث يدور
ثم من بعد لحظة تورث اليسر وعرض مهذب موفور

وكتب اليه يقول :

لا ترانى وإن تطاولت عمداً بين صفيهم وأنت تسير
كلهم فاضل على بمال ولسانى يزينه التحبير
فاذا ضمنا الحديث وبيت وكأنى على الجميع أمير
رب خصم أرق من كل روح ولفرط الذكا يكاد يطير
فاذا رام غايتى فهو كاب وعلى البعد كوكب مبهور

وقال في ابرهيم بن رباح :

وعهدى به والله يصلح أمره رحيب مجال الرأى منبلج الصدر
فلا جعل الله الولاية سبة عليه فانى بالولاية ذو خبر
فقد جهدوه بالسؤال وقد أبى به المجد إلا أن يلج ويستشرى

وقال فى أبى الفرج نجاح بن سلمة يسأله إطلاق رزقه، من قصيدة :

أقام بدار الخفض راض بخفضه ... وذو الحزم يسرى حيث لا أحد يسرى
يظن الرضا شيئاً يسيراً مهوناً ... ودون الرضا كأس أمر من الصبر
سواء على الأيام صاحب حنكة ... واخر كاب لا يريش ولا يبرى
خضعت لبعض القوم أرجو نواله ... وقد كنت لا أعطى الدنية بالقسر
فلما رأيت القوم يبذل بشره ... ويجعل حسن البشر واقية الوفر
رجعت على ظلعى وراجعت منزلى ... فصرت حليفاً للدراسة والفكر
وشاورت إخوانى فقال حليمهم ... عليك الفتى المرى ذا الخلق الغمر
أعيذك بالرحمن من قول شامت: ... أبو الفرج المأمول يزهد فى عمرو
ولو كان فيه راغباً لرأيته ... كما كان دهراً فى الرخاء وفي اليسر
أخاف عليك العين من كل حاسد ... وذو الود منخوب الفؤاد من الذعر
فان ترع ودى بالقبول فأهله ... ولا يعرف الأقدار غير ذوى القدر

شيء من هجو الجماز له

هجا الجاحظ الجماز فرد عليه الجماز فقال :

يا فتى نفسه إلى الكفر بالله تائقه
لك فى الفضل والتزهد والنسك سابقه

وقال الجماز فيه

قال عمرو مفاخراً نحن قوم من العرب
قلت في طاعة لربك أبليت ذا النسب

خبر وفاته

قال يزيد بن محمد المهلبي : قال لى المعتز بالله : يا يزيد ، ورد الخبر بموت الجاحظ ـ فقلت : لأمير المؤمنين طول البقاء ، ودوام النعماء . وذلك في سنة ٢٥٥

ولما مات رثاه أبو شراعة القيسى بقوله :

في العلم للعلماء أن يتفهموه مواعظ
وإذا نسيت وقد جمعت علا عليك الحافظ

ولقـد رأيت الظرف دهرا ما حواه اللافظ
حتى أقام طريقـه عمرو بن بحر الجاحظ
ثم انقضى أمد به وهو الرئيس الفائظ

قلت : قد نص الجاحظ على أن مولده كان فى أول سنة ١٥٠ هـ ٧٦٧ م وقد أجمع المحققون على أن وفاته كانت في أول سنة ٢٥٥ هـ ٨٦٨ م وذلك في اخر سنة من خلافة المعتز . ومن المعروف أن مرضه كان في خلافة المتوكل ولا شك في أنه أصيب في سنة ٢٤٧ هـ ٨٦١م فيكون قد ظل مريضاً بالفالج ثمان سنين

بقية مؤلفاته مما لم يذكر هناك

كتاب المعرفة
« مسائل كتاب المعرفة
« جوابات كتاب المعرفة
« مسائل القرآن
« الامامة على مذهب الشيعة
« حكاية قول اصناف الزيدية
« العثمانية
« الرد على العثمانية
« إمامة معاوية
« الاخبار وكيف تصح
« القواد
« ذكر ما بين الزيدية والرافضة
« صياغة الكلام
« المخاطبات في التوحيد
« تصويب على في تحكيم الحكمين
« وجوب الامامة
« الشارب والمشروب
« افتخار الشتاء والصيف
« المعلمين
« الجوارى
« نوادر الحسن

كتاب الفخر ما بين عبد شمس ومخزوم
« العرجان والبرصان
« الطفيليين
« أخلاق الملوك
« الرد على اليهود
« المعاد والمعاش
« النعل
« السلطان وأخلاق أهله
« البلدان
« الدلالة على أن الامامة فرض
« الاستطاعة وخلق الافعال
« المغنين والغناء والصنعة
« الاخوان
« الرد على من ألحد في كتاب الله
« آى القرآن
« الناشى والمتلاشى
« حانوت عطار
« التمثيل
« فضل العلم
« المزاح والجد
« جمهرة الملوك

كتاب الصوالجة
« ذم الزنا
« التفكر والاعتبار
« الحجر والنبوة
« آل ابرهيم بن المدبر في المكاتبة
« إحالة القدرة على الظلم
« الاعتزال وفضله على الفضيلة
« الأخطار والمراتب والصناعات
« أحدوثة العالم
« الرد على من زعم أن الانسان جزء لا يتجزأ
« أبي النجم وجوابه
« التفاح
« الانس والسلوة
« الكبر المستحسن والمستقبح
« نقض الطب
« الحزم والعزم
« عناصر الآداب
« تحصين الأموال
« الأمثال
« فضل الفرس على الهملاج
« الرسالة إلى أبي الفرج بن نجاح في امتحان عقول الأولياء
« رسالة أبي النجم في الخراج
« « فى القلم
« « « فضل اتخاذ الكتب
« « « كتمان السر
« « « مدح النبيذ
« « « ذم النبيذ
« « « العفو والصفح

كتاب رسالته في إثم السكر
« « « الأمل والمأمول
« « « الحلية
« « « مدح الكتاب
« « « مدح الوراق
« « « ذم الوراق
« « « من يسمى من الشعراء عمراً
« « اليتيمة
« « فى فرط جهل يعقوب بن اسحق الكندى
« « إلى أبي الفرج بن نجاح في الكرم
« « في موت أبي حرب الصفار البصرى
« « في الميراث
« « « الأسد والذئب
« « « كتاب الكيمياء
« الاستبداد والمشاورة في الحرب
« رسالته في القضاة والولاة
« الملوك والأمم السالفة والباقية
« رسالته في الرد على القولية
« العالم والجاهل
« النرد والشطرنج
« خصومة الحول والعور
« أخلاق الشطار
« أمهات الأولاد
« الأمصار (١)
ومما نسب اليه قديماً
« الابل
« الهدايا

(١) هذا الكتاب ذكره المسعودى في كتابه « مروج الذهب » ولعله هو المسمى هنا بكتاب « البلدان » ولكنا ذكرناه لاحتمال التغاير

وهذا ما أمكن استدراكه مما قد سقط أثناء الطبع من ترجمتنا لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . ومن رأينا أن ما أثبتناه هنا من كتب الجاحظ قد يكون في ضمنه ماهو مذكور هناك لأن لبعض كتب الجاحظ كثيراً من العنوانات ؛ وأكثر مايكون ذلك من تصرف النساخ . مع العلم بأن كتاب « الحيوان » يحوى كتباً عدة ، وكذلك كتاب « البيان والتبيين » فهو عبارة عن عدة كتب ، والمعروف أن الجاحظ وضع منه نسختين كانت الثانية منهما أصح وأجود ، ولا ندرى أيتهما التى بين أيدينا . غير أننا بذلنا جهداً عظيما في تحقيقها وضبطها وتجويدها ، فاذا لم تكن هي الأصح الأجود من صنيع الجاحظ فهى الأقرب إلى الصحة والجودة من صنيعنا . والله حسبنا ونعم الوكيل .

حسن السندوبى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عثمان الجاحظ :

الحمد لله رب العالمين . ولا حول ولا قوة إلا بالله . وصلى الله على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة

أردنا أبقاك الله أن نبتدئ صدر هذا الجزء الثانى من « البيان والتبيين » بالرد على الشعوبية فى طعنهم على خطباء العرب ، إذ وصلوا أيمانهم بالمخاصر ، واعتمدوا على وجه الأرض بأطراف القِسِيِّ والعُصِيِّ ، أشاروا عند ذلك بالقضبان والقنا ، وفى كل ذلك قد روينا الشاهد الصادق ، والمثل السائر

ولكنا أحببنا أن نصدر هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العالمين ، والسلف المتقدمين ، والجلة من التابعين ، الذين كانوا مصابيح الظلام ، وقادة هذا الأنام ، وملح الأرض ، وحلى الدنيا ، والنجوم التى لا يضل معها السارى ، والمنار الذى إليه يرجع الباغى ، والحزب الذى كثَّر الله به القليل ، وأعز به الذليل ، وزاد الكثير فى عدده . والعزيز فى ارتفاع قدره . وهم الذين جلوا بكلامهم الأبصار العليلة ، وشحذوا بمنطقهم الأذهان الكليلة ، فنبهوا القلوب من رقدتها ، ونقلوها من سوء عادتها ، وشفوها من داء القسوة وغباوة الغفلة ، وداووا من العى الفاضح ، ونهجوا الطريق الواضح ، ولولا الذى أملت فى تقديم ذلك وتعجيله من العمل بالصواب ، وجزيل الثواب ، لقد كنت بدأت بالرد عليهم ، وبكشف قناع دعاويهم ، على أنا سنقول فى ذلك بعد الفراغ مما هو أولى بنا وأوجب علينا . والله الموفق والمستعان

وعلى أن خطباء السلف الطيّب ، وأهل البيان من التابعين باحسان ، مازالوا يسمون الخطبة التى لم يبتدئ صاحبها بالتحميد ، ويستفتح كلامه بالتمجيد « البتراء » ويسمون التى لم توشح بالقرآن ، وتزين بالصلاة على النبى ﷺ « الشوهاء » .

وقال عِمرانُ بنُ حِطَّان : خطبت عند زِيادٍ خطبة ظننت أنى لم أقصر فيها عن غاية ، ولم أدع لطاعن علة ، فمررت ببعض المجالس فسمعت شيخاً يقول : هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شىء من القرآن . وخطب أعرابى فلما أعجله بعض الامر عن التصدير بالتحميد ، والاستفتاح بالتمجيد ، فقال : أما بعد ، بغير ملال لذكر الله ، ولا إيثار غيره عليه ، فانا نقول كذا ، ونسأل كذا . فراراً من أن تكون خطبته بتراء ، أوشوها . وقال شبيب بن شيبة : الحمدلله وصلى الله على رسوله . أما بعد ، فانانسأل كذا ، ونبذل كذا .

وبنا حفظك الله أشد الحاجة الى أن يسلم كتابنا هذا من البتر القبيح ، واللقب السميج المعيب . بل قد نحب أن نزيد فى بهائه ، ونستميل القلوب الى اجتبائه ، إذ كان الامل فيه بعيداً ، وكان معناه شريفاً ثميناً

ثم اعلم بعد ذلك أن جميع خطب العرب ، من أهل المدر والوبر ، والبدو والحضر ، على ضربين : منها الطوال ، ومنها القصار ، ولكل ذلك مكان يليق به ، وموضع يحسن فيه . ومن الطوال ما يكون مستوياً فى الجودة ، ومُشاكلا فى استواء الصنعة . ومنها ذات الفِقَر الحسان ، والنتَف الجياد . وليس فيها بعد ذلك شىء يستحق الحفظ ؛ وإنما حفظها التخليد فى بطون الصحف . ووجدنا عدد القِصار أكثرُ ، ورُواة العلم الى حفظها أسرع . وقد أعطينا كل شكل من ذلك قسطه من الاختيار ، ووفينا حقه من التمييز ، ونرجو أن لا نكون قصرنا فى ذلك والله الموفق .

هذا سوى مارسمناه فى كتابنا هذا من مقطعات كلام العرب الفُصحاء ، وجُمل كلام الاعراب الخُلَّص ، وأهل اللَّسَنِ من رجالات قريش والعرب أهل

الخطابة من أهل الحجاز ؛ ونتفٍ من كلام النساك ، ومواعظ من كلام الزهاد ، مع قلة كلامهم وشدة توقِّيهم . ورب قليل يغنى عن الكثير ، كما أن رب كثير لا يتعلق به صاحب القليل ، بل رب كلمة تغنى عن خطبة ، وتنوب عن رسالة ، بل رب كناية تُربى على إفصاح ، ولَحظ يدل على ضمير ، وإن كان ذلك الضمير بعيدَ الغاية على النهاية .

ومتى شاكل أبقاك الله ذلك اللفظ معناه ، وأعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وِفقاً ، ولذلك القدر لفِقاً ، وخرج من سماجة الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف ، كان قميناً بحسن الموقع ، وبانتفاع المستمع ، وأجدرَ أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين ، ويحمى عِرضه من اعتراض العيابين ، ولا تزال القلوب به معمورة ، والصدور مأهولة

ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً فى نفسه ، متخيِّراً فى جنسه ، وكان سليما من الفضول ، بريئا من التعقيد ، حُبب إلى النفوس ، واتصل بالأذهان ، والْتحم بالعقول ، وهشت إليه الأسماع ، وارتاحت له القلوب ، وخف على ألسن الرواة ، وشاع فى الآفاق ذكره ، وعظم فى الناس خطره ، وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ، ورياضة للمتعلم الرَّيض

فان أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ، ومصلحة حال الخاصة ، وكان ممن يعم ولا يخص ، وينصح ولا يغش ، وكان مشغوفا بأهل الجماعة ، شَنِقا [1] لأهل الاختلاف والفرقة ، جُمعت له الحظوظ من أقطارها ، وسِيقت اليه القلوب بأزِمَّتها ، وجُمعت النفوس المختلفة الأهواء على محبته ، وجُبلت على تصويب ارادته . ومن أعاره الله من معرفته نصيباً ، وأفرغ عليه من محبته ذَنُوبا ، حنت اليه المعانى ، وسلس له نظام اللفظ ، وكان قد أغنى المستمع من كدّ التكلف ، وأراح قارئ الكتاب من علاج التفهم

(١) شنقا : راغباً طامحاً

ولم أجد فى خطب السلف الطيب ، والأعراب الأقحاح ، ألفاظاً مسخوطة ولا معانى مدخولة ، ولا طبعاً رديًّا ، ولا قولا مستكرهاً . وأكثر ما نجد ذلك فى خطب المولدين البلديين المتكلفين ، ومن أهل الصنعة المتأدبين ، وسواء كان ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب ، أو كان من نتاج التخير والتفكر

ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كَرِيتاً [1] ، وزمنا طويلا، يردد فيها نظره ، ويقلب فيها رأيه ، إتهاماً لعقله ، وتتبعاً على نفسه، فيجعل عقله ذِماماً على رأيه ، ورأيه عياراً على شعره ، إشفاقاً على أدبه ، وإحرازاً لما خوّله الله من نعمته

وكانوا يسمون تلك القصائد « الحَوْلِيَّات » و « المقلَّدات »و« المنقحات» و « المحكَمَات » ليصير قائلها فحلاً خِنذيذاً ، وشاعراً مفلقا

وفى بيوت الشعر الامثال والأوابد ، ومنها الشواهد ، ومنها الشوارد

والشعراء عندهم أربع طبقات : فأولهم الفحل الخِنذيذ .والخنذيذ هو التام، قال الاصمعى : قال رُؤبة [2] : هم الفحولة الرواة. ودون الفحلِ الخِنذيذِ الشاعرُ

---

(١) حولا كريتا : حولا كاملا

(٢) رؤبة : هو روبة بن العجاج. ويكنى أبا الجحاف وأبا العجاج . كان من محضرمى الدولتين ، مدح بنى أمية وبنى العباس ونال جوائزهما . وهو أحد الرجاز الفصحاء المذكورين المقدمين ، أخذ عنه وجوه أهل اللغة واحتجوا بقوله وجعلوه إماماً . وقد روى رؤبة الحديث . قال الأصمعى : قيل ليونس بن حبيب :من أشعر الناس؟ قال : العجاج ورؤبة . فقيل:ولم ؟ ولم نعن الرجاز ؟ فقال : هم أشعر من أهل القصيد ، إنما الشعر كلام فأجوده أشعره . وعن أبى عبيدة قال : قال روبة بن العجاج : بعث إلى أبو مسلم لما أفضت الخلافة إلى بنى هاشم ،فلما دخلت عليه رآى منى جزعاً فقال : أسكن فلا بأس عليك ، ما هذا الجزع الذى ظهر منك ؟ قلت : أخافك . قال : ولم ؟ قلت : لا نه بلغنى أنك تقتل الناس . قال : إنما أقتل من يقاتلنى ويريد قتلى . أفأنت منهم ؟ قلت : لا. قال : فهل ترى بأساً ؟ قلت : لا . فأقبل على جلسائه ضاحكا ثم قال: أما ابن العجاج فقد رخص لنا . ثم قال : انشدنى قولك « وقاتم الأعماق خاوى

المفلق ، ودون ذلك الشاعر فقط ، والرابع الشُّعرور . ولذلك قال الاول فى هجاء بعض الشعراء :

يَا رَابِعَ الشُّعَرَاءِ فِيمَ هَجَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنِّي مُفْحَمٌ لاَ أَنْطِقُ(١)

فجعله سكّيتاً مخلفاً ومسبوقاً مؤخّرا

وسمعت بعض العلماء يقول : طبقات الشعراء ثلاثة :شاعر ، وشُوَيْعِرٌ ، وشُعْرُور . قال :

المخترق » فقلت . أو أنشدك أصلحك الله أحسن منه ؟ قال : هات .فأنشدته :

قلت ونسجى مستجداً حوكا ✡ لبيك إذ دعوتنى لبيكا ✡ أحمد ربا ساقنى إليكا

قال : هات كلمتك الأولى . قلت : أو أنشدك أحسن منها ؟ قال : هات.فأنشدته:

ما زال يبنى خندقاً ويهدمه ✡ ويستجيش عسكراً ويهزمه ✡ ومغنما يجمعه ويقسمه

مروان لما أن تهاوت أنجمه ✡ وخانه في حكمه منجمه

قال : دع هذا وأنشدنى « وقاتم الأعماق » قلت : أو أحسن منه ؟ قال : هات . فأنشدته :

رفعت بيتاً وخفضت بيتاً ✡ وشدت ركن الدين إذ بنيتا ✡ في الأكرمين من قريش بيتا

قال : هات ما سألتك عنه ؟ فأنشدته :

مازال يأتى الأمر من أقطاره ✡ على اليمين وعلى يساره ✡ مشمراً لا يصطلى بناره

حتى أقر الملك في قراره ✡ وفر مروان على حماره

قال : ويحك . هات ما دعوتك له ، وأمرتك بانشاده ، ولا تنشد شيئاً غيره ؟ فأنشدته « وقاتم الأعماق خاوى المخترق » فلما صرت إلى قولى « يرمى الجلاميد بجلمود مدق » قال : قاتلك الله ، لشد ما استصلبت الحافر. ثم قال : حسبك ، أنا ذلك الجلمود المدق (قال) وجيء بمنديل فيه مال فوضع بين يدى فقال أبو مسلم يارؤبة ، إنك آتيتنا والأموال مشفوهة ، وان لك لعودة إلينا وعلينا معولا والدهر أطرق مستتب ، فلا تجعل بيننا وبينك الا سدة . قال رؤبة : فأخذت المنديل منه وتالله ما رأيت أعجمياً أفصح منه ، وما ظننت أن أحداً يعرف هذا الكلام غيرى وغير أبى . . وكان رؤبة يتراوح فى إقامته بين البادية والبصرة . مات سنة ١٤٥هـ ٧٦٢م

(١) في الأصل «مقحم» ولا معنى له هنا، والصواب ما أثبتناه . والمفحم: العيي الذى لا يكاد يبين

والشويعر مثل : مُحمد بن حَمران بن أبي حَمران ، سماه بذلك امرؤ القيس ابن حُجر .

ومنهم ثم من بنى ضبة : المُفَوف شاعر بنى حَميس وهو الشُّويعر ، ولذلك قال العبدى :

أَلاَ تَنْهَى سَرَاةُ بَنى حَمِيسٍ شُوَيْعِرَها فُوَيْلِيَةَ الأُفاعِي
قُبَيِّلَةٌ تَرَدَّدُ حَيْثُ شاءَتْ كَزَائِدَةِ النَّعامَةِ فِي الْكُرَاعِ

فُويلية الأفاعى : دويبة سوداء فوق الخنفساء

والشويعر أيضاً : صفوان بن عبد ياليل من بنى سعد بن ليث ، ويقال إن اسمه ربيعة بن عثمان ، وهو الذى يقول :

فَسائِلْ جَعفراً وبَنى أبيها بَنى البرْزَا بطِخْفَةَ والمِلاَحِ (١)
وأفْلَتَنا أبا لَيْلَى طُفَيْلاً صَحيحَ الجِلْدِ مِنْ أثرِ السلاَحِ

وقد زعم ناس أن الخِنذيد من الخيل هو الخصى ، وكيف يكون ذلك كذلك مع قول الشاعر :

يا لَيْتَنى يا لَيْتَ لم أرَ مِثْلَها أمرٌ قِرًى مِنها وأكثرَ باكيا
وأكثرَ خِنْذِيذًا يَجُرُّ عِنانَهُ إلى الماءِ لم يَتْرُكْ لهُ المَوْتُ ساقيا

وقال بشر بن أبى خازم (٢) :

---

(١) طخفة : اسم جبل حدثت بجواره معركة يوم طخفة من أيام العرب . والملاح : اسم مكان أيضاً

(٢) بشر بن أبى خازم الأسدى : شاعر جاهلى قديم من طبقة النابغة الذبيانى وعبيد ابن الأبرص : قال أبو عمرو بن العلاء : فحلان من فحول الجاهلية كانا يقويان : بشر بن أبى خازم والنابغة الذبيانى . فأما النابغة فدخل بشر فغنى بشعره فلم يعد ، وأما بشر فقال له أخوه سوادة : إنك لتقوى ، فقال : وما الأقواء ؟ قال : قولك

ألم تر أن طول الدهر يسلى وينسى مثل ما نسيت جذام

ثم قلت :

وخِنْذِيذٍ ترَى الغُرْمُولَ مِنهُ كَطَيِّ الزِّقِّ عَلَّتَهُ التِّجارُ

وأبين من ذلك قول البُرْجُمِي :

وخَنَاذِيذَ خِصْيَةً وفُحُولا

ويدل على ما قلنا قول العبسى :

دَعَوْتُ بَنِى سَعْدٍ إلَىَّ فَشَمَّرَتْ خَنَاذِيذُ مِنْ سَعْدٍ طِوَالُ السَّوَاعِدِ

وكان زهير بن أبى سُلمى يسمى كبار قصائده «الحوليات»

وقد فسر سُويد بن كُراع العُكلى [1] ما قلنا فى قوله :

أبِيتُ بأبْوَابِ القَوَافِى كأنَّمَا أُصادِى بها سِرْبًا مِنَ الوَحْشِ نُزَّعا
أُكالِئُها حتى أُعَرِّسَ بَعْدَ ما يَكُونُ سُحَيْرٌ أوْ بُعَيْدٌ فأهْجَعا
عَوَاصِيَ إلاَّ ما جَعَلْتُ أمامَها عَصا مِرْبَدٍ تَغْشَى نُحُورًا وأذْرُعا
أهَبْتُ بِغُرِّ الآبِدَاتِ ورَاجَعَتْ طَرِيقًا أمَلَّتْهُ القَصَائِدُ مَهْيَعا
بَعِيدَةُ شَأوٍ لا يَكادُ يَرُدُّها لها طالِبٌ حتى يَكِلَّ ويَظْلَعا
إذَا خِفْتُ أنْ تَرْدَى عَلَىَّ رَدَدْتُها وَرَاءَ التَّرَاقِى خَشْيَةً أن تَطَلَّعا

وكانوا قومنا فبغوا علينا فسقناهم إلى البلد الشآم

فلم يعد للاقواء . والبيت الذى جاء به الجاحظ في الأصل هو من قصيدة آية فى البلاغة .اختارها المفضل الضبي في مفضلياته وشرحناها بقلمنا .أنظرها هناك ص ١٦٢

(١) سويد بن كراع العكلى : شاعر مقدم من شعراء الدولة الأموية ، وكان رجل بنى عكل وذا الرأى والتقدم فيهم . وعكل ، وضبة ، وعدى ، وتيم يقال لهم الرباب . وأول هذه الأبيات التى رواها له الجاحظ فى الأصل :

تقول ابنة العوفي ليلى ألا ترى إلى ابن كراع لا يزال مفزعا
مخافة هذين الأميرين سهدت رقادى وغشتنى بياضاً تفرعا
على غير جرم غير أن جار ظالم على فجهزت القصيد المقرعا
وقد هابنى الأقوام لما رميتهم بفاقرة إن هم أن يتشجعا

وفي رواية صاحب الأغانى لهذه الأبيات تغيير وتبديل وزيادة ونقص .

وجَشَّمَنِي خَوْفُ ابن عَفَّانَ رَدَّها فَثَقَّفْتُها حَوْلاً جَرِيداً ومَرْبَعا (١)
وقد كانَ فى نَفسى عَلَيْها زِيادَةٌ فَلَمْ أرَ إلاَّ أن أُطِيعَ وأسْمَعا

ولا حاجة بنا مع هـذه الفقر إلى الزيادة فى الدليل على ما قلنا ، ولذلك قال الحطيئة (٢): خير الشعر الحوليُّ المُحكك

وكان الأصمعى يقول : زهير بن أبى سلمى ، والحطيئة ، وأشباههما عَبيدُ الشعر . وكذلك كل من يجوّد فى جميع شعره ويقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية فى الجودة .

وكان يقال : لولا أن الشعر كان قد استعبدهم واستفرغ مجهودهم ، حتى أدخلهم فى باب التكلف وأصحاب الصنعة ، ومن يلتمس قعر الكلام واغتصاب الألفاظ ، لذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتيهم المعانى سهلاً ورهواً ، وتنثال عليهم الألفاظ انثيالا . وإنما الشعر المحمود كشعر النابغة الجعدى ورؤبة ، ولذلك

---

(١) وابن عفان : هو سعيد بن عثمان بن عفان

(٢) الحطيئة : هو جرول بن أويس بن مالك العبسى : شاعر مخضرم من فحول الشعراء ومقدميهم وفصحائهم ، كان متصرفاً فى فنون الشعر ، مجيداً في كل ضرب من ضروبه ، مع سلاطة ودناءة وخسة فى النفس ، ولم تقف به الخسة عند حد أن يهجو من يحسن إليه بل تناول بالهجو أباه وأمه وزوجته ، وحتى نفسه . هجا الزبرقان بن بدر فرفع أمره إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فحبسه عمر . وهي أول عقوبة وقعت فى الاسلام على بذاءة القول وقذعه . فقال وهو في الحبس :

ما ذا تقول لأفراخ بذى مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمـة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الامام الذى من بعد صاحبه ألقت اليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثرون بهـا إذ قدموك لهـا لـكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح تغشاهم بهـا القرر
أهلى فداؤك كم بينى وبينهم من عرض داوية يعمى بهـا الخبر

فبكى عمر وعفا عنه وأخذ عليه العهد ألا يعود ، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم . مات سنة ٥٩ هـ ٦٧٨ م

قالوا فى شعره : مِطرَف بآلاف ، وخِمار بواف . وكان يخالف فى جميع ذلك الرواة والشعراء

وكان أبو عبيدة يقول ،ويحكى ذلك عن يونس : ومن تكسّب بشعره والتمس به صِلات الأشراف والقادة ، وجوائز الملوك والسادة ، فى قصائد السَّمَاطين ، وبالطوال التى تنشد يوم الحفل ، لم يجد بُدا من صنيع زُهير والحُطَيئة وأشباههما، وإذا قالوا فى غير ذلك أخذوا عفو الكلام وتركوا المجهود ، ولم ترهم مع ذلك يستعملون مثل تدبيرهم فى طوال القصائد ، وفى صنعة طوال الخطب ، بل كان الكلام البائت عندهم كالمقتضب اقتداراً عليه ، وثقة بحسن عادة الله عندهم فيه

وكانوا مع ذلك اذا احتاجوا الى الرأى فى معاظم التدبير ، ومهمات الأمور ، بيتوه فى صدورهم ، وقيدوه على أنفسهم ، فإذا قوّمه الثقاف ، وأدخل الكير ، وقام على الخلاص ، أبرزوه مُحككا مُنقحاً ، ومصفى من الأدناس مهذبا

وقال الربيع بن أبى الحُقَيْق[1] لأبى ياسر النضيرى :

فَلَا تُكْثِرِ النَّجْوَى وأنْتَ مُحَارِبٌ تُؤَامِرُ فِيها كلَّ نِكْسٍ مُقَصِّرِ

وكان عبد الله بن وهب الراسبى يقول : إياى والرأى الفطير . وكان يستعيذ بالله من الرأى الدَّبَرى .

---

(١) الربيع بن أبى الحقيق : رئيس من رؤساء بنى قريظة ، وشاعر من أكابر شعراء اليهود ، وكان على بنى قريظة يوم بعاث. قال أبو عبيدة : أقبل النابغة الذبيانى يريد سوق بنى قينقاع فلحقه الربيع نازلا من أطمه فلما أشرفا على السوق سمعا الضجة ، وكانت سوقا عظيمة ،فخاصت بالنابغة ناقته فأنشأ يقول: كادت تهال من الأصوات راحلتى

فقال الربيع : والنفر منها إذا ما أوجست خلق

فقال النابغة : لولا أنهنهها بالسوط لاجتذبت

فقال الربيع : منى الزمام وإنى راكب لبق

فقال النابغة : قد ملت الحبس فى الآطام واشتعفت

فقال الربيع : إلى مناهلها لو أنها طلق

فقال النابغة : أنت يا ربيع أشعر الناس

وقال سحبان وائل : شر خليطيك السؤوم المُحزم . لأن السؤوم لا يصبر ، وانما التفاضل فى الصبر . والمحزم صعب لا يعرف ما يراد به ، وليس الحزم الا بالتجارب ، ولأن عقل الغريزة مُسلم إلى عقل التجربة . ولذلك قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : رأىُ الشيخ أحب إلى من جلَد الشباب . ولذلك كرهوا ركوب الصعب حتى يذل ، والمهر الأرِن[1] الا بعد طول الرياضة ، ولم تحوَّل المعاطِيقُ هماليجَ الا بعد طول التخليع . ولم يحلبوا الزَّبون الا بعد الابساس .

وسنذكر من كلام رسول الله ﷺ مما لم يسبقه اليه عربى ، ولم يشاركه فيه عجمى ، ولم يدَّع لاحد ولا ادَّعاه أحد ، مما صار مستعملا ومثلا سائراً

فمن ذلك قوله « ياخيل الله اركبى » ومن ذلك قوله « مات حتف أنفه » ومن ذلك قوله « لا ينتطح فيه عنزان » ومن ذلك قوله « الآن حَمِىَ الوطيس » ولما قال عدى بن حاتم فى قتل عثمان رضى الله تعالى عنه : لا تحبق فيه عناق[2] قال له معاوية بن أبى سفيان رحمهما الله — بعد أن فقئت عينه وقتل ابنه — : يا أبا طَريف ، هل حَبَقت فى قتل عثمان عَناق ؟ قال : إى والله ، والنيسُ الأضجم . فلم يصر كلامه مثلا ، وصار كلام رسول الله ﷺ مثلا

ومن ذلك قوله لأبى سفيان بن حرب « كلُّ الصيد فى جوف الفَرَا » ومن ذلك قوله « هُدنة على دَخَن وجماعة على أقذاء »[3] ومن ذلك قوله « لا يُلسع المؤمن من جحر مرتين »

ألا ترى أن الحارث بن خَدَّان حين أُمر بالكلام عند مقتل يَزيد بن المُهلب[4] قال : يا أيها الناس ، اتقوا الفتنة فانها تُقبل بشبهة ، وتُدبر ببيان ، وإن

(١) المهر الأرن : المرح النشيط الذى لم يمرن

(٢) لا تحبق فيه عناق : لا تضرط فيه عنز صغيرة

(٣) على وخن : على علة وفساد نية

(٤) يزيد بن المهلب . كان أميراً من أمراء الدولة الأموية وقائداً من قوادها العظام

المؤمن لا يُلسع من جُحر مرتين ، فضرب بكلام رسول الله ﷺ المثل ثم قال : اتقوا عُصباً تأتيكم من الشام كأنها دِلاء قد انقطع وَذَمُها(١)

وقال أبن الأشعث(٢) لأصحابه وهو على المنبر : قد علمنا إن كنا نعلم ، وفهمنا إن كنا نفهم ، أن المؤمن لا يُلسع من جُحر مرتين ، وقد والله لُسعت بكم من جحر ثلاث مرات ، وأنا أستغفر الله من كل ما خالف الإيمان ، وأعتصم به من كل ما قرب من الكفر

وأنا أذكر بعد هذا فنا آخر من كلامه ﷺ ، وهو الكلام الذى قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجَلَّ عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد « وما أنا من المتكلفين » فكيف وقد عاب التشديقَ ، وجانب أصحابَ التقعير ، واستعمل المبسوط فى موضع البسط ، والمقصور فى موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشى ، ورغب عن الهجين السُّوقى ،

أبلى مع أبيه المهلب بن أبى صفرة في حروب الخوارج بلاء حسنا.وكان شجاعا بطلا . ولى خراسان بعد أبيه وسنه ثلاثون سنة فعزله عبد الملك بمشورة الحجاج وكان له مبغضاً مع أن أخت يزيد كانت تحت الحجاج.ثم حبسه الحجاج وعذبه فهرب من حبسه. ومضى الى الشام مستشفعاً بسليمان بن عبد الملك فشفع له الى الوليد بن عبد الملك فأمنه وكف عنه ، ثم ولاه سليمان خراسان حينما أفضت الخلافة اليه . ففتح جرجان ودهستان ثم أقبل يريد العراق ومعه الغنائم فعلم بموت سليمان فمال الى البصرة فخادعه عدى بن أرطاة وأوثقه وبعث به الى عمر بن عبد العزيز فحبسه فهرب من محبسه ، ثم خرج على يزيد بن عبد الملك فوجه اليه مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد فى جيش كثيف فالتقوا بالعقر من أرض بابل فقتل يزيد سنة ١٠٢ هـ ٧٢٠ م

(١) وذم الدلاء سيورها

(٢) ابن الاشعث . هو عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث كان شجاعا بطلا أبلى فى حروب الخوارج بلاء حسنا ، وكان تقياً غيوراً ، هاله ما رأى من ظلم الحجاج وجوره. فخرج عليه وتبعه القراء والعلماء والمحدثون وكانت له معه وقائع هائلة ، ومنها وقعة الاهواز ووقعة الزاوية ووقعه دير الجماجم ووقعة دجيل . وقتل سنة ٨٣ هـ ٧٠٢ م

فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم الا بكلام قد حُف بالعصمة ، وشُيد بالتأييد ، ويُسر بالتوفيق

وهذا الكلام الذى ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ، ومع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى مُعاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يَبُذ الخطبَ الطوالَ بالكلام القصير ، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ، ولا يطلب الفَلَجَ[1] الا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ، ولا يستعمل المواربة ، ولا يهمز ، ولا يلمز ، ولا يبطئ ، ولا يعجل ، ولا يُسهب ، ولا يُحصر . ثم لم يسمع الناسُ بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين فى فحواه ، من كلامه ﷺ كثيراً . ولم أرهُم يذمون المتكلف للبلاغة فقط ، بل كذلك يرون المتظرّف والمتكلف للغناء ، ولا يكادون يضعون اسم المتكلف إلا فى المواضع التى يذمونها . قال قَيس بنُ خَطيم[2] :

فَمَا المَالُ وَالأَخْلاَقُ إلا مُعارَةٌ ... فَمَا اسْطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِها فَتَزَوَّدِ

وإنِّى لأَغْنى النَّاسِ عَنْ مُتكلِّفٍ ... يَرَى النَّاسَ ضُلاَّلاً وَلَيْسَ بِمُهْتَدِ

---

(١) الفلج : الظفر والغلب

(٢) قيس بن خطيم : هو قيس بن الخطيم الأوسى شاعر جاهلى فحل. قتل أبوه وهو صغير فلما بلغ قتل قاتل أبيه، وبسبب ذلك نشأت حروب بين الاوس والخزرج. وزعموا أن قيساً كان جميلا ، مقرون الحاجبين ، أدعج العينين ، أحمر الشفتين ، براق الثنايا ، وكانت زوجته حواء بنت يزيد قد أسلمت دون علمه فلما قدم مكة عرض عليه النبى الاسلام فاستنظره قيس حتى يقدم النبى المدينة، فسأله النبى ان يجتنب زوجته وأوصاه بها خيراً، ففعل وحفظ الوصية فقال النبى ﷺ : وفى الاديعج . مات قبل أن يسلم وقيل الهجرة

وقال ابن قميئة[1] :

وَحَمَّالِ أَثْقَالٍ إِذَا هِيَ أُعْرِضَتْ عَنِ الأَصْلِ لاَ يَسْطِيعُهَا المُتَكَلِّفُ

وقال محمد بن سلام ، قال يونس بن حبيب : ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ

وقد جمعنا فى هذا الكتاب جُملا التقطناها من أفواه أصحاب الاخبار . ولعل بعض من لم يتسع فى العلم ، ولم يعرف مقادير الكلام ، يظن أن تكلفنا له من الامتداح والتشريف ، ومن التزيين والتجويد ، ما ليس عنده ولا يبلغه قدره ، كلا والذى حَرَّمَ التَّزَيُّدَ على العلماء ، وقبح التكلف عند الحكماء ، ويهرج الكذابين عند الفقهاء ، لا يظن هذا إلا من ضل سعيه

فمن كلام رسول الله ﷺ حين ذكر الأنصار فقال « أما والله ما علمتكم إلا لَتَقِلُّون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع » وقال « الناس كلهم سواء كأسنان المشط » و « المرء كثير بأخيه » و « لا خير فى صحبة من لا يرى لك ما يرى لنفسه »

وقال الشاعر :

سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الحِمَارِ فَلاَ تَرَى لِذِى شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلى ناشِئٍ فَضْلاً

وقال آخر :

شَبَابُهُمُ وشَيْبُهُمُ سَوَاءٌ فَهُمْ فى اللَّوْنِ أَسْنَانُ الحِمَارِ

وإذا حصلت تشبيه الشاعر وحقيقته ، وتشبيه النبى ﷺ وحقيقته ، علمت فضل ما بين الكلامين .

---

(١) ابن قميئة : هو عمرو بن قميئة بن ذريح البكرى ، شاعر جاهلى قديم ، وهو أقدم من امرىء القيس ، لقيه امرؤ القيس فى آخر عمره وأخرجه معه إلى قيصر بالقسطنطينية فمات فى طريقه . ويعد في فحول الطبقة الثانية فى الشعراء . وزعموا أنه كان جميلا حسن الوجه مديد القامة . ومات عن سن عالية سنة ٥٦٠ م

وقال رسول الله ﷺ « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، ويرد عليهم أقصاهم ، وهم يَدٌ على من سواهم »

فتفهَّم رحمك الله قلة حروفه وكثرة معانيه .

وقال ﷺ « اليـدُ العُليا خير من اليد السفلى » و « ابْدأ بمن تعول » وقال « لا تجن يمينك على شمالك » وذكر الخيل فقال « بطونها كنز ، وظهورها حِرز » وقال « خير المال مُهرة مأمورة ، وسكة مأبورة »(١) وقال « خير المال عين ساهرة لعين نائمة » وقال « نعمت العمة لكم النخلة تغرس فى أرض خوارة(٢) وتشرب من عين خرارة » وقال « المطعمات فى المحل ، الراسخات فى الوحل » وقال « الحِمَى(٣) فى أصول النخل » وذكر الخيل فقال « أعوانها أدفاؤها ، وأذنابها مذابها » و « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة » وقال « ليس منا من حَلق أو صَلق أو شَق »(٤) وقال « نهيتكم عن عقوق الامهات ، ووأد البنات ، ومنع وهات » وقال « الناس كإبل مِئَة لا تجد فيها راحلة »(٥) وقال « ما أملق تاجر صدوق » وجاء فى الحديث « ماقل وكفى خير مما كثر وألهى » وقال « يحمل هذا العلم من كل خلف عدد له ينفون عنـه تحريف الغالين ، وانتحال المُبطلين ، وتأويل الجاهلين »

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله ﷺ « الخير فى السيف ، والخير مع السيف ، والخير بالسيف » وقال « لأُورِدَنّ مُجْرِبٌ على مُصِح »(٦) وقال « لا تزال أمتى صالحاً أمرها ما لم تر الامانة مَغْنما ، والصـدقة مَغرما » و « رأس العقل بعد الايمان بالله مداراة الناس » و « لن يهلك امرؤ بعد

(١) مأموره : منتجة . وسكة مأبورة : السكة ، الطريقة المصطفة من النخل ، أو الأرض المصلحة المعدة للحرث (٢) خوارة : سهلة لينة (٣) الحمى : الممنوع الدنو منه (٤) الصلق : الصوت الرائع من البواكى والنوائح عند الفواجع (٥) يعنى أن خيار الناس في الندرة كالراحلة الصالحة في الابل (٦) يعنى أن ذا الابل الجرباء يحظر عليه الدخول بها على ذى الابل الصحيحة لئلا تنتقل اليها عدواها

مَشُورة » وقال « المستشار مؤتمن » وقال « المستشار بالخيار ، إن شاء قال ، وإن شاء أمسك » وقال « رحم الله عبدا قال خيرا فغنم ، أو سكت فسلم » وقال « افصلوا بين حديثكم بالاستغفار » وقال « استعينوا على طول المشى بالسعى » وقال للختانة « يا أم عطية ، أشمِّيه ولا تنهكيه ، فانه أسرى للوجه ، وأحظى عند الزوج » وقال « لا تجلسوا على ظهور الطريق ، فان أبيتم فغضوا الابصار ، وردوا السلام ، واهدوا الضال ، وأعينوا الضعيف » وقال « إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تتفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاّه الله أمركم . ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » وقال « يقول ابن آدم : مالى مالى ، وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أو لَبِست فأبليت ، أو وهبت فأمضيت » وقال « لو أن لابن آدم واديين من ذهب لسأل إليهما ثالثاً » و « لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب » و « يتوب الله على من تاب » وقال « إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستعملكم فيها فناظر كيف تعملون » وقال « إن أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجالس [1] يوم القيامة ؛ أحاسنكم أخلاقا ، الموطّؤن أكنافا ، الذين يألفون ويُؤلفون ؛ وإن أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة ، الثرثارون المتشدقون المتفيهقون » وقال « إياى والتشادق » وقال « إياى والفُرج فى الصلاة » وقال « لا يؤمن ذو سلطان فى سلطانه ، ولا يُجلس على تكرمته إلا باذنه » وقال « إياكم والمُشارَّة فإنها تميت الغِرّة ، وتحيى العِرّة » وقال « لا ينبغى لصديق أن يكون لعّاناً » وقال « أعوذ بالله من الاعمبين وبوار الأيِّم » وكان يقول « أعوذ بالله من دعاء لا يسمع ، وقلب لا يخشع ، وعلم لا ينفع »

وقال رجل : يارسول الله ، أوصنى بشىء ينفعنى الله به قال « أكثر ذكر الموت يُسلِّكَ عن الدنيا ، وعليك بالشكر فان الشكر يزيد فى النعمة ، وأكثر الدعاء

(١) فى الأصل : مجلساً ، والصواب ما أثبتناه ، عن النهاية لابن الأثير

فانك لا تدرى متى يُستجاب لك » وقال « أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم » و « إياك والبغى فان الله قد قضى أنه من بغى عليه لينصرنه الله » و « إياك والمكر فان الله قد قضى أن لا يَحيق المكر السيئ إلا بأهله » وقيل : يارسول الله ، أى العمل أفضل ؟ فقال « اجتناب المحارم ، ولا يزال فوك رطباً من ذكر الله » وقيل له : أى الأصحاب أفضل ؟ فقال « الذى إذا ذَكرت أعانك ، وإذا نَسيت ذكرك » وقيل : أى الناس شر ؟ قال « العلماء إذا فسدوا » وقال « دَبَّ إليكم داءُ الامم من قبلكم : الحسد والبغضاء ، والبغضاء هى الحالقة ، حالقة الدين لا حالقة الشَّعَر . والذى نفس محمد بيده لا تؤمنون حتى تحابوا ، أولا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » وقال « تهادوا تحابوا »

وعن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « أوصانى ربى بتسع : أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية ، وبالعدل فى الرضا والغضب ، وبالقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكراً ، ونطقى ذكراً ، ونظرى عبرا »

وثلاث كلمات رُويت مرسلة ، وقد رويت لاقوام شتَّى ، وقد يجوز أن يكون إنما حكوها ولم يبتدؤها ، منها قوله « لو تكاشفتم لما تدافنتم » ومنها قوله « الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم » ومنها قوله « ماهلك امرؤ عرف قدره »

وقال اسماعيل بن عَياش ، عن عبد الله بن دينار قال : قال النبى ﷺ « ان الله كره لكم العَبَث فى الصلاة ، والرَّفَث فى الصيام ، والضحك عند المقابر » وقال « إذا أذَّنتَ فَترسَّل ، وإذا أقمتَ فأجزم »

وحدثنا اسماعيل بن عَياش الحمصى ، عن الحسن بن دينار ، عن الحصيب بن جُحدر ، وهو من حديث مَعاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « ليس من أخلاق المؤمن الملَق إلا فى طلب العلم » ومن حديث أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال

« قيّدوا العلم بالكتاب » قال « ويقول الله : لولا رجال خُشَّع ، وصبيان رُضَّع ، وبهائم رُتَّع ، لَصببتُ عليكم العذاب صَبًّا »

ومن حديث عبد الله بن المبارك ، رفعه ، قال « إذا ساد القبيلَ فاسقُهم ، وكان زعيمَ القوم أرذلُهم ، واُكرِمَ الرجلُ اتّقاءَ شره ، فلينتظروا البلاء »

ومن حديث ابن أبي ذئب ، عن المغيرة ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال ﷺ « ستحرصون على الامارة ، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة »

ومن حديث عبد الملك بن عُمير ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان »

ومن حديث عبد الله بن المبارك قال : كان رسول الله ﷺ يقول « إن قوما ركبوا سفينة في البحر فاقتسموا فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له : ما تصنع ؟ فقال : هو مكاني أصنع فيه ما شئتُ ، فان أخذوا على يديه نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا » وقال « عَلِّقْ سوطك حيث يراه أهلك »

ودخل السائب بن أبي صبي على النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أتعرفني ؟ قال « كيف لا أعرف شريكي الذي كان لا يشاريني ولا يماريني ؟ »

وقال رسول الله ﷺ « يُؤتَى بالوالي يجلد فوق ما أمر الله به فيقول له الرب : عبدي ، لم جلدت فوق ما أمرتك به ؟ فيقول : ربي ، غضبت لغضبك . فيقول : أكان ينبغي لغضبك أن يكون أشد من غضبي ؟ ثم يُؤتَى بالمقصّر فيقول : عبدي ، لم قصّرت عما أمرتك به ؟ فيقول : ربي ، رحمته . فيقول : أكان ينبغي لرحمتك أن تكون أوسع من رحمتي ؟ قال : فيأمر فيهما بشيء قد ذكره لا أعرفه ، إلا أنه صيرهما إلى النار

قال وكيع : حدثنا عبد العزيز بن عمر ، عن قُزَعة قال : قال لي ابن عمر : أودّعك كما ودّعني رسول الله ﷺ « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » وقال « كل أرض بسمائها »

وروى سعيد بن عُفير ، عن ابن لَهيعة ، عن أشياخه أن النبى ﷺ كتب لوائل بن حجر الحضرمى ولقومه :

« من محمد رسول الله إلى الاقيال العباهلة[١] من أهل حَضْرَمَوت باقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، على التَّيعة شاة ، والتيمة لصاحبها، وفى السيوب[٢] الخُمس. لا خِلاط، ولا وراط ، ولا شِناق ، ولا شِغار[٣] فمن أجبى فقد أربى[٤] . وكل مُسكر حرام »

ومن حديث راشد بن سعد أن رسول الله ﷺ قال « لا تغالوا فى النساء فانما هن سُقيا الله » وقال رسول الله ﷺ « خير نساء ركبن الابل صوالح نساء قريش ، أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على بعل فى ذوات يده »

وقال مجالد عن الشعبى قل رسول الله ﷺ « اللهم اذهب مُلك غَسان ، وضع فُهور كِندة »

والذى يدلك على أن الله قد خصه من الايجاز وقلة عدد اللفظ مع كثرة

---

(١) الاقيال العباهلة : هم الذين أقروا على ملكهم لا يزالون عنه. وواحد العباهلة: عبهل

(٢) التيعة : اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان ، وهى كالخمس من الابل . والأربعين من الغنم. والتيمة : الشاة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى. أو هي الشاة تكون لصاحبها فى منزله يحتلبها وليست بسائمة . والسيوب : قال الزمخشرى : السيوب جمع سيب يريد به المال المدفون في الجاهلية أو المعدن لأنه من فضل الله تعالى وعطائه لمن أصابه (٣) الخلاط : أن يخالط الرجل ماله من ماشية بما لغيره ليبخس حق الله فى الزكاة . والوراط : أن تخفى مالك من ماشية في وهدة من الأرض ، أو تغيبها فى مال غيرك لكيلا يراها المصدق فيأخذ زكاتها . والشناق : أن لا يؤخذ في الزائد على الفريضة زكاة إلى أن تبلغ الفريضة الأخرى . والشغار : أن تزوج الرجل بنتك أو أختك أوالتى تلى أمرها من محارمك على أن يزوجك نظيرتها دون أن يكون بينكما مهر . وقد كان هذا النكاح معروفاً فى الجاهلية فأبطله الاسلام بهذا الحديث (٤) أجبى : الاجباء بيع الزرع قبل أن يبدو صلاحه ، أو هو مواراة المال عن المصدق فراراً من الزكاة ، وقيل : هو العينة ، وهو أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى ثم يشتريها منه بالنقد بأقل من الثمن الذى باعها به

المعانى ، قوله ﷺ « نُصرت بالصبَّا ، واعطيت جوامع الكلم » ومما روى عنه ﷺ من استعمال الأخلاق الكريمة ، والأفعال الشريفة ، وكثرة الامر بها والنهى عما خالف عنها ، قوله « من لم يقبل عذراً من مُتنصلٍ ، صادقا كان أو كاذباً ، لم يرد علىَّ الحوض » وقال فى آخر وصيته « اتقوا الله فى الضعيفين » وكلمته جارية فى السَّبْي فقال لها : « من أنت ؟ » قالت : « أنا بنت الرجل الجواد حاتم » فقال النبى ﷺ « إرحموا عزيزاً ذلّ ، إرحموا غنياً افتقر ، إرحموا عالما ضاع بين جهال » وقال النبى ﷺ « سُرعة المشى تَذهب بهاء المؤمن »

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن الأحاديث ستكثر عنى بعدى كما كثرت عن الأنبياء من قبلى ، فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فهو عنى قلته أو لم أقله »

وسئلت عائشة رضى الله تعالى عنها عن خُلق النبى ﷺ فقالت : خلُق القرآن . وتلت قول الله « وإنك لعلَى خُلُق عظيم »

وقال محمد بن على : أدب الله محمداً ﷺ بأحسن الآداب فقال : « خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » فلما وعى قال : « مَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ »

قال : حدثنا على بن مجاهد قال : حدثنا هِشامُ بن عُروة قال : سمع عُمر بنُ الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا ينشد :

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ ... تَجِدْ خَيْرَ نارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ

فقال عمر : ذاك رسول الله ﷺ

وقد كان الناس يستحسنون قول الأعشى :

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا ... وبَاتَ على النارِ النَّدَى والمُحلقُ

فلما قال الحطيئة البيت الذى كتبناه قبل هذا سقط بيت الأعشى

وقال رسول الله ﷺ « لا يزال المسروق منه فى تهمة من هو برىء حتى يكون أعظم جرماً من السارق »

وقال أبو الحسن : أجرى ﷺ الخيل وسابق بينها فجاء فرس له أدهم سابقاً فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه وقال : « ما هو إلا البحر »

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كذب الحطيئة حيث يقول :

وإنّ جِيَادَ الخَيْلِ لاَ تَسْتَفِزُّنا ولاَ جاعِلاَتُ العاجِ فَوْقَ المعاصِمِ

وقد زعم ناس من العلماء أنه لم يستفزه سبق فرسه ولكنه أراد إظهار حب الخيل وتعظيم شأنها

وكان رسول الله ﷺ يأكل على الأرض ، ويجلس على الأرض ، ويلبس العباء ، ويجالس المساكين ، ويمشى فى الأسواق ، ويتوسد يده الشريفة ، ويقص من نفسه ، ويلطع أصابعه [1] ، ولا يأكل متكئاً ، ولم يُرقط ضَاحكا ملء فيه . وكان يقول « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأشرب كما يشرب العبد ، ولو دُعيت إلى ذراع لأجبت ، ولو أهدى إلىَّ كُراع [2] لقبلت » لم يأكل قط وحده ، ولا ضرب عبده ، ولا ضرب أحداً بيده إلا فى سبيل ربه . ولو لم يكن من كرم عفوه ، ورجاحة حلمه ، إلا ما كان منه يوم فتح مكة لقد كان ذلك من أكمل الكمال . وذلك أنه حين دخل مكة عَنوة ، وقد قتلوا أعمامه وبنى أعمامه وأولياءه وقادة أنصاره ، بعد أن حصروه فى الشِّعاب ، وعذبوا أصحابه بأنواع العذاب ، وجرحوه فى بدنه ، وآذوه فى نفسه ، وسفهوا عليه ، وأجمعوا على كيده ، فلما دخلها بغير حمدهم ، وظهر عليهم على ضغن [3] منهم ، قام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أقول كما قال أخى يوسف : « لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُم وهُوَ أرحَمُ الرَّاحِمِينَ »

وإنما نقول فى كل باب بالجملة من ذلك المذهب . وإذا عرفتم أولَ كل باب كنتم خُلقاء أن تعرفوا الأواخر بالأوائل ، والمصادر بالموارد

---

(١) يلطع أصابعه : يلحسها (٢) الكراع : مستدق الساق (٣) في نسخة : على صغر ، ولا معنى لذلك هنا . وإنما هو على ضغن كما أثبتناه

﴿ خطبة الوادع ﴾

ومن خطبه ﷺ خطبة حجة الوَدَاع . وهى :

« الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يُضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته ، وأستفتح بالذى هو خير .

أما بعد أيها الناس ، اسمعوا منى أبين لكم فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا

أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا .

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها . وإنّ ربا الجاهلية موضوع ، وإنّ أولَ رباً أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب . وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أولَ دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . وإن مآثر الجاهلية موضوعة ، غيرَ السِّدَانَةِ . والسِّقَايَةِ . والعمدُ قَوَدٌ وشِبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يُعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس « إنما النَّسِى[1] زيادة فى الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا ، يحلونه عاماً ويحرِّمونه عاماً ، ليواطئوا عِدَّة ماحرم الله » . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . و « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خَلق السموات والأرض منها أربعة حُرُم » ، ثلاثة متواليات

(١) فى نسخة : إن النسىء ، والصواب : إنما النسىء كما جاء فى الكتاب القديم

وواحد فرد : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب الذى بين جمادى وشعبان

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقًّا ولكم عليهن حق : لكم عليهن أن لا يُوطِئن فُرُشكم غيركم . ولا يُدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ؛ فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تَعْضُلُوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهنْ ضرباً غير مبرِّح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيراً

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

أيها الناس ، إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه .

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

فلا ترجعُنَّ بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده ، كتابَ الله .

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

أيها الناس ، ربُّكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ؛ أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربىٍّ على عَجمى فضلٌ إلا بالتقوى .

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد . قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد الغائب .

أيها الناس ، إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لوارث وصية ، ولا يجوز وصية فى أكثر من الثلث . والولد للفراش وللعاهر الحجر ، من ادعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقبل منه صَرف ولا عَدل . والسلام عليكم ورحمة الله »

وعن الحسن قال : جاء قَيسُ بنُ عَاصم المنقرى [١] الى رسول الله ﷺ فلما نظر إليه قال : هذا سَيدُ أهل الْوَبَرِ . فقال : يارسول الله، خبّرنى عن المال الذى لاتكون علىَّ فيه تبِعَةٌ من ضيف ضافنى ، أو عيال إن كثروا علىَّ . قال : نعم ، المال الأربعون ، والأكثر الستون ، وويل لأصحاب المئين إلا من أعطى فى رَسْلها ونجدتها [٢] وأطرق فحلها ، وأفقر ظهرها ، ونحر سمينها ، وأطعم القَانِع والمُعتر . قال : يارسول الله ، ماأكرم هذه الاخلاق وأحسنها ؟ وما يحل بالوادى الذى أكون فيه أكثر من إبلى . قال : فكيف تصنع بالطَّروقة ؟ قال : تغدو الابل ويغدو الناس فمن شاء أخذ برأس بعير فذهب به . قال : فكيف تصنع بالافقار ؟ [٣] قال : إنى لافقر البَكر الضَّرِع والناب المسنة . قال : فكيف تصنع بالمنيحة ؟ قال : إنى لامنح فى كل سنة مائة . قال : فاى المال أحب إليك، أمالك أم مال مواليك ؟ قال : بل مالى . قال : فمالَك من مالِك الا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت ، وماسوى ذلك للمواريث

وذكر أبو المقدام هِشام بن زياد عن محمد بن كعب القرظى [٤] قال : دخلت

---

(١) قيس بن عاصم المنقرى : هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد ، ويكنى أبا على. كان سيداً شريفاً موصوفاً بالحلم قدم على رسول الله ﷺ فى وفد تميم بعد الفتح فأسلم . وكان الأحنف بن قيس يقول : تعلمت الحلم من قيس بن عاصم ، أوتى بقاتل ابنه فقال : أزعجتم الفتى ، وكان ابن عمه، ثم أقبل عليه وقال : يا بنى، نقصت من عددك، وأوهنت من ركنك ، وفتت في عضدك ، وأشمت عدوك ، وأسأت بقومك . خلوا سبيله . وما حل حبوته ولا تغير وجهه . وقال ابن الاعرابى : قيل لقيس : بماذا سدت قومك ؟ فقال : بثلاث ، بذل الندى. وكف الأذى ، ونصر الولى . وكان شاعراً مخلا . وشجاعاً باسلا ، كثير الغارات في الجاهلية والاسلام مظفراً فى غزواته . توفي سنة ٤٧ هـ ٦٦٧ م

(٢) رسلها ونجدتها : يقال : بعير رسل وناقة رسلة لينة السير ، والرسل : القطيع من الابل (٣) الافقار : الابل التى تعار للغير

(٤) محمد بن كعب القرظى : راوية إخبارى قاص يكنى ، أبا حمزة . والقرظى نسبة

على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فى مرضه الذى مات فيه فجعلت أحدّ النظر إليه . فقال لى : يابن كعب ، مالك تحد النظر إلىّ ؟ قلت : لما نحل من جسمك، وتغير من لونك . قال : فكيف لو رأيتنى بعد ثلاثة فى قبرى وقد سالت حدَقتاى على وجنتىّ وابتدر فمى وأنفى صديدا ودودا كنت لى أشد نَكرة ، أعد علىّ حديثا كنت حدثتنيه عن ابن عباس . قلت : سمعت ابن عباس يقول : كان رسول الله ﷺ يقول « إن لكل شىء شرفا ، وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة ، ومن أحب أن يكون أعزّ الناس فليتق الله ، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومن أحبّ أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده » ثم قال « ألا أنبئكم بشرار الناس ؟ » قالوا : بلى يارسول الله . قال « من نزل وحده ، ومنع رفده ، وجلد عبده » ثم قال « ألا أنبئكم بشر من ذلك ؟ » قالوا : بلى يارسول الله . قال « من لا يُقيل عثرةً ، ولا يَقبل مَعذِرة » ثم قال : « ألا أنبئكم بشر من ذلك ؟ » قالوا : بلى يارسول الله . قال « من لا يُرجى خيره ، ولا يُؤمن شره » ثم قال «ألا أنبئكم بشر من ذلك؟» قالوا : بلى يارسول الله . قال « من يُبغض الناس ويُبغضونه . ان عيسى بن مريم قام خطيبا فى بنى اسرائيل فقال : يابنى اسرائيل، لاتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ، ولاتمنعوها أهلها فتظلموهم ، ولا تكافئوا ظالما فيبطل فضلكم . يابنى اسرائيل ، الامور ثلاثة : أمر تَبين رُشده فاتّبِعوه ، وأمر تَبين غيه فاجتنبوه ، وأمر اختلف فيه فإلى الله ردوه »

وقال النبى ﷺ : كل قوم على زينة من أمرهم، ومفلحة من أنفسهم، يزرون على من سواهم . ويتبين الحق من ذلك بالمقايسة بالعدل عند ذوى الالباب من

إلى بنى قريظة : انتسب يوماً قرظياً فقيل له : لم لا تنتسب أنصارياً ؟ فقال : أكره ان أمن على الله بما لم أفعل . كان يقص في مسجده فسقط عليه وعلى أصحابه فقتلهم . قيل أن ذلك كان فى سنة ١١٧ هـ ٧٣٥ م

الناس . وقال « من رَضِى رقيقه فليمسكه، ومن لم يرض فليبعه ، ولا تعذبوا عباد الله » وقال فى آخر ما أوصى به « اتقوا الله فى الضعيفين » .

ابن ثوبان ، عن أبيه ، عن مكحول ، عن جُبير بن نُفير ، عن مالك بن يحامر ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح قُسطنطينية ، وفتح قُسطنطينية خروج الدجال » ثم ضرب بيده على فخذ الذى حدثه أو منكبه ثم قال « إن هذا لحق كما أنك هاهنا » أو « كما أنك قاعد » يعنى معاذا [1] .

صالح المرى [2] عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستقبلوا انبلاء بالدعاء »

كثير بن هشام ، عن عيسى بن ابرهيم، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ « الجمعه حج المساكن »

عوف ، عن الحسن ، أن النبى ﷺ قال « اتقوا الله فى النساء فانهن عندكم عَوان ، وإنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله »

الواقدى ، عن موسى بن محمد بن ابرهيم التيمى ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الله يحب الجواد من خلقه »

أبو عبد الرحمن الاشجعى ، عن يحيى بن عبد الله ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « ماخلا يهودى بمسلم قط إلا همَّ بقتله » ويقال « حدث نفسه بقتله »

أبو عاصم النبيل قال: حدثنا عبيد الله بن أبى زياد ، عن شهر بن حَوشب، عن

---

(١) لعل هذا الحديث من تسقطات الجاحظ التى أخذه بعضهم بها . وإلا فليس مثل الجاحظ من يروى مثل هذا الحديث على أنه سليم من الشوائب

(٢) صالح المرى: كان مولى لبنى مرة من عبد القيس، وكان من أهل الخير والصلاح، وكان يرى رأى أهل القدر . مات بالبصرة

أسماء بنت يزيد قالت :قال النبى ﷺ :«مَن ذَبَّ عن لحم أخيه بظهر الغيب كان حقاً على الله أن يُحَرِّمَ لحمه على النار »

اسماعيل بن عَياش،عن الحسن بن دينار،عن الخصيب بن جُحدر،عن رجل، عن مَعاذ بن جبل، عن النبى ﷺ قال: « ليس من أخلاق المؤمن الملَق إلا فى طلب العلم »

عبد ربه بن أعْيَن ،عن عبد الله بن ثُمامة بن أنس،عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : « قيِّدوا العلم بالكتاب » وقال: « فَضل جاهك تعود به على أخيك الذى لاجاه له صدقةٌ منك عليه ، وفضل لسانك تُعبِّر به عن أخيك الذى لالسان له صدقةٌ منك عليه ، وفضل قوَّتك تعود بها على أخيك الذى لا قوَّة له صدقة منك عليه ، وفضل علمك تعود به على أخيك الذى لا علم له صدقةٌ منك عليه ، وإماطتك الأذى عن الطريق صدقةٌ منك على أهله »

وإنما مدار الأمر والغاية التى يُجرَى اليها : الفهم ثم الافهام، والطلب ثم التثبت

وقال عمرو بن العاص : ثلاثة لا أملهم : جليسى ما فهم عني ، ودابتى ماحملت رحلى ، وثوبى ما ستر عورتى

وذكر الشعبى[1] ناساً فقال : ما رأيت مثلهم أشد تنابذاً فى مجلس ، ولا أحسن تفهماً عن محدث .

ووصف سَهل بن هُرون رجلا فقال : لم أر أحسن منه فهماً لجليل ، ولا أحسن تفهماً لدقيق .

---

(١) الشعبى : هو عامر بن شراحيل بن عبد الشعبى . وأصله من حمير ، وعداده في همدان . وكان يكنى أبا عمرو ، وكان ضئيلا نحيفاً ، وكانت أمه من سبى جلولاء ، وهى قرية بنواحى فارس . كتب لعبد الله بن مطيع العدوى ، ولعبد الله بن يزيد الخطمى عامل ابن الزبير على الكوفة ، وكان راوية قاصا إخبارياً معروفاً بالمزح . مات سنة ١٠٥ هـ ٧٢٣ م

وقال سعيد بن سلم[١] لأمير المؤمنين المأمون : لو لم أشكر الله إلا على حسن ما بلانى فى أمير المؤمنين من قصده إلىَّ بحديثه ، وإشارته إلىَّ بطرفه ، لقد كان ذلك من أعظم ما تفرضه الشريعة ، وتوجبه الحرية . قال المأمون : لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حُسن الإفهام إذا حدَّثت ، وحسن الفهم إذا حُدِّثت ، ما لم يجده عند أحد فيمن مضى ، ولا يَظن أنه يَجده فيمن بقى . وقال له مَرة : والله إنك لتستقفى حديثى ، وتقف عند مقاطع كلامى ، وتخبر عنه بما كنت قد أغفلته

قال أبو الحسن : قالت امرأة لزوجها : مالك إذا خرجتَ إلى أصحابك تَطَلَّقْتَ[٢] وتحدثت ، وإذا كنت عندى تعقّدت وأطرقت ؟ قال : لأنى أجل عن دقيقك ، وتدقين عن جليلى

وقال أبو مُسهر بن المبارك : ما حدثت رجلا قط إلا أعجبنى حسن إصغائه حفظ عنى أم ضيع

وقال أبو عَقيل بن درست : نشاط القائل على قدر فهم المستمع .

وقال أبو عباد كاتب ابن أبى خالد : للقائل على المستمع ثلاث : جمع البال ، والكتمان ، وبسط العُذر . وقال أبو عباد : إذا أنكر القائل عَيْنَى المستمع فليستفهمه عن منتهى حديثه ، وعن السبب الذى أجرى ذلك القول له ، فان

---

(١) سعيد بن سلم : هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلى . كان من أمراء الدولة العباسية ، ولى لها أرمينية والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة . وكان شجاعاً باسلا ضابطاً لأموره مع أدب بارع ورواية طريفة : حدث عن نفسه فقال : مدحنى شاعر ببيتين لم أسمع أحسن منهما وهما قوله :

أيا سارياً بالليل لا تخش ضلة سعيد بن سلم ضوء كل بلاد
لنا مقرم أربى على كل مقرم جواد حشا في وجه كل جواد

فأغفلت صلته فهجانى ببيتين لم أسمع أهجى منهما ، وهما قوله :

لكل أخى مدح ثواب علمته وليس لمدح الباهلى ثواب
مدحت ابن سلم والمديح مهزة فكان كصفوان عليه تراب

(٢) تطلقت : ذهبت فى انبساطك وانطلاق لسانك بالحديث كل مذهب

وجده قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث ، وإن كان لاهياً عنه حرمه حسن الحديث ونفع المؤانسة ، وعرفه بسوء الاستماع والتقصير فى حق المحدث

وأبو عباد هذا هو الذى قال : ما جلس بين يدىَّ رجل قطّ إلا تمثل لى أنى سأجلس بين يديه

وذكر رجل من القرشيين عبد الملك بن مروان — وعبد الملك يومئذ غلام — فقال : إنه لآخذٌ بأربع ، وتارك لأربع : آخذ بأحسن الحديثِ إذا حَدَّث ، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث ، وبأيسر المؤنة إذا خُولف ، وبأحسن البِشر إذا لَقى . وتارك لمحادثة اللئيم ، ومنازعة اللجوج ، وممارات السفيه ، ومصاحبة المأفون

وذم بعض الحكماء رجلا فقال : يجزم قبل أن يعلم ، ويغضب قبل أن يفهم .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى بعض رسائله إلى قضاته : الفهم الفهم مما يختلج فى صدرك

ولا يمكن تمام الفهم إلا مع تمام فراغ البال

وقال مجنون بنى عامر :

أتانى هَوَاها قَبْلَ أنْ أعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبى فارِغاً فتمكَّنا

وكتب مالك بن أسماء بن خارجة إلى أخيه عُيينة بن أسماء :

أَعُيَيْنُ هَلاَّ إذْ شَغِفْتَ بِهَا كُنْتَ اسْتَعَنْتَ بِفارِغِ الْعَقْلِ

أقْبَلْتَ تَرْجُو الْغَوْثَ مِنْ قِبَلى والْمُسْتَغَاثُ إلَيْهِ فى شُغْلِ

وقال صالح المرى : سوء الاستماع نفاق . وقد لا يفهم المستمع إلا بالتفهم ، وقد يتفهم أيضاً من لا يفهم

وقال الحارث بن حِلِزَة[1]

(١) فى نسخة ابن جلده ، وليس هنالك والصواب ماأثبتناه . وهو الحارث بن حلزة اليشكرى وهذا البيت من قصيدة له بالمفضليات التى شرحناها بقلمنا ونشرناها حديثاً أولها :

وَحَبِسْتُ فِيهَا الرَّكْبَ أَحْدِسُ فِي كُلِّ الأُمُورِ وَكُنْتُ ذَا حَدْسِ

وقال النابغة الجعدى :

أَبَا لِي البَلَاءُ وَأَنِّي امْرُؤٌ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ

وقال آخر :

تَحَلَّمْ عَنِ الأَدْنَيْنَ وَاسْتَبْقِ وِدَّهُمْ وَإِنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَا

والمثل السائر على وجه الدهر قولهم : العلم بالتعلم . وإذا كانت البهيمة إذا أحست بشيء من أسباب القاص أحدَّت نظرها واستفرغت قواها فى الاسترواح وجمعت بالها للتسمع ، كان الإنسان العاقل أولى بالتثبت وأحق بالتعرف .

ولما اتهم قتيبة بن مسلم [1] أبا مِجْلَز لاحق بن حُميد [2] ببعض الأمر قال له أبو مِجْلَز : أيها الأمير تثبت فإن التثبت نصف العفو .

وقال الأحنف : تعلمت الحلم من قَيس بن عاصم . وقال فيروز بن حُصين : كنت أختلف إلى دار « الاستخراج » أتعلم الصبر .

لمن الديار عفون بالحبس آياتها كمهارق الفرس
لا شيء فيها غير أصورة سفع الخدود يلحن في الشمس
وغير اثار الجياد بأعراض الجماد وآية الدعس
فحبست فيها الركب أحدس في كل الأمور وكنت ذا حدس

(١) قتيبة بن مسلم : أبو حفص الباهلى . كان قائداً عظيماً ، وشجاعاً باسلا ،وسيداً كريماً ، ولاه عبد الملك بن مروان الرى ثم أشار عليه الحجاج فولاه خراسان ، وكانت هناك ردة فقام بأمرها وفتح خوارزم وسمرقند وبخارا وظل فى ولايته ثلاث عشرة سنة ثم عزل وثار به وكيع بن أبى سود الغدانى بفرغانة منتقما فقتله وهو ابن خمس وأربعين سنة وذلك في سنة ٩٧ هـ ٧١٥ م

(٢) أبو مجلز لاحق بن حميد بن سدوس بن شيبان : كان يقيم بخراسان فاستقدمه عمر بن العزيز إليه ليسأله عنها ، ثم ولاه بيت المال وضرب السكة (دار الضرب) . توفي سنة ١٠١ هـ ٧١٩ م

وقال سهل بن هرون : بلاغة الإنسان رِفق ، والعى خُرق . وكان كثيراً ماينشد قول شُدَيم بن خُوَيلد :

ولا يَشْعَبُون الصَّدْعَ بَعْدَ تفاقمٍ وفى رِفْقِ أيْدِيكُمْ لذِى الصَّدْعِ شَاعِبُ

﴿ خطبة لأبى بكر الصديق ﴾

وقال ابرهيم الأنصارى ، وهو ابرهيم بن محمد المفلوج من ولد أبى زيد القارى : الخلفاء والائمة وأمراء المؤمنين ملوك ، وليس كل ملك يكون خليفةً وإماماً . قال : ولذلك فصل بينهم أبو بكر رضى الله تعالى عنه فى خطبته فإنه لما فرغ من الحمد والصلاة على النبى ﷺ قال :

إن أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوك . فرفع الناس رؤسهم فقال : مالكم أيها الناس : إنكم لطعانون عجلون ، إن من الملوك من إذا ملك زهَّدَه الله فيماعنده ، ورغبه فيمافى يدى غيره ، وانتقصه شطر أجله ، وأشرب قلبه الإشفاق (١) فهو يحسد على القليل ، ويتسخط الكثير ، ويسأم الرخاء ، وتنقطع عنه لذة الباء ، لا يستعمل العبرة ، ولا يسكن إلى الثقة ، فهو كالدرهم القَسىّ (٢) ، والسراب الخادع ، جَذِلُ الظاهر ، حزين الباطن ، فاذاوجبت نفسه ، ونضب عمره ، وضحى ظله ، حاسبه الله فأشدحسابه ، وأقل عفوه . ألا إن الفقراء هم المرحومون ، وخير الملوك من آمن بالله وحكم بكتابه وسنة نبيه ﷺ وإنكم اليوم على خلافة النبوَّة ومَفرق المحجة ، وسترون بعدى ملكاً عضوضاً (٣) ومُلكاً عنوداً ، وأمة شَعاعاً (٤) ودماً مفاحاً (٥) فإن كانت للباطل نَزْوة ، ولأهل الحق جولة ، يعفو بها الأثر ، ويموت لها البشر ، فالزموا المساجد ، واستشيروا القرآن ، والزموا الطاعة ، ولاتفارقوا الجماعة ، وليكن الابرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ، أى بلادكم خرسة إن الله سيفتح عليكم أقصاها ، كما فتح عليكم أدناها

---

(١) الاشفاق : الخوف (٢) الدرهم القسى : أى الزائف (٣) عضوضا أى يصيب الناس فيه عسف وظلم كأنهم يعضون فيه عضاً (٤) شعاعاً : ذاهبة فرقاً مختلفة (٥) مفاحا : سائلا

﴿ وصية أبي بكر الصديق لعمر الفاروق ﴾

إني مستخلفك من بعدى ، وموصيك بتقوى الله : إن لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملا بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا تُقبل نافلة حتى تُؤدَّى الفريضة ، فإنما ثَقُلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثِقَله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً . إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إنى أخاف أن لا أكون من هؤلاء . وذكر أهل النار فذكرهم بأسوإ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إنى لأرجو أن لا أكون من هؤلاء . وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً راهباً ، ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقى بيده إلى التهلكة . فاذا حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتى فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولستَ بمعجز الله

﴿ وصية عمر للخليفة من بعده ﴾

وأوصى عُمر رضى الله تعالى عنه الخليفةَ من بعده فقال :

أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً ، أن تعرف لهم سابقتهم ، وأوصيك بالأنصار خيراً ، فاقبَل من مُحسنهم وتجاوز عن مُسيئهم ، وأوصيك بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردء العدو وجباة الفيء ، لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيراً فإنهم أصل العرب ومادَّة الإسلام أن تأخذ من حواشى أموال أغنيائهم فترد على فقرائهم ، وأوصيك بأهل الذمة خيراً أن تقاتل من ورائهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين

طوعاً أو عن يد وهم صاغرون ، وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ومخافة مقته أن يطّلع منك على ريبة ، وأوصيك أن تخشى الله فى الناس وتخشى الناس فى الله ، وأوصيك بالعدل فى الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم ، فإن ذلك باذن الله سلامةٌ لقلبك وحطٌّ لوِزْرِكَ وخير فى عاقبة أمرك ، حتى تفضى من ذلك إلى من يعرف سريرتك ويحول بينك وبين قلبك . وآمرك أن تشتد فى أمر الله وفى حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم ، ثم لا تأخذك فى أحد رأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حرم الله . واجعل الناس عندك سواء لا تبالى على من وجب الحق ، ثم لا تأخذك فى الله لومة لائم . وإياك والأَثَرة والمحاباة فيما ولاك الله مما أفاء الله على المؤمنين فتجور وتظلم وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسّعه الله عليك ، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ، فان اقترفت لدنياك عدلا وعفة عما بسط الله لك اقترفت به إيمانا ورضوانا ، وإن غلبك الهوى اقترفت به سُخط الله . وأوصيك أن لا ترخص لنفسك ولا لغيرك فى ظلم أهل الذمة .

وقد أوصيتك وحضضتك ونصحتك فابتغ بذلك وجهَ الله والدارَ الآخرة. وأخترتُ من دَلالتك ما كنت دالاً عليه نفسى وولدى ، فان عملت بالذى وعظتك وانتهيت إلى الذى أمرتك أخذت به نصيبا وافراً وحظا وافيا ، وان لم تقبل ذلك ولم يهمك ولم تُنزل معاظم الامور عند الذى يرضى الله به عنك يكن ذلك بك انتقاصا ورأيك فيه مدخولا ، لان الاهواء مشتركة ، ورأس كل خطيئة ابليس ، وهو داع إلى كل هلكة ، وقد أضل القرون السالفة قبلك ، فاوردهم النار ، ولبئس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة عدو الله الداعى إلى معاصيه . ثم اركب الحق وخض اليه الغمرات وكن واعظا لنفسك . أنشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين فاجلت كبيرهم ، ورحمت صغيرهم ، ووقرت عالمهم . ولا تضربهم فيذلوا ، ولا تستأثر عليهم بالفئ فتغضبهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم ، ولا تجمّرهم فى البعوث فتقطع نسلهم ، ولا تجعل المال دُولة بين الاغنياء منهم ،

ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قويهم ضعفهم . هذه وصيتى اياك ، وأشهد الله عليك وأقرأ عليك السلام

﴿ رسالة عمر الى أبى موسى الاشعرى [1] ﴾

﴿ فى القضاء ﴾

رواها ابن عُيينة وأبو بكر الهذلى ومَسلمة بن محارب ، رووها عن قَتادة ، ورواها أبو يوسف يعقوب بن ابرهيم ، عن عُبيد الله بن حُميد الهذلى ، عن أبى المليح بن أسامة ، أن ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتب إلى أبى موسى الاشعرى :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فان القضاء فريضةٌ مُحكمة ، وسنةٌ متبعة . فافهم إذا أُدلى إليك ، فانه لا ينفع تكلّم بحق لا نفاذ له . آسِ بين الناس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا يخاف ضعيف من جورك . والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرم حلالا أو أحل حراماً . ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه ، فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهمَ الفهمَ عند ما يتلجلج فى صدرك مما لم يبلغك فى كتاب الله ولا سنة النبى ﷺ إعرف الأمثال والأشباه ، وقس الامور عند ذلك ، ثم اعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى ، واجعل للمدعى حقا غائبا أو بينة أمداً ينتهى إليه . فإن

---

(١) أبو موسى الأشعرى : هو الصحابى الجليل عبد الله بن قيس من الأشعريين من اليمن . قدم على رسول الله ﷺ فأسلم في أخوته وقومه وشهد خيبر وما بعدها من المشاهد . وكان خفيف الجسم قصيراً نطاحسن الصوت بالقراءة . ولى القضاء لعمر بن الخطاب وشهد مع على بن أبى طالب صفين واختير محكما عن على فأضاع صاحبه بسلامة صدره وتغلب عليه عمرو بن العاص بدهائه . وقد رى ابن قتيبة في «المعارف» أن أبا موسى عثر على قبر دانيال النبى بناحية السوس فأخرج رفاته وكفنها وصلى عليها ثم قبرها . توفى سنة ٥٢ هـ ٦٧٢ م

أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا وجهت عليه القضاء ، فان ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى وأبلغ فى العذر . المسلمون عدول بعضهم على بعض ، الا مجلوداً فى حد ، أو مجرباً عليه شهادة زور ، أو ظنيناً فى ولاء أو قرابة ، فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات . ثم إياك والقلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الاجر ويحسن بها الذخر ، فانه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وأبدى فعله ، والسلام عليك

﴿ خطبة لعلى بن ابى طالب ﴾

وقال أبو عُبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى [1] : أول خطبة خطبها على بن أبى طالب

(١) أبو عبيدة معمر بن المثنى : الامام الراوية اللغوى البصرى كان مولى لتيم قريش ، قال له رجل : من أبوك ؟ وما أصله ؟ فقال : حدثنى أبى أن أباه كان يهودياً يا جروان . أخذ أبو عبيدة عن يونس بن حبيب وأبى عمرو . وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو حاتم السجستانى وأبو عثمان بكر بن محمد المازنى وأبو الحسن على بن المغيرة الأثرم وعمر بن شبة . كان أعلم بالانساب وأيام الناس من الاصمعى وأبى زيد . وكان أبو نواس يتعلم منه ويصفه ويذم الأصمعى . وكان يقول : أبو عبيدة أديم طوى على علم ، والأصمعى بلبل فى قفص . لأن الأصمعى كان حسن الانشاء والزخرفة . أقدم الرشيد أبا عبيدة من البصرة إلى بغداد وقرأ عليه . وكان أبو عبيدة شعوبياً وكان يرى رأى الخوارج الأباضية . قال الجاحظ : لم يكن فى الأرض خارجى أعلم بجميع العلوم من أبى عبيدة . وقال ابن قتيبة : كان الغريب أغلب عليه وأخبار العرب وأيامهم . وكان مع علمه ومعرفته ربما لم يقم البيت إذا أنشده ولا يقيم إعرابه ، وقد يروى الشعر مختلف العروض ويخطىء إذا قرأ القرآن نظراً . وكان يبغض العرب وله فى مثالبها كتاب . وله مصنفات كثيرة . وكان يقول شعراً ضعيفاً وأصلح ما روى له قوله :

يكلمنى ويخلج حاجبيه لأحسب عنده علماً دفينا
وما يدرى قبيلا من دبير إذا قسم الذى يدرى الظنونا

ولد سنة ١١٢ هـ ٧٣٠ م وتوفى سنة ٢١١ هـ ٨٢٦ م

رضى الله تعالى عنه . حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال :

أما بعد فلا يُرعين مُرع إلا على نفسه ، فإن من أرعى على غير نفسه شغل عن الجنة، والنار أمامه . ساع مجتهد ، وطالبٌ يرجو ، ومقصر فى النار ، ثلاثة . واثنان : ملَك طار بجناحيه ، ونبى أخذه الله بيده . ولاسادس . هلك من ادعى، وردى من اقتحم ، فان اليمين والشمال مَضلة ، والوُسطى الجادة ، منهج عليه باقى الكتاب والسنة وآثار النبوة . إن الله داوى هذه الامة بدوائين: السوط والسيف ، فلا هوادة عند الامام فيهما . استتروا ببيوتكم ، واصطلحوا فيما بينكم، والتوبة من ورائكم . من أبدى صفحته للحق هلك . قد كانت أمور لم تكونوا عندى فيها محمودين ، أمَا إنى لو أشاء لقلت عفا الله عما سلف . سبق الرجلان ونام الثالث كالغراب همته بطنه ، يا ويحه ، لو قصَّ جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له . انظروا إن أنكرتم فانكروا ، وإن عرفتم بارزوا . حق وباطل ، ولكلٍ أهل ، ولئن كثر أمر الباطل لقديماً فعل ، ولئن قل الحق لربما ولعل ، ما أدبر شئ فأقبل . ولئن رجعت عليكم أموركم إنكم لسعداء ، وإنى لأخشى أن تكونوا فى فترة ، وما علينا الا الاجتهاد

قال أبو عبيدة : وروى فيها جعفر بن محمد :

إن أبرار عترتى وأطايب أرومتى أحلم الناس صغاراً وأعلمهم كباراً ، ألا وإنا من أهل بيت من عِلم الله عَلمنا وبحكم الله حَكمنا ومن قول صادق سَمعنا ، وإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا . معنا راية الحق من تبعنا لحق ، ومن تأخر عنا غرق . ألا وإن بنا تُرد دَبرة كل مؤمن ، وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم ، وبنا فتح، وبنا ختم ، لا بكم

﴿ خطبة أخرى له ﴾

ومن خطب على أيضاً رضى الله تعالى عنه قالوا : أغار سُفيان بن عَوف الأزدى ثم الغامدى على الانبار زمان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

وعليها ابنُ حسان أو حسان البكرى، فقتله وأزال تلك الخيل عن مسالحها ، فخرج علىّ حتى جلس على باب السُّدة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم قال:

أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذِّلة ، وشَمله البلاء ، وألزمه الصَّغار ، وسيم الخسف ، ومُنع النَّصف . ألا وإنى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهاراً سراً وإعلانا ، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غُزى قوم قط فى عقر دارهم إلا ذلوا . فتواكلتم وتخاذلتم ، وثقل عليكم قولى، واتخذتموه وراءكم ظهريا ، حتى شنت عليكم الغارات . هذا أخو غامد قد وردت خيله الانبار ، وقتل حسان ـ أو ابن حسان ـ البكرى، وأزال خيلكم عن مسالحها ، وقتل منكم رجالا صالحين ، وقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع أحجالها وقلبها ورُعثها[1] ثم انصرفوا وافرين ما كُلم رجل منهم كَلما . فلو أن امرأ مسلماً مات من بعدها أسفاً ما كان عندى ملوماً ، بل كان عندى به جديراً . فياعجباً من جد هؤلاء القوم فى باطلهم وفشلكم عن حقكم ، فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يُرمَى وفيئاً ينهب. يُغار عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزون ولا تَغزون ، ويُعصى الله وترضون . فاذا أمرتكم بالسير اليهم فى الحر قلتم : حمارَّة القيظ ، أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحر . واذا أمرتكم بالسير فى البرد قلتم : أمهلنا حتى ينسلخ عنا القر . كل هذا فراراً من الحر والقر، فاذا كنتم من الحر والقر تفرون ،فأنتم والله من السيف أفر . يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا أحلام الأطفال، وعقول ربات الحجال ، وددت أن الله قد أخرجنى من بين ظهرانيكم وقبضنى إلى رحمته من بينكم ، والله لوددت أنى لم أركم ولم أعرفكم، معرفة والله جرّت ندماً ، وورثت صدرى غيظاً ، وجرعتمونى الموت أنفاساً ، وأفسدتم علىّ رأيى بالعصيان والخِذلان ، أحتى قالت قريش : ان ابن أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب ؟ لله أبوهم ، وهل منهم أحد أشد لها مِراساً وأطول

(١) الأحجال: الخلاخيل: والقلب: السوار .والرعث: الأقراط . كذا رواه الاسكافي

لها تجربة منى ؟ لقد مارستها وما بلغت العشرين ، وقد نيفت فيها على الستين ، ولكنه لا رأى لمن لا يطاع

قال : فقام رجل من الازد يقال له فلان بن عفيف ثم أخذ بيد أخ له فقال : يا أمير المؤمنين أنا وأخى كما قال الله « رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى » فمرنا بأمرك ، فوالله لنضربن دونك وإن حال دونك جمر الغضا وشوك القتاد . قال: فأثنى عليهما وقال لهما خيراً وقال : أين تقعان مما أريد ؟ ...ثم نزل

﴿ خطبة أخرى له ﴾

وخطبة أخرى بهذا الاسناد فى شبيه بهذا المعنى ، قام فيهم خطيباً فقال :

أيها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم . كلامكم يُوهِى الصُّمَّ الصِّلَابَ ، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم . تقولون فى المجالس كيت وكيت ، فاذا جاء القتال قلتم : حِيدِى حَيَادِ ، ما عزّت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم . أعاليل بأضاليل . وسألتمونى التأخير دفاع ذى الدين المَطول ، هيهات لا يمنع الضيم الذليل ، ولا يُدرَك الحق إلاّ بالجدّ . أى دار بعد داركم تمنعون ؟ أمع أىّ إمام بعدى تقاتلون ؟ المغرور والله من غررتموه ، ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب . أصبحت والله لا أصدق قولكم ولا أطمع فى نصرتكم . فرق الله بينى وبينكم وأعقبنى بكم من هو خير لى منكم . لوددت أن لى بكل عشرة منكم رجلاً من بنى فِراس بن غَنم صرف الدينار بالدرهم

﴿ خطبة أخرى له ﴾

وخطب أيضاً على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال :

أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوَداع ، وان الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع . وإن المِضمار اليوم والسباق غداً . ألا وإنكم فى أيام أمل ، من ورائه أجل ، فمن أخلص فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ولم يضره أمله ، ومن قصّر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضرّه أمله . ألا

فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة . ألا وإنى لم أرَ كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها ، ألا وإنه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى يجرُّ به الضلال إلى الردى . ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل

﴿ خطبة عبد الله بن مسعود [1] ﴾

أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأوثق العُرَى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة ابرهيم عليه السلام ، وأحسن السنن سنة محمد ﷺ ، وشر الأمور مُحدثاتها ، وخير الأمور عزائمها . ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها . خير الغنى غنى النفس . خير ما ألقى فى القلب اليقين . الخمر جماع الآثام . النساء حبالة الشيطان . الشباب شُعبة من الجنون . حب الكفاية مفتاح المعجزة . من الناس من لا يأتى الجماعة إلا دَبرا . ولا يذكر الله إلا هجرا . أعظم الخطايا اللسان الكذوب . سباب المؤمن فُسوق . وقتاله كفر . وأكل لحمه معصية . من يتألى على الله يكذبه . ومن يستغفر يُغفر له . مكتوب فى ديوان المحسنين : من عفا عُفى عنه . الشقى من شقى فى بطن أمه . السعيد من وُعظ بغيره . الأمور بعواقبها . مِلاك العمل خواتيمه . أحسن الهدَى هدى الأنبياء ، أقبح الضلالة الضلالة بعد الهدى . أشرف الموت الشهادة . من يعرف البلاء يصبر عليه . من لا يعرف البلاء ينكره

---

(١) عبد الله بن مسعود : أصله من هذيل ، وكان من حلفاء بنى زهرة ، ويكنى أبا عبد الرحمن . شهد مع رسول الله بدرا وبيعة الرضوان وجميع المشاهد ، وكان على قضاء الكوفة وبيت مالها لعمر بن الخطاب وصدرا من خلافة عثمان . ثم صار إلى المدينة . وكان رجلا نحيفاً قصيراً يكاد الجلوس يوازونه من قصره ، وكان شديد الأدمة . توفي بالمدينة ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين سنة ، وذلك فى سنة ٣٢ هـ ٦٥٢ م

﴿ خطبة عُتبة بن غَزوان السلمى بعد فتح الأبلة[1] ﴾

حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم قال :

أما بعد فإن الدنيا قد تولت حَذَّاء مُدبرة ، وقد آذنت أهلَها بصرم ، وإنما بقى منها صُبابة كصُبابة الإناء يَصْطَبِها صاحبها ، ألا وإنكم مفارقوها لا محالة ، ففارقوها بأحسن ما يحضركم . ألا وإن من العجب أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الحجر الضخم يُلقى فى النار من شفيرها فيهوى فيها سبعين خريفاً . ولجهنم سبعة أبواب ما بين البابين منها مسيرة خمسمائة سنة ولتأتينّ عليه ساعة وهو كظيظ بالزحام . ولقد كنت مع رسول الله ﷺ سابع سبعة ما لنا طعام إلا ورق البَشام حتى قُرحت أشداقنا ، فوجدت أنا وسعد بن مالك تمرة فشققتها بينى وبينه بنصفين ، والتقطت بُردة فشققتها بينى وبينه فأتزرت بنصفها ، وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر من الأمصار ، وإنه لم يكن نُبوة قط إلا تناسختها جبرية . وأنا أعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيما . وفى أعين الناس صغيراً . وستجربون الأمراء من بعدى فتعرفون وتنكرون

﴿ خطبة لمعاوية بن أبى سُفيان ﴾

رواها شُعيب بن صفوان وزاد فيها اليَقْطرى وغيره . قالوا : لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له : من بالباب ؟ قال : نفر من قريش يتباشرون بموتك . فقال : ويحك! ولم ؟ قال : لا أدرى . قال : فوالله ما لهم بعدى إلا الذى يسؤهم . وأذن للناس فدخلوا ، فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ثم قال :

أيها الناس ، إنا قد أصبحنا فى دهر عَنود ، وزمن شديد ، يعدّ فيه المحسن

---

(١) عتبة بن غزوان بن ياسر : صحابى جليل ، قدم المدينة مهاجرا وله من العمر أربعون سنة ، وهو في عداد المهاجرين الأولين . شهد بدرا وكان من الرماة المذكورين . اختط البصرة وأمر محجن بن الأدرع فاختط مسجدها . وفتح الابلة . وكان رجلا طوالا . توفي وهو ابن سبع وخمسين سنة في طريق مكة بمعدن بنى سليم سنة ١٧ هـ ٦٣٨ م

مُسيئاً ، ويزداد فيه الظالم عُتوّاً ، لا ننتفع بما عَلمناه ، ولا نسأل عما جهلناه ، ولا نتخوّف قارعة حتى تحلّ بنا . فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعه من الفساد إلا مَهانةُ نفسه ، وكَلالُ حدّه ، ونضيض وفره . ومنهم المصلت لسيفه ، المجلب بخيله ورجله ، والمعلن بشرّه ، قد أشرط نفسه وأوبق دينه لحطام ينتهزه ، أو مِقنب [1] يقوده ، أو منبر يقرعه ، ولبئس المتجران تراهما لنفسك ثمناً ، ولما لك عند الله عوضاً . ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا ، فقد طامَنَ مِنْ شخصه ، وقارب من خطوه ، وشمر من ثوبه ، وزخرف نفسه للأمانة ، واتخذ ستر الله ذريعة للمعصية . ومنهم من قد أقعده عن طلب الملك ضُؤولة نفسه ، وانقطاع سببه ، فقصرت به الحال عن أمله ، فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس الزهاد ، وليس من ذلك في مَراح ولا مَغدى . وبقي رجال غضّ أبصارهم ذكرُ المرجع ، وأراق دموعهم خوف المحشر ، فهم بين شريد نافر ، وخائف منقمع ، وساكت مكعوم [2] وداع مخلص ، وموجَع ثكلان ، قد أخملتهم التقيّةُ . وشملتهم الذلّة . فهم بحرٌ أُجاج . أفواههم ضامرة . وقلوبهم قرحة . قد وُعظوا حتى ملوا . وقُهروا حتى ذلوا . وقُتلوا حتى قلوا . فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حُثالة القرظة وقُراضة الجلمين . واتعظوا بمن كان قبلكم ، قبل أن يتعظ بكم مَن كان بعدكم . فارفضوها ذميمة فانها قد رفضت من كان أشغف بها منكم

وفي هذه الخطبة أبقاك الله ضروب من العجب : منها أن هذا الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية ، ومنها أن هذا المذهب — في تصنيف الناس وفي الاخبار عنهم وعما هم عليه من القهر والإذلال ، ومن التقية والخوف — أشبه بكلام علي وبمعانيه وبحاله منه بحال معاوية ، ومنها أنا لم نجد معاوية في حال

(١) المقنب جماعة الخيل (٢) مكعوم : أي كأن على فمه الكعام (الكمامه) وفي نسخة معكوم ولا معنى له هنا

من الحالات يسلك فى كلامه مسلك الزُّهاد . ولا يذهب مذاهب العُبّاد . وإنما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه . والله أعلم بأصحاب الأخبار وبكثير منهم

﴿ خطبة زياد بن أبى سفيان بالبصرة — البتراء[1] ﴾

قال أبو الحسن المدائنى : ذكر ذلك عن مَسلمة بن مُحارب، وعن أبى بكر الهذلى قالا : قدم زيادٌ البصرة والياً لمعاوية بن أبى سفيان وضم إليه خُراسان وسجستان ، والفسق بالبصرة كثير فاش ظاهر . قالا : فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها . وقال غيرهما : بل قال:

الحمد لله على إفضاله وإحسانه، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه . اللهم كما زدتنا نعماً فألهمنا شكراً

أما بعد فإن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والغَىّ الموفى بأهله على النار، ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الأمور العظام، ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرؤا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، فى الزمن السرمدى الذى لا يزول . أتكونون كمن طَرفت عينيه الدنيا وسدَّت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية . ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الإسلام الحَدَث الذى لم تُسبقوا إليه ، مِن تركككم الضعيف يُقهر ويُؤخذ ماله ؟ ما هذه المواخير المنصوبة ،

(٢) زياد : هو زياد بن أبى سفيان ، ويكنى أبا المغيرة . ولد بالطائف عام الفتح . وكتب للمغيرة بن شعبة . ثم كتب لأبى موسى الأشعرى ، ثم كتب لابن عامر ، ثم كتب لابن عباس ، وكان زياد مع على بن أبى طالب فولاه فارس . فكتب إليه معاوية يتهدده ويتوعده تارة ، ويعده ويمنه أخرى ، وما زال به حتى استجاب له ، فولاه معاوية البصرة وأعمالها: خراسان وسجستان . ولما مات المغيرة بن شعبة جمع له العراقين فكان أول من جمعا له ، وهو أول من لبس الخفاف الساذجة وثياب الكتان بالبصرة . وهو بخطبته هذه أول من أعلن الأحكام العرفية في الاسلام . فكانت ولايته ثمان سنين منها خمس على البصرة وأعمالها. وكان من نوابغ قريش. ولد سنة ٨ هـ ٦٢٩ م وتوفى بالكوفة سنة ٥٣ هـ ٦٧٢ م

والضعيفة المسلوبة فى النهار المبصر ، والعدد غير قليل ؟ ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دَلَج الليل وغارة النهار ؟ قرّبتم القرابة وباعدتم الدِّين . تعتذرون بغير العذر وتغضون عن المختلس ، كل امرئ منكم يذب عن سفيهه ، صنيع من لا يخاف عاقبةً ولا يرجو معاداً

ما أنتم بالحلماء ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام ثم أطرقوا وراءكم كنوساً فى مكانس الريب . حرام علىّ الطعام والشراب حتى أسوّيها بالأرض هدماً وإحراقا

إنى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله : لين فى غير ضعف ، وشدة فى غير عُنف . وإنى أقسم بالله لآخذن الولى بالمولى ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والمطيع بالمعاصى ، والصحيح منكم فى نفسه بالسقيم ، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : أُنْجُ سعد ، فقد هلك سعيد . أو تستقيم قناتكم

إن كذبة المنبر بَلقاء مشهورة ، فإذا تعلقتم علىّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتى ، فإذا سمعتموها منى فاغتمزوها فىّ ، واعلموا أن عندى أمثالها . من نُقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه . فإياى ودَلَج الليل . فإنى لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه ، وقد أجّلتكم فى ذلك بمقدار ما يأتى الخبر الكوفة ويرجع إليكم

وإياى ودعوى الجاهلية ، فإنى لا أجد أحداً دعا بها إلا قَطعتُ لسانه . وقد أحدثتم أحداثًا لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة . فمن غرّق قوماً غرقناه ، ومن أحرق قوماً أحرقناه ، ومن نقب بيتاً نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفناه حيًّا فيه ، فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم يدى ولسانى . ولا تظهر من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه

وقد كانت بينى وبين أقوام إحن فجعلت ذلك دَبر أذنى وتحت قدمى ، فمن كان منكم محسناً فليزدد إحساناً ، ومن كان منكم مُسيئاً فلينزع من إساءته

إنى لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بُغضى لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتك له ستراً ، حتى يبدى لى صفحته ، فإذا فعل ذلك لم أناظره . فاستأنفوا أموركم

وأعينوا على أنفسكم ، فرب مبتئس بقدومنا سيسر ، ومسرور بقدومنا سيبتئس.

أيها الناس : إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذى خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا. واعلموا أنى مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجباً عن طالب حاجة منكم ولو أتانى طارقا بليل ، ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبّانه ، ولا مُجَمِّراً لكم بَعثا . فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم ، وكهفكم الذى اليه تأوون ، ومتى يصلحوا تصلحوا ، ولا تُشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ، ويطول له حزنكم ، ولا تدركوا له حاجتكم ، مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شراً لكم . أسأل الله أن يعين كلا على كل . وإذا رأيتمونى أنفذ فيكم الأمر فانفذوه على أذلاله[1] . وأيم الله إن لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاى

قال : فقام إليه عبد الله بن الأهتم فقال : أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب . فقال : كذبت ، ذاك نبى الله داود صلوات الله عليه

قال : فقام الأحنف بن قيس فقال : إنما الثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء. وإنا لن نثنى حتى نبتلى . فقال له زياد : صدقت .

فقام أبو بلال مرداس بن أدية[2] وهو يهمس ويقول : أنبأنا الله بغير ما قلت قال الله « وابرهيم الذى وَفَّى ألاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى » وأنت تزعم أنك تأخذ البرىء بالسقيم . والمطيع بالعاصى ،

---

(١) أذلاله : على حاله التى هو عليها (٢) كان في الأصل : ابن أمية. وليس بصواب. والصحيح ما أثبتناه . وأبو بلال مرداس بن أدية هذا هو رأس الحرورى . خرج على الدولة الاموية فبعث إليه عبيد الله بن زياد عباد بن علقمة المازنى فقاتله بتوج وقتل مرداس . فقال عمران بن حطان يذكره :

أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

والمقبل بالمدبر . فسمعها زياد فقال : إنا لا نبلغ ما نريد فيك وفى صحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضاً

خَلَّاد بن يزيد الأرقط قال: سمعت من يخبر أن الشَّعبيَّ قال : ما سمعت متكلماً على منبر قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفاً من أن يسىء ، إلا زياداً، فانه كان كلما أكثر كان أجود كلاماً

أبو الحسن المدائنى قال : قال الحسن : أوعد عُمرُ فعفا ، وأوعد زياد فابتلى . قال : وقال الحسن : تشبه زِيادٌ بِعُمَرٍ فأفرط ، وتشبه الحجاج بزيادٍ فأهلك الناس

قال أبو عثمان : قد ذكرنا من كلام رسول الله ﷺ وخطبه صدراً ، وذكرنا من خطب السلف جملا ، وسنذكر من مقطعات الكلام وتجاوب البلغاء ومواعظ النساك ، ونقصد من ذلك الى اقصار دون الطوال ليكون ذلك أخف على القارئ وأبعد من السآمة والملال ، ثم نعود بعد ذلك الى الخطب المنسوبة الى أهلها ان شاء الله تعالى ولا قوة إلا بالله

﴿ مقطعات من كلام البلغاء ومواعظ النساك ﴾

قال أبو الحسن المدائنى : قدم عبد الرحمن بن سليم الكلبى على المُهلب بن أبى صفُرة فى بعض أيامه مع الأزارقة فرأى بَنيه قد ركبوا عن آخرهم فقال : آنس الله الاسلام بتلاحقكم ، فوالله لئن لم تكونوا أسباطَ نُبوة إنكم لاسْباط مَلحمة .

قال أبو الحسن : دخل الهُذيل بن زُفر الكلابى على يزيد بن المُهلب فى حِمالات لزمته ، ونوائب نابته فقال : أصلحك الله ، إنه قد عظم شأنك عن أن يُستعان عليك ، ولست تصنع شيئاً من المعروف إلا وأنت أكبر منه، وليس العجب بأن تفعل ولكن العجب بأن لا تفعل . فقال يزيد : حاجتك . فذكرها فأمر بها وأمر له بمائة ألف درهم ، فقال أما الحمالات فقد قبلتها ، وأما المال فليس هذا موضعه

عيسى بن يزيد بن دأب عمن حدثه عن رجل كان يجالس ابن عباس قال :

قال عثمان بن أبى العاص الثقفى لبنيه : يا بنى : إنى قد أنجدتكم فى أمهاتكم ، وأحسنت فى مهنة أموالكم ، وإنى ما جلست فى ظل رجل من ثقيف أشتم عرضه والناكح مغترس . فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه . والعرق السوء قلَّما يُنجب ولو بعد حين . قال : فقال ابن عباس : يا غلام اكتب لنا هذا الحديث

قال : ولما همت ثقيف بالارتداد قال لهم عثمان : معاشر ثقيف ، لا تكونوا آخر العرب اسلاما . وأولهم ارتداداً .

قال : وسمعت أعرابيا ذكر يوما قريشا فقال : كفى بقريش شرفا أنهم أقرب الناس نسبا برسول الله ﷺ وأقربهم بيتا من رسول الله .

الأصمعى قال : قيل لعَقيل بن عُلفَة : لم تَهيج قومك ؟ قال : الغنم إذا لم يصفرلها لم تشرب . قال: وقيل لعَقيل بن عُلفة : لم لا تطيل الهِجاء ؟ قال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق

قال: وسأل عمر رضى الله عنه عَمرو بنَ معديكرب عن سَعد فقال: كيف أميركم؟ قال : خير أمير نَبطِىٌّ فى حبوته ، عربىٌّ فى نمرته ، أسد فى ناموريته [1] يعدل فى القضية ، ويقسم بالسوية ، وينفر بالسَّرِية ، وينقل إلينا حقنا كما تَنقل الذَّرَّة . فقال عمر : لشد ما تقارضتما الثناء

ولما تورد الحارث بن قَيس الجهضمى بعبيد الله بن زياد منزلَ مسعود بن عمرو العتكى عن غير إذن فأراد مسعود إخراجه من منزله قال عبيد الله . قد أجارتنى بنت عمك عليك ، وعقدها العقد الذى يلزمك ، وهذا ثوبها علىّ ، وطعامها فى مذاخرى [2] وقد التف علىَّ منزلك . وشهد له الحارث بذلك

مر الشَّعبى بناس من الموالى يتذاكرون النحو ، فقال : لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده

---

(١) نبطى فى حبوته : أى يشبه القبطى فى جلسته واحتبائه . نمرته : شملته . ناموريته هنا بمعنى عرينه

(٢) مذاخرى : أمعائى

وتكلم عبد الملك بن عُمَيْر [١] وأعرابى حاضر فقيل له : كيف ترى هذا الكلام . قال : لو كان الكلام يؤتدم به لكان هذا . وقال : العذر طرف من البُخل . وقال أيضا : الحرس خير من الخلابة . وقال أبو عمر الضرير : ألبكم خير من البذاء . وقدم الهيثم بن الاسود بن العُريان على عبد الملك بن مروان فقال : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى قد ابيض منى ما كنت أحب أن يَسودَّ ، واسود منى ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين ، ولان منى ما كنت أحب أن يشتد . ثم أنشد :

إسْمَعْ أُنَبِّئْكَ بآياتِ الكِبَرْ نَوْمُ العِشاءِ وَسُعَالٌ بالسَّحَرْ
وَقِلَّةُ النَّوْمِ إذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرْ وقِلَّةُ الطعْمِ إذَا الزَّادُ حَضَرْ
وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ وتَحْمِيجُ النَّظَرْ وتَرْكِيَ الحَسْناءَ من قَبْلِ الطُّهُرْ
وحَذَرًا أزْدَادُهُ إلى حَذَرْ والنَّاسُ يَبْلُونَ كَمَا يَبْلَى الشَّجَرْ

وقال أكثم بن صيفى [٢] : الكرم حسن الفطنة، واللؤم سوء الفطنة . وقال أكثم : تباعدوا فى الديار تقاربوا فى المودة . وقال لبنيه : تباذلوا تحابُّوا

ودخل عيسى [٣] بن طلحة بن عُبيد الله على عُروة [٤] بن الزبير وقد قطعت

---

(١) عبد الملك بن عمير : كان يكنى أبا عمرو، ويلقب القبطى، وأصله من لخم ، تولى قضاء الكوفة بعد الشعبى وظل فيه سنة ثم استعفى الحجاج فأعفاه . وكان بليغاً راوية وشاعراً صاحب أخبار ، وكان دميما جداً ولدمامته كان يلقبه المخنثون « منفر الغيلان » ولد سنة ٣٣ هـ ٦٥٦ م وتوفى سنة ١٣٦ هـ ٧٤٣ م

(٢) أكثم بن صيفى : هو من تميم من بطن منهم يقال له بنى شريف . حكيم من حكماء العرب، وخطيب من خطبائهم، أدرك البعثة ولم يسلم . وكان يحرض قومه على اتباع الرسول ﷺ عاش ١٩٠ سنة وهو القائل:

وإن امرأ قد عاش تسعين حجة إلى مائة لم يسأم العيش جاهل
مضت مئتان غير ست وأربع وذلك من عد الليالى قلائل

(٣) عيسى بن طلحة بن عبيد الله : كان ناسكا بخيلا جيد الكلام وفد على عبد الملك بن مروان مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف وكلمه في عزل الحجاج عن الحجاز فعزله . توفي سنة ١٠١ هـ ٧١٩ م

(٤) عروة بن الزبير : هو ابن الزبير بن العوام يكنى أبا عبد الله . كان فقيها

رجله فقال له عيسى : والله ما كنا نُعدّك للصراع . ولقد أبقى الله لنا أكثرك : أبقى لنا: سمعك، وبصرك،ولسانك، وعقلك، ويديك، وإحدى رجليك . فقال له عروة : والله ياعيسى ماعزانى أحد بمثل ما عزيتنى به

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : اقرؤا القرآن تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله . ولن يبلغ حق ذى حق أن يطاع فى معصية الله . ولن يقرّب من أجل ، ولن يباعد من رزق ، أن يقوم رجلٌ بحق أو يذكر بعظيم

وقال أعرابى لهشام بن عبد الملك : أتت علينا ثلاثة أعوام : فعام أكل الشحم ، وعام أكل اللحم ، وعام انتقى العظم ، وعندكم أموال ، فإن كانت لله فادفعوها إلى عباد الله ، وإن كانت لعباد الله فادفعوها اليهم ، وإن كانت لكم فتصدّقوا بها عليهم،فإن الله يجزى المتصدقين . قال : فهل من حاجة غير ذلك . قال: ما ضربت إليك أكباد الابل أدّرع الهجير وأخوض الدُّجى لخاص دون عام

قال شداد الحارثى ، ويكنى أبا عبيد الله : قلت لأمة سوداء بالبادية : لمن أنت ياسوداء ؟ قالت : لسيد الحضر يا أصلع . قال: قلت : ما غضبك من الحق ؟ قالت : الحق أغضبك ، لا تسبب ترهب ، ولأن تتركه أمثل

وقال الأصمعى : قال عيسى بن عمر : قال ذو الرمة : قاتل الله أمَة آل فلان ما كان أفصحها ! سألتها : كيف كان المطر عندكم . قالت : غثنا ما شئنا .

وأنا رأيت عبداً أسود لبنى أسيد قدم عليهم من شق اليمامة ، فبعثوه ناطوراً ، وكان وحشيًّا محرماً لطول تغربه كان فى الإبل وكان لا يلقى إلا الاكرة فكان

فاضلا وصبوراً جلداً . أصابته أكله في رجله وهو عند الوليد بن عبد الملك فقطعت رجله والوليد حاضر فلم يتحرك ولم يشعر الوليد بقطعها حتى كويت وشم رائحة الكى ، وبقي بعد ذلك ثمان سنين . واحتفر بئراً بالمدينة يقال لها بئر عروة ليس بالمدينة بئر أعذب منها . مات بضيعة له قرب المدينة سنة ٩٤ هـ ٧١٢ م

لا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم . فلما رآنى سكن إلىَّ وسمعته يقول : لعن الله بلاداً ليس فيها عرب ، قاتل الله الشاعر حيث يقول : حُرُّ الثَّرَى مُسْتَغْرَبُ التُّرَابِ .

أبا عثمان : إن هذه العرب فى جميع الناس ، كمقدار القُرحة فى جميع جلد الفرس ، فلولا أن الله رقّ عليهم فجعلهم فى حاشيةٍ لطمست هذه العُجمان آثارهم ، أترى الأعيار إذا رأت العتاق [1] لا ترى لها فضلا ؟ والله ما أمر الله نبيه بقتلهم إلا لضنه بهم ، ولا ترك قبول الجزية منهم الا تنزيها لهم .

قال الاحنف : أسرع الناس الى الفتنة أقلهم حياءً من الفرار .

ولما مات أسماء بن خارجة الفزارى فبلغ الحجاج موته قال : هل سمعتم بالذى عاش ثم مات حين شاء .

وقال سلم بن قتيبة : ربَّ المعروف أشد من ابتدائه [2]

أبو هلال عن قتادة قال : قال أبو الاسود [3] : إذا أردت أن تكذب صاحبك فلقنه . وقال أبو الاسود : إذا أردت أن تعظم فمت . وقال أبو الاسود : إذا أردت أن تفحم عالما فأحضره جاهلا .

قيل لاعرابى : مايدعوك إلى نَومة الضُّحَى ؟ قال : مَبردة فى الصيف ، مَسخنة فى الشتاء .

وقال أعرابى آخر : نومة الضحى مَعجزة مَبخرة . وجاء فى الحديث : « الولد مَجبنة مَبخلة » .

---

(١) الأعيار : الحمير . العتاق : الخيل الأصائل (٢) رب المعروف : تعهده واصلاحه

(٣) أبو الأسود : هو ظالم بن عمرو أبو الأسود الدؤلى الكنانى أول من وضع العربية . وكان شاعراً مجيداً وعاقلا حازماً مبخلا . شهد صفين مع على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وولى البصرة لابن عباس ، وبها فلج وقد أسن . وكان يقول لولده : لا تجاودوا الله فانه أجود وأمجد ، ولو شاء أن يوسع على الناس كلهم حتى لا يكون محتاج لفعل ، ولا تجهدوا أنفسكم في التوسعة فتهلكوا هزالا . وسمع رجلا يقول : من يعشى الجائع ؟ فعشاه ثم ذهب القائل ليخرج فقال له : هيهات ، على أن لا تؤذى المسلمين الليلة . ووضع رجله في الأدم . مات بالبصرة سنة ٦٩ هـ ٦٨٨ م

ونظر أعرابى إلى قوم يلتمسون هلال رمضان فقال : أما والله لئن تُرتموه لتُمسكنّ منه بِذُنَابَى عَيش أغبر

وقال أسماء بن خارجة : اذا قدُمت المصيبة تركت التعزية . وقال : إذا قدم الاخاء قبح الثناء .

وقال اسحق بن حسان : لاتشمّت الامراء ، ولا الاصحاب القدماء [1]

وسئل أعرابى عن راع له فقال : هو السارح الآخر ، الرائح الباكر ، الحالب العاصر ، الحاذق الكاسر

وقال عتبة بن أبى سفيان [2] لعبد الصمد مؤدب ولده : ليكن أول ماتبدأ به من اصلاح بنىّ إصلاح نفسك ، فان أعينهم مقعودة بعينك ، فالحسن عندهم مااستحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، وعلمهم كتاب الله ، ولاتكرههم عليه فيملوه ، ولاتتركهم منه فيهجروه ، ثم روّهم من الشعر أعفّه ، ومن الحديث أشرفه . ولاتخرجهم من علم الى غيره حتى يُحكموه ، فان ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم . وتهددهم بى وأدبهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الذى لايعجل بالدواء قبل معرفة الداء . وجَنِّبهم محادثة النساء . وروّهم سِيَر الحكماء . واستزدنى بزيادتك إياهم أزدك . وإياك أن تتكل على عذر منى لك ، فقد اتكلت على كفاية منك . وزد فى تأديبهم أزدك فى برى إن شاء الله تعالى .

---

(١) يعنى إذا عطس أحدهم فلا تقل له : يرحمك الله

(٢) عتبة بن أبى سفيان : هو أخو معاوية شهد الجمل مع عائشة . وكان خطيباً بليغاً إلا أنه كان يضعف . ولاه معاوية مصر فبلغته أمور عن أهلها فصعد المنبر مغضباً وقال: أيا حاملين الأثم أنوف ركبت بين أعين ، إنما قلمت أظفارى عنكم ليلين مسى إياكم ، وسألتكم صلاحكم لكم إذ كان فسادكم راجعاً عليكم ، فأما إذا أبيتم إلا الطعن فى الولاة ، والتنقص للسلف ، فو الله لأقطعن على ظهوركم بطون السياط ، فان حسمت داءكم وإلا فالسيف من ورائكم ، فكم من موعظة منا لكم مجتها قلوبكم ، وزجرة صمت عنها اذانكم ، ولست أبخل عليكم بالعقوبة إذ جدتم لنا بالمعصية ، ولا أويسكم من مراجعة الحسنى إن صرتم إلى التى هى أبر وأتقى

محمد بن حرب الهلالى قال : كتب ابرهيم بن أبى يحيى الاسلمى إلى المهدى يعزيه على ابنته : أما بعد فان أحق من عرف حق الله عليه فيما أخذ منه، من عظّم حق الله عليه فيما أبقى له . واعلم أن الماضى قبلك هو الباقى لك ، وأن الباقى بعدك هو المأجور فيك ، وأن اجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه .

وقال سهل بن هرون : التهنئة على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة

وقال صالح بن عبد القدوس :

إنْ يَكُنْ مَا بِهِ أُصِبْتَ جَلِيلاَ فَذَهَابُ العَزَاءِ فِيهِ أَجَلُّ
كُلُّ آتٍ لاَشَكَّ آتٍ وَذُو الْجَهْـ ـلِ مُعَنًّى وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ فَضْلُ

وقال لقمان لابنه : يابنى إياك والكسل والضجر ، فانك إذا كسلت لم تؤد حقا ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق .

وكان يقال : أربع لاينبغى لاحد أن يأنف منهن وان كان شريفا أو أميراً: قيامه من مجلسه لابيه ، وخدمته لضيفه ، وقيامه على فرسه ، وخدمته للعالم . وقال بعض الحكماء : اذا رغبت فى المكارم فاجتنب المحارم . وكان يقال . لاتغتر بمودة الامير إذا غشك الوزير . وكتب آخر : أما بعد فقد كنت لنا كلك فاجعل لنا بعضك ، ولا ترض الا بالكل منا لك .

ووصف بعض البلغاء اللسان فقال : اللسان أداة يظهر بها حسن البيان ، وظاهر يخبر عن الضمير ، وشاهد ينبئك عن غائب ، وحاكم يفصل به الخطاب ، وناطق يرد به الجواب ، وشافع تدرك به الحاجة ، وواصف تعرف به الحقائق ، ومعز ينفى به الحزن ، ومؤنس تذهب به الوحشة ، وواعظ ينهى عن القبيح ، ومزين يدعوا الى الحسن ، وزارع يحرث المودة ، وحاصد يستأصل الضغينة ، وملهم يونق الاسماع [1] .

---

(١) فى نسخة : وملهم يوفق الأسماع . وليس لذلك من معنى صحيح فى هذا المقام ، والصواب ما أثبتناه

وقال بعض الأوائل : إنما الناس أحاديث، فإن استطعت أن تكون أحسنهم حديثاً فافعل .

ولما وصل عبد العزيز بن زُرارة إلى معاوية قال : يا أمير المؤمنين ، لم أزل أستدل بالمعروف عليك ، وأمتطى النهار إليك ، فاذا ألوى بى الليل فقبض البصر، وعفى الأثر، أقام بدنى وسافر أملى . والنفس تلوم والاجتهاد يعذر ، وإذ بلغتك فقَطْنِى (١)

وقال لقمان : ثلاثة لايُعرفون إلا فى ثلاثة مواطن : لايعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا فى الحرب ، ولا تعرف أخاك إلا عند حاجتك اليه

وقال أبو العتاهية :

أنتَ مَا استَغْنَيْتَ عَنْ صَا حِبِكَ الدَّهْرَ أخُوهُ
فإذَا احْتَجتَ إلَيْهِ ساعَةً مَجَّكَ فوهُ

وقال على بن الحسين لابنه : يا بنى اصبر على النائبة ، ولا تتعرض للحقوق، ولا تجب أخاك إلى شىء ضرره عليك أعظم من منفعته له

وقال الاحنف : من لم يصبرعلى كلمةٍ سمع كلمات . وقال : رُبَّ غيظ تجرعته مخافة ماهو أشد منه . وقال : من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن طال صمته كثرت سلامته

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التَّنَقُّل

وقال محمد بن حرب الهلالى عن أبى الوليد الليثى قال : خطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظَّرِب العَدوانى ابنته عَمرة، وهى أم عامر بن صعصعة، فقال: يا صعصعة ، إنك أتيتنى تشترى منى كبدى وأرحم ولدى عندى ، أبغيتك أو زودتك ، والحسيب كفء الحسيب ، والزوج الصالح أب بعد أب ، وقد انكحتك خشية أن لا أجد مثلك ، أفرّ من السر إلى العلانية أنصح أبنا وأودع ضعيفاً قويا، يا معشر عَدوان ، خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رهبة ولا رغبة ،

(١) يكفينى

أقسم لو قسم الحظوظ على قدر الجدود ما ترك الأول للاخر ما يعيش به .

وقال على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه : أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الابل لكنّ لها أهلا : لا يرجونّ أحدكم إلاّ ربه ، ولا يخافنّ إلا ذنبه ولا يستحى أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم ، وإذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه . واعلموا أن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فاذا قطع الرأس ذهب الجسد ، وكذلك إذا ذهب الصبر ذهب الايمان . وقال الأصمعى : أثنى رجل على على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فأفرط ، فقال على — وكان يتهمه — أنا دون ما تقول ، وفوق ما فى نفسك . وقال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه : قيمة كل إنسان ما يُحسن . وقال له مالك الاشتر : كيف وجد أمير المؤمنين امرأته ؟ قال : كالخير من النساء إلا أنها قباء ، قال : وهل يريد الرجل من النساء غير ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، حتى تدفىء الضجيع ، وتروى الرضيع

ووقف رجل على عامر الشعبى فلم يدع قبيحاً إلا رماه به . فقال له عامر : إن كنت كاذباً فغفر الله لك ، وإن كنت صادقاً فغفر الله لى .

وقال ابرهيم النخعى لسليمان الأعمش ـ وأراد أن يماشيه ـ فقال : إن الناس إذا رأونا معاً قالوا : أعور وأعمش قال : وما عليك أن يأثموا ونؤجر ؟ قال ابرهيم : وما عليك أن يسلموا ونسلم ؟

قال أبو الحسن : كان هِشام بن حسان إذا ذكر يزيد بن المهلب قال : إنه كانت السفن لتجرى فى جوده . قال : مكتوب فى الحكمة : التوفيق خير قائد ، وحسن الخلق خير قرين ، والوحدة خير من قرين السوء

وكان مالك بن دينار يقول : ما أشد فطام الكبير ! وينشد قول الشاعر :

وَتَرُوضُ عِرْسَكَ بَعْدَ مَا هَرِمَتْ وَمِنَ الْعَنَاء رِيَاضَةَ الْهَرِمِ

وقال صالح المرى : كن إلى الاستماع أسرع منك إلى القول ، ومن خطأ الكلام أشد حذراً من خطأ السكوت

وقال الحسن بن هانىء :

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِرَامٍ وَامْضِ عَنْهُ بِسَلَامِ

مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خيرٌ لكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
إنَّمَا السالِمُ مَنْ أَلْجَمَ فاهُ بِلجام
رُبَّما اسْتَفْتَحْتَ بِالْمز ح مَغَالِيقَ الْحِمامِ

قال أبو عبيدة وأبو الحسن: تكلم جماعة من الخطباء عند مَسلمة بن عبد الملك فأسهبوا فى القول . ثم افترع المنطقَ رجل من أُخريات الناس لا يخرج من حَسَنٍ إلاَّ إلى أحسن منه . فقال مَسلمةُ : ما شبهت كلام هذا بِعَقِبِ كلام هؤلاء إلا بسحابة لبدت عجاجة .

قال أبو الحسن : علم اعرابى بنيه الخراءة فقال : اتبعوا الخلاء ، وابعدوا من الملاء، واعلوا الضراء، واستقبلوا الريح، وأفجوا فجاج النعامة [1] وامتسحوا بأشملكم.

ويروى عن الحسن أنه قال: لما حضرت قَيسَ بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال : يا بنى احفظوا عنى ، فلا أحد أنصح لكم منى : إذا مت فسوِّدُوا كباركم ، ولا تسوّدوا صِغاركم فيسفّه الناس كباركم وتهونوا عليهم . وعليكم باستصلاح المال ، فانه منبهة للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم . وإياكم ومسألة الناس فإنها آخر كسب الرجل

سئل دَغْفل النسابة عن بنى عامر بن صعصعة قال : أعناق ظِباء ، وأعجاز نساء . قيل : فتميم . قال : حجر أخشن ، إن دنوت منه آذاك ، وإن تركته أعفاك . قيل : فلبن . قال : سيد وأنوك

وكانوا يقولون : لا تستشيروا معلماً ولا راعى غنم، ولا كثير القعود مع النساء

عفان بن شيبة قال : كنت رديف أبى ، فلقيه جرير على بغل فحياه أبى وألطفه فقلت له : أبعد ما قال لنا ما قال ؟ قال : يا بنى أفوسع جرحى ؟ قال: ودعا جرير رجلا من شعراء بنى كلاب إلى مهاجاته ، فقال الكلابى : إن نسائى بأمتعتهن ، ولم تدع الشعراء فى نسائك مُترقعاً . وقال جرير : أنا لا أبتدى ولكنى أعتدى

وكان الحسن فى جنازة فيها نوائح ومعه رجل ، فهمّ الرجل بالرجوع ، فقال

(١) أفجوا فجاج النعامة : أى باعدوا بين أرجلكم كما تفعل النعامة حينما ترمى بصومها

الحسن : إن كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسنا أسرع ذلك فى دينك .

قال أبو عبيدة : لقى المخبل القريعى الزبرقان فقال : كيف كنت بعدى أبا شذره ؟ قال : كما يسرك محيلا مجرباً .

قال: وكان عبد الملك بن مروان يقول : جمع أبو زُرعة — يعنى روح بن زِنباع — طاعة أهل الشام ، ودهاء أهل العراق ، وفقه أهل الحجاز

وذُكر لعمر بن الخطاب إتلاف شباب من قريش أموالهم، فقال عمر: خرقة[1] أحدهم أشد علىّ من عيلته . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : حرفة يعاش بها خير من مسألة الناس .

وقال زياد : لو أن لى ألف ألف درهم ولى بعير أجرب لقمت عليه قيام من لا يملك غيره ، ولو أن عندى عشرة دراهم لا أملك غيرها ولزمنى حق لوضعتها فيه

وقال عمرو بن العاص : البِطنة تُذهب الفطنة .

وقال معاوية بن أبى سفيان : ما رأيت رجلا مستهتراً بالباءة إلا تبينت ذلك فى مُنته

قال الأصمعى: قال أبو سليمان الفقعسى لاعرابى من طىء : أبامرأتك حَمل؟ قال : لا وذو بيته فى السماء ، ما أدرى والله ما لها ذنب تشال به ، وما أتيتها إلا وهى ضبِعة

قال أبو الحسن المدائنى : اتخذ يزيد بن المهلب بستاناً بخراسان فى داره ، فلما ولى قُتيبة خراسان جعل ذلك لابله ، فقال له مَرزبان مَروان : هذا كان بستانا ليزيد وقد اتخذته لابلك ! فقال قُتيبة : إن أبى كان أشتربان — يعنى رئيس الجمالين — وأبو يزيد كان بستان بان .

وقال الحجاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان يوماً : لو كان رجل من ذهب لكنتُه ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لم تلدنى أمة بينى وبين آدم ما خلا

(١) خرقة يريد إن تجرد أحدهم من صنعة يحسنها أشد عليه من عيلته أى من فقره

هاجر . فقال : لولا هاجر لكنت كلبا من الكلاب

ومات ابن لعبيد الله بن الحسن فعزاه صالح المرى فقال : إن كانت مصيبتك فى ابنك أحدثت لك عظة فى نفسك فمصيبتك فى نفسك أعظم من مصيبتك فى ميتك .

وعزّى عَمرُو بنُ عُبيد أخاه على ابنٍ مات له فقال : ذهب أبوك وهو أصلك ، وذهب ابنك وهو فرعك ، فما حال الباقى بعد ذهاب أصله وفرعه ؟

وكان يزيد بن عمر بن هُبيرة[1] يقول : احذفوا الحديث كما يحذفه مُسلم ابن قُتيبة .

وقال رجل من بنى تميم لصاحب له : أصحب من يتنامى معروفه عندك ويتذكر حقوقك عليه .

وعذل عاذلٌ شُعيب بن زياد على شرب النبيذ ، فقال : لا أتركه حتى يكون شر عملى .

وقال المأمون : أشربه ما استبشعته حتى إذا سهل عليك فاتركه

وقال النبى ﷺ « إذا كتب أحدكم فليترب كتابه ، فان التراب مبارك وهو أنجح للحاجة » ونظر ﷺ إلى رجل فى الشمس فقال : « تحول إلى الظل فانه مبارك »

---

(١) يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى : كان أميراً جليلا وسيداً شريفا ، تولى العراقين لمروان بن محمد خمس سنين وكان شجاعاً باسلا وجواداً كريماً ، واسع المروءة عظيم الخطر ، كان يقسم على زواره فى كل شهر خمسماية الف (درهم) ويعشى كل ليلة من شهر رمضان ثم يقضى للناس حوائجهم . ولما ظهرت الدعوة العباسية صمد لها وحاول مقاومتها فهاجمه قحطبة بن شبيب الطائى فى جموعه وألجأه إلى التحصن بواسط فيمن معه ، ولما تمت البيعة لأبى العباس السفاح ولى أخاه أبا جعفر على واسط ، فقام أبو جعفر على حصار يزيد بن عمر بها تسعة أشهر ثم افتتحها صلحا وخرج إليه يزيد فى ركب من آل بيته بأمان منه فكان أبو جعفر يقول : لا يعز ملك هذا فيه . ثم غدر به وقتله هو وولده داود سنة ١٣٢ هـ ٧٥٩ م

وقال المغيرة بن شُعبة :[1] لا يزال الناس بخير ما تعجبوا من العجب . وكان يقال : ترك الضحك من العجب أعجب من الضحك من غير العجب

وقدم سعيد بن العاص[2] على معاوية فقال : كيف تركت أبا عبد الملك[3] ؟

(١) المغيرة بن شعبة، يكنى أبا عبد الله ، وهو من ثقيف ، قيل أنه صحب قوماً من المشركين إلى مصر فقتلهم غيلة وأخذ مامعهم ثم لحق بالنبي وأسلم وشهد بيعة الرضوان كما شهد اليمامة وفتوح الشام واليرموك والقادسية . وكان من الصحابة الأجلاء ، والا مراء النبلاء ، والقادة البسلاء ، ولاه عمر بن الخطاب البصرة فافتتح ميسان ومنها جاء بالسبي الذى كان فيه والدا الحسن البصرى ومحمد بن سيرين . وافتتح است ميسان وابرقباذ وسوق الأهواز وهمذان ، وشهد نهاوند وكان على ميسرة النعمان بن مقرن . وهو أول من وضع ديوان البصرة . وأول من سلم عليه بالامرة ، وأول من رشا في الاسلام ، يعنى أنه رشا حاجب عمر ليسهل له الاذن عليه ، وذهبت عينه في إحدى الوقائع . ولما حضرته الوفاة قال : اللهم هذه يمينى بايعت بها نبيك ، وجاهدت بها فى سبيلك . مات بالطاعون في الكوفة وهو أميرها سنة ٥٠ هـ ٦٧٠ م

(٢) سعيد بن العاص يكنى أبا عثمان : كان سيداً من سادات بنى أمية ، قتل أبوه العاص بن سعيد مشركا يوم بدر ، وكان سعيد غلاماً فكساه النبى جبة ، وإليه تنسب الثياب السعيدية ، وكان شجاعاً باسلا . وهو أول من خش الابل في العظم ، مات سنة ٥٩ هـ ٦٧٨ م

(٣) أبو عبد الملك : هو مروان بن الحكم : ولد لسنتين من الهجرة . وكان من عثمان بن عفان بمكان الوزير والمستشار ، وكانت تصرفاته سبباً فى الفتنة التى قتل فيها عثمان والتى جرت على الاسلام من المصائب والنكبات ما هو معروف ومدون فى بطون التواريخ . ولاه عبد الله بن عامر رستاقا من أردشير حرة ، ثم ولاه معاوية البحرين ثم المدينة مرتين . ولما مات معاوية بن يزيد بايع أهل الشام مروان بالخلافة . وبايع لعبد الله بن الزبير أهل البصرة كما اجتمعت له العراق والحجاز واليمن ومصر ، وبايعه سرا الضحاك بن قيس الفهرى بالشام والنعمان بن بشير بحمص وزفر بن الحارث الكلابي بقنسرين لولا أن مروان بن الحكم نازعه الأمر واجتمعت به بنو أمية وصار الناس في الشام فرقتين تؤيد منهم اليمانية مروان وتؤيد القيسية الضحاك بن قيس مبايعين لابن الزبير، واقتتل الفريقان بمرج راهط فقهر مروان الضحاك وقتله . وكانت

قال : منفذاً لأمرك ، ضابطا لعملك . فقال معاوية : إنما هو كصاحب الخبزة كُفى إنضاجها فأكلها . فقال سعيد : كلا إنه بين قوم يتهادون فيما بينهم كلاماً كوقع النبل سهماً لك وسهما عليك . قال : فما باعد بينك وبينه ؟ قال : خفته على شرفى وخافنى على مثله . قال : فأى شيء كان له عندك فى ذلك ؟ قال : أسوءه حاضراً وأسره غائباً . قال : يا أبا عثمان، تركتنا فى هذه الحروب ! قال : نعم، تحملت الثقل ، وكفيت الحزم ، وكنت قريباً لو دُعيت لأجبت، ولو أمرت لأطعت. قال معاوية : يا أهل الشام هؤلاء قومى وهذا كلامهم

قال: وكان الحجاج يستثقل زياد بن عمرو العتكى فلما أثنى الوفد على الحجاج عند عبد الملك ـ والحجاج حاضر ـ قال زياد : يا أمير المؤمنين إن الحجاج سيفك الذى لا ينبو ، وسهمك الذى لا يطيش ، وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم . فلم يكن بعد ذلك أحد أخف على قلبه منه

وقال شَبيب بن شيبة لمسلم بن قتيبة : والله ما أدرى أى يوميك أشرف : أيوم ظفرك أم يوم عفوك ؟ وقال غلام لأبيه ـ وقد قال : لست لى ابنا ـ : والله لأنا أشبه بك منك بأبيك ، ولأنت أشد تحصيناً لأمى من أبيك لأمك

وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين إلى رجل من اخوانه :

أما بعد فقد عاقنى الشك فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك ، ابتدأتنى بلطف من غير خبرة ، ثم أعقبتنى جفاء من غير ذنب ، فأطمعنى أولك فى إخائك ، وآيسنى آخرك فى وفائك ، فلا أنا فى اليوم مجمع لك اطراحا ، ولا أنا فى غد وانتظاره منك على ثقة، فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح الرأى فى أمرك عن عزيمة الشك فيك ، فأقمنا

ولاية مروان بالغلب عشرة أشهر. وكان قد تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية لحوفه من خالد . فاتفق أن شتم مروان خالداً شتماً قبيحاً تناول به أمه فلما بلغها ذلك صبرت عليه حتى كان معها وتركته إلى أن نام فوضعت على وجهه وسادة وقعدت على وجهه هي وجواريها حتى مات . وكان سنه إذ ذاك ٦٣ سنة ، وموته سنة ٦٥ هـ ٦٨٤ م

على ائتلاف ، أو افترقنا على اختلاف . والسلام

﴿ كتاب عبد الله بن معاوية بن جعفر الى أبي مسلم يستعطفه ﴾

وكتب إلى أبي مسلم صاحب الدعوة [1] من الحبس :

من الأسير فى يديه، بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه . أما بعد فآتاك الله حفظ الوصية، ومنحك نصيحة الرعية ، وألهمك عدل القضية ، فانك مستودع ودائع ، ومولى صنائع ، فاحفظ ودائعك بحسن صنائعك ، فالودائع عارية ، والصنائع مَرعية. وما النعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها . ولا بمبلوغ مداها . فنبه للتفكير قلبك ، واتق الله ربك ، وأعط من نفسك من هو تحتك ماتحب أن يعطيك من هو فوقك من العدل والرأفة والأمن من المخافة . فقد أنعم الله عليك بأن فوض أمرنا إليك، فاعرف لنا اين شكر المودة ، واغتفار مس الشدة ، والرضا بمارضيت، والقناعة بما هويت . فان علينا من سُمك الحديد وثقله أذى شديد ، مع معالجة الاغلال ، وقلة رحمة العمال ، الذين تسهيلهم الغلظة ، وتيسيرهم الفظاظة ، وإيرادهم علينا الغموم ، وتوجيههم الينا الهموم ، زيارتهم الحراسة ، وبشارتهم الإياسة . فاليك بعد الله نرفع كربة الشكوى ، ونشكو شدة البلوى ، فمتى تمل إلينا طرفاً ، وتولنا منك عطفا ، تجد عندنا نصحاً صريحاً ، وودا صحيحاً ، لا يضيع مثلك مثلَه ، ولا ينفى مثلك أهلَه . فارع حرمة من أدركت بحرمته ، واعرف حجة من فَلَجتْ بحجته ، فان الناس من حوضك رِواء ، ونحن منه ظِماء ، يمشون فى الابراد ، ونحن نحجل فى الأقياد ، بعد الخير والسعة ، والخفض والدّعة ، والله المستعان وعليه التكلان ، صريح الاخبار منجى الأبرار . الناس من دولتنا فى رخاء ، ونحن

(١) أبو مسلم صاحب الدعوة : هو أبو مسلم الخراساني القائم بالدعوة العباسية والممهد لملك العباسيين ، نشأ في كنف ادريس بن عيسى جد أبي دلف العجلي . وكان قائداً محنكا ذا دهاء وتدبير ، وشجاعاً باسلا . قام بأمر الدعوة العباسية خير قيام ، وما زال بها حتى مكن لهم وجعل بين أيديهم ملكا عظيماً . ثم أوجس منه أبو جعفر المنصور خيفة فتعلل عليه وغدر به . ولد سنة ١٠٠ هـ ٧١٨ م وقتل سنة ١٣٧ هـ ٧٥٤ م

منها فى بلاء ، حين أمن الخائفون ، ورجع الهاربون . رزقنا الله منك التحنن ، وظاهر علينا من التمنن ، فإنك أمين مستودَع ، ورائد مستصطفى ، والسلام ورحمة الله

قال هشام بن الكلبى : حدثنا خالد بن سعيد عن أبيه قال : شكت بنو تغلب السنة إلى معاوية فقال : كيف تشكون الحاجة مع ارتجاج البكارة ، واختلاف المهارة ؟

﴿ كتاب معاوية إلى قيس بن سعد[1] ﴾

وقال ابن الكلبى : كتب معاوية إلى قيس بن سعد : أما بعد فإنك يهودى ابن يهودى ، إن ظفر أحب الفريقين إليك عزلك واستبدل بك ، وإن ظفر أبغضهما إليك قتلك ونكّل بك . وكان أبوك وتَر قوسه ورمى غير غرضه ، فأكثر الحز وأخطأ المفصل ، فخذله قومه وأدركه يومه ، ثم مات طريداً بحوران . والسلام

﴿ جواب قيس بن سعد لمعاوية ﴾

فكتب إليه قيس بن سعد :

أما بعد فإنما أنت وثن بن وثن ، دخلت فى الاسلام كُرهاً ، وخرجت [منه] طوعا لم يَقْدُم إيمانك ، ولم يَحدُث نِفاقك . وقد كان أبى وتَر قوسه ورمى غرضه ، وشغب عليه من لم يبلغ كعبه ، ولم يشق غباره ، ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه ، وأعداء الدين الذى دخلت فيه . والسلام

وقال أبو عبيدة وأبو اليقظان وأبو الحسن : قدم وفد أهل العراق على معاوية وفيهم الأحنف ، فخرج الآذن فقال : إن أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لا يتكلم أحد

(١) قيس بن سعد : هو قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى الأنصارى ، يكنى أبا عبد الملك ، صحابى جليل ، روى عن الرسول ﷺ وكان شجاعاً باسلا ، طويلا جسيماً ، وهو يحسب في المعلمين . تولى مصر لعلى بن أبى طالب فاحتال معاوية عليه حتى ظن به على الظنون فعزله دون تبين . توفى بالمدينة في آخر عهد معاوية سنة ٦٠ هـ ٦٧٩ م

ʿADĪ b. ZAID. t.c. 604.

Ibn Qutaiba · Poesie. 111-117. also 74.96, 121.; Maʿārif 319.

Cheikho CAP. 439-473

Khizānaʾ I. 344 ff.

Ṭabarī I. 1016-1024 and Nöldeke's Sassaniden 314-324.

Nicholson Literary History. 45-49 138-139. 40.41. 244 n.

Huart. 31. (58).

Aghānī ii. 18-43 (Sāsī II), new ed. ii. 95 ff.

Haffner in EI. I 137 (of no importance)

Brockelmann Geschichte. i. 29-30.

Rothstein Lakhmiden. 109 ff.

Zarkalī al. Aʿlam 634.

Yāqūt Muʿjam. I. 42, 114, 321, 701, 702, 866.
II. 284, 400, 492, 681, 861, 906, 957.
III. 59, 255, 346, 553, 612, 731, 833.
IV. 10, 76, 355, 633, 742, 1041.

Ibn Sallām (ed. Hell). 30-32.

Jamhara (ed. 1926) 174-180.

Adab al-Kātib (Ibn Qutaiba). p. 138.

Ṣalli Mufaḍḍaliyāt. 214[24] n; 413[23] n; 425[1]; 569[2]; 624[16]; 723[25] n; 829[11]; 850[9]; 862[4]

Kāmil of al-Mubarrad. 26[9], 58[11], 163[9]; 283[2]; 460[16]; 489[2].

Naqāʾid 639[2]; 119[2]:

Amālī of al-Qalī i. 60, 171; iii. 5.

Al-Alūsī Bulugh. ii. 181. 183. 262. 263. iii. 119. 108 n:

Ibn as-Sikkīt 75 (713); 455. 675. 548. 656. 105. 695.

Cheikho Naṣrāniya. 91. 92; 427-428. 468; 118. 162. 162 etc.

Abi Zaid - Nawādir 25, 240.

Al-Muwashshah 22, 72-73, 88, 348.

Dīwān al-Maʿānī ii. 137, 248.

Muʿjam ash-Shiʿa. 249.

Jāḥiẓ at-Tāj. 84.

" Bayan i. 51.

Kitāb az-Zahra. 109, 249. 273. 327.

إلا لنفسه . فلما وصلوا إليه قال الأحنف : لولا عزيمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافة دفت ، ونازلة نزلت ، ونائبة نابت ، ونابتة نبتت ، كلهم بهم حاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبره . قال : حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الغائب والشاهد

وقال غَيلان بن خرشة للأحنف : ما فيه بقاء العرب ؟ قال : إذا تقلدوا السيوف ، وشدوا العمائم ، وركبوا الخيل ، ولم تأخذهم حَمِيّة الأوغاد . قال : وما حمية الاوغاد ؟ قال : أن يعدُّوا التواهب فيما بينهم ضيما . وقال عمر : العمائم تيجان العرب ، وقيل لأعرابى : ما لك لاتضع العمامة عن رأسك ؟ قال : إن شيئا فيه السمع والبصر لحقيق بالصون

وقال على رضى الله تعالى عنه . جمال الرجل فى كُمته ، وجمال المرأة فى خفها .

وقال الأحنف : استجيدوا النعال فانها خلاخيل الرجال . قال : وجرى ذكر رجل عند الاحنف فاغتابوه . فقال الأحنف : مالكم ومالـه ! يأكل رزقه ، وتحمل الأرض ثقله ، ويكفى قرنه .

مَسلمة بن مُحارب قال : قال زياد لحرقة بنت النعمان : ما كانت لذة أبيك ؟ قالت : إدمان الشراب ومحادثة الرجال .

وقال سليمان بن عبد الملك . قد ركبنا الفاره ، وتبطنا الحسناء ، ولبسنا اللين حتى استخشناه ، وأكلنا الطيب حتى أجمناه ، فما أنا اليوم إلى شىء أحوج منى إلى جليس يضع عنى مؤنة التحفظ

وأشاروا على عُبيد الله بالحقنة فتفحشها فقالوا : إنما يتولاها منك الطبيب ؟ فقال : أنا بالصاحب آنس .

وقال معاوية بن أبى سفيان لِلنَّخَّار بن أوس العُذرى : أبغنى مُحدثاً . قال : أو معى يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، أستريح منه إليك ومنك إليه .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لابى مَريم الحنفى : والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم المسفوح . قال : فتمنعنى لذلك حقاً ؟ قال : لا . قال : لاضير ، إنما يأسف على الحب النساء . وقال عمر لرجل هم بطلاق امرأته : لم تطلقها ؟ قال :

منها فى بلاء ، حين أمن الخائفون ، ورجع الهاربون . رزقنا الله منك التحنن ، وظاهر علينا من التمنن ، فإنك أمين مستودَع ، ورائد مستصطفى ، والسلام ورحمة الله

قال هشام بن الكلبى : حدثنا خالد بن سعيد عن أبيه قال : شكت بنو تغلب السنة إلى معاوية فقال : كيف تشكون الحاجة مع ارتجاج البكارة ، واختلاف المهارة ؟

(كتاب معاوية إلى قيس بن سعد[1])

وقال ابن الكلبى : كتب معاوية إلى قيس بن سعد : أما بعد فإنك يهودى ابن يهودى ، إن ظفر أحب الفريقين إليك عزلك واستبدل بك ، وإن ظفر أبغضهما إليك قتلك ونكّل بك . وكان أبوك وتَّر قوسه ورمى غير غرضه ، فأكثر الحز وأخطأ المفصل ، فخذله قومه وأدركه يومه ، ثم مات طريداً بحوران . والسلام

(جواب قيس بن سعد لمعاوية)

فكتب إليه قيس بن سعد :

أما بعد فإنما أنت وثن بن وثن ، دخلت فى الاسلام كُرهاً ، وخرجت [منه] طوعا لم يَقْدُم إيمانك ، ولم يَحدُث نِفاقك . وقد كان أبى وتّر قوسه ورمى غرضه ، وشغب عليه من لم يبلغ كعبه ، ولم يشق غباره ، ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه ، وأعداء الدين الذى دخلت فيه . والسلام

وقال أبو عبيدة وأبو اليقظان وأبو الحسن : قدم وفد أهل العراق على معاوية وفيهم الأحنف ، فخرج الآذن فقال : إن أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لا يتكلم أحد

---

(١) قيس بن سعد : هو قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى الأنصارى ، يكنى أبا عبد الملك ، صحابى جليل ، روى عن الرسول ﷺ وكان شجاعاً باسلا ، طويلا جسيماً ، وهو يحسب في المعلمين . تولى مصر لعلى بن أبى طالب فاحتال معاوية عليه حتى ظن به على الظنون فعزله دون تبين . توفى بالمدينة في آخر عهد معاوية سنة ٦٠ هـ ٦٧٩ م

إلا لنفسه . فلما وصلوا إليه قال الأحنف : لولا عزيمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافة دفت ، ونازلة نزلت ، ونائبة نابت ، ونابتة نبتت ، كلهم بهم حاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبره . قال : حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الغائب والشاهد

وقال غَيلان بن خرشة للأحنف : ما فيه بقاء العرب ؟ قال : إذا تقلدوا السيوف ، وشدوا العمائم ، وركبوا الخيل ، ولم تأخذهم حَمِيّة الأوغاد . قال : وما حمية الاوغاد ؟ قال : أن يعدُّوا التواهب فيما بينهم ضيما . وقال عمر : العمائم تيجان العرب ، وقيل لأعرابى : ما لك لاتضع العمامة عن رأسك ؟ قال : إن شيئا فيه السمع والبصر لحقيق بالصون

وقال على رضى الله تعالى عنه . جمال الرجل فى كُمته ، وجمال المرأة فى خفها .

وقال الأحنف : استجيدوا النعال فانها خلاخيل الرجال . قال : وجرى ذكر رجل عند الاحنف فاغتابوه . فقال الأحنف : مالكم ومالـه ! يأكل رزقه ، وتحمل الأرض ثقله ، ويكفى قرنه .

مَسلمة بن مُحارب قال : قال زياد لحرقة بنت النعمان : ما كانت لذة أبيك ؟ قالت : إدمان الشراب ومحادثة الرجال .

وقال سليمان بن عبد الملك . قد ركبنا الفاره ، وتبطنا الحسناء ، ولبسنا اللين حتى استخشناه ، وأكلنا الطيب حتى أجمناه ، فما أنا اليوم إلى شىء أحوج منى إلى جليس يضع عنى مؤنة التحفظ

وأشاروا على عُبيد الله بالحقنة فتفحشها فقالوا : إنما يتولاها منك الطبيب ؟ فقال : أنا بالصاحب آنس .

وقال معاوية بن أبى سفيان لِلنَّخَّار بن أوس العُذرى : أبغنى مُحدثاً . قال : أو معى يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، أستريح منه إليك ومنك إليه .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لابى مَريم الحنفى : والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم المسفوح . قال : فتمنعنى لذلك حقاً ؟ قال : لا . قال : لاضير ، إنما يأسف على الحب النساء . وقال عمر لرجل هم بطلاق امرأته : لم تطلقها ؟ قال :

لا أحبها . قال: أوكل البيوت بنيت على الحب ؟ فأين الرعاية والتذمم ؟

وأتى عبد الملك بن مروان برجل فقال: زُبيرى حُميرى ، والله لا يحبك قلبى أبداً . قال: ياأمير المؤمنين ، إنما تبكى على الحب المرأة، ولكن عدل وانصاف

عبد الله بن المبارك عن هِشام بن عُروة قال : نازع مَروانُ ابنَ الزبير[1] عند معاوية فرأى ابنُ الزبير أن ضلع معاوية مع مَروان فقال ابن الزبير : يا أمير المؤمنين إن لك حقاً وطاعة علينا ، وإن لك بَسطة وحُرمة فينا ، فأطع الله نطعك فانه لا طاعة لك علينا إلا فى حق الله ، ولا تُطْرق إطراق الأفعوان فى أصول الشجر

أبو عبيدة قال : قيل لشيخ مرة . ما بقى منك ؟ قال : يسبقنى من بين يدى ، ويلحقنى من خلفى ، وأنسى الحديث ، واذكر القديم ، وأنعس فى الملاء ، وأسهر فى الخلاء ، وإذا قمت قَرُبَتِ الارض منى ، وإذا قعدت تباعدت عنى

الأصمعى قال : قلت لأعرابى معه ضاجعة من شاء : لمن هذه ؟ قال: هى لله عندى.

ولما قتل عبد الملك بن مروان مُصعباً ودخل الكوفة قال لهيثم بن الاسود النخعى : كيف رأيت الله صنع؟ قال: قد صنع الله خيراً ، نخفف الوطأة وأقل التثريب .

وقال ابن عباس : إذا ترك العالم قول : لا أدرى ، أصيبت مقاتله : وكانوا يستحبون أن لا يجيبوا فى كل ماسئلوا عنه . وقال ابن عمر : من قال عند مالا يدرى : لا أدرى ، فقد أحرز نصف العلم .

وقال ابن عباس : إن لكل داخل دهشة ، فآنسوه بالتحية

---

(١) عبد الله بن الزبير : هو عبد الله بن الزبير بن العوام ، أمه أسماء بنت أبى بكر ، يكنى أبا بكر وأبا خبيب ، ولد بالمدينة بعد الهجرة بعشرين شهراً . وقيل هو أول مولود بها في الاسلام ، كان شجاعاً باسلا وفارساً مغواراً ، طلب الخلافة فاستولى على الحجاز والعراق واليمن ومصر تسع سنين فسير إليه عبد الملك بن مروان الحجاج ابن يوسف الثقفى فناجزه الحرب وحاصره بمكة ، وكان ابن الزبير قد بنى الكعبة وجعل لها بابين فرماها الحجاج بالنفط والنار فأحرقها، وأصاب أبن الزبير سهم عار فمات سنة ٧٤ هـ ٦٩٣ م

واعتذر رجل إلى مسلم بن قُتيبه فقال مسلم : لا يدعونك أمر قد تخلصت منه إلى الدخول فى أمر لعلك لا تخلص منه

وكان يقال : دعوا المعاذر، فان أكثرها مفاجر .

وقال ابرهيم النخعى لعبد الله بن عوف : تجنب الاعتذار فإن الاعتذار يخالطه الكذب

واعتذر رجل إلى أحمد بن أبى خالد فقال لأبى عياد : ما تقول فى هذا ؟ قال : يوهب له جُرمه ويضرب على عذره أربعمائة . وقد قال الأول : عذره أعظم من ذنبه

وقيل لابن عباس : وُلد عُمر بنُ أبى ربيعة فى الليلة التى مات فيها عُمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسمى باسمه . فقال ابن عباس : أى حق رفع وأى باطل وُضع

وقال عبد الله بن جعفر لابنته : يا بنية ، إياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق، وإياك والمعاتبة فانها تورث الضغينة ، وعليك بالزينة والطيب ، واعلمى أن أزين الزينة الكحل ، وأطيب الطيب الماء .

ولما نازع ابنَ الزبير مَروان عند معاوية قال ابن الزبير : يا معاوية لا تدع مروان يرمى جماهير قريشٍ بِمَشَاقِصِهِ ، ويضرب صَفاتهم بمعاوله[1] ولولا مكانك لكان أخف على رقابنا من فَراشة، وأقل فى نفوسنا من خشاشه[2] ولئن ملك أعنة خيل تنقاد له ليركبن منك طبقا تخافه . قال معاوية : إن يطلب هذا الامر فقد طمع فيه من هو دونه ، وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه ، وما أراكم بمنتهين حتى يبعث الله إليكم من لا يعطف عليكم بقرابة ، ولا يذكركم عند مُلمة ، يسومكم خَسفا ، ويوردكم تلفا . فقال ابن الزبير . إذاً والله نُطلق عِقال الحرب بكتائب تمور كرِجْلِ الجراد [3] حافاتها الاسل ، لها دوى كدوى الريح ، تتبع غِطريفا من

(١) المشاقص : الحجارة المدس الصغار . صفاتهم : صخرتهم الصماء (٢) الخشاشة : الحشرة (٣) كرجل الجراد : كجماعات الجراد

قريش لم تكن أمه براعية ثَلة . قال معاوية : أنا ابن هند ، أطلقت عِقال الحرب فأكلت ذروة السنام ، وشربت عُنفوان المكرع ، وليس للآكل إلا الفلذة ولا للشارب الا الرنق (١)

بكر بن الاسود : قال الحسن بن على لحبيب بن مَسلمة : رب مَسير لك فى غير طاعة الله . قال : أما مَسيرى إلى أبيك فلا . قال . بلى ، ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة ، فلعمرى لئن كان قام بك فى دنياك لقد قعد بك فى دينك ، ولو انك إن فعلت شرا قلت خيراً كنت كما قال الله تعالى « خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً » ولكنك كما قال الله تعالى « كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ »

قال أبو الحسن : سمعت أعرابياً فى المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة ثلاث وخمسين ومائة وهو يقول : أما بعد فإنا أبناء سبيل ، وأنْضاء طريق ، وفُل سنة : تصدقوا علينا ، فانه لاقليل مع الأجر ، ولا غني عن الله ، ولا عمل بعد الموت . أما والله إنا لنقوم هذا المقام وفى الصدر حزازة ، وفى القلب غصة

وقال الاحنف بخراسان . يابنى تميم ، تحابُّوا تجتمع كلمتكم ، وتباذلوا تعتدل أموركم ، وابدؤا بجهاد بُطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم . ومن كلام الأحنف السائر فى أيدى الناس : إلزم الصحة يلزمك العقل .

وقال خالد بن صَفوان ، وسئل عن الكوفة والبصرة : نحن منا بتناقصب ، وأنهارنا عَجب ، وسماؤنا رطب ، وأرضنا ذهب . وقال الأحنف : نحن أبعد منكم سَرية ، وأعظم منكم تَجرية ، وأكثر منكم ذُرية ، وأغذى منكم برية .

وقال أبو بكر الهُذلى : نحن أكثر منكم سَاجا ، وعاجا ، وديباجا ، وخراجا ، ونهراً عجاجا .

وكتب صاحب لابى بكر الهذلى إلى رجل يُعزيه عن أخيه . أوصيك بتقوى

(١) الرنق : الماء المشوب

الله وحده ، فإنه خلقك وحده ، ويبعثك يوم القيامة وحده ، والعجب كيف يعزى ميت ميتاً عن ميت والسلام

وقال رجل لابن عباس : أيما أحب إليك ؟ رجل قليل الذنوب قليل العمل ، أو رجل كثير الذنوب كثير العمل ؟ قال : ما أعدل بالسلامة شيئا

وقال آخر : حماقة صاحبي عليَّ أشد ضرر أمنها عليه . شعبة أبو بسطام قال : قال عبد الرحمن بن أبي ليلى[1] : لا أماري أخي : فإما أن أكذبه ، وإما أن أغضبه. واحتد على ابن أبي ليلى رجلٌ من جلسائه فقال ابن أبي ليلى له : أهد الينا من هذا ما شئت . فلما مات ابن أبي ليلى وعمرو بن عبيد رحمهما الله قال أبو جعفر المنصور : ما بقي أحدٌ يُستحيى منه .

ولما مات عبد الله بن عامر قال معاوية : رحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن يفاخر مسلمة بن محارب ؟

وقال زياد : ما قرأت كتاب رجل قط إلا عرفت عقله فيه

أبو معشر قال : لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان عمرو ابن سعيد الأشدق قام خطيباً فقال : إن أبا ذبان قتل لطيمَ الشيطان « كذلك نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » ولما جاءه قتل أخيه مُصعب ابن الزبير قام خطيباً بعد خطبته الأولى فقال : إن مصعباً قدم أيره وأخر خيره ، وتشاغل بنكاح فلانة وفلانة ، وترك حلبة أهل الشام حتى غشيته في داره ، ولئن هلك مُصعب إن في آل الزبير خلفاً منه

---

(١) عبد الرحمن بن أبي ليلى : هو من ولد أحيحة بن الجلاح وكان ابن شبرمة وغيره يدفعه عن هذا النسب ويقول :

وكيف ترجى لفصل القضاء ولم تصب الحكم في نفسكا
وتزعم أنك لابن الجلاح وهيهات دعواك من أصلكا

ولي ابن أبي ليلى القضاء لبني أمية ثم لبني العباس ، وكان فقيهاً مفتياً من أصحاب الرأي . مات وهو على القضاء سنة ١٤٨ هـ ٧٦٥ م

ولما قدم ابن الزبير بفتح أفريقية أمره عثمان فقام خطيباً ، فلما فرغ من كلامه قال عثمان: أيها الناس انكحوا النساء على آبائهن واخوتهن ، فإنى لم أر فى ولد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أشبه به من هذا

وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعرابياً يقول : اللهم اغفر لأم أوْفَى . قال : ومن أم أوفى ؟ قال : امرأتى، وإنها لحمقاء مِرغامة ، أكول ملقامة ، لا تبقى لها حامة ، غير أنها حسناء فلا تفرَك ؛ وأم غلمان فلا تترك

ودفعوا إلى أعرابية عَلَكا لتمضغه فلم تفعل فقيل لها فى ذلك فقالت : ما فيه إلا تعب الأضراس وخيبة الحنجرة

وكان أبو مسلم استشار مالك بن الهيثم حين ورد عليه كتاب المنصور فى القدوم عليه بذلك فلم يشر عليه ، فلما قُتل أبو مسلم أذكره ذلك فقال : إن أخاك ابرهيم الإمام حدث عن أبيه محمد بن على أنه قال : لا يزال الرجل يزاد فى رأيه إذا نصح لمن استشاره . فكنت له يومئذ كذلك وأنا اليوم لك كذلك

وقال الحسن : التقدير نصف الكسب ، والتودد نصف العقل ، وحُسن طلب الحاجة نصف العلم

قال رجل لعَمرو بن عُبيد : إنى لأرحمك مما يقول الناس فيك . قال : أفتسمعنى أقول فيهم شيئاً ؟ قال : لا . قال : إياهم فارحم .

ومدح نصيب أبو الحجناء عبد الله بن جعفر فأجزل له من كل صنف . فقيل له : أتصنع هذا بمثل هذا العبد الأسود ؟ فقال : أما والله لئن كان جلده أسود فإن ثناءه لأبيض ، وإن شِعره لعربى ، وقد استحق بما قال أكثر مما نال ، وإنما أخذ رواحل تنضى ، وثياباً تبلى ، ومالا يفنى ، وأعطى مديحاً يُروى ، وثناء يَبقى

وقف أعرابى فى بعض المواسم فقال : اللهم إن لك علىَّ حقوقا فتصدق بها علىَّ ، وللناس تَبِعات قِبَلى فتحملها عنى ، وقد أوجبت لكل ضيف قِرى ، وأنا ضيفك فاجعل قِراى فى هذه الليلة الجنة . ووقف أعرابى فسأل قوماً فقالوا له : عليك بالصيارفة . قال : هناك والله قرارة اللؤم

وقال مسلمة : ثلاثة لا أعذرهم : رجل أحفى شعره ثم أعفاه ، ورجل قصر ثيابه ثم أطالها ، ورجل كان عنده سرارى فتزوج حرة

أبو اسحق قال : قال حذيفة : كن فى الفتنة كابن لَبون : لا ظهر فيركب ، ولا لبن فيحلب . وقال الشاعر ـ وليس هذا الباب فى الخبر الذى قبل هذا : ـ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّابَ تُحْلَبُ عَلْبَةً ... وَيُتْرَكُ ثِلْبٌ لَا ضِرَابٌ وَلَا ظَهْرُ (١)

عُتبة بن هرون قال : قلت لرؤبة : كيف خلفت ما وراءك ؟ قال : التراب يابس ، والمرعى عابس .

وقال معاوية بن أبى سفيان لابن عباس : إنى لأعلم أنك واعظ نفسه ، ولكن المصدور إذا لم ينفث جَوِى (٢)

وقيل لعبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود : أتقول الشعر مع النُّسك والفضل والفقه ؟ قال : لا بد للمصدور من أن ينفث .

قال أبو الذيال شُويس (٣) أنا والله العربىُّ لا أرفع الجربان ، ولا ألبس التُّبَّان ، ولا أحسن الرطانة ، ولأنا أرسى من حجر ، وما قرقمى إلا الكرم .

---

(١) الناب العلبة : الناقة المسنة . الثلب : البعير لا يصلح للضراب أى الوثوب على الناقة ، ولا للركوب (٢) الجوى : حرقة الوجد وشدته (٣) فى نسخة : قال أبو الذيال قال شويس . كأن أبا الذيال وشويسا متغايران . والحق أنهما واحد . روى أبو عبيد البكرى فى كتابه « التنبيه » فقال : هذا الكلام لأبى الذيال شويس الاعرابى العدوى ، وأورده على وجهه قال ـــ يعنى أبو الذيال ـــ : أنا ابن التاريخ ، أنا والله العربى المحض ، لا أرفع الجربان ، ولا ألبس التبان ، ولا أحسن الرطانة ، وإنى لأرسب من رصاصة ، وما قرقمى إلا الكرم . قال أبو عبيد : قوله : أنا ابن التاريخ : يعنى أنه ولد سنة الهجرة . ويريد بجملة قوله : إنه أعرابى بدوى محض ، من أهل الوبر لا من أهل المدر ولا من أهل الأمصار التى تكون على الأرياف والأنهار ، فهم يتعلمون فيها السباحة ، وإنه لم يجاور العجم فيحسن رطانتهم . والأعرابى إذا قال : قدمت الريف ، فانما يريد الحضر . وأما قوله : وما قرقمى إلا الكرم ، فانه يعنى أن أباه طلب المناكح الكريمة فلم يجدها إلا فى أهله ، فجاء ولده ضاوياً . ومنه الحديث « اغتربوا لاتضووا » أى أنكحوا فى الغرائب .

أبو الحسن وغيره قال : قال عَمرو بن عُتبة بن أبي سفيان للوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو بالنُّجَيْراء من أرض حِمص : يا أمير المؤمنين ، إنك تستنطقني بالأُنس بك ، وأكف عن ذلك بالهيبة لك ، وأراك تأمن أشياء أخافها عليك ، أفأسكت مطيعاً أم أقول مشفقاً ؟ قال : كل ذلك مقبول منك ، ولله فينا عِلْمُ غَيب نحن صائرون إليه . ونعود فنقول . قال : فقتل بعد أيام

وكان أيوب السختياني يقول: لا يَعرف الرجلُ خطأ مُعلمه حتى يسمع الاختلاف

قال بعضهم : كنت أجالس ابن صعير في النسب (؟) فجلست إليه يوماً فسألته عن شيء من الفقه فقال : ألك بهذا حاجة ؟ عليك بذلك . وأشار بذلك إلى سعيد ابن المسيب ، فجلست اليه لا أظن أن عالماً غيره ، ثم تحولت إلى عُروة ففتقت به ثَبَجَ بحرٍ . قال : وقلت لعثمان البري : دلني على باب الفقه . قال : اسمع الاختلاف

وقيل لأعرابي : عند من تحب أن يكون طعامك ؟ قال : عند أم صبي راضع ، أو ابن سبيل شاسع ، أو كبير جائع ، أو ذي رحم قاطع .

وقال بعضهم : إذا اتسعت المقدُرة نقصت الشهوة . قال قلت : فمن أسوأ الناس حالا ؟ قال : من اتسعت معرفته ، وبعدت همته ، وقويت شهوته ، وضاقت مقدُرته . وذكر عند عائشة الشرف فقالت : كل شرف دونه لؤم فاللؤم أولى به ، وكل لؤم دونه شرف فالشرف أولى به .

ودخل رجل على أبي جعفر فقال له : اتق الله . فأنكر وجهه فقال : يا أمير المؤمنين ، عليكم نزلت ، ولكم قيلت ، وإليكم زدت .

وقال رجل عند مَسلمة : ما استرحنا من حائك كندة[1] حتى جاءنا هذا

قلت : ومعنى آخر أورده ابن منظور في لسان العرب قال : ما قرفني إلا الكرم، أي إنما جئت ضاوياً لكرم آبائي وسخائهم بطعامهم عن بطونهم . الجربان : أصله الكفاف الذي في جيب القميص والمراد به ههنا القميص نفسه . التبان : سروال صغير يستر النصف الأسفل من الجسم يتخذه الملاحون والمصارعون

(١) حائك كنده : يريد به عبد الرحمن بن الأشعث

المزونى[١] . فقال مَسلمة : أتقول هذا لرجل سار إليه فريقا قريش؟ — يعنى نفسه والعباس بن الوليد[٢] — حاول عظيما ، ومات كريماً .

عبد الله بن الحسن قال : قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : خُصصنا بخمس : فصاحة ، وصباحة ، وسماحة ، ونجدة ، وحظوة — يعنى عند النساء .

على بن مجاهد بن هِشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها .

وقال الأصمعى : كُتب كتابُ حكمة فبقيت منه بقية ، فقالوا : ما نكتب فيه ؟ فقال : اكتبوا : يسأل عن كل صناعةٍ أهلُها .

وقال شبيب بن شيبة للمهدى : إن الله لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه ، فلا ترض لنفسك أن يكون أحد أخوف لله منك .

قال يحيى بن أكثم[٣] سياسة القضاء أشد من القضاء . وقال : إن من إهانة العلم أن تجارى فيه كلَّ مَن جاراك .

وحمّل رقبةُ بنُ مَصقلة من خراسان رجلاً إلى أمه خمسمائة درهم فأبى الرجل أن يدفعها إليها حتى تكون معها البينة على أنها أمه . فقالت لخادم لها : اذهبى حتى تأتينا ببعض من يعرفنا . فلما أتاها الرجل برزت وقالت : الحمد لله أشكو إلى الله الذى أبرزنى وشهر بالفاقة أهلى . فلما سمع كلامها قال : أشهد أنك امه ،

---

(١) المزونى : يريد به يزيد بن المهلب (٢) فى نسخة : ويزيد بن المهلب . وليس هنا مكان ذكره بعد أن ذكر فريق قريش ممثلين فى مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد

(٣) يحيى بن أكثم : قاضى القضاة في عهد المأمون ، وهو من ولد أكثم بن صيفى حكيم العرب ، وكان يحيى أحد أعلام الدنيا علماً وفضلا ورياسة وسياسة ، وكان وزراء المأمون لا يعملون في تدبير الملك شيئاً إلا بعد مطالعة يحيى بن أكثم : وكان أديباً بليغاً وخطيباً فصيحاً ، وله شعر حسن جداً . وقد حضر مع المأمون إلى مصر سنة ٢١٥ هـ وولاه المأمون قضاء مصر وحكم بها ثلاثة أيام ثم خرج مع المأمون . وتروى عنه أحداث مع الأحداث لاندرى مبلغها من الصحة . كان مولده سنة ١٥٩هـ ٧٧٥ م وتوفى بالربذة سنة ٢٤٢ هـ ٨٥٦ م

فردى الخادم ولا حاجه بنا إلى أن تجىء البينة .

وكان الحسن يقول فى خطبة النكاح ، بعد حمد الله والثناء عليه : أما بعد فان الله جمع بهذا النكاح الأرحامَ المنقطعة ، والانسابَ المتفرقة ، وجعل ذلك فى سُنة من دينه ، ومنهاج واضح من أمره . وقد خطب إليكم فلان وعليه من الله نعمة .

عامر بن سعيد قال : سمعت الزبير يعزى عبد الرحمن على بعض نسائه فقال وهو قائم على قبرها : لا يصفر ربعك ، ولا يوحش بيتك ، ولا يضيع أجرك ، رحم الله متوفاك ، وأحسن الخلافة عليك

قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . خير صِناعات العرب أبيات يُقدمها الرجل بين يدى حاجته ، يستميل بها الكريم ، ويستعطف بها اللئيم .

وليم ابنَ الزبير على طول خطبته عشية عَرفة فقال : أنا قائم وهم جلوس ، وأتكلم وهم سكوت ، ويضجرون ؟

وقال موسى بن يحيى : كان يحيى بن خالد يقول : ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها : الكتاب يدل على مقدار عقل كاتبه ، والرسول على مقدار عقل مرسله ، والهدية على مقدار مهديها . وذكر أعرابى أميراً فقال : يقضى بالعَشوة ، ويطيل النشوة ، ويقبل الرّشوة .

وقال يزيد بن الوليد : إن النشوة تحل العقدة ، وتطلق الحبوة . وقال : إياكم والغِناء فانه مفتاح الزنا .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إذا توجه أحدكم فى وجهٍ ثلاث مرات فلم يُصب خيراً فليدعه .

قال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه . لا تكوننّ ممن يَعجز عن شكر ما أُوتى ، ويبتغى الزيادة فيما بَقى ، وينهى ولا يَنتهى ، ويأمر الناس بما لا يأتى ، يُحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ، ويُبغض المسيئين وهو منهم ، ويكره الموت لكثرة ذنوبه لا يدعها فى طول حياته

قال اعرابى : خرجت حيث انحدرت أيدى النجوم ، وشالت أرجلها ، فلم أزل أصدع الليل حتى انصدع لى الفجر . وسألت اعرابيا عن مسافة ما بين بلدين فقال : عُمر ليلة ، وأديم يوم . وقال آخر : سواد ليلة أو بياض يوم . وقال بعض الحكماء : لا يضرك حب امرأة لا تعرفها

وقال رجل لأبى الدَّرداء : فلان يُقرئك السلام . فقال : هدية حسنة ، ومحمل خفيف

وسرق مزيد نافجة مسك ، فقيل له : إن كل من غل يأتى يوم القيامة بحمله على عنقه ، قال : إذاً والله أحملها طيبة الريح ، خفيفة المحمل .

قال : ومن أبخل البخل ترك رد السلام . قال ابن عمر : لعمرى إنى لأرى حق رجع جواب الكتاب كرد السلام .

وجاء رجل إلى سليمان فقال : يا أبا عبد الله ، فلان يَقرأ عليك السلام . فقال : أما إنك لو لم تفعل لكانت أمانة فى عنقك.

قال مُثنَّى بنُ زُهير لرجل: احتفظ بكتابى حتى توصله إلى أهلى . فمن العجب أن الكتاب مُلقى والسكران مؤتى . وكان عبد الملك بن حجاج يقول : لأنا للعاقل المُدْبِر أرجَى من الاحمق المُقبل . قال : وإياك ومصاحبة الاحمق فانه ربما أراد أن ينفعك فضرك .

وكتب الحجاج إلى عامل له بفارس : إبعث إلىَّ بعسل من عسل خُلاّر ، من النحل الابكار ، من الدستفشار ، الذى لم تمسه النار . وقال الشاعر :

وَمَا الْمَرْءُ إلاّ حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ فَفِى صالحِ الأخْلاَقِ نَفْسَكَ فَاجعَلِ

ونظر أبو الحارث جُمين إلى برذون يستقى عليه الماء فقال : وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ، لو أن هذا البرذون هَمْلج ما فُعل به هذا .

عمران بن هداب قال : قال مسلم بن قُتيبة : رَبَّ[1] المعروف أشد من ابتدائه

(١) رب المعروف : يعنى موالاة المعروف والقيام عليه

وقال محمد بن واسع : الاتقاء على العمل أشد من العمل .

وقال يحيى بن أكثم : سياسة القضاء أشد من القضاء

وقال محمد بن محمد الحمرانى : من التوقى ترك الافراط فى التوقى

وقال أبو قرة : الجوع للحمية أشد من العلة .

وقال الجماز : الحمية إحدى العلتين

وقال القمى : من احتمى فهو على يقين من تعجيل المكروه ، وفى شك مما يأمل من دوام الصحة . وقال : اعتبر عزمه بحميته ، وحزمه بمتاع بيته. قال: وذكر اعرابى رجلا فقال : حناء المبتلى، حنوط المعافى

وقالوا : أمران لاينفكان من الكذب : كثرة المواعيد، وشدة الاعتذار .

وقيل لرجل من الحكماء : ما جماع البلاغة . قال معرفة السليم من المعتل وفصل مابين المضمَّن والمُطلق ، وفرق مابين المشترك والمفرد ، وما يحتمل التأويل من المنصوص المقيد

وقال سهل بن هرون فى كتاب له : واجب على كل ذى مقالة أن يبتدئ بالحمد قبل استفتاحها، كما بُدئ بالنعمة قبل استحقاقها .

وقال أبو البلاد [1] .

إنا وَجَدْنَا النَّاسَ عُودَيْنِ : طَيِّباً ... وَعُودًا خَبِيثاً لايَبِضُّ عَلَى العَصْرِ

تَزِينُ الْفَتى أخلاقُهُ وتَشِينُهُ ... وَتُذْكَرُ أخْلاقُ الفتى وهْوَ لاَ يَدْرِى

وقال آخر فى هذا المعنى :

سابِقْ إلى الْخَيْرَاتِ أهْلَ الْعُلَى ... فإنَّمَا النَّاسُ أحاديثُ

كلُّ امرِئٍ فى شأنِهِ كادِحٌ ... فَوَارِثٌ مِنْهُ وَمَوْرُوثُ

ولما قال حَمَلُ بنُ بَدر لبنى عبس — والاسنة فى ظهورهم ، والبوارق فوق رؤسهم — نُؤدى السبق ونَدى الصبيان ، وتُخلون سربنا ، وتسودون العرب . انتهره حُذيفة وقال : إياك والكلام المأثور .

(١) أبو البلاد : هو أبو البلاد الطهوى الشاعر المشهور

وقال الشاعر :

اليَوْمَ خَمْرٌ ويَبْدُو فِى غدٍ خَبَرٌ والدَّهْرُ مِن بَيْنِ إنْعامٍ وإيآسِ

وقال أعرابى : إن المسافر ومتاعه لعلى قَلَتٍ إلا ماوقى الله .

وقالوا : السفر قِطعة من العذاب . وصاحب السوء قطعة من النار .

وجلس معاوية رضى الله تعالى عنه بالكوفة يبايع على البراءة من على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه فجاءه رجل من بنى تميم فأراده على ذلك فقال : يا أمير المؤمنين ، نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم . فالتفت إلى المغيرة فقال : إن هذا رجل فاستوص به خيراً . وقال الشاعر :

قالتْ أمامَةُ يَوْمَ بَرْقَةِ وَاصِلٍ يَاابْنَ العَذِيرِ لَقَدْ جَعَلْتَ تَغَيَّرُ
أصْبَحْتَ بَعْدَ زَمانِكَ الْماضِى الَّذِى ذَهَبَتْ شَبِيبَتُهُ وَغُصْنُكَ أخْضَرُ
شيخاً دِعامَتُكَ العصا وَمُشيَّعاً لاتَبْتَغِى خَبَراً وَلا تُسْتَخْبَرُ

وكان الربيع بن خيثم لايُخبر ولا يَستخبر . وكان مطرف بن عبدالله يَستخبر ويُخبر . قالوا : فينبغى أن يكون أعقلهم . وقال أبو عبيدة : كان ابن سيرين لايستخبر ولا يخبر ، وأنا أخبر وأستخبر .

وقال أبو عمرو بن العلاء لاهل الكوفة : لكم حذاقة النبَط وصَلَفهم ، ولنا دهاء فارس وأحلامهم . وأنشدوا للحارث بن حِلِّزة اليشكرى :

لاأعْرِفَنَّكَ إنْ أرْسَلْتَ قافِيَةً تُلْقِى الْمَعاذِيرَ إنْ لَمْ تَنْفَعِ الْعِذَرُ
إنَّ السَّعِيدَ لَهُ فى غَيْرِهِ عِظَةٌ وَفى التَّجارِبِ تَحْكِيمٌ وَمُعْتَبَرُ

ومعنى المعاذير هاهنا على غير معنى قول الله تبارك وتعالى فى القرآن « بَلِ الإنْسَانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ » [المعاذير] هاهنا الستور

أراد رجل الحج فسلم على شُعبه بن الحجاج [1] فقال له . أما إنك إن لم تعد

(١) شعبة بن الحجاج بن الورد مولى الاشاقر عتاقة يكنى ابا بسطام ، وقد زعموا أنه ولد لسنتين . وكان أسن من سفيان الثورى بعشر سنين ، وكان شيعياً من أصحاب الحديث ، وكان شاعراً متكلماً ألثغ . وكان يقول : والله لأنا فى الشعر أسلم منى فى الحديث .

الحلم ذُلا ، والسفه أنفا ، سلم لك حجك .

وكان على رضى الله تعالى عنه بالكوفة قد منع الناس من القعود على الطريق فكلموه فى ذلك فقال : أدعكم على شريطة . قالوا : وماهى ياأمير المؤمنين ؟ قال : غض الابصار ، ورد السلام ، وارشاد الضلال . قالوا : قد قبلنا . فتركهم .

وكان [أبو] نوفل بن أبى عقرب لا يجلس الا على باب داره وكان عامرا بالمارة . فقيل له : إن فى ذلك نشرة وصرف النفوس عن الامانى واعتباراً لمن اعتبر وعظة لمن فكر . فقال : ان فى ذلك حقوقا يعجز عنها ابن خيثمة قالوا : وما هى ؟ قال : غض الطرف ، ورد التحية ، وإرشاد الضال ، وضم اللقطة والتعرض لطلاب الحوائج ، والنهى عن المنكر ، والشغل بفضول النظر الداعية إلى فضول القول والعمل ، وعادة إن قطعتها اشتدت وحشتك ، وإن وصلتها قطعتك عن أمور هى أولى بك

قال فضيل بن عياض [1] لسفيان الثورى [2] : دُلنى على جليس أطمئن اليه قال : هيهات ، تلك ضالة لا توجد .

وقيل لبعض العلماء : أى الامور أمتع ؟ قال : مذاكرة العلماء . وقيل لعبد الرحمن ابن أبى بكرة : أى الامور أمتع ؟ قال : الامانى

ولو أردت الله ما خرجت اليكم ، ولو أردتم الله ما جئتمونى . ولكنا نحب المدح ونكره الذم ، ولد سنة ٨٥ هـ ٧٠٤ م وتوفي بالبصرة سنة ١٦٠ هـ ٧٧٦ م

(١) فضيل بن عياض : كان تميماً يكنى أبا على . وهو من العباد النساك الفضلاء . ولد بأبيورد من خراسان وورد الكوفة وهو كبير فسمع من منصور بن المعتمر وغيره من شيوخها ثم انتقل إلى مكة وأقام بها إلى أن مات سنة ١٨٧ هـ ٨٠٢ م

(٢) سفيان الثورى : هو سفيان بن سعيد بن مسروق ، يكنى أبا عبدالله ، وينسب إلى ثور بن عبد مناة أو ثور أطحل ، وهو جبل . وكان يتشيع مع ورع شديد وتقوى ولأجل هذا توارى من السلطان حتى مات متواريا بالبصرة ودفن عشاء فقال فيه الشاعر :

تحرز سفيان وفر بدينه وأمسى شريك مرصدا للدراهم

كان مولده سنة ٩٧ هـ ٧١٥ م وكانت وفاته سنة ١٦١ هـ ٧٧٧ م

وقال رَجاءُ بن حَيْوَة [١] لعبد الملك بن مروان فى أسارى ابن الأشعث : إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر ، فاعط الله مايحب من العفو

وقال هُزيم بن عدى بن أبى طَحمة [٢] ليزيد بن عبدالملك بعد ظفره بيزيد ابن المهلب : مارأينا أحداً أظلم ظلمك ، ولا نُصر نصرك ، ولا عفا عفوك . قال: وذم رجل رجلا فقال : هو سيئ الرويّة ، قليل التقية ، كثير السعاية ، قليل النكاية

قال معاوية لمعاوية بن حُديج الكندى [٣] : ماجرأك على قتل قُريش ؟ قال : ما أنصفتمونا ، تقتلون حلماءنا وتلومونا على قتل سُفهائكم ؟ وهو الذى قال لأم الحكم بنت أبى سفيان : والله لقد نَكحتِ فما استكرمتِ ، وولدتِ فما أنجبتِ

أبو بكر بن مَسلمة عن أبى اسحق القيسى قال : لما قدم قُتيبة بن مُسلم خراسان قال : من كان فى يديه شىء من مال عبد الله بن خازم [٤] فلينبذه ، وإن كان فى فيه

---

(١) رجاء بن حيوة : يكنى أبا المقدام ، وأبا نصر ، وهو كندى من أعيان التابعين وفضلائهم . كان أحمر الوجه ، أبيض اللحية ، حسن الكلام ، بليغ المنطق مات سنة ١١٢ هـ ٧٣٠ م

(٢) هزيم بن عدى : ضبطه ابن قتيبة في المعارف بالراء المهملة . وقال عنه : هريم بن أبى طحمة التيمى ، واسم أبى طحمة حارثة بن عدى ، وكان هريم شجاعاً كيساً ، وكان مع المهلب فى قتال الازارقة ، ومع عدى بن أرطاة فى قتال يزيد بن المهلب كما خرج على يزيد بن عبد الملك ، ولما كان يوم سورا أخذ اللواء ثم أقحم في خمسة فوارس فانهزم يزيد بن المهلب فكبر هريم ، فحول اسمه في أعوان الديوان ليرفع عنه الغزو ، فقيل له : إنك لا تحسن أن تكتب ؟ فقال : إن لا أكتب فانى أمحو الصحف . وكان ابنه الترجمان على الأهواز وعلى بنى حنظلة فى فتنة بن سهيل . وقد مر ذكر ولده في ص ١٤٦ من الجزء الأول من هذا الكتاب

(٣) في نسخة : خديج بالخاء المعجمة ، وهو خطأ شائع ، والصواب ما أثبتناه

(٤) فى نسخة : حازم بالحاء المهملة وهو خطأ . والصواب بالخاء المعجمة كما أثبتناه . وهو عبد الله بن خازم السلمى ، يكنى أبا صالح . كان من أشجع الناس وأقواهم وأعظمهم بسالة ، تولى خراسان عشر سنين وفتح الطبسين ، ثم ثار به أهل خراسان وقاتلوه فخر صريعاً في المعركة وذلك في سنة ٥٦ هـ ٦٧٥ م

فليلفظه ، وإن كان فى صدره فلينفثه . فعجب الناس من حسن ما فصل وقسم .
قال ثم غبر بعد ذلك عيال عبد الله بن خازم وما بخراسان أحسن مالا منهم .

عنبسة القطان قال: شهدت الحسن وقال له رجل : بلغنا أنك تقول : لو كان علىٌّ بالمدينة يأكل من حشفها لكان خيراً له مما صنع . ؟ فقال الحسن : يالُكع ، أما والله لقد فقدتموه سهما من مرامى الله ، غير سؤوم لأمر الله ، ولا سروقة لمال الله ، أعطى للقرآن عزائمه فيما عليه وله ، فأحل حلاله وحرم حرامه ، حتى أورده ذلك رياضاً مُونقة ، وحدائق مُغدقة ، ذاك ابن أبى طالب يالكع .

يزيد بن عقال قال عبد الملك بن صالح يوصى ابنه وهو أمير سَرِية ونحن ببلاد الروم فقال له : انت تاجر الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيّس الذى إن وجد ربحا تجر وإلا احتفظ برأس المال ، ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة . وكن من احتيالك على عدوك أشد خوفا من احتيال عدوك عليك .

وقال بعض الحكماء . لا تصطنعوا إلى ثلاثة معروفا . اللئيم ، فانه بمنزلة الارض السَّبِخَة ، والفاحش ، فانه يرى الذى صنعت اليه إنما هو لمخافة فحشه ، والاحمق ، فانه لا يعرف قدر ما أسديت إليه . فاذا اصطنعت إلى الكرام فَازْدَرِع المعروف واحصد الشكر . قال : وواضع المعروف فى غير أهله كالمسرج فى الشمس والزارع فى السبخ . ومثله البيت السائر فى الناس :

وَمَنْ يَصْنَعِ المَعْرُوفَ فِى غَيرِ أَهْلِهِ يُلاَقِي الَّذِى لاَقَى مُجيرُ امِّ عامِرِ

وقالوا : من لم يعرف سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يولى .

وقال الأيادى صاحب الصرح الذى اتخذ سُلماً لمناجاة الرب — وهو الذى كان يقول : مُرضعة وفاطمة : القطيعة والفجيعة وصلة الرحم وحسن الكلم — قال : زعم ربكم ليجزين بالخير ثواباً وبالشر عقاباً . إن من فى الأرض عَبيد لمن فى السماء . هلكت جُرْهُمْ وَرَبَلَتْ إياد ، وكذلك الصلاح والفساد . من رشد فاتبعوه ، ومن غوى فارفضوه . كل شاة برجلها معلقة. وإياه عنى الشاعر بقوله :

ونَحْنُ إيادٌ عَبِيدُ الإلٰهِ ورَهْطُ مُنَاجِيهِ فى السلَّمِ

وَنَحْنُ وُلَاةُ حِجَابِ الْعَتِيقِ زَمَانَ الرِّعَاف عَلَى جَرْهُمِ

تعزية امرأة للمنصور على أبى العباس مَقدمه من مكة ، قالت : أعظم الله أجرك ، فلا مصيبة أجل من مُصيبتك ، ولا عوض أعظم من خلافتك .

وقال عثمان بن حزيم للمنصور حين عفا عن أهل الشام فى إجلائهم مع عبدالله ابن على عمه : يا أمير المؤمنين ، لقد أُعطيت فشكرت ، وابتُليت فصبرت ، وقدرت فعفوت . وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، الانتقام عدل ، والتجاوز فضل ، والمتفضل قد جاوز حد المنصف . فنحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين ، دون أن يبلغ أرفع الدرجتين . وقال آخر : من انتقم فقد شَفى غيظ نفسه ، وأخذ أقصى حقه . وإذا انتقمت فقد انتقصت ، وإذا عفوت تطولت . ومن أخذ حقه ، وشفى غيظه ، لم يجب شكره ، ولم يذكر فى العالمين فضله . وكظم الغيظ حلم ، والحلم صبر ، والتشفى طرف من العجز . ومن رضى أن لا يكون بين حاله و بين حال الظالم إلا ستر رقيق ، وحجاب ضعيف ، فلم يجزم فى تفضيل الحلم ، وفى الاستيثاق من ترك دواعى الظلم . ولم تر أهل النُّهى والمنسوبين إلى الحجى والتقى مدحوا الحكام بشدة العقاب ، وقد ذكروهم بحسن الصفح ، وبكثرة الاعتفار ، وشدة التغافل . وبعد ، فالمعاقب مستعدّ لعداوة أولياء المذنب ، والعافى مُستدع لشكرهم آمن من مكافأتهم أيام قدرتهم ، ولأن يُثنى عليك باتساع الصدر خير من أن يُثنى عليك بضيق الصدر . على أن إقالتك عثرة عباد الله موجب لإقالتك عثرتك من رب عباد الله ، وعفوك عنهم موصول بعفو الله عنك ، وعقابك لهم موصول بعقاب الله لك

قال : الموت الفادح ، خير من اليأس الفاضح ، وقال الآخر : لا أقل من الرجاء ؟ فقال الآخر بل اليأس المريح . وقال عبد الله بن وهب الراسبى : ازدحام الجواب مضلة للصواب . وليس الرأى بالارتجال : وليس الحزم بالاقتضاب ، فلا تدعونك السلامة من خطأ موبق ، أو غنيمة من صواب نادر إلى معاودته ، والتماس الأرباح من قبله . إن الرأى ليس بنُهبَى ، وخمير الرأى خير من فطيره ،

ورب شيء غابُه خير من طريه ، وتأخيره خير من تقديمه .

ولما قدم بعبد الجبار بن عبد الرحمن إلى المنصور قال : يا أمير المؤمنين ، قتلة كريمة . قال : تركتها وراءك يا ابن اللخناء .

ولما احتال أبو الأزهر المُهلب بن عُبيثر المهرى لعبد الحميد بن رَبعى بن خالد ابن مِغداق وأسلمه إلى حُميد بن قحطبة وأسلمه حُميد إلى المنصور ، ولما صار إلى المنصور قال : لا عذر فأعتذر وقد أحاط بى الذنب وأنت أولى بما ترى . قال : لست أقتل أحداً من آل قَحطبة ، بل أهب مُسيئهم لمحسنهم ، وغادرهم لوفيهم . قال : إن لم يكن فىَّ مصطنع فلا حاجة لى فى الحياة ، ولست أرضى أن أكون طليق شفيع وعتيق ابن عم . قال : اخرج فاناك جاهل وأنت عتيقهم ما حييت .

قال زياد بن ظبيان التيمى لابنه عبيد الله بن زياد — وزياد يومئذ يكيد بنفسه وعبيد الله غلام — ألا أوصى بك الأمير زياداً ؟ قال : لا ، قال : ولم ؟ قال : إذا لم يكن لِلحىّ إلا وصية الميت ، فالحىّ هو الميت .

ودخل عمرو بن سعيد على معاوية بعد موت أبيه ـ وعمرو يومئذ غلام ـ فقال له معاوية : إلى من أوصى بك أبوك يا غلام ؟ قال : إن أبى أوصى إلى ولم يوص بى . قال : وبأى شيء أوصاك ؟ قال : أوصانى أن لا يفقد إخوانُه منه إلا وجهه . قال معاوية لأصحابه : إن ابن سعيد هذا لأشدق . ولما داهن سفيان ابن معاوية بن يزيد بن المهلب فى شأن ابرهيم بن عبد الله وصار سفيان الى المنصور أمر الربيع فخلع سواده ووقف به على رؤس اليمانية فى المقصورة فى يوم الجمعة ثم قال : يقول لكم أمير المؤمنين : قد عرفتم ما كان من إحسانى إليه ، وحسن بلائى عنده ، والذى حاول من الفتنة والغدر والبغى وشق العصا ومعاونة الاعداء . وقد رأى أمير المؤمنين أن يهب مسيئكم لمحسنكم ، وغادركم لوفيكم .

قال يونس بن حبيب : [1] المفحَم يأتيه دون مايرضى ، ويطلب فوق مايقوى

(١) يونس بن حبيب كان مولى لبنى ضبة يكنى أبا عبد الرحمن . كان بارعاً فى النحو وله فيه أقيسة ومذاهب تفرد بها . صحب أبا عمرو بن العلاء وسمع من الأعراب وروى

وذكر بعض الحكماء أعاجيب البحر وتزيد البحرين فقال : البحر كثير العَجائب ، وأهله أصحاب الزوائد ، فأفسدوا بقليل الكذب كثير الصدق ، وأدخلوا مالا يكون فى باب ماقد يكاد أن يكون ، فجعلوا تصديق الناس لهم فى غرائب الاحاديث سُلما إلى ادّعاء المحال . وقال بعض العرب : حدِّث عن البحر ولا حرج . وحدث عن بنى اسرائيل ولا حرج . وحدث عن معن ولا حرج . وجاء فى الحديث« كفى بالمرء حرصاً ركوبه البحر »

وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يصف له البحر فقال : يا أمير المؤمنين ، البحر خلق عظيم بركبه خلق صغير ، دُود على عود وقال الحسن : إملاء الخير خير من الصمت . فالصمت خير من إملاء الشر . وقال بعضهم: مُروا الأحداث بالمراء ، والكهول بالفكر ، والشيوخ بالصمت .

عبد الله بن شداد [1] قال : أرى دَاعى الموت لا يقلع ، وأرى من مضى لا يَرجع . لا تزهدن فى معروف ، فان الدهر ذو صروف ، كم من راغب قد كان مرغوبا إليه ، وطالب أصبح مطلوبا إليه . والزمان ذو ألوان ، من يصحب الزمان ير الهوان . وإن غلبت يوما على المال فلا تغلبن على الحيلة على حال . وكن أحسن ما تكون فى الظاهر حالا ، أقل ماتكون فى الباطن مالا .

وقيل لقيس بن عَاصم : بم سُدت قومك ؟ قال : ببذل الندى ، وكيف الاذى ، ونصر المولى . وقيل لشيخ : أين شبابك ؟ قال : من طال أمده ، وكثر

عن سيبويه فأكثر . وسمع منه الكسائى والفراء ، وكانت له حلقة بالبصرة ينتابها أهل العلم وطلاب الأدب ، ويغشاها فصحاء الاعراب والبادية . حدث عن نفسه فقال: قال لى رؤبة بن العجاج : حتى م تسألنى عن هذه البراطيل وأزخرفها لك ؟ أما ترى الشيب قد تلع فى لحيتك ؟ . قارب التسعين ولم يتزوج ولم يتسر . ولد سنة ٩٠ هـ ٧٠٨ م ومات سنة ١٨٢ هـ ٧٩٨ م

(٢) عبد الله بن شداد : كان محدثاً فقيهاً — وكان جده أبو أبيه يسمى أسامه ويلقب بالهادى لأنه كان يوقد النار ليلا لمن يسلك الطريق — وكان عبد الله بن خالة خالد بن الوليد وعبد الله بن عباس

ولده، ودف عدده ، وذهب جَلده ، ذهب شبابه ، وقال زياد : لا يعد منك من الجاهل كثرة الالتفات وسرعة الجواب

وقال عبد الرحمن بن أم الحكم . لولا ثلاث ماباليت متى مت: تزاحف الاحرار إلى طعامى ، وبذل الأشراف وجوههم إلىّ فى أمر أجد إليه السبيل ، وقول المنادى الصلاة أيها الامير .

وقال ابن الاشعث . لولا أربع خصال ما أعطيت بشرياً طاعة : لو مانت أم عمران ، يعنى أمه ، ولو شاب رأسى ، ولو قرأت القرآن ، ولو لم يكن رأسى صغيرا

وقال معاوية . أعنت على علىّ بثلاث خصال : كان رجلا يظهر سره وكنت كتوما لسرى ، وكان فى أخبث جند وأشده خِلافا وكنت فى أطوع جند وأقله خلافا ، وخلا باصحاب الجمل فقلت : إن ظفر بهم اعتددت بهم عليه وهَنًا فى دينه وإن ظفروا به كانوا أهون علىّ شَوكة منه ، وكنت أحب إلى قريش منه . فكم شتيت جامع الىّ ومفرق عنه

جهم بن حسان السليطى قال رجل للاحنف : دلنى على حمدٍ بلا مرزئة . قال : الخُلق السجيح والكف عن القبيح ، ثم اعلموا أن أدوا الداء اللسان البذىء ، والخلق الردىء .

وقال محمد بن حرب الهلالى: قال بعض الحكماء : لايكونن منكم المحدّث ولا يُنصت له ، والداخل فى سر اثنين لم يُدخلاه ، ولا آتى الدعوةَ لم يُدع إليها ، ولا الجالس المجلس لا يستحقه ، ولا الطالب الفضلَ من أيدى اللئام ، ولا المتعرض للخير من عند عدوه ، ولا المتحمق فى الدالة

(باب مزدوج الكلام)

قالوا : قال رسول الله ﷺ فى معاوية رضى الله تعالى عنه « اللهم علمه الكتاب والحساب ، وقِهِ العذاب »

وقال رجل من بنى أسد : مات لشيخ منا ابن فاشتد جزعه عليه فقام إليه شيخ منا فقال : إصبر أبا أمامة ، فانه فرط أفرطته ، وخير قدمته ، وذخر أدّخرته

فقال مجيباً له : ولد دفنته ، وثُكل تعجلته ، وغيب وعدته . والله لئن لم أجزع من النقص لا أفرح بالمزيد .

قال الاصمعى : قال ابن قصير : خير الخيل الذى إذا استدبرته حبا ، وإذا استقبلته أقعى . وإذا استعرضته استوى ، وإذا مشى ردى ، وإذا ردى دحا .

ونظر ابن قصير الى خيل عبد الرحمن بن أم الحكم فأشار إلى فرس منها فقال : تجىء هذه سابقة . قالوا : وكيف ؟ قال : رأيتها مشت فكتفت ، وخبت فوجفت ، وعدت فنسفت . وذكرت امرأة زوجها فقالت : ذهب زفره ، وأقبل بَخره ، وقتر ذكره . وكان مالك بن الأخطل قد بعثه أبوه يسمع شعر جرير والفرزدق ، فسأله أبوه عنهما فقال : جرير يغرف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر ، فقال : الذى يغرف من بحر أشعرهما

***

قد ذكرنا من مقطعات الكلام وقصار الأحاديث بعد ما أسقطنا به مؤنة الخطب الطوال . وسنذكر من الخطب المسندة إلى أربابها مقداراً لا يستفرغ مجهود من قرأها ، ثم نعود بعد ذلك الى ما قصر منها وخف ، وإلى أبواب قد تدخل فى هذه الجملة وإن لم تكن مثل هذه بأعيانها ، والله الموفق

﴿ خطبة عبد الله بن الأهتم ﴾

أبو الحسن ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابن خربوز البكرى ، عن خالد بن صفوان قال : دخل عبدُ الله بن الأهتم على عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى مع العامة فلم يفجأ عمر إلا وهو ماثل بين يديه يتكلم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد فان الله خلق الخلق غنياً عن طاعتهم ، آمناً لمعصيتهم . والناس يومئذ فى المنازل والرأى مختلفون ، والعرب بشر تلك المنازل ، أهل الوبر ، وأهل المدر ، تحتاز دونهم طيبات الدنيا ورفاغة عيشتها[1] . ميتهم فى النار ، وحيهم أعمى ،

(١) فى نسخة : ورفاعة عيشتها . وليست كذلك إنما الصواب بالغين كما أثبتناه . والمراد برفاغة عيشتها سعة العيش ورفاهته

مع مالا يحصى من المرغوب عنه، والمزهود فيه . فلما أراد الله أن ينشر فيهم رحمته بعث إليهم رسولا منهم « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » فلم يمنعهم ذلك أن جرحوه فى جسمه ، ولقبوه فى اسمه ، ومعه كتاب من الله لا يرحل إلا بأمره ، ولا ينزل الا باذنه ، واضطروه الى بطن غار ، فلما أمر بالغرامة اصفر لأمر الله لونه ، فافلج الله حجته ، وأعلى كلمته ، وأظهر دعوته ، ففارق الدنيا تقيا نقيا ﷺ

ثم قام بعده أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، فسلك سنته ، وأخذ بسبيله ، وارتدت العرب فلم يقبل منهم بعد رسول الله ﷺ إلا الذى كان قابلا منهم ، فانتضى السيوف من أغمادها ، وأوقد النيران من شعلها ، ثم ركب بأهل الحق أهلَ الباطل ، فلم يبرح يفصل أوصالهم ، ويسقى الأرض دماءهم ، حتى أدخلهم فى الذى خرجوا عنه ، وقررهم بالذى نفروا منه .وقد كان أصاب من مال الله بكراً يرتوى عليه ، وحبشية ترضع ولداً له ، فرأى ذلك غُصة عند موته فى حلقه ، فأدى ذلك الى الخليفة من بعده وبرىء إليهم منه ،وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه رضى الله تعالى عنه

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فمصّر الأمصار ، وخلط الشدة باللين ، فحسر عن ذراعيه ، وشمر عن ساقيه ، وأعد للأمور أقرانها ، وللحرب آلتها . فلما أصابه قِنٌ[1] المغيرة بن شُعبة أمر ابن عباس يسأل الناس: هل يُثبتون قاتله ؟ فلما قيل له : قِن المغيرة، استهل بحمد الله أن لا يكون أصابه ذو حق فى الفئ فيستحل دمه بما استحل من حقه . وقد كان أصاب من مال الله بضعاً وثمانين ألفاً ، فكسر بها رباعه وكره بها كفالة أهله وولده ، فأدى ذلك الى الخليفة من بعده ، وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه رضى الله تعالى عنهما

ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ظُلع[2]

ثم إنك يا عمر ابنُ الدنيا ، ولدتك ملوكها ، وألقمتك ثديها ،فلما وليتها ألقيتها

---

(١) القن: هو العبد.والمراد بقن المغيرة أبالؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة،واسمه فيروز وهو الذى وجأ عمر فقتله (٢) ظلع : عرج

حيث ألقاها الله ، فالحمد لله الذى جلابك حوبتها ، وكشف بك كربتها . إمض ولا تلتفت فانه لا يغنى من الحق شيئاً ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين والمؤمنات

قال : ولما أن قال : ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدها إلا على ظُلع ، سكت الناس كلهم إلا هِشاماً فانه قال : كذبت .

﴿ خطبة عمر بن عبد العزيز ﴾

أبو الحسن قال : حدثنا المغيرة بن مطرف ، عن شعيب بن صفوان ، عن أبيه قال : خطب عمر بن عبد العزيز بخُناصرة [1] خطبة لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله تعالى ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إنكم لم تُخلقوا عَبَثاً ، ولم تُتركوا سُدى ، وإن لكم معاداً يحكم الله فيه بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شئ . وحرم الجنة التى عرضها السموات والأرض . واعلموا أن الأمان غداً لمن خاف ربه وباع قليلا بكثير ، وفانياً بباق . ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلفها من بعدكم الباقون ، كذلك حتى تُردوا الى خير الوارثين . ثم أنتم فى كل يوم تشيّعون غاديا ورائحا إلى الله قد قضى نحبه وبلغ أجله ، ثم تغيبونه فى صدع من الارض ، ثم تدعونه غير مُوسد ولا مُمهد ، قد خلع الاسباب ، وفارق الاحباب ، وواجه الحساب ، غنيا عما ترك ، فقيرا إلى ماقدم . وأيم الله انى لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى ، فاستغفر الله لى ولكم . وما تبلغنا حاجة يتسع لها ماعندنا إلا سددناها ، ولا أحد منكم إلا وددت أن يده مع يدى ويحمى الذين يلونى حتى يستوى عيشنا وعيشكم . وأيم الله أن لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان منى ناطقا ذلولا عالما بأسبابه ، لكنه مضى من الله كتاب ناطق ، وسنة عادلة ، دل فيها على طاعته ، ونهى فيها عن معصيته .

---

(١) خناصره : بلد بالشام . قيل سميت باسم خناصرة بن عروة بن الحارث

ثم بكى فتلقى دموع عينيه بطرف ردائه ، ثم نزل فلم ير على تلك الاعواد حتى قبضه الله

﴿ خطبة أخرى[له] ذهب عنى إسنادها ﴾

أما بعد فإنك ناشئ فتنة ، وقائد ضلالة قد طال جُثومها ، واشتدت غمُومها ، وتلونت مصائد عدو الله فيها ، وما نصب من الشرك لأهل الغفلة عما فى عواقبها فلن يهدّ عمودها ، ولن ينزع أوتادها ، إلا الذى بيده تلك الأشياء ، وهو الله الرحمن الرحيم . ألا وإن لله بقايا من عباده لم يتحيروا فى ظُلمتها ، ولم يشايعوا أهلها على شبهتها ، مصابيح النور فى أفواههم تزهو ، وألسنتهم بحجج الكتاب تنطق ، ركبوا نهج السبيل ، وقاموا على العَلَم الأعظم ، هم خصماء الشيطان الرجيم ، وبهم يصلح الله البلاد ويدفع عن العباد ، فطوبى لهم وللمستصبحين بنورهم . أسأل الله أن يجعلنا منهم

﴿ خطبة أبى حمزة الخارجى ﴾

دخل أبو حمزة الخارجى [1] مكة - وهو أحد نُساك الأباضية وخطبائهم واسمه

(١) أبو حمزة الخارجى : هو يحيى بن المختار بن عوف الازدى . كان يرد الموسم كل سنة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد ، وظل هكذا حتى ورد عبد الله بن يحيى فى أواخر سنة ١٢٨ هـ فقال له : يا رجل ، أسمع كلاما حسناً . أراك تدعو إلى حق ، فانطلق معى فانى رجل مطاع فى قومى ، فخرج حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة ، ودعا إلى الثورة على مروان وال مروان . وبينما الناس بعرفة سنة ١٢٩ طلع عليهم أبو حمزة في سبعمائة من أتباعه يحملون رماحاً عليها أعلام وعمائم سود ، ففزع الناس ، وراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك . وكان يومئذ على مكة والمدينة ، ثم خلى لهم مكة فدخلها أبو حمزة وأصحابه بغير قتال . وفي سنة ١٣٠ دخل أبو حمزة المدينة بعد قتال شديد وقع له بقديد مع عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعساكره . وقد خطب على منبر رسول الله خطباً آية في البلاغة والموعظة . ثم إن أبا حمزة ترك المدينة وسار بجموعه نحو الشام ، وكان مروان قد أعد لقتاله أربعة آلاف فارس بقيادة عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى . فجد عبد الملك فى طلبه حتى لقيه بوادى القرى فصمد له وقاتله أشد قتال ، وما زال به حتى خر أبو حمزة صريعاً وانهزم أصحابه . وذلك فى أواخر سنة ١٣٠ هـ ٧٤٧ م

يحيى بن المختار ـ فصعد منبرها مُتوكئاً على قوس له عربية ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ كان لا يتأخر ولا يتقدم إلا باذن الله وأمره ووحيه ، أنزل الله له كتاباً بَيَّنَ له فيه ما يأتى وما يتقى ، فلم يكن فى شك من دينه ، ولا شبهة فى أمره ، ثم قبضه الله إليه وقد علَّم المسلمين معالم دينهم وولى أبا بكر صلاتهم ، فولاه المسلمون أمر دنياهم حين ولاه رسول الله ﷺ أمر دينهم ، فقاتل أهل الرِّدَّة ، وعمل بالكتاب والسنة ، فمضى لسبيله رضى الله تعالى عنه

ثم ولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فسار بسيرة صاحبه ، وعمل بالكتاب والسنة ، وجبى الفىء ، وفرض الأعطية ، وجمع الناس فى شهر رمضان ، وجلد فى الخمر ثمانين ، وغزا العدو فى بلادهم ، ومضى لسبيله رضى الله تعالى عنه .

ثم ولى عثمان بن عفان فسار ست سنين بسيرة صاحبيه ، وكان دونهما ، ثم سار فى الست الأواخر بما أحبط به الأوائل ، ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه

ثم ولى على بن أبى طالب فلم يبلغ من الحق قصداً ، ولم يرفع له مناراً ، ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه

ثم ولى مُعاوية بن أبى سُفيان ، لَعين رسول الله وابن لَعينه ، اتخذ عباد الله خولا ، ومالَ الله دُولا ، ودينه دَغلا ، ثم مضى لسبيله فالعنوه لعنه الله .

ثم ولى يَزيد بن مُعاوية ، يزيد الخمور ، ويزيد الفُرود ، ويزيد الفهود ، الفاسق فى بطنه ، المأبون فى فرجه

ثم اقتصَّهم خليفة خليفة فلما انتهى إلى عمر بن عبد العزيز أعرض عنه ولم يذكره ثم قال:

ثم ولى يزيد بن عبد الملك ، الفاسق فى بطنه ، المأبون فى فرجه ، الذى لم يؤنس منه رشد ، وقد قال الله تعالى فى أموال اليتامى « فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ » فأمرُ أمة محمد أعظم ، يأكل الحرام ، ويشرب الخمر ، ويلبس الحلة قوّمت بألف دينار ، قد ضُربت فيها الأبشار ، وهُتكت فيها

الأستار ، وأخذت من غير حِلها . حَبابةُ عن يمينه ، وسلَّامة [١] عن يساره ، تغنيانه حتى إذا أخذ الشراب منه كل مأخذ قدّ ثوبه ثم التفت الى احداهما فقال : ألا أطير ؟ نعم فطر إلى لعنة الله وحريق ناره وأليم عذابه

وأما بنو أمية ففرقة ضلالة ، وبطشهم بطش جَبرية ، يأخذون بالظنّةِ ، ويقضون بالهوى ، ويقتلون على الغضب ، ويحكمون بالشفاعة ، ويأخذون الفريضة من غير موضعها ، ويضعونها فى غير أهلها ، وقد بين الله أهلها فجعلهم ثمانية أصناف فقال « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينَ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ » فأقبل صنفٌ تاسع ليس منها فأخذ كلها . تلكم الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله

وأما هذه الشِّيَعُ فشيعٌ ظاهرت بكتاب الله ، وأعلنت الفرية على الله ، لم يفارقوا الناس ببصر نافذ فى الدين ، ولا بعلم نافذ فى القرآن ، ينقمون المعصية على أهلها ويعملون إذا وُلُّوا بها ، يُصرون على الفتنة ولا يعرفون المخرج منها ، جُفاة عن القرآن ، أتباع كُهان ، يؤملون الدول فى بعث الموتى ، ويعتقدون الرَّجعة إلى الدنيا ، قلدوا دينهم رجلا لا ينظر لهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

ثم أقبل على أهل الحجاز فقال :

يا أهل الحجاز ، أتعيّرونى بأصحابى وتزعمون أنهم شباب ! وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شباباً ؟ أما والله إنى لعالم بتتابُعكم [٢] فيما يضركم فى معادكم ، ولولا اشتغالى بغيركم عنكم ماتركت الأخذ فوق أيديكم ، شبابٌ والله مكتهلون فى شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادة ، وأطلاح [٣] سهر ، فنظر الله إليهم فى جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء

(١) حبابة وسلامة : كانتا جاريتين مغنيتين ، وأخبارهما منثورة فى الأغانى ، وفى السفر الخامس من نهاية الأرب ، فارجع إليهما إذا شئت

(٢) فى نسخة : بتتابعكم فيما يضركم . وليس كذلك وإنما الصواب : بتتابعكم . والتتابع الترامى على الشر والسقوط فيه (٣) أنضاء عبادة : أى أن العبادة قد أخذت منهم

القرآن كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها ، وإذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه ، موصول كلالهم بكلالهم ، كلال الليل بكلال النهار ، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم ، واستقلوا ذلك فى جنب الله ، حتى إذا رأوا السهام قد فُوِّقَتْ ، والرماح قد أشرِعت ، والسيوف قد انتُضيت ، ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت ، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، ومضى الشاب منهم قُدُماً حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه ، فأسرعت إليه سباعُ الأرض ، وانحطت إليه طيرُ السماء ، فكم من عين فى منقار طير طال ما بكى صاحبها فى جوف الليل من خوف الله ، وكم من كف زالت عن معصمها طال ما اعتمد عليها صاحبها فى جوف الليل بالسجود لله

ثم قال : أوه أوه أوه . ثم بكى . ثم نزل

(خطبة قَطَرِيِّ بنِ الفُجَاءَةِ)

صعد قَطَرِيُّ بنُ الفُجَاءَةِ [1] — وهو أحد بنى مازن بن عمرو بن تميم — منبر الأزارقة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فإنى أحذركم الدنيا فإنها حُلوة خَضرة ، حُفت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وتحببت بالعاجلة ، وحليت بالآمال ، وتزينت بالغرور ، لا تدوم حَبرتها ،

حتى جعلتهم ضئال الأجسام لا يحملون شحماً ولا لحماً . واطلاح سهر : أى أن طول السهر في العبادة وقيام الليل قد أخذ منهم حتى أهزلهم وأخواهم

(١) قطرى بن الفجاءة : هو من مازن بن مالك . كان من أبطال الخوارج وقادتهم وبلغائهم ، يكنى أبا نعامة ، خرج في زمن عبدالله بن الزبير وكان مصعب والياً من قبل أخيه على العراقين ، فبقى قطرى يقاتل جند السلطان وينكل بجيوش الدولة ، ويسلم عليه من اتباعه بالخلافة عشرين سنة . وكان الحجاج يجرد عليه الجيش بعد الجيش فيمزق شملهم ، حتى المهلب لم ينل منه مأرباً ، وناهيك بالمهلب وأولاده ، وكان آخر من بعثه إليه الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبي فتغلب عليه سفيان وقتله بطبرستان سنة ٧٩ هـ ٦٩٨ م

ولا تؤمن فجعتها ، غرّارة ضرارة ، خوّانة غدّارة ، وحائلة زائلة ، ونافذة بائدة ، أكالة غوّالة ، بذالة نقالة ، لا تعدو إذا هى تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال الله تعالى « كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَكانَ اللهُ عَلى كلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً » مع أن امرأ لم يكن منها فى حَبرة إلا أعقبته بعدها عَبرة ، ولم يلق من سرائها بطناً إلا منحته من ضرائها ظهراً ، ولم تطله غبيثة رخاء الا أهطلت عليه مزنة بلاء ، وحرىّ إذا أصبحت له منتصرة أن تمسى له خاذلة مُتنكرة ، وان جانبٌ منها اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَى أمرٌ عليه جانب وأوبَى ، وإن أنت امرأً من غضارتها ورفاهتها نعما أرهقته من نوائبها نقماً ، ولم يمس امروٌ منها فى جناح أمن إلا أصبح منها على قَوادم خوف ، غرور ما فيها ، فانٍ ما عليها ، لا خير فى شئ من زادها إلا التقوى . من أقل منها استكثر مما يؤمنه ، ومن استكثر منها استكثر مما يُوبقه ويطيل حزنه ويبكى عينيه

كم واثق بها قد أفجعته ، وذى طُمأنينة إليها قد صرعته ، وذى اختيال فيها قد خدعته ، وكم من ذى أُبَّهة بها قد صيرته حقيراً ، وذى نخوة قد ردته ذليلا ، وكم من ذى تاج قد كبته لليدين والفم ، سلطانها دول ، وغنيها رَنق ، وعذبها أجاج ، وحلوها صبر ، وغذاؤها سِمام ، وأسبابها رمام ، وقطافها سلع ، حيها بِعَرَض موت ، وصحيحها بعرض سقم ، ومنيعها بعرَض اهتضام ، مليكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وسليمها منكوب ، وجامعها محروب ، مع أن وراء ذلك سكرات الموت ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدى الحكم العدل « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى »

ألستم فى مساكن من كان أطول منكم أعماراً ، وأوضح منكم آثاراً ، وأعد عديداً ، وأكثف جنوداً ، وأعند عنوداً ؟ تعبدوا للدنيا أىّ تعبد ، وآثروها أى إيثار ، وظعنوا عنها بالكره والصغار ، فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفساً بفدية ؟ أو أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب ، بل قد أرهقتهم بالفوادح ،

وضعضعتهم بالنوائب ، وعقرتهم بالمصائب ، وقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وأخلد إليها حين ظعنوا عنها لفراق الأبد إلى آخر المسند ، هل زوّدتهم إلا الشقاء ، وأحلتهم إلا الضنك ، أو نورت لهم إلا الظلمة ، أو أعقبتهم إلا الندامة ؟ أفهذه تؤثرون ، أم على هذه تحرصون ، أم إليها تطمئنون ؟ يقول الله « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »

فبئست الدار لمن أقام فيها ، فاعلموا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لابد ، فانما هي كما وصفها الله باللعب واللهو ، وقد قال الله تعالى « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ » وذكر الذين قالوا مَن أشد منا قوة ؟ ثم قال : حملوا إلى قبورهم فلا يُدعون رُكباناً ، وأنزلوا فلا يُدعون ضيفاناً ، وجعل لهم من الضريح أجنان ، ومن التراب أكفان ، ومن الرُّفات جيران ، فهم جيرة لا يجيبون داعياً ولا يمنعون ضيماً ، إن أخصبوا لم يفرحوا ، وإن أقحطوا لم يقنطوا ، جمع وهم آحاد ، وجيرة وهم أبعاد ، متناؤن لا يزورون ولا يُزارون ، حلماء قد ذهبت أضغانهم ، وجهلاء قد ماتت أحقادهم ، لا يخشى فجعهم ، ولا يرجى دفعهم ، وكما قال الله تعالى « فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ » استبدلوا بظهر الأرض بطناً ، وبالسعة ضيقاً ، وبالأهل غُربة ، وبالنور ظُلمة ، فجاؤها كما فارقوها ، حُفاة عُراة فُرادى ، غير أن ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والى خلود الأبد ، يقول الله تعالى : « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ » فاحذروا ما حذركم الله ، وانتفعوا بمواعظه ، واعتصموا بحبله . عصمنا الله وإياكم بطاعته ، ورزقنا وإياكم أداء حقه

﴿ خطبة محمد بن سليمان — يوم الجمعة ، وكان لا يغيرها ﴾

الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستغفره ، وأومن به وأتوكل عليه . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى

ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، من يعتصم بالله ورسوله فقد اعتصم بالعُروة الوُثقى، وسعد فى الأولى والآخرة . ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً . أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويتجنب سُخطه ، فانما نحن له وبه . أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحُثُّكم على طاعة الله ،وأرضى لكم ماعند الله . فان تقوى الله أفضل ما تَحاثَّ الناس عليه ، وتَدَاعوا إليه ، وتَوَاصوا به . فاتقوا الله ما استطعتم ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون .

﴿ خطبة عبيد الله بن زياد ﴾

صعد المنبر بعد موت يزيد بن معاوية — وحيث بلغه أن سَلمة بن ذُؤيب الرياضى قد جمع الجموع يريد خلعه — فقال:

يا أهل البَصرة إنسبونى . فوالله ما مُهاجَر أبى إلا إليكم ، وما مولدى إلا فيكم ، وما أنا إلا رجل منكم . والله لقد وليكم أبى وما مُقاتلتكم إلا أربعون ألفاً، فبلغ بها ثمانين ألفاً ، وما ذريتكم إلا ثمانون ألفاً،وقد بلغ بها عشرين ومائة ألف . وأنتم أوسع الناس بلاداً ، وأكثره جنوداً ، وأبعد مقاداً ، وأغنى الناس عن الناس . أنظروا رجلا تولونه أمركم يَكِف سُفهاءكم ، ويجبى لكم فيئَكم ، ويقسمه فيما بينكم ، فإنما أنا رجل منكم

فلما أبوا غيره قال : إنى أخاف أن يكون الذى يدعوكم إلى تأميرى حداثة عهدكم بأمرى

﴿ وصية معاوية بن أبى سفيان ﴾

الهيثم بن عدى عن أبى بكر بن عياش عن أشياخه قال: لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب، دعا معاويةُ مسلمَ بن عَقُبة المرى والضحاكَ بن قَيس الفهرى[1] فقال:

(١) الضحاك بن قيس الفهرى : كان من رجال معاوية المعدودين ، وأهل ثقته المخلصين ، وكان شجاعاً باسلا ، ولاه معاوية الكوفة بعد زياد بن أبى سفيان . ولما مات معاوية بن يزيد وتوثب مروان بن الحكم على الخلافة وأراد التغلب عليها ثار

أبلغا عنى يزيد وقولا له : أنظر الى أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك، فمن أتاك منهم فأكرمه ، ومن قعد عنك فتعهده . وانظر الى أهل العراق ، فان سألوك عزل عامل لهم فى كل يوم فاعزله عنهم ، فانّ عزل عامل أهون عليك من سل مائة ألف سيف ثم لا تدرى على ما أنت عليه منهم . ثم انظر الى أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار ،فان رابك من عدوك رَيب فارمهم بهم ، فان أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم ولا يقيموا فى غير بلادهم فيتأدّبوا بغير أدبهم ، لست أخاف عليك غيرَ عبدِ الله بن عمر، وعبدِ الله بن الزبير، وحسين بن على. فأما عبدُ الله بن عمر فرجل قد وقذه الورع ، وأما الحسين فانى أرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه ، وأما ابن الزبير فانه خب ضب

وفى غير هذه الرواية : فان ظفرت بابن الزبير فقطعه إرباً

فمات معاوية ، فقام الضحاك بن قيس خطيباً فقال :

إن أمير المؤمنين معاوية كان أنفَ العرب ، وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها ، ومخلون بينه وبين ربه ، فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضره

فصلى عليه الضحاك بن قيس،ثم قدم يزيد ولده فلم يقدم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام السلولى فأنشأ يقول :

إصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا كَرَمٍ ... وَاشْكُرْ حِبَاءَ الَّذِى بِالْمُلْكِ أَصْفَاكَ

لاَ رُزْءَ أَصْبَحَ فِى الأَقْوَامِ قَدْ عَلِمُوا ... كَمَا رُزِئْتَ وَلاَ عُقْبَى كَعُقْبَاكَ

أَصْبَحْتَ رَاعِىَ أَهْلِ الدِّينِ كُلِّهِمِ ... فَأَنْتَ تَرْعَاهُمُ واللهُ يَرْعَاكَ

وَفِى مُعَاوِيَةَ البَاقِى لَنَا خَلَفٌ ... إِذَا نُعِيتَ وَلا نَسْمَعْ بِمَنْعَاكَ

فانفتح الخطباء للكلام بعد ذلك

(خطبة قُتيبة بن مُسلم الباهلى)

قام بخراسان حين خلع فقال : أتدرون من تبايعون ؟ إنما تبايعون يَزيدَ بنَ

الضحاك به فى قيس بالشام مؤيداً لبيعة عبد الله بن الزبير، لكن مروان صمد له في بنى أمية واليمانية وحاربه في مرج راهط وقتله سنة ٦٥ هـ ٦٨٤ م

ثروان - يعنى هَبَنَّقَةَ القَيسى [١] - كانى بأمير مزجاء وحَكَمٍ قد أتاكم يَحكم فى أموالكم وفروجكم وأبشاركم . ثم قال : الأعراب وما الأعراب ، فلعنة الله على الأعراب ، جمعتكم كما يجمع قرع الخريف من منابت الشيح والقيصوم ، ومنابت القِلقِل [٢] وجزيرة ابن كاوان ، تركبون البقر وتأكلون العضبة ، فحملتكم على الخيل وألبستكم السلاح ، حتى منع الله بكم البلاد وأفاء بكم الفىء

قالوا : مرنا بأمرك قال : غرّوا غيرى

وخطب مرة أخرى فقال :

يا أهل العراق ، ألست أعلم الناس بكم ؟ أما هذا الحى من أهل العالية فنعم الصدقة ، وأما هذا الحى من بَكر بن وائل فعلجة بظراء لا تجمع رجليها ، وأما هذا الحى من عبد قيس فما ضرب العير بذنبه ، وأما هذا الحى من الأزد فعلوج خلق الله وأنباطه . وأيم الله لو ملكت أمر الناس لنقشت أيديهم ، فأما هذا الحى من تميم فانهم كانوا يسمون الغدر فى الجاهلية كيسا

وخطب مرة أخرى فقال :

ياأهل خُراسان ، قد جربتم الولاة قبلى ، أتاكم أمية فكان كاسمه أمية الرأى وأمية الدين ، فكتب الى خليفته : إن خراج خُراسان وسِجِستان لو كان فى مطبخه لم يكفه . ثم أتاكم بعده أبو سعيد فدوخ بكم البلاد لا تدرون أفى طاعة أنتم أم فى معصية . ثم لم يَجبِ فيئاً ولم ينكأ عدوًا . ثم أتاكم بنوه بعده مثل

---

(١) هبنقة القيسى : هو يزيد بن ثروان — وفي نسخة ثوران وهو خطأ — كان يضرب به المثل بالحمق فى الجاهلية . وكان يكنى بأبى الودعات لأنه نظم ودعا لنفسه فى سلك وجعله في عنقه علامة لنفسه لئلا يضيع . قيل أن أخاه راقبه يوماً إلى أن نام فأخذ العقد من عنقه وجعله فى عنق نفسه فلما انتبه هبنقة ورآى أخاه وفى عنقه العقد قال له : أنت أنا فأنا ترى من هو أنا ؟ ومن طريف حمقه أنه كان إذا ترعى غنماً أو إبلا جعل خير المراعى للسمان ونحى عنها المهازيل وقال : لا أصلح ماأفسد الله وله أخبار كثيرة

(٢) القلقل : نبت له حب أسود حسن الشم

أطباء الكَلبة ، منهم ابن الرخمة حصان يضرب فى عانة، ولقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده . ثم قد أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلادَ وأمَّن لكم السُّبُل حتى أن الظعينة لتخرج من مَرو إلى سَمرقند فى غير جواز

﴿ خطبة الاحنف بن قَيس ﴾

قال بعد حمد الله والثناء عليه وصلى على نبيه :

يامعشر الازد وربيعة ، أنتم اخواننا فى الدين ، وشركاؤنا فى الصهر ، وأشقاقنا فى النسب ، وجيراننا فى الدار ، ويدنا على العدو . والله لأزد البصرة أحب إلينا من تميم الكوفة ، ولأزد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام . فان استشرف شنآنكم وأبى حسد صدوركم فنى أموالنا وسَعَة أحلامنا لنا ولكم سَعَة .

﴿ خطبة جامع المحُاربى ﴾

ومن محارب جامع كان شيخا صالحا خطيباً لسنا ،وهو الذى قال للحجاج حين بنى مدينة واسط : بنيتها فى غير بلدك ، وأورثتها غير ولدك ، وكذلك من قطعهُ العجب عن الاستشارة ، والاستبداد عن الاستخارة .

وشكا الحجاج [1] سوء طاعة أهل العراق وتنقم مذهبهم، وتسخط طريقتهم

(١) الحجاج بن يوسف : هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى . قيل : كان في مبدأ أمره يعلم هو وأبوه الغلمان بالطائف ثم التحقا بخدمة الدولة الأموية فكان الحجاج فى شرطة روح بن زنباع الجزامى فأظهر همة وبراعة فعهد اليه في ولاية تبالة فلم يرضها ، ثم ولى شرطة أبان بن مروان . فلما ظهر أمر عبد الله بن الزبير وجهه عبد الملك لقتاله فنهد لابن الزبير وقاتله أحر قتال وما زال به حتى حصره ثم قتله وصلبه سنة ٧٣ هـ ٦٩٢ م فولاه عبد الملك الحجاز ثلاث سنين فكان يحج بالناس ونقض بنيان الكعبة الذى كان بناه ابن الزبير وأعاده على أساسه الأول . ثم تولى العراقين فكان فيها عشرين سنة،وكان له مع أهلها خطوب . كما كانت له مع الخوارج مواقف ومشاهد ووقائع دلت على همته وشجاعته ونفاذ عزيمته وبارع تدبيره وقوة سياسته مع الفصاحة والبلاغة وقوة البيان وشدة العارضة.ومن الحق أن يقال : لولا الحجاج لذهب ملك بنى أمية من الوجود ، أو لما قامت له قائمة بعد معاوية وبنيه ،وبنى واسط سنة ٨٣ هـ ٧٠٢ م ثم مرض ومات بواسط وبها دفن وعفى قبره وأجرى عليه الماء . وكان مولده سنة ٤٢ هـ ٦٦٢ م وتوفي سنة ٩٥ هـ ٧١٣ م

فقال له جامع : أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك ، على أنهم ماشنؤك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك ، فدع مايبعدهم منك الى مايقر بهم اليك ، والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك . وليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك .

قال الحجاج : إنى والله ما أرى أن أرد بنى اللكيعة إلى طاعتى إلا بالسيف

فقال : أيها الامير ، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار .

فقال الحجاج : الخيار يومئذ لله .

قال : أجل ، ولكن لا تدرى لمن يجعله الله

فغضب الحجاج وقال : ياهناه ، إنك من محارب

فقال جامع :

وَلِلْحَرْبِ سُمِّينَا وكانَ مُحَارِباً إذَا ما القَنَا أمْسَى مِنَ الطَّعْنِ أحْمَرَا

والبيت للخضرى

فقال الحجاج : والله لهممت أن أخلع لسانك فاضرب به وجهك .

فقال جامع : إن صدقناك أغضبناك ، وإن غششناك أغضبنا الله ، فغضبُ الامير أهون علينا من غضب الله

قال : أجل . وسكن . وشغل الحجاج ببعض الامر . وانسلّ جامع فمر بين صفوف خيل الشام حتى جاوز إلى خيل أهل العراق — وكان الحجاج لا يخلطهم — فأبصر كوكبة فيها جماعة من بكر العراق ، وتميم العراق ، وأزد العراق ، وقيس العراق ، فلما رأوه اشرأبوا إليه ، وبلغهم خروجه ، فقالوا له : ما عندك ؟ دافع الله لنا عن نفسك . فقال : ويحكم ، عموه بالخلع كما يعمكم بالعداوة ، ودعوا التعادى ماعاداكم ، فإذا ظفرتم به تراجعتم وتعاقبتم . أيها التميمى هو أعدى لك من الأزدى ، وأيها القيسى هو أعدى لك من التغلبى ، وهل ظفر بمن ناوأه إلا بمن بقى معه منكم ؟ وهرب جامع من فوره ذلك إلى الشام فاستجار بزُفَر بن الحارث

﴿ خطبة الحجاج بن يوسف الثقفى ﴾

وخطب الحجاج فقال :

اللهم أرنى الغىَّ غيًّا فأجتنبه ، وأرنى الهدى هدى فأتبعه ، ولا تَكِلنى إلى نفسى فأضل ضلالا بعيداً . والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا بعامتى هذه ، ولما بقى أشبه بما مضى من الماء بالماء

وخطبة له : الهيثم بن عدى قال: أنبأنى ابن عياش عن أبيه قال : خرج الحجاج يوماً من القصر بالكوفة فسمع تكبيراً فى السوق فراعه ذلك ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال :

يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوى الأخلاق ، وبنى اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الإماء ، والفقع بالقرقر ، إنى سمعتُ تكبيراً لا يراد به الله وإنما يراد به الشيطان ، وإنما مَثلى ومثلكم ما قال عمرو بن براق الهَمْدَانى :

وكُنْتُ إذَا قَوْمٌ غَزَوْنى غَزَوْتُهُمْ ... فَهَلْ أنا فى ذَا يالَ هَمْدَانَ ظَالِمُ ؟

مَتى تَجْمَعِ القَلْبَ الذَّكِىَّ وصَارِماً ... وَأنْفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبْكَ المَظَالِمُ

أما والله لا تقرع عصا عصا إلا جعلتها كأمس الدابر

﴿ خطبة عمرو بن كلثوم ﴾

أما بعد فإنه لا يخبر عن فضل المرء أصدق من تركه تزكية نفسه . ولا يعبر عنه فى تزكية أصحابه أصدق من اعتماده إياهم برغبته ، وائتمانه إياهم على حُرمته

﴿ خطبة يزيد بن الوليد بن عبد الملك ﴾

ولما قتل يزيد بن الوليد ابنَ عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان قام خطيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس والله ما خرجت أشَراً ولا بَطَراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبة فى الملك ، وما بى إطراء نفسي وإنى لظلوم لها ، ولقد خسرت إن لم يرحمنى ربى . ولكنى خرجت غَضَباً لله ودينه ، وداعياً إلى الله وسنة نبيه ، لما هُدمت معالم الهدى ، وأطفئ نور التقوى . وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حُرمة ، والراكب

لكل بدعة ، مع أنه والله ما كان يؤمن بيوم الحساب ، ولا يصدق بالثواب والعقاب ، وإنه لابن عمى فى النسب، وكفئ فى الحسب . فلما رأيت ذلك استخرت الله فى أمره ، وسألته أن لا يكلنى إلى نفسى ، ودعوت إلى ذلك من أجابنى من أهل ولايتى ، حتى أراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد ، بحول الله وقوته لا بحولى وقوتى .

أيها الناس إن لكم علىّ أن لا أضع حجراً على حجر ، ولا لَبِنَةً على لَبِنَةٍ ، ولا أكرى نهراً ، ولا أكنز مالا ، ولا أعطيه زوجاً ولا ولداً ، ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد ، حتى أسد فَقر ذلك البلد وخَصاصة أهله بما يُغنيهم ، فإن فضل فضلٌ نقلته إلى البلد الذى يليه ممن هو أحوج إليه منه ، وأن لا أجمِّركم فى ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم ، ولا أغلق بابى دونكم فيأكل قويكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم وأقطع نسلهم . ولكم عندى أعطياتكم فى كل سنة ، وأرزاقكم فى كل شهر ، حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم . فإذا أنا وفيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة والمكاتفة ، وإن أنا لم أوف لكم فلكم أن تخلعونى ، إلا أن تستتيبونى فإن أنا تبت قبلتم منى وإن عرقتم أحداً يقوم مقامى ممن يُعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبايعوه فأنا أول من بايعه ودخل فى طاعته

أيها الناس ، لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم

فلما بويع مَرْوانُ بنُ محمد نبشه وصلبه .

وكانوا يقرؤن فى الكتب . يا مبذر الكنوز ، يا سجاداً بالأسحار ، كانت ولايتك رحمة ، وعليهم حُجة ، أخذوك فصلبوك

﴿ خطبة يوسف بن عمر (١) ﴾

قام خطيباً فقال :

اتقوا الله فكم من مؤمل أملا لا يبلغه ، وجامع مالا لا يأكله ، ومانع عما

(١) يوسف بن عمر : هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفى ، كان يكنى أبا عبدالله . كان من ولاة بنى أمية ومن جبابرتهم . ولى اليمن لهشام ثم ولاه العراق

سوف يتركه ، ولعله من باطل جمعه ، ومن حق منعه ، أصابه حراماً ، وأورثه عدوًّا ، فاحتمل إصره ، وباء بوزره ، وورد على ربه آسفاً لاهفاً ، قد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين

(كلام زعماء الوفود عند عمر بن الخطاب)

بشار بن عبد الحميد ، عن أبي ريحانة قال : وفد هلال بن وكيع ، والأحنف بن قيس ، وزيد بن جَبَلَة ، على عمر . فقال هلال بن وكيع :

يا أمير المؤمنين ، إنا لُباب من خَلفنا ، وغرَّة مَن وراءنا من أهل مِصرنا ، فإنك إن تصرفنا بالزيادة في أعطياتنا ، والفرائض لعيالاتنا ، يزيد ذلك الشريف تأميلا ، وتكن لذوى الأحساب أباً وصولا ، فإنا إن نكن — مع ما نُمتّ به من فضائلك ، وندلى من أسبابك — كالجدّ الذى لا يحل ولا يرحل ، نرجع بأُنف مصلومة ، وجدود عاثرة ، فامتحنا [1] وأهلينا بِسَجْلٍ من سِجالك المنبرعة

وقام زيد بن جبلة فقال :

يا أمير المؤمنين ، سَوِّدِ الشريف ، وأكرم الحسيب ، وازرع عندنا من

بعد خالد بن عبد الله القسرى سنة ١٢٠ هـ وأطلق يده في خالد فسجنه وعذبه حتى مات في سجنه ، وكذلك كان شأنه مع بلال بن أبي بردة . فلما ولى يزيد بن الوليد سنة ١٢٦ هـ عزله وولى مكانه منصور بن جمهور ، فلما أحس يوسف بن عمر بذلك هرب إلى الشام فظفر به هناك فسجن . ثم انتهز يزيد بن خالد بن عبد الله القسرى فرصة سجنه فدخل عليه فقتله فى السجن وأدرك ثأر أبيه وذلك في سنة ١٢٦ هـ ٧٤٣ م وفى ولاية يوسف بن عمر العراق خرج زيد بن على زين العابدين وبويع له بالخلافة وشهر الحرب على عمال السلطان فجمع له يوسف جموعا وجرى بينهما قتال شديد أصاب زيداً فيه سهم عاثر أثبت خوذته في جبهته فخر صريعاً ، وكان زيد من عظماء أهل البيت علماً وزهداً وورعاً وشجاعة ودينا وكرماً . وفي بعض الأخبار أن الرأس الوحيد الذى ورد القاهرة ودفن بها إنما هو رأس زيد ، وهو بالمقام الذى يطلق عليه العامة مقام زين العابدين بخط السيدة زينب

(١) فى نسخة : فمحنا . وليس الخطاب من هذا الباب ، وإنما المراد ما أثبتناه

أياديك ما نسد به الخصاصة ، ونطرد به الفاقة ؛ فإنا بقف من الأرض يابس الاكناف ، مُقشعر الذروة ، لا شجر فيه ولا زرع ، وإنا من العرب اليوم إذ أتيناك بمرآى ومسمع

فقام الأحنف فقال :

يا أمير المؤمنين ، إن مفاتيح الخير بيد الله ، والحرص قائد الحرمان ، فاتق الله فيما لا يغنى عنك يوم القيامة قيلا ولا قالا ، واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والانصاف شيئاً يكفيك وفادة الوفود واستماحة الممتاح ، فان كل امرئ إنما يجمع فى وعائه ، إلا الأقل ممن عسى أن تقتحمه الأعين ، وتخونهم الألسن ، فلا يوفد إليك يا أمير المؤمنين

﴿ خطبة الحجاج بن يوسف ﴾

خطب أهل العراق بعد دَير الجماجم فقال :

يا أهل العراق ، إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف ، ثم أفضى الى الافخاخ[1] والأصماخ ، ثم ارتفع فعشش ، ثم باض وفرخ ، فحشاكم نِفاقاً وشقاقا ، وأشعركم خلافا ، أخذتموه دليلا تتبعونه ، وقائداً تطيعونه ، ومؤامراً تستشيرونه ، فكيف تنفعكم تجربة ، أو تعظكم وقعة ، أو يحجركم اسلام ، أو ينفعكم بيان ؟ ألستم أصحابى بالأهواز حيث رمتم المكر ، وسعيتم بالغدر ، واستجمعتم للكفر ، وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته ؟ وأنا أرميكم بطرفى وأنتم تتسللون لِواذاً وتنهزمون سراعا ؟ ثم يوم الزاوية ، ومايوم الزاوية ، بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونُكوص وليكم عنكم إذ ولّيتم كالابل الشوارد إلى أوطانها ، النوازع إلى أعطانها ، لا يسأل المرء عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنيه ، حتى عضكم السلاح ، وقعصتكم[2] الرماح . ثم يوم دَير الجماجم ، وما يوم دير الجماجم ، بها كانت المعارك والملاحم ،

(١) في نسخة : الافخاخ . ولا معنى لها والصحيح ما اثبتناه (٢) فى نسخة: وقصمكم . وظاهر خطأ هذا التعبير . والصحيح ما أثبتناه

بضرب يُزيل الهام عن مَقيله ، ويُذهل الخليل عن خليله

يا أهل العراق ، الكفرات بعد الفجرات ، والغدرات بعد الختَرات ، والنزوة بعد النزوات . إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم وخنتم ، وإن أمنتم أرجفتم ، وإن خفتم نافقتم ؛ لا تذكرون حسنة ، ولا تشكرون نعمة . هل استخفكم ناكث ، أو استغواكم غاو ، أو استنصركم ظالم ، أو استعضدكم خالع ، إلا تبعتموه وآويتموه ، ونصرتموه ورحبتموه ؟

يا أهل العراق ، هل شَغَب شاغب . أو نَعَب ناعب ، أو زفزافر ، إلا كنتم أتباعه وأنصاره ؟

يا أهل العراق ، ألم تنهكم المواعظ ؟ ألم تزجركم الوقائع ؟

ثم التفت إلى أهل الشام فقال :

يا أهل الشام ، إنما أنا لكم كالظليم [1] الرامح عن فراخه ، ينفى عنها المدر ، ويباعد عنها الحجر ، ويكنها من المطر ، ويحميها من الضِّباب ، ويحرسها من الذئاب

يا أهل الشام ، أنتم الجُنَّة والرداء ، وأنتم العدة والحذاء

﴿ فضيلة الصبر على المصيبة ﴾

وقال رجل لحُذيفة : أخشى أن أكون منافقاً . فقال : لو كنت منافقاً لم تخش ذلك . وقال آخر : إعلم أن المصيبة واحدة إن صبرت ، وإن لم تصبر فهما مصيبتان ، ومصيبتك بأجرك أعظم من مصيبتك بميتك وقال صالح بن عبد القدوس :

إنْ يَكُنْ ما بِهِ أُصِبْتَ جَلِيلاً فَذَهَابُ العَزَاءِ فِيهِ أجلُّ

وقال آخر : تعز عن الشيء إذا مُنعته ، لقلة ما يصحبك إذا أعطيته . وما خفف الحساب وقلله ، خير مما كثَّرَه وثقَّله

وحدثنا أبو بكر الهذلى ، واسمه سلمى ، قال : إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل : إذا كان حلالا ، وكثرت الأيدى عليه ، وسُمى الله فى أوله ، وحمد فى آخره

(١) الظليم : ذكر النعام

﴿ خطبة زياد بن أبى سفيان ﴾

وخطب زياد فقال :

استوصوا بثلاثة منكم خيراً : الشريف ، والعالم ، والشيخ ، فوالله لا يأتينى شيخ بشاب قد استخف به إلا أوجعته ، ولا يأتينى عالم بجاهل استخف به إلا نكلتُ به ، ولا يأتينى شريف بوضيع استخف به إلا انتقمت له منه

على بن سليم قال: قال حاتم طى لعدى ابنه : أى بُنىّ ، إن رأيت أن الشر يتركك إن تركته فاتركه . قال : وقال عدى بن حاتم لابن له : قم بالباب فامنع من لا تعرف وأذن لمن تعرف . قال : لا والله ، لا يكون أول شىء وليته من الدنيا منع قوم من طعامك . وقال مدينى لعبد الملك بن مروان ودخل عليه بنوه : أراك الله فى بنيك ما أرى أباك فيك ، وأرى بنيك فيك ما أراك فى أبيك .

وقال ابن شُبرمة [1] : ذهب العلم بالاعبارات فى أوعية سوء

الهيثم بن عدى [2] عن ابن عياش عن أبيه قال : خرج الحجاج إلى الفارسان ، فإذا هو بإعرابى فى زرع . فقال له : ممن أنت ؟ قال من أهل عُمان . قال : فمن أىّ القبائل ؟ قال : من الأزد . قال : ما علمك بالزرع ؟ قال : إنى لأعلم من ذلك علماً . قال : فأىّ الزرع خير ؟ قال : ما غلظ قصبه ، واعتم نبته ، وعظمت جُثته ، وطالت سنبلته . قال : فأى العنب خير ؟ قال : ما غلظ عموده ، واخضر عوده ، وعظم عنقوده . قال : فما خير التمر ؟ قال : ما غلظ لِحاؤه ، ودق نواه ، ورق سحاؤه

﴿ باب من اللغز فى الجواب ﴾

قالوا : كان الحطيئة يرعى غنما وفى يده عصا ، فمرّ به رجل . فقال : يا راعى

---

(١) ابن شبرمة : هو عبد الله بن شبرمة . كان قاضياً لأبى جعفر المنصور على سواد الكوفة ، وكان شاعراً فصيحاً ، ومتكلماً بليغاً حسن الخلق جواداً . وكان يقول لابنه : يا بنى ، لا تمكن الناس من نفسك فان أجرأ الناس على السباع أكثرهم لها معاينة . مات سنة ١٤٤ هـ ٧٦١ م

(٢) الهيثم بن عدى : هو من طيء . كان راوية اخبارياً ، وكان يرى رأى الخوارج . وقد يروى الضعيف والمصنوع ولد سنة ١٢٨ هـ ٧٤٥ م ومات سنة ٢٠٩هـ ٨٢٤م

الغنم ، ما عنـدك ؟ قال : عجراء من سلم — يعنى عصاه — قال : إنى ضيف . قال : للضيفان أعددتها

وقال ابن سليم : إن قَيس بن سعد بن عُبادة قال : اللهم ارزقنى حمداً ومجداً ، فإنه لا حمد إلا بفعال ، ولا مجد الا بمال

قال خالد بن الوليـد لأهل الحيرة : أخرجوا إلىّ رجلا من عُقلائكم . فأخرجوا اليه عبدالمسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بُقيلة [1] الغسانى ، وهو الذى بنى القصر ، وهو يومئذ ابن خمسين وثلثمائة سنة . فقال له خالد : من أين أقصى أثرك ؟ قال : من صلب أبى . قال : فمن أين خرجت . قال : من بطن أمى . قال : فعلام أنت ؟ قال : على الارض . قال : ففيم أنت ؟ قال : فى ثيابى . قال : ماسنك ؟ قال : عَظم . قال : أتعقل لاعقلت ؟ قال : إى والله وأقيد . قال : ابن كم أنت ؟ قال : ابن رجل واحد . قال : كم أتى عليك من الدهر ؟ قال : لو أتى على شىء لقتلنى . قال : ماتزيدنى مسـألتك إلا غمّا . قال : ما أجبتك إلا عن مسألتك . قال : أعرب أنتم أم نبط ؟ قال : عرب استنبطنا ونبط استعربنا . قال : فحرب انتم أم سلم ؟ قال : سلم . قال : فما بال هذه الحصون ؟ قال : بنيناها للسفيه حتى يجىء الحليم فينهاه . قال : كم أتت عليك سنة ؟ قال : خمسون وثلثمائة . قال : ما أدركت ؟ قال : أدركت سفن البحر ترفأ إلينا فى هذا الجرف ، ورأيت المرأة من أهل الحيرة تأخذ مكتلها على رأسها ولا تتزود إلا رغيفا واحداً ، فلا تزال فى قُرى مخصبة متواترة حتى ترد الشام ، ثم قد أصبحت خرابا يبابا ، وذلك دأب الله فى العباد والبلاد .

---

(١) ابن بقيلة . فى الأصل نفيلة ، وليس في أجداد عبد المسيح من اسمه نفيلة ، ولهذا أثبتنا الصواب وهو بقيلة . وقوله : وهو الذى بنى القصر : قال ابن دريد فى كتاب الاشتقاق : وبقيلة هو الذى بنى القصر كما بنى ديراً بظاهر الحيرة يعرف بدير الجرعة . وعبد المسيح هو الذى صالح خالد بن الوليد على الحيرة . وكان من أكابر قومه العباديين ورؤسهم ، وكان ذا حكمة وبيان وفصاحة ولسان ، وكان يقول الشعر . مات على النصرانية

وأتى أزهرَ بن عبد الحارث رجل من بنى يربوع فقال : ألا أدخل ؟ قال : وراءك أوسع لك . فقال : إن الشمس أحرقت رجلىَّ . قال : بُلْ عليهما تبردا . قال : يا آل يربوع . قال : ذليلا دعوت . يابنى حُرَيص أطعمتكم عاما أول جلة فأكلتم جلتكم وأغرتم على جلة الضيفان .

وقال الحجاج لرجل من الخوارج : أجمعت القرآن ؟ قال : أمتفرقا كان فأجمعه؟ قال : أتقرأ ظاهراً ؟ قال : بل أقرؤه وأنا أنظر إليه ، قال : أتحفظه ؟ قال : أخشيت فراره فأحفظه ؟ قال : ما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : لعنه الله ولعنك معه . قال : إنك مقتول فكيف تلقى الله ؟ قال: ألقاه بعملى وتلقاه بدمى

وقال لقمان لابنه وهو يعظه :

يا بنى : إزحم العلماء بركبتيك ، ولاتجادلهم فيمقتوك ،وخذ من الدنيا بلاغك ، وأنفق فُضول كسبك لآخرتك ، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى أعناق الرجال كَلاًّ ، وصم يوماً يكسر شهوتك ، ولا تصم يوماً يضرّ بصلواتك ،فان الصلاة أفضل من الصوم . وكن كالأب لليتيم ، وكالزوج للأرملة ، ولا تحابِ القريب ، ولا تجالس السفيه ،ولا تخالط ذا الوجهين ألبتة

وسمع الأحنف رجلا يطرى يزيد عند معاوية ، فلما خرج من عنده استحنفر[1] فى ذمهما ، فقال الأحنف : مهْ ، إن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً . وقال سعيد بن أبى عروبة : لأن يكون لى نصف وجه ونصف لسان — على ما فيهما من قبح المنظر وعجز المخبر — أحب إلىّ من أن أكون ذا وجهين، وذا لسانين ،وذا قولين مختلفين

وقال أيوب السختيانى[2] : النَّمام ذو الوجهين أحسنَ الاستماع ، وخالف فى الابلاغ .

---

(١) استحنفر : بالغ ومضى متوسعاً فى الذم

(٢) أيوب السختيانى : هو أيوب بن أبى تميمة . وكان أيوب يكنى أبا بكر ، وهو مولى بنى عمار بن شداد، وكان عمار مولى لعنزة ، فهو مولى مولى . وكان ناسكا متزهداً ولد سنة ٦٨ هـ ٦٨٧ م ومات بالطاعون بالبصرة سنة ١٣١ هـ ٧٤٨ م

(كتاب عمر الى معاوية)

حفص بن صالح الأزدى، عن عامر الشعبي قال : كتب عمر الى معاوية:

أما بعـد فانى كتبت إليك بكتاب فى القضاء لم آلك ونفسى فيه خيراً . الزم خمس خصال يسلم لك دينك ، وتأخذ فيه بأفضل حظك : إذا تقدم إليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة ، واليمين القاطعة ، وأدن الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه ، وتعهد الغريب فإنك ان لم تتعهده ترك حقه ورجع إلى أهـله ، وإنما ضيع حقه من لم يرفق به ، وآس بينهم فى لحظك وطرفك ، وعليك بالصلح بين الناس مالم يستبن لك فصل القضاء

أبو يوسف[1] عن العرزمى عمن حدثه عن شريح أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتب إليه : لا تشار ولا تمار ولا تبع ولا تبتع فى مجلس القضاء ، ولا تقض بين اثنين وأنت غضبان

وقال عمر بن عبد العزيز : إذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل : علم ما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم عن الخصم ، واقتداء بالأئمة ، ومشاورة أهل الرأى .

قال الهلالى : لما ولّى يزيد بن معاوية سَلم بن زياد على خُراسان قال له : إن أباك كفى أخاه عظيما وقد استكفيتك صغيراً ، فلا تتكلنّ على عُذر منى لك فقد اتكلت على كفاية منك . وإياك منى قبل أن أقول إياى منك ، فإن الظن

---

(١) ابو يوسف : هو القاضى الشهير يعقوب بن ابرهيم بن حبيب، من بجيلة . كان حافظاً من أصحاب الحديث ، وكان يروى عن الأعمش وهشام بن عروة وغيرهما، ثم لزم أبا حنيفة وصار من أصحاب الرأى . ولى قضاء بغداد وهو أول من لقب « قاضى القضاة » وما زال في القضاء حتى مات في عهد هارون الرشيد . وكان ولده يوسف يلى قضاء الجانب الغربى من بغداد فى حياة أبيه . وأبو يوسف هو أكبر أصحاب الامام أبى حنيفة والمقدم فيهم،وهو أول من وضع الكتب على مذهب أبى حنيفة وأملى المسائل ونشرها وبث علم أبى حنيفة فى أقطار الأرض،ولولاه ماعرف أبوحنيفة إلا بين إخوانه . ولأبى يوسف من المصنفات : الأمالى والنوادر . وكتاب الخراج . كانت وفاته سنة ١٨٢ هـ ٧٩٨ م

إذا أخلف منك أخلف منى فيك . وأنت فى أدنى حظك فاطلب أقصاه . وقد أتعبك أبوك فلا تربحنّ نفسك ؛ وكن لنفسك تكن لك . واذكر فى يومك أحاديث غدك تسعد إن شاء الله تعالى

ومما قالوا فى التشديق وفى ذكر الاشداق . قال المازنى[1] :

مَنْ كانَ يَزْعُمُ أنَّ بِشْرًا مُلْصَقٌ ... فاللهُ يَجْزِيهِ وَرَبُّكَ أعْلَمُ
يُنْبِيكَ نَاظِرُهُ وَقِلَّةُ لَحْمِهِ ... وَتَشَادُقٌ فِيهِ وَلَوْنٌ أسْحَمُ
إن الصَّرِيحَ المَحْضَ فِيهِ دَلاَلَةٌ ... وَالعِرْقُ مُنْكَشِفٌ لِمَنْ يَتَوَسَّمُ
أمّا لِسَانُكَ وَاحْتِبَاؤُكَ قَاعِدًا ... فَزُرَارَةُ العُدُسِيُّ عِنْدَكَ أعْجَمُ
إنى لأَرْجُو أنْ يَكُونَ مَقَالُهُمْ ... زُورًا وَشَانِيكَ الحَسُودُ المُرْغَمُ

وفى مثل ذلك يقول مورق العبدى[2] :

قَدْ عَلِمَ الغَرْبِىُّ وَالمُشَرِّقُ ... أنَّكَ فى القَوْمِ صَمِيمٌ مُلْصَقُ
عُودَاكَ نَبْعٌ وَهَشِيمٌ بُورَقُ ... وَأنْتَ جَدْبٌ وَرَبِيعٌ مُغْدِقُ
وأنْتَ لَيْلٌ وَنَهَارٌ مُشْرِقُ ... لَوْلاَ عَجُوزٌ قَحْمَةٌ وَدَرْدَقُ
وَصَاحِبٌ جَمُّ الحَدِيثِ مُونِقُ ... كَيْفَ الفَوَاتُ وَالطُّلُوبُ مُورِقُ
شَيْخٌ مَغِيظٌ وَسِنَانٌ يُبْرِقُ ... وَحَنْجَرٌ رَحْبٌ وَصَوْتٌ مُصْلِقُ

(١) المازنى : هو أبو عثمان بكر بن محمد المازنى النحوى البصرى ، روى عن أبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد . وعنه روى المبرد والفضل بن محمد اليزيدى وغيرهما . وكان حجة ثبتا فى العربية واسع الرواية . وكان يميل إلى مذهب « المرجئة » ولا يناظره أحد إلا قطعه لقدرته على الكلام . سئل يوماً عن أهل العلم فقال : أصحاب القرآن فيهم تخليط وضعف ، وأهل الحديث فيهم حشو ورقاعة ، والشعراء فيهم هوج ، والنحاة فيهم ثقل ، وفى رواة الأخبار الظرف كله . وله مصنفات عده . مات سنة ٢٤٨ هـ ٨٦٢ م

(٢) لم نعثر فيما بين أيدينا من الكتب على تعريف لهذا المورق . ولم نجد هناك من العبديين أى المنسوبين لعبد القيس إلا المثقب وهو عائذ بن محصن ، والممزق وهو شاس بن نهار ، والحصيص وهو عامر بن زيد مناة ، والمطلع وهو ربيعة بن ليث . وكل هذا لا يمنع وجود هذا المورق

وشِدْقُ ضِرْغامٍ ونَابٌ يخْرقُ وشَاعِرٌ باقِي الرُّسُوم مُغْلِقُ

﴿ باب فى صفة الرائد للغيث ، وفى نعته للارض ﴾

قال أبو المجيب : وصف رائدٌ أرضاً جدبةً فقال : اغبرّت جادّتُها ، وذَرَع مرتعها ، وقَضِم شجرها ، ورقت كرشها ، وخوِر عظمها ، والتقى سرْحاها ، وتميز أهلها ، ودخل قلوبَهم الوهل [١] ، وأموالهم الهزل

قال : الجادّة : الطريق إلى الماء ، والجمع جوادّ . والتقى سرحاها : يقول إذا أكل كل سارح مايليه التقيا عند الماء . وإذا لم يكن للجمال مرعى إلا الشجر وحده رقت أكراشه . وقوله تميز أهلها تفرقوا فى طلب الكلأ . ومرتع مذرع اذا كان بعيداً من الماء ، ومرتع قاصر إذا كان قريباً من الماء ، ويقولون كلأ قاصر للقريب ويقولون ماء مطنب وماء مطلب إذا ألجأهم إلى طلبه من بُعده

ووصف أعرابى أرضا أحمدها فقال ، خَلَع شِيحُها ، وأبقل رِمْثا [٢] ، وخضب عرفجها [٣] ، واتسق نبتها ، وأخضرت قُريانها [٤] ، وأخوصت بُطنانها ، وأحلست أكمامها ، وأعنم نبت جرائيمها ، وأجرت بقلتها وذرقتها وخبازتها ، واحورت خواصر إبلها ، وشكرت حَلوبتها ، وسمنت قَتُوبتها ، وعمدثراها ، وعقدت تناهيها واماهت ثمارها [٥] ووثق الناس بصائرها

قال : ويقال خلع الشيح إذا أورق ، الخالع من العضاه الذى لايسقط ورقه أبدا ، وكذلك السدر لايتجرد ، وكل شجر له شوك فهو عضاه والواحد عِضَه إلا القتاد ، ولا يعبل إلا الأرطى . ويقال كلح الشجر إذا أخوصت بطنانها إذا نبت فيه قُضبان رقاق . وخضب عرفجها يقول أسود . وأخوص الشجر وهو الذى لاشوك له ، ومن العضاه قشره وقصده ، فاذا يبست فهى عود . اتسق نبتها أى تتام . أجرت بقلتها أى نبت فيها مثل الجراء جمع جرو . والعلفة ثمرة الطلح والحبلة للسلم واحورت خواصر ابلها تشد أحناها على خواصرها كى لا تحبط ، والحبط انتفاخ

(١) الوهل : الخوف والفزع (٢) الرمث نبت تراعاه الابل (٣) العرفج : شجر ينبت فى السهل (٤) القريان : مجارى السيول (٥) أماهت : ملئت ماء

بطنها من مرعى ترعاه ، قيل للنبى ﷺ : أيضر العبط ؟ قال : نعم كما يضر الحبط . وشكرت يقول غزرت . وقوله عمد ثراها وذلك إذا قبضت منه على شيء فتعقد واجتمع من ندوته ، يقال عمد الثرى يعمد عمداً وهو ثرى عمد ، فالعمد أن يجاوز الثرى المنكب ، وهو أن تقيس السماء بالمرفق ، فيقول بلغت وضح الكف ، ثم الرسغ ، ثم العظمة ، ثم المرفق ، ثم ينصف العضد ، ثم يبلغ المنكب ، فاذا بلغ المنكب قيل عمد الثرى ، فيقال : إن ذلك حيا سنين . والتناهى واحدتها تنهية وهو مستقر السيل ، وعقدها أن يمر السيل مقبلا حتى إذا انتهى منتهاه دار بالابطح حتى يلتقى طرفا السيل . والصائرة الكلأ والماء

﴿ خطبة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ﴾

قالوا: قاتل الحجاجُ ابنَ الاشعث فى المربد فخطب ابنُ الاشعث الناس فقال:

أيها الناس، انه لم يبق من عدوكم إلا كما يبقى من ذنب الوزغة تضرب بها يميناً وشمالا ، فما تلبث إلا أن تموت

فمرّ به رجل من بنى قشير فقال : قبح الله هذا ورأيه ، يأمر أصحابه بقلة الاحتراس ، ويعِدهم الاضاليل . ويمنيهم الباطل !

وناس كثير يرون ان ابن الأشعث هو المحسن دون القُشيرى .

قال بشار :

وَحَمْدٍ كَعَصْبِ البُرْدِ حَمَّلْتُ صَاحِبى إلى مَلِكٍ لِلصَّالِحَاتِ قَرِينِ

وقال آخر :

وَبِكْرٍ كَنَوْرِ الرَّوْضِ حَدِيثُها تَرُوقُ بِوَجْهٍ وَاضِحٍ وَقَوَامِ

أبو الحسن: كان معاوية يأذن للاحنف أول من يأذن له . فأذن له يوماً ثم أذن لمحمد بن الاشعث حتى جلس بين معاوية والاحنف ، فقال له معاوية:

لقد أحسست من نفسك ذلا ، إنى لم آذن له قبلك إلا ليكون إلىّ فى المجلس دونك ، وإنا كما نملك أموركم نملك تأديبكم ، فأريدوا ما يراد بكم فإنه أبقى لنعمتكم وأحسن لأدبكم

وقال النبى ﷺ لأصيل الخزاعى . ياأصيل ، كيف تركت مكة ؟ قال : تركتها وقد أحجن ثمامها ، وأمشر سلَمها ، وأعذق إذخرها . فقال ﷺ دع القلوب تقر

وسأل أبو زياد الكلابى الصقيلَ العقيلى حين قدم من البادية عن طريقه فقال: انصرفت من الحج فأصعدت إلى الرَّبذَة فى مَقَاطِّ الحَرَّةِ ووجدت بها صلالا من الربيع من خضمة خمص وصليان وقرمل حتى لو شئت لأنخت إبلى فى أذن القفعاء ، فلم أزل فى مرعى لا أحسن منه شيئاً حتى بلغت أهلى

وقال سلام الكلابى : رأيت ببطن فلج منظراً من الكلأ لا أنساه : وجدت الصفراء والحمراء يضربان نحور الإبل ، تحتهما قفعاء وحربث قد أطاع وأمسك بأفواه الماء — أى لا تقدر أن ترفع رؤسها — وتركت الحوذان ناقعة فى الأجارع . وذم أرضاً فقال : وجدنا أرضاً ماحلة مثل جلد الأجرب ، تصىء حيَّاتُها ولا يسكت ذيبها ، ولا يقيد راكبها

وقال النضر : قلت لأبى الخضير : ما أعجب ما رأيتَ من الخصب ؟ قال : كنت أشرب رثئة تجرها الشفتان جرًّا ، وقارصاً ممارصاً إذا نجشأت جدع أنفى . ورأيت الكمأة تدوسها الإبل بمناسمها ، والوضر يشمه الكلب فيعطس

قال الأصمعى : قال المنتجع بن نبهان : قال رجل من أهل البادية : كنت أرى الكلب يمر بالخصفة عليها الخلاصة فيشمها ويمضى عنها

محمد بن كُناسة قال: أخبرنى بعض فصحاء أعراب طىّ قال : بعث قوم رائداً . فقالوا : ما وراءك ؟ قال : عُشب وتعاشيب ، وكمأة متفرقة شيب ، تقلعها بأخفافها النيب . قالوا : لم تصنع شيئاً ، هذا كذب . فأرسلوا آخر ، فقالوا : ما وراءك . قال : عُشب نأد مأد ، مولى وعهد ، متدارك جمد ، كأنخاذ نساء بنى سعد ، تشبع منه الناب وهى تعد . وقال: لان النبت إذا كان قليلا وقفت عليه الإبل وإذا كان كثيراً أمكنها الأكل وهى تعدو

وقالوا : بعث رجل أولاده يرتادون فى خصب . فقال أحدهم : رأيت بقلا ،

وماء غيلا ، يسيل سيلا ، وخوصة تميل ميلا ، يحسبها الرائد ليلا . وقال الثانى : رأيت ديمة على ديمة فى عهدها غير قـيمة ، وكلأ تشبع منها الناب قبل العظيمة

وقال أبو مجيب : قيل لأوفى بن عبيد : ائت وادى كذا وكذا فارتده لنا . فقال : وجدت به خشباً هرمى ، وعشباً شرمى . قال : والهرمى ليس له دخان إذا أوقد من يبسه وقدمه . والشرمى : العشب الضخم يقال هذا عشب شرم

وقال هرم بن زيد الـكلبى : إذا أحيا الناس قيل : قد أكلأت الأرض ، واخرَنْفَشَتِ العنز لأختها ؟ ولحس الـكلب الوضر

وقال آخر : نفاش العنز أن ينتفش شعرها وتنصب رَوْقيها فى أحد شقيها لتنطح صاحبتها ، وإنما ذلك من الأَشَر حين ازدهت وأعجبتها نفسها . ولحس الكلب الوضر لما يفضلون منه لأنهم فى الجدب لا يدعون للكلب شيئاً يلحسه

قال أبو مجيب : إذا أجدب الرائد قال : وجدت أرضاً أرمى عشمى . فأما العشمى فالتى يرى فيها الشجر الأعشم وإنما يعشم من الهبوة ، ويقال للشيخ إنما هو عشمة . فأما الأرمى فالتى أرمت فليس فيها أصل شجرة

قال أبو عبيـدة : قال بعض الأعراب . تركت جراداً عراداً كأنها نعامة باركة . يريد التفاف نبتها وهى من نبت بلاد تميم

وقيل لاعرابى : ما وراءك ؟ قال : خلفت أرضاً تظالم معزاها . يقول سمنت وأشرت فتظالمت ، وتقول العرب : ليس أظلم من حيـة . وتقول العرب : ليس أظلم من ورل ، وأظلم من ذئب ، كما تقول : أغدر من ذئب ، وكما تقول : أكسب من ذئب ، قال الأسدى :

لَعَمْرُكَ لَوْ أَنِّى اخاصِمُ حَيَّةً ... إلى قَعْسَ ما أَنْصَفَتْنِى قَعْسُ
إذَا قُلْتُ مَاتَ الدَّاءُ بَيْنِى وبَيْنَهُمْ ... أَتَى حاطِبٌ منهُمْ لآخَرَ يَقْبِسُ
فَمَالَكُمُ طُلْساً إلَىَّ كَأَنَّكُمْ ... ذِئابُ الغَضا والذِّئْبُ بالليلِ أَطْلَسُ

وقال الفزارى :

وَلَوْ أُخاصِمُ أَفْعَى نابُها لَقِحٌ ... أَوِ الأَسَاوِدَ مِنْ صُمِّ الأَهاضِيبِ

وَلَوْ أُخاصِمُ ذِئْبًا فى أَكِيلَتِهِ لَجَاءَنِى جَمْعُهُمْ يَسْعَى مَعَ الذِّيبِ

يقول بلغ من ظلم قومنا لنا أنا لو خاصمنا الذئاب والحيّات — وبها يضربون المثل فى الظلم — لقضوا لها علينا

وقالت العرب : إذا شبعت الدقيقة لحست الجليلة . هذا فى قلة العُشب ، وإنما تلحسه الناقة لقلته وقصره

وحدثنا أبو زياد الكلابى قال : بعث قوم رائداً لهم بعد سنين تتابعت عليهم فلما رجع إليهم قالوا له : ما وراءك ؟ قال : رأيت بقلا يشبع منه الجمل البروك . وتشكت منه النساء ، وهمّ الرجلُ بأخيه .

قال : أما قوله الجمل البروك يقول : لو قام قائما لم يتمكن منه لقصره . وأما قوله : وتشكت منه النساء فانه مأخوذ من الشَّكوة والشَّكاء أصغر الوِطاب . يقول: لم يكثر اللبن بعد فيمخض فى الوطاب . وقوله وهم الرجل بأخيه أى هم أن يدعوه إلى منزله كما يصنعون فى أيام الخصب

وقال غيره : الخصب يدعو إلى طلب الطوائل ، وغزو الجيران ، وإلى أن يأكل القوى مَن هو أضعف منه . وقالوا فى الكلأ : كلأ تشبع منه الابل مُعقلة . وكلا حابس فيه كمرسِل

يقول : من كثرته سواء عليك حبستها أو أرسلتها . وتقول كلأ يتجع منه كبد المصرم . وأنشد الباهلى :

ثُمَّ مُطِرْنَا مَطْرَةً رَوِيَّهْ فَنَبَتَ البَقْلُ ولاَ رَعِيَّهْ

وأنشد الأصمعى :

فَجَنَّبَكَ الْجُيُوشَ أَبَا زُنَيْبٍ وَجَادَ عَلَى مَسَارِحِكَ السَّحَابُ

يجوز أن يكون دعاء عليه، وأن يكون دعاء له

وقال الآخر :

أَمْرَعَتِ الأَرْضُ لَوْ أَنَّ مالا لَوْ أَنَّ نُوقًا لَكِ أَوْ جِمَالاَ أَوْ ثُلَّةً مِنْ غَنَمٍ إِمَّالا

وقال ابن الاعرابى : سأل الحجاج رجلا قدم من الحجاز عن المطر فقال :

تتابعت علينا الاسمية ، حتى منعت السُّفار ، وظالمت المعزى ، واحتلبت الدِّرَّة بالجرة

لقيط قال : دخل رجل على الحجاج فسأله عن المطر . فقال : ما أصابنى من مطر ، ولكنى سمعت رائداً يقول : هلم أظعنكم إلى محلة تطفأ فيها النيران ، وتتنافش فيها المعزى ، وتبقى بها الجرّة ، حتى تتنزل الدرة

أبو زيد قال : تخاصمت امرأتان إلى ابنة الخُس فى مراعى أبويهما ، فقالت الأولى : إبل أبى ترعى الأسيلح . قالت ابنة الخُس : رغوة وصريح ، وسنام إطريح . قالت الأخرى : مرعى إبل أبى الخلة . قالت ابنة الخُس . سريعة الدرة والجرة .

وقال الأحوص بن جعفر ، بعد ما كبر وعَمِى ، وبنوه يسوقون به : أى شىء ترتعى الابل ؟ قالوا : عرف الثمام والضغة . قال : سوقوا . ثم انها عادت فارتعت بمكان آخر فقال : أى شىء ترتعى الابل ؟ قالوا : العضاه والغمضة . قالوا : عود عويدٌ شبع بعيد . وقال : سوقوا . حتى إذا بلغوا بلداً آخر قال : أى شىء ترتعى الابل ؟ قالوا : نصيًا وصليانا . قال : مكفية لرعائها ، مطولة لذراها ، أرعوا واشبعوا . ثم سألهم فقال : أى شىء ترتعى الابل ؟ قالوا : الرِّمث . قال : خلقت منه وخلق منها .

قال أبو صاعد : وزعم الناس أن أول ما خلقت الابل من الرِّمث ، وعلامة ذلك أنك لا ترى دابة تريده الا الإبل

وقيل لرؤبة : ما وراءك ؟ قال . الثرى يابس ، والمرعى عابس .

وقالت امرأة من الاعراب . أصبحنا ما يرقد لنا فرس ، وما ينام لنا حرس .

قالوا : كان أبو المجيب كثيراً ما يقول : لا أرى امرأة تصبّر عينيها ، ولا شريفاً يهنأ بعيراً ، ولا امرأة تلبس نطاق يمنة

وخطب بلال بن أبى بُردة بالبصرة فعرف أنهم قد استحسنوا كلامه فقال : لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا .

وقال عمر بن عبد العزيز : ما قوم أشبه بالسلف من الأعراب لولا جفاء فيهم

وقال غيلان أبو مَروان . إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب

قال رجل من بنى سليم، وسأله الحجاج عن المطر، فقال : أصابتنا سحائب ثلاث: سحابة بحوران بقطر صغار وقطر كبار فكان الصغار للكبار لُحمة . ثم أصابتنا الثانية بسوء ، فلبدت الدِّماث ، ورحضت العزاز ، وأسالت التلاع ، وحرقت الرجع وصدعت الكمأة عن أماكنها . ثم أصابتنا الثالثة بالقربتين ، فملأت الآحاد ، وأفعمت كل واد ، وأقبلنا فى ماء بحر الضبع ويستخرجها من وجارها .

وقال رجل من بنى أسد لمحمد بن مَروان وسأله عن المطر فقال : ظهر الاعصار وكثر الغبار ، وأكل ما أشرف من الخبيثة ، وأيقنا أنه عام سنة .

قال أبو الحسن بن العتاب عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أن الاسكندر كان لايدخل مدينة إلا هدمها وقتل أهلها حتى مر بمدينة كان مؤدّب فيها فخرج إليه فألطفه الاسكندر وأعظمه ، فقال له : أيها الملك ، إن أحق من زين لك أمرك وآتاك على كل ما هويت لأنا ، وإن أهل هذه المدينة قد طمعوا فيك لمكانى منك ، وأحب أن لا تشفعنى فيهم وأن تخالفنى فى كل ماسألتك لهم . فأعطاه من ذلك مالا يقدر على الرجوع عنه . فلما توثق منه قال : فان حاجتى أن تدخلها وتخربها وتقتل أهلها . قال : ليس إلى ذلك سبيل ولا بد من مخالفتك .

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج .

وقال يزيد بن المهلب وقد طال عليه حبس الحجاج : والهفاه على فَرَج فى جبهة أسد ، وطلبة بمئة ألف .

قال الاصمعى : دخل درست بن رباط الفقيمى على بلال بن أبى بُردة وهو فى الحبس ، فعلم بلال أنه شامت به ، فقال بلال : مايسرنى بنصيبى من الكره حمر النعم، فقال درست : فقدأ كثر الله لك منه .

قال الهيثم بن عدى : كان سجان يوسف بن عمر يرفع إلى يوسف بن عمر أسماء الموتى ، فقال له بلال بن أبى بُردة بن أبى موسى الاشعرى: اقبض هذه

العشرة الآلاف درهم وارفع اسمى فى الموتى . قال : فرفع اسمه فى الموتى ، فقال يوسف بن عمر : جئنى به . فرجع إليه فاعلمه فقال : ويحك اتق الله فىّ فانى أخاف القتل . قال : وأنا أيضاً أخاف ماتخاف . ثم قال : قتلك أهون من قتلى ، ولا بد من قتلك . فوضع على وجهه مخدة فذهبت نفسه مع المال

وأما عبد الله بن المقفع [1] فان صاحب الاستخراج لما ألح عليه فى العذاب

(١) ابن المقفع : هو الكاتب البليغ الذى لم يتعلق بمنزلته فى الفصاحة والبلاغة وقوة البيان متعلق . كان والده داذويه خوزى ينتحل نحلة المجوس وكان يتولى للحجاج بن يوسف خراج فارس ، فنشأ ولده روزبة على ما ينشأ عليه أبناء اليسار ، وربى تربية اسلامية ، وأولع بالعلوم والآداب فجاء وهو فى سن العشرين آية الآيات ، وكان على ميعة شبابه لا يشق له غبار فى حسن البيان ومتانة التبيان كتب على عهد بنى أمية لداود بن يوسف بن عمر بن هبيرة وفى عهد الدولة العباسية لعيسى بن على العباسى عم السفاح ، وعلى يديه أسلم ثم كان آخر أمره فى خدمة أخيه سليمان بن على أيام ولايته على البصرة . وكتب له واختص به وتسمى بعبد الله . وكان يصوغ الكتب التى تنقل لأبى جعفر المنصور عن اليونانية والفارسية فى القالب العربى المبين فضلا عما كان ينقله هو إلى العربية من اللسان الفارسى من الأسفار البديعة النافعة مثل « كليلة ودمنة » و « التاج » و « الأدب الكبير » و « الأدب الصغير » و « اليتيمة » ويقال إن كتاب « كليلة ودمنة » من وضعه لا من نقله

ومن كلامه الدال على مأخذه قوله : شربت من الخطب ريا ، ولم أضبط لها رويا ، ففاضت ثم فاضت ، فلا هي نظاما ، وليس غيرها كلاما : والمراد بالخطب خطب الامام على كرم الله وجهه

وحدث شبيب بن شيبة قال : كنا وقوفا بالمربد (موضع بالبصرة) وكان المربد عائف الأشراف ، إذ أقبل ابن المقفع فبشبشنا به وبدأناه بالسلام فرد علينا السلام ثم قال : لو ملتم إلى نيروز وظلها الظليل . وسورها المديد ، ونسيمها العجيب ، فعودتم أبدانكم تمهيد الأرض ، وأرحتم دوابكم من جهد الثقل ، فان الذى تطلبونه لم تفلتوه ؛ ومهما قضى الله لكم من شىء تنالوه ؟ فقبلنا وملنا فلما استقر بنا المكان قال لنا :

أى الأمم أعقل ؟

فنظر بعضنا إلى بعض ، فقلنا لعله أراد أصله من فارس ؟ فقلنا : فارس

قال لصاحب الاستخراج . أعندك مال ؟ وأنا أربحك ربحا ترضاه ، وقد عرفت وفائى وسخائى وكتمانى ؟ فبينى مقدار هـذا النجم . فاجابه الى ذلك ، فلما صار عليه مال ترفق به مخافة أن يموت تحت العذاب فيتوى ماله

وقال رجل لعمرو الغزال : مررت بك البارحة وأنت تقرأ . قال : لو أخبرتنى أى آية كنت فيها لاخبرتك كم بقى من الليل .

فقال : ليسوا بذاك ، إنهم ملكوا كثيراً من الأرض ، ووجدوا عظيماً من الملك ، وغلبوا على كثير من الخلق ، ولبث فيهم عقد الأمر . فما استنبطوا شيئاً بعقولهم ، ولا ابتدعوا باقى حكم في نفوسهم.

قلنا : فالروم	قال : أصحاب صنعة
قلنا : فالصين	قال : اصحاب طرفة
قلنا : فالهند	قال : أصحاب فلسفة
قلنا : فالسودان	قال : شر خلق الله
قلنا : فالترك	قال : كلاب مختلسة
قلنا : فالخزر	قال : بقر سائمة
قلنا : فقل	قال : العرب . . . فضحكنا . . .

فقال : أما أنى ما أردت موافقتكم ولكن إذ فاتنى حظى من النسبة فلا يفوتنى حظى من المعرفة . إن العرب حكمت على غير مثال مثل لها ، ولا آثار أثرت ، أصحاب إبل وغنم ، وسكان شعر وأدم ، يجود أحدهم بقوته ، ويتفضل بمجهوده ، ويشارك في ميسوره ومعسوره ، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة ، ويحسن ما شاء فيحسن ، ويقبح ما شاء فيقبح ؛ أدبتهم أنفسهم ، ورفعتهم هممهم ، وأعلتهم قلوبهم وألسنتهم ، فلم يزل حباء الله فيهم ، وحباؤهم فى أنفسهم حتى رفع لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينه وخلافته بهم إلى الحشر ؟ الخير فيهم ولهم ، قال سبحانه « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » فمن وضع حقهم خسر ، ومن أنكر فضلهم خصم ، ودفع الحق باللسان أكبت للجنان . قتل بدعوى الكيد للاسلام وبأتهامه بالزندقة ، والحق أن ذلك كان لضغن عليه

ولد سنة ١٠٦ هـ ٧٢٤ م وقتله سليمان بن معاوية والى البصرة سنة ١٤٢ هـ ٧٥٩ م

وسمع مؤرج البصرى رجلا يقول : أمير المؤمنين يرد على المظلوم . فرجع إلى مصحفه فرد على براءة « بسم الله الرحمن الرحيم »

وكان عبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه يعطش ، وقيل له : ان شربت الماء مت . فأقبل ذات يوم بعض العواد فقال : كيف حال أمير المؤمنين ؟ قال : أنا صالح ، الحمد لله . ثم أنشأ يقول :

وَمُسْتَخْبِرٍ عَنَّا يُرِيدُ بِنا الرَّدَى ... وَمُسْتَخْبِرَاتٍ والْعُيُونُ سَوَاجِمُ

ويلكم ، اسقونى ماء ولو كان فيه تلف نفسى . فشرب ثم مات

وكان حبيب بن مسلمة الفهرى رجلا غزَّاءً للترك ، فخرج ذات مرة إلى بعض غزواته ، فقالت له امرأته : أين موعدك ؟ قال : سرادق الطاغية ، أو الجنة إن شاء الله تعالى . قالت : إنى لأرجو [أن] أسبقك إلى أى الموضعين كنت به . فجاء فوجدها فى سرادق الطاغية تقاتل الترك

ولما مدح الكُميت بنُ زيد الأسدى مُخلَّد بن يزيد المهلب قال له ابن بَيض : إنك يا أبا المستهل لكالجالب التمر إلى هَجَر . قال : نعم ، ولكن تمرنا أجود من تمركم .

وكان السيد الحِميرى مُولعاً بالشراب فمدح أميراً من أمراء الأهواز ثم صار إليه بمديحه له ، فلم يصل اليه وأغب الشراب ، فلما كان ذات يوم شرب ثم وصل اليه فجلس من بُعد ، فقرّب به وشم منه ريح الشراب فقال له : ما كنت أظن أبا هاشم يفعل هذا ! ولكن يحتمل لمادح آل رسول الله ﷺ أكثر من هذا . يمازحه . ثم قال : ياجارية ، هلمى الدواة . ثم كتب إلى بعض وكلائه : ادفع إلى أبى هاشم مئتى دورق ميتحنحا . قال السيد : لقد كنت أظن الأمير أبلغ مما هو ! قال : وأى شىء رأيت من العى ؟ قال : جمعك بين حرفين وأنت تجتزئ بأحدهما ، أمح هذه الخيشة بحنحا ودع مينا على حالها ففعل . وحمل الكتاب فأخذها غبيطا

عبد الله بن قائد قال : قالت امرأة الحُصين بن المنذر للحصين : كيف سُدْت قومك ، وأنت بخيل ، وأنت دَميم ؟ قال : لأنى سديد الرأى شديد الإقدام

وقال مسلمة بن عبد الملك[1] لهشام بن عبد الملك . كيف تطمع فى الخلافة وأنت بخيل ، وأنت جبان ؟ قال : لأنى حليم ، وأنى عفيف . قال زبان :

(١) مسلمة بن عبد الملك : كان يكنى ابا سعيد . ويلقب الجرادة الصفراء ، لصفرة كانت تعلوه ، وكان شجاعاً باسلا ، وفارساً بطلا ، وقائداً دربا . فتح في الروم فتوحاً كثيرة بين بلاد وحصون وقلاع ، منها حصن طوانة ، وحصن عمورية ، وأذارولية ، وهرقلة ، وقونية ، وسبسطية . والزريانين ، وطرسوس ، وكثير غيرها مما يطول شرحه . وفي سنة ٩٨ هـ جهز سليمان بن عبد الملك جيشاً وعلى رأسه أخوه مسلمة لفتح القسطنطينية فعبر الخليج وحاصر المدينة . فلما أشتد على أهلها الحصار راسلوا مسلمة فى أن يعطوه عن كل رأس ديناراً فأبى إلا أن يفتتحها عنوة . فقال عظماء الدولة للاون البطريق : إن صرفت عنا المسلمين ملكناك علينا . فلما استوثق منهم جاء إلى مسلمة واستأمنه على نفسه وذويه ووعده أن يفتح له المدينة إذا هو تنحى بعسكره قليلا ليطمئن أهل المدينة ثم هو بعد ذلك حر في أن يكر عليهم . فانخدع مسلمة وتنحى إلى بعض الرساتيق . ودخل لاون فلبس التاج واقتعد السرير . واعتزل الملك ثاوذوسيوس ولبس المسوح معتكفاً فى كنيسة ، ولما علم مسلمة بخديعة لاون كر راجعاً بجيوشه ونزل بفناء القسطنطينية ، وظل محاصراً لها أشهراً ولقى جنده ما لم يلقه جيش آخر حتى كان الرجل يخاف أن يخرج من العسكر وحده خوف أولئك الذين استجاشهم لاون من البلغار والفرنج والروم وغيرهم من الأجناس . ولما بلغ مسلمة موت سليمان رجع بجنوده عن القسطنطينية . ولمسلمة في بلاد الترك بلاء عظيم . ولما خرج يزيد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك سار اليه مسلمة وقاتله وقتله وفرق جموعه وأهلك آل المهلب وقد كانوا أعضاد الدولة الأموية وحماتها . ولما انتهى من أمر آل المهلب جمع له أخوه يزيد ولاية الكوفة والبصرة وخراسان وذلك فى سنة ١٠١ هـ ٧١٩ م وتوفي مسلمة في عهد هشام سنة ١٢٣ هـ ٧٤٠ م . ورثاه الوليد بن يزيد بقوله:

أتانا بريدان من واسط ... يخبان بالكتب المعجمه
أقول وما البعد إلا الردى ... أمسلم لا تبعدن مسلمه
فقد كنت نوراً لنا في البلاد ... تضيء فقد أصبحت مظلمه
كتمنا لنعيك نخشى اليقين ... فجلى اليقين عن الجمجمه
وكم من يتيم تلافيته ... بأرض العدر وكم أيمه
وكنت إذا الحرب درت دما ... نصبت لها راية معلمه

إنَّ بَنِى بَدْرٍ يراعُ جُوفُ كلُّ خَطِيبٍ مِنْهُمُ مَوُّوفُ
أهْوَجُ لا يَنْفَعُهُ التَّثْقِيفُ

وقال لَبيد بن ربيعة :

وأبْيَضُ يُجْتَابُ الْخُرُوقَ عَلَى الْوَجَا خَطِيباً إذَا الْتَفَّ الْمَجَامِعُ فَيْصَلاَ

وقال فى تفضيل العلم والخطابة، وفى مدح الإنصاف وذم الشغب :

وَلَقَدْ بَلَوْتُكَ وَابْتَلَيْتُ خَلِيقَتِى ولَقَدْ كَفَاكَ مُعْلِمِى تَعْلِيمِى

وقال لَبيد :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فى أكْنَافِهِمْ وبَقِيتُ فى خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ
يَتَأَكَّلُونَ مَعَالَةً وَخِيَانَةً وَيُعَابُ قَائِلُهُمْ وإنْ لَمْ يَشْغَبِ

وقال زيد بن جندب :

مَا كَانَ أغْنَى رِجَالاً ضَلَّ سَعْيُهُمُ عَنِ الْجِدَالِ وأغْنَاهُمْ عَنِ الْخُطَبِ

وقال لقيط بن زُرارة :

إنِّى إذَا عَاقَبْتَ ذُو عِقَابٍ وَإنْ تُشَاعِبْنِى فَذُو شِغَابِ

وقال ابن أحمر :

وكَمْ حَلَّهَا مِنْ تَيْحَانِ سَمَيْدَعٍ مُصَافِى النَّدَى سَارٍ بِبَهْمَاءَ مُطْعِمِ
طَوِى الْبَطْنِ مِتْلاَفٍ إذَا هَبَّتِ الصَّبَا على الأَمْرِ غَوَّاصٍ وَفِى الْحَيِّ شَيْظَمِ

وقال الآخر :

وأغَرُّ مُنْخَرِقُ الْقَمِيصِ سَمَيْدَعٌ يَدْعُو لِيَغْزُوَ ظَالِمًا فَيُجَابُ
قَدْمَدَّ أرْسَانَ الْجِيَادِ مِنَ الْوَجَا فَكَأَنَّمَا أرْسَانُهَا أطْنَابُ

وقال الآخر :

كَرِيمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ عِنْدَ خِيَانَةٍ وَيَدْنُو وَأطْرَافُ الرِّمَاحِ رِوَانِ
وكَالسَّيْفِ إنْ لا يَنْتَهُ لاَنَ مَتْنُهُ وَحَدَّاهُ إنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ

وقال آخر :

يُقَطِّعُ طَرْفَهُ عَنِّى سُوَيْدٌ وَلَمْ أذْكُرْ بِسَيِّئَةٍ سُوَيْدَا

تَوَقَّ حِدَادَ شَوْكِ الأَرْضِ تَسْلَمْ وَغَيْرَ الأُسْدِ فَانْخِذَنَّ صَيْدَا

وقال آخر :

لاتَحْسَبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبِلَى فإنَّمَا الْمَوْتُ سُؤَالُ الرِّجَالْ
كِلاَهُمَا مَوْتٌ وَلَكِنَّ ذَا أَشَدُّ مِنْ ذَاكَ لِذُلِّ السُّؤَالْ

وللحسين بن مطير :

رَأَتْ رَجُلاً أَوْدَى بِوَافِرِ لَحْمِهِ طِلاَبُ الْمَعَالِي وَاكْتِسَابُ الْمَكَارِمِ
خَفِيفَ الْحَشَا ضَرْبًا كَأَنَّ ثِيَابَهُ عَلَى قَاطِعٍ مِنْ جَوْهَرِ الْهِنْدِ صَارِمِ
فَقُلْتُ لَهَا لاَ تَعْجَبِنَّ فَإِنَّنِي أَرَى سِمَنَ الْفِتْيَانِ إِحْدَى الْمَشَائِمِ

وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إذا رأى عبد الله بن عباس فى الأمر يعرض مع جلة أصحاب رسول الله ﷺ يقول : غص غواص

وقال ابن أحمر :

هَلْ لاَمَنِي قَوْمٌ لِمَوْقِفِ سَائِلٍ أَوْ فِي مُخَاصَمَةِ اللَّجُوجِ الأَصْيَدِ

وقال لبيد بن ربيعة فى التطبيق على قوله :

يا هَرِمَ بنَ الأَكْرَمِينَ مَنْصِبا إِنَّكَ قد أُوتِيتَ حُكْمًا مُعْجِبا
فَطَبَقِ الْمَفْصِلَ واغْنَمْ طَيِّبا

وقال آخر :

فَلَمَّا أَنْ بَدَا الْتَعْقَاعُ لَجَّتْ عَلَى شَرَكٍ تُنَاقِلُهُ نِقَالاَ
تَعَاوَرْنَ الْحَدِيثَ وَطَبَّقَتْهُ كَمَا طَبَّقْتَ بِالنَّعْلِ الْمِثَالاَ

وقال ابن أحمر :

لَوْ كُنْتُ ذَا عِلْمٍ عَلِمْتُ وَكَيْفَ لِي بِالْعِلْمِ بَعْدَ تَدَبُّرِ الأَمْرِ

وقال :

لَيْسَتْ بِثَوْنَاةِ الْحَدِيثِ وَلا فَتِقٍ مُغَالِبَةٍ على الأمر

وقال :

تَضَعُ الْحَدِيثَ عَلَى مَوَاضِعِهِ وَكَلاَمُهَا مِنْ بَعْدِهِ نَزْرُ

وقال :

وَخَصْمٍ مُضِلٍّ فى الضِّجاجِ تَرَكْتُهُ وقدْ كانَ ذا شَغْبٍ فوَلَّى مُوَانِبا

وذكر على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أكتل بن شماخ العكلى فقال : الصبيح الفصيح . وهو أول من اتخذ بيت مال لنفسه فى داره

عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن الحسن ، عن النبى ﷺ قال : سيكون بعدى أمراء يعطون الحكمة على منابرهم وقلوبهم أنتن من الجيف

﴿خطبة للحجاج﴾

جعفر بن سليمان الضبعى ، عن مالك بن سليمان قال : غدوت إلى الجمعة فجلست قريباً من المنبر فصعد الحجاج المنبر ثم قال :

امرؤ زوّر عمله ، امرؤ حاسب نفسه ، امرؤ فكر فيما يقرأوه فى صحيفته ويراه فى ميزانه ، امرؤ كان عند قلبه زاجراً ، وعند همه ذاكراً ، امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جمله ، فإن قاده إلى طاعة الله قبله وتبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كفه

وبعث عدى بن أرطاة إلى المهالبة أبا المليح الهذلى وعبد الله بن عبد الله ابن الأهتم والحسن البصرى ، فتكلم الحسن فقال عبد الله : والله ما تمنيت كلاماً قط أحفظه إلا كلام الحسن يومئذ

وتنقص ابنٌ لعبد الله بن عروة بن الزبير علياً رضى الله تعالى عنه فقال له أبوه : والله ما بنى الناس شيئاً قط إلا هدمه الدين ، وما بنى الدين قط شيئاً فاستطاعت الدنيا هدمه . ألم تر إلى علىّ كيف يظهر بنو مَروان من عيبه وذمّه ؟ والله لكأنما يأخذون بناصيته رفعاً إلى السماء . وما ترى ما يندبون به موتاهم من التأبين والمديح ؟ والله لكأنما يكشفون به عن الجيف

أبو الحسن قال : قال عبد الله بن الحسن لابنه محمد حين أراد الاستخفاء : أى بنى ، إنى مؤدّ إليك حقّ الله فى حسن تأديبك ، فأدّ إلىّ حق الله فى حسن الاستماع . أى بنى ، كفّ الاذى ، وارفض البذاء ، واستغن عن الكلام بطول

الفِكر فى المواطن التى تدعوك نفسك فيها إلى القول ، فان للقول ساعات يضر فيها خطؤه ولا ينفع صوابه . احذر مَشُورة الجاهل وإن كان ناصحاً كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشًّا ، فانه يوشك أن يورطاك بمشورتهما فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل

وكان يقال : من لانت كلمته وجبت محبته ، ومن طال صمته اجتلب من الهيبة ماينفعه، ومن الوحشة مايضره

﴿ باب أن يقول كل انسان على قدر طبعه وخُلقه ﴾

قال قُتيبة بن مسلم للحُصين بن المنذر : ما السرور ؟ قال : امرأة حسناء ، ودار قوراء ، وفرس فاره مرتبط بالفِناء . وقيل لضرار بن الحسين : ما السرور ؟ قال : لواء منشور ، وجلوس على السرير ، والسلام عليك أيها الامير . وقيل لعبد الملك بن صالح : ما السرور ؟ قال :

كلُّ الْكَرَامَةِ نِلْتُهَا إلاَّ التَّحِيَّةَ بالسَّلامِ

وقيل لعبدالله بن الاهتم : ماالسرور ؟ قال : رفع الاولياء ، وحط الاعداء ، وطول البقاء ، مع القدرة على النماء .وقيل للفضل بن سهل : ما السرور ؟ قال : توقيع جائز ، وأمر نافذ .

أبو الحسن المدائنى قال: قيل لانسان بحرى : أى شىء تمنى ؟ قال: شربة من ماء الفنطاس ، والنوم فى ظل الشراع ، وريحاً ذُ نبداذاً .

وقيل لطفيلى : كم اثنتين فى اثنتين ؟ قال : أربعة أرغفة . وقال الفلاس القصاص : كان أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر ثلثمائة وستين درهما . وقلت لملاح لى، وذلك بعد العصر فى رمضان : أنظركم بين عين الشمس وبين موضع غروبها من الارض ؟ قال : أكثر من مردبين ونصف . وقال آخر : وقع علينا اللصوص ، فأول رجل دخل علينا السفينة كان فى طول هذا المَردى ، وكانت فخذه أغلظ من هذا السُّكَّان ، واسودَّ وجه صاحب السفينة حتى صار أشد سواداً من هذا القير . وأردت الصعود مرة فى بعض القناطر وشيخ ملاح جالس وكان

يوم مطر وزلق ، فزلق حمارى فكاد يلقينى بجنبى ، لكنه تماسك فاقعى على عجزه فقال الشيخ الملاح : لا اله الا الله،ما أحسن ماجلس على كوثله . ومررت بتل طين أحمر ومعى أبو الحسين النحاس فلما نظر إلى الطين قال : أى ادارى يجىء من هذا الطين . ومررنا بالخُلد بعد خرابه . فقال : أى اصطبلات تجىء من هذا الموضع

وقيل لبعضهم : ما المروءة ؟ قال : طهارة البدن ؟ والفعل الحسن . وقيل لمحمد بن عِمران : ما المروءة ؟ قال : أن لا تعمل فى السر شيئاً تستحى منه فى العلانية . وقيل للاحنف : ما المروءة ؟ قال : العفة والحرفة . وقال طلحة بن عبيدالله المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة . وقيل لأبى هُريرة : ما المروءة ؟ قال : تقوى الله ، واصلاح الصنيعة ، والغداء والعشاء بالافنية

ونظر بكر بن الاشعر — وكان سجانا — مرة الى سوردار بجالة بن عبدة فقال : لا اله إلا الله ، أى سجن يجىء من هذا . وقال انسان صيرفى : باعنى فلان عشرين جريبا ودانقين ونصفاً ذهبا

ونظر عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه الى عِير مقبلة فقال لابى ذر : ما كنت تحب أن تحمل هذه ؟ فقال أبو ذر : رجالا كأمثال عمر (١)

وقيل للزهرى : ما الزهد فى الدنيا ؟ قال : أما انه ليس بشَعَث اللمة ، ولا قَشَف الهيئة ، ولكنه ظلف النفس عن الشهوة . وقيل للزهرى : ما الزهد فى الدنيا ؟ قال : أن لايغلب الحرام صبرك ، ولا الحلال شكرك . ونظر زاهد إلى فاكهة فى السوق ، فلما لم يجد مايبتاعها عزى نفسه وقال : يافاكهة ، موعدى وإياك الجنة

قال : مرَّ المسيح صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه بخلق من بنى اسرائيل فشتموه ، فكلما قالوا شراً قال المسيح خيراً فقال له سمعان الصفا : أكلما قالوا

(١) كأمثال عمر : كان في الاصل : لأمثل عمرى . وعندى أنه خطأ ، ولعل الصواب ماأثبته

شراً قلت خيرا ؟ قال المسيح صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه : كل امرىء يعطى ماعنده

وقال بعضهم قيل لامرىء القيس بن حجر : ما أطيب عيش الدنيا ؟ قال : بيضاء رُعبوبة ، بالطيب مشبوبة ، بالشحم مكروبة . وسئل عن الدنيا الاعشى فقال: صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صوب غادية . وقيل مثل ذلك لطرفة فقال : مطعم شهى ، وملبس دفى ، ومركب وطى

وقال: كان محمد بن راشد البجلى يتغدى ؛ وبين يديه شبُّوطة ،وخياط يقطع له ثيابا وراءه يلحظ الشبوطة ، فقال : قد زعمت أن الثوب يحتاج الى خرقة فكم مقدارها ؟ قال : ذراع فى عرض الشبوطة .

ودخل آخر على رجل يأكل أترجَّة بعسل ، فأراد أن يقول : السلام عليكم فقال :عسليكم

ودخلت جارية رومية على راشد البسنى لتسال به عن مولاتها فبصرت بجمار قدأدلى فى الدار ،فقالت: قالت مولاتى: كيف أبرحماركم ؟ فيما زعم أبوالحسن المدائنى

وأنشد ابن الاعرابى :

وإذَا أظْهَرْتَ أمْرًا حَسَنًا ... فَلْيَكُنْ أحْسَنَ مِنْهُ مَايُسَرّ
فَمُسِرُّ الخَيْرِ مَوْسُومٌ بِهِ ... ومُسِرُّ الشَّرِّ مَوْسُومٌ بِشَرّ

وأنشد ابن الاعرابى :

أرَى النَاسَ يَبْنُونَ الحُصُونَ وإنَّما ... غَوَائِلُ آجالِ الرِّجَالِ حُصُونُهَا
وَإنَّ مِنَ الأعْمَالِ دُوناً وَصَالِحاً ... فَصَالِحُهَا يَبْقَى وَيَهْلِكُ دُونُهَا

وأنشد ابن الاعرابى :

حَسْبُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ ... زَادٌ يُبَلِّغُهُ المَحَلاَّ
خُبْزٌ وَمَاءٌ بَارِدٌ ... وَالظِّلُّ حِينَ يُرِيدُ ظِلاَّ

وقال بعض الاعراب :

وَمَا الْعَيْشُ إلاَّ شَبْعَةٌ وَتَشَرُّقٌ ... وتمرٌ كأخْفَافِ الرَّبَاعِ وَمَاءُ

محمد بن حرب الهلالى قال:قلت لاعرابى : إنى لك لوادّ . قال : وإن لك من

قلبي لرائد . قال : وأتيت أعرابيا فى أهله مسلما عليه فلم أجده ، فقالت امرأته : عشر الله خطاك

أى جعلها عشرة أمثالها .

وكان مُسلم بن قتيبة يقول : لم يضيع امرؤ صواب القول حتى يضيع صواب العمل

﴿ مايجب على الآباء للأبناء ﴾

أبو الحسن قال: قال الحجاج لمعلم ولده : علم ولدى السباحة قبل الكتابة ، فانهم يصيبون من يكتب عنهم ولا يصيبون من يسبح عنهم

أبو عقيل بن درست قال: رأيت أبا هاشم الصوفى مقبلا من جهة النهر فقلت له : فى أى شىء كنت اليوم ؟ قال : فى تعليم ما ليس ينسى ، وليس لشىء من الحيوان عنه غنى . قلت : وما ذلك ؟ قال : السباحة

حدثنا على بن محمد وغيره قال : كتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى ساكنى الامصار : أما بعد فعلموا أولادكم السباحة والفروسية ، وروُّوهم ماسار من المثل ، وحسن من الشعر

وقال ابن التوأم : علم ابنك الحساب قبل الكتاب ، فان الحُسَّابَ أكسب من الكُتَّاب ، ومؤنة تعلمه أيسر ، ووجوه منافعه أكثر . وكان يقال : لا تعلموا بناتكم الكتاب ، ولا تروهن الشعر ، وعلموهن القرآن ، ومن القرآن سورة النور. وقال آخر : بنو فلان يعجبهم أن يكون فى نسائهم إباضيات ، ويؤخذون بحفظ سورة النور . وكان ابن التوأم يقول : من تمام مايجب على الآباء من حفظ الابناء أن يعلموهم الكتاب والحساب والسباحة

خطب رجل امرأة أعرابية فقالت له : سل عنى بنى فلان ، وبنى فلان ، وبنى فلان . فعدت قبائل ، قال : وما علمهم بك ؟ قالت : فى كلهم قد نكحت . قال: أرى بك جلنفعة قد حزمتك الحزائم . قالت : لا ، ولكنى جوالة بالرجل شمريس

وقال الفرزدق لامرأته نوار : كيف رأيت جريراً ؟ قالت : رأيتك ظلمته أولا ثم شغرت عنه برجلك آخراً . قال : أنا أنى ؟ قالت : نعم أما إنه قد غلبك فى حلوه ، وشاركك فى مره

وتغدى صعصعة بن صوحان عند معاوية يوماً ، فتناول من بين يدى معاوية شيئاً فقال : يا ابن صوحان، لقد انتجعت من بعيد . قال : من أجدب انتجع

وبصر الفرزدق بجرير محرماً فقال : والله أفسدت على ابن المراغة حجه . ثم جاءه مستقبلا له فجمزه بمشقص كان معه ثم قال :

إنّكَ لاَقٍ بالمَشَاعِرِ مِنْ مِنًى ... فَخاراً فَخبّرْنى بِمَنْ أَنْتَ فاخِرُ

فقال جرير : لبيك اللهم لبيك . ولم يجبه

وأدخل مالك بن أسماء سجن الكوفة فجلس إلى رجل من بنى مرة فاتكأ المرى عليه يحدثه حتى أكثر وغمه ثم قال : هل تدرى كم قتلنا منكم فى الجاهلية ؟ قال مالك : أما فى الجاهلية فلا ، ولكنى أعرف من قتلتم منا فى الإسلام . قال المرى : ومن قتلنا منكم فى الإسلام ؟ قال : أنا قد قتلتنى وغمّا

ودخل رجل من محارب قيس على عبد الله بن زيد الهلالى وهو عامل على أرمينية ، وقد بات فى موضع غدير قريب منه فيه ضفادع ، فقال عبد الله للمحاربى ما تركتنا أشياخ مُحارب ننام فى هذه الليلة لشدة أصواتها . قال المحاربى : أصلح الله الأمير ، إنها أضلت بُرقعاً لها فهى فى بغائه . أراد الهلالى قول الأخطل :

تنقُّ بِلا شَىءٍ شُيُوخُ مُحَارِبٍ ... وَماخِلْتُهاكانَتْ تَرِيشُ ولاَ تَبْرِى

ضَفَادِعُ فى ظَلْماءَ لَيْلٍ تجاوَبَتْ ... فَدَلَّ علَيْها صَوْتُها حَيَّةَ البَحْرِ

وأراد المحاربى قول الشاعر :

لِكلِّ هِلاَلِيٍّ مِنَ اللُّؤْمِ بُرْقُعٌ ... وَلابْنِ هِلاَلٍ بُرْقُعٌ وَقَمِيصُ

وقال العتبى :

رَأَيْنَ الغَوَانِى الشَّيْبَ لاَحَ بِعَارِضِى ... فأَعْرَضْنَ عَنِّى بالْخُدُودِ النَّوَاضِرِ

وكُنَّ إذَا أَبْصَرْنَنِى أَوْ سَمِعْنَ بِى ... سَعَيْنَ فَرَقَّعْنَ الكُوَى بالمَحاجِرِ

لئِنْ حُجِبَتْ عَنِّى نَوَاظِرُ أَعْيُنٍ ... رَمِينَ بأَحْداقِ المَهَا والجَآذِرِ

فإنِّىَ مِنْ قَوْمٍ كِرَامٍ أُصُولُهُمْ ... لأَقْدَامِهِمْ صِيغَتْ رُؤُسُ المَنابِرِ

خَلاَئِفُ فِى الإِسْلاَمِ فى الشِّرْكِ قَادَةٌ ... بِهِمْ وإِلَيْهِمْ فَخْرُ كُلِّ مُفَاخِرِ

قال لبيد :

وَالشَّاعِرُونَ النَّاطِقُونَ إِذَاهُمُ ... سَلَكُوا طَرِيقَ مُرَقِّشٍ ومُهَلْهِلِ

وقال آخر :

أَمْ مَنْ لِبَابٍ إِذَا اشْتَدَّ حَاجِبُهُ ... أَمْ مَنْ لِخَصْمٍ بَعِيدِ الْغَوْرِ مِغْوَارِ

وقال حاجب بن دينار المازنى :

نَحْنُ بَنُو الْفَحْلِ الَّذِى سَالَ بَوْلُهُ ... بِكُلِّ بِلَادٍ لَا يَبُولُ بِهَا فَحْلُ

أَبَى النَّاسُ وَالْأَقْلَامُ أَنْ يَحْسِبُوهُمُ ... إِذَا حَصَلَ الْأَخْمَاسُ أَوْ يُحْسَبَ الرَّمْلُ

فَإِنْ غَضِبُوا شَدُّوا الْمَشَارِفَ مِنْهُمُ ... مُلُوكٌ وَحُكَّامٌ كَلَامُهُمُ فَصْلُ

وقال أعرابى من بنى حنيفة وهو يمتح :

مَرَّ الْجَرَادُ عَلَى زَرْعِى فَقُلْتُ لَهُ ... إِلْزَمْ طَرِيقَكَ لَا تُولَعْ بِإِفْسَادِ

فَقَامَ مِنْهُمْ خَطِيبٌ فَوْقَ سُنْبُلَةٍ ... إِنَّا عَلَى سَفَرٍ لَا بُدَّ مِنْ زَادِ

وقال آخر يهجو بعض الخطباء :

يُمَانُ وَلَا يَمُونُ وَكَانَ شَيْخًا ... شَدِيدَ اللَّقْمِ صِلْقَامًا خَطِيبَا

ذهب إلى قول الأحوص :

ذَهَبَ الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ فَرَطًا ... وَبَقِيتُ كَالْمَقْمُورِ فِى خَلْفِ

مِنْ كُلِّ مَطْوِىٍّ عَلَى عَنَقٍ ... مُتَضَجِّعٍ يُكْفَى وَلَا يَكْفِى

وقال الحسن بن هانئ :

إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ فَإِمَّا كَفَيْتَهُ ... وَإِمَّا عَلَيْهِ بِالْكِفَى تُشِيرُ

وقال آخر :

ذَرِينِى لِأَعْيَا بِمَا حَلَّ سَاحَتِى ... أَسُودُ وَأُكْفَى أَوْ أُطِيعُ الْمُسَوَّدَا

وقال بشار :

وَفِى الْعَبَرَاتِ الْغُرِّ صَبْرٌ عَلَى النَّدَى ... أُولَئِكَ حَيٌّ مِنْ حَزِيمَةَ أَغْلَبُ

وَأَلْأَمُ مَنْ يَمْشِى ضَبِيعَةَ إِنَّهُمْ ... زَعَانِفُ لَمْ يَخْطُبْ إِلَيْهِمْ مُحَجَّبُ

وكذلك قول أعشى بنى ثعلبة :

مَاضَرَّ غازِى نِزَارٍ أَنْ يُفارِقَهُ ... كَلْبٌ وَجَرْمٌ إِذَا أَبْناؤُهُ اتَّقَفُوا
قالَتْ قُضَاعَةُ إِنَّا مِنْ ذَوِى يَمَنٍ ... اللهُ يَعْلَمُ مَا بَرُّوا وَلاَ صَدَقُوا
يَزْدَادُ لَحْمُ المَناقِي فى مَنازِلِنا ... طِيباً إِذَا عَزَّ فِى أَعْدَائِنا المَرَقُ
وَمَا خَطَبْنا إِلَى قَوْمٍ بَنَاتِهِمِ ... إِلاَّ بِأَرْعَنَ فى حافاتِهِ الحُرَقُ

قوله خطبنا هاهنا من الخِطبة وقولهم فى الشعر الأول من الخُطبة

وقال بلعاء بن قيس :

أَبيتُ لِنَفْسِى الخَسْفَ لَمَّا رَضُوا بِهِ ... وَدَلَّيْتُهُمْ شَتْمِى وَما كُنْتُ مُفْحَما

وقال بلعاء بن قيس لسراقة بن مالك بن جعثم :

أَلا أَبلِغْ سُرَاقَةَ بْنَ مَالِكٍ ... فَبِئْسَ مَقَالَةُ الرَّجُلِ الخَطِيبِ
أَتَرْجُو أَنْ تَؤُودَ بِظَعْنِ لَيْثٍ ... فَهَذا حِينَ تُبْصِرُ مِنْ قَرِيبِ

وقال منصور الضبى :

لَيْتَ الفَتَى عَجْرَدًا مِنَّا مَكانَهُمُ ... وَلَيْتَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الأَخْضَرِ الجارِى
قَدْ قامَ سَيِّدُهُمْ عِمْرَانُ يَخْطُبُهُمْ ... مَا كانَ لِلْخَيْرِ عِمْرَانٌ بِأَمَّارِ

تقول العرب : الخلة تدعو إلى السلة . وكانوا إذا أسروا أسيراً قال المادح : أسره فى مزاحفة ولم يأسره فى سلة . وفى الحديث « لا اسلال ولا أغلال » وفى المثل : الحاجة تفتح باب المعرفة

ونذكر هنا أبيات شعر تصلح الرواية والمذاكرة :

قال سُوَيد المرائد الحارثى أو غيره :

بَنِى عَمِّنا لاتَذْكُرُوا الشِّعْرَ بَعْدَمَا ... دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الغَمِيمِ القَوَافِيَا
فَلَسْنا كَمَنْ كُنْتُمْ تُصِيبُونَ سَلَّةً ... فَنَقْبَلَ عَقْلاً أَوْ نُحَكِّمَ قاضِيَا
وَلَكِنَّ حُكْمَ السَّيْفِ فِيكُمْ مُسَلَّطٌ ... فَنَرْضَى إِذا مَا أَصْبَحَ السَّيْفُ رَاضِيَا
فَإِنْ قُلْتُمُ إِنَّا ظَلَمْنا فَإِنَّكُمْ ... بَدَأْتُمْ وَلَكِنَّا أَسَأْنا التَّقَاضِيَا
وَقَدْ سَاءَنِى مَاجَرَّتِ الحَرْبُ بَيْنَنا ... بَنِى عَمِّنا لَوْ كانَ أَمْرًا مُدَانِيَا

وقال ضابئ بن حارث :

وَرُبَّ امُورٍ لا تَضِيرُكَ ضَيْرَةً ... وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ (١)

وقال حارثة بن بدر :

وَقُلْ لِلْفُؤَادِ إِنْ نَزَا بِكَ نَزْوَةً ... مِنَ الرَّوْعِ أَفْرِخْ كُنْهُ الرَّوْعِ بَاطِلُهْ (٢)

وقال لَبيد :

وَاكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثْتَهَا ... إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِي بِالأَمَلْ

وقال الشاعر، وهو حبيب بن أوس الطائى :

وطُولُ مُقَامِ المَرْءِ فِى الحَيِّ مُخْلِقٌ ... لِدِيبَاجَتَيْهِ فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ (٣)

فَإِنِّى رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً ... إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ (٤)

وقال آخر :

هُوَ الشَّمْسُ إِلَّا أَنَّ لِلشَّمْسِ غَيْبَةً ... وَهٰذَا الْفَتَى الْجَرْمِىُّ لَيْسَ يَغِيبُ

يَرُوحُ وَيَغْدُو لَيْسَ يُفْتَرُ سَاعَةً ... وَإِنْ قِيلَ نَاءٍ مِنْكَ فَهْوَ قَرِيبُ

وقال آخر :

خِلَافاً لِقَوْلِى مَنْ فَيَالَةِ رَأْيِهِ ... كَمَا قِيلَ قَبْلَ الْيَوْمِ خَالِفْ فَتُذْكَرَا

وقال حارثة بن بدر :

إِذَا مَا مِتُّ سَرَّ بَنِى تَمِيمٍ ... عَلَى الحَدَثَانِ لَوْ يَلْقَوْنَ مِثْلِي

عَدُوٌّ عَدُوَّهِمْ أَبَدًا عَدُوِّى ... كَذٰلِكَ شَكْلُهُمْ أَبَداً وَشَكْلِى

وهذا شبيه بقول الاعشى :

عُلِّقْتُهَا عَرَضاً وَعُلِّقَتْ رَجُلاً ... غَيْرِى وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرُهَا الرَّجُلُ

وقال عمرو لمعاوية : من أصبر الناس ؟ قال : من كان رأيه راداً لهواه

واختلفوا بحضرة الزهرى فى معنى قول القائل : فلان زاهد . فقال الزهرى:

---

(١) وجيب : اضطراب وخفوق (٢) نزا : اضطرب وكاد يثب من مكانه . أفرخ روعه : هدأ واطمأن (٣) مخلق لديباجتيه : مبل لجلدة وجهه، والمراد مزيل لماء وجهه (٤) بسرمد: بدائم

الزاهد الذى لا يغلب الحرامُ صبره ، ولا الحلال شكره

وقال ابن هُبَيرة وهو يؤدب بعض بنيه : لا تكونن أول مُشير ، وإياك والهوى والرأى الفَطير ، وتجنب ارتجال الكلام ، ولا تُشر على مستبد، ولا على وغد، ولا على مُتلون،ولا على لجوج ، وخف الله فى موافقةهوى المستشير ، فان النِّمَاس موافقته لؤم ، وسوء الاستماع منه خيانة . وقال : من كثر كلامه كثر سَقَطُه ، ومن ساء خلقه قل صديقه

وقال عُمر للأحنف : من كثر ضَحِكه قلت هيبته ، ومن أكثر من شيء عُرف به ، ومن كثر مزاحه كثر سَقَطُه ، ومن كثر سقطه قل ورعه ، ومن قل ورعه ذهب حياؤه ، ومن ذهب حياؤه مات قلبه

﴿ وصية المهلب لبنيه ﴾

وقال المهلب : [1] يا بنى ، تباذلوا تَحابُّوا ، وإن بنى الأم يختلفون فكيف بنو العَلات ؟ إن البر ينسأ فى الأجل ، ويزيد فى العدد ، وإن القطيعة تورث القلة ، وتُعقب النار بعد الذل . واتقوا زَلة اللسان فإن الرجل تزل رجله فينتعش

(١) المهلب : هو المهلب بن أبي صفره ، وأسم أبي صفرة ظالم بن سراق ، وكان من أزد العتيك ، أزد دبا ، ودبا مكان فيما بين عمان والبحرين . نزل أبو صفرة البصرة وبها نشأ ولده المهلب على ما تنشأ عليه أبناء السادة والرؤس ، وكان سيداً نبيلا ، وشجاعاً باسلا ، وفارساً معواراً ، وقائداً محكما . وفقيهاً عاقلا . وكان في الحرب ذا حيل ومكايد . وفى السلم ذا فطن ومحامد . لما اشتد أمر الخوارج وخيف على الدولة منهم بعد أن عجزت جيوشها وقوادها عنهم أجمع الرؤساء والأشراف وأصحاب الرأى فى البصرة على التوجه إلى المهلب والرغبة اليه في أن يتولى حربهم ، وقالوا له: إنما أخترناك ايثاراً للدين ، وكل من فى مصرك ماد عينه إليك ، راج أن يكشف الله عز وجل هذه الغمة بك . فقبل ذلك واشترط ما شاء عليهم مما يضمن الفوز له والأمن لهم . وبعد أن أعد العدة خرج إلى الخوارج وصمد لهم هو وأولاده الأبطال ومن معهم من الجند يراوحهم القتال ويغاديهم زهاء اثنتى عشرة سنة حتى مزق شملهم ، وفرق جمعهم . وكان الخوارج يسمونه الساحر وينعتونه بالكذاب حقداً منهم عليه . ثم ولى خراسان خمس سنين ومات بمرو الروز سنة ٨٣ هـ ٧٠٢ م

ويزل لسانه فيهلك . وعليكم فى الحرب بالمكيدة فإنها أبلغ من النجدة ، فإن القتال إذا وقع وقع القضاء ، فإن ظفر فقد سعد،وإن ظُفر به لم يقولوا فرط

ولقى الحسين رضى الله تعالى عنه الفرزدق فسأله عن الناس فقال : القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر فى السماء

وقال بعضهم: حُجب أعرابى على باب سلطان فقال :

اهِينُ لهُمْ نَفْسِى لأُكْرِمَها بِهِمْ ... ولا يُكْرِمُ النفْسَ الذِى لا يُهِينُها

وقال جرير :

قَوْمٌ إذا حَضَرَ المُلُوكَ وُفُودُهُمْ ... نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ على الابْوَابِ

وقال آخر :

نَهَيْتُ جَمِيعَ الحَضْرِ عَنْ ذِكْرِ خُطَّةٍ ... يُدَبِّرُهَا فِى رَأْيِهِ ابْنُ هِشَامِ

فَلَمَّا وَرَدْتُ البَابَ أيْقَنْتُ أنَّنا ... على اللهِ والسُّلْطَانِ غيرُ كِرَامِ

وقال آخر :

وَافَى الوُفُودُ فَوَافَى مِنْ بَنِى جَمَلٍ ... بِكْرُ الحَمَالَةِ فَانِى السِّنِّ عُرْزُومُ[1]

وقال تميم :

فَدَيْتُكِ أنْ لا تُسْمِعِينِى مَلَامَةً ... ولا تَنْكِئِى قُرْحَ الفُؤَادِ فَيَيْجَعَا

وقال آخر :

قَلِيلَ التَّشَكِّى لِلْمَصَائِبِ ذَا كِرًا ... مِنَ اليَوْمِ أعْقَابَ الأَحَادِيثِ فِى غَدِ

وقالوا : أشد من الموت ما يُتمنى له الموت

وقال الفرزدق، وهو يصف طعنة :

يَوَدُّ لَكَ الأَدْنَوْنَ لَوْ مِتَّ قَبْلَهَا ... يَرَوْنَ بِهَا شَرًّا عَلَيْكَ مِنَ القَتْلِ

وقيل للاحنف : مابلغ من حزمك ؟ قال : لا ألى ما كُفيت،ولا أضيع ماوَليت

وقال آخر : لاتقيموا ببلاد ليس فيها نَهَرٌ جارٍ ، وسوق قائمة ، وقاض عدل

(١) عرزوم : شديد مجتمع

وقالوا : لا تُبنى المدن إلا على الماء والمرعى والمحتطب

وقال مالك بن دينار[١] لربما رأيت الحجاج يتكلم على منبره ، ويذكر حُسن صنيعه إلى أهل العراق وسوء صنيعهم اليه حتى أنه ليخيل إلىّ أنه صادق مظلوم

أبو عبد الله الثقفى عن عمه قال : سمعت الحسن يقول : لقد وقذتنى كلمة سمعتها من الحجاج . قلت: وإن كلام الحجاج ليقذك ؟ قال: نعم ؛ سمعته على هذه الاعواد يقول : إن امرأً ذهبت ساعةٌ من عمره فى غير ما خلق له لحرى ان تطول عليها حسرته

وقال بعضهم : كان يقال : ما وجدنا أحداً أبلغ فى خير وشر من صاحب عبد الله بن سلمة .

دخل الزِّبرقان بن بدر على زياد ، وقد كف بصره ، فسلم تسليما جافياً فأدناه زياد فأجلسه معه وقال : يا أباعَيّاش ، القوم يضحكون من جفائك : قال : وإن ضحكوا فوالله إن منهم رجلا إلا يودّ أنى أبوه دون أبيه ، لغية أو لرشدة [٢]

ونظر هشام بن عبد الملك إلى قبر عثمان بن حيّان المرى فقال : جثوة من جثى النار

وكان يقال : صاحب السوء قطعة من النار ، والسفر قطعة من العذاب .

وكان يقال : عذابان لا يكترث لهما الداخل فيهما : السفر الطويل ، والبناء الكثير

وقال رجل من أهل المدينة : من ثَقُل على صديقه خف على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون

وقال سهل بن هرون : ثلاثة يعودون إلى أجن المجانين وإن كانوا أعقل العقلاء : الغضبان ، والغيران ، والسكران . فقال له أبو عبدان المُخلع الشاعر : ما تقول فى المُنْعظ؟ فضحك حتى استلقى ثم قال :

وما شرُّ الثلاثةِ أمَّ عَمْرٍو ... بِصاحِبكِ الذى لا تُصْبحينَا

---

(١) مالك بن دينار ، يكنى أبا يحيى ، عالم ناسك مشهور بالتقوى والورع . كان يكتب المصاحف ويعيش من أجرها . مات سنة ١٣١ هـ ٧٤٨ م

(٢) لغية أو لرشدة : لحرام أو لحلال

وقال أبو الدرداء : أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب

وقال ناس : البُخل قيد ، والغضب جنون ، والسكر مفتاح الشر .

وقال بعض البخلاء : ما نصب الناس لشيء نصبهم لنا ، هبهم يلزموننا الذم فيما بيننا وبينهم ، ما لهم يلزموننا التقصير فيما بيننا وبين أنفسنا ؟

وقال ابرهيم بن عبدالله بن حسن لأبيه : ما شعر كثير عندى كما يصفه الناس . فقال أبوه : إنك لن تضع كُثَيِّراً بهذا ، إنما تضع بهذا نفسك

وأنشد رجل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قولَ طَرَفة :

فلَوْلاَ ثلاثٌ هُنَّ من عِيشَةِ الفتى وجدُّكَ لمْ أحفِلْ متَى قامَ عُوَّدى

فقال عُمر : لولا أن أسير فى سبيل الله ، وأضع جبهتى لله ، وأجالس أقواما ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب التمر ، لم أبال أن أكون قد مِت

وقال عامر بن عبد قيس : ما آسى من العراق إلا على ثلاث : على ظمأ الهواجر ، وتجاوب المؤذنين ، واخوان لى منهم الأسود بن كلثوم .

وقال آخر : ما آسى من البصرة إلا على ثلاث : رطب السكر ، وليل الحرير ، وحديث ابن أبى بكرة .

وقال سهل بن هرون :

ولَكنَّنِي أبكى بِعَيْنٍ سَخِينَةٍ على جَلَلٍ تبكى له عينُ أمْثالى

فِرَاقِ خَلِيلٍ أو شَجًى يَسْتَشِفُّنِى لِخَلَّةِ أمْرٍ لاَ يقُومُ لها مَالِى

فيا كَبِدى حَتَّى مَتَى القَلْبُ مُوجَعٌ بِثُكلِ حبيبٍ أوْ تعَذُّرِ إفْضالِ

وَما العَيْشُ إلا أنْ تَطُولَ بِنائِلٍ وَإلقاءِ الأَخِ ذِى الْخُلُقِ العالى(١)

وقال أعرابى :

لولا ثلاث هن عيش الدهر الماء والنوم وأم عمرو لما خشيت من مضيق القبر

وقال الاحنف : أربعٌ مَن كن فيه كان كاملا ، ومن تعلق بخَصلة منهن كان

(١) تطول بنائل : تتطول بعطاء

من صالحى قومه : دِين يُرشده ، أو عقل يُسدده ، أو حَسَب يَصونه ، أو حياء يقناه. (١) وقال: المؤمن بين أربع : مُؤمن يحسده ، ومنافق يُبغضه، وكافر يُجاهده، وشيطان يفتنه . وأبع لسن أقل منهن : أليقين ، والعدل ، ودِرهم حلال ، وأخ فى الله

وقال الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما . من أتانا لم يعدم خَصلة من أربع : آيةً محكمة ، أو قضية عادلة ، أو أخاً مُستفاداً ، أو مُجالسة العلماء

وقالوا : من أعطى أربعا لم يمنع أربعا : من أُعطى الشكر لم يمنع المزيد ، ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ، ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخِيَرَةِ ، ومن أعطى المَشُورة لم يمنع الصواب

قال أبوذر الغفارى : كان الناس ورقا لاشوك فيه ، فصاروا شوكا لاورق فيه

وقالوا : تعامل الناس بالدين حتى ذهب الدين ، وبالحياء حتى ذهب الحياء ، وبالمُروءة حتى ذهبت المُروءة ، وقد صاروا إلى الرغبة والرهبة وأحرِ بهما أن تذهبا

وقال بعضهم : دعا رجل علىَّ بنَ أبى طالب كرم الله تعالى وجهه إلى طعام فقال : نأتيك على أن لاتتكلف لنا ماليس عندك

وقال الحُصين بن المنذر :

وَكلُّ خَفيفِ السَّاقِ يَسْعى مُشَمِّراً ... إذَا فتَح البَوَّابُ بابَكَ إصْبَعا
وَنَحْنُ الْجُلوسُ الْماكِثُونَ تَوَقُّراً ... حياءً إلى أنْ يُفْتَحَ الْبابُ أجْمعَا

وقال آخر :

وَنَفْسكَ أكْرِمْها فإنَّكَ إنْ تَهُنْ ... علَيْكَ فلَنْ تَلْقى لَها الدَّهْرَ مُكْرِما

اعتذر أبو عون إلى ابرهيم النَّخَعى (٢) فقال له : اسكت معذورا فإن الاعتذار يخالطه الكذب

---

(١) يقناه : يحفظه (٢) ابرهيم النخعى : هو ابرهيم بن يزيد النخعى ، يكنى أبا عمران ، كان من جلة التابعين ، وكان عالما ورعا وفيه مزاح . قيل حمل العلم عنه وهو ابن ثمان عشرة سنة ، ومات وهو ابن ست وأربعين سنة . قال أبوعون : كنت فى جنازة ابرهيم فما كان فيه إلا سبعة أنفس . وقال الأصمعى : مات ابرهيم سنة ٩٦ هـ ٧١٤ م

أبو عمرو الزعفرانى قال: كان عَمرو بن عُبيد عند حفص بن سالم فلم يسأله أحد من حَشمه فى ذلك اليوم شيئاً إلا قال: لا. فقال عَمرو: أقِلَّ من قول لا، فانه ليس فى الجنة قول لا، وإن رسول الله ﷺ كان إذا سُئل مالا يجد قال: يصنع الله.

قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: أكثروا لهُنَّ من قول: لا، فان قول: نعم يضْرِبْهن على المسألة

وإنما خص عمر رضى الله تعالى عنه بذلك النساء

﴿ كلمات لعلى بن ابى طالب فى الدنيا ﴾

وقال بعضهم: ذم رجل الدنيا عند على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال علىٌ: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنًى لمن تزود منها، ومهبط وحى الله، ومصلى ملائكته، ومسجد أنبيائه، ومتجر أوليائه ربحوا فيها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنة، فمن ذا الذى يذمها وقد آذنت بِبَينها ونادت بفراقها، وشبهت بسرورها السرور، وببلائها البلاء، ترغيباً وترهيباً، فيا أيها الذام للدنيا المعلل نفسه، متى خدعتك الدنيا؟ أم متى استذمت إليك؟ أبمصارع آبائك فى البِلَى أم بمضاجع أمهاتك فى الثرى؟ كم مَرَّضْت بيديكَ، وكم عللت بكفيك؟ تطلب له الشفاء، وتستوصف له الأطباء، غداة لا يغنى عنه دواؤك، ولا ينفعه بكاؤك

وقال عمر رضى الله تعالى عنه: مابال أحدكم ثانى وساده عند امرأة مُغَيَّبَةٍ؟ (١) إن المرأة لحم على وضم، إلا ماذب عنه

وقال بعضهم: مات ابنٌ لبعض العظماء فعزاه بعضهم فقال: عش أيها الملك العظيم سعيداً، ولا أراك الله بعد مصيبتك ماينسيكها.

ولما توفى مُعاوية جلس ابنه يزيد ودخل عليه عَطاء بن أبى صَيفى الثقفى فقال: ياأمير المؤمنين، أصبحت وقد رزئت خليفة الله، وأعطيت خِلافة الله، وقد

(١) المغيبة: هى المرأة التى غاب عنها زوجها

قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنوبه ، وقد أعطيت بعده الرئاسة ووليت السياسة ، فاحتسب عند الله أعظم الرزية ، وأشكره على أفضل العطية .

ولما توفى عبد الملك وجلس ابنه الوليد دخل عليه الناس وهم لا يدرون أيهنئونه أم يعزونه ، فأقبل غيلان بن مسلمة الثقفى فسلم عليه ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أصبحت قد رُزئت خير الآباء ، وسُميت خير الأسماء ، وأعطيت أعظم الأشياء ، فعظم الله لك على الرزية الصبر ، وأعطاك فى ذلك نوافل الأجر ، وأعانك على حسن الولاية والشكر . ثم قضى لعبد الملك بخير القضية ، وأنزله بأشرف المنازل المرضية ، وأعانك من بعده على الرعية . فقال له الوليد : من أنت ؟ فانتسب له . قال : فى كم أنت ؟ قال : فى مائة دينار . فألحقه بأهل الشرف

ولما توفى المنصور دخل ابن عُتبة مع الخطباء على المهدى فسلم . قال : آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبارك الله لأمير المؤمنين فيما خلفه له امير المؤمنين بعده ، فما مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين ، ولا عُقبى أفضل من وراثة مقام أمير المؤمنين ، فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية ، واحتسب عند الله أعظم الرزية

وكتب ميمون بن مَهران[1] إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يعزيه عن ابنه عبد الملك فكتب إليه عمر : كتبت إلى تعزينى عن ابنى عبد الملك ، وهذا أمر لم أزل أنتظره فلما وقع لم أنكره

وقال الشاعر[2] :

تَعَزَّيْتَ عنْ أوْفَى بِغَيْلَانَ بعْدَهُ ... عَزَاءً وَجَفْنُ الْعَيْنِ مِلآنُ مُتْرَعُ[3]

---

(١) ميمون بن مهران : كان هو وابنه عمرو بن ميمون على الرق فاعتقا ، وكان ميمون بزازاً ومع هذا فقد ولاه عمر بن عبد العزيز على خراج الجزيرة ، فكان ميمون يجلس في حانوته وهو يتولى الخراج . مات سنة ١١٧ هـ ٧٣٥ م

(٢) الشاعر : هو مسعود بن عقبة أخو ذى الرمة ، وهذا الشعر رثا به ذا الرمة

(٣) أوفى : هو أخو مسعود وذى الرمة . وغيلان : هو ذو الرمة الشاعر المشهور

ولم تُنْسِنِى أَوْفَى المُصِيبَاتُ بَعْدَهُ ولكنَّ نَكْأَ القَرْحِ بِالقَرْحِ أَوْجَعُ

وقيل : قدّم ما عندك ولا تدخر عنا ما عندك .

وقال آخر : كان شيخ يأتى ابنَ المُنْفع ، فألح عليه يسأله الغداء عنده ، وفى ذلك يقول : إنك تظن أنى أتكلف لك شيئاً ؟ لا والله ، لا أقدم إليك إلا ما عندى . قال : فلما أتاه إذا ليس فى منزله إلا كسرة يابسة وملح جَريش ، ووقف سائل بالباب فقال له : بورك فيك . فلما لم يذهب قال : والله لئن خرجت إليك لأدقن ساقيك . فقال ابنُ المقفع للسائل : إنك لو تعرف من صدق وعيده مثل ما أعرف من صدق وعده لم تُراده كلمة ولم تقف طرفة عين .

وكان يقال : أول العلم الصمت ، والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل به ، والخامس نشره

وكان يقال : لا وحشة أوحش من عجب ، ولا ظهير أعون من مَشورة ، ولا فقر أشد من عَدم العقل .

وقال مؤرق العجلى : ضاحك معترف بذنبه خير من الباكى المدل على ربه .

وقال : خير من العجب بالطاعة أن لا يأتى بطاعة

وقال شبيب لأبى جعفر : إن الله لم يجعل فوقك أحداً فلا تجعلن فوق شكرك شكراً .

وقال آخر لأبى جعفر فى أول رَكبة ركبها : إن الله قد رأى أن لا يجعل أحداً فوقك فرَ نفسك أهلا أن لا يكون أحد أطوع لله منك

وسفه رجل على ابن له فقال : والله لأنا أشبه بك منك بأبيك ، ولأنت أشد تحصيناً لأمى من أبيك لأمك .

وقال عمرو بن عبيد لأبى جعفر . إن الله قد وهب لك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها .

وقال الأحنف . ثلاث لا أناة فيهن عندى . قيل : وما هن يا أبا بحر ؟ قال : المبادرة بالعمل الصالح ، وإخراج ميتك ، وأن تُنكح الكفء أيِّمك . وكان

يقول: لأفعى تحكك فى ناحية بينى أحب إلىّ من أيم رددت عنها كفؤا . وكان يقال : ما بعد الصواب إلا الخطأ ، وما بعد منعهن من الاكفاء إلا بذلهن للسفلة والغوغاء .

وكان يقال : لا تطلبوا الحاجة الى ثلاثة : إلى كذوب فإنه يقربها وان كانت بعيدة ويباعدها وإن كانت قريبة ، ولا إلى الأحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك ، ولا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته .

وكان الأحنف يقول : لا مروءة لكذوب ، ولا سؤدد لبخيل ، ولا ورع لسيئ الخلق .

وقال الشعبى : عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فانه ينفعك ، واجتنب الكذب فى موضع ترى أنه ينفعك فانه يضرك .

وقالوا : لا تصرف حاجتك إلى من معيشته من رؤس المكاييل وألسنة الموازين .

وقالوا : انفرد الله عز وجل بالكمال ولم يبرئ أحداً من النقصان .

وقال عامر بن الظرب العَدوانى : يا معشر عَدوان ، إن الخير ألوف عزوف ، ولن يفارق صاحبه حتى يفارقه ، وإنى لم أكن حليما حتى اتبعت الحلماء ، ولم أكن سيدكم حتى تعبّدْت لكم .

وقال الأحنف : لأن ادعى من بعيد أحب إلىّ من أن أقصى من قريب .

وكان يقول : إياك وصدر المجلس وإن صدّرك صاحبه فإنه مجلس قُلعة .

وقال زياد : ما أتيت مجلساً قطّ إلا تركت منه ما لو أخذته كان لى ، وترك مالى أحب إلىّ من أخذ ما ليس لى

وقال الأحنف : ما كشفت أحداً عن حالى عنده إلا وجدتها دون ما كنت أظن

وأثنى رجل على علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فأفرط وكان علىّ له متهماً فقال : أنا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك

وكان يقال : خمس خصال تكون فى الجاهل : الغضب فى غير غضب ،

والكلام فى غير نفع ، والعطية فى غير موضع ، والثقة بكل أحد ، وأن لا يعرف صديقه من عدوه

وأثنى أعرابى على رجل فقال : إن خيرك لسريح ، وإن منعك لمُريح ، وإن رفدك لربيح

وقال سعيد بن سلم : كنت والياً بأرمينية فغبر أبو زهمان العلاثى على بابى أياماً ، فلما وصل إلىَّ مَثَل بين يدى قائما بين السماطين وقال : والله إنى لأعرف أقواماً لو علموا أن سفّ التراب يقيم من أود أصلابهم لجعلوه مُسكة لازماً فيهم إيثاراً للتنزُّه عن عيش رقيق الحواشى . أما والله إنى لبعيد الوثبة ، بطىء العطفة ، إنه والله ما يُثنينى عليك إلا مثل ما يصرفنى عنك ، ولأن أكون مُثِلاً مقرَّباً أحب إلىَّ من أن أكون مكثراً مُبعَداً . والله ما نسأل عملا لا نضبطه ، ولا مالا إلا نحن أكثر منه . وهذا الأمر الذى صار فى يديك كان فى يد غيرك فأمسوا والله حديثاً ، إن خيراً فخير وإن شرًّا فشر . فتحببْ إلى عباد الله بحسن البِشر ولين الجانب ، فإن حبَّ عباد الله موصول بحب الله ، وبغضهم موصول ببغض الله ، لأنهم شهداء الله على خلقه ، ورقباؤه على من اعوج عن سبيله .

ودخل عُتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام على خالد بن عبد الله القسرى[1] بعد حجاب شديد ، وكان عُتبة سخيًّا ، فقال خالد يُعَرِّض به : إن هاهنا رجالا يدانون فى أموالهم فإذا فَنيت ادانوا فى أعراضهم . فعلم عُتبة أنه يُعرض به فقال : أصلح الله الأمير ، إن رجالا من الرجال تكون أموالهم أكثر من مروآتهم فأولئك تبقى لهم أموالهم ، ورجالا تكون مروآتهم أكثر من أموالهم فإذا نفدت ادانوا على سَعَة ما عند الله . فخجل خالد وقال : إنك لمنهم ما علمت

(١) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلى ثم القسرى أحد ولاة بنى أمية على العراق ثم عزل وسلم إلى يوسف بن عمر الذى تولى بعده من قبل الوليد بن يزيد فعذبه حتى أماته . وكان ذلك فى سنة ١٢٦ هـ ٧٤٣ م

وقيل لعبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز : هلا أجبت أمير المؤمنين إذ سألك عن مالك ؟ قال : إنه إن استكثره حسدنى ، وإن استقله حقرنى .

أبو الحسن قال : وعظ عروة بنيه فقال : تعلموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين . ثم قال : الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، وإذا رأيتم من رجل خلة فاحذروه واعلموا أن عنده لها أخوات

وقال رجل لرجل : هب لى درهماً . قال : أتصغره ؟ لقد صغرت عظيما : الدرهم عُشر العَشرة ، والعَشرة عُشر المائة ، والمائة عُشر الألف ، والألف عُشر الدِّية .

قال الأصمعى : خرجت بالدَّارمى قُرحة فى جوفه ، فبزق بزقة خضراء ، فقيل له : قد بَرئت إذ بزقتها خضراء . قال : والله لو لم يبق فى الدنيا زُمردة خضراء إلا بزقتها ما نجوت

مر الوليد بن عبد الملك بمعلم صِبيان فرأى جارية فقال : ويلك ما لهذه الجارية ؟ قال : أعلمها القرآن . قال : فليكن الذى يعلمها أصغر منها

اسحق بن أيوب قال : هرب الوليد بن عبد الملك من الطاعون فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ، إن الله يقول : «لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلا قليلا » قال: ذلك القليل نريد

وهرب رجل من الطاعون إلى النجف أيام شُريح فكتب إليه : أما بعد فإن الفرار لن يُبعد أجلا ولن يُكثر رزقاً ، وإن المقام لن يقرب أجلا ولن يقلل الرزق ، وإن من بالنجف من ذى قدرة لقريب

ودخل على الوليد فتى من بنى مخزوم فقال له : زوجنى ابنتك . فقال : هل قرأت القرآن ؟ قال : لا . قال : أدنوه منى . فأدنوه فضرب عمامته بقضيب كان فى يده وقرع رأسه به قرعات ثم قال لرجل : ضمّه إليك فاذا قرأ زوجناه

ولما استعمل يزيدُ ابنَ أبى مسلم بعد الحجاج قال : أنا كمن سقط منه درهم فوجد ديناراً . وقال يزيد لابن أبى مسلم : قال أبى للحجاج : إنما أنت جلدة ما بين

عينيَّ . وأنا أقول : انك جلدة وجهى كله . ومع هذا إنه صعد المنبر فقال : على ابن أبى طالب لُص بن لُص ، صب عليه شؤبوب عذاب . فقال أعرابى كان تحت المنبر : مايقول أميركم هـذا ؟ وفى قوله لص بن لص أعجوبتان . إحداهما رميه على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه لِص ، والاخرى أنه بلغ من جهله مالم يجهله أحد ، أنه ضم اللام فى لص

بكر بن عبدالعزيز الدمشقى قال : سمعت الوليد بن عبدالملك على المنبر حين ولى الخلافة وهو يقول : إذا حدثتكم فكذبتكم فلا طاعة لى عليكم ، وإذا وعدتكم فأخلفتكم فلا طاعة لى عليكم ، وإذا أغربتكم فجمَّرتكم فلا طاعة لى عليكم . فيقول مثل هذا الكلام ثم يقول لأبيه : ياأمير المؤمنين أقتل أبى فُديك ؟ وقال مرة أخرى : ياغلام ، رد الفرسان الصادان عن الميدان .

وقال عبد الملك : أضرَّ بالوليد حبنا له فلم نوجهه إلى البادية .

ولحن الوليد على المنبر ، فقال النكروس : لا والله أن رأيته على هذه الاعواد قط فأمكننى أن أملأ عينى منه من كثرته فى عينى وجلالته ، فإذا لحن هذا اللحن الفاحش صار عندى كبعض أعوانه . وصلى يوما الغداة فقرأ السورة التى تذكر فيها الحاقة فقرأ . ياليتها كانت القاضية . فبلغت عمر بن عبد العزيز فقال : أما إنه إن كان قالها انه لاحد الاحدين

قالوا : وكان الوليد ومحمد ابنا عبد الملك لحانين ، ولم يكن فى ولده أفصح من هِشام ومَسلمة

وقال صاحب الحديث : أخبرنى أبى عن اسحق بن قبيصة قال : كانت كتب الوليد تأتينا ملحونة ، وكذلك كتب محمد ، فقلت لمولى لمحمد : ما بال كتبكم تأتينا ملحونة وأنتم أهل الخلافة ؟ فاخبره المولى بقولى ، فإذا كتاب قد ورد على : أما بعد فقد أخبرنى فلان بما قلت ، وما أحسبك تشك أن قريشاً أفصح من الاشعرين والسلام .

ومن بنى الصَريم : الصُدَىّ بن الخلق وفد به الحجاج على الوليد بن عبدالملك

فقال له : ممن أنت ؟ فقال له : من بنى صَريم . قال له : ما اسمك ؟ قال . الصدى ابن الخلق . قال : دعًا فى عنقه ، خارجى خبيث

هذا يدل على أن عامة بنى صريم كانوا خوارج . وكان منهم البُرك الصَريمى واسمه الحجاج الذى ضرب معاوية بالسيف ، وله حديث . والخزرج بن الصدى ابن الخلق كان خطيباً . وقال الشاعر فى بنى صَريم :

أُصَلِّى حَيْثُ تُدْرِكُنى صَلاَتى وَبِئْسَ الدِّينُ دِينُ بَنى صَرِيمِ
قِيَاماً يَطْعَنُونَ على مَعَدٍّ وكُلُّهُمُ على دِينِ الخَطِيمِ

والخطيم باهلى .

قال الاصمعى وأبو الحسن . دخل على الوليد بن عبد الملك شيخان فقال أحدهما : نجدك تملك عشرين سنة . وقال الآخر : كذبت بل نجدك تملك ستين سنة . فقال الوليد : ما الذى قال هذا لائط بصفرى ، ولا ما قال هذا يغرّ مثلى ، والله لأجمعن المال جمع من يعيش أبداً ، ولأفرّقنه تفريق من يموت غداً

وخطب الوليد فقال : إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : إن الحجاج جِلدة مابين عينى ، ألاَ وإنه جلدة وجهى كله

باب اللحن

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾

قال أبو عثمان عمرو بن بحر : حدثنا عثام أبو يحيى عن الاعمش عن عِمارة ابن عُمير قال : كان أبو مَعمر يحدثنا فيلحن يتبع ما سمع

أبو الحسن قال : أوفد زيادٌ عُبيدَ الله بنَ زيادٍ إلى معاوية فكتب إليه معاوية : إن ابنك كما وصفت ولكن قوّم من لسانه . وكانت فى عُبيد الله لُكنة

لانه كان نشأ بالأساورة مع أمه مُرجانة ، وكان زياد تزوجها من شيرويه الاسوارى ، وكان قال مرة : افتحوا سيوفكم . يريد : سُلُّوا سيوفكم. فقال يزيد بن مُفرغ :

وَيَوْمَ فَتَحْتَ سَيْفَكَ مِنْ بَعِيدٍ أَضَعْتَ وَكُلُّ أَمْرِكَ لِلضِّياعِ

ولما كلمه سُويد بن منجوف فى الهيثم بن ثور قال له : يا ابن البَظراء . فقال له سُويد : كذبت على نساء بنى سَدوس . قال : اجلس على أست الارض . قال سُويد : ما كنت أحسب أن للارض أستاً

قالوا : قال بشر بن مَروان — وعنده عمر بن عبد العزيز — لغلام له : ادع لى صالحا . فقال الغلام : ياصالحاً . فقال له بشر : ألق منها أَلِف . فقال له عمر : وأنت فزد فى ألفك ألِفا .

وزعم يزيد مولى عَون قال : كان رجل بالبصرة له جارية تسمَّى ظَمياء ، فكان إذا دعاها قال : ياضمياء . بالضاد فقال له ابن المقفع : قل ياظمياء . فناداها : ياضمياء . فلما غيَّر عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثا قال : هى جاريتى أو جاريتك ؟

قال نصر بن سيار : لاتسم غلامك إلا باسم يخف على لسانك .

وكان محمد بن الجهم ولى المكىَّ صاحب النظام موضعاً من مواضع كسكر ، وكان المكى لايحسن أن يسمى ذلك المكان ولا يتهجاه ولا يكتبه ، وكان اسم ذلك المكان « شانمثنا »

وقيل لأبى حنيفة : ماتقول فى رجل أخذ صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله أتُقيده به ؟ قال : لا ، ولو ضرب رأسه بأبا قبيس .

وقال يوسف بن خالد التيمى لعمرو بن عبيد : ماتقول فى دجاجة ذبحت من قفائها ؟ قال له عمرو : أحْسِن . قال : من قفاؤها . قال : أحسِن . قال : من قفائها . قال له : من عناك هذا ؟ قل : من قفاها واسترح . قال : وسمعت من يوسف بن خالد يقول : لا حتى يشِجه . بكسر الشين يريد حتى يشجه بضم الشين . وكان يوسف يقول : هذا أحمر من هذا . يريد هذا أشد حمُرة من هذا

وقال بشر المريسى : قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهنؤها .

فقال قاسم التمار : هذا على قوله :

إنَّ سُلَيْمَى واللهُ يَكلَؤُها ضَنَّتْ بِشَيْءٍ ما كانَ يَرْزُؤُها

فصار احتجاج قاسم أطيب من لحن بشر

وقال مسلم بن سلام : حدثنى أبانَ بن عثمان قال : كان زياد النَبَطى شديد اللُكنة وكان نحويا ، قال : وكان بخيلا ، دعا غلامه ثلاثا فلما أجابه قال : فمن لدن دَأَوتك فقلت لبى الى أن أجبتنى ما كنت تصنأ ؟ يريد من لدن دعوتك إلى أن أجبتنى ما كنت تصنع . قال : وكانت أم نُوح وبلال ابنى جرير أعجمية فقال لها: لاتتكلمى إذا كان عندنا رجال . فقالت يوما : يانوح جُرْدَان دخل فى عجان أمك. وكان الجرذ أكل من عجينها .

قال أبو الحسن : أهدى إلى قيل مولى زياد حمار وحش فقال لزياد : أهدوا لنا حمار وهش . قال : أى شىء تقول ويلك ؟ قال : أهـدوا لنا أبراً . يريد عَيراً ، قال زياد : الثانى شر من الاول

قال يحيى بن نوفل :

وإنْ يَكُ زَيْدٌ فَصِيحَ اللِّسانِ خَطِيباً فإنَّ اسْتَهُ تَلْحَنُ

عَلَيْكَ بِسُكٍّ وَرُمَّانَةٍ وَمِلْحٍ يُدَقُّ ولاَ يُطْحَنُ

وَحِلْتِيتِ كَرْمَانَ أوْ نانَخاهُ وشَمْعٍ يُسَخَّنُ فى مُدْهُنِ (١)

وهذا الشعر فى بعض معانيه يشبه قول ابن مناذر: (٢)

---

(١) حلتيت : هو مادة صمغية راتنجية تسيل من جذوع الانجزان متى تشققت ، ذات رائحة قوية وطعم مركريه ، تذوب في مح البيض . وفى شرح المواليد أنها من أشد مضادات التشنج ، ومنبهة للوظائف الهضمية ، ومدرة للطمث ، طاردة للديدان المعوية . نانخاه : بذور ذات رائحة طيبة مقبولة ، وهي مخرجة للرياح . وتسمى عند العامة : نخوة

(٢) ابن مناذر : هو محمد بن مناذر ، مولى بنى صبير بن يربوع ، يكنى أبا جعفر . كان شاعراً فصيحاً مقدماً فى العلم باللغة إما ما فيها حجة في روايتها ، أخذ عنه أكابر أهلهـا ، وكان في مبدأ أمره متنسكا متألها ، ثم خلع وفتك وهجا الناس وقذف

إذا أنتَ تعلّقتَ بحبلٍ منْ أبى الصلْتِ
تعلّقتَ بحبلٍ وا هِنِ القُوّةِ منبتِّ
فخذْ من سلح كيسانٍ ومنْ أظفار سبختِ (١)
ألمْ يبلغْكَ تسآلى لدَى العلاّمةِ البُرْتِ
وقالَ المَرْءُ ما سَرْجيـــس دَاه المَرْءِ منْ تحتِ (٢)

وقال البردخت (٣)

لقدْ كانَ فى عَيْنَيْكَ ياحفصُ شاغلٌ وأنفٍ كثيلِ العَوْدِ عمّا تتبّعُ (٤)
تُتَبّعُ لحنا فى كلامٍ مُرَقّشٍ وخلقُكَ مبنىٌّ على اللحنِ أجمعُ
وعَيْنُكَ إقْواءٌ وأنفُكَ مُكفأٌ ووَجهُكَ إيطاءٌ فأنتَ المُرَقعُ (٥)

وقال المَيْسانى فى هجائه أهل المدينة :

ولَحنُكُمُ بتقْصيرٍ ومَدّ وألأمُ مَنْ يَدُبُّ على العفارِ

على بن معاذ قال : كتبت إلى قمى كتابا فأجابنى ، فاذا عنوان الكتاب :

الأعراض ، ونفى من البصرة إلى الحجاز . وكان من جلساء سفيان بن عيينة . ولما ترك النسك والتأله وعظه المعتزلة ومنعوه دخول المسجد فنابذهم وطعن عليهم وهجاهم ، وكان يأخذ المداد فيطرحه في مطاهرهم بالليل فاذا توضأوا به سود وجوههم وثيابهم . توفي سنة ١٩٨ هـ ٨١٣ م

(١) سلح كيسان : في نسخة : شعر كيسان ، وما أثبتناه هو الأقرب إلى الصواب وهو رواية ثعلب . وكيسان هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوى . وسبخت : هو لقب لأبى عبيدة معمر بن المثنى الامام الراوية المشهور

(٢) ماسرجيس : هو ماسرجويه الطبيب البصرى المشهور ، كان سريانى اللغة يهودى النحلة ، وهو الذى تولى في أيام مروان بن الحكم تفسير كناش القس اهرن بن أعين إلى العربية ، ووجده عمر بن عبد العزيز فى خزائن الكتب فأخرجه وبثه في الناس .

(٣) البردخت ، في نسخة البردحت ، والذى أثبتناه هو الصواب . والبردخت هو على بن خالد الضبى أحد بنى السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة

(٤) كثيل العود : كقضيب البعير (٥) الاقواء : اختلاف إعراب القافية ، والاكفاء : اختلاف حروف القوافي ، والايطاء : تكرار القافية لفظاً ومعنى

إلى ذاك الذى كتب إلىّ . وقرأت على عنوان كتاب لأبى أميّة الشمرى : للموت أنا قبله . وكتب ابن المرادى إلى بعض ملوك بغداد : جُعلت فداك برحمته

وقال ابرهيم بن سيار : أنا لا أقول : متّ قبلك ، لأنى إذا متّ قبلك مات هو بعدى ، ولكن أقول: مت بدلك

وكتب عِقال بن شبة بن عِقال إلى زهير بن المسيب :

لِلامِيرِ المُسَيَّبِ بْنِ زُهَيْرٍ مِنْ عِقَالِ بْنِ شَبَّةَ بنِ عقَالِ

ولما كتب بشير بن عبيد الله على خاتمه : بشير بن عبيد الله بالرحمن لا يشرك . قرأه أبوه على خاتمه قال : هذا أقبح من الشرك .

وقال عبد الملك بن مروان : اللحن هُجنة على الشريف ، والعُجب آفة الرأى . وكان يقال : اللحن فى المنطق أقبح من آثار الجُدرى فى الوجه .

وقال يحيى بن نوفل فى خالد بن عبد الله القسرى :

وَأَلْحَنُ النَّاسِ كلِّ النَّاسِ قاطِبَةً وكانَ يُولَعُ بالتَّشْدِيقِ فِي الخُطَبِ

وزعم المدائنى أن خالد بن عبد الله ـ وكان يولع بالتشديق ـ قال . إن كنتم رجبيون فإنا رمضانيون

ولولا أن تلك العجائب قد صحت على الوليد ما جوزت هذا على خالد

قال : وكتب الحصين بن الحر كتابا الى عمر فلحن فى حرفٍ فيه ، فكتب إليه عمر أن قَنِع كاتبك سوطاً

وبلغنى عن كثير بن أحمد بن زهير بن سيار أنه كان ينشد بيت أبى دلف.

أَلْبِسِنى الدِّرْعَ قدْ طا لَ عَنِ الحَرْبِ جِمَاحى

فسألته عن ذلك فحلف أنه إنما قال :

أَلْبِسِنى الدِّرْعَ قدْ طا لَ عنِ الحَرْبِ جِمَاصى

قال الله تبارك وتعالى « ولَتَعْرِفَنَّهُمْ فى لَحْنِ القَوْلِ » فاللحن فى ذلك الموضع غير اللحن فى ذلك الموضع .

وكان سليمان بن عبد الملك يقول : المُغيرة بنُ عبد الرحمن بن الحارث يُفخم

اللحن كما يفخم نافع بن جُبير الاعراب

وقال الشاعر فى نحو ذلك :

لَعَمْرِى لَقَدْ قَعَّبْتَ حِينَ لَقِيتَنَا وأَنْتَ بِتَقْعِيبِ الْكَلَامِ جَدِيرُ (١)

وقال خلف الاحمر :

وَفَرْقَعْنَ بِتَقْعِيبِهِ كَفَرْقَعَةِ الرَّعْدِ بَيْنَ السَّحَابِ

وقال المَيْسَانِى :

ولَحْنِكُمُ بِتَقْعِيبٍ ومَدٍّ وَأَلْأَمُ مَنْ يَدُبُّ على العَفَارِ

وقال الاصمعى : خاصم عيسى بن عمر (٢) النحوى الثقفى رجلا إلى بلال بن أبى بردة ، فجعل عيسى يُشبع الاعراب وجعل الرجل ينظر إليه ، فقال له بلال : لأن يذهب بعض حق هذا أحب إليه من ترك الاعراب ، فلا تتشاغل به واقصد بحجتك .

وقدّم رجل من النحويين رجلا إلى السلطان فى دَين له عليه فقال : أصلح الله الامير، لى عليه درهمان . قال خصمه : لا والله أيها الامير ، إن هى إلا ثلاثة دراهم ، لكنه لظهور الاعراب ترك من حقه درهما .

قال : خاصم رجل إلى الشعبى أو إلى شُريح رجلا فقال : إن هذا باعنى غلاما فصيحاً صبيحاً ، قال : هذا محمد بن عمر بن عطارد بن حاجب بن زرارة

قال ، مرّ ماسرجويه الطبيب بجد معاذ بن سعيد بن حميد الحميرى فقال : يا ماسرجويه إنى أجد فى حلقى بححا ، قال : انه عملُ بلغمٍ ، فلما جاوزه قال : أنا أحسن أن أقول بلغمٌ ، ولكنه كلمنى بالعربية فكلمته بالعربية

(١) التقعيب : أن تتكلم من أقصى فمك حتى كأنه قعب .

(٢) عيسى بن عمر الثقفى ، كان مولى خالد بن الوليد ، ثم نزل في ثقيف فنسب اليهم ، إمام في النحو والعربية والقراءة ، أخذ عن أبى عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبى اسحق ، وروى عن الحسن البصرى والعجاج وغيرهما ، وعنه روى الأصمعى وغيره . قيل كان له نيف وسبعون مصنفاً ذهبت كلها . وكان يتقعر في كلامه . مات سنة ١٥٠ هـ ٧٦٧ م

وروى أبو الحسن أن الحجاج كان يقرأ : إنا من المجرمون المنتقمون . وقد زعم رُؤبة بن العجاج وأبو عمرو بن العلاء أنهما لم يريا قَرَوِيين أفصح من الحسن والحجاج . وغلط الحسن فى حرفين من القرآن مثل قوله : ص والقرآن . والحرف الآخر : وماتنزلت به الشياطون

أبو الحسن قال : كان سابق الأعمى يقول : الخالق البارئ المصوِّر. فكان ابن جابان إذا لقيه قال : يا سابق ، ما فعل الحرف الذى تشرك بالله فيه ؟ قال : وقرأ : ولا تَنكِحُوا المُشْرِكين حتى يُؤْمِنُونَ . وقال ابن جابان : وإن آمنوا أيضاً لم ننكحهم

وقال مسلمة بن عبد الملك : إنى لأحب أن أسأل هذا الشيخ ، يعنى عمرو ابن مسلم ، فما يمنعنى منه إلا لحنه

قال: وكان أيوب السختيانى يقول : تعلموا النحو ، فإنه جمال للوضيع،وتركه هُجنة للشريف

وقال عمر : تعلموا النحو كما تَعلّمون السنن والفرائض

قال رجل للحسن : يا أبى سعيد . فقال: كسب الدوانيق شغلك عن أن تقول يا أبا سعيد ؟

قالوا : وأول لحن سُمع بالبادية : هذه عصاتى . وأول لحن سُمع بالعراق : حىٌّ على الفلاح

﴿ باب من لحن البلغاء ﴾

ومن اللحانين البلغاء خالد بن عبد الله القَسْرِى ، وخالد بنُ صَفوان الأهتمى ، وعيسى بن المدور .

وقال بعض النساك : أعربنا فى كلامنا فما نلحن حرفاً ، ولحنّا فى أعمالنا فما نعرب حرفا

أخبرنا الربيع بن عبد الرحمن السلمى قال : قلت لأعرابى : أتهمز إسرائيل ؟

قال: إنى إذاً لرجل سوء . قلت : فتجر فِلسطين ؟ قال: إنى إذاً لقوى

وكان هُشيم [١] يقول : حدثنا يَوْنِسْ عن الحسن. يقولها بفتح الياه وكسر النون

وكان عبد الأعلى بن الله السلمى [٢] يقول : فأخذِه فصرعهِ فذبحهِ فأكلهِ. بكسر هذا أجمع

وكان مهـدى بن مهلهل يقول : حدثنا هشام . مجزومة ، ثم يقول : ابنْ . ويجزمه ، ثم يقول : حسانْ . ويجزمه . لأنه حين لم يكن نحويًا رأى أن السلامة فى الوقف [٣]

وأما « خالد بن الحارث » و « بشر بن المفضل » الفقيهان فانهما كانا لا يلحنان

وممن كان لا يلحن ألبتة حتى كأن لسانه لسان أعرابى فصيح « أبو زيد » النحوى و « أبو سعيد » المعلم

قال خلف : قلت لاعرابى : ألقى عليك بيتاً ساكناً ؟ قال : على نفسك فألقه

وقال أبو الفضل العنبرى لعـلى بن بشير ، إنى التقطت كتاباً من الطريق فأنبئت أن فيه شعراً ، أفتريده حتى آتيك به ؟ قال : نعم إن كان مُقيداً . قال : والله ما أدرى أمقيدٌ هو أم مغلول

الاصمعى قال : قيل لاعرابى : أتهمز الرمح ؟ قال : نعم . قيـل له : فقلها مهموزة . فقالها مهموزة . قال : أتهمز التُّرس ؟ قال : نعم . فلم يدع سيفاً ولا ترساً إلا همزه . فقال له أخوه ـ وهو يهزأ به ـ دعوا أخى فانه يهمز السلاح أجمع

وقال بعضهم : أرتفع إلى زياد رجل وأخوه فى ميراث ، فقال : إن أبو نامات وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله . فقال زياد : الذى أضعت من لسانك ، أضرُّ عليك مما أضعت من مالك . وأما القاضى فقال : فلا رحم الله أبك ، ولا

---

(١) هشيم : هو هشيم بن بشير ، مولى بنى سليم ، يكنى أبا معاوية ، كان من المحدثين البلغاء ولد سنة ١٠٥ هـ ٧٢٣ م وتوفى سـنة ١٨٣ هـ ٧٩٩ م (٢) فى الأصل : عبد الأعلى بن الأعلى السلمى . ولم أعرف له مسمى ، ولعل الصواب ما أثبتناه

(٣) قلت : كان قاسم بك أمين رحمه الله يرى هذا الرأى ويستحسنه . . . ؟

تنح عظم أخيك ، قم فى لعنة الله . وقال أبو شيبة قاضى واسط : آتيتمونا بعد أن أردنا أن نقم ؟

قد ذكرنا فى صدر هذا الكتاب من الجزء الاول ، وفى بعض الجزء الثانى ، كلاما من كلام العقلاء البلغاء ، ومذاهب من مذاهب الحكماء والعلماء . وقد روينا نوادر من كلام الصبيان والمحرمين من الاعراب ، ونوادر كثيرة من كلام المجانين وأهل المرة [١] من الموسوسين ، ومن كلام أهل الغفلة من النوكى وأصحاب التكلف من الحمق ، فجعلنا بعضها فى باب الهزل والفكاهة ، ولكل جنس من هذا موضع يصلح له ، ولا بد لمن استكده الجد من الاستراحة إلى بعض الهزل

قال أبو عبيدة : أرسل ابن لعجل بن لجيم فرساً له فى حلبة فجاء سابقا ، فقال لأبيه : يا أبت بأى شىء أسميه ؟ فقال : إفقأ إحدى عينيه وسمه الأعور

وشعراء مضر يحمقون رجال الأزد ويستخفون أحلامهم [٢] قال عمر بن لجأ :

تَصْطَكُّ ألْحَيْها عَلى دِلاَئِها ... تلاَطُمَ الأزْدِ على عَطَائِها [٣]

وقال بشار :

وكانَّ غَلْىَ دِنَانِهِمْ فِى دُورِهِمْ ... لَغَطُ العُتَيكِ على خِوَانِ زِيَادِ [٤]

وقال الراجز :

لَبَّيْكَ بى أرْفُلُ فى بِجَادِى ... حازِمُ حَتْوَىَّ وَصَدْرِى بادِى
أُفَرِّجُ الظَّلْمَاءَ عَنْ سَوَادِى ... أقْوَى لِشَوْلٍ بَكَّرَتْ صَوَادِ
كأنَّمـا أصْوَاتُها بالْوَادِى ... أصْوَاتُ حَجٍّ عَنْ عُمَانَ غَادِ [٥]

وقال الآخر :

وإذَا سَمِعْتَ هَدِيلَهُنَّ حَسِبْتَهُ ... لَغَطَ المَعاوِلِ فى بُيُوتِ هدَاد

---

(١) وفي نسخة أهل المره ، والصواب ما أثبتناه . وأهل المرة يعنى المغرورين الموسوسين (٢) في الاصل : أخلاقهم . والصواب ما أثبتناه (٣) تصطك : تضطرب .

(٤) العتيك : هم الازد أو فخذ منهم ، وهم قوم المهلب بن أبى صفرة

(٥) عمان : بلد باليمن ، والمراد بها هنا الأزد لأنهم كانوا يسمون ازد عمان أيضاً

وبسبب هذا يدخلون فى هذا المعنى قبائل اليمانية . وقال ابن أحمر :

إخالُها سَمِعَتْ عَزْفاً فَتَحْسَبُهُ ... إهابَةَ الْقَسْرِ لَيْلاً حينَ تَنْتَشِرُ (١)

وقال الكُميت :

كأنَّ الْغَطامِطَ منْ غَلْيِها ... أَراجيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفارا (٢)

فجعل الاراجيز التي شبهها فى لغطها والتفافها بصوت غليان القدر لأسلم دون غفار

﴿ باب النوكى والمجانين ﴾

قالوا : ومن النوكى « مالك بن زيد مناة » بن تميم ، الذى لما دخل على امرأته فرأت مارأت به من الجفاء والجهل وجلس فى ناحية منقبضا مشتملا قالت : ضع عُلبتك . قال : يدى أحفظ لها . قالت : فاخلع نعليك . قال : رجلاى أحفظ لها . قالت : فضع شملتك . قال : ظهرى أولى بها . فلما رأت ذلك قامت فجلست إلى جانبه فلما شم ريح الطيب وثب عليها

ومن المجانين والموسوسين والنوكى « ابن فِنان » و « صباح الموسوس » و « ريسموس اليونانى » و « أبوحية النميرى » و « أبو يَس الحاسب » و « جُعيفران الشاعر » و « جرنفش » ومنهم « سارية الليل » ومنهم « ريطة بنت كعب » بن سعد بن تميم بن مرة ، وهى التى نقضت غزلها أنكاثاً فضرب الله تبارك وتعالى بها

(١) إهابة القسر : نداء القسر . والقسر قبيلة يمانية ينسب إليها خالد بن عبد الله القسرى

(٢) لهذا البيت حكاية طريفة نرى ايرادها هنا لما فيها من النقد : اجتمع نصيب والكميت . فاستنشد النصيب الكميت فأنشده قصيدته التى أولها « أبت هذه النفس إلا ادكارا » فلما بلغ إلى قوله :

إذا ما الهجارس غنينها ... يجاوبن بالفلوات الوبارا

فقال له نصيب : الفلوات لا تسكنها الوبار . فلما بلغ إلى قوله :

كأن الغطامط من غليها ... أراجيز أسلم تهجو غفارا

قال له نصيب : ماهجت أسلم غفاراً قط . فاستحيى الكميت وسكت . لأنهما من قبيلة واحدة

المثل وهى التى قيل لها : خرقاء وجدت صوفا . ومنهم « دُغة » و « جَهيزة » و « شَولة » و « وذراعة المعدية » . ولكل واحد من هؤلاء قصة سنذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى

فأما « ريسموس » فكان من موسومى اليونانيين . قال له قائل : مابال ريسموس يعلم الناس الشعر ولا يستطيع قوله ؟ قال : مثله مثل المسن الذى يشحذ ولا يقطع . ورآه رجل يأكل فى السوق فقال : مابال ريسموس يأكل فى السوق ؟ قال : إذا جاع فى السوق أكل فى السوق . وألح عليه بالشتيمة رجل وهو ساكت فقيل له : يشتمك مثل هذا وأنت ساكت ؟ قال : أرأيت إن نبحك كلب أتنبحه ؟ أو رمحك حمار أترمحه ؟ وكان إذا خرج فى الفجر يريد الفرات ألقى فى دوّارة بابه حجرا حتى لا يعانى دفع بابه إذا رجع . وكان كلما رجع إلى بابه وجد الحجر مرفوعا والباب مُنصفقا فعلم أن أحداً يأخذ الحجر من مكانه ، فكمن لصاحبه يوماً فلما رآه قد أخذ الحجر قال : مالك تأخذ ماليس لك ؟ قال : لم أعلم أنه لك . قال : فقد علمت أنه ليس لك !

أما « جُعيفران » الموسوس الشاعر فشهدت رجلا أعطاه درهما وقال : قل شعراً على الجيم . فأنشأ يقول :

عادَنِى الْهَمُّ فاعْتَلَجْ ... كلُّ هَمٍّ إلى فرَجْ
سَلَّ عَنْكَ الْهُمُومَ بالـ ... ـكأسِ والرَّاحِ تَنْفَرِجْ

وهى أبيات . وكان يتشيع ، قال له قائل ، أتشتم فاطمة وتأخذ درهماً ؟ قال : لا ، بل أشتم عائشة وآخذ نصف درهم . وهو الذى يقول :

مَا جَعْفَرٌ لِأَبِيهِ ... وَلَا لَهُ بِشَبِيهِ
أَضْحَى لِقَوْمٍ كُثَيِّرٍ ... فَكُلُّهُمْ يَدَّعِيهِ
هَذَا يَقُولُ بُنَيَّ ... وَذَا يُخَاصِمُ فِيهِ
وَالْأُمُّ تَضْحَكُ مِنْهُمْ ... لِعِلْمِهَا بِأَبِيهِ

وهو الذى يقول فى قوم لاطة :

كَأَنَّهُمْ وَالأَيُورُ عَامِدَةٌ صيَاقِلٌ فى جلاَيَةِ النَّصْلِ

وأما « أبو يَس » الحاسب فإن عقله ذهب بسبب تفكره فى مسألة ، فلما جُن كان يهذى أنه سيصير ملكا ، وقد ألهم ما يحدث فى الدنيا من الملاحم . وكان أبو نواس والرَّقاشى يقولان على لسانه أشعاراً على مذاهب أشعار ابن عقب الليثى ويرويانها أبا يَس إذا حفظها لم يشك أنه هو الذى قالها . فمن تلك الأشعار قول أبى نواس :

مَنَعَ النَّوْمَ ادِّكَارِي زَمَناً ذَا تَهاوِيل وَأَشْياء نُكُرْ
وَاعْتِرَاكُ الرُّومِ فِى مَعْمَعَةٍ لَيْسَ فيهَا لِجَبَانٍ مِنْ مقَرْ
كائِنَاتٌ لَيسَ عنها مَذْهَبٌ خطَّهَا يُوشَعُ فى كُتْبِ الزُّبُرْ
وَعَلاَمَاتٌ سَتَأْتِى قبلَهُ جَمَّةٌ أَوَّلُها سَكْرُ النَّهَرْ
وَيَلِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ هَاشِمٍ أَقْنَصُ النَّاسِ جَمِيعاً لِلْحُمُرْ
يَبْتَنِى فى الصَّحْنِ مِنْ مَسْجِدِهِم لِلْمُصَلِّينَ مِنَ الشَّمْسِ سُتُرْ
وَرَجَاءٌ يَبْتَنِى مَطْهَرَةً ضَخْمَةً فِى وَسْطِهَا طَشْتٌ صُفُرْ
فَهُنَاكُمْ حِينَ يَفْشُو أَمْرُكُمْ وهُنَاكُمْ يَنْزِلُ الأَمْرُ النُّكُرْ
فَاتْبَعُوهُ حَيْثُ مَا سَارَ بِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَإِنْ طَالَ السَّفَرْ
وَدَعُوا بِاللهِ أَنْ تَهْزُوا بِهِ لَعَنَ الرَّحْمَنُ مَنْ مِنْهُ سَخَرْ

والبصريون يزعمون أن أبا يَس كان أحسب الناس

أما « أبو حية النميرى » فإنه أجن من جعيفران ، وكان أشعر الناس وهو الذى يقول :

أَلاَ حَيِّ أَطْلاَلَ الرُّسُومِ الْبَوَالِيا لَبِسْنَ الْبِلَى مِمَّا لَبِسْنَ اللَّيَالِيَا

وهو الذى يقول :

فَأَلْقَتْ قِنَاعاً دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفٍّ وَمِعْصَمِ

وحدثنى أبو المنجوف قال : قال أبو حية : عنَّ لى ظبى فرميته ، فراغ عن سهمى ، فعارضه والله السهم ، ثم راغ فراوغه حتى صرعه ببعض الجنارات .

وقال : والله رميت ظبية فلما نفذ السهم ذكرت بالظبية حبيبة لى فشددت وراء السهم حتى قبصت على قُذذه وكان يكلم العُمار ويخبر عن معاوضته للجن

وأما « جرنفش » فانه لما خلع الفرزدق لجام بغلته وأدنى رأسها من الماء قال له جرنفش : نح بغلتك حلق الله ساقيك . قال : ولم عافاك الله ؟ قال : لأنك كذوب المخبرة ، زانى السكرة . قال ابو الحسن : وبلغنى أن الفرزدق لما أن قال له الجرنفش ماقال نادى : يابنى سدوس. فلما اجتمعوا إليه قال : سوّدوا الجرنفش عليكم فانى لم أر فيكم أعقل منه .

ومن مجانين الكوفة « عينادة » و « طاق البصل » . حدثنى صديق لى قال : قلت لعينادة : أيما أجن ، أنت أو طاق البصل ؟ قال : أنا شىء وطاق البصل شىء

ومن مجانين الكوفة « بهلول » وكان يتشيع ، قال له اسحق بن الصباح : أكثر الله فى الشيعة مثلك . قال : بل أكثر الله فى المرجئة مثلى ، وأكثر فى الشيعة مثلك . وكان جيد القفاء فربما مر به من يحب العبث فيقفذه ، فحشا قفاه خرءاً وجلس على قارعة الطريق ، فكلما قفذه إنسان تركه حتى يجوز ثم يصيح به : يافتى شم يدك . فلم يعد بعده أحد يقفذه . وكان يغنّي بقيراط ، ويسكت بدانق . وكانت بالكوفة امرأة رعناء يقال لها « مُجيبة » فقفذ بهلولا فتى كانت مجيبة أرضعته ، فقال له بهلول : كيف لاتكون أرعن وقد أرضعتك مجيبة ، فوالله لقد كانت تزق لى الفرخ فأرى الرعونة فى طيرانه

حدثنى حجر بن عبدالجبار قال : مر « موسى بن أبى ردقاء » فناداه « صباح » الموسوس : يابن أبى الردقاء ، أسمنت برذونك وأهزلت دينك ، أما والله إن أمامك لعقبة لايجوزها إلا المخف . فحبس موسى برذونه وقال : من هذا ؟ فقيل له : هذا صباح الموسوس . فقال : ماهو بموسوس ، هذا نذير

قال أبو الحسن : دعا بعض السلاطين مجنونين ليحركهما فيضحك مما يجىء منهما ، فلما أسمعاه وأسمعهما غضب ودعا بالسيف ، فقال أحدهما لصاحبه : كنا مجنونين فصرنا ثلاثة

وقال عمر بن عثمان ، شيعت عبد العزيز بن عبد الملك المخزومى وهو قاضى مكة إلى منزله،وبباب المسجد مجنونة تصفق وهى تقول :

أَرَّقَ عَيْنِى طراطِرُ القاضِى هذَا المُقِيمُ لَيْسَ ذَاكَ الْماضِى

فقال : ياأبا حفص ، أتراها تعنى قاضى مكة ؟

وتذاكروا اللثغ فقال قوم : أحسن اللثغ ما كان على السين ، وهو أن يصير ثاء . وقال آخرون : على الراء ، وهو أن يصير غينا . فقال « مجنون البكرات » أنا أيضا، ألثغ إذا أردت أن أقول شرائط قلت رشيط

وبعث عبيد الله بن مَروان عم الوليد إلى الوليد بقطيفة حمراء فكتب إليه الوليد : قد وصلت إلىّ القطيفة،وأنت ياعم أحمق أحمق

وقال محمد بن بلال لوكيله زيد : اشتر طيبا سيرافيا . قال : تريده سِيرافى أو سَيْرافى سِيَرافى؟

وقال محمد بن الجهم للمكى : أراك مستبصرا فى اعتقاد الجزء الذى لا يتجزأ ، فينبغى أن يكون عندك حقاحقا . قال : أما أن يكون عندى حقا حقا فلا،ولكنه عندى حق

ودخل أبوطالب صاحب الطعام على «هاشمية» جارية حمدونة بنت الرشيد — على أن يشترى طعاما من طعامها فى بعض البيادر — فقال لها ، إنى قد رأيت متاعك . قالت هاشمية : قل طعامك . قال : وقد أدخلت يدى فيه فاذا متاعك قد خم وحمى وصار مثل الجيفة . قالت : يا أبا طالب ألست قد قبلت الشعير ؟ فاعطنا ماشئت وإن وجدته فاسداً . ودخل أبو طالب على المأمون فقال : كان أبوك يابا خيرٌ لنا منك ، وأنت يابا ليس تعدنا وليس تبعث إلينا ، ونحن يابا تجارك وجيرانك . والمأمون فى كل ذلك يتبسم

قيل للمُثَنَّى بن يزيد بن عمر بن هبيرة وهو على اليمامة : إن هاهنا مجنونا له نوادر ، فانوه به ، فقال : ماهجاء النشاش ؟ قال : الفلج الهادى . فغضب ابن هبيرة وقال : ماجئتمونى به إلا عمدا ، ماهذا بمجنون !

والنشاش يوم كان لقيس على حنيفة ، والفلج يوم كان لحنيفة على قيس .

وأنشدوا :

تَرَى القَوْمَ أسْوَاءً إذا حُسِبُوا مَعاً ... وفى القَوْمِ زَيْفٌ مِثْلُ زَيْفِ الدَّرَاهِمِ

وقال :

فَتًى زَادَهُ عِزُّ المَهَابَةِ ذِلَّةً ... وكل عَزِيزٍ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعُ

وقال :

قَدْ يَنْفَعُ الأدَبُ الاحْدَاثَ فى مَهَلٍ ... وَلَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدَ الْكِبْرَةِ الأَدَبُ

إنَّ الْغُصُونَ إذا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْ ... وانْ تَلِينَ إذا قَوَّمْتَهَا الخشبُ

(باب فى العى)

قال جعفر بن أخت واصل : كتب رجل إلى صديق له : بلغنى أن فى بستانك آساً يعجبنى ، فهب لى منه أمراً من أمر الله عظيم

وقال أبو عبد الملك — وهو الذى كان يقال له عناق — كان عَيَاش وثُمامة حى كان يعظمنى تعظيما ليس فى الدنيا مثله ، فلما مات ثمامة صار ليس يعظمنى تعظيما ليس فى الدنيا مثله . وقال له عياش بن القاسم : بأى شىء تزعمون أن أبا على الأسوارى أفضل من سلام أبى المنذر ؟ قال : لأنه لما مات سلام أبو المنذر ذهب أبو على فى جنازته ، فلما مات أبو على لم يذهب سلام فى جنازته . وكان يقول : فيك عشر خصال من الشر ، أما الثانية والرابعة كذا ، وأما السابعة كذا ، وأما العاشرة كذا

قال: قلنا للقَعْقَاعى : كيف ثناؤك على حمدان بن حبيب ؟ قال : هو والله عندى الكذا الكذا

وقال الخرداذى : آجرك الله وعظم أجركم وآجركم . فقيل له فى ذلك فقال : هذا كما قال عثمان بن الحكم : بارك الله لكم وبارك الله عليكم وبارك الله فيكم . قالوا له : ويلك إن هذا لا يشبه ذلك . وكتب إلى بعض الأمراء : أبقاك الله وأطال بقاءك ومد فى عمرك

وكان أبو إدريس السمان يقول : وأنت فلاصبحك الله إلا بالخير . ويقول : وأنت فلا حيا الله وجهك إلا بالسلام ، وأنتم فلا بيتكم الله إلا بالخير

ومرّ ابن أبي علقمة فصاح به الصبيان فهرب منهم وتلقاه شيخ وعليه ضفيرتان فقال له : ياذا القرنين ، إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض

وقال المهلب لرجل من بنى ملكان أحد بنى عدى : متى أنت ؟ قال : أيام « عُتيبة بن الحارث بن شهاب » وأقبل على رجل من الأزد فقال له ، متى أنت ؟ قال : أكلت من حبوة رسول الله ﷺ عامين . قال : أطعمك الله لحمك . وأنشد المُعَيْطِيُّ

وأنْزَلَنى طُولُ النوَى دَارَ غُرْبَةٍ ... إذا شِئْتُ لاقَيْتُ الَّذِى لا أُشاكِلُهُ
فَحامَقْتُهُ حتى يُقالَ سَجِيَّةٌ ... ولوْ كانَ ذا عَقْلٍ لكُنْتُ أُعاقِلُهُ

وخطب عتّاب بنُ ورقاء (١) فحث على الجهاد . فقال : هذا كما قال الله تعالى :

كُتِبَ الْقتْلُ والْقِتالُ عَلينا ... وَعلى الْغانِيَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ

وخطب والى اليمامة فقال : إن الله لا يقارّ عباده على المعاصى ، وقد أهلك الله أمةً عظيمة فى ناقة ما كانت تساوى مائتى درهم . فسمى « مقوّم ناقة الله »

وهؤلاء من الجفاة والأعراب المحرمين وأصحاب العجرفية ومَن قل فقهه فى الدين إذا خطبوا على المنابر فكأنهم فى طباع أولئك المجانين

وخطب وكيع بن أبى سود (٢) بخراسان فقال : إن الله خلق السموات

---

(١) عتاب بن ورقاء : هو عتاب بن ورقاء الرياحى ، كان يكنى أبا ورقاء ، قائد من قواد الدولة الأموية ، وكان من الشجعان الأجواد . وكان له بلاء حسن في فتنة الفرخان صاحب الرى حينما ارتد فقاتله حتى ظفر به وفتح الرى ، وولى أصبهان أيام فتنة عبد الله بن الزبير ، ووجهه الحجاج على جيش أهل الكوفة لقتال الازارقة ، وولى المدائن ونواحيها فبيته شبيب بن يزيد الشيبانى فتفرق عنه جيشه وخر صريعاً في المعركة ، وذلك في سنة ٧٧ هـ ٦٩٦ م (٢) وكيع بن أبى سود : هو وكيع بن حسان بن قيس بن أبى سود التميمى ، ويقال له ابن الدورقية ، كان يكنى أبا مطرف ، وكان سيد تميم ، افترض مع سلم بن زياد فجعل مكتبه بسجستان ، وولى عبدالعزيز بن عبد الله

والأرض ، فى ستة أشهر . فقيل له : إنها ستة أيام ! قال : وأبيك لقد قلتها وإنى لأستقلها . وصعد المنبر فقال : إن ربيعة لم تزل غِضاباً على الله مذ بعث نبيه من مضر ، ألا وإن ربيعة قوم كُشف ، فإذا رأيتموهم فاطعنوا الخيل فى مناخرها ، فإن فرساً لم يطعن فى منخره إلا كان أشد على فارسه من عدوه

وضربت بنو مازن الحتات بن يزيد المجاشعى فجاءت جماعة منهم فيهم غالب أبو الفرزدق فقال : يا قوم كونوا كما قال الله : لا يعجز القوم إذا تعاونوا

وتزعم بنو تميم أن صبرة بن شيمان قال فى حرب مسعود والأحنف : إن جاء حنات جئت ، وإن جاء الأحنف جئت ، وإن جاء حارثة جئت ، وإن جاؤا جئنا ، وإن لم يجيئوا لم نجئ . وهذا باطل ، وقد سمعنا لصبرة كلاماً لا ينبغى أن يكون صاحب ذلك الكلام يقول هذا الكلام

ولما سمع الأحنف فتيان بنى تميم يضحكون من قول العرندس :

لَحَا اللهُ قَوْماً شَوَّهُوا جارهم ... إذِ الشَّاةُ بالدِّرْهَمَيْنِ الشُّصُبْ

أرَى كلَّ قَوْمٍ رَعَوْا جارَهُمْ ... وجارُ تَمِيمٍ دُخانٌ ذَهَبْ

قال : أتضحكون ؟ أما والله إن فيه لمعنى سوء

وكان قبيصة يقول : رأيت غرفة فوق البيت . ورأى جراداً يطير فقال :

ابن عامر سجستان فغضب على وكيع فى بعض الأمر فقبض عليه وحبسه ، فبيناهو فى حبسه مر به ابن لعبد العزيز مع ظئر له فدعا به فأمسكه ثم دعا بسكين وقال : والله لأذبحنه أو لتخلين عنى . فبلغ ذلك عبد العزيز فجاءه فقال : خل عنه ونؤمنك . فقال : لا والله حتى يجيء عشرة من بنى تميم فتضمن لهم ثم يكونون هم الذين يطلقون عنى . ففعل ذلك . ثم تحول وكيع إلى خراسان فكان رأسا . فكتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم يأمره بقتله ، وكان وكيع قد أبلى مع قتيبة فى مغازيه ويوم الترك خاصة بلاء حسناً ، فما كان من قتيبة إلا أن عزله عن الرياسة ، فلما ولى الوليد بن عبد الملك وخلع قتيبة وسار بالناس نحو فرغانة بايع الناس وكيعا فقتل قتيبة وبعث برأسه إلى سليمان بن عبد الملك ، وظل وكيع غالباً على خراسان تسعة أشهر الى أن تولاها يزيد بن المهلب فقتله سنة ٩٨ هـ ٧١٦ م

لا يهولنكم ما ترون ، فإن عامتها موتى . وأنه أول ما جاء الجراد قبّل جرادة ووضعها على عينيه على أنها من الباكورة

وهذه الأشياء وَلَّدها « الهَيْثم بنُ عدى » عند صنيع « داود بن يزيد » فى أمر تلك المرأة ما صنع

قال أبو الحسن : وتغدى « أبو السرايا » عند سليمان بن عبد الملك ، وهو يومئذ ولىّ عهد ، وقدامه جَدى فقال : كل من كليته فإنه يزيد فى الدماغ . فقال : لو كان هذا هكذا لكان رأس الأمير مثل رأس البغل

قال أبو كعب : كنا عند « عياش بن القاسم » ومعنا « سيفويه القاصُّ » فأتينا بفالوذجة حارّة فابتلع سيفويه منها لقمة فغشى عليه من شدة حرّها فلما أفاق قال : مات لى ثلاثة بنين ما دخل جوفى عليهم من الحرقة ما دخل جوفى من حُرقة هذه اللقمة

سعيد بن مالك قال : جالسنى رجل فقير لا يكلمنى ساعة ثم قال لى : جلستَ قط على رأس تنور فخريت فيه آمنا مطمئنا ؟ قلت : لا . قال : فإنك لم تعرف شيئا من النعيم قط

وقال هِشام بن عبد الملك ذات يوم لجلسائه : أى شىء ألذ ؟ قال له الأبرش ابن حسان : أأصابك جرب قط فحككته ؟ قال : مالَكَ ! أجرب الله جلدك ولا فرج الله عنك . وكان آنس الناس به

ومن غرائب الحمق المذهب الذى ذهب إليه الكُميت بن زيد فى مدح النبى ﷺ حيث يقول :

فاعْتَبَ الشَّوْقُ فى فُؤادِى وَالشَّـ ـرُ إلى مَنْ إليْـهِ مُعْتَبُ
إلى السِّراجِ المُنِيرِ أحْمَدَ لاَ تَعْدِلُنِي رَغْبَـةٌ وَلاَ رَهَبُ
عَنْهُ إلى غيرِهِ ولوْ رَفَعَ النَّـ ـاسُ إلىَّ العُيُونَ وَارْتَقَبُوا
وقيلَ أفْرَطْتَ بَلْ قَصَدْتُ وَلَوْ عَنَّفَنِى القَائِلُونَ أوْ ثَلَبُوا
إليْكَ يا خَيْرَ مَنْ تَضَمَّنَتِ الـ أرْضُ وَلوْ عابَ قَوْلِىَ العُيُبُ

لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أَكْثَرَ فِيكَ اللَّجَاجُ وَاللَّجَبُ

فمن رأى شاعراً مدح النبي ﷺ فاعترض عليه واحد من جميع أصناف الناس حتى يزعم أن ناسا يعيبونه ويثلبونه ويعنفونه ؟ ولقد مدح النبي ﷺ فما زاد على قوله :

وَبُورِكَ قَبْرٌ أَنْتَ فِيهِ وَبُورِكَتْ بِهِ وَلَهُ أَهْلٌ بِذَلِكَ يَثْرِبُ

لَقَدْ غَيَّبُوا بِرًّا وَحَزْماً وَنَائِلاً عَشِيَّةَ وَارَاهُ الصَّفِيحُ الْمُنَصَّبُ

يعنى قبر النبي ﷺ ، ويثرب يعنى المدينة . وهذا شعر يصلح فى عامة الناس

وكتب مَسلمة بن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب : إنك والله ما أنت بصاحب هذا الأمر ، صاحبُ هذا الأمر مغمور وموتور ، وأنت مشهور غير موتور . فقال له رجل من الازد يقال له عثمان بن المفضل : قدم ابنك مخلداً حتى يقتل فتصير موتورا

وقال : جاء ابن لجديع بن على ـ وكان ابن خال يزيد بن المهلب ـ فقال ليزيد : زوجنى بعض ولدك ؟ فقال له عثمان بن المفضل . زوّجه ابنك مُخَلَّداً فانه إنما طلب بعض الولد ولم يستثن شيئا

ومن الحمقاء كُثيِّر عزة ، ومن حمقه أنه دخل على عبد العزيز بن مروان فمدحه بمديح استجاده فقال له : سلنى حوائجك . فقال : تجعلني فى مكان ابن زمانة. قال : ويلك ، ذلك رجل كاتب وأنت شاعر ! فلما خرج ولم ينل شيئا قال :

عَجِبْتُ لِأُخْذِي خِطَّةَ الْغَيِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَبُولُهَا

فَإِنْ عَادَ لِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بِمِثْلِهَا وَأَمْكَنَنِي مِنْهَا إِذًا لَا أُقِيلُهَا

قال أبو الحسن : قال « طارق » قال « ابن جابان » ، لقى رجل رجلا ومعه كلبان فقال : هب لى أحدهما . قال : أيهما تريد ؟ قال : الاسود . قال : الاسود أحب إلى من الابيض . قال : فهب لى الابيض . قال : الابيض أحب ألى من كليهما

وقال رجل لرجل : بكم تبيع الشاة ؟ قال : أخذتها بستة ، وهى خير من

سبعة ، وقد أعطيت بها ثمانية ، فإن كانت من حاجتك بتسعة فزن عشرة

قال أبو الحسن: قال «طارق بن المبارك» . دخل رجل على بلال فكساه ثوبين فقال : كسانى الامير ثوبين فائزرت بالآخر وارتديت بالآخر . وقال : مرض فتى عندنا فقال له عمه : أى شىء تشتهى ؟ قال : رأس كبشين . قال : لا يكون . قال : فرأسىْ كبش . طارق قال : وقع بين جار لنا وجار له يكنى أبا عيسى كلامٌ فقال : اللهم خذ منى لأبى عيسى . قالوا : أتدعو الله على نفسك ؟ قال : نخذ لأبى عيسى منى

أبو زكريا العجلانى قال : دخل عَمرو بن سَعيد على معاوية وهو ثقيل فقال: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ قال : أصبحت صالحا . قال : أصبحت عينك غائرة ، ولونك كاسفا ، وأنفك ذابلا ، فاعهد عهدك ولا تُخدَع عن نفسك

وقال عبيد الله بن زياد بن ظُبيان التيمى [1] يرحم الله عمر بن الخطاب ،

(١) كان عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، شجاعاً باسلا،وفاتكا جريئاً ، وخطيباً مبيناً ، ومنطيقاً بليغاً . وكان يوم البشر على جند العراق من بكر بن وائل ، قتل مصعب بن الزبير أخاه أبان بن زياد بن ظبيان فى ضمن حروبه ضد عبد الملك بن مروان فحقدها عليه عبيد الله فلما ولى مصعب العراق لأخيه عبد الله كان ابن ظبيان على رأس عسكر مما سيره عبد الملك إليه . فلما تفرق أكثر الجند عن مصعب ولم يبق معه أكثر من سبعة رجال تقدم إليه عبيد الله ودعاه إلى المبارزة فقال لهمصعب: أعزب يا كلب ،وشد عليه فضربه على البيضة فهشمها وجرحه ، فرجع عبيد الله فعصب رأسه ثم عاد إليه وحمل عليه فصرع مصعب بين يديه . قال عبيد الله بن ظبيان فلما وضع رأس مصعب بين يدى عبد الملك سجد فهممت والله أن أقتله فأكون أفتك العرب لقتلى ملكين من قريش في يوم واحد ، ثم وجدت نفسى تنازعنى إلى الحياة فأمسكت . وقيل لعبيد الله بن زياد بن ظبيان : بماذا تحتج عند الله من قتلك لمصعب؟ فقال : إن تركت أحتج رجوت أن أكون أخطب من صعصعة بن صوحان. وقال له مالك بن مسمع يوماً :أكثر الله فى العشيرة مثلك . فقال :لقدسألت اللهشططا وقيل : كان ابن ظبيان بعد قتله مصعباً لا ينتفع بنفسه في نومة ولا يقظة ، كان يهول عليه في منامه فلا ينام حتى كل جسمه ونهك ، فلم يزل كذلك حتى مات

كان يقول : اللهم إنى أعوذ بك من الزانيات وأبناء الزانيات . فقال عبيدالله بن زياد بن أبيه رحم الله عمر ، كان يقول : لم يقم جنين فى بطن حمقاء تسعة أشهر إلا خرج مائقا

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : كونوا بُلْهاً كالحمام

وقال قائل : حماقة صاحبى علىّ أشد ضرراً منها عليه

وقالوا : شَرد بعير لِهَبَنَّقَة القيسى ـ ويجنونه يضرب المثل ـ فقال : مَن جاء به فله بعيران . فقيل له : أتجعل فى بعير بعيرين ؟ فقال : إنكم لاتعرفون فرحة الوجدان .

وهبنقة هو يزيد بن ثروان أحد بنى قيس بن ثعلبة وكنيته أبو نافع . قال الشاعر :

عِشْ بِجَدٍّ ولاَ يَضُرُّكَ نَوْكٌ ... إنما عَيْشُ مَنْ تَرَى بالْجُدُودِ

عِشْ بِجَدٍّ وكُنْ هَبَنَّقَةَ القَيْـ ... ـسِيِّ نَوْكاً أوْ شَيْبَةَ بْنَ الوَلِيدِ

ولما خلع قتيبة بن مسلم سليمان بن عبد الملك بخراسان قام خطيبا فقال : يا أهل خُراسان ، أتدرون من وليكم ؟ إنما وليكم يزيد بن ثروان . كنى به عن هبنقة . وذلك أن هبنقة كان يحسن من إبله إلى السمان ويدع المهازيل ويقول : إنما أكرم من أكرم الله ، وأهين من أهان الله . وكذلك كان سليمان يعطى الاغنياء ولا يعطى الفقراء ويقول : أصلح ما أصلح الله ، وأفسد ما أفسد الله

وقال الفرزدق : ما عييت بجواب أحد قط ما عييت بجواب مجنون بدير هِرقل ، دخلت فاذا هو مشدود إلى اسطوانة فقلت : بلغنى أنك حاسب ؟ قال : ألق علىّ ماشئت . فقلت : أمسك معك خمسة وجلدتها . قال : نعم . قلت : أمسك معك أربعة وجلدتها . قال : نعم . فقلت : كم معك ؟ قال : تسعة وجلدتها مرتين

وكان زريق الفزارى يمر بالليل وهو شارب فيشتم أهل المجلس ، فلما أن كان بالغداة عاتبوه قال : نعم زَنَيت أمهاتكم فماذا عليكم ؟

وخطب يوما عَتَّاب بن ورقاء فقال : هذا كما قال الله تبارك وتعالى : إنما يتفاضل الناس بأعمالهم وكل ما هو آت قريب . قالوا له : إن هذا ليس من كتاب

الله ؟ قال : ماظننت إلا أنه من كتاب الله

وخطب عدى بن زياد الايادى فقال : أقول كما قال العبد الصالح : « ماأريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد » قالوا له : ليس هذا من قول عبدٍ صالحٍ إنما هو من قول فرعون ؟ قال : من قاله فقد أحسن . وقال أعرابى :

خَلَقَ السَّماءَ وأهْلَها فى جُمْعَةٍ وأبُوكَ يَمْدُرُ حَوْضَهُ فى عامِ

وكان عبد الملك بن مروان أول خليفة من بنى أمية منع الناس من الكلام عند الخلفاء، وتقدم فيه وتوعد عليه، وقال : إن جامعة عمرو بن سعيد بن العاص عندى ، وانى والله لا يقول أحدكم هكذا إلا قلت به هكذا . وفى خطبة له أخرى: وانى والله ما أنا بالخليفة المستضعف ـ وهو يعنى عثمان بن عفان ـ ولا أنا بالخليفة المداهن ـ يعنى معاوية ـ ولا أنا بالخليفة المأبون ـ يعنى يزيد بن معاوية

قال أبو اسحق : والله لولا نسبك من هذا المستضعف وسببك من هذا المداهن، لكنت منها أبعد من العَيُّوق ، والله ماأخذتها من جهة الميراث ، ولا من جهة السابقة ، ولا من جهة القرابة ، ولا تدعى شورى ولا وصية

قال أبو الحسن : دخل كردم السدوسى على بلال بن أبى بُردة فدعاه إلى الغداء فقال : قد أكلت . قال : وما أكلت ؟ قال : قليل رُزٍّ فأكثرت منه . ودخل كردم الذرّاع أرض قوم يذرعها ، فلما انتهى إلى زنقة منها لم يحسن تذريعها قال : هذه ليست لكم . قالوا : هى لنا ميراث ، وما نازعنا فيها إنسان قط . قال : لا والله ماهى لكم . قالوا : فحصل لنا حساب مالا نشك فيه قال: عشرين فى عشرين مائتين . قالوا : من أجل هذا الحساب صارت الزنقة ليست لنا .

ودخل عكابة بن نميلة النميرى دار بلال بن أبى بردة فرأى ثوراً مجللا فقال: ما أفرهه من بغل ، لولا أن حوافره مشقوقة

ومن النوكى، وممن ربما عدوه فى المجانين « ابن فِنان » الازدى ، وضرب به المثل ابن ضب العنكى فى قوله بجديع بن على خال يزيد بن المهلب حيث قال:

لَوْلاَ المُهَلَّبُ يا جَدِيعُ ورُسْلُهُ تَغْدُو عَلَيْكَ لَكُنْتَ كَابْنِ فِنان

أَنْتَ المُرَدَّدُ فى الجِيادِ وإنمَا تأتِى سُكيتاً كلَّ يَوْمِ رِهَانِ

وقال آخر يهجو امرأته بأنها مضياع خرقاء :

وإنَّ بَلاَئِى مِنْ دَرِينَةَ كلَّمَا رَجَوْتُ انْتِعاشاً أدْرَكَتْنى بِعاثِرِ

تُبرِّدُ مَاءَ السُّعْنِ فِى لَيلةِ الصَّبَا وتَسْتَعْمِلُ الكَرْكُورَ فى شَهْرِ ناجِرِ (١)

وفى خطأ العلماء قال أبو الحسن : قال الشعبى : سايرت أبا سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف (٢) فكان بينى وبين أبى الزناد (٣) فقال : بينكما عالم أهل المدينة . فسألته امرأة عن مسألة فأخطأ فيها .

وقال طَرَفه بن العبد (٤) يهجو قابوس بن هند الملك :

لَعَمْرُكَ إنَّ قابُوسَ بْنَ هِنْدٍ لَيَخْلِطَ مُلْكَهُ نَوْكٌ كَثِيرُ

قَسَمْتَ الدَّهْرَ فى زَمَنٍ رَخِيٍّ كذَاكَ الحُكْمُ يَقْصِدُ أوْ يَجُورُ

لَنا يَوْمٌ ولِلْكِرْوَانِ يَوْمٌ تَطِيرُ البائِسَاتُ ولا تَطِيرُ

---

(١) السعن : قربة تقطع من نصفها وينبذ فيها ، وقد يستقى بها ، وقد يجعل فيها الغزل والقطن. شهر ناجر : أحد شهور الصيف

(٢) أبو سلمة : هو عبدالله بن عبدالرحمن بن عوف.كان من خيار التابعين . وكان فقيهاً يحمل عنه الحديث . مات سنة ١٠٤ هـ ٧٢٢ م

(٣) أبو الزناد : هو عبد الله بن ذكوان مولى رملة زوجة عثمان بن عفان . كان ورعاً تقياً ، ولاه عمر بن عبد العزيز خراج العراق مع عبد الحميد الخطابى . مات فجأة فى شهر رمضان سنة ١٣٠ هـ ٧٤٧ م

(٤) طرفة بن العبد : هو الشاعر الفتى الجاهلى المعروف، يعد فى شعراء الطبقة الأولى. وهذه الأبيات التى أوردها الجاحظ هي من قصيدة يهجو بها عمرو بن هند ملك الحيرة وأخاه قابوس بن المنذر .وقبلها :

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثا حول قبتنا تدور

من الزمرات أسبل قادماها وضرتها مركنة درور

يشاركنا لنا رخلان فيها وتعلوها الكباش فما تنور

ومات طرفة في خبر طويل سنة ٥٦٤ م

فأمَّا يَوْمُنا فنَظَل رَكْباً وُقُوفًا مَا نَحُلُّ وَما نَسيرُ
وَأمَّا يَوْمُهُنَّ فَيَوْمُ سُوءٍ يُطَارِدُهنَّ بالْجَنْبِ الصُّقُورُ

الفلوشكى قال : قلت لاعرابى : أى شىء تقرأ فى صلاتك ؟ قال : أم الكتاب ، ونسبة الرب ، وهجاء أبى لهب

وكان الفلوشكى البكرادى أجن الناس وأعبى الخلق لسانا ، وكان شديد القمار شديد اللعب بالودع. قال ابن عم له: وقفت على بقية تمرٍ فى بَيْدَرٍ لى ، فأردت أن أعرفه بالحزر ومعنا قوم يجيدون الخَرْصَ وقد قالوا فيها واختلفوا . فهجم علينا الفلوشكى ، فقلت له : كم تحزر فى هذا التمر ؟ فقال : أنا لا أعرف الأكرار وحساب القُفزان ، ولكن عندى مِرجل أطبخ فيه تمر نبيذى ، وهو يسع مَكُّوكَين ، وهذا التمر يكون فيه مائتين وستين مِرجلا . فلا والله أن أخطأ بقفيز واحد

قال المهلب، والأزد حوله: أرأيتم قول الشاعر :

إذَا غَرَزَ المَحَالِبُ أتْأقَتْهُ يَمُجُّ عَلى مَنَاكِبِهِ الثُّمالاَ(١)

وإلى جنب غَيلان بن خَرَشَة شيخ من الأزد فقال له : قل : هو ابن الفحل. فقالها ، فقال المهلب : ويلكم ما جالستم الناس

وأنشد بعض أصحابنا :

أَلِكْنِي إلَى مَوْلَى أُكَيمَةَ وانهَهُ وهَلْ يَنْتَهِي عن أوَّلِ الزَّجْرِ أحْمَقُ(٢)

وزعم الهيثم بن عدى عن رجاله أن أهل يبرين(٣) أخف بنى تميم أحلاماً وأقلهم عقولا

قال الهيثم : ومن النَّوكى « عُبيد الله بن الحر » وكنيته « أبو الأبرش »

قال الهيثم : خطب قَبيصة (٤) وهو خليفة أبيه على خُراسان وأتاه كتابه فقال : هذا كتاب الأمير ، وهو والله أهل لأن أطيعه ، وهو أبى وأكبر منى

(١) غرز المحالب : قل اللبن فى آنية الحلب . أتأقته : أترعته حتى تمج نواحيه الثمالا : الزائد (٢) ألكنى : احمل عنى الألوكة وهي الرسالة (٣) يبرين بلد بالبحرين (٤) قبيصة :هو قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة

وكان فيما زعموا ابن السعيد الجوهرى يقول : صلى الله تبارك وتعالى على محمد ﷺ

قال أبو الحسن : صعد عدى بن أرطاة المنبر فلما رأى جماعة الناس حُصر فقال : الحمد لله الذى يطعم هؤلاء ويسقيهم

وصعد رُوح بن حاتم المنبر فلما رآهم قد شفنوا أبصارهم[1] وفتحوا أسماعهم نحوه قال : نكسوا رؤسكم ، وغضوا أبصاركم ، فإن المنبر مركز صعب ، وإذا يسر الله فَتْحَ قُفل تيسر

قالوا: وصعد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه المنبر فأرتج عليه فقال : إن أبا بكر وعمر كانا يُعدان لهذا المقام مقالا ، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب

قالوا لزياد الأعجم : لم لا تهجو جريراً ؟ فقال : أليس الذى يقول :

كَأَنَّ بَنِي طُهَيَّةَ رَهْطَ سَلْمَى حِجَارَةُ خارِئٍ يَرْمِي كِلابا

قالوا : بلى ، قال : ليس بينى وبين هذا عمل

قال أبو الحسن : خطب مُصعب بن حَيان أخو مُقاتل بن حيان خطبة نكاح فحُصر فقال : لقنوا موتاكم قول لا إله إلا الله . فقالت أم الجارية : عجّل الله موتك ، ألهذا دعوناك ؟

وخطب أمير المؤمنين الموالى ـ وهكذا لقبه ـ خطبة نكاح فحُصر فقال : اللهم إنا نحمدك ونستعينك ولا نشكرك

وقال مولى لخالد بن صفوان : زوجنى أمتك فلانة . قال : قد زوجتكها ، قال : أفأدخل الحىّ حتى يحضروا الخِطبة ؟ فقال : أدخلهم . فلما دخلوا ابتدأ خالد فقال : أما بعد ، فإن الله أجلّ وأعزّ من أن يُذكر فى نكاح هذين الكلبين ، وقد زوجنا هذه الفاعلة من هذا ابن الفاعلة

(١) شفنوا أبصارهم : رموه بأنظارهم

وقال ابرهيم النخعى لمنصور بن المعتمر : سل مسألة الحُمْقَى واحفظ حفظ الأكياس

ودخل كُثَيِّر عزة ـ وكان مُحمقاً ويكنى أبا صخر ـ على يزيد بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين، ما يعنى الشّماخ بن ضرار بقوله :

إذا الأَرْطَى تَوَسَّدَ أَبْرَدَيْهِ خُدُودَ جَوَازِئٍ بِالرَّمْلِ عِينِ ؟

قال يزيد : وما يضر أمير المؤمنين أن لا يعرف ما عنى هذا الاعرابى الجِلف ؟ واستحمقه وأخرجه

وكان عامر بن كريز يحمق ، قال عوانة : قال عامر لأمه : يا امّه ، مسست اليوم بُرد العاص بن وائل السهمى . فقالت : ثكلتك أمك ! رجل بين عبد المطلب ابن هاشم وبين عبد شمس بن عبد مناف يفرح أن تصيب يده بُرد رجل من بنى سهم ؟

ولما حُصر عبد الله بن عامر على منبر البصرة فشق ذلك عليه قال له زياد : أيها الامير ، إنك إن أقمت عامة من ترى أصابه أكثر مما أصابك

وقيل لرجل من الوجوه : قم فاصعد المنبر وتكلم. فلما صعد حُصر وقال : الحمد لله الذى يرزق هؤلاء . وبقى ساكتا . فأنزلوه . وصعد آخر فلما استوى قائما وقابل بوجهه وجوه الناس وقعت عينه على صَلعة رجل فقال : اللهم العن هذه الصلعة

وقيل لوازع اليشكرى : قم فاصعد المنبر وتكلم . فلما رأى جمع الناس قال : لولا أن امرأتى لعنها الله حملتنى على اتيان الجمعة اليوم ما جمعت ، وأنا أشهدكم أنها منى طالق ثلاثا

ولذلك قال الشاعر :

وَمَا ضَرَّنِى أَنْ لاَ أَقُومَ بِخُطْبَةٍ وَمَا رَغْبَتِى فِى ذَا الَّذِى قَالَ وَازِعُ

ودخلت على أنس بن أبى شيخ واذا رأسه على مرفقه والحجام يأخذ من شعره فقلت له : ما يحملك على هذا ؟ قال : الكسل . قلت : فإن لقمان قال لابنه: إياك والكسل ، وإياك والضجر ، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقاً ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق . قال : ذاك والله أنه لم يعرف لذّة الكسولة

وقيل لبحر بن الاحنف : مايمنعك أن تكون مثل أبيك ؟ قال : الكسل .
وقال الآخر :

أطَالَ اللهُ كَيْسَ بَنِي رَزِينٍ ... وحُمِّقَ أنْ شَرِبْتُ لهُمْ بِدِينِي
أأكْتُبُ إبلهم شَاءً وفيها ... بَرَيْعِ فِصَالِها بِنْتَا لَبُونِ (١)
فَمَا خُلِقُوا بِكَيْسِهِمُ دُهَاةً ... ولاَ مُلَجاءَ بَعْدُ فَيُعْجِبُونِي (١)

وذكر آخر الكيس فى معاتبته لبنى أخيه حين يقول :

عَفَا رِيتاً عَلَيَّ وَأكْلِ مَالِي ... وعَجْزاً عَنْ أُنَاسٍ آخَرِينا ؟
فَهَلاَّ غيرَ عَمِّكُمُ ظَلَمْتُمْ ... إذَا مَا كُنْتُمُ مُتَظَلِّمِينَا (٢) ؟
فلوْ كُنْتُمْ لِكَيِّسَةٍ أكَلْتُمْ ... وكَيْسُ الأُمِّ أكْيَسُ لِلْبَنِينَا

وقال بعضهم : عيادة النوكى الجلوس فوق القدر والمجىء فى غير وقت

وعاد رجل رقبةَ بنَ الحر فنعى رجالا اعتلوا مثل علته فنعى بذلك إليه نفسه فقال له رقبة : إذا دخلت على المرضى فلا تنع إليهم الموتى ، وإذا خرجت من عندنا فلا تعد إلينا .

وسأل مُعاويةُ إبنَ الكواء عن أهل الكوفة فقال : أبحثُ الناس عن صغيرة ، وأتركهم لكبيرة

وسئل شَريك عن أبى حنيفة فقال : أعلم الناس بمالا يكون ، وأجهل الناس بما يكون

وسأل معاوية دَغفلا النسابة عن اليمن فقال : سيد وأنوك

وذكر عيينة بن حصن (٣) عند النبى ﷺ فقال : الاحمق المطاع

وجن أعرابى من أعراب المربد ورماه الصبيان فرجم فقالوا له : أما كنت وقورا حليما ؟ فقال : بلى ، بأبى أنتم وأمى ، والله ما استحمقت إلا قريباً . وكان أول جنونه من عبث الناس به . ورمى انسانا فشجه فتعلق به وهو لايعرفه وضمه

(١) ملجاء . رجال أجلاء (٢) متظلمينا هنا بمعنى ظالمين (٣) كان فى الاصل : عتيبة بن حصين ، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه

إلى الوالى فقال له الوالى : ولم رميت هذا وشججته ؟ قال : أنا لم أرمه ، هو دخل تحت رميتى

وكان وكيع بن الدورقية [١] يحمق . قال الوليد بن هشام القَحذمى أبو عبد الرحمن قال أخبرنى أبى قال : لما قدم أمية [٢] خُراسان قيل له : لم لاتدخل وكيع ابن الدورقية فى صحابتك ؟ قال : هو أحمق . فركب يوما وسايره فقال له : ما أعظم رأس برذونك ! قال : قد كفاك الله حمله . ثم سايره قليلا فقال : أصلحك الله ، أرأيت يوم لقيت أبا فُديك [٣] مامنعك أن تكون قدمت رجلا وأخرت رجلا وداعست بالرمح حتى يفتح الله عليك ؟ قال : أعزب ، قبحك الله . وأمر به فنحى

وساير سعيد بن سلم موسى أمير المؤمنين ، والحربة فى يد عبد الله بن مالك وكانت الريح تسفى التراب الذى تثيره دابة عبد الله بن مالك فى وجه موسى ، وعبد الله لايشعر بذلك ، وموسى يحيد عن سَنن التراب ، وعبد الله فيما بين ذلك يلحظ مسير موسى فيتكلف أن يسير على محاذاته ، وإذا حاذاه ناله ذلك التراب ، فلما طال ذلك عليه أقبل على سعيد بن سلم فقال : ألا ترى مانلقى من هذا المائق فى مسيرنا هذا ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ماقصر فى الاجتهاد ولكنه حرم التوفيق

---

(١) وكيع بن الدورقية : هو وكيع بن حسان بن أبى سود المار ذكره (٢) أمية : هو أمية بن عبد الله بن أسيد (٣) أبو فديك : هو عبد الله بن ثور بن سلمة أبو فديك الخارجى . خرج فى سنة ٧٢ باليمن فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفى رأس الخوارج هناك فسير عليه خالد بن عبد الله بن أسيد أخاه أمية بن عبد الله بن أسيد في جيش كثيف فهزمه أبو فديك ونجا أمية على فرس له لا يلوى على شيء حتى دخل البصرة في ثلاثة أيام . ولما استشرى شره سير إليه عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى في عشرة آلاف فى خيرة الجند فلما وردوا البحرين صمد لهم أبو فديك وقاتلهم أشد قتال ، وإذ رأى عمر بن عبيد الله ما هو عليه من القوة جد فى قتاله وما زال به حتى قتله واستباح عسكره وقتل من أتباعه مقتلة عظيمة ثم عاد بجنوده وأسراه إلى البصرة وذلك في سنة ٧٣ هـ ٦٩٢ م

وساير البطريق الذى خرج إلى المعتصم من سور عمورية محمد بن عبد الملك[١] والافشين بن كاوس[٢] فساوم كلّ واحد منهما ببرذونه ، وذكر أنه كان يرغبهما

(١) محمد بن عبد الملك : هو محمد بن الملك الزيات كان أبوه تاجراً فى أيام المأمون غنيا موسراً ، ونشأ محمد نشأة أهل اليسار فتأدب وقرأ وفهم ، وكان ذكياً فطناً فبرع فى كل شىء ألم به حتى صار نادرة وقته عقلا وفهماً وذكاء وبلاغة في الكتابة وفصاحة فى الشعر وسعة فى المعارف والآداب ، وكان ذا خبرة بآداب الرياسة وقواعد الملوك . سأله أبوه العمل معه فى تجارته فأبى والتحق بالديوان وكتب للوزراء واشتهر حتى صار من كتاب الدولة العباسية وظل كذلك إلى أن ورد كتاب من بعض العمال على المعتصم يذكر فيه خصب الناحية وكثرة الكلأ فسأل المعتصم وزيره أحمد بن عمار عن الكلأ فلم يدر ما يقول فدعا محمد بن عبد الملك الزيات — وكان أحد خواصه وأتباعه — فسأله عن الكلأ فقال : أول النبات يسمى بقلا ، فاذا طال قليلا فهو الكلأ ، فاذا يبس وجف فهو الحشيش . فصرف المعتصم أحمد بن عمار واستوزر محمد بن عبد الملك الزيات فنهض بأعباء الوزارة نهوضاً لم يكن لمن تقدمه من أضرابه . وكان جباراً غليظ القلب فظاً متكبراً خشن الجانب مبغضاً إلى الخلق . ومات المعتصم وهو على وزارته ، وقد كان المعتصم أمر لابنه الواثق بمال فأشار ابن الزيات على المعتصم بأن لا يعطيه شيئاً فرجع فيما كان أمر به فلما علم الواثق بما فعله ابن الزيات حقد عليه وكتب بخطه عهداً ليقتلن ابن الزيات متى ولى الخلافة شر قتله . فلما ولى الخلافة بعد وفاة أبيه المعتصم قال للحاجب : أدخل إلى عشرة عن الكتاب . فلما أدخلوا عليه اختبرهم فما أرضاه واحد منهم . فقال للحاجب : أدخل من الملك محتاج اليه محمد بن الزيات . فلما مثل بين يديه قال لخادم : أحضر إلى المكتوب الفلانى . فأحضر له ذلك العهد فدفعه إلى ابن الزيات وقال : اقرأه . فلما قرأه قال : يا أمير المؤمنين ، أنا عبد إن عاقبته فأنت حاكم فيه ، وإن كفرت عن يمينك واستبقيته كان أشبه بك . فقال الواثق : والله ما أبقيتك إلا خوفاً من خلو الدولة من مثلك ، وسأكفر عن يمينى فانى أجد عن المال عوضاً ولا أجد عن مثلك عوضاً . ثم كفر عن يمينه واستوزره وقدمه وفوض الأمور اليه . وظل فى وزارته إلى أن مات الواثق وولى أخوه المتوكل فقبض عليه وقتله فى تنوره سنة ٢٣٣ هـ ٨٤٧م

(٢) الافشين بن كاوس : اسمه خيذر . كان من أعظم قواد الدولة العباسية ، ومن ذوى النفوذ والسلطان في عهد المعتصم ، وهو الذى حارب بابك الخرمى الذى خرج

أو يربحهما . فاذا كان هذا أدب البطريق مع محله من الملك والمملكة فما ظنك بمن هو دونه منهم !؟ولما استجلس المعتصم بطريق خرشنة تربّع ومدّ رجليه

﴿ واجبات الملوك والأمراء ﴾

قال زياد : وقرأت مثل كتب الربيع بن زياد الحارثى ، ما كتب إلىّ إلاّ فى اجترار منفعة أو دفع مضرة ، وما كان فى موكبي قط فتقدم عنان دابته عنان دابتى ، ولامست ركبته ركبتى ، ولا شاورت الناس قط فى أمر إلا سبقهم إلى الرأى فيه

كان على شُرط زيادٍ عبدُ الله بن الحصين صاحب مقبرة بنى حصين ، والجعد ابن قيس النمرى صاحب طاق الجعد ، وكانا يتعاقبان مجلس صاحب الشرطة . فاذا كان يوم حمل الحربة سارا بين يديه معاً ، فجرى بينهما كلام وهما يسيران بين يديه ، فكان صوت الجعد أرفع وصوت عبد الله أخفض . فقال زياد لصاحب حربته : تناول الحربة من يد الجعد ومره بالانصراف إلى منزله

وعدا رجل من أهل العسكر بين يدى المأمون فلما انقضى كلامه قال له بعض من يسير بقربه : يقول لك أمير المؤمنين : اركب . قال المأمون : لا يقال لمثل هذا اركب ؟ إنما يقال لمثل هذا : انصرف

وكان الفضل بن الربيع يقول . مُساءلة الملوك عن أحوالهم من تحية النَّوكى ، فاذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير . فقل : صبح الله الأمير بالكرامة . فاذا أردت أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه ، فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء

على الدولة وغلب على جبل طبرستان عشرين سنة وعظم أمره واشتدت شوكته وهزم كثيراً من جند الدولة فسير إليه المعتصم قائده العظيم الافشين فجرت له معه معارك شديدة في مدة طويلة ثم انتصر عليه الافشين واستولى على مدينة البذ وأسره ومن كان معه من خاصة أنصاره واقتادهم إلى المعتصم فأراح الدنيا منهم . وكان للافشين غير ذلك بلاء عظيم في حروب الدولة غير أن المعتصم كشف عليه أموراً خطيرة أحفظته عليه فحبسه حتى مات ثم صلبه ثم أحرق جثته فى خبر يطول سنة ٢٢٦ هـ ٨٤٠ م

والرحمة . والمُسألة توجب الجواب فان لم يجبك اشتد عليك وان أجابك اشتد عليه

وقال محمد بن الجهم : دخلت على المأمون فقال لى : ما زال أمير المؤمنين إليك مشتاقا . فلم أدر ما جواب هذه الكلمة بعينها وأخذت لا أقصر فيما قدرت عليه من الدعاء ثم الثناء

قال أبو الحسن : قال ابن جَابان : قال المهدى : كان شَبيب بن شَيبة يسايرنى فى طريق خراسان فيتقدمنى بصدر دابته ، فقال لى يوماً : ينبغى لمن سابر خليفة أن يكون بالموضع الذى إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شئ لا يلتفت إليه ، ويكون من ناحية إن التفت لم تستقبله الشمس . قال : فبينما نحن كذلك إذ انتهينا إلى مخاضة فأقحمت دابتى ولم يقف واتبعنى فملأ ثيابى ماء وطيناً . فقلت : يا أبا معمر ، ليس هذا فى الكتاب

﴿ رجع إلى النوكى ﴾

قال الهيثم بن عدى : كنت قائما إلى حُميد بن قَحطبة وهو على برذون فتفاجَّ البرذون ليبول ، فقال لى : تنح لا يهريق عليك البرذون الماء

وجاء رجل إلى محمد بن حرب الهلالى بقوم فقال : إن هؤلاء الفساق مازالوا فى مسيس هذه الفاجرة . قال : ما ظننت أنه بلغ من حرمة الفواجر ما ينبغى أن يُكنَّى عن الفجور بهن

وقلت لرجل من الحُساب : كيف صار البرذون المتحصن إلى البغلة أحرص منه على الرمكة ، والرمكة أشكل بطبعه ؟ قال : بلغنى أن البغلة أطيب حُلوة

وقال صديق لنا : بعث رجل وكيله إلى رجل من الوجوه يقتضيه مالاله عليه ، فرجع إليه مضروبا . فقال : ما بالك ويلك ؟ قال : سبك فسببته فضربنى . قال : وبأى شىء سبنى ؟ قال : قال : هن الحمار فى حر أم من أرسلك . قل : دعنى من افترائه علىَّ ، أنت كيف جعلت لا يرا الحمار من الحرمة مالم تجعله لحر أمىّ ؟ فهلا قلت : أير الحمار فى هن أم من أرسلك ؟

أبو الحسن قال : كان رجل من ولد عبد الرحمن بن سمُرة أراد الوثوب

بالشام ، فحمل إلى المهدى فخلى سبيله وأكرمه وقرب مجلسه ، فقال له يوماً : أنشدنى قصيدة زهير التى أولها « لمن الديار بقنة الحجر » وهى التى على الراء :

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الْحَجْرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ شَهْرِ (١)

فأنشده ، فقال المهدى : ذهب والله من يقول مثل هـذا . قال السمرى : وذهب والله من يقال فيه مثل هذا ؟ فغضب المهدى واستجهله ونحاه ولم يعاقبه ، واستحمقه الناس

ولما دخل خالد بن طليق على المهدى مع خصومه وأنشد قول شاعرهم :

إذا الْقُرَشِيُّ لم يَضْرِبْ بِعِرْقٍ خُزَاعِيّ فَلَيْسَ مِنَ الصَّمِيمِ

فغضب المهدى وقال : أحمق . فأنشد خالد فقال :

إذا كُنْتَ فى دَارٍ فَحَاوَلْتَ رِحْلَةً فَدَعْهَا وفِيهَا إنْ أَرَدْتَ مَعَـادُ

فسكن عند ذلك المهدى . وقال بشار :

خَلِيلَيَّ إنَّ الْعُسْرَ سَوْفَ يُفِيقُ وإنَّ يَساراً مِنْ غَدٍ لَخَلِيقُ
وما كُنْتُ إلاَّ كالزَّمانِ إذا صَحَا صَحَوْتُ وإنْ ماقَ الزَّمانُ أُمُوقُ

قالوا : ومن النوكى « أبو الربيع العامرى » واسمه عبـد الله ، وكان ولى بعض منابر اليمامة وفيه يقول الشاعر :

شَهِدْتُ بأنَّ اللهَ حَقٌّ لِقَاؤُهُ وأنَّ الرَّبِيعَ العَامِرِيَّ رَقِيعُ
أقادَ لَنا كَلْباً بِكَلْبٍ ولم يَدَعْ دِماءَ كلاب المُسْلِمِينَ تَضِيع

قالوا : ومن النوكى « ربيعة بن عسل » أحد بنى عمرو بن يربوع ، وأخوه « ضبيع بن عسل » وفد ربيعة على معاوية فقال معاوية : حاجتك ؟ قال : زوجنى ابنتك . قال : اسقوا ابن عسل عسلا . فأعاد عليـه ، فأعاد عليه العسل ثلاثاً ،

(١) القنة : أعلى الجبل ، ومراد الشاعر ههنا ما أشرف من الأرض . والحجر موضع بعينه هو حجر اليمامة . أقوين : خلون وأقفرن . والحجج : السنون . وراجع ما حققناه عن هذه الأبيات في ترجمة المفضل الضبى التى حررناها وصدرنا بها المفضليات المشروحة بقلمنا

فتركه وقد كاد تنقدّ بطنه . قال : فاستعملنى على خُراسان . قال : زياد أعلم بثغوره قال : فاستعملنى على شُرطة البصرة . قال زياد : أعرف بشُرطته . قال : فاكسنى قطيفة . أو قال: هب لى مائة ألف جذع لدارى . قال : وأين دارك ؟ قال : بالبصرة قال : كم ذرعها ؟ قال : فرسخان فى فرسخين . قال : فدارك فى البصرة ، أو البصرة فى دارك ؟

قال عوانة : استعمل معاوية رجل من كلب ، فذكر يوماً المجوس وعنده الناس فقال : لعن الله المجوس ، ينكحون أمهاتهم ، والله لو أعطيت مائة ألف درهم ما نكحت أمّى . فبلغ ذلك معاوية فقال : قاتله الله ، أترونه لو زاده على مائة ألف فعل ؟ فعزله

أبو الحسن : وفد ربيعة بن عسل، وهو من بنى عمرو بن يربوع، على معاوية . فقال لمعاوية: أعنى بعشرة آلاف جذع فى بناء دارى بالبصرة . فقال له معاوية : كم دارك ؟ قال : فرسخان فى فرسخين . قال معاوية : هى فى البصرة أم البصرة فيها . قال : بل هى فى البصرة . قال معاوية: فإن البصرة لا تكون هكذا [1]

وقال أبو الأحوص الرياحى :

لَيْسَ بِيَرْبُوعٍ إلى العَقْلِ حاجَةٌ ... سوَى دَنَسٍ تَسْوَدُّ مِنْهُ ثِيَابُها

فكيفَ بِنَوْكى مالِكٍ إن كَفَرْتُمُ ... لَهُمْ هَذِهِ أوْ كَيْفَ بَعْدُ خِطابُها

مَشَائِيمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً ... ولاَ ناعِبٌ إلاَّ بِبَيْنٍ غُرَابُها

الهيثم عن الضحاك بن رُمَل قال : بينا « معاوية بن مروان » واقف بدمشق ينتظر عبدَ الملك على باب طحان وحمار له يدور بالرحى فى عنقه جُلجل إذ قال للطحان : لم جعلت فى عنق هذا الحمار هذا الجلجل ؟ قال : ربما أدركتنى سآمة أو نعسة ، فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمتُ أنه قد قام فصحت به . قال معاوية :

(١) هذه الراوية التى رواها الجاحظ عن ابى الحسن كانت مضطربة فى الأصل اضطراباً غريباً فأقمنا أودها على هذه الصورة . على أننا كنا اعتزمنا حذفها لأنها رويت قبل ذلك بأسطر ولكنا آثرنا إصلاحها وإبقاءها ضنا بمرويات الجاحظ انى كانت

أفرأيت إن قام ثم قال برأسه : هكذا هكذا ـ وجعل يحرك رأسه يمنة ويسرة ـ وما يدريك أنت أنه قائم ؟ قال الطحان : ومن لى بحمار بعقل مثل عقل الأمير ؟

ومعاوية بن مروان هذا هو الذى قال لأبى امرأته : ملأتنا ابنتك البارحة بالدم . قال : إنها من نسوة يخبأن ذلك لأزواجهن

وصعد يوسف بن عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : قد قتل الله زيداً ونصر بن سيار . يريد نصر بن خُزَيمة

وقال على الاسوارى : عمر بن الخطاب معلق بشعرة . قلت : وما صَيَّرَه إلى ذلك ؟ قال : لما صنع بنصر بن سيار . يريد نصر بن الحجاج بن علاط

وقالوا : أحب الرشيد أن ينظر إلى أبى شُعيب القَلَّال كيف يعمل القلال ، فادخلوه القصر وأتوه بكل ما يحتاج اليه من آلة العمل ، فبينا هو يعمل إذا هو بالرشيد قائم فوق رأسه ، فلما رآه نهض قائما فقال له الرشيد : دونك مادعيت له ، فإنى لم آتك لتقوم إلى ، وإنما أتيتك لتعمل بين يدى ؟ قال : وأنا لم آتك ليسوء أدبى ، وإنما أتيتك لازداد بك فى كثرة صوابى . فقال له الرشيد : إنما تعرضت لى حين كسدت سوقك . قال أبو شعيب : ياسيد الناس ، وما كساد عملى فى جلال وجهك ؟ فضحك الرشيد حتى غطى وجهه ثم قال : والله مارأيت أنطق منه أولا ، ولا أعيى منه آخراً ، ينبغى لهذا أن يكون أعقل الناس أو أجن الناس

عبد الله بن شداد قال : أرى داعى الموت لايُقلع ، وأرى من مضى لايَرجع ، ومن بقى فاليه يَنزغ . ولا تزهدن فى معروف ، فان الدهر ذو صروف . فكم من راغب قد كان مرغوبا إليه ، وطالب قد كان مطلوبا إليه . والزمان ذوألوان ، ومن يصحب الزمان يرالهوان

الفرج بن فضاله ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن على ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبى ﷺ قال « إذا فعلت أمتى خَمس عشرة خصلة حل بها البلاء : إذا أكلوا الاموال دولا ، واتخذوا الامانة مَغنما ، والزكاة مغرما ، وأطاع الرجل زوجته ، وعق أمه ، وبرّ صديقه ، وجفا أباه ، وارتفعت الاصوات فى المساجد ، وأكرم

الرجل مخافة شره ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وإذا لبس الحرير ، وشربت الخمور واتخذت القيان والمعازف ، ولعن آخرُ هـذه الامة أولها . فليرتقبوا بعد ذلك ثلاث خصال : ريحا حمراء ، ومسخا ، وخسفا »

الهيثم قال: أخبرنا الكلبي قال : كانت قريش تعد أهل الجزالة فى الرأى : العباس بن عبد المطلب ، وأبا سفيان ، وابنيهما ، وأمية بن خَلَف .

قال : وقال ابن عباس : لم يكن فى العرب أمرد ولا اشيب أشد عقلا من السائب بن الاقرع .

قال : حدثنى الشَّعبى أن السائب شهد فتح مهرجان قذق ودخل منزل الهُرمزان وفى داره ألف بيت فطاف فيه فإذا ظبى من جص فى بيت منها مادّ يده فقال : أقسم بالله أنه يشير الى شىء ، انظروا . فنظروا فاستخرجوا سَفط كنز الهرمزان فاذا فيه ياقوت وزبرجد ، فكتب فيه السائب إلى عمر ، وأخذ منه فصا أخضر وكتب الى عمر . إن رأى أميرُ المؤمنين أن يهبه لى فليفعل . فلما عرض عُمر السفط على الهرمزان قال : فأين الفص الصغير ؟ قال عمر : سألنيه صاحبنا فوهبته له . فقال : إن صاحبك بالجوهر لعالم

أخبرنا مجالد عن الشعبى قال : قال السائب لجميل بن بصبهرى : أخبرنى عن مكان من القرية لا يخرب حتى اقتطع ذلك المكان . قال : ما بين الماء إلى دار الامارة . قال: فاختط لثقيف فى ذلك الموضع. قال الهيثم : بت عندهم ليلة فإذا ليلهم مثل النهار

أبو الحسن قال : قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية : أما والله لو كنا على السواء بمكة لعلمت . قال معاوية : إذًا كنتُ أكون معاوية ابن أبى سفيان منزلى الأبطح ينشق عنى سيله ، وكنت أنت عبد الرحمن بن خالد منزلك أجياد أعلاه مدرة ، وأسفله عَذِرة

وقال سُهيل بن عَمرو : أشبه امرا بعضُ بَزه . فصار مثلا . وقال محرز ابن علقمة :

لَقَدْ وَارَى المَقابِرُ مِنْ شَرِيكٍ كَثِيرَ تَحَلُّمٍ وقَلِيلَ عابِ
صَمُوتاً في المَجالِسِ غَيرَ عَيٍّ جَدِيراً حِينَ يَنْطِقُ بالصَّوَابِ

وقال ابن الرُّقَاع (١) :

(١) ابن الرقاع : هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع العاملى : شاعر مقدم بليغ كان مداحاً لبنى أمية واختص من بينهم بالوليد بن عبد الملك .وهوصاحب القصيدة التى أولها « عرف الديار توهما فاعتادها » ولما كانت هذه القصيدة غير مستكملة في كتاب من كتب الأدب المتداولة فقد رأيت أن أثبتها هنا بأكملها لندرتها وبلاغتها وتنافس الأدباء فيها . وقد كنت نشرتها بجريدتى « الثمرات » بالعدد الصادر في ٢٢ ذى القعدة سنة ١٣٤٤ (٣ يونيه سنة ١٩٢٦) وقد عثر عليها في مكتبة تيمور باشا ونقلها القائمون على كتاب نهاية الارب فى جزئه الرابع ص ٢٤٧ وها هي :

عرف الديار توهماً فاعتادها من بعد ما شمل البلا أبلادها
إلا رواسى كلهن قد اصطلى جمراً وأشعل أهلها إيقادها
كانت رواحل للقدور فعريت منهن واستلب الزمان رمادها
وتنكرت كل التنكر بعدنا والأرض تعرف بعلها وجمادها
ولرب واضحة العوارض حرة كالريم قد ضربت به أوتادها
تصطاد بهجتها المعلل بالصبا عرضا فتقصده ولن يصطادها
كالظبية البكر الفريدة ترتعى من أرضها قفاتها وعهادها
حصبت بها عقد البراق حنينها عن عكرها علجانها وعرادها
كالزين في وجه العروس تبذلت بعد الحياء فلاعبت أرآدها
ترجى أغن كان ابرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها
ركبت به من عالج متحيرا قفراً تريث وحشه أولادها
فترى محانيه التى تسقى الثرى والهبر يونق نبتها روادها
باتت سعاد وأخلفت ميعادها وتباعدت عنا لتمنع زادها
إنى إذا ما لم تصلنى خلتى وتباعدت عنى اغتفرت بعادها
إما ترى شيبى تقشع لمتى حتى علا وضح يلوح سوادها
فلقد ثنيت يد الفتاة وسادة لى جاعلا يسرى يدى وسادها
وأصاحب الحيش العرمرم فارساً في الخيل أشهد كرها وطرادها
وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها

أُمَمٌ تَدَاخَلَتِ الْحُتُوفُ عَلَيْهِمُ ... أَبْوَابَهُمْ فَكَشَفْنَ كلَّ غِطَاءِ
فإذا الَّذِي فى حصْنِهِ مُتَحَرِّزٌ ... مِنْهُمْ كآخَرَ مُصْحِرٍ بفَضَاءِ
والمَرْءُ يُورِثُ مَجْدَهُ أَبْنَاءَهُ ... وَيَمُوتُ آخَرُ وهْوَ فى الاحْيَاءِ
والقَوْمُ أَشْبَاهٌ وبيْنَ حُلُومِهِمْ ... بَوْنٌ كَذَاكَ تَفَاضُلُ الأَشْيَاءِ

وقال بعضهم :

بَيْضَاءُ ناصِعَةُ الْبَيَاضِ كأَنَّهَا ... قَمَرٌ تَوَسَّطَ نِصْفَ لَيْلٍ مُبْرِدِ
مَوْسُومَةٌ بالْحُسْنِ ذاتُ حَوَاسِدٍ ... إنَّ الْحِسَانَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسَّدِ

نظر المثقف في كعوب قناته ... حتى يقيم ثقافه منآدها
فسترت عيب معيشتى بتكرم ... وأتيت فى سعة النعيم سرادها
وعلمت حتى ما أسائل واحدا ... عن علم واحدة لكن ازدادها
صلى الاله على امرى ودعته ... وأتم نعمته عليه وزادها
وإذا الربيع تتابعت أنواؤه ... فسقى خناصرة الأحص فجادها
نزل الوليد بها فكان لأهلها ... غيثا أغاث أنيسها وبلادها
أو لا ترى أن البرية كلها ... ألقت خزائمها إليه فقادها
ولقد أراد الله إذ ولاكها ... من أمة إصلاحها ورشادها
أعمرت أرض المسلمين فأقبلت ... وكففت عنها من يروم فسادها
وأصبت في أرض العدو مصيبة ... عمت أقاصى غورها ونجادها
ظفراً ونصراً ما تناول مثله ... أحد من الخلفاء كان أرادها
فاذا نشرت له الثناء وجدته ... جمع المكارم طرفها وتلادها
غلب المسامح الوليد سماحة ... وكفى قريش المعضلات وسادها
تأتيه أسلاب الأعزة عنوة ... قسرا وتجمع للحروب عتادها
وإذا رآى نار العدو تضرمت ... سامى جماعة أهلها فاقتادها
بعرمرم تبدو الروابى ذى وعى ... كالجرة احتمل الضحى أطوادها
أطفأت ناراً للحروب وأوقدت ... نار قدحت براحتيك زنادها
فبدت بصيرتها لمن يبغى الهدى ... وأصاب حر شديدها جسادها
وإذا غدا يوماً بنفحة نائل ... عرضت له الغد مثلها فأعادها
وإذا عدت خيل تبادر غاية ... فالسابق الجالى يقود جيادها

وترى ما قيها تقلب مقلة ... حوراء ترغب عن سواد الإثمد

وقال الآخر :

خود إذا كثر الحديث تعوذت ... بحمى الحياء وإن تكلم تقصد

وقال :

لسانك خبر وحده من قبيلة ... وما عده بعد في الفتى أنت فاعله

سوى طبع الأخلاق والفحش والخنا ... أبت ذاكم أخلاقه وشمائله (١)

وقال الآخر :

على امرئ هد عرش الحي مصرعه ... كأنه من ذوى الأحلام من عاد

وقال النابغة :

أحلام عاد وأجسام مطهرة ... من المعقة والآفات والأثم (٢)

وقالت الخنساء :

خطاب مفضلة فراج مظلمة ... إن جاء مفظعة هيا لها بابا

وعد الاصمعى خصال معد فقال :

كانوا أديما ماعزا شانه ... أخلص فيه القرظ الآهب (٣)

أو مرقئ عرق دم مفرج ... أو سائل في لزبة زاعب (٤)

أو ذمة يوفى بها عاقد ... أو عقدة يحكمها آرب (٥)

أو حائط من غير لا نعمة ... أو رحم متّ بها جانب (٦)

أو خطبة بزلاء مفصولة ... يرضى بها الشاهد والغائب (٧)

(١) طبع الأخلاق : شينها وعيبها (٢) المعقة : سوء الخلق ، أو فساد المعدة . وكل صالح فى التفسير (٣) الأديم الماعز : الجلد الصلب دبغ أو لم يدبغ . القرظ : ورق السلم وثمر السنط تدبغ به الجلود . الآهب : دابغ الأهب (٤) مرقىء الدم : حاقنه . المفرج : المقتول في الفلاة غير المعروف قاتله . اللزبة : السنة الشديدة . الزاعب : السيل المنحدر (٥) الآرب : العاقل الداهي المحكم (٦) جانب : غريب (٧) خطبة بزلاء : فاصلة بين الحق والباطل

وقال ابنُ نَوْفَلٍ يهجو:

وأنْتَ كَسَاقِطٍ بَيْنَ الْحَشَايَا ... يَصيرُ إلَى الْخَبِيثِ مِنَ المَصيرِ
ومِثْلُ نعَامَةٍ تُدْعَى بَعِيرًا ... تُعاظِمُها إذَا مَا قِيلَ طِيرِى
وإنْ قِيلَ احْمِلِى قالَتْ فإنِّى ... مِنَ الطَّيْرِ المُرِبَّةِ بالْوُكُورِ (١)
وكُنْتَ لَدَى المُغِيرَةِ عَيْرَ سُوءٍ ... تَبُولُ مِنَ المَخَافَةِ لِلزَّئِيرِ
لِأَعْلاَجٍ ثَمَانِيَةٍ وشَيْخٍ ... كَبِيرِ السِّنِّ ذِى بَصَرٍ ضَرِيرِ
تَقُولُ لِمَا أصَابَكَ أطْعِمُونِى ... شَرَابًا ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ

وقال عَبْدُ يَغُوثَ (٥)

أَلاَ لاَتَلُومَانِى كَفَى اللَّوْمَ مَابِيا ... فَمَا لَكُمَا فِى اللَّوْمِ خَيْرٌ ولاَ لِيا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ المَلاَمَةَ نَفْعُهَا ... قَلِيلٌ ومَا لَوْمِى أَخِى مِنْ شِمَالِيا
فَيَا رَاكِبًا إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... نَدَامَاىَ مِنْ نَجْرَانَ أَنْ لاَ تَلاَقِيا
أَبَا كَرِبٍ والأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِمَا ... وقَيْسًا بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اليَمَانِيا
جَزَى اللهُ قَوْمِى بِالْكُلاَبِ مَلاَمَةً ... صَرِيحَهُمُ والآخَرِينَ المَوَالِيا
أَقُولُ وقَدْ شَدُّوا لِسَانِى بِنِسْعَةٍ ... أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا عَنْ لِسَانِيا
وتَضْحَكُ مِنِّى شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ ... كَأَنْ لَمْ تَرَا قَبْلِى أَسِيرًا يَمَانِيا

قال أبو عثمان: وليس فى الارض أعجب من طَرَفة بن العبد وعبد يغوث، وذلك أنا إذا قسنا جودة أشعارهما فى وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما فى حال الامن والرفاهية

أبو عُبَيْدَةَ قال: حدثنى أبو عَبدالله الفَزَارِىُّ عن مَالِك بن دِينَارٍ قال: مارأيت أحداً أبين من الحَجَّاج، إن كان لَيَرقَى المنبر فيذكر إحسانَه إلى أهل

(٤) المربة: المقيمة الملازمة (٥) راجع هذه القصيدة بأكملها في كتاب المفضليات مشروحة بقلمنا شرحاً وافياً

العراق وصفحه عنهم وإساءتهم إليه ، حتى أقول فى نفسى: إنى لأحسبه صادقا وإنى لاظنهم ظالمين له

قال : وكانت العرب تخطب على رواحلها ، وكذلك روى النبي ﷺ عن قُسّ بنِ ساعِدَة . قال : أخبرنى عبدُ الرحمن بنَ مهدى عن مالك بن أنَس قال : الوقوف على ظهور الدواب بعرفة سنة ، والقيام على الاقدام رُخصة . وجاء فى الاثر : لاتجعلوا ظهور دوابّكم مجالس .

ووقف الْهَيْثَمُ بنُ مُطَهَّر الفأفاء على ظهر دابته على باب الْخَيْزُرَان ينتظر بعض من يخرج من عندها ، فلما طال وقوفه بعث إليه عمر الكَلْوَاذى فقال : انزل عن ظهر دابتك ، فلم يرد عليه شيئاً ، فكرر الرسول إليه ، فقال : إنى رجل أعرج وإن خرج صاحبى من عند الخيزران فى موكبه خفت أن لا أدركه ؛ فبعث إليه : إن لم تنزل أنزلناك ، فبعث إليه قال : هو حبيس فى سبيل الله إن أنزلتنى عنه أن أقْضَمَهُ شهراً ، فانظر أيهما خير له أراحة ساعة أو جوع شهر ، قالوا له : هذا الهيثم بن مطهر ، قال : هذا شيطان

وقال أبُو عَلْقَمَةَ النَّحْوى : يا آسى [1] إنّى رجعت إلى المنزل أنا سَنِقٌ لَقِسٌ ، فأتيت لِشْنِشَنَةٍ من لوبةٍ وَلَكِيكٍ وقطيع أقرن قد غدرن هناك من سمن ورقاق سر شصان وسقيط عطمط ، ثم تناولت عليها كاسا [2] فقال له الطبيب : خذ خرفقا وسفلقا وجرفقا . فقال : ويلك ، أىّ شىء هذا ؟ قال : وأى شىء ماقلت ؟

وقال الزبرقان : أحب صبياننا الينا العريض الورك ، السبط الغرة ، الطويل الغُرْلة ، الأبله العقول . وأبغض صبياننا إلينا الأقيعس الذكر ، الذى كأنما ينظر

---

(١) يا آسى : يا طبيب . سنق : بشم متخم . اللقس : الذى غثت نفسه وخبثت من البشم والتخمة (٢) الشنشنة : قطعة من اللحم . اللوبة : مايدخره الرجل لنفسه أو لضيفه: قال الشاعر :

اثرت ضيفك باللوبة والذى كانت له ولمثله الأدخار

ولكيك : ولحم

من جحر ، واذا سأله القوم عن أبيه هرّ فى وجوههم

قال الهيثم ، قال الاشعث : إذا كان الغلام سائل الغرة ، طويل الغُرلة ، ملتاث الازْرة ، كأن به لوثة ، فما يشك فى سؤدُده

قال أبو المخش : كان المخش أشدقَ خُرْطُمانيا سائلا لعابه كأنما ينظر من قُلتين . كأن تَرْقُوته بُوان أو خالفة ، وكأن كاهله كِرْكرة جمل ، فقأ الله عينىّ هاتين إن كنتُ رأيت بعده ولا قبله مثله

وكان زيادٌ حوّل المنبر وبيوت الاموال والدواوين إلى الازد وصلى بهم وخطب فى مسجد حُدان فقال عمرو بن العرندس :

فأصْبَحَ فِى الْحُدَّانِ يَخْطُبُ آمِناً ... وَالْأَزْدِ عِزٌّ لا يَزَالُ تِلَادُ

وقال الاعرج :

وَالْقَائِلِينَ فلاَ يُعابُ خَطِيبُهُمْ ... يَوْمَ الْمُقامَةِ بالْكلاَمِ الْفاصِلِ

وقال ابن مفرغ :

وَمَتَى تَقُمْ يَوْمَ اجْتِماعِ عَشِيرَةٍ ... خُطَباؤُنا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ تَفْصِلِ

وقال :

فَبِارُبَّ خَصْمٍ قدْ كَفِيتُ دِفاعَهُ ... وَقَوَّمْتُ مِنْهُ دَرْأَهُ فَتَنَكَّبا

وقال آخر :

وَحامِلِ ضَبٍّ ضِغْنٍ لَمْ يُضِرَّنِى ... بَعِيدِ قَلْبُهُ حُلْوِ اللِّسَانِ

ولوْ أنِّى أشَاءُ نَقَمْتُ مِنْهُ ... بِشَغْبٍ مِنْ لِسَانٍ تَيَّحَانِ

وقال :

عهِدْتُ بِهِ هِنْدًا وهِنْدٌ عَزِيزَةٌ ... عنِ الْفُحْشِ بَلْهاءُ الْعِشاءِ نَؤُومُ

رَوَاحُ الضُّحَى مِيَّالَةٌ بَخْتَرِيَّةٌ ... لها مَنْطِقٌ يُصْبِى الحَلِيمَ رَخِيمُ

وقال آخر :

وخَصْمٍ يَرْكَبُ الْعَوْصَاءَ طَاطٍ ... على الْمُثْلَى قُصارَاهُ الْقِرَاعُ

ومَلْمُومٍ جَوَانِبُها رَدَاحٍ ... تُزَجَّى بالرِّمَاحِ لَها شُعَاعُ

وقال محلم بن فراس يرثى منصوراً وهماماً ابنى السجاح :

كَمْ فِيهِمُ لَوْ تَمَتَّعْنا حَيَاتَهُمُ ... مِنْ فَارِسٍ يَوْمَ رَوْحِ الحَيِّ مِقْدَامِ
وَمِنْ فَتًى يَمْلَأُ الشِّبْزَى مُكَلَّلَةً ... شَحْمَ السَّدِيفِ نَدِيِّ الحَمْدِ مِطْعَامِ
وَمِنْ خَطِيبٍ غَدَاةَ الحَفْلِ مُرْتَجِلٍ ... ثَبْتِ المَقَامِ أَرِيبٍ غَيْرِ هِتْحَامِ

وقال خالد للقعقاع : أنافرك على أينا أطعن بالرماح ، وأطعم للسجاح ، وأنزل بالبراح . قال : لا بل على أينا أفضل أباً وجداً وعماً ، وقديماً وحديثاً . قال خالد : أعطيتَ يوماً من سأل ، وأطعمتَ حولا من أكل ، وطعنتَ فارساً طعنة شككت فخذيه بجنب الفرس ؟ قال القعقاع : وأخرج نعلين فقال : ربع أبى عليهما أربعين مرباعاً لم تشكل فيهن تميمية ولدا

كان مالك بن الأخطل التغلبى — وبه كان يكنى — أتى العراق فسمع شعر جرير والفرزدق ، فلما قدم على أبيه سأله عن شعرهما فقال : وجدت جريراً يغرف من بحر ، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر . فقال الأخطل : الذى يغرف من بحر أشعرهما . وقال بعضهم :

وَمَا خَيْرُ مَنْ لا يَنْفَعُ الأَهْلَ عَيْشُهُ ... وَإِنْ مَاتَ لَمْ يَجْزَعْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهْ
كَهَامٌ عَلَى الأَقْصَى كَلِيلٌ لِسَانُهُ ... وَفِى بَشَرِ الأَدْنَى حِدَادٌ مَخَالِبُهْ

وقال العُمانى :

إِذَا مَشَى لِكُلِّ قِرْنٍ مُقْرِنِ ... ثُمَّ مَشَى القِرْنُ لَهُ كَالأَرْعَنِ
بِصَارِمٍ يَفْرِى صَفِيحَ الْجَوْشَنِ ... مُقَرْطَنٌ ذَافَ إِلَى مُقَرْطَنِ
يُفْضِى إِلَى أُمِّ الْفِرَاخِ الْمُكْمِنِ ... حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقِنِى اسْقِنِى
كَمْ لأَبِى مُحَمَّدٍ مِنْ مَوْطِنِ

وقال العُمانى :

وَمَقُولٌ نِعْمَ لِزَازُ الْخَصْمِ ... أَلَدُّ يَشْتَقُّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ (١)

(١) ومقول : ولسان مبين داحض . لزاز الخصم : آخذ على الخصم المسالك ، مضيق عليه المسارب . ألد : قوى الخصومة شديد اللدد فيها . يشتق : يأتى بالحجج ويولد الأدلة والبراهين لأهل العلم

بِبَاطِلٍ يَدْحَضُ حَقَّ الْخَصْمِ حَتَّى يَصِيرُوا كَسَحَابِ الْيَكْمِ (١)

وقال عُبيد فى حديث على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه حين رأى فلاناً يخطب فقال: هذا الخطيب الشَّحْشَحُ. قال: هو الماهر الماضى. قال الطِّرِمَّاحُ،

كَأَنَّ الْمَطَايَا لَيْلَةَ الْخَمْسِ عُلِّقَتْ بِوَثَّابَةٍ تَنْضُو الرَّوَاسِمَ شَحْشَحِ

وقال ذو الرُّمَّةِ:

لَدُنْ غُدْوَةً حتى إِذَا امْتَدَّتِ الضُّحَى وحَثَّ الْقَطِينَ الشَّحْشَحَانُ الْمُكَلَّفُ

يعنى الحادى. وكان أسد بن كُرْز (٢) يقال له: خطيب الشيطان. فلما استعمل ابنه على العراق قيل له: خطيب الله، فجرت إلى اليوم، قال أبو السلم الهذلى:

أَصَخْرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ إِنْ كُنْتَ شَاعِرًا فَإِنَّكَ لَا تُهْدِى الْقَرِيضَ لِمُفْحَمِ

وقال بَلْعاء بن قيس:

أَبَيْتُ لِنَفْسِى الْخَسْفَ لَمَّا رَضُوا بِهِ وَوَلَّيْتُهُمْ سَعْيًا وَمَا كَانَ مُفْحَمَا

وقال عبد الله بن مُصعب: وقف معاوية على امرأة من بنى كنانة فقال لها: هل من قِرًى؟ قالت: نعم. قال: وما قِراك؟ قالت: عندى خبز خمير، وابن فطير، وماء نمير. وقال أُحَيْحة:

والصَّمْتُ أَكْرَمُ بِالْفَتَى مَالَمْ يَكُنْ عِيٌّ يَشِينُهْ

والْقَوْلُ ذُو خَطَلٍ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لُبٌّ يُعِينُهْ

وقال أبو ثُمامة الضبى:

ومِنَّا حُصَيْنٌ كَانَ فى كُلِّ خُطْبَةٍ يَقُولُ أَلَا مِنْ نَاطِقٍ مُتَكَلِّمِ

---

(١) بباطل: يريد أنه لقوة لسنه وشدة عارضته يدحض حق الخصم بالحق وبالباطل

(٢) أسد بن كرز: هو جد خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز القسرى البجلى. وكان أسد بن كرز يدعى في الجاهلية رب بجيلة، وكان ممن حرم الخمر فى الجاهلية تنزهاً عنها: وكان سيداً شاعر فاتكا مغواراً. أدرك أسد وابنه يزيد الاسلام وأسلما واهدى أسد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم إسلامه قوسا. وكان كريماً ممدحاً، ولتأبط شرافيه مديح جيد

وقال عُبيدُ بنُ أُمَيَّةَ الضبيُّ ، واستَبَّ هو والحارثُ بنُ شَيْبَةَ المُجاشِعيُّ عند النُّعْمان . فقال :

تُرَى بيُوتٌ وتُرَى رِماحُ ... ونَعَمٌ مُزَنَّمٌ سِحاحُ (١)
ومَنْطِقٌ لَيْسَ لهُ نَجاحُ ... يا قَصَباً طارَ بِهِ الرِّياحُ
وأَذْرُعاً لَيْسَتْ لَها أَلْواحُ

وقال قَيسُ بن الخطيم :

وبَعْضُ القَوْلِ لَيْسَ لهُ حَصاةٌ ... كَمَخْضِ المَرْءِ لَيْسَ لهُ إِناءُ

وهذا شبيهٌ بقوله :

كُسالَى إذا لاقَيْتَهُمْ غيرَ مَنْطِقٍ ... يُلهَى بهِ المَثْبُولُ وهْوَ عَناءُ

وقال أبو ثُمامة :

أُخاصِمُهُمْ مَرَّةً قائِماً ... وأَجْثُو إذا ما جَثَوْا لِلرُّكَبْ
إذا مَنْطِقٌ قالَهُ صاحِبي ... تَعَقَّبْتُ آخِرَ ذا مُعْتَقَبْ

وقال الشَّمَّاخ :

ومَرْتَبَةٍ لا يُسْتَطاعُ بِها الرَّدَى ... تَرَكْتُ بِها الشَّكَّ الذي هُوَ عاجِزُ

ويُرْوَى : تَلافَى بِها حِلْمِي عنِ الجَهْلِ حاجِزُ

(باب من الكلام المحذوف)

ثم نرجع بعد ذلك إلى الكلام الأول

هَيْثَمٌ ، عن يونُس ، عن الحسن يرفعه ، أن المهاجرين قالوا : يارسول الله ، إن الانصار فَضَلونا بأنهم آووا ونصرواوفعلوا وفعلوا . قال النبي ﷺ : « أتعرفون ذاكلهم ؟ » قالوا : نعم . قال : « فان ذاك » ليس فى الحديث غير هذا ، يريد : إن ذاك شكر ومكافأة

قال : وكلم رجل من قيس عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فى حاجة ، وجعل يمتّ بقرابة ، فقال عمر : وإنَّ ذاكَ . ثم ذكر حاجته فقال : لَعَلَّ ذاكَ .

(١) نعم مزنم سحاح : النعم هنا الابل ، والمزنم ، كان من عادة العرب أن تعرض لكرام إبلها فتقطع من أذن كل بعير قطعة ولا تفصلها بل تتركها معلقة . والسحاح : السمان

لم يزده على أن قال : فان ذاك ، ولعل ذاك . فان ذاك كما قلت ، ولعل حاجتك أن تقضى . وقال عبيد الله بن قيس [١] :

بَكَرَتْ علىَّ عَوَازِلى يَلْحَيْنَنى وأُلُومُهُنَّهْ
وقُلْنَ شَيْبٌ قدْ عَلاَ كَ وقدْ كَبِرْتَ فقُلْتُ إنَّهْ

وقال الاسدى [٢] لعبد الله بن الزُّبَير : لاحملت ناقة حملتنى إليك . قال ابن الزبير : إنّ ورا كبها

عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن أبى هاشم القاسم بن كثير ، عن قيس الخارجى : أنه سمع عليًا يقول : سَبَقَ رسولُ الله ﷺ وصلى أبو بكر ، وثلَّثَ عُمَرُ ، وخبطتنا فتنة فما شاء الله . ليس فى الحديث أكثر من هذا

ولما كتب أبو عبيدة [٣] إلى عمر جواب كتاب عمر فى أمر الطاعون فقرأ

---

(١) كان في الأصل عبد الله ، والصواب ما أثبتناه . وهو عبيد الله بن قيس بن شريح العامرى ، المعروف بابن قيس الرقيات : كان شاعراً مجيداً له مدايح حسان في مصعب بن الزبير وفي عبد الملك بن مروان . قال حماد الراوية : إذا أردت أن تقول الشعر فارو شعر ابن قيس الرقيات ، فانه أرق الناس حواشى شعر . وسأل سعيد بن المسيب نوفل بن مساحق : من أشعر ، ابن قيس الرقيات أم ابن أبي ربيعة ؟ فقال : ابن أبي ربيعة أشهر بالغزل ، وابن قيس أكثر أفانين شعر . قال : صدقت

(٢) الأسدى : هو فضالة بن شريك الأسدى ، وفد على عبد الله بن الزبير فلما مثل بين يديه قال : إن ناقتى قد تعبت ودبرت ، فقال ابن الزبير : إرقعها بجلد ، واخصفها بهلب ، وسربها البردين . فقال فضالة : إنى قد جئتك مستحملا لامستشيراً ، فلعن الله ناقة حملتنى إليك . فقال ابن الزبير : إن ورا كبها . يعنى نعم ورا كبها . وزعم يونس بن حبيب أن هذه الحادثة إنما كانت مع عبد الله بن فضالة لا مع فضالة نفسه

(٣) أبو عبيدة : هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشى . كان من كبار الصحابة وأجلائهم حتى لقد رشحه أبو بكر للخلافة يوم سقيفة بنى ساعدة وقال : رضيت لكم أحد صاحبى : أبا عبيدة أو عمر . شهد كثيراً من المشاهد والفتوحات ، وكان شجاعاً باسلا ، وقائداً بطلا ، وأميراً عاقلا . وكان عفاً زاهداً . توفي بالشام عن ٥٨ سنة فى طاعون عمواس سنة ١٨ هـ ٦٣٩ م

عمرٌ الكتاب استرجع فقال له المسلمون : مات أبو عبيدة ؟ قال : لا وكأن قد
وقال النابغة :

أزِفَ الترحُّلُ غيرَ أنَّ رِكابَنا لمَّا تَزَلْ بِرِحالِنا وكأنْ قدِ

وأنشد ابنُ الأعرابيِّ :

إذا قيلَ أعْمَى قُلْتُ إنَّ وربَّما أكُونُ وإنِّى مِنْ فَتًى لَبَصيرُ
إذا أبْصَرَ القَلْبُ المُرُوءَةَ والتُّقَى فإنَّ عَمَى العَيْنَيْنِ لَيْسَ يَضيرُ
وإنَّ العَمَى أجْرٌ وذُخْرٌ وعِصْمَةٌ وإنِّى إلَى هَذِى الثَّلاثِ فَقِيرُ

ابن أبى الزناد قال : كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، وكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فى المظالم فيراجعه ، فكتب اليه :

إنه ليخيل إلىَّ أنىِّ لو كتبتُ إليك أن تعطى رجلا شاة ، لكتبتَ إلىَّ : أضأن أم ماعز ؟ وإن كتبتُ إليك بأحدهما ، كتبتَ إلىَّ : أذَكَرٌ أو أنْثَى ؟ فان كتبتُ إليك بأحدهما كتبتَ إلىَّ : صغيرٌ أم كبير ؟ فإذا أتاك كتابى فى مظلمة فلا تراجعنى والسلام

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إنى لأستعين بالرجل الذى فيه ليس فى الحديث غير هذا ، ثم ابتدأ بالكلام فقال : ثم أكون على قفائه إذا كان أقوى من المؤمن الضعيف . وأراد هو قول الأسدى :

سُوَيْدٌ فِيهِ فابْغُونا سِوَاهُ أبَيْناهُ وإنْ بَهَّاهُ تاجُ

ولم يقل فيه كذا وفيه كذا . وقال الراجز :

بِتْنا بِحَسَّانٍ ومِعْزَاهُ تَئِطْ فى سَمَنٍ حَمٍّ ونَمْرٍ وأقِطْ (١)
حَتى إذا كادَ الظَّلامُ يَنْكَشِطْ جاءَ بِمَذْقٍ هَلْ رأيْتَ الذِّئْبَ قَطْ ؟ (٢)

(١) تئط : تتجاوب بأصواتها . سمن حم : كثير سائل : الاقط : الجبن يتخذ من اللبن بصناعة معروفة (٢) ينكشط : يذهب . جاء بمذق : جاء بلبن مشوب بماء . هل رأيت الذئب قط : يعنى أن لون ما قدم له من مزقة اللبن كلون الذئب

وقيل للمنتجع بن نبهان ـ أو لأبى مهدية ـ : مَاالنَّضْنَاضُ ؟ فاخرج طرف سانه وحركه . وقيل له : مَاالدَّلَنْظَى ؟ فزحر وتقاعس وفرج مابين منكبيه

ومن الكلام كلام يذهب السامع منه إلى معانى أهله والى قصد صاحبه ، كقول الله تبارك وتعالى « وتَرَىَ الناسَ سُكَارَى وما هُم بسُكَارَى » وقال « لايموت فيها ولا يَحيَا »وقال « ويَأتيه الموتُ مِن كل مَكان ، وما هُو بِمَيِّتٍ »

وسئل المفسر عن قوله « لَهمُ رِزقهم فيها بُكْرَةً وَعَشِيًا » فقال : ليس فيها بكرة ولا عَشِى . وقال لنبيه ﷺ « فإن كنتَ فى شَكٍّ مِمَّا نَزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » . قالوا : لم يشك ولم يسأل

وقال عمر رضى الله تعالى عنه فى جواب كلام قد تقدم ، وقول قد سلف منه : مُتْعَتَانِ كانتا على عهد رسول الله ﷺ أنا أنهى عنهما وأضرب عليهما . وهذا مثل قائل لو قال : أنضر بنا على الكلام فى الصلاة وعلى التطبيق إذا ركعنا ؟ فيقول : نعم ، أشد الضرب. إذا كان قد تقدم منه إعلامه إياهم بحال الناسخ والمنسوخ

وقد سأل رجل بلالاً مولى أبى بكر رضى الله تعالى عنه — وقد أقبل من الحَلْبَةِ ـ فقال له : مَنْ سَبَقَ ؟ قال : سبق المقربون . قال : إنما أسألك عن الخيل ؟ قال : وأنا أجيبك عن الخير . فترك بلال جواب لفظه إلى خير هو أنفع له

حدثنا عبد الملك بن شيبان قال : حدثنى يعقوب بن الفضل الهاشمى قال : كتب أبو جعفر إلى سلم يأمره بهدم دور من خرج مع ابرهيم [1] وعقر نخلهم ، قال: فكتب اليه سلم . بأى ذلك نبدأ : بالدور أم بالنخل ؟ فكتب اليه أبو جعفر : أما بعد فإنى لو كتبت إليك بإفساد ثمرهم لكتبت إلىّ تستأذنى بأية نبدأ : بالبرنى أم بالشهريز ؟ وعزله وولى محمد بن سُلَيمان

وقال ابن مسعود : إن طولَ الصلاة وقِصَرَ الخُطْبة مِئِنَّةٌ من فِقه الرجل مِئِنَّةٌ : كقولك مَخلقة ومَجدرة ومَجرأة . قال الأصمعى : مئنة : علامة

---

(١) هو ابرهيم بن عبد الله بن حسن العلوى خرج فى زمن أبى جعفر المنصور فصرع في المعركة سنة ١٤٥ هـ ٧٦٢ م

وقال عبد الله : عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدرى متى يخيل إليه

ولما أقدم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عَمرَو بنَ العاص من مصر قال له عُمر : لقد سرت سير عاشق . قال عمرو : إنى والله ما تأبطنى الإماء ولا حملتنى البغايا فى غُبَرَات المآلى[٢] قال له عمر : والله ما هذا بجواب الكلام الذى سألتك عنه ، وإن الدَّجاجة لتفحص فى الرماد فتضع لغير الفحل ، والبيضة منسوبة إلى طرقها . وقام عمر فدخل ، وقام عمرو فقال : قد أفحش أمير المؤمنين علينا

وجاء فى الحديث : لا يمنع فضل الماء ليمنع به فضل الكلأ . وقال أعرابى : اللهم لا تنزلنى ماء سوء فأكون امرأ سوء

وقال بلعاء بن قيس :

وكَمْ كانَ فى آلِ المُلوَّحِ مِنْ فَتًى ... مُنادًى مُفْدًى حِينَ تَبْلَى سَرَائِرُهْ

وكَمْ كانَ فى آلِ المُلوَّحِ مِنْ فَتًى ... يُجِيبُ خَطِيبًا لا يُخافُ عَوَاثِرُهْ

وقال آخر :

ومُخاصِمٍ قاوَمْتُ فِى كَبَدٍ ... مِثْلِ الرِّهَانِ فَصارَ لِي العُذْرُ[٢]

وقال آخر :

وَجْهٌ قَبِيحٌ ولِسَانٌ أبكَمُ ... ومِشْفَرٌ لا يَتَوارَى أضْجَمُ

ولما رأى الفرزدق دَرَسْتَ بن رِباطِ الفُقَيْمِي على المنبر وكان أسود دميما قصيراً قال :

بكَى المِنبَرُ الشَّرْقِيُّ إذْ قامَ فوْقَهُ ... أمِيرٌ فُقَيْمِيٌّ قَصِيرُ الدَّوَارِجِ

وقال :

بَكَى المِنْبَرُ الشَّرْقِيُّ والنَّاسُ إذْ رأوْا ... عَلَيْهِ فُقَيْمِيًّا قَصِيرَ القَوَائِمِ

وإنما كان يعادى بنى فُقَيم لأنهم قتلوا أباه غالباً

قال أبو عبيدة : قال رجل ليونس بن حبيب : إذا أخذتم فى مذاكرة

(١) غبرات المآلى : آثار الحيض فى الخرق البوالى (٢) الكبد : الشدة

الحديث وقع علىَّ النَّعاس .قال : فاعلم أنك حِمارٌ فى مسلاخ [1] إنسان

ودخل عبد الله بن خازم على عُبيد الله بن زياد ـ وهو يخطر فى مِشيته ـ فقال للمُنذر بن الجَارُودِ : حرِّكه . فقال : يا ابن خازم ، إنك لتجر ثوبك كما تجر المرأة البَغِيُّ ذيلها . قال : أما والله إنى مع ذلك لأنفذ بالسرية ، وأضرب هامة البطل المُشيح ، ولو كنت وراء هذا الحائط لوضعت أكثرك شعراً . وقد كان قبض عطاءه فصبه بين أيديهم ثم قال : لعنكِ الله من دراهم ، والله ماتقومين بمؤنة خيلنا

وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه : خذ الحكمة أنَّى أتتْكَ ، فإن الحكمة تكون فى صدر المنافق فتلجلج فى صدره حتى تخرج فتسكن إلى صاحبها

وقال عَمرو بن العاص لأهل الشام يوم صِفِّينَ : أقيموا صفوفكم مثل قصّ الشارب ، وأعيرونا جماجمكم ساعة من النهار ، فقد بلغ الحق مقطعه ، فوانما هو ظالم أو مظلوم

وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه يومئذ : عضُّوا على النواجذ من الاضراس ، فانه أنبا للسيوف عن الهام

وقال رجل : طِدْ رجلَك إذا اعتقبتَ بالسيف والعصا ، وأنت مخير فى رفعها ساعة المسالمة والموادعة . ولما أقاموا ابن قُتيبة بين العقابين قال له أبوه : طِدْ رجليك الارض ، وأصرَّ إصرار الفرس ، واذكر أحاديث غد . وإياك وذكر الله فى هذا الموضع فانه من الفشل

وقيل للحجاج . مَن أخطب النـاس ؟ قال : صاحب العمامة السوداء يعنى أخصاص البصرة . يعنى الحسن

وقال الاحنف : قال عمر : تفقهوا قبل أن تسودوا . وقال عمر : أحذر من فلتات الشباب كلَّ ما أورثك النَّبْزَ وأعلقك اللقب ، فإنه إن يعظم بعدها شأنك يشتد علَى ذلك ندمُك

(١) المسلاخ: الجلد

(كلام لعمر بن الخطاب)

ولما بنى عُتبة بنُ غَزْوانَ وأصحابه بالبصرة بِناء اللَّبِنِ كتب إليهم عُمر : قد كنت أكره لكم ذلك ، فاذا فعلتم مافعلتم فعرضوا الحيطان وارفعوا السَّمْكَ وقاربوا بين الخشب . ولما بلغه أنهم قد اتخذوا الضياع وعَمَرُوا الأرضين كتب اليهم : لاتنهكوا وجه الارض فان شحمتها فيه . وقال عمر : بع الحيوان أحسن مايكون فى عينك . وقال : فرقوا بين المنايا واجعلوا الرأس رأسين . وقال : أملِكوا العجين فإنه أحد الرَّيعين . وقال : إذا اشتريت بعيراً فاجعله ضخما فان أخطأك خُبر لم يُخطئك سوق . وقال عمر : العمائم تيجان العرب . وقال : نعم المستند الاحتماء .

وقال رسول الله ﷺ ، الناس كالابل ترى المائة لاتجد فيها راحلة

وأنشدوا :

وكأنَّ مِنْ زَهْرِ الخُزَامَى والنَّدَى ... والأُقْحُوَان عليهِ رَيْطَةَ بُرْنُسِ
وإذا تَرَنَّمَ حَوْلَهُ ذِبَّانُهُ ... أصْغَى تَسَمُّعَ خائفٍ مُتَوَجِّسِ
خرَجَتْ عليهِ من الضَّراءِ دَواجِنٌ ... تَحْتَثُّ نحْوَ مَلاذِ وَانٍ أشْوَسِ (١)
يَسْعَى يُمثِّلُ والصَّفِيرُ كلامُهُ ... وتَحِي يَدَاهُ لهُ وحِيَ الأَخْرَسِ (٢)

وقال الراعى :

أبا خَالِدٍ لا تَنْبِذَنَّا فَصَاحَةً ... كَوَحْيِ الصَّفَا خُطَّتْ لكُمْ فى فُؤَادِيا

وقال الشاعر :

رُبَّ طَرْفٍ مُصَرَّحٍ ... عَنْ ضَمِيرٍ بِمَا هَجَسْ

وقال آخر : بِلَحْنِ القَوْلِ والطَّرْفِ الفَصيحِ

وقال المُثقِّبُ العَبْدِىُّ فى استماع الثور وتوجسه وجمع باله إذا أحس بشىء من أسباب القانص وذكر ناقة :

---

(١) الضراء : الشجر الملتف يخفى ما وراءه . الدواجن : يريد بها كلاب الصيد المستخفية في الضراء . تحتث : تسرع العدو . الملاذ : الملجأ . وان : متوان فى عدوه تعبا . أشوس : جرئ . يعنى ثور الوحش (٢) الوحى : الايماء باليد

كأنَّها أسفعُ ذو جُدَّةٍ يضمُّهُ القَفْرُ وليلٌ سَدِى (١)
كأنما ينظرُ من بُرْقُعٍ من تحتِ رَوْقَيْ سَكَبٍ مِذْوَدِ (٢)
تُصيخُ للنَّبأةِ أسماعُهُ إصاخةَ الناشدِ للمُنْشِدِ (٣)
ويُوجِسُ السَّمْعَ لِنُكْرَانِهِ من خَشْيةِ القانصِ والمُؤْسِدِ (٤)

وقال بعض العبيد شعراً يقع فى ذكر الخطباء وفى ذكر أشداقهم وتشادقهم :

أغرَّكَ منِّي أنَّ مَوْلاىَ مَزْيَدًا سَرِيعٌ إلى داعِي الطَّعامِ سَرُوطُ
غُلامٌ أتاهُ الذُّلُّ من نحوِ شِدْقِهِ لهُ نَسَبٌ فى الواغِلِينَ بَسِيطُ
لهُ نَحْوَ دَوْرِ الكاسِ إمَّا دَعَوْتَهُ لِسانٌ كذَلْقِ الزَّاعِبِىِّ سَلِيطُ (٥)

وقال الاول : إنَّ سَلِيطاً كاسْمِهِ سَلِيطُ

وقال بعض العبيد ، وقد كان مفتوق اللهاة وشاعراً :

أشْدَقُ يَفْرِى حِينَ لا أحَدٌ يَفْرِى

وقال مُؤَرِّقٌ العبد يتوعد مولاه :

لَوْلاَ عَجُوزٌ قَحْمَةٌ ودَرْدَقُ وصَاحِبٌ جَمُّ الحَدِيثِ مُونِقُ (٦)
كَيْفَ الفَوَاتُ والطَّلُوبُ مُورِقُ شَيْخٌ مَغِيظٌ وسِنَانٌ يُبْرِقُ
وحَنْجَرٌ رَحْبٌ وصَوْتٌ مُصْلِقُ وشِدْقُ ضِرْغامٍ ونَابٌ مُخْرِقُ

وسأل رجل عُمَرَ بنَ عَبْدِ العَزِيزِ عن الجَمَلِ وَصِفِّينَ فقال : تلك دماء كف الله يدى عنها فلا أحب أن أغمس لسانى فيها

---

(١) الأسفع : الذى بخديه حمرة تضرب إلى السواد . والجدة : الخطة في ظهر الثور تخالف لونه . ومنه قوله تعالى : جدد بيض وحمر . وليل سدى : أى ليل دوندى
(٢) الروق : القرن . سكب : يريد أنه مصمت . المذود : القرن (٣) النبأة : الصوت الخفى . الناشد : الطالب . المنشد : المطلوب (٤) لنكرانه : أى لما ينكره ويخشاه . المؤسد : المغرى كلابه بالصيد (٥) كذلق الزاعبى سليط : يعنى طويل كحد السنان (٦) القحمة : المرأة المسنة . ويريد بها أمه . والدردق : أطفاله الصغار . ويريد بالصاحب : امرأته . مونق : معجب

ويقع فى باب التطبيق قول الشاعر :

لأنتُمْ بِبَيْعِ اللَّحْمِ أعْلَمُ مِنْكُمُ بضَرْبِ السُّيُوفِ المُرْهَفَاتِ القَوَاطِع

وقال عَمرُو بن هَدَّابٍ : إنما كنا نعرف سُؤددَ مُسلم بن قُتيبة أنه كان يركب وحده ويرجع فى خمسين .

وقال الاصمعى: دخل حبيب بنُ شَوْذَبٍ الأَسَدِىُّ على جعفر بن سليمان بالمدينة فقال : أصلح الله الامير ، حَبيب بن شوذب وادّ الصدر ، جميل الذكر ، يكره الزيارة المملّة ، والعقدة المنسية . وفى الحديث : « زُرْ غِبًّا تزدد حُبًا »

وقال بعضهم عن الثَّوْرِىِّ ، عن محمد بن عَجلان ، عن عِياض بن عبدالله قال : إن الدَّين مجمع لكل هَمٍ : همٌّ بالليل وذُل بالنهار ، ورأية الله فى أرضه ، فإذا أراد الله أن يُذِل عبداً جعله طوقا فى عنقه

عمر بن ذرٍّ قال : الحمد لله الذى جعلنا من أمة تُغفر لهم السيئآت ، ولا تُقبل من غيرهم الحسنات

ابن أبى زياد : كنا لا نكتب إلا سُنة ، وكان الزُّهرى يكتب كل شىء ، فلما احتيج إليه عُرف أنه أوعى الناس .

قال فَيروز بن حُصين : إذا أراد الله أن يُزيل عن عبده نعمة كان أول مايغيّر منه عقله .

وقيل لمحمد بن كعب القُرظى : ماعلامة الخِذلان ؟ قال : أن يستقبح الرجلُ ما كان عنده حسناً ، ويستحسن ما كان عنده قبيحاً

وقال محمد بن حفص : كن إلى الاستماع أسرع منك إلى القول ، ومن خطأ القول أشد حذراً من خطأ السكوت .

وقال الحسن : إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ، وتَعلّم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول ، ولا تقطع على أحد حديثه

سُفيان بن عُيينه قال : كان يقال : العالم مثل السراج من مر به اقتبس منه

وقال الشاعر أبو دُهْمَان الغلابى :

لَئِنْ مِصْرُ فاتَتْنى بِمَا كُنْتُ أَرْتَجى ... وأَخْلَفَنى مِنْها الَّذِى كُنْتُ آمُلُ
فَمَا كُلُّ مَا يَخْشَى الْفَتَى بِمُصِيبِهِ ... وَمَا كُلُّ مَا يَرْجُو الْفَتَى هُوَ نائِلُ
فَما كانَ بَيْنِى لَوْ لَقِيتُكَ سالِمًا ... وبَيْنَ الْغِنَى إلاَّ لَيالٍ قَلائِلُ

وقال الآخر :

وإنَّ كَلامَ الْمَرْءِ فى غيرِ كُنْهِهِ ... لَكالنَّبْلِ تَهْوِى لَيْسَ فِيها نِصَالُها

وقال كعب الأحبار : قرأت فى بعض ما أنزل الله على أنبيائه عليهم السلام : الهدية تفقأ عين الحكيم ، وتُسفِّهُ عقل الحليم . زحم رجل سالم بنَ عبد الله فزحم سالم الذى يليه فقال له : ياشيخ ، ما أحسبك إلا شيخ سوء . قال سالم : ما أحسبك أبعدت .

وسأل رجل محمد بن عمير بن عُطارد وعتّاب بن وَرْقاء فى عشر ديات فقال محمد : على ديةٌ . فقال عتاب : الباقى علىّ . فقال محمد : نعم العون اليسار على المروءة .

وقال الأحنف :

فلوْ مَدَّ سَرْوِى بِمالٍ كَثِيرٍ ... لَجُدْتُ وكُنْتُ بِهِ باذِلا
فإنَّ الْمُرُوءَةَ لا تُسْتَطاعُ ... إذَا لَمْ يَكُنْ مَالُها فاضِلا

وقال يزيدُ بن حُجيّة حين بلغه أن زياد بن خَصَفَةَ تبعه ولم يلحق به :

أَبْلِغْ زِيادًا أَنَّنِي قَدْ كَفَيْتُهُ ... أُمُورِى وَخَلَّيْتُ الَّذِى هُوَ غالِبُهْ
وبابٍ شَدِيدٍ دَاوُهُ قَدْ فَتَحْتُهُ ... عليْكَ وقَدْ أَعْيَتْ عَلَيْكَ مَذَاهِبُهْ
هُبِلْتَ فَمَا تَرْجُو غَنايَ وَمَشْهَدِى ... إذا كانَ يَوْمٌ لا تُوَارَى كَوَاكِبُهْ

قال آخر : ... وَمَنْطِقٍ حُرِّقَ بالْعَوَاسِلِ

وتجردت حضرمية لزوجها ثم قالت : هل ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ؟ قال : أرى فُطوراً . وقال آخر : راودت امرأةٌ شيخاً واستهدفت له وأبطأ عليه الانتشار فلامته فقال لها : إنك تفتحين بيتاً وأنا أنشر ميتاً .

﴿ كتاب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى ﴾

على بن محمد ، عن عمر بن مجاشع أن عمر رضى الله تعالى عنه كتب إلى أبى موسى الأشعرى :

أما بعد فإن للناس نُفرة عن سلطانهم ، فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك عَمْيَاء مجهولة ، وضغائن محمولة ، وأهواء متبعة ، ودنيا مؤثرة ، فأقم الحدود ولو ساعة من نهار ، وإذا عرض لك أمران أحدهما لله ، والآخر للدنيا ، فآثر نصيبك من الآخرة ، على نصيبك من الدنيا ، فان الدنيا تنفد والآخرة تبقى ، وكن من خشية الله على وجل ، وأخِفِ الفساق وأجعلهم يداً يداً ، ورِجلا رجلا . وإذا كانت بين القبائل نائرة وتداعوا : يا آل فلان ، فإنما تلك نجوى الشيطان ، فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله وتكون دعواهم إلى الله وإلى الإمام ، وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبةَ تدعو : يا آل ضبة ، وإنى والله ما أعلم أن ضَبة ساق الله بها خيراً قط ، ولا منع بها سوءا قط ، فإذا جاءك كتابى هذا فأنْهَكْهُمْ عقوبةً حتى يَفْرَقُوا إن لم يفقهوا . وألصق بِغَيْلان بن خرشة من بينهم ، وعُد مرضَى المسلمين ، واشهد جنائزهم ، وافتح بابك ، وباشر أمرَهم بنفسك ، أنت امرؤ منهم ، غير أن الله جعلك أثقلهم حِملا . وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فَشا لك ولا هل بيتك هَيئةٌ فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبدَ الله أن تكون بمنزلة البَهيمة التى مرت بواد خصيب فلم يكن لها همةٌ إلا السِّمن ، وإنما حتفُها فى السِّمن . واعلم أن للعامل مَرَدًّا إلى الله ، فإذا زاغ العامل زاغت رَعيته ، وإن أشقى الناس من شَقيت به رعيته والسلام

عَوانةُ قال : قدم علينا أعرابى من كلب ، وكان يحدثنا الحديث فلا يكاد يقطعه ، فقال له رجل : أما لحديثك هذا آخر ؟ فقال : إذا عجز وصلناه

وقال معاوية ليونس الثَّقَفىِّ : اتَّق أن أطير بك طَيرة بطيئا وُقوعها . قال : أليس لى ولك المرجع بعدُ إلى الله ؟ قال : بلى ، فأستغفر الله

رَقَبةُ بن مَصقَلة قال : ما سمعت عُمرَ بن ذَرٍّ يتكلم إلا ذكرت النفخ فى الصور ، وما سمعت أحداً يحكيه إلا تمنيت أن يُجلد ثمانين . قال : وتكلم عمر بن ذَرٍّ فصاح بعض الزفانين [1] صيحة فلطمه رجل قال عمر بن ذرٍّ : ما رأيت ظلماً قط أوفق لى من هذا . وقال طاوس : كنت عند محمد بن يوسف فأبلغه رجل من بعض أعدائه كلاماً فقال رجل من القوم : سبحان الله ؟ فقال طاوس : ما ظننت أن قول : سبحان الله ، معصية لله ، حتى كان اليوم . كأنه عنده إنما سبح ليظهر استعظام الذى كان من الرجل ليوقع به

وقال الآخر :

لوْ كانَ عَدْوَاكَ البَطِيءُ المُسْهِمُ ... إذا بَدا منْكَ الَّذِى لا يُكْتَمُ

وَجْهٌ قَبِيحٌ ولِسَانٌ أبْكَمُ ... ومِشْفَرٌ لا يَتَوارَى أضْجَمُ

وقال الآخر :

يُقَعِّرُ القَوْلَ لِكَيْما تَحْسَبَهْ ... مِنَ الرِّجَالِ الفُصَحاءِ المُعْرِبَهْ

وهوَ إذا نَسَبْتَهُ مِنْ كَرَبَهْ ... مِنْ نَخْلَةٍ نابِتَةٍ فِي خَرِبَهْ [2]

قالت امرأة الحطيئة للحطيئة حين تحول عن بنى رياح إلى بنى كليب : بئس ما استبدلت من بنى رياح بعر الكبش . لأنهم متفرقون ، وكذلك بعر الكبش يقع متفرقا

﴿ كلام لعائشة أم المؤمنين فى قتل عثمان ﴾

على بن محمد ، عن مَسلمة بن مُحارب ، عن داود بن أبى حرب بن أبى الأسود ، عن أبيه قال : بعثنى وعِمرانَ بن حُصين عثمانُ بن حَنيفٍ إلى عائشة رضى الله تعالى عنها فقلنا : يا أم المؤمنين : أخبرينا عن مسيرك هذا ، أعهد عهده إليك رسول الله ﷺ أم رأى رأيتيه ؟ قالت : بل رأى رأيته حين قُتل عثمان ، إنا نَقِمنا عليه ضربةً بالسوط ، وموقعَ السحابة المُمحاة ، وإمرةَ سعيد والوليد ،

(١) الزفانون : الرقاصون (٢) الكربة : أصل السعفة اليابس

فعدوتم عليه فاستحللتم منه الحرم الثلاث : حرمةَ البلد ، وحرمة الخلافة ، وحرمة الشهر الحرام ، بعد أن مِصْناه كما يُماص الإناء ، فاستنقَى ، فركبتم منه هذه ظالمين ، فغضبنا لكم من سوط عُثمان ولا نغضب لعثمان من سيفكم ؟ قلت : فما أنت وسيفنا وسوط عثمان وأنت حَبيسُ رسول الله ﷺ أمرك أن تقرَّ فى بيتك فجئت تَضر بين الناس بعضهم ببعض ؟ قالت : وهل أحد يقاتلنى أو تقول غير هذا ؟ قلنا : نعم . قالت : ومن يفعل ذلك ؟ أزنيم بنى عامر ؟ . ثم قالت : هل أنت مبلغ عنى يا عِمران ؟ قال : لا ، لست مبلغاً عنك خيراً ولا شرًّا . فقلت : لكنِّي مبلغ عنك ، فهاتى ما شئت . قالت : اللهم اقتل مُذمَّماً — تعنى محمد بن أبى بكر — قصاصاً بعثمان ، وارم الأشتر بسهم من سهامك لا يشْوَى وأرْدِ [1] عماراً بحفرته فى عثمان

﴿ بين زياد والحكم بن عمرو ﴾

حدثنا يزيد بن هرون قال : أخبرنا هِشام بن حسان ، عن الحسن أن زياداً بعث الحكَم بن عمرو على خراسان فأصاب مغنما ، فكتب إليه زياد : إن أمير المؤمنين مُعاوية كتب إلىَّ يأمرنى أن أصطفى له كل صفراء وبيضاء ، فإذا أتاك كتابى هذا فانظر ما كان من ذهب وفضة فلا تقسمه واقسم ما سوى ذلك . فكتب إليه الحكم : إنى وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، ووالله لو أن السموات والأرض كانتا رتقاً على عبد فاتقى الله تعالى لجعل الله له منها مخرجا والسلام

ثم أمر المنادى فنادى فى الناس أن : اغدوا على غنائمكم . فغدوا فقسمها بينهم

وقال خالدُ بنُ صفْوانَ : مارأينا أرضاً مثل الأُبُلَّةِ أقرب مسافة ، ولا أطيب نُطفة ، ولا أوطأ مطية ، ولا أربح لتاجر ، ولا أخفى لعابد

﴿ كلام بعض الأعراب ﴾

قال الكِسائى : لقيت أعرابيًّا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف ، والشىء

(١) وارد . في نسخه: وأدرك . وليس للادراك معنى هنا والصحيح ماأثبتناه

بعد الشيء أقرنه بغيره . فقال : تالله ما رأيت رجلا أقدر على كلمة إلى جنب كلمة منها أشبه شيء بها ، وأبعد شيء منها ، منك . ووصف أعرابي رجلا فقال : ذاك والله ممن ينفع سِلمه ، ويتواصف حِلمه ، ولا يُستمرأ ظُلمه . وقال آخر لخصمه : بن هَملجت إلى الباطل إنك لقطوف إلى الحق

ورأى رَقَبَةُ بنُ مَصقَلة العبدى جارية عند العطار فقال له : ما تصنع هذه عندك ؟ قال : أكيل له حناء . قل : أظنك والله تكيل لها كيلا لا يأجرك الله عليه ؟

﴿ كلام عمرو بن العاص لعبد الله بن عباس ﴾

محمد بن سعيد ، عن ابرهيم بن خويطب قال : قال عمرو بن العاص لعبد الله ابن عباس : إن هذا الأمر الذى نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء ، وقد بلغ الأمر بنا وبكم ما نرى ، وما أبقت لنا هذه الحرب حياء ولا صبراً ، ولسنا نقول ليت الحرب عادت ، ولكننا نقول ليتها لم تكن كانت ، فانظر فيما بقى بغير ما مضى فانك رأس هذا الأمر بعد علىّ ، وإنما هو أمير مطاع ومأمور مُطيع ، ومشاور مأمون ، وأنت هو

وقال عيسى بنُ طَلْحة لِعُرْوة بنِ الزُّبير حين ابتُلى برجله فقطعها : يا أبا عبد الله ذهب أهونك علينا ، وبقى أكثرك لنا

قال أبو الحسن : خطب الحجاج يوم جمعة فأطال الخطبة فقال رجل : إن الوقت لا ينتظرك ، والرب لا يعذرك ؟ فحبسه فأتاه أهل الرجل وكلموه فيه وقالوا : إنه مجنون . فقال : إن أقر بالجنون خليتُ سبيله . فقيل له : أقر بالجنون . قال : لا والله ، لا أزعم أنه ابتلانى وقد عافانى

﴿ وصف الإبل ﴾

قالت ام هاشم السلولية : ما ذكر الناس مذكوراً خيراً من الإبل أحناه على أحد بخير ، إن حملت أثقلت ، وإن مَشت أبعدت ، وإن نُحرت أشبعت ، وإن حُلبت أروت

﴿ كتاب الحسن بن على إلى زياد ورد زياد عليه ﴾

حدثنى سليمان بن أحمد الخرشى قال : حدثنى عبد الله بن محمد بن حبيب قال : طلب زياد رجلا كان فى الأمان الذى سأله الحسن بن على لأصحابه ، فكتب فيه الحسن رضى الله تعالى عنه إلى زياد

من الحسن بن على إلى زياد : أما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا لأصحابنا ، وقد ذكر لى فلان أنك عرضت له فأحب أن لا تعرض له إلا بخير

فلما أتاه الكتاب ، ولم ينسب الحسن إلى أبى سفيان ، غضب فكتب

من زياد بن أبى سفيان إلى الحسن : أما بعد أتانى كتابك فى فاسق يؤويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك . وأيم الله لأطلبنهم ولو بين جلدك ولحمك . وإن أحب لحم إلىّ آكله للحم أنت منه

﴿ كتاب معاوية إلى زياد ﴾

فلما وصل الكتاب الحسن وجّه به إلى معاوية فلما قرأه معاوية غضب وكتب

من معاوية بن أبى سفيان إلى زياد بن أبى سفيان : أما بعد فإن لك رأيين : رأياً من أبى سفيان ورأياً من سُمية ، فأما رأيك من أبى سفيان فحلم وحزم ، وأما رأيك من سُمية فكما يكون رأى مثلها . وقد كتب إلىّ الحسن بن على أنك عرضت لصاحبه ، فلا تعرض له ، فإنى لم أجعل لك إليه سبيلا . وإن الحسن بن على ممن لا يرمى به الرّجوان . والعجب من كتابك إليه لا تنسبه إلى أبيه ، أفإلى أمه وكانه وهو ابن فاطمة بنت محمد ﷺ ؟ فالآن حين اخترت له والسلام

﴿ خطبة مصعب بن الزبير ﴾

قدم مصعب بن الزبير العراق فصعد المنبر ثم قال :

بسم الله الرحمن الرحيم « طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ، إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى الْأَرْضِ وجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ويَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ » وأشار بيده نحو الشام « ونُرِيد أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ

اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ » وأشار بيده نحو الحجاز « وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ » وأشار بيده نحو العراق

وكتب محمد بن كعب « القرظى » فقيل له : والأنصارى . قال : أكره أن أمن على الله بما لم أفعل

﴿ عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس ﴾

وقام عمرو بن العاص بالموسم فأطرى مُعاوية وبنى أمية وتناول بنى هاشم ثم ذكر مشاهده بِصِفِّينَ فقال ابن عباس : يا عمرو إنك بعت دينك من معاوية فأعطيته ما فى يدك ومنَاك ما فى يد غيره ، فكان الذى أخذ منك فوق الذى أعطاك ، وكان الذى أخذت منه دون ما أعطيته ، وكلٌّ راضٍ بما أخذ وأعطى ، فلما صارت مصر فى يدك تتبعك فيها بالعزل والتنقُّص حتى لو أن نفسك فيها ألقيتها إليه . وذكرت مشاهدك بصِفِّين فما ثَقُلَتْ علينا يومُ وطأتُك ، ولا نكأتنا فيها حربك ، وإن كنتَ فيها لطويل اللسان قصير السنان ، آخر الحرب إذا أقبلَتْ ، وأولها إذا أدبرَتْ ، لك يدان : يد لا تبسطها إلى خير ، ويد لا تقبضها عن شر . ووجهان : وجه مؤنس ووجه موحش . ولعمرى إن من باع دينه بدنيا غيره لحرىٌّ أن يطول حزنه على ما باع واشترى . لك بيان وفيك خَطَل ، ولك رأى وفيك نكد ، ولك قَدر وفيك حَسد ، فأصغر عيب فيك أعظم عيب فى غيرك . فقال عمرو : أما والله ما فى قريش أحد أثقل وطأة علىَّ منك ، ولا لأحد من قريش قَدر عندى مثل قَدرك

﴿ كلام عمرو بن عتبة ﴾

ورأى عَمْرو بن عُتبة بن أبى سفيان رجلا يشتم رجلا ، وآخر يسمع منه ، فقال للمستمع : نزِّه سمعك عن استماع الخَنا كما تنزه لسانك عن الكلام به ، فإن السامع شريك القائل ، وإنما نظر إلى شر ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك ، ولو رُدَّت كلمةُ جاهل فى فيه لسعد رادُّها كما شقِى قائلها

﴿ خصمان عند زياد ﴾

عوانة قال : اختصم إلى زياد رجلان فى حق كان لأحدهما على الآخر ؛ فقال المدعى : أيها الامير ، إنه ليسطو على بخاصة ذكر أنهاله منك . فقال زياد : صدق وسأخبرك بمنفعتها له ، إن يكن الحق له عليك أخذتك به ، وإن يكن لك عليه حكمت عليه ثم قضيت عنه

﴿ تأبين عائشة لأبى بكر الصديق ﴾

ولما توفى أبو بكر رضى الله تعالى عنه قامت عائشة رضى الله تعالى عنها على قبره فقالت : نضّر الله وجهك، وشكر لك صالحَ سَعْيِك ، فلقد كنت للدنيا مُذِلاً بإدبارك عنها ، وللآخرة مُعِزًّا بإقبالك عليها ، وإن كان لأجل الأرزاء بعد رسول الله ﷺ رزؤك ، وأكبر المصائب فقدك ، وإن كتاب الله ليعِد بجميل العزاء [فيك] حسن العوض منك ، فأنتجز من الله موعده فيك بالصبر عنك ، وأستخلصه بالاستغفار لك

﴿ تأبين الأحنف بن قيس ﴾

وقامت فَرغانة بنت أوس بن حَجَر على قبر الأحنف بن قيس وهى على راحلة فقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، [رحمك الله] أبا بحر من بِحَنٍ فى جَنَنْ ، ومُدْرَجٍ فى كفن ، فوالذى ابتلانى بفقدك ، ولمّنا يوم موتك ؛ لقد عشت حميداً ، ومتّ فقيداً ؛ ولقد كنت عظيم الحلم ، فاضل السلم ، رفيع العماد ، وارى الزناد ، منيع الحريم ، سليم الاديم ؛ وإن كنت فى المحافل لشريفاً ، وعلى الأرامل لعطوفا ، ومن الناس لقريبا ، وفيهم لغريبا ؛ وإن كنت لمسوّداً ، وإلى الخلفاء لموَفّداً ؛ وإن كانوا لقولك لمستمعين ، ولرأيك لمتبعين . ثم انصرفت

﴿ وصف عمرو بن العاص لمعاوية ﴾

أبو الحسن قال : قال عمرو بن العاص : مارأيت معاوية قط متكئا على يساره واضعا احدى رجليه على الاخرى ، كاسراً إحدَى عينيه ، يقول للذى يكلمه : ياهناه ، إلا رحمت الذى يكلمه

﴿ كلام لعمر بن الخطاب ﴾

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كونوا أوعية الكتاب ، وينابيع العلم ، وسلوا الله رزق يوم بيوم ، ولا يضيركم أن لا يكثر لكم

﴿ بين معاوية وعائشة ﴾

وكتب معاوية إلى عائشة أن أكتبي الىَّ بشيء سمعتيه من أبى القاسم ﷺ فكتبت إليه : سمعت أبا القاسم ﷺ يقول : من عمل بما يُسخط الله عاد حامده من الناس له ذامًّا

﴿ وصية عالم لابنه ﴾

أوصى بعض العلماء ابنه فقال : أوصيك بتقوى الله ، وليسعك بيتك ، وأملك عليك لسانك ، وأبك على خطيئتك

﴿ فضل الشورى ﴾

بكر بن أبى بكر القرشى قال : قال أعرابى : ما غُبنت قط حتى يُغبن قومى . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لا أفعل شيئا حتى أشاورهم . قيل لرجل من عبس ما أكثر صوابكم ! قال : نحن ألف رجل ، وفينا حازم ونحن نطيعه ، فكأننا ألف حازم

﴿ الحجاج أول مجر لنوع من السفن ، وأول صانع للمحامل ﴾

قال أبو الحسن : أول من أجرى فى البحر السفن المقيّرة المسمَّرة ، غير المخرزة والمدهونة ، وغير ذوات الجآجئ ، وكان أول من عمل المحامل الحجاج . قال بعض رجاز الأكرياء :

أوَّلُ عَبْدٍ عَمِلَ المَحامِلاَ ... أخْزَاهُ رَبِّى عاجِلاً وآجِلا

وقال آخر :

شَيَّبَ أصْدَاغِى وهُنَّ بِيضُ ... مَحامِلُ لِقَدِّها نَقِيضُ

﴿ كلام بعض الاعراب ﴾

قال الأصمعى : سمعت أعرابياً يقول : لو تنحل رجل أخا شقيقاً لم يأمن أن يبدو منه مايبدو من الثوب ذى الخرق ، فرحم الله رجلا أغضى على الاقذاء

واستمتع بالظاهر . وقال الاصمعى : سمعت بعض الاعراب يقول : من ولد الخير أنتج له فِراخا تطير بالسرور ، ومن ولد الشر أنبت له نباتاً مرّا مذاقه ، قضبانه الغيظ ، وثمره الندم وأنشد النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ (١) :

يُحِبُّ بَقَائِيَ المُشْفِقُونَ ومُدَّتِى ... إلى أجَلٍ لَوْ يَعْلَمُونَ قَرِيبِ

وما أرَبِى فى أرْذَلِ العُمْرِ بَعْدَما ... لَبِسْتُ شَبابِى قَبْلَهُ وَمَشِيبِى

وأنشد ابنُ الأعرابى (٢) :

---

(١) النضر بن شميل المازنى النحوى البصرى كان عالماً ثقة صاحب غريب وفقه ومعرفة بأيام الناس ، وكان شاعراً محدثاً ، أخذ عن الخليل بن أحمد وأقام في البادية أربعين سنة ، وله في رواية الأثر والسنن والأخبار منزلة . ضاقت به المعيشة فى البصرة فأراد الخروج إلى خراسان فشيعه من أهل البصرة نحو ثلاثة آلاف رجل ما فيهم إلا محدث ، أو نحوى ، أو لغوى ، أو عروضى ، أو إخبارى . فلما صار بالمربد جلس وقال : يا أهل البصرة ، يعز على فراقكم ، والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلى ما فارقتكم . ثم أتى خراسان وأفاد بها مالا عظيماً . قال النضر : كنت أدخل على المأمون ــ حينما كان مقيماً بمرو ــ فجرى الحديث فقال : حدثنا هشيم عن خالد عن الشعبى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز . فقلت : صدق ياأمير المؤمنين هشيم ، حدثنا عوف بن أبى جميلة عن الحسن عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله ﷺ : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز . قال : وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال : يا نضر ، كيف قلت سداد ؟ قلت : لأن السداد ههنا لحن . قال : أو تلحننى ؟ قلت : إنما لحن هشيم وكان لحانة . قال : فما الفرق بينهما ؟ قلت السداد بالفتح : القصد فى الدين والسبيل ، والسداد بالكسر : البلغة ، وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد الخ . توفى سنة ٢٠٤ هـ ٨١٩ م

(٢) ابن الاعرابى : هو أبو عبد الله محمد بن زياد ، كان مولى لبنى هاشم وكان أبوه عبداً سندياً ، كان نحوياً كوفياً راوية ناسباً لغوياً ثقة ، أخذ عن المفضل الضبى وأبى معاوية الضرير والقاسم بن معن المسعودى والكسائى ، وأخذ عنه ابرهيم الحربى وأبو العباس ثعلب وابن السكيت وغيرهم ، وكان رأساً فى غريب اللغة ناقش العلماء واستدرك عليهم وخطأ كثيراً من نقلة اللغة ، وكان يزعم أن أبا عبيدة والأصمعى لا يحسنان شيئا . وكان يحضر مجلسه خلق كثير من المستفيدين ويملى عليهم ، وكان واسع المحفوظ ،

يا ابْنَ الزُّبَيرِ جَزَاكَ اللهُ لائِمَةً ... هلاَّ انْتَهَيْتُمْ وفى الأَقْوَالِ تَعْنِيبُ

تَنْزُو لِتُدْرِكَ مِنْ كَعْبٍ عَطَارِفَةً ... لا تَسْتَوِى بُسْرَةُ العُرْجُونِ والطِّيبُ

كما تَرَى فَرْخَ عُشٍّ لاحَ رَاكَ بِهِ ... وفَوْقَهُ مِنْ نُسَالِ الرِّيشِ تَزْغِيبُ

مَا فِيكُمُ قَدْ عَلِمْنَا مِنْ مُحَافَظَةٍ ... يَوْمَ الْحِفَاظِ ولا خَيْرًا لِمَنْكُوبِ

وأَنْتُمُ تَحْتَ أَرْوَاقِ الْبُيُوتِ إِذَا ... هَبَّتْ شَامِيَةٌ دُرْنٌ طَحَارِيبُ

أَنْتُمْ مَنَاخُ الْخَنَا قُبْحًا لِخَلَّتِكُمْ ... فَكَلُّكُمْ يَا بَنِى الْبَلْقَاءِ مَقْشُوبُ (١)

فى ذِمَّتِى أَنْ تَضِجُّوا مِنْ مُصَادَمَتِى ... كما تَضِجُّ مِنَ الْحَرِّ الْجَنَادِيبُ

مَا بَيْنَ أَدْبَسَ نَتَّاجٍ لَهُ دَفَرٌ ... ومُقْصَدِ الْقَلْبِ ذِى سِتٍّ مَعْصُوبِ (٢)

خَالِى سَمَاعَةُ فَاعْلَمْ لا خَفَاءَ بِهِ ... لَقَدْ هَوَى بِكَ يَا دَفْنَ شُنْخُوبُ (٣)

صَعْبٌ مَنَاكِبُهُ تَعْيَا الْكُمَاةُ بِهِ ... خَوْفًا وتَصْطَادُهُمْ مِنْهُ كَلاَلِيبُ

وأنشد ابن المعذَّل (٤)

قال أبو العباس ثعلب : شاهدت مجلس ابن الأعرابى بضعة عشرة سنة وكان يحضره زهاء مائة إنسان وكان يسئل ويقرأ عليه فيجيب من غير كتاب ، ولم أر بيده كتابا قط ، ولقد املى على الناس ما يحمل على اجمال ولم ير أحد فى علم الشعر أغزر منه . وله تصانيف عدة . كان مولده سنة ١٥٠ هـ ٧٦٧ م وتوفي سنة ٢٣١ هـ ٨٤٥ م

(١) مقشوب هنا بمعنى مذموم (٢) أدبس: أسود . الدفر : الريح الخبيثة . المقصد : المصاب . المعصوب : السغب (٣) في نسخة: شخوب ولا معنى لها هنا . والشنخوب رأس الجبل

(٤) ابن المعذل : هو أحمد بن المعذل ، كان شاعراً متعففا ذا دين ومروءة ، وكان متقدما عند المعتزلة ذا جاه واسع وحرمة عند سلطانه ، وكان أخوه عبد الصمد شاعراً هجاء خبيث اللسان كثير الحسد لأخيه أحمد هجاه له وكان أحمد يحلم عليه . كتب أحمد إلى أخيه عبد الصمد يقول : إنى أرى المكروه من حيث يرتجى المحبوب ، وقد شمل عرك وعم أذاك ، وصرت فيك كأبى الابن العاق ، إن عاش نغصه ، وإن مات نقصه ، وقد خشنت بقلب جيبه لك ناصح ، والسلام . فرد عليه عبد الصمد :

أطاع الفريضة والسنه ... فتاه على الانس والجنه

كأن لنا النار من دونه ... وأفرده الله بالجنه

وينظر نحوى إذا زرته ... بعين حماة إلى كنه

تواعَدَ لِلْبَيْنِ الْخَلِيطُ لِيَنْبَتُّوا ... وقالُوا لِرَاعِي الظَّهْرِ مَوْعِدُكَ السَّبْتُ
فَفَاجَأَنِي بَغْتاً ولَمْ أَخْشَ بَيْنَهُمْ ... وأَفْظَعُ شَيْءٍ حِينَ يَفْجَؤُكَ الْبَغْتُ
مَضَى لِسُلَيْمَى مُنْذُ مَالَمْ أُلاَقِهَا ... سنُونٌ تَوَالَتْ بَيْنَنَا خَمْسٌ أَوْسِتُّ
وفى النَّفْسِ حاجاتٌ إِلَيْكُمْ كَثِيرَةٌ ... بِرُبَّانِهَا فى الْحَيِّ لَوْ اخَرَ الوَقْتُ
تَأَيَّمْتُ حتى لاَمَنِي كلُّ صَاحِبٍ ... رَجَاءَ سُلَيْمَى أَنْ تَئِيمَ كما إِمْتُ (١)
لَئِنْ بِعْتُ حَظِّي مِنْكِ يوْماً بِغَيْرِهِ ... لَبِئْسَ إِذًا يَوْمَ التَّغَابُنِ مَا بِعْتُ
تَمَنَّى رِجالٌ أَنْ أَمُوتَ وعَهْدُهُمْ ... بِأَنْ يَتَمَنَّوْا لَوْ حَيِيتِ إِذا مِتُّ
وقدْ عَلِمُوا عِنْدَ الْحَقَائِقِ أَنَّنِي ... أَخُو ثِقَةٍ مَا إِنْ وَنِيتُ ولا إِنْتُ (٢)
وإِنِّى وقدْ سَيَّرْتُ نَبْلِى وإِنَّنِي ... كأَنِّى وقدْ وَقَّعْتُ أَنْصَالَهَا رِشْتُ

وقال أحمد بن المُعَدَّل : أنشدنى أعرابى من طى :

ولَسْتُ بِمَيَّالٍ إِلى جَانِبِ الْغِنَى ... إِذا كانتِ الْعَلْيَاءُ فى جانِبِ الْفَقْرِ
وإِنِّى لَصَبَّارٌ على ما يَنُوبُنِي ... وحَسْبُكَ أَنَّ اللهَ أَثْنَى على الصَّبْرِ

﴿ خطبة للحجاج ﴾

حدثنى محمد بن يحيى بن على ، عن عبد الحميد ، عن عبد الله بن أبى عُبيدة ابن محمد بن عَمَّار بن ياسر قال : خرج الحجاج بريد العراق واليًا عليها فى اثنى عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة فجأة حين انتشر النهار — وقد كان بِشْرُ ابنُ مَرْوان بعث المهلب إلى الحرورية — فبدأ الحجاجُ بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خضراء فقال : علىّ بالناس . فحسبوه وأصحابَهُ خوارج فهمّوا به ، حتى إذا اجتمع الناس فى المسجد قام فكشف عن وجهه ثم قال :

أنا ابْنُ جَلاَ وطَلاَّعُ الثَّنَايا ... مَتَى أَضَعُ الْعِمامَةَ تَعْرِفُونى

وقال أحمد فى عبد الصمد :

قال لى أنت أخو الكلب وفي ... ظنه أن قد عجانى واجتهد
أحمد الله تعالى إنه ... ما درى أنى أخو عبد الصمد

(١) تئيم : فى نسخة : تئم ، وهو غلط والصواب ما أثبتناه (٢) إنت : تريثت

أما والله إنى لأحتمل الشر بحمله ، وأحذوه بنعله ، وأجزيه بمثله . وإنى لأرى رؤسا قد أينعت وحان قِطافُها ، وإنى لصاحبها . وإنى لأنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى: قد شمَّرَتْ عَنْ ساقِها فشمِّرْ

ثم قال :

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّى زِيَمْ قد لفَّها الليلُ بسوّاقٍ حُطَمْ
ليسَ براعى إبلٍ ولا غنمْ ولا بجزّارٍ على ظهرِ وضَمْ

وقال أيضا

قد لفَّها الليلُ بعصلبىٍّ أروعَ خرّاجٍ من الدَّوِّىِّ
مهاجرٍ ليسَ بأعرابىِّ

إنى والله يا أهلَ العراق ، والشقاق والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، ما أُغمَزُ تغماز التين ، ولا يُقعقَع لى بالشنان . ولقد فررت عن ذكاء ، وفتشت عن تجربة ، وجربت من الغاية . إن أمير المؤمنين كب كنانته ، ثم عجم عيدانها ، فوجدنى أمرَّها عوداً وأصلبها عموداً ، فوجهنى إليكم . فانكم طالما أوضعتُم فى الفتن ، واضطجعتم فى مراقد الضلال ، وسننتم سُنن الغىّ . أما والله لأحوِنَّكم لَحْوَ العصا ، ولأعصبنكم عصب السلمة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الابل . فإنكم لكأهل « قَرْيَةٍ كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذاقَها اللهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ » إنى والله لا أعِدُ إلا وَفيت ، ولا أهمُّ إلا أمضيت ، ولا أخلق إلا فَريت . فإياى وهذه الجماعات ، وقال وقيل وما تقول ، وفيم أنتم وذاك . أما والله لتستقيمُنَّ على طريق الحق أولأدعنَّ لكل رجل منكم شغلا فى جسده . من وجدت بعد ثلاثة من بعث المُهلَّبِ سفكتُ دمه وأنهبت ماله

ثم دخل منزله

(كتاب الحجاج إلى قطرى)

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو الحسن قال : كتب الحجاج بن يوسف إلى قَطَرِيِّ بنِ الفجاءَةِ :

سلام عليك ، أما بعد فانك مرقت من الدين مُروق السهم من الرمية . قد علمت حيث تجرثمت ذلك أنك عاص لله ولولاة أمره ، غير أنك أعرابى جِلف أمى تستطعم الكِسرة ، وتشتفى بالتمرة ، والأمور عليك حسرة . خرجت لتنال شبعة فلحق به طَغامٌ صُلوا بمثل ما صُليت به من العيش ، يهزون الرماح ، ويستنشون الرياح ، على خوف وجهد من أمورهم . وما أصبحوا ينتظرون أعظم مما جهلوا معرفته . ثم أهلكهم الله بنزحتين والسلام

﴿ جواب قطرى بن الفجاءة ﴾

فأجابه قَطَرِىُّ بنُ الفُجَاءَةِ

من قطرى بن الفجاءة إلى الحجاج بن يوسف : سلام على الهداة من الولاة الذين يرعون حريم الله ويرهبون نِقمه . فالحمد لله على ما أظهر من دينه ، وأظلع به أهل السفالة ، وهدَى به من الضلالة ، ونصر به عند استخفافك بحقه . كتبتَ إلىَّ تذكر أنى أعرابى جِلف أمِّىٌّ أستطعم الكسرة واشتفى بالتمرة . ولعمرى يا ابن أم الحجاج إنك لميت فى جبتك ، مُطْلَخِمٌّ فى طريقتك واهٍ فى وثيقتك ، لا تعرف الله ، ولا تجزع من خطيئتك . يئست واستيأست من ربك : فالشيطان قرينك لا تجاذبه وثاقك ، ولا تنازعة خناقك . فالحمد لله الذى لو شاء أبرز لى صفحتك ، وأوضح لى طلعتك . فوالذى نفس قَطَرِى بيده لعرفت أن مقارعة الأبطال ليست كتصدير المقال ، مع أنى أرجو أن يدحض الله حجتك ، وأن يمنحنى مهجتَك

﴿ بين معاوية وعدى بن حاتم ﴾

خالد بن يزيد الطائى . قال : كتب معاوية إلى عدىّ بن حَاتم : حاجيتُك مالا يُنسى . يعنى قتل عثمان . فذهب عدىّ بالكتاب إلى علىّ فقال : ان المرأة لا تنسى قاتل بِكرها ولا أبا عذرها . فكتبَ اليه عدىّ : إن ذلك منى كليلة شَيْبَاء .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : ياغلام ارفع ذلك النشيل . يعنى روثا . وقيل له : أين خرج هذا الحِبْنُ[1] ؟ قال : تحت منكبى .

(١) الحبن : الدمل .

وقيل لقُتَيْبَةَ : أين خرج بك هذا الخَرَاجُ ؟ قال : بين الرانفة والصَّفَنة .

وقيل لِرَقَبَةَ : ما بال القرّاء أشد شيء نَهمةً وظُلمةً ؟ قال : أما الظلمة فإنهم لا يزنون ، وأما النهمة فلأنهم يصومون . وعرض عليه رجل الغداء فقال له : يا هذا إن أقسمت عليّ وإلا فدعني .

وقال مُورِّق العجلي : ما تكلمت بكلمة في الغضب أندم عليها في الرضا ، وقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة فما أجابني ولا يئست منها ، ولا أتكلم إلا فيما يعنيني . قيل مكتوب في حكمة داود عليه السلام : على العاقل أن يكون عالما بأهل زمانه ، مالكا للسانه ، مقبلا على شأنه . ولما قدم الفرزدق الشام قال له جرير — وكان هناك — : ما ظننت أنك تقدم بلداً أنا فيه . قال الفرزدق : إني طالما خالفت رأي العَجَزَة . وقال يونس بن حبيب : إذا قالوا غلب الشاعر فهو الغالب ، وإذا قالوا مغلَّبٌ فهو المغلوب . قال امرؤ القيس :

وإنَّكَ لمْ يَفْخَرْ عليْكَ كَعاجِزٍ ضَعِيفٍ ولمْ يَغْلِبْكَ مِثْلَ مُغَلَّبِ

وقال بعضهم :

إنِّي امْرُؤٌ يَنْفَعُ قَوْمِي مَشْهَدِي أَذُبُّ عَنْهُمْ بلساني ويَدِي

وقال قتيبة بن مسلم : إذا غزوتم فأطيلوا الأظفار ، وقصروا الشعور .

ونظر مخنثٌ إلى شيخ قبيح الوجه في الطريق فقال : ألم ينهكم سليمان بن داود عليهما السلام عن الخروج بالنهار ؟

وعزى أعرابي ناسا فقال : يرحم الله فلاناً ، لقد كان كثير الإهالة ، دسم الاشداق . وقال الشاعر :

تَرَى وَدَكَ السَّدِيفِ على لِحاهُمْ كَلَوْنِ الرَّاءِ لَبَّدَهُ الصَّقِيعُ

وقال أعرابي : رحم الله فلاناً ، إن كان لضخم الكاهل . ثم جلس وسكت . وقال آخر : كان والله نقي الأظفار ، قليل الأسرار . وسار رجل أعرابيا بحديث فقال : أفهمت ؟ قال : بل نسيت

﴿ هجاء واثلة السدوسي لعبد الملك بن المهلب ﴾

قال واثلة بن خليفة السدوسي يهجو عبد الملك بن المهلب :

لَقَدْ صَبَرَتْ لِلذُّلِّ أَعْوَادُ مِنْبَرٍ ... تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ
بَكَى المِنْبَرُ الغَرْبِيُّ إِذْ قُمْتَ فَوْقَهُ ... وَكَادَتْ مَسَامِيرُ الحَدِيدِ تَذُوبُ
رَأَيْتُكَ لَمَّا شِبْتَ أَدْرَكَكَ الَّذِي ... يُصِيبُ سَرَاةَ الأَزْدِ حِينَ تَشِيبُ
سَفَاهَةُ أَحْلَامٍ وَبُخْلٌ بِنَائِلٍ ... وَفِيكَ لِمَنْ عَابَ المَزُونَ عُيُوبُ
وَقَدْ أَوْحَشَتْ مِنْهُمْ رَسَاتِيقُ فَارِسٍ ... وَبِالمِصْرِ دُورٌ جَمَّةٌ وَدُرُوبُ
إِذَا عُصْبَةٌ ضَجَّتْ مِنَ الجُرْحِ نَاسَبَتْ ... مَزُونِيَّةً إِنَّ النَّسِيبَ نَسِيبُ

﴿ رثاء بشار لعمر بن حفص ﴾

وقال بشار الاعمى فى عمر بن حفص :

مَا بَالُ عَيْنِكَ دَمْعُهَا مَسْكُوبُ ... حَرِبَتْ فَأَنْتَ بِنَوْمِهَا مَحْرُوبُ
وَكَذَاكَ مَنْ صَحِبَ الحَوَادِثَ لَمْ يَزَلْ ... تَأْتِي عَلَيْهِ سَلَامَةٌ وَنُكُوبُ
يَا أَرْضُ وَيْحَكِ أَكْرِمِيهِ فَإِنَّهُ ... لَمْ يَبْقَ لِلْعَسْكِيِّ فِيكِ ضَرِيبُ
أَبْهَى عَلَى خَشَبِ المَنَابِرِ قَائِمًا ... يَوْمًا وَأَحْزَمُ إِنْ تَشِبَّ حُرُوبُ
إِنَّ الرَّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا ... يَوْمَ ابْنُ حَفْصٍ فِي الدِّمَاءِ خَضِيبُ
لَا يَسْتَجِيبُ وَلَا يَجِيرُ لِسَانُهُ ... وَلَقَدْ يَجِيرُ لِسَانُهُ وَيُجِيبُ
غُلِبَ العَزَاءُ عَلَى ابْنِ حَفْصٍ وَالأَسَى ... إِنَّ العَزَاءَ بِمِثْلِهِ مَغْلُوبُ
إِذْ قِيلَ أَصْبَحَ فِي المَقَابِرِ ثَاوِيًا ... عُمَرٌ وَشُقَّ لِوَاؤُهُ المَنْصُوبُ
فَظَلَلْتُ أَنْدُبُ سَيْفَ آلِ مُحَمَّدٍ ... عُمَرًا وَعَزَّ هُنَالِكَ المَنْدُوبُ
فَعَلَيْكَ يَا عُمَرُ السَّلَامُ فَإِنَّنَا ... بَاكُوكَ مَا هَبَّتْ صَبًا وَجَنُوبُ

قال اسمعيل بن غزوان : الأصوات الحسنة والعقول الحسان كثيرة ، والبيان الجيد والجمال البارع قليل .

وذكر أبو الحارث صاحبَ مسجد ابن رَغبان فقال : إن حدثته سابَك إلى ذلك الحديث ، وإن سكت عنه أخذ فى الترهات .

وقال أبو وهب : أنا أستثقل الكلام كما يستثقل حُرَيث السكوت . كما قال

ابن شُبرمة لاياس بن معاوية : شكلى وشكلك لا يتفقان :أنت لا تشتهى أن تسكت وأنا لا أشتهى أن أسمع .

وقال أبو مُقبل بن درست : إذا لم يكن المستمع أحرص على الاستماع من القائل على القول لم يبلغ القائل فى منطقه ، وكان النقصان الداخل على قوله بقدر الخلة بالاستماع منه

وقال ابن بشار البرقى : كان عندنا واحد يتكلم فى البلاغة فسمعته يقول : لو كنت أنا ليس أنا وأنا ابن من أنا منه ، لكنت أنا أنا وأنا ابن من أنا منه ، فكيف وأنا أنا وابن من أنا منه ؟

وقالوا : ثلاث يسرع اليهن الخلَف : الحريق ، والتزويج ، والحج

قال المهلب : ليس شئ أنمى من بقية السيف . فوجد الناس تصديق قوله فيما نال ولده من السيف وصار فيهم من النماء

وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه : بقية السيف أنمى عدداً ، وأكثر ولداً . ووجد الناس ذلك بالعيان للذى صار اليه ولده من نهك السيف ، وكثرة الذرء ، وكرم النجل

قال الله تبارك وتعالى « ولكُمْ فى القِصَاص حَيَاةٌ يا أُولِى الأَلْبابِ » وقال بعض الحكماء: قَتلُ البعض إحياء للجميع .وقال همَّام الرَّقاشى :

أَبْلِغْ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّى مُغَلْغَلَةً ... وفى العِتَابِ حَيَاةٌ بينَ أَقْوَام

قدَّمْتَ قَبْلِى رِجالاً لم يَكُنْ لهُمُ ... فى الحَقِّ أَنْ يَلِجُوا الأَبْوَابَ قُدَّامى

لَوْ عُدَّ قبرٌ وقبرٌ كُنْتَ أَكْرَمَهُمْ ... قبراً وأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الذَّامِ

حتى جَعَلْتُ إذا ما حاجةٌ عَرَضَتْ ... بِبابِ قَصْرِكَ أَدْلُوهَا بأَقْوَامِ

(الحجاج وامرأة خارجية)

وقال الحجاج لامرأة من الخوارج : والله لأعدنكم عدًّا ، ولأحصدنكم حصداً . فقالت : أنت تحصد والله يزرع ، فانظر أين قدرة المخلوق من قدرة الخالق

ولم يظهر من عدد القتلى مثل الذى ظهر فى آل أبى طالب وآل الزُّبير وآل المهلب . وقال الشاعر فى آل الزبير :

آلُ الزُّبَيْرِ بَنُو حَرْبَةٍ مَرَوْا بالسُّيُوفِ صُدُوراً حِنَاقَا
يَمُوتُونَ والقَتْلُ دَأْبٌ لَهُمْ يُغِيثُونَ يَوْمَ السِّبَاقِ السِّبَاقَا
إذا فَرَّجَ القَتْلُ مِنْ عِيصِهِمْ أَبَى ذلِكَ العِيصُ إلَّا اتِّفَاقَا (٤)

احترقت دار ثمامة فقالوا له : ما أسرع خلف الحريق ؟ قال : فأنا أستحرق الله . وقال ثمامة : سمعت قاصًّا بعَبادان يقول فى دعائه : اللهم ارزقنا الشهادة وجميع المسلمين . قال وتساقط الذبان على وجهه فقال : الله أكبر كثر الله بكم القبور . قال : وسمع أعرابى رجلا يقرأ سورة براءة فقال : ينبغى أن يكون هذا آخر القرآن . قيل له : ولم ؟ قال : رأيت عهوداً تنبذ . وقال أبو عبد العزيز : قال الغزال القاص فى قصصه : ليت الله لم يكن خلقنى وأنا الساعة أعور ؟ فحكيت ذلك لأبى عَتاب الجزار . فقال أبو عتاب : بئس ما قال ، وددت والله الذى لا إله إلا هو أن الله لم يكن خلقنى وأنى الساعة أعمى مقطوع اليدين والرجلين .

﴿ عمر والزبرقان والحطيئة ﴾

ولما استعدى الزِّبرقان على الحُطيئة فأمر عُمرُ بقطع لسانه . قال الزِّبرقان : نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تقطعه ، فإن كنت لا بد فاعلا فلا تقطعه فى بيت الزِّبرقان . قيل له : إنه لم يذهب هناك ، إنما أراد أن يقطع لسانه عنك برغبة أو رهبة

﴿ من كلام العرب ﴾

وتقول العرب : قتلت أرضٌ جاهلَها وقتل أرضاً عالمُها . وتقول : ذبحنى العطش . و : المسك الذبيح . و : ركب بنو فلان الفلاة فقطع العطشُ أعناقهم . وتقول العرب : فلان لسان القوم ونائبهم الذى يفترُّون عنه . و : هؤلاء أنف القوم وخراطيمهم . و : بيان لسان الأرض يوم القيامة . و : فلان اصطلمه الوادى . و : فلان عين البلد

قال الأصمعى : قال رجل لأبى عمرو بن العلاء : أكرمك الله قال : مُحدَثة . قال : وكان أبو عَون يقول : كيف أنت أصلحك الله

وكان الأصمعى يقول : قولهم : جعلت فداك . و : جعلنى الله فداك . محدث وقد روى علماء البصريين أن الحسن لما سمع صُراخاً فى جنازة أم عَبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فالتفت قال له عبد الأعلى : جعلت فداك ، لا والله ما أمرت ولا ولا شعرت . قال الأصمعى : صلى أعرابىّ فأطال الصلاة وإلى جانبه ناس فقالوا: ما أحسن صلاته ! قال : وأنا مع هذا صائم . قال الشاعر :

صلَّى فأعْجَبَنِى وصَامَ فَرَابَنِي عَدُّ القَلوصَ عَنِ المُصلّى الصَّائمِ

وقال طاهر بن الحسين لأبى عبد الله المَرْوَزِى : منذ كم صرت إلى العراق يا أبا عبد الله ؟ قال : دخلت العراق منذ عشرين سنة ، وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة . قال : يا أبا عبد الله ، سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين ؟

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال عوانة : قال زياد بن أبيه : من سعادة الرجل أن يطول عمره ، ويرى فى عدوه ما يسره . قال الباهلى : قيل لاعرابى : ما بال المرائى أجود أشعاركم ؟ قال : لأنا نقول وأكبادنا تحترق . قال أبو الحسن : كانت بنو أمية لا تقبل الراوية إلا أن يكون راوية المرائى. قيل: ولم ذاك ؟ قال : لانها تدل على مكارم الاخلاق

﴿ عمر والشعر ﴾

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : من خير صناعات العرب الابيات يقدّمها الرجل بين يدى حاجته يستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم

وقال شُعبة : كان سماك بن حرب إذا كان له إلى الوالي حاجة قال فيه أبياتاً ثم يسأله حاجته

﴿ لص ينطق بالحكمة ﴾

قال أبو الحسن: كان شِظاظ لصاً فأغار على قوم من العرب فطرد نعمهم فساقها ليلته حتى أصبح ، فقال رجل من أصحابه : لقد أصبحنا على قصد من طريقنا ! قال : إن المحسن مُعان

﴿ عبد الملك بن مروان وتعقله ﴾

وقال أبو الحسن : أربى غلامٌ من بنى علىّ على عبد الملك — وعبد الملك

يومئذ غلام — فقال له كهل من كهولهم — لمّا رآه مُمسكاً عن جواب المُرْبِى عليه — لو شكوته إلى عمه انتقم لك منه . قال : أمسك يا كهل ، فإنى لا أعدُّ انتقام غيرى انتقاماً . قال أبو الحسن : خاض جلساء عبد الملك يوماً فى قتل عثمان فقال رجل منهم : يا أمير المؤمنين ، فى أىّ سنّك كنت يومئذ ؟ قال : كنت دون المحتلم . قال : فما بلغ من حزنك عليه ؟ قال : شغلنى الغضب له عن الحزن عليه

وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إذا اشترى رقيقاً قال : اللهم ارزقنى أنصحهم حياءً وأطولهم عمراً . وكان إذا استعمل رجلا قال : إن العمل كبير فانظر كيف تخرج منه ؟

﴿ الكرخى المتفقه ﴾

ومضى أبو عبد الله الكرخى إلى الربض فجلس على بابه ونفش لحيته وادّعى الفقه ، فوقف عليه رجل فقال له : إنى أدخلت إصبعى فى أنفى فخرج عليها دم . فقال : احتجم . قال : جلست طبيباً أو فقيهاً ؟ قالوا : بينا الشَّعبى جالس فى مجلسه وأصحابه يناظرونه فى الفقه وإذا شيخ بقربة قد أقبل عليه بعد أن طال جلوسه فقال له : إنى أجد فى قفاى حِكّة أفترى لى أن أحتجم ؟ قال الشعبى : الحمد لله الذى حوّلنا من الفقه إلى الحجامة . وذكر ناس رجلا بكثرة الصوم وطول الصلاة وشدّة الاجتهاد فقال أعرابى كان شاهداً لكلامهم : بئس الرجل هذا ، أيظن أن الله لا يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب ؟

وقال ابن عون : أدركت ثلاثة يتشدّدون فى السماع وثلاثة يتساهلون فى الأغانى : فأما الذين يتساهلون : فالحسن ، والشَّعبى ، والنَّخعى . وأما الذين يتشددون فمحمد بن سيرين ، والقاسم بن محمد ، ورجاء حَيْوَة

وقال رجل من أصحاب ابن لهيعة : ما رأيت أحسن أدباً من عبد الله بن المبارك والمعافى بن عمران : قال أبو الحسن حدثنى عبد الأعلى قال : رأيت الطِّرِمّاحَ مؤدِّباً بالرىّ ، فلم أر أحداً آخذ لعقول الرجال ولا أجذب لأسماعهم إلى حديثه منه . ولقد رأيت الصبيان يخرجون من عنده كأنهم قد جالسوا العلماء

وكان رجل يبلغه كلام الحسن البصرى ، فبينا الرجل يطوف بالبيت إذ سمع رجلا يقول : عجباً لقوم أُمروا بالزاد ، ونودى فيهم بالرحيل ، وحبس أولهم على آخرهم ؟ قال : فقلت فى نفسى : هذا الحسن

قال : وأربعة من قريش كانوا رواة الناس للأشعار ، وعلماءهم بالأنساب والأخبار : مَخرمة بن نَوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وأبو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف ، وحُويطب بن عبد العزّى ، وعَقيل بن أبى طالب

وكان عقيل أكثرهم ذكراً لمثالب الناس ، فعادوه لذلك ، وقالوا فيه وحمّقوه ، وسمعت ذلك العامة منهم فلا تزال تسمع الرجل يقول : قد سمعت الرجل يُحَمِّقُهُ حتى ألّف بعض الأعداء فيه الأحاديث . فمنها قولهم : ثلاثة حُمقاء كانوا إخوةَ ثلاثةٍ عقلاء ، والأم واحدة : علىّ وعَقيل ، وأمهما فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وعُتبة ومعاوية ابنا أبى سفيان ، وأمهما هند بنت عُتبة بن ربيعة ، وعبد الملك ومعاوية ابنا مروان ، وأمهما عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص . فكيف

وجَعدة بن هبيرة يقول :

أبى من بنى مَخزُوم إن كُنتَ سائِلاً ... ومن هاشِمٍ أُمِّي لخَيرِ قَبِيلِ
فَمَن ذا الذى يَبْـآى علَىَّ بخَالِهِ ... وخالِي علَىٌّ ذُو النَّدَي وعَقِيلُ

وقال قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مَظعون :

وخالِي بُغاةُ الخَيرِ تَعْـلَمُ أنَّهُ ... جَدِيرٌ بِقَوْلِ الحَقِّ لا يَتَوَعَّرُ
وجَدِّى علِيٌّ ذُو التُّقَى وابْنُ أُمِّهِ ... عَقِيلٌ وخالِي ذُو الجَناحَينِ جَعْفَرُ
فنَحْنُ وُلاةُ الخَيرِ فى كلِّ مَوْطِنٍ ... إذا مَا وَنَى عنْهُ رجالٌ وقَصَّرُوا

وقال حسان :

إنَّ خالِى خَطِيبُ جابِيَةِ الجَوْ ... لانِ عِنْدَ النُّعْمانِ حِينَ يَقُومُ
وهُوَ الصقْرُ عِنْدَ بابِ ابْنِ سلْمَى ... يَوْمَ نُعْمانَ فى الكُبُولِ سَقِيمُ

وسطت نسبتي الذوائب منهم ... كل دار فيها أب لي عظيم
وأبي في سميحة القائل الفا ... صل يوم التفت عليه الخصوم
يفصل القول بالبيان وذو الرأ ... ي من القوم ظالع مكموم
تلك أفعاله وفعل الزبعرى ... خامل في صديقه مذموم
رب حلم أضاعه عدم المال ... وجهل غطى عليه النعيم
ولنا الناس منكم إذ أبيتم ... اسرة من بني قصي صميم
وقريش تجول منا لواذا ... أن يقيموا وخف منها الحلوم
لم تطق حمله العواتق منهم ... إنما يحمل اللواء النجوم

﴿ عقيل بن أبي طالب ﴾

وكان عقيل رجلا قد كف بصره وله بعد لسانه ونسبه وأدبه وجوابه، فلما فضل نظراءه من العلماء بهذه الخصال صار لسانه بها أطول، وغاضب عليا وأقام بالشام فكان ذلك أيضاً أطلق للسان الباغي والحاسد فيه. وزعموا أنه قال له معاوية: هذا أبو يزيد، لولا أنه علم أني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه. فقال له عقيل: أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي. وقال له مرة: أنت معنا يا أبا يزيد؟ قال: ويوم بدر كنت معكم؟

وقال معاوية يوماً: يا أهل الشام، هل سمعتم قول الله تبارك وتعالى في كتابه « تبت يدا أبي لهب وتب »؟ قالوا: نعم. قال: فإن أبا لهب عمه. فقال عقيل: فهل سمعتم قول الله عز وجل « وامرأته حمالة الحطب » قالوا: نعم. قال: فانها عمته. قال معاوية حسبنا ما لقينا من أخيك

وذكروا أن امرأة عقيل وهي فاطمة بنت عتبة بن ربيعة قالت: يا بني هاشم، لا يحبكم قلبي أبداً. أين أبي؟ أين عمي؟ أين أخي؟ كأن أعناقهم أباريق الفضة ترد أنفهم قبل شفاههم. قال لها عقيل: إذا دخلت جهنم فخذي على شمالك

وقيل لعمر رضي الله تعالى عنه: فلان لا يعرف الشر. قال: ذلك أجدر أن يقع فيه. وسمع أعرابي رجلا يقرأ: وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري

فأعيذنا جزاء لمن كان كَفَر . قالها بفتح الكاف ، فقال الاعرابى : لا يكون . فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء فقال الاعرابى : يكون

﴿ تشابيه من الشعر ﴾

قال الشاعر :

بَدَا البَرْقُ مِنْ نَحْوِ الحِجازِ فَشاقَنِى ... وكلُّ حِجازِىٍّ لهُ البَرْقُ شائِقُ
سَرَى مِثْلَ نَبْضِ العِرْقِ واللَّيْلُ دُونَهُ ... وأعْلام أُبْلَى كلُّها والأَسالِقُ

وقال الآخر :

أرِقْتُ لِبَرْقٍ آخِرَ اللَّيْلِ يَلْمَعُ ... سَرَى دَائِباً فِيها يَهُبُّ ويَهْجَعُ
سَرَى كاحْتِساءِ الطَّيْرِ واللَّيْلُ ضارِبٌ ... بأرْوَاقِهِ والصُّبْحُ قدْ كادَ يَسْطَعُ

﴿ المنصور والشاب الهاشمى ﴾

حدثنى ابرهيم بن السندى عن أبيه قال : دخل شاب من بنى هاشم على المنصور فسأله عن وفاة أبيه ؟ قال : مرِض أبى رضى الله تعالى عنه يوم كذا ، ومات رضى الله تعافى عنه يوم كذا ، وترك رضى الله تعالى عنه من المال كذا ومن الولد كذا . فانتهره الربيع وقال : بين يدى أمير المؤمنين تُوَالى بالدعاء لأبيك ؟ فقال الشاب : لا ألومك ، لأنك لم تعرف حلاوة الآباء . قال : فما علمنا أن المنصور ضحك فى مجلسه ضِحكا قطّ افترّ عن نواجذه إلا يومئذ

﴿ آداب الملوك ﴾

وحدثنى ابرهيم بن السندى عن أبيه قال : دخل شاب من بنى هاشم على المنصور فاستجلسه ذات يوم ودعا بغدائه فقال للفتى : أدنَهُ . فقال : قد تغدّيت يا أمير المؤمنين . فكف عنه الربيع حتى ظننا أنه لم يفطن لخطابه ، فلما نهض للخروج أمهله فلما كان من وراه الستر دفع فى قفاه ، فلما رأى ذلك الحجّاب منه دفعوا فى قفاه حتى أخرجوه من الدار ، فدخل رجال من عمومة الفتى فشكوا الربيع إلى المنصور ، فقال المنصور : إن الربيع لا يُقدم على مثل هذا إلا وفى يديه حجة فإن شئتم أغضيتم على مافيها وإن شئتم سألته وأنتم تسمعون . قالوا : فاسأله . ودعا

الربيع وقصوا قصته فقال الربيع : هذا الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف . فاستدناه أمير المؤمنين حتى سلم عليه من قريب . ثم أمره بالجلوس . ثم تبذل بين يديه وأكل . ثم دعاه إلى طعام ليأكل معه من مائدته فبانغ به الجهل بفضيلة المرتبة التى صيّره فيها إلى أن قال حين دعاه إلى غذائه : قد تغديت . وإذاً ليس عنده لمن تغدى مع أمير المؤمنين الا سدّ خلة الجوع . ومثل هذا لا يقوّمه القول دون الفعل

حدثنى ابرهيم بن السندى عن أبيه قال : والله انى لواقف على رأس الرشيد والفضل بن الربيع واقف فى الأيسر ، والحسن اللؤلؤى يسائله ويحدثه عن أمور . وكان آخر ماسأله عن بيع أمهات الاولاد ، فلولا أنى ذكرت أن سلطان ماوراء الستر للحاجب ، وسلطان الدار لصاحب الحرس ، وأن سلطانى إنما هو على من خرج من حدود الدار لقد كنت أخذت بضمه وأقمته . فلما أن صرنا وراء الستر قلت له والفضل يسمع : أما والله لو كان هذا منك فى مسايرة أو موقف لعلمتَ أن للخلافة رجالا يصونونها عن مجلسك

وحدثنى ابرهيم بن السندى قال : بينا الحسن اللؤلؤى فى بعض الليالى بالرَّقة يحدث المأمون — والمأمون يومئذ أمير — إذ نعس المأمون فقال له اللؤلؤى : نمت أيها الامير ؟ ففتح المأمون عينه وقال : سوقى والله ، خذ ياغلام بيده . قال : وكنا يوما عند زياد بن محمد بن منصور بن زياد — وقد هيأ لنا الفضل بن محمد طعاما ومعنا فى المجلس خادم وكان لا يتهم — فجاء رسول الفضل إلى زياد فقال : يقول لك اخوك قد أدرك طعامنا ، فتحولوا . ومعنا فى المجلس ابرهيم النظام ، وأحمد بن يوسف ، وقُطرب النحوى ، فى رجال من أدباء الناس وعلمائهم فما منا أحد فطن لخطأ الرسول ، فأقبل عليه مبشر الخادم فقال : يا ابن اللّخناء ، تقف على رأس سيدك فتستفتح الكلام كما يستفتحه الرجل من عرض الناس ؟ ألا تقول : ياسيدى يقول لك أخوك : ترى أن تصير إلينا باخوانك فقد تهيأ أمرنا ؟

وابتعت خادما كان قد خدم أهل الثروة واليسار وأشباه الملوك ، فمر به خادم

من معارفه ممن قد خدم الملوك فقال : إن الأديب ـ وإن لم يكن ملكا ـ فقد يجب على الخادم أن يخدمه خدمة الملوك ، فانظر أن تخدمه خدمة تامة . قلت له : وما الخدمه التامة ؟ قال : الخدمة التامة أن تقوم فى دارك لبعض الامر وبينك وبين النعل مَمشى خمس خُطا فلا يدعك أن تمشى إليها ولكن يأخذها ويدنيها منك . ومن كان يضع النعل اليسرى قدام الرجل اليمنى فلا ينبغى لمثل هذا أن يدخل دار ملك ولا أديب . ومن الخدمه التامة أن يكون إذا رأى متكئا يحتاج إلى مخدّة أن لاينتظر أمرك . ويتعاهد ليقة الدواة قبل أن تأمره أن يصب فيها ماء أو سواداً وينفض عنها الغبار قبل يأتيك بها . وإن رأى بين يديك قِرطاساً على طية قطع رأسه ووضع بين يديك على كسره ، وأشباه ذلك .

ولما كلم عُروة بن مسعود الثقفى رسول الله ﷺ كان فى ذلك ربما مس لحية النبى ﷺ ، فقال له المُغيرة بن شُعبة : نحّ يدك عن لحية رسول الله ﷺ قبل أن لاترجع إليك يدك . فقال عروة : يَاغُدَرْ ، وهل غسلت رأسك من من غدرتك إلا بالامس ؟ .

ونادى رجال من وفد بنى تميم النبى ﷺ باسمه من وراء الحجرات فقال الله تعالى « إنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » وقال الله عزوجل ذكره « لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا » وقال ابنُ هَرْمَةَ أو غيره :

لِلّٰهِ دَرُّ سَمَيْذَعٍ فَجَعَتْ بِهِ ... يَوْمَ الْبَقِيعِ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ
هَشٍّ إِذَا نَزَلَ الْوُفُودُ بِبَابِهِ ... سَهْلِ الْحِجَابِ مُؤَدَّبِ الْخُدَّامِ
فَإِذَا رَأَيْتَ شَقِيقَهُ وَصَدِيقَهُ ... لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا أَخُو الْأَرْحَامِ

﴿ شىء من نوادر الأعراب ﴾

قال أبو الحسن : بينا هِشام يسير ومعه أعرابى إذ انتهى إلى ميل عليه كتاب فقال للاعرابى : أنظر أىّ ميل هذا ؟ فنظر ثم رجع إليه فقال : عليه مِحجن وحلقة

وثلاثة كأطباء الكلبة ورأس كأنه رأس قطاة . فعرفه هشام بصورة الهجاء ولم يعرفه الاعرابى . وكان عليه « خمسة » وهى من نوادر الاعراب .

استشهدوا أعرابيا على رجل وامرأة فقال : رأيته قد تقمصها ، يحفزها [1] يؤخره ويجذبها بمقدمه ، وخفى علىّ المسلك . وقال آخر : رأيته قد تبطنها ، ورأيت خلخالها شائلا ، وسمعت نفسا عاليا ، ولا علم لى بشىء بعدُ .

وقال أعرابى : رأيت هذا قد تناول حجراً فالتفّ بهذا ، وحجز الناس بينهم ، وإذا هذا يستدمى .

﴿ كلام فى الشيب ﴾

وقال بعضهم : الشيب نذير الآخرة : وقال قيس بن عاصم : الشيب خِطام المنية . وقال آخر : الشيب توأم الموت . وقال الحكيم : شيب الشعر موت الشعر ، وموت الشعر علة موت البشر . وقال المعتمر بن سليمان : الشيب أول مراحل الموت . وقال السهمى : الشيب تمهيد الحِمام . وقال العتابى : الشيب تاريخ الكتاب . وقال النمرى : الشيب عنوان الكبر . وقال عدى بن زيد العبادى :

وابْيضاضُ السَّوادِ مِنْ نُذُرِ الشَّـ ـرِّ وهَلْ مِثْلُهُ لِحَيٍّ نَذِيرُ ؟

وقال الآخر :

أصْبَحَ الشَّيْبُ فى المَفارِقِ شَاعا وا كْتَسَى الرَّأْسُ مِنْ بياضٍ قِناعا
ثُمَّ وَلَّى الشَّبابُ إلاَّ قَلِيلاً ثُمَّ يأبَى القَلِيلُ إلاَّ نِزَاعا

﴿ كلمات لاشعب ﴾

وقال رجل لأشعب : ماشكرتَ معروفى عندك ؟ قال : لان معروفك جاء من عند غير محتسب فوقع إلى غير شاكر . وخفف أشعب الصلاة مرة فقال له بعض أهل المسجد : خففت صلاتك جداً ؟ فقال : لانه لم يخالطها رياء .

(١) تقمصها ، يحفزها . في نسخة : تقصمها ، يحفرها ، وهذا غلط والصواب ما أثبتناه .

﴿ كلام بعض المتكلمين من الخطباء ﴾

الحمد لله كما هو أهله ، والسلام على أنبيائه المقربين الطيبين . أخى ، لا تغترَّنَّ بطول السلامة مع تضييع الشكر ، ولا تعملن نعمة الله فى معصيته ، فان أقل ما يجب لمهديها ألاّ يجعلها ذريعة فى مخالفته . واعلم أن النعم نَوافر ، ولَقلّما أقشعت نافرة فرجعت فى نِصابها . فاستدع شاردها بالتوبة ، واستدم الراهن منها بكرم الجوار ، واستفتح باب المزيد بحسن التوكل ، ولا تحسب أن سُبوغ سِتر نعم الله عليك غير متقلّص عما قريب إذا لم ترج لله وقاراً . وإنى لا خشَى أن يأتيك أمر الله بغتة أو لإملاء ، فهو أولى مغيبةً وأثبت فى الحجة . ولأن لا تعلم ولا تعمل خيرٌ من أن تعلم ولا تعمل . إن الجاهل العامل لم يؤت من سوء نية ، ولا استخفاف بربوبية . وليس كمن قهرته الحجة ، وأعرب له الحق مُفصِحا عن نفسه ، فآثر الغفلة والخسيسَ من الشهوة على الله تبارك وتعالى ، فأسمحت نفسه عن الجنة وأسلمها لأبد العقوبة . فاستشر عقلك ، وراجع نفسك ، وادرس نعم الله عليك ، وتذكر إحسانه إليك ، فانه مَجلبة للحياء ، ومَردعة للشهوة ، ومشحذة على الطاعة ، فقد أظلَّ البلاء أو كأنْ قد . فكفكِف عنك غَرب شُؤبوبه وجوانح سَطواته بسرعة النزع وطول التضرع

ثلاث هى أسرع فى العقل من النار فى يَبيس العرفج : إهمال الفِكرة ، وطول التمنى ، والاستغراب فى الضَّحك . إن الله لم يخلق النار عبثاً ، ولا الجنة هملاً ، ولا الانسان سُدًى . فاعترف رِق العبودية ، وعجزَ البشرية . فكل زائد ناقص ، وكل قرين مُفارق ، وكل غَنىّ مُحتاج وإن عصفت به الخُيلاء ، وأبطره العُجب ، وصال على الاقران ، فإنه مذال مدبر ، ومقهور ميسر . إن جاع سخط المحنة ، وإن شبع بطر النعمة . ترضيه اللمحة فيستشرِى مَرحاً ، وتغضبه الكلمة فيستطير شَفقاً . حتى تنفسخ لذلك مُنتَه ، وتنتقض مَريرته ، وتضطرب فَريصته ، وتنتشر عليه حُجته . وللعجب من لبيب تُوبقه الحياطة ، ويسلم مع

الاضاعة ، ويُؤْتَى من الثقة ، ولا يشعر بالعاقبة . إن أهمل عَمِى ، وإن علم نَسِى . كيف لم يتخذ الحق مَعقلا يُنجيه ، والتوكل ذَائداً يَحميه : أَعَمِىَ عن الدلائل وعن وضوح الحجة ؟ أم آثر الخسيس على الاجلّ النفيس ؟ وكيف توجد هـذه الصفة مع صحة العقيدة واعتدال الفطرة ؟ وكيف يشير رائد العقل بايثار القليل الفانى على الكثير الباقى ؟

وما أظن الذى أقعدك عن تناول الحظ مع قُرب مَجناه — حتى صار لا يثنيك زجر الوعيد ، ولا يقدح فى عَزَماتك فَوت الجنّة ، وحتى ثقلت على سمعك الموعظة ونأت عن قلبك العبرة — إلا طول مجاوره التقصير ، واعتياد الراحة ، والانس بالهوينا ، وإيثار الأخفّ ، وإلف قَرين السوء . فاذكر الموت وأدم الفكرة فيه فإن من لم يعتبر بما رأى لا يعتبر بما لا يرى . وإن كان ما يوجد بالعيان من مواقع العبرة لا يكشف لك عن قبيح ما أنت عليه ، وهُجنة ما أصبحت فيه ـ من إيثار باطلك على حق الله ، وإختيار الوهن على القوة ، والتفريط على الحزم ، والاشفاق على الدون ، واصطناع العار ، والتعرض للمقت ، وبسط لسان العائب ـ فستنبطات الغيب أخرى بالعجز عن تحريكك ونقلك عن سوء العادة التى آثرتها على ربك فاستحيِ لِلبِّك ، واستبق ما أفضل الخِذلانُ من قوّتك ، قبـل أن يستولى عليه الطبع ، ويشتد عليـه العجز . أو ماعلمتَ ان المعصية تُثمر المذلة ، وتَفُل غَرب اللسان مع السلاطة ؟ بل ماعلمت أن المستشعِر بذل الخطيئة ، المخرج نفسه من كنف العصمة ، المتحلى بِدَنَس الفاحشة ، قَطِف الثناء ، زَمِرُ المرُوءة ، قَصِيُّ المجلس لا يشاوَر وهو ذو بذلاء ، ولا يصدَّر وهو جميل الرُّواء ؟ يسالم من كان يسطو عليه ، ويَضرع لمن كان يرغب إليه . يَجْذَل بحاله المبغض الشانى ، ويُثلب بقربه القريب الدانى . غامض الشخص ، ضئيل الصوت ، نزر الكلام ، مُتلجلج الحجة يتوقع الاسكات عنـد كل كلمة . وهو يرى فضل مزيته ، وصريح لبه ، وحسن فضيلته ؛ ولكن قطعه سوء ماجنى على نفسه . ولو لم تطّلع عليه عُيون الخليقة ،

لهجت العقول بادهانه . وكيف يمتنع من سقوط القدر وظن المتفرس من عَرِىَ من حليـة التقوى ، وسلب طائع الهدى . ولو لم يتغشه ثوب سربرته ، وقبيح مااحتجن إليه من مخالفة ربه ، لأضرعته الحجة ، ولفسخه وهن الخطيئة ، ولقطعه العلم بقبيح ما قارف عن اقتدار ذوى الطهارة فى الـكلام ، وإدلال أهل البراءة فى النداء. وهذه حال الخاطئ فى عاجل الدنيا ، فإذا كان يوم الجزاء الأكبر فهو عانٍ لا يُفك ، وأسيرٌ لايفادى ، وعاريةٌ لاتُؤدَّى . فاحذر عادة العجز ، وإلف الفُـكاهة وحب الـكفاية ، وقلة الاكتراث للخطيئة ، والتأسف على الفائت منها وضعف الندم فى أعقابها

أخى ، أنعى إليك القاسى فانه ميت وإن كان متحركا ، وأعمى وإن كان رائيا فاحذر القسوة فانها رأس الخطايا ، وأمارة الطبع . وهى الشوهاء العاقر ، والداهية العُـقام . وأراك تركض فى حبائلها ، وتستقبس من شَررها . ولا بأس أن يعظ المقصّر ما لم يكن هاذيا ، ولن يهلك امرؤ عرف قدره ، وربَّ حامل علم إلى من هو أعلم منه . علّمنا الله وايا كم مافيه نجاتنا ، وأعاننا وإيا كم على تأدية ما كلفنا ، والسلام .

قال : وقلت لحباب : إنك تكذب فى الحديث فقال : وما عليك إذا كان الذى أزيد فيه أحسن منه ، فوالله ماينفعك صدقه ، ولايضرك كذبه ، ومايدور الامر إلا على لفظ جيـد ومعنى حسن . ولـكنك والله لو أردت ذلك لتلجلج لسانك ، وذهب كلامك

﴿ نوادر لبعض الاعراب ﴾

قال أبو الحسن: سمع أعرابى رجلا يقول : أشهد أن محمداً رسولَ الله . قال : يفعل ماذا ؟ وكان يقال أول العلم الصمت ، والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل به ، والخامس نشره

أبو الحسن قال : قرأ رجل فى زمن عُمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

« فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »
فقال الاعرابى : لا يكون (١)

﴿ واعظ بين يدى المهدى ﴾

قال : ودخل على المهدى صالح بن عبد الجليل فسأله أن يأذن له فى الكلام فقال : تكلم فقال : إنّا لما سَهُل علينا ما توعّر على غيرنا من الوصول إليك قمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله ﷺ باظهار ما فى أعناقنا من فريضة الأمر والنهى عند انقطاع عذر الكتمان فى التقيّة ، ولاسيما حين اتسمتَ بميسم التواضع ووعدتَ اللهَ وحَمَلة كتابه إيثار الحق على ماسواه ، فجمعنا وإياك مشهد من مشاهد التمحيص ، ليتم مؤدبنا على موعود الأداء عنهم ، وقابلنا على موعد القبول ، أو يردنا تمحيص الله إيانا فى اختلاف السر والعلانية ويحلينا بحلية الكاذبين . فقد كان أصحاب رسول ﷺ يقولون : من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل . وأشد منه عذاباً من أقبل إليه العلم وأدبر عنه . ومن أهدَى اللهُ إليه علما فلم يعمل به فقد رغب عن هدية الله وقصر بها . فاقبل ماأهدى الله إليك من ألسنتنا قبول تحقيق وعمل ، لاقبولا فيه سُمعة ورياء ، فانه لايخلفك منا إعلام لما تجهل ، أو مواطأة على ما تعلم ، أو تذكير لك من غفلة ، فقد وطّن الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ على نزولها تعزية عما فات وتحصينا من التمادى ودلالة على المخرج فقال : « وإمّا يَنزِغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » فاطلع الله على قلبك بما ينور الله به القلوب من إيثار الحق ومنابذة الأهواء ، فانك إن لم تفعل ذلك يُرى أثرك وأثرُ الله عليك فيه . ولا حول ولا قوة الا بالله

﴿ تعزية معاوية عن سن سقطت له ﴾

قال : ودخل رجل على معاوية وقد سقطت أسنانه فقال : ياأمير المؤمنين ،

(١) يريد الأعرابى أن المقام ليس مقام رحمة وغفران ، وهذا من سلامة طبعه . فقراءة الاية على هذه الصورة خطأ والصواب : فاعلم أن الله عزيز حكيم . وهذا مقتضى المقام

إن الاعضاء يَرِث بعضُها بعضا . فالحمد لله الذى جعلك وارثها ولم يجعلها وارثتك

﴿ تأبين عمر بن عبد العزيز لولده ﴾

وحدثنا اسماعيل بنُ علية قال : حدثنا زِياد بن حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دَفن ابنه عبد الملك فلما سوّى عليه قبره بالأرض وجعلوا على قبره خشبتين من زيتون إحداهما عند رأسه والاخرى عند رجليه ، ثم جعل قبره بينه وبين القبلة ، واستوى قائما وأحاط به الناس قال : رحمك الله يابنى ، فقد كنت بَرّاً بأبيك ، وما زلتُ منذ وهبك اللهُ لى بك مسروراً ، ولا والله ما كنت قط مسروراً بك ولا أرجى لحظى من الله فيك منذ وضعتك فى الموضع الذى صيرك الله إليه . فغفر الله لك ذنبك ، وجازاك بأحسن عملك ، وتجاوز عن سيآتك ، ورحم الله كل شافع يشفع لك بخير من شاهد وغائب ، رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره ، فالحمد لله رب العالمين .

ثم انصرف .

﴿ حديث عمرو بن معاوية ﴾

وحدثنى محمد بن عبيد بن عمر قال : أخبرنى طارق بن المبارك عن أبيه قال : قال لى عمرو بن معاوية بن عُتبة : جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن ، كثير العِيال ، منتشر الأموال . فكنت لا أكون فى قبيلة إلا شُهِر أمرى . فلما رأيت ذلك عزمت على أن أفدى حرَمى بنفسى . قال المبارك : فأرسلَ إلىّ أن وافنى عند باب الامير سليمان بن عبد الملك . قال : فأتيته ، فإذا عليه طَيلسان أبيض مُطبق وسراويل وشىء مسدولة . قال : فقلت : ياسبحان الله ماتصنع الحُدانة بأهلها ؟ إن هذا ليس من لباس هذا اليوم . قال : لا والله ، لكن ليس عندى ثوب إلا أشهى ماترى . قال : فأعطيته طيلسانى وأخذت طيلسانه ، ولويت سراويله إلى ركبتيه . قال : فدخل ثم خرج إلىّ مسروراً . قال فقلت له : حدثنا ماجرى بينك وبين الامير ؟ قال : دخلت عليه ـ ولم يرنى قبل ذلك ـ فقلت . أصلح الله الامير ، لفظنى البلاء اليك ، ودانى فضلك عليك ، فإما قبلتنى غانماً ، وإما رددتنى سالماً . قال :

من أنت أعرفك ؟ قال: فانتسبت له فقال : أقعد فتكلم غانماً سالما . ثم أقبل علىّ فقال : حاجتك يا ابن أخى ؟ قال فقلت : إن الحرم اللاتى أنت أقرب الناس إليهن معنا ، وأولى الناس لهن بعدنا ، قد خفن بخوفنا ، ومن خاف خيف عليه . قال : فوالله ما أجابنى إلا بدموعه . فقال : يا ابن أخى ، يحقن الله دمك ويحفظ حرمك ، ويوفر عليك مالك . ولو أكننى ذلك فى جميع قومك لفعلت . قال فقلت : أكون متوارياً أو ظاهراً ؟ فقال : كن متوارياً كظاهر . فكنت والله أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمه . قال : فلما فرغ من الحديث رددت إليه طيلسانه فقال : مهلا ، إن ثيابنا إذا فارقتنا لم ترجع إلينا

﴿ بعض أحاديث النوكى ﴾

ومن أحاديث النوكى حُدثت عن أبى سعيد الرفاعى أنه سُئل عن الدنيا والدايسة فقال : أما الدنيا فهذه التى أنتم فيها . وأما الدايسة فهى دار بائنة من هذه الدار لم يسمع أهلها بهذه الدار ولا بشىء من أمرها ، إلا أنه قد صح عندنا أن بيوتهم من قِثاء ، وسقوفهم من قِثاء ، وأنعامهم من قِثاء وهم فى أنفسهم من قثاء ، وقثاؤهم أيضاً من قثاء . قالوا له : يا أبا سعيد ، زعمت أن أهل تلك الدار لم يسمعوا بهذه الدار ولا بشىء من أمرها ، وكذلك نحن لهم ، وأراك تخبرنا عنهم بأخبار كثيرة ؟ قال : فمن ثمة أعجب زيادة

قالوا : ذم رجل عند الأحنف الكمأة بالسمن فقال : رب ملوم لا ذنب له

عبد الله بن مسلم عن شيبة بن عِقال أن رجلا قال فى مجلس عُبيد الله بن زياد : ما أطيب الأشياء ؟ فقال رجل: ما شىء أطيب من تمرة برسيان ، كأنها من آذان النوكى عليها بزبدة . وقال أوس بن حارثة لابن عامر :

ظَلَلْتُ عُقابُ النَّوكِ تَخْفِقُ فوْقَهُ ... رِخْوٌ طَفَاطِفُهُ قَدِيمُ المَلْعَبِ

قدْ ظَلَّ يُوعِدُنِى وعَيْنَ وَزِيرِهِ ... خضْرَاءُ خاشِعَةٌ كَعَيْنِ العُقْرَبِ

يعنى بوزيره عبد الله بن عُمير الليثى وكان أخاه لأمه ، أمهما دَجاجة بنت أسماء السلمية

وقال ابن مُناذر فى خالد بن عبد الله بن طليق الخزاعى ، وكان المهدى استقضاه وعزل عُبيد الله بن الحسن العنبرى :

أتى دَهْرُنا والدَّهْرُ ليسَ بمُعْتَبِ ... بآبِدَةٍ والدَّهْرُ جَمُّ الأَوَابِدِ
بِعَزْلِ عُبَيْدِ اللهِ عنّا فَيالَهُ ... خِلافاً وباسْتِعْمالِ ذِى النَّوْكِ خالِدِ
بِحَيْرانَ عن قَصْدِ السَّبِيلِ تَصُدُّهُ ... خِيانَةُ سَلاَّمٍ وَلِحْيَةُ قائِدِ
أذَلِكَ مِنْ رَيْبِ الزَّمانِ وصَرْفِهِ ... وأحْدَاثِهِ أمْ نَحْنُ فى حُلْمِ رَاقِدِ ؟

وقال أيضاً :

قُلْ لِأَميرِ المُؤْمِنِينَ الَّذِى ... مِنْ هاشِمٍ فى سِرِّها واللُّبابْ
إنْ كُنْتَ لِلسَّخْطَةِ عاقَبْتَنا ... بِخالِدٍ فهْوَ أشَدُّ العَذابْ
أصَمُّ أعْمَى عَنْ سَبِيلِ الهُدَى ... قدْ ضَرَبَ الجَهْلُ عليهِ الحِجابْ
يا عَجَباً مِنْ خالِدٍ كَيْفَ لا ... يُخْطِئُ فِينا مَرَّةً بالصَّوابْ ؟

وقال :

خالِدٌ يَحْكُمُ فى النَّاسِ بِحُكْمِ الجاثِلِيقِ ... يا أبا الهَيْثَمِ ما كُنْتَ لِهذا بِخَلِيقِ
لا ولاَ كُنْتَ لِما حُمِّلْتَ مِنْهُ بِمُطِيقِ ... أيُّ قاضٍ أنْتَ لِلظُّلْمِ وتَعْطِيلِ الحُقُوقِ ؟

وقال :

يَقْطَعُ كَفَّ القاذِفِ المُفْتَرِى ... وَيَجْلِدُ اللِّصَّ ثَمانِينَا ؟
سَقْياً ورَعْياً لَكَ مِنْ حاكِمٍ ... يُحْيِى لَنا السُّنَّةَ والدِّينَا

وقال زهرة :

يا قَوْمُ مَنْ دَلَّ على عالِمٍ ... يَعْلَمُ ما حَدُّ حُرِّ سارِقِ

وقال آخر :

وإنِّى لَمَضَّاءٌ على الهَوْلِ واحِداً ... ولوْ ظَلَّ يَنْهانِى أُخَيْفِشُ شاحِجُ
تُشَبَّهُ لِلنَّوْكَى أُمُورٌ كَثِيرَةٌ ... وفِيها لِأَكْياسِ الرِّجالِ مَخارِجُ

وقال آخر :

ولا يَعْرِفُونَ الشَّرَّ حتى يُصِيبَهُمْ ... ولا يَعْرِفُونَ الأَمْرَ إلا تَدَبُّرَا

غيره :

إذا ظَعَنُوا عَنْ دَارِ ضَيْمٍ تَعَاذَلُوا عَلَيها وردُّوا وَفْدَهُمْ يَسْتَقِيلُها

وقال النابغة :

ولا يَحْسَبُونَ الخيرَ لا شرَّ بَعْدَهُ ولا يَحْسَبُونَ الشرَّ ضَرْبَةَ لازِبِ

والعرب تقول : أخزى الله الرأىَ الدَّبَرِىَّ

وقالوا : وجَّه الحجاج إلى مطهر بن عمار بن ياسر عبدالرحمن بن سليم الكلبى فلما كان بحُلوان أتبعه الحجاج مدداً ، وعجل عليه بالكتاب مع تُحيت الغلط ، وانما قيل له ذلك لكثرة غلطه ، فمر تحيت بالمدد وهم يُعرضون بخانقين ، فلما قدم على عبد الرحمن قال له : أين تركت مددنا ؟ قال : تركتهم يخنقون بعارضين قال : أو يعرضون بخانقين ؟ قال : نعم ، اللهم لا تخانق فى باركين . ولما ذهب يجلس ضرط . وكان عبدالرحمن أراد أن يقول : ألا تَغَدَّى ؟ فقال : ألا تضرط؟ قال : قد فعلت أصلحك الله . قال : ما هذا أردت . قال : صدقت ، ولكن الأمير غلط كما غلطنا . فقال : أنا غلطت من فمى وغلط هو من استه

﴿ باب من البَلَه الذى يُعترى من قِبَل العبادة ﴾

(وترك التعرض للتجارب)

وهو كما قال أبو وائل : أسمعكم تقولون : الدانق والقيراط ، فأيما أكثر؟ قالوا : وكان عامر بن عبد الله بن الزبير فى المسجد — وكان قد أخذ عطاءه — فقام إلى منزله ونسيه ، فلما صار فى منزله وذكره بعث رسولا ليأتيه به فقال له : وأين تجد ذلك المال ؟ قال : سبحان الله أو يأخذ أحد ماليس له ؟ أبو الحسن قال : قال سعيد بن عبد الرحمن الزبيرى : سُرقت نعل عامر بن عبد الله الزبيرى فلم يتخذ نعلا حتى مات . وقال : أكره أن أتخذ نعلا فلعل رجلا أن يسرقها فيأثم .

وقالوا : إن الخلفاء والأئمة أفضل من الرعية ، وعامة الحكام أفضل من المحكوم عليهم ولهم ، لأنهم أفقه فى الدين وأقوم بالحقوق وأردّ على المسلمين ،

وعلمهم بهذا أفضل من عبادة العُبَّاد ، ولأن نفع ذلك لا يعدو قمع رؤسهم ونفع هؤلاء بخص ويعم ، والعبادة لا تدله ولا تورث البَلَه إلا لمن آثر الوحدة وترك معاملة الناس ومجالسة أهل المعرفة ، فمن هناك صاروا بُلهاً ، حتى صار لا يجيء من أعبدهم حاكم ولا إمام ، وما أحسن ما قال أيوب السختياني حيث يقول : في أصحابي من أرجو دعوته ولا أقبل شهادته . فإذا لم يجز في الشهادة كان من أن يكون حاكما أبعد .

وقال الشاعر :

وعاجزُ الرَّأيِ مِضْياعٌ لِفُرْصَتِهِ ... حَتى إذا فاتَ أمْرٌ عاتَبَ القَدَرَا

ومن غير هذا الباب قوله :

إذا مَا الشَّيْخُ عُوتِبَ زَادَ شَرًّا ... ويَعْتِبُ بعْدَ صَبْوَتِهِ الوَلِيدُ

وقال علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه : من أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرَجَ .

وقال الشاعر :

إذا تَضايقَ أمْرٌ فانْتظرْ فَرَجاً ... فأضْيقُ الأمْرِ أدْناهُ منَ الفَرَجِ

وقال الفرزدق :

وإنّي وسَعْدًا كالحُوَارِ وأُمِّهِ ... إذا وَطِئَتْهُ لَمْ يَضِرْهُ اعْتِمادُها

وقال أعرابي :

تُعلِّمُنِي بالعَيْشِ عِرْسِي كأنَّما ... تَبَصَّرُ في الأمْرِ الذِي أنا جَاهِلُهْ

يَعِيشُ الفَتَى بالفَقْرِ يَوْمًا وبالغِنَى ... وكلٌّ كأنْ لَمْ يَلْقَ حِينَ يُزَايِلُهْ

وقال آخر :

شَهِدْتُ وبَيْتِ اللهِ أنَّكَ بارِدُ الثَّـ ... ـنايا لَذِيذٌ لَثْمُها حِينَ تَلْثِمُ

وقال غيره :

اللهُ يَعْلَمُ يا مُغِيرَةُ أنَّنِي ... قَدْ دُسْتُ هَادَوْسَ الحِصَانِ الهَيْكَلِ

وأخذتُها أخذَ المُقصَّبِ شاتَهُ ... عَجْلانَ يَشوِيها لِقَوْمٍ نُزَّلِ

وقال آخر :

شَهِدْتُ وبَيْتِ اللهِ أنَّكَ بارِدُ الثَّـ ... ـنايا وأنَّ الكَشْحَ مِنْكَ لَطِيفُ
وأنَّكَ مَشْبُوحُ الذِّراعَيْنِ خَلْجَمٌ ... وأنَّكَ إذْ تَخْلُو بِهِنَّ عَفِيفُ

وقال آخر :

فَهَلَّا مِنْ وِزَارٍ أوْ حُصَيْنٍ ... حَمَيْتُمْ فَرْجَ حاضِنَةٍ كَعابِ
وأُقْسِمُ أنَّهُ قَدْ حَلَّ مِنْها ... مَحَلَّ السَّيْفِ مِنْ قَعْرِ القِرابِ

وقال آخر :

أتَرْجُو أنْ تَسُودَ ولَنْ تَعَنَّى ... وكَيْفَ يَسُودُ ذُو الدَّعَةِ البَخِيلُ

وقال الهذلى :

وإنَّ سِيادَةَ الأقْوامِ فاعْلَمْ ... لَها صَعْداءُ مَطْلَبُها طَوِيلُ

وقال جرير بن الخطفى :

تُرِيدِينَ أنْ أرْضَى وأنْتِ بَخِيلَةٌ ... ومَنْ ذَا الَّذِى يُرْضِى الأخِلاَّءَ بالبُخْلِ

وقال اسحق بن حسان بن قُوهى :

ودُونَ النَّدَى فى كلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ ... لَها مَصْعَدٌ حَزْنٌ ومُنْحَدَرٌ سَهْلُ
ووَدَّ الفَتَى فى كلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ ... إذا ما انْقَضَى لَوْ أنَّ نائِلَهُ جَزْلُ

وقال آخر :

عَزَمْتَ على إقامَةِ ذِى صَباحٍ ... لِشَىءٍ مَا يُسَوَّدُ مَنْ يَسُودُ

وقال آخر :

وتَعْجَبُ إنْ حاوَلْتُ مِنْكَ تَنَصُّفاً ... وأعْجَبُ مِنْهُ ما تُحاوِلُ مِنْ ظُلْمِى
أباحَسَنٍ يَكْفِيكَ ما فِيكَ شاتِماً ... لِعِرْضِكَ مِنْ شَتْمِ الرِّجالِ ومِنْ شَتْمِى

وقال آخر :

كما قالَ الحِمارُ لِسَهْمِ رامٍ ... لَقَدْ جُمِّعْتَ مِنْ شَتَّى لِأمْرِ

وقال آخر :

أَرَاكَ حَدِيدَةً فى رَأْسِ قِدْحٍ ... وَمَنْ جَلَالَةٍ مِنْ رِيشِ نَسْرِ

وقال آخر :

إِذَا مامَاتَ مِثْلِى مات شَىءٌ ... يَمُوتُ بِمَوْتِهِ بشرٌ كَثِيرُ

وأشعر منه عَبْدَةُ بنُ الطبيب حيث يقول فى قَيس بن عاصم :

فَمَا كانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ واحِدٍ ... وَلَكِنَّهُ بُنْيانُ قَوْمٍ تَهَدَّما

وقال امرؤُ القيس فى شبيه بهذا المعنى :

فلوْ أَنَّها نفسٌ تموتُ سَوِيَّةً ... ولكِنَّها نفسٌ تَسَاقِطُ أَنفُسا

وقال آخر :

وَزَهَّدَنِى فى صَالِحِ العَيْشِ أَنَّنِى ... رَأَيْتُ يَدِى فى صَالِحِ العَيْشِ قَلَّتِ

وقالَ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ :

ولقَدْ بَدَا لِى أَنَّ قَلْبَكَ ذاهِلٌ ... عنى وقَلبِى لوْ بَدَا لَكَ أَذْهَلُ

كلٌّ يُجامِلُ وهْوَ يُخْفِى بُغْضَهُ ... إِنَّ الْكَرِيمَ على القِلَا يتَجَمَّلُ

وقال ركاض :

نُرَامِى فتَرْمِى نحْنُ مِنْهُنَّ فى الشَّوَى ... وَيَرْمِينَ لا يعْدِلْنَ عَنْ كَبِدٍ سَهْمَا

إِذا مالَبِسْنَ الحَلْىَ والوَشْىَ أَشْرَقَتْ ... وُجُوهٌ وَلَبَّاتٌ يُنَلِّبْنَنَا الْحِلْمَا

ولَيْنَ السُّبُوبَ حُمْرَةً قُرَشِيَّةً ... زُبَيْرِيَةً يَعْلُمْنَ فى لَوْنِها عَلْمَا

وقال آخر :

أُعَلِّلُ نَفْسِى بِمَالاَ يَكُو ... نُ كما يَفْعَلُ المَائِقُ الأَحْمَقُ

وقال آخر :

تَوَلَّتْ بَهْجَةَ الدُّنْيا ... فكلُّ جَدِيدِها خَلَقُ

وخَانَ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... فَمَا أَدْرِى بِمَنْ أَثِقُ

رَأَيْتُ مَعَالِمَ الْخَيرَا ... تِ سُدَّتْ دُونَها الطُّرُقُ

فلاَ حَسَبٌ ولاَ أَدَبٌ ... ولاَ دِينٌ ولا خُلُقُ

وقال أبو الأسود الدؤلي :

لَنا جِيرَةٌ سَدُّوا المَجازَةَ بَيْنَنا ... فإنْ ذَكَرُوكَ السَّدَّ فالسَّدُّ أكْيَسُ
ومِنْ خيرِ ما أُلْصِقْتَ بالدَّارِ حائِطٌ ... يَزِلُّ بِهِ صُقْعُ الخَطاطِيفِ أمْلَسُ

وقال آخر :

عَقَمَتْ أُمٌّ أنَتْنا بِكُمُ ... لَيْسَ فِيكُمْ رَجُلٌ غيرُ دَنِيّ
وإذا ما النّاسُ عَدُّوا شَرَفاً ... كُنْتُمُ مِنْ ذاكَ فى بِلٍ رَخِيّ

وقال آخر :

قَدْ بَلَوْناكَ بِحَمْدِ اللهِ إنْ أغْنَى البَلاءُ
فإذا كلُّ مَوَاعِيدِكَ والجَحْدُ سَوَاءُ

وقال آخر :

ولَقَدْ هَزَزْتُكَ لِلْمَدِيحِ فكُنْتَ ذا نَفْسٍ لَكِيعَهْ
أنْتَ الرَّقِيعُ ابْنُ الرَّقِيعِ ابْنِ الرَّقِيعِ ابْنِ الرَّقِيعَهْ

وقال آخر :

لِكُلِّ أُناسٍ سُلَّمٌ يُرْتَقَى بِهِ ... وليْسَ إلَيْنا فى السَّلالِمِ مَطْلَعُ
وغايَتُنا القُصْوَى حِجازٌ لِمَنْ بِهِ ... وكلُّ حِجَازٍ إنْ هَبَطْناهُ بَلْقَعُ
ويَنْفُرُ مِنّا كلُّ وَحْشٍ ويَنْتَمِي ... إلى وَحْشِنا وحْشُ البِلادِ فَيَرْتَعُ

وقال آخر :

لَوْ جَرَتْ خَيْلٌ نُكُوصاً ... لَجَرَتْ خَيْلُ دِفَافَهْ
هِيَ لا خَيْلُ رِجَاءٍ ... لا ولا خَيْلُ مَخَافَهْ

وقال الخُزَيْمِيُّ :

إخْلَعْ ثِيابَكَ مِنْ أبى دُلَفٍ ... واهْرُبْ مِنَ الفَحْفاحَةِ الصَّلِفِ
لا يُعْجِبَنَّكَ مِنْ أبى دُلَفٍ ... وَجْهٌ يُضِيءُ كَدُرَّةِ الصَّدَفِ
إنى رَأيْتُ أخِى أبا دُلَفٍ ... عِنْدَ الفِعالِ مُوَلَّدَ الشَّرَفِ

وأنشد ابنُ الأعرابى :

أهْلَكَتْنى بِفُلانٍ تِقَنى ... وَظُنُونٌ بِفُلانٍ حَسَنَهْ
لَيْسَ يَسْتَوْجِبُ شُكْرًا رَجُلٌ ... نِلْتُ خَيْرًا مِنْهُ مِنْ بَعْدِ سَنَهْ
كُنْتُ كالهَادِى منَ الطَّيْرِ رَأَى ... طَمَعًا أَدْخَلَهُ فى سجنهْ
زَادَنى قُرْبُ صَدِيقى فاقَةً ... أَوْرَثَتْ مِنْ بَعْدِ فقرٍ مَسكنَهْ

وأنشدنا :

إذَا المَرْءُ أَوْلاكَ الهَوَانَ فَأَوْلِهِ ... هَوَانًا وإنْ كانَتْ قَرِيباً أَوَاصِرُهْ
فإنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ على أَنْ تُهِينَهُ ... فَذَرْهُ إلى اليَوْمِ الذِى أَنْتَ قَادِرُهْ
وقارِبْ إذا مالَمْ تَكُنْ لَكَ قُدْرَةٌ ... وصَمِّمْ إذا أَيْقَنْتَ أَنَّكَ عاقِرُهْ

وقال بعض ظرفاء الأعراب :

وإذا خَشِيتَ مِنَ الفُؤَادِ لَجاجَةً ... فاضْرِبْ عليهِ بِجَرْعَةٍ مِنْ رَائِبِ

وهذا من شكل قوله :

ذَكَرْتُكِ ذِكْرَةً فاصْطَدْتُ ضَبًّا ... وكُنْتُ إذا ذَكَرْتُكِ لا أُخِيبُ

وقال بعض المحدثين :

ما أَشْبَهَ الإِمْرَةَ بالوَصْلِ ... وأَشْبَهَ الهِجْرَانِ بالعَزْلِ

وقالت الخَنْسَاء :

لَمْ تَرَهُ جَارَةٌ يَمْشِي بِساحَتِها ... لِرِيبَةٍ حِينَ يُخْلِى بَيْتَهُ الجَارُ
مِثْلُ الرُّدَيْنِىِّ لَمْ تَدْنَسْ عِمامَتُهُ ... كأَنَّهُ تَحْتَ طَىِّ البُرْدِ إسْوَارُ

وقال آخر :

نادَيْتُ هَيْذَانَ والأَبْوَابُ مُغْلَقَةٌ ... ومِثْلُ هَيْذَانَ سَنَّى فَتْحَةَ البَابِ
كالهِنْدُوَانِىِّ لَمْ تَفْلُلْ مَضَارِبُهُ ... وجْهٌ جَمِيلٌ وقَلْبٌ غيرُ وجَّابِ

وقال آخر :

أَرَى كُلَّ رِيحٍ سَوْفَ تَسْكُنُ مَرَّةً ... وكُلَّ سَمَاءٍ ذَاتِ دَرٍّ سَتُقْلِعُ

ولَسْتُ بِقَوَّالٍ إذا قامَ حالِبًا ... لَكَ الْوَيْلُ لا تَجْهَدْ لَعَلَّكَ تُرْضَعْ
ولكِنْ إذا جادَتْ بما دُونَ حلبِها ... جهدْنا ولمْ نَمْذُقْ بما نَتَوَسَّعُ

وقال آخر :

تَمَنَّى رِجالٌ أنْ أمُوتَ وغايَتى ... إلى أجَلٍ أقْصَى مَدَاهُ قَرِيبِ
وَمارَغْبَتى فى آخرِ الدَّهْرِ بعْدَما ... لَبِسْتُ شَبَابى كلَّهِ ومَشِيبى
وأصْبَحْتُ فى قَوْمٍ كأنْ لَسْتُ مِنْهُمُ ... وَبَادَ قُرُونِى مِنْهُمُ وضُرُوبى

وقال :

رأيْتُ النَّاسَ لَمَّا قَلَّ مَالى ... وأكْثَرْتُ الْغَرَامَةَ ودَّعُونِى
فلمَّا أنْ غَنِيتُ وثابَ وفْرِى ... إذَا هُمْ لا أبالِكَ رَاجَعُونِى

وقال آخر :

وكُنَّا نَسْتَطِبُّ إذا مَرِضْنا ... فصَارَ سَقَامُنا بِيَدِ الطَّبِيبِ
فكَيْفَ نُجِيزُ غُصَّتَنا بشَىْءٍ ... ونَحْنُ نَغَصُّ بالْماءِ الشَّرِيبِ

وقال عَدِىُّ بنُ زَيد :

لَوْ بغَيْرِ الْماءِ حَلْقِى شَرِقٌ ... كُنْتُ كالغَصَّانِ بالْماءِ اعْتِصارِى

وقال التوت اليمانى ـ ويروى النوب بالباء ، والتوت هو الصواب ـ وهو المعروف بتُوَيْتٍ فكبره هنا :

على أى بابٍ أطْلُبُ الإذْنَ بعْدَما ... حُجِبْتُ منَ الْبابِ الَّذِى أنا حَاجِبُ

وقال آخر :

لا تَضْجَرَنَّ ولا تَدَخُلْكَ مَعْجَزَةٌ ... فالنُّجْحُ بَيْنَ الْعَجزِ والضَّجَرِ

وقال محمد بن بشر :

إنَّ الأمُور إذَا انْسَدَّتْ مَسالِكُها ... فالصَّبْرُ يَفْتَحُ منها كلَّ ما ارْتَتَجا
لا تَيْأَسَنَّ وَإنْ طالَتْ مُطالَبَةٌ ... إذَا اسْتَعَنْتَ بصَبْرٍ أنْ تَرَى فَرَجا
أخْلِقْ بذِى الصَّبْرِ أنْ يَحْظَى بحَاجَتِهِ ... ومُدْمِنِ الْقَرْعِ لِلأبْوَابِ أنْ يَلِجا

وقال بعض الاعراب :

فإنّ طعاماً ضمّ كفّى وكفّها ... لعمرُكَ عندِى فى الحياةِ مبارَكُ
فمِنْ أجلِها أستوعِبُ الزّادَ كلَّهُ ... ومن أجلِها تهوِى يدِى وتُدارِكُ

وقال آخر :

كأنّى لمّا مسّنِى السّوْطُ مقْرَمٌ ... منَ العُجْمِ صعْبٌ أنْ يُقادَ نفُورُ
فكمْ قدْ رأينا منْ لَبِيبٍ مُوَطّأٍ ... صبُورٌ على مَسّ السِّياطِ وَقُورُ
وَذِى كرَمٍ فى القومِ نهْدٍ مُشيَّعٍ ... جزُوعٌ على مسّ السِّياطِ ضَجُور

وقال أُحَيْحَةُ بنُ الجلاحِ :

إستَغنِ عنْ كلّ ذِى قُرْبَى وَذِى رحِمٍ ... إنّ الغَنِىَّ منِ استغْنَى عنِ الناسِ
وَالْبسْ عَدُوَّكَ فى رِفْقٍ وَفى دَعَةٍ ... لِباسَ ذِى إرْبةٍ لِلدَّهْرِ لبّاسِ
ولا يغُرَّنْكَ أضغانٌ مُزَمَّلَه ... قدْ يُضْرَبُ الدَّبِرُ الدامى بأحْلاس

وقال أُحَيْحَةُ أيضاً :

إستغْنِ أوْ مُتْ ولا يغْرُرْكَ ذُو نشَبٍ ... منِ ابْنِ عمٍّ ولاعمٍّ ولا خال
إنى أُكِبُّ على الزّوْرَاءِ أعْمُرُها ... إنّ الكريمَ على الاقْوام ذُو المال
يُلوُونَ ماعِنْدهُمْ عنْ حقّ أقْرَبِهِمْ ... وعن عشِيرَتِهِمْ والْمالُ بالْوَالِى

وقال آخر :

سانْبِيكَ مَالاً بالمَدِينَةِ إنّنى ... أرَى عازِبَ الأمْوَالِ قلّتْ فواضِلُه

وقال آخر :

ولاخيرَ فى فضْلٍ إذا لمْ يكُنْ لهُ ... على طُولِ مَرِّ الحادِثاتِ بقاءُ

وقال العباس بنُ الأحْنَفِ :

لمْ يصْفُ حُبٌّ لِمَعْشُوقيْنِ لمْ يَذُقا ... وصْلاً يَمُرُّ على مَنْ ذاقَهُ العَسَلُ

وقال بعض سفهاء الاعراب :

لاخيرَ فى الحُبِّ أباالسَّنَوَّرِ ... أوْ يَلْتَقِى أشْعَرُها وأشْعَرِى
وأُطْبِقُ الْخُصْيَةَ فَوْقَ المِبْعَرِ

وقال آخر :

وحظك زَوْرَةٌ فى كل عامٍ ... مُوَاقفةً على ظَهْرِ الطَّرِيقِ
سَلَامًا خالِيًا من كل شىْءٍ ... يَعُودُ به الصَّدِيقُ على الصَّدِيقِ

وقال عُطَارِدٌ :

ولا يَلْبَثُ الحَبْلُ الضَّعِيفُ إذا الْتَوَى ... وجَاذَبَهُ الأَعْدَاءُ أنْ يَتَخَذَّما
وما يَسْتَوِى السَّيْفَانِ سَيْفٌ مُؤَنَّثٌ ... وسَيْفٌ إذا ما عَضَّ بالعَظْمِ صَمَّمَا

وقال طُرَيح بن اسمعيل فى الوليد بن يزيد بن عبد الملك :

سَعَيْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فيما صَنَعْتَ بى ... فَقَصَّرْتُ مَغْلُوبًا وإنِّى لَشَاكِرُ
لِأَنَّكَ تُعْطِينى الجَزِيلَ بَدَاهَةً ... وأنْتَ لِمَا اسْتَكْثَرْتُ من ذاكَ حاقِرُ
فأَرْجِعُ مَغْبُوطًا وأَرْجِعُ بالَّذِي ... لَهَا أوَّلٌ فى المَكْرُماتِ وآخِرُ
وقد قُلْتُ شِعْرًا فيكَ لَكِنْ تَقُولُهُ ... مَكَارِمُ فِيما تَبْتَنِى ومَفَاخِرُ
قَوَاصِرُ عَنْها لم تُحِطْ بِصِفَاتِها ... يُرَادُ بِها ضَرْبٌ من الشِّعْرِ آخَرُ

وقال آخر :

فَكَمْ من مُلِيمٍ لم يُصِبْ بِمَلَامَةٍ ... ومُتَّبَعٍ بالذَّنْبِ لَيْسَ لهُ ذَنْبُ
وكم مِنْ مُحِبٍّ صَدَّ عن غيرِ عِلَّةٍ ... وإنْ لَمْ يَكُنْ فى وَصْلِ خُلَّتِهِ عَتْبُ

وقال آخر :

لعلَّ لهُ عُذْرًا وأَنْتَ تَلُومُ ... وكَمْ لَائِمٍ قَدْ لَامَ وَهْوَ مَلِيمُ

كما قالَ الأَحْنَف : رُبَّ مَلُومٍ لا ذَنْبَ لهُ . وقال ابن المقفع :

فلا تَلُمِ المَرْءَ فى شأْنِهِ ... فَرُبَّ مَلُومٍ ولَمْ يُذْنِبِ

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حَسَّان بن ثابت الانصارى :

وإنَّ امْرَأً يُمْسِى ويُصْبِحُ سَالِمًا ... منَ النَّاسِ إلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ

انتهى الجزء الثانى ويتلوه الجزء الثالث

(وأوله كتاب العصا)

فهرس الجزء الثانى

من كتاب البيان والتبيين

	صفحة
استدراك وتكميل لترجمة الجاحظ	٢
مقدمة الجزء الثانى	١٨
قصائد العرب المسماة	٢١
رؤبة بن العجاج : ترجمته	٢١
تسمية العرب لطبقات الشعراء	٢٢
بشر بن ابى خازم : ترجمته	٢٣
سويد بن كراع : ترجمته	٢٤
الحطيئة : ترجمته	٢٥
الربيع بن أبى الحقيق : ترجمته	٢٦
كلام للنبى لم يسبقه إليه عربى	٢٧
يزيد بن المهلب : ترجمته	٢٧
عبد الرحمن بن الاشعث : ترجمته	٢٨
قيس بن الخطيم : ترجمته	٢٩
عمرو بن قميئة : ترجمته	٣٠
خطبة حجة الوداع	٣٨
قيس بن عاصم : ترجمته	٤٠
محمد بن كعب القرظى : ترجمته	٤٠
صالح المرى : ترجمته	٤٢
الشعبى : ترجمته	٤٣
سعيد بن سلم : ترجمته	٤٤
قتيبة بن مسلم : ترجمته	٤٦
ابو مجلز : ترجمته	٤٦
خطبة لأبى بكر الصديق	٤٧
وصية ابى بكر لعمر	٤٨
وصية عمر للخليفة من بعده	٤٨
رسالة عمر إلى أبى موسى الاشعرى في القضاء	٥٠
ابو موسى الاشعرى : ترجمته	٥٠
خطبة لعلى بن أبى طالب	٥١
ابو عبيدة معمر بن المثنى : ترجمته	٥١
خطبة لعلى بن أبى طالب	٥٢
» » » »	٥٤
» » » »	٥٤
خطبة عبدالله بن مسعود : وترجمته	٥٥
خطبة عتبة بن غزوان : وترجمته	٥٦
خطبة لمعاوية بن ابى سفيان	٥٦
خطبة زياد بن ابى سفيان ــ البتراء وترجمته	٥٨
ابو بلال مرداس بن أدية : ترجمته	٦٠
مقطعات من كلام البلغاء ومواعظ النساك	٦١
عبد الملك بن عمير : ترجمته	٦٣
اكثم بن صيفى : ترجمته	٦٣
عيسى بن طلحة : ترجمته	٦٣

	صفحة
عروة بن الزبير : ترجمته	٦٣
ابو الاسود الدؤلى : ترجمته	٦٥
عتبة بن ابى سفيان : ترجمته	٦٦
يزيد بن عمر بن هبيرة : ترجمته	٧٢
المغيرة بن شعبة : ترجمته	٧٣
سعيد بن العاص : ترجمته	٧٣
مروان بن الحكم : ترجمته	٧٣
كتاب عبد الله بن معاوية بن جعفر الى أبى مسلم	٧٥
ابو مسلم الخراسانى : ترجمته	٧٥
كتاب معاوية الى قيس بن سعد	٧٦
جواب قيس لمعاوية : وترجمته	٧٦
عبد الله بن الزبير : ترجمته	٧٨
عبد الرحمن بن ابى ليلى : ترجمته	٨١
ابو الذيال شويس : ترجمته	٨٣
يحيى بن أكثم : ترجمته	٨٥
شعبة بن الحجاج : ترجمته	٨٩
الفضيل بن عياض : ترجمته	٩٠
سفيان الثورى : ترجمته	٩٠
رجاء بن حيوة : ترجمته	٩١
هريم بن عدى : ترجمته	٩١
عبد الله بن خازم السلمى : ترجمته	٩١
يونس بن حبيب : ترجمته	٩٤
عبد الله بن شداد : ترجمته	٩٥
باب مزدوج الكلام	٩٦
خطبة عبد الله بن الاهتم	٩٧
خطبة عمر بن عبد العزيز	٩٩
» » » » »	١٠٠

	صفحة
خطبة ابى حمزة الخارجى : وترجمته	١٠٠
خطبة قطرى بن الفجاءة : وترجمته	١٠٣
خطبة محمد بن سليمان	١٠٥
خطبة عبيد الله بن زياد	١٠٦
وصية معاوية بن أبى سفيان	١٠٦
الضحاك بن قيس الفهرى : ترجمته	١٠٦
خطبة قتيبة بن مسلم	١٠٧
هبنقة القيسى : ترجمته	١٠٨
خطبة الأحنف بن قيس	١٠٩
خطبة جامع المحاربى	١٠٩
الحجاج بن يوسف : ترجمته	١٠٩
خطبة الحجاج بن يوسف	١١١
خطبة كلثوم بن عمرو (وفى الأصل عمرو بن كلثوم وهو خطأ) .	١١١
خطبة يزيد بن الوليد بن عبد الملك	١١١
خطبة يوسف بن عمر : وترجمته	١١٢
كلام زعماء الوفود عند عمر	١١٣
خطبة الحجاج بن يوسف	١١٤
فضيلة الصبر على المصيبة	١١٥
خطبة زياد بن أبى سفيان	١١٦
باب من اللغز فى الجواب	١١٦
ابن شبرمة : ترجمته	١١٦
الهيثم بن عدى : ترجمته	١١٦
عبد المسيح بن بقيلة : ترجمته	١١٧
أيوب السختيانى : ترجمته	١١٨
كتاب عمر إلى معاوية	١١٩
أبو يوسف القاضى : ترجمته	١١٩
أبو عثمان المازنى : ترجمته	١٢٠

	صفحة
باب في صفة الرائد للغيث . الخ	١٢١
خطبة عبد الرحمن بن الأشعث	١٢٢
ابن المقفع : ترجمته	١٢٨
مسلمة بن عبد الملك : ترجمته	١٣١
خطبة للحجاج	١٣٤
باب أن يقول كل انسان على قدر طبعه	١٣٥
ما يجب على الاباء للأبناء	١٣٨
وصية المهلب لبنيه : وترجمته	١٤٣
مالك بن دينار : ترجمته	١٤٥
ابرهيم النخعى : ترجمته	١٤٧
كلمات لعلى بن أبى طالب في الدنيا	١٤٨
ميمون بن مهران : ترجمته	١٤٩
خالد بن عبد الله القسرى : ترجمته	١٥٢
باب اللحن	١٥٥
ابن مناذر : ترجمته	١٥٧
عيسى بن عمر الثقفى : ترجمته	١٦٠
باب من لحن البلغاء	١٦١
هشيم بن بشير : ترجمته	١٦٢
باب النوكى والمجانين	١٦٤
باب في العمى	١٦٩
عتاب بن ورقاء الرياحى : ترجمته	١٧٠
وكيع بن أبى سود : ترجمته	١٧٠
عبيد الله بن زياد بن ظبيان : ترجمته	١٧٤
ابو سلمة العوفى : ترجمته	١٧٧
ابو الزناد : ترجمته	١٧٧
طرفة بن العبد : ترجمته	١٧٧
ابو فديك الخارجى : ترجمته	١٨٢
محمد بن عبد الملك الزيات : ترجمته	١٨٣
الافشين بن كاوس : ترجمته	١٨٣
واجبات الملوك والأمراء	١٨٤
رجع إلى النوكى	١٨٥
عدى بن الرقاع الشاعر : ترجمته	١٩٠
أسد بن كرز القسرى : ترجمته	١٩٧
باب من الكلام المحذوف	١٩٨
عبيد الله بن قيس الرقيات : ترجمته :	١٩٩
فضالة بن شريك الأسدى : ترجمته	١٩٩
أبو عبيدة عامر بن الجراح : ترجمته	١٩٩
ابرهيم بن عبد الله بن حسن العلوى : ترجمته	٢٠١
كلام لعمر بن الخطاب	٢٠٤
كتاب عمر إلى ابى موسى الأشعرى	٢٠٨
كلام لعائشة في قتل عثمان	٢٠٩
بين زياد والحكم بن عمرو	٢١٠
كلام بعض الأعراب	٢١٠
كلام عمرو بن العاص لابن عباس	٢١١
وصف الابل	٢١١
كتاب الحسن بن على إلى زياد ورد زياد عليه	٢١٢
كتاب معاوية إلى زياد	٢١٢
خطبة مصعب بن الزبير	٢١٢
عمرو بن العاص وابن عباس	٢١٣
كلام عمرو بن عتبه	٢١٣
خصمان عند زياد	٢١٤
تأبين عائشة لأبى بكر الصديق	٢١٤
تأبين الأحنف بن قيس	٢١٤

	صفحة
وصف عمرو بن العاص لمعاوية	٢١٤
كلام لعمر بن الخطاب	٢١٥
بين معاوية وعائشة	٢١٥
وصية عالم لابنه	٢١٥
فضل الشورى	٢١٥
الحجاج واختراعاته	٢١٥
كلام لبعض الاعراب	٢١٥
النضر بن شميل : ترجمته	٢١٦
ابن الاعرابي : ترجمته	٢١٦
احمد بن المعذل : ترجمته	٢١٧
خطبة للحجاج	٢١٨
كتاب الحجاج الى قطرى بن الفجاءة	٢١٩
جواب قطرى بن الفجاءة للحجاج	٢٢٠
بين معاوية وعدى بن حاتم	٢٢٠
هجاء واثلة السدوسى لعبد الملك بن المهلب	٢٢١
رثاء بشار لعمر بن حفص العتكى	٢٢٢
الحجاج وامرأة خارجية	٢٢٣
عمر والزبرقان والحطيئة	٢٢٤
من كلام العرب	٢٢٤

	صفحة
عمر والشعر	٢٢٥
لص ينطق بالحكمة	٢٢٥
عبد الملك وتعقله	٢٢٥
الكرخى المتفقة	٢٢٦
عقيل بن أبي طالب	٢٢٨
تشابيه من الشعر	٢٢٩
المنصور والشاب الهاشمى	٢٢٩
آداب الملوك	٢٢٩
شيء من نوادر الاعراب	٢٣١
كلام فى الشيب	٢٣٢
كلمات لاشعب	٢٣٢
كلام بعض المتكلمين من الخطباء	٢٣٣
نوادر لبعض الأعراب	٢٣٥
واعظ بين يدى المهدى	٢٣٦
تعزية معاوية عن ابنه	٢٣٦
تأبين عمر بن عبد العزيز لولده	٢٣٧
حديث عمرو بن معاوية	٢٣٧
بعض أحاديث النوكى	٢٣٨
باب من بله العباد	٢٤٠

تنبيه

وقعت بعض أغلاط أثناء الطبع ولما كانت لا تخفى على أقل الناس إدراكا فقد أغفلنا بيانها .

البيان والتبيين

لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب

الجاحظ

كتب الجاحظ تعلم العقل أولا
والأدب ثانيا ابن العميد

مصدر بترجمة للجاحظ مستفيضة

بقلم محققه وشارحه

حسن السندوبي

صاحب جريدة الثمرات

الجزء الثالث

١٣٤٥ - ١٩٢٧

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

حق الطبع محفوظ — الطبعة الأولى

المطبعة الرحمانية بمصر
لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا كتاب العصا)

الحمد لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، وصلى الله تعالى على محمد خاصة ، وعلى أنبيائه عامة

هذا أبقاك الله تعالى الجزء الثالث من القول فى « البيان والتبيين » ، وما شابه ذلك من غُرر الاحاديث ، وشاكله من عُيون الخطب . ومن الفِقَر المستحسنة ، والنتف المتخيَّرة ، والمقطعات المستخرجة ، وبعض مايجوز فى ذلك من أشعار المذاكرة ، والجوابات المنتخبة

ونبدأ على اسم الله تعالى بذكر مذهب الشُّعوبية [1] ، ومن يتحلى باسم

---

(١) الشعوبية فرقة من الناس يذهبون إلى تحقير شأن العرب وتصغير أمرهم . ويرون أن لافضل لهم على غيرهم ، ومنهم من يسوى العرب بسواهم من الأمم والشعوب. ومنهم من يفضل بعض أنواع العجم عليهم ، ومنشأ ذلك أن زياد بن أبيه لما استلحقه معاوية بأبى سفيان علم أن العرب لاتقر له بذلك مع علمهم بنسبه . فعمل كتاب المثالب وألصق بالعرب كل نقيصة ، ثم ثنى على ذلك الهيثم بن عدى وكان دعياً فأراد أن يعر أهل الشرف تشفياً منهم ، ثم جدد ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى وزاد فيه ، لأن أصله يهودى . ولابن غرسية رسالة فصيحة في تفضيل العجم على العرب . ثم نشأ غيلان الشعوبى الوراق وكان متزندقاً فعمل لطاهر بن الحسين كتاباً خارجاً عن آداب الاسلام ، بدأ فيه بمثالب بنى هاشم ثم بطون قريش ثم سائر العرب ، وبهتهم بكل نقيصة ، وأجازه طاهر عليه بثلاثين ألفاً . وكان هشام بن عبد الملك قد أمر النضر بن شميل وخالد بن سلمة المخزومى فوضعا كتاباً في مثالب العرب ومناقبها ، وليس لقريش في هذا الكتاب ذكر

التسوية ، وبمطاعنهم على خطباء العرب بأخذ المُحْصَرَةِ عند مُنَاقَلَةِ الكلام ، ومساجلة الخصوم بالموزون والمُقَفَّى ، والمنثور الذى لم يُقفّ ، وبالارجاز عند المَتْح ، وعند مجاناة الخصم ، وساعة المشاولة ، وفى نفس المجادلة والمحاولة . وكذلك الاسجاع عند المنافرة والمفاخرة ، واستعمال المنثور فى خطب الحِمَالَةِ ، وفى مقامات الصلح وسَلِّ السَّخِيمة ، والقول عند المعاقرة والمعاهدة ، وترك اللفظ يجرى على سجيته وعلى سلامته ، حتى يخرج على غير صنعة ، ولا اختلاف تأليف ، ولا التماس قافية ، ولا تكلف لوزن . مع الذى عابوا من الاشارة بالعِصَى والاتكاء على أطراف القِسِىِّ ، وَخَدِّ وجه الارض بها ، واعتمادها عليها ، اذا استحفزت فى كلامها ، وافتنت يوم الحفل فى مذاهبها . ولزومهم العمائم فى أيام الجموع ، وأخذ المخاصر فى كل حال ، وجلوسها فى خطب النكاح ، وقيامها فى خطب الصلح ، وكل مادخل فى باب الحِمَالة ، وأكدَ شأن المحالفة ، وحقق حُرمة المجاورة . وخطبهم على رواحلهم فى المواسم العظام ، والمجامع الكبار . والتماسح بالاكفّ ، والتحالف على النار ، والتعاقد على المِلْح ، وأخذ العهد المؤكد ، واليمين الغموس ، مثل قولهم : ماسرى نجم ، وهبت ريح ، وبلّ بحر صوفة ، وخالفت جرة درة . ولذلك قال الحارث بن حِلِزَةَ اليَشْكُرِى :

واذْكُرُوا حِلْفَ ذِى المَجازِ وماقُـ ـدِّمَ فيهِ العُهُودُ والكُفَلاءُ
حَذَرَ الخَوْنِ والتَّعدِّى وهَلْ تَنْـ ـقُضُ مَافِي المَهارِقِ الاهْوَاءُ

الخون : الخيانة . ويروى « الجور » . وقال أَوْسُ بنُ حَجَرٍ [1] :

إذا اسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمْسُ صَدَّ بِوَجْهِهِ كما صَدَّ عنْ نارِ المُهوِّلِ حالِفُ [2]

(١) أوس بن حجر الأسدى : قال أبو عمرو بن العلاء : كان أوس فحل مضر حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه . وقال الاصمعى : كان أوس أشعر من زهير ، وكان زهير راوية أوس . توفى أوس ٦٢٠ م

(٢) المهول : المتصدر لاحلاف الناس . والبيت في وصف ثور وحش

وقال الكُمَيْتُ :

كَهُولَةَ مَا أَوْقَدَ المُحْلِفُونَ لدَى الحَالِفِينَ وما هوَّلُوا[1]

وقال الاول :

حَلَفْتُ بالمِلْحِ والرَّمادِ وبالنَّـ ـارِ وباللهِ تَسْلِمُ الحَلَقَهْ

حَتى يَظَلَّ الجَوادُ مُنْعَفِرًا وتَخْضِبَ النَّبْلُ غُرَّةَ الوَرَقَهْ

وقال الاول :

حَلَفْتُ لهُمْ بالمِلْحِ والجَمْعُ شَهَّدٌ وبالنَّارِ واللاَّتِ التي هيَ أَعْظَمُ

وقال الحُطَيْئَةُ فى إضجاع القِسِيِّ :

أَمْ مَنْ لِخَصْمٍ مُضْجِعِينَ قِسِيَّهُمْ صُعْرٍ خُدُودُهُمُ عِظَامِ المَفْخَرِ

وقال لَبِيْدُ بنُ رَبِيْعَةَ فى خدِّ وجه الارض بالقِسِيِّ والعِصِيِّ :

نَشَيْنَ صِحَاحَ البِيدِ كلَّ عَشِيَّةٍ بِعُوجِ السَّراءِ عِنْدَ بابِ مُحَجَّبِ

ومثله :

إذا اقْتَسَمَ النَّاسُ فَضْلَ الفَخَارِ أَطَلْنا على الأَرْضِ مَيْلَ العَصا

ومثله :

حَكَمَتْ لَنَا فى الأَرْضِ يَوْمَ مُحَرِّقٍ أَيَّامُنا في النَّاسِ حُكْمًا فَيْصَلا

وقال لَبِيْدُ بنُ رَبِيْعَةَ فى ذكر القِسِيِّ :

ما إنْ أُهَابَ إذا السَّرَادِقُ عَمَّهُ قَرْعُ القِسِيِّ وأُرْعِشَ الرِّعْدِيدُ

وقال كُثَيِّرٌ، فى الإسلام :

إذا قَرَعُوا المَنابِرَ ثمَّ خَطَّوا بأَطْرَافِ المَخاصِرِ كالقِضابِ

وقال أَبُو عُبَيْدَةَ : سأل مُعاوِيَةَ شيخا من بقايا العرب : أى العرب رأيته أضخم شاناً ؟ قال : حِصْن بن حُذَيْفَةَ ، رأيته متوكئاً على قوسه يقسم فى الحليفين أسد وغطفان .

---

(١) التهويل : كانوا فى الجاهلية إذا ارادوا أن يستحلفوا إنساناً أوقدوا ناراً ليحلف عليها، وكان السدنة يطرحون فيها ملحاً من حيث لايشعر، يهولون بها عليه

وقال لَبِيدُ بنُ رَبِيعَةَ فى الاشارة :

غُلْبٌ تَشَذَّرُ بالدُّحُولِ كأنَّها جِنُّ البَدِيِّ رَوَاسِياً أقْدَامُها

وقال مَعْنُ بنُ اوْسٍ المُزَنِيُّ (١)

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى رَسُولاً عُبَيْدَ اللهِ إذْ عَجَلَ الرِّسَالا
تُعاقِلُ دُونَنا أبْنـاءَ نَوْرٍ ونَحْنُ الأَكْثَرُونَ حَصًى ومالاً
إذا اجْتَمَعَ القَبائِلُ جِئْتَ رِدْفاً أمَامَ المائِحِينَ لَكَ السِّبالا
فلا تُعْطِي العَصَا الخُطَباءَ يَوْماً وقَدْ تَكْفِي المَقَادَةَ والمَقالا

فذكر عصا الخطباء كما ترى . وقال الآخر فى حمل القناة :

إنِّي امْرُؤٌ لا تَخْطَأُهُ الرِّفْقُ وَلا جَدْبُ الخِوانِ إذا ما اسْتُثْنِيَ المَرَقُ
صُلْبُ الحَيازِيمِ لا هَذْرُ الكَلامِ إذا هَزَّ القَناةَ ولا مُسْتَعْجِلٌ زَهِقُ

وقال جَرِيرُ الخَطَفَى فى حمل القناة :

مَنْ لِلْقَنَاةِ إذا ماعَيَّ قائِلُها وِلِلْأَعِنَّةِ يا عَمْرو بْنَ عَمَّارِ

قالوا : وهذا مثل قول أَبِى المجيْبِرِ الرَّبَعِيِّ حيث يقول : لانزال تحفظ أخاك حتى يأخذ القناة ، فعندذلك يفضحك أو يمدحك . يقول : إذا قام يخطب فقد قام المقام الذى لابد من أن يخرج منه مذموما أو محمودا . وقال عبدُ الله بن رُؤْبَةَ . سأل رجل رُؤْبَةَ عن أخطب بنى تميم فقال : خِدَاشُ بنُ بشر بن لبيد ابن خالد ، يعنى البَعِيْث الشاعر ، وإنما قيل له البَعيث لقوله :

تَبَعَّثَ مِنِّى مَا تَبَعَّثَ بَعْدَ مَا أُمِرَّتْ حِبَالِى كلَّ مرَّتها شَزْراً

وقال أبو اليقظان : كانوا يقولون : أخطب بنى تميم البَعِيث إذا أخذ القناة فهزها ثم اعتمد بها على الأرض ثم رفعها . قال يونس : لعمرى لئن كان مُغَلَّبًا فى الشعر لقد كان غلَب فى الخطب

وإذا قالوا : غلَب . فهو الغالب ، وإذا قالوا : مُغَلَّبًا . فهو المغلوب

(١) معن بن أوس المزنى ، شاعر فحل مجيد ، من مخضرمى الجاهلية والاسلام .

وفى حديث النبى ﷺ أنه جاء البقيع ومعه مِخْصَرَة فجلس فنكت بها الأرض ثم رفع رأسه فقال : «ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب مكانها من الجنة أو النار» . وهو من حديث أبى عبد الرحمن السُّلَمِى

ومما يدلك على استحسانهم شأن المخصرة حديث عبد الله بن أنيس ذى المخصرة وهو صاحب ليلة الجُهَنى . وكان النبى ﷺ أعطاه مخصرة فقال : «تلقانى بها فى الجنة» . وهو مهاجر عَتَبى أنصارى ، وهو ذو المخصرة فى الجنة

﴿ مطاعن الشعوبية على العرب بشأن العصا ﴾

وقالت الشُّعوبية ومن يتعصب للعجمية : القضيب للايقاع ، والقناة للقار ، والعصا للقتال ، والقوس للرمى . وليس بين الكلام وبين العصا سبب ، ولا بينه وبين القوس نسب . وهما إلى أن يشغلا العقل ، ويصرفا الخواطر ، ويعترضا الذهن أشبه . وليس فى حملها مايشحذ الذهن ، ولا فى الاشارة بها مايجلب اللفظ . وقد زعم أصحاب الغناء أن المغنى إذا ضرب على غنائه قصّر عن المغنى الذى لا يضرب على غنائه . وحمل العصا بأخلاق الفدّادين أشبه ، وهو بجفاة الاعراب وعُنجهية أهل البدو ومزاولة إقامة الإبل على الطرق أشكل وبه أشبه

قالوا : والخطابة شىء فى جميع الأمم ، وبكل الأجيال اليه أعظم الحاجة ، حتى أن الزنج — مع الغثارة ، ومع فرط الغباوة ، ومع كلال الحد ، وغلظ الحس ، وفساد المزاج — لتطيل الخطب ، وتفوق فى ذلك جميع العجم ، وإن كانت معانيها أجفى وأغلظ ، وألفاظها أخطأ وأجهل . وقد علمنا أن أخطب الناس ، الفُرس . وأخطب الفرس أهل فارس . وأعذبهم كلاماً ، وأسهلهم مخرجاً ، وأحسنهم ولاءً ، وأشدهم فيه تحنكاً أهل مرو . وأفصحهم بالفارسية الدرية ، وباللغة الفهلوية ، أهل قصبة الاهواز . فأما نغمة الهِرْبذ ونغمة الموبذان ، فلصاحب تفسير الزمزمة .

قالوا : ومن أحب أن يبلغ فى صناعة البلاغة ، ويعرف الغريب ، ويتبحر فى اللغة ، فليقرأ « كتاب كاروند » ومن احتاج إلى العقل والأدب ، والعلم بالمراتب ، والعبر والمثلات ، والألفاظ الكريمة ، والمعانى الشريفة ، فلينظر إلى سير الملوك

فهـذه الفرس ورسائلها وخطبها وألفاظها ومعانيها . وهـذه يونان ورسائلها وخطبها وعللها وحكمها . وهذه كتبها فى المنطق التى قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة ، والخطأ من الصواب . وهذه كتب الهند فى حكمها وأسرارها وسيرها وعللها . فمن قرأ هـذه الكتب عرف غور تلك العقول ، وغرائب تلك الحكم ، وعرف أين البيان والبـلاغة ، وأين تكاملت تلك الصناعة . فكيف سقط على جميع الأمم من المعروفين بتـدقيق المعانى ، وتخير الألفاظ ، وتمييز الأمور ، أن يشيروا بالقنا والعصى والقضبان والقسى ؟ كلا ، ولـكنكم كنتم رعاة بين الإبل والغنم ، فحملتم القنا فى الحضر بفضـل عادتكم لحملها فى السفر ، وحملتموها فى المدر بفضل عادتكم لحملها فى الوبر ، وحملتموها فى السلم بفضل عادتكم لحملها فى الحرب ، ولطول اعتيادكم لمخاطبة الإبل جفا كلامكم ، وغلظت مخارج أصواتكم ، حتى كأنكم إنما تخاطبون الصمان إذا كلمتم الجلساء . وإنما كان جل قتالـكم بالعصى ، ولذلك فخر الأعشى على سائر العرب فقال :

لَسْنا نُقـاتِلُ بالْعِصِيِّ وَلا نُرَامِى بالحِجَارَهْ
إلاّ عُلالَةَ أوْ بَدَاهَةَ قارِحٍ نَهْـدِ الْجِزَارَهْ

وقال الآخر :

فإنْ تَمْنَعُوا مِنّا السلاحَ فَعِنْدَنا سِلاحٌ لَنا لا يُشْتَرَى بالدَّرَاهِمِ
جَنَادِلُ أمْلاَءُ الأَكُفِّ كأَنّها رُؤُسُ رِجالٍ حُلِّقَتْ بالمَوَاسِمِ

وقال جندل الطهوى :

حتى إذا دارَتْ رَحًى لا تَجْرِى صاحَتْ عِصِيٌّ من قَنًا وسِدْرِ

وقال آخر :

دَعا ابْنُ مُطِيعٍ لِلْبِياعِ فَجِئْتُهُ إلى بَيْعَةٍ قَلْبى لها غيرُ آلِفُ
فَناوَلَنِى خَشْناءَ لما لَمَسْتُهـا بكَفٍّ لَيِسَتْ مِنْ أكُفِّ الخَلائِفِ
مِنَ الشَّثِنَاتِ الكُزْمِ أنْكَرْتُ مَسَّها وَلَيِسَتْ مِنَ البِيضِ الرِّقاقِ اللَّطائِفِ (١)

(١) الشثنات : الخشنات . الكزم : القصار

معاوِدَةً حَمْلَ الهَرَاوَى لِقَوْمِها فَرُوراً إذا مَا كانَ يَوْمُ التَّنائِفِ

وقال آخر :

مَا لِلْفَرَزْدَقِ مِنْ عِزٍّ يَلُوذُ بِهِ إلاَّ بَنِي العَمِّ فى أيْدِيهِم الخَشَبُ

(مطاعن الشعوبة على العرب بشأن آلات الحرب)

قالوا : وإنما كانت رماحكم من مُرَّان ، وأسنتكم من قرون البقر ، وكنتم تركبون الخيل فى الحرب أعراء ، فان كان الفرس ذا سرج فسرجه رحالة من أدم ، ولم يكن ذا ركاب ، والركاب من أجود آلات الطاعن برمحه والضارب بسيفه ، وربما قام فيهما أو اعتمد عليهما . وكان فارسكم يطعن بالقناة الصماء ، وقد علمنا أن الجوفاء أخف محملا وأشد طعنة . وتفخرون بطول القناة ولا تعرفون الطعن بالمطارد ؛ وإنما القنا الطوال للرجالة ، والقصار للفرسان ، والمطارد لصيد الوحش . وتفخرون بطول الرمح وقصر السيف ، فلو كان المفتخر بقصر السيف الراجلُ دون الفارس لكان الفارس يفخر بطول السيف ، وإن كان الطول فى الرمح إنما صار صوابا لأنه ينال به البعيد ولا يفوته العدو ؛ ولان ذلك يدل على شدة أسر الفارس وقوة أيده ، فكذلك السيف العريض الطويل . وكنتم تتخذون للقناة زُجاً وسناناً حين لم يقبض الفارس منكم على أصل قناته ، ويعتمد عند طعنته بفخذه ، ويستعين بحمية فرسه ؛ وكان أحدكم يقبض على وسط القناة ويخلف منها على مثل ما قدّم ، فانما طعنكم الدَّرْهُ والنَّهْزَة ، والخَلْس والزَّج [1] وكنتم تتساندون فى الحرب ، وقد علم أن الشركة ردية فى ثلاثة أشياء : فى الملك ، والحرب ، والزوجة . وكنتم لا تقاتلون بالليل ، ولا تعرفون : البَيَات ، ولا الكمين ، ولا الميمنة ، ولا الميسرة ، ولا القلب ، ولا الجناح ، ولا الساقة ، ولا الطليعة ، ولا النفاضة ، ولا الدراجة ؛ ولا تعرفون من آلة الحرب : الرتيلة ، ولا العَرَادة ، ولا المجانيق ، ولا الدباب ، ولا الخنادق ، ولا الحسك ؛ ولا

(١) الدره : الرمى والقذف . والنهز : الدفع . والخلس : المخالسة فى الطعن . والزج : القذف بالرمح القصير

تعرفون : الأقبية ، ولا السراويلات ، ولا تعليق السيوف ، ولا الطبول ، ولا البنود والتجافيف ، ولا الجواشن ، ولا الخود ، ولا السواعد ، ولا الاجراس ، ولا الوهق ، ولا الرمى بالبنجكان ، ولا الزرق بالنفط ولا النيران ؛ وليس لكم فى الحرب صاحب عَلَم يرجع اليه المنحاز ، ويتذكره المنهزم ؛ وقتالكم إما سلة وإما مزاحفة ، والمزاحفة على مواعد متقدمة ، والسلة مسارقة وفى طريق الاستلاب والخلسة

قالوا : والدليل على أنكم لم تكونوا تقاتلون بالليل قول العامرى :(١)

يا شَدَّةً مَا شَدَدْنا غيرَ كاذِبَةٍ ... على سَخِينَةَ لَوْلاَ اللَّيْلُ والْحَرَمُ

ويدل على ذلك أيضا قول الحارث بن ضِرار :

وعَمْرٌو إذْ أتانَا مُسْتَمِيتاً ... كَسَوْنا رَأْسَهُ عَضْباً صَقِيلا

فلَوْلاَ اللَّيْلُ ما آبُوا بِشَخْصٍ ... يُخَبِّرُ أهْلَهُمْ عنهُمْ قَلِيلا

وقال أُمَيَّةُ بنُ الأشكر :

ألَمْ تَرَ أنَّ ثَعْلَبَةَ بْنَ سَعْدٍ ... غِضَابٌ حِينَ أغْضَبُ المَوَالِي

تَرَكْتُ مُصَرِّفاً لمّا الْتَقَيْنا ... صَرِيعاً تَحْتَ أطْرَافِ العَوَالِي

ولَوْلاَ اللَّيْلُ لَمْ يَغْلِبْ ضِرَارٌ ... ولاَ رَأسُ الحِمارِ أبُو جُفَالِ

﴿ رد الجاحظ على الشعوبية ﴾

قلنا : ليس لكم فيما ذكرتم فى هذه الاشعار دليل على أن العرب لاتقاتل بالليل ، وقد يقاتل بالليل والنهار من تحول دون ماله المدن وهول الليل ، وربما تحاجز الفريقان وإن كان كل واحد منهما يرى البيات ويرى أن يقاتل إذا بيتوه ، وهذا كثير . والدليل على أنهم كانوا يقاتلون بالليل قول سَعْدِ بنِ مَالِك فى قتل كَعْبِ بنِ مُزَيْقِيَا الملك الغسانى :

وَلَيْلَةَ تُبَّعٍ وخَمِيسِ سَعْدٍ ... أتَوْنا بَعْدَ مَا نِمْنا دَبِيبَا

(١) العامرى : هو خداش بن زهير . وهذا البيت من قصيدة قالها يوم نخلة ، وهو يوم من أيام الفجار . التجأت فيه قريش إلى الحرم معتصمة به . وسخينة لقب تنبز به قريش

فلَمْ نَهْـدَأْ لِبأسِهِمْ ولـكنْ ... رَكِبْناحَدَّ كَوْكَبِهِمْ رُكُوبًا
بِضَرْبٍ تَفْلَقُ الهَامَاتُ مِنْهُ ... وطَعْنٍ يَفْصِلُ الحَلَقَ الصَّلِيبا

وقال بِشْرُ بن أبى خَازِمٍ :

فأمَّا تميمٌ تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ ... فألْفاهُمُ القَوْمُ رَوْبَى نِيامَا

يقول : شربوا اللبن الرائب فسكروا منه ، وهو اللبن الذى قد أخرجت زبدته.

وقال عِياضٌ السَّنْدِى :

ونحْنُ نَجَلْنا لابْنِ مَيْلاءَ نَحْرَهُ ... بنَجْلاءَ من بينِ الجَوانِحِ تَشْهَقُ (١)
ويَوْمَ بنى الدَّيَّانِ نالَ أخَاهُمُ ... بأرْماحِنا بالسَّبْىِ مَوْتٌ مُحَدِّقُ (٢)
ومِنَّا حُماةُ الجيْشِ لَيْلَةَ أقبلَتْ ... إيادٌ يُزَجِّيهَا الهُمامُ مُحَرِّقُ

وقال آخر :

وعلى شَنْبَرٍ رَاحَ منَّا رَائِحٌ ... بأبى قَبِيصَةَ كالفَتِيقِ المُقْرَمِ (٣)
يَرْدِى بِشَرْحافِ المَغَادِرِ بَعْدَما ... نَشَرَ النَّهارُ سَوَادَ لَيْلٍ مُظْلِمِ (٤)

وقال عِياضٌ السَّندِى :

لحِمَامِ بِسْطامِ بنِ قَيْسٍ بَعْدَما ... جَنَحَ الظَّلامُ بِمِثْلِ لَوْنِ العِظْلِمِ (٥)

---

(١) نجلنا : طعناه طعنة نجلاء ، والنجلاء هي التى يتدفق منها الدم بغزارة لسعتها

(٢) الديان : في نسخة : الذبان : وليس هنالك (٣) الفتيق المقرم : الجمل السمين المتخذ للضراب (٤) يردى بشرحاف المغادر : فى نسخة بشرخاف وليس هنالك . يصف فرساً بأنه يعدو فى المحادر بشرحاف المغادر ، يعنى بحوافر عراض تغادر الحصى يتناثر خلفها

(٥) بسطام بن قيس ، كان من فرسان العرب المشهورين ، وشجعانها المعدودين ، وكان من أشرف بيوتات ربيعة وأجلها نسباً ، قال أبو عبيدة : قدم على النعمان بن المنذر وفود ربيعة ومضرابنى نزار ، فكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعة بسطام بن قيس ، والحوفزان بن شريك البكريان ، وفيمن قدم عليه من وفود مضر عامر بن مالك ، وعامر بن الطفيل . ومن تميم قيس بن عاصم ، والأقرع بن حابس . فلما انتهوا إلى النعمان أكرمهم وحباهم ، وكان يتخذ للوفود عند انصرافهم مجلساً يطعم فيه معهم ويشرب ، وكان إذا وضع الشراب سقى النعمان فمن بدىء به على أثره فهو أفضل

وقال أوْسُ بنُ حَجَر :

باتُوا يُصِيبُ القَوْمُ ضَيْفًا لَهُمْ ... حتى إذا ما لَيْلُهُمْ أظْلَمَا
فَرَّدَّهُمْ شَهْباءُ مَلْمُومَةٌ ... مِثْلَ حَرِيقِ النَّارِ أوْ أضْرَمَا
واللهِ لوْلاَ قَرْزَلٌ ما نجَا ... وكانَ مَثْوَى خَدِّكَ الأخْرَما[1]
نجَّاكَ حَيَّاشٌ هَزِيمٌ له ... أحْمَيْتَ وَسْطَ الوَبَرِ المِيسَما

وبعد فهل قَتَل ذُؤابُ الأسدىُّ [2] عُتَيْبَةَ بنَ الحارث بن شهاب إلا وسط

الوفد . فلما شرب النعمان قامت القينة تنظر إلى النعمان : من الذى يأمرها أن تسقيه وتفضله من الوفد ؟ فنظر فى وجهها ساعة ثم أطرق ثم رفع رأسه وأنشأ يقول :

سقى وفودك مما كنت ساقيتى ... وابدى بكأس ابن ذى الجدين بسطام
أغر تنميه من شيبان ذو أنف ... حامى الذمار وعن أعراضها رامى
قد كان قيس بن مسعود ووالده ... تبدا الملوك به أيام أيام
فارضوا بما فعل النعمان في مضر ... وفى ربيعة من تعظيم أقوام
هم الجماجم والأذناب غيرهم ... فارضوا بذلك او بوؤا بارغام

الخ . ففضل بسطاما عليهم جميعاً . العظم : عصارة شجر سوداء (١) قرزل : أسم فرس عامر بن الطفيل (٢) ذؤاب الأسدى : هو ذؤاب بن ربيعة بن عبيد بن سعد بن جذيمة بن مالك بن نصر الأسدى ، كان فارساً مغواراً ، وأسداً كراراً ، لما مات رثاه أبوه بقوله :

أبلغ قبائل جعفر مخصوصة ... ما إن أحاول جعفر بن كلاب
أن المودة والهوادة بيننا ... خلق كسحق الريطة المنجاب
إلا بجيش لا يكت عديده ... سود الجلود من الحديد غضاب
ولقد علمت على التجلد والأسى ... أن الرزية كان يوم ذؤاب
أذؤاب إنى لم أهبك ولم أقم ... للبيع عند تحضر الأجلاب
إن يقتلوك فقد هتكت بيوتهم ... بعتيبة بن الحارث بن شهاب
بأحبهم فقداً إلى أعدائهم ... وأشدهم فقداً على الأصحاب
وعمادهم في كل يوم كريهة ... وثمال كل معصب قرضاب
أهوى له تحت العجاج بطعنة ... والخيل تردى في الغبار الكابى
أذؤاب صاب على صداك فجاده ... صوب الربيع بوابل سكاب
ما أنس لا أنساه اخر عيشنا ... مالاح بالمعزاء ريع سراب

الليل الأعظم حين تبعوهم فلحقوهم ؟ وكانوا إذا اجتمعوا للحرب دخنوا بالنهار وأوقدوا بالليل ، قال عَمْرو بنُ كُلْثُوم ، وذكر واقعة لهم :

ونحْنُ غَدَاةَ أُوقِدَ فى خَزَازَى رَفَدْنا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِينَا

وقال خمخام السدوسى :

وإنَّا بالصُّلَيْبِ ببَطْنِ فَخٍّ جَمِيعاً واضِعِينَ بِهِ لَظانا
نُدَخِّنُ بالنَّهارِ لِيُبْصِرُونا ولا نُخْفَى على أحَدٍ أثانا

وأما قولهم : لا يعرفون الكمين فقد قال أبو قيس بن الأسلت :

وأحْرَزْنا المَغانِمَ واسْتَبَحْنا حِمَى الأعْدَاءِ واللهُ المُعِينُ
بغَيرِ خَلَابَةٍ وبغَيرِ مَكْرٍ مُجاهَرَةً وَلَم يُخْبَأ كَمِينُ

وأما ذكرهم للرُّكُبِ فقد أجمعوا على أن الرُّكُبَ كانت قديمة إلا أن رُكُبَ الحديد لم تكن فى العرب إلا أيام الأزارقة ، وكانت العرب لا تعود أنفسها إذا أرادت الركوب أن تضع أرجلها فى الرُّكُبِ ، وإنما كانت تنزو نزواً . وقال عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه : لا تخور قوى ما كان صاحبها ينزو وينزع

يقول : أى لا تنتكث قوته ما دام ينزع فى القوس وينزو فى السرج من غير أن يستعين بركاب

وقال عمر : الراحة عُقلة ، وإياكم والسمنة فإنها عقلة

ولهذه العلة قتل خالدُ بنُ سَعيد بن العاص حين غشيه العدو وأراد الركوب ولم يجد من يحمله

ولذلك قال عمر حين رأى المهاجرين والأنصار لما أخصبوا وهم كثير منهم بمقاربة عيش العجم : تمعددوا ، واخْشَوْشِنُوا ، واقطعوا الرُّكُبَ ، وانزوا على الخيل نزوا . وقال : احفوا وانتعلوا ، فإنكم لا تدرون متى تكون الجفلة

وكانت العرب لا تدع اتخاذ الركاب للرحل فكيف تدع الركاب للسرج ؟ ولكنهم كانوا ، وإن اتخذوا الركب فإنهم لا يستعملونها إلا عند ما لا بد منه كراهية أن يتكلوا على بعض ما يورثهم الاسترخاء والتفتخ ويضاهون أصحاب الترفه

والنعمة . قال الأصمعى : قال العمرى : كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليسرى ثم يجمع جراميزه ويثب ، فكأنما خلق على ظهر فرسه . وفعل مثل ذلك الوليدُ بنُ يزيد وهو يومئذ ولى عهد هِشام ثم أقبل على مَسلمة بن هشام فقال له : أبوك يحسن مثل هـذا ؟ فقال مسلمة : لأبى مائة عبد يحسنون مثل هذا . فقال الناس : لم ينصفه فى الجواب

وزعم رجال من مشيختنا أنه لم يقم أحد من ولد العباس بالملك إلا وهو جامع لأسباب الفروسية

وأما ماذكروا فى شان رماح العرب فليس الامر فى ذلك على مايتوهمون . وللرماح طبقات فمنها « النيزك » ومنها « المربوع » ومنها « المخموس » ومنها « التام » ومنهـا « الخطل » وهو الذى يضطرب فى يد صاحبه لافراط طوله . فإذا أراد الرجل أن يخبر عن شدة أسر صاحبه ذكره كما ذكر مُتَمِّمُ بنُ نُوَيْرَةَ أخاه مالـكا فقال : كان يخرج فى الليلة الصَّبِرة ، عليـه الشملة الفلوت ، بين المِرادتين النضوحين ، على الجمل النَّفال ، معتقل الرمح الخطل . قالوا له : وأبيك إن هذا لهو الجلد . ولا يحمل الرمح الخطل منهم إلا الشديد الأيد والمدل بفضل قوته عليه الذى إذا رآه الفارس فى تلك الهيئة هابه وحاد عنه ، فإن شد عليه كان أشد لاستخدامه له . والحال الأخرى أن يخرجوا فى الطلب بعقب الفارَّة ، فربما شد على الفارس المُولى فيفوته بأن يكون رمحه مربوعاً أو مخموساً وعنـد ذلك يستعملون النيازك ، والنيزك أقصر الرماح ، وإذا كان الفارس الهارب يفوت الفارس الطالب زجه بالنيزك ، وربما هاب مُخالطته فيستعمل الزج دون الطعن ، صنيع ذُؤاب الأسدى بعُتَيبَةَ بن الحارث بن شهاب . وقال الشاعر :

وأسْمَرَ خَطِّيًا كأنَّ كُعُوبَهُ نَوَى القَسْبِ قدْ أرْمَى ذِراعا على العَشْرِ

وقال آخر :

هانِيكَ تَحْمِلُنى وأبْيَضَ صارِماً ومُحَرَّبًا فى مَارِنٍ مَخْمُوسِ

وقال آخر :

تَوَلَّوْا وأَطْرَافُ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمُ بَوَادِرُ مَرْبُوعَاتُهَا وَطِوَالُهَا

وهم قومٌ ألغارات فيهم كثيرة ، وبقدر كثرة الغارات كثر فيهم الطلب . والفارس ربما زاد فى طول رمحه ليخبر عن فضل قوته ، ويخبر عن قصر سيفه ليخبر عن فضل نجدته . قال كعب بن مالك :

نَصِلُ السُّيُوفَ إذا قَصُرْنَ بِخَطْوِنا قدماً ونُلْحِقُهَا إذا لم تُلْحَقِ

وقال آخر :

إذا الكُمَاةُ تَنَحَّوْا أنْ يُنَالَهُمُ حَدُّ الظُّبَاةِ وصَلْنَاها بأيْدِينَا

وقال رجل من بنى تميم بن نمير :

وصَلْنَا الرِّقَاقَ المُرْهَفَاتِ بِخَطْوِنا على الهَوْلِ حتى أمْكَنَتْنَا المَضَارِبُ

وقال حميد بن ثور الهلالى :

ووَصْلُ الخُطَا بالسَّيْفِ والسَّيْفِ بالخُطَا إذا ظَنَّ أنَّ السَّيْفَ ذُو السَّيْفِ قاصِرُ

وقال آخر :

الطَّاعِنُونَ فى النُّحُورِ والكُلَى شَزْراً ووَصْلُ السُّيُوفِ بالخُطَا

وأما ما ذكروا من اتخاذ الزج لسافلة الرمح ، والسنان لعاليته ، فقد ذكروا أن رجلا قتل أخوين فى نقاب — تقول العرب : لقيته سقاباً ونقاباً ، أى مواجهة — أحدهما بعالية الرمح والآخر بسافلته ، وقدم فى ذلك راكب من قِبل بنى مروان على قتادة يستثبت الخبر فأثبته له من قبله . وقال الآخر :

إنَّ لِقَيْسٍ عادَةً تَعْتَادُها سَلَّ السُّيُوفِ وخُطَّاً تَزْدَادُها

وقد وصفوا السيوف أيضاً بالطول فقال عُمارة بن عُقيل :

بكلِّ طَوِيلِ السَّيْفِ ذِى خَيْزُرَانَةٍ جَرِىءٍ على الأَعْدَاءِ مُعْتَمِدِ الشُّطْبِ

وجملة القول إنا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس

وأما الهند فإنما لهم معان مدونة ، وكتب مجلدة ، لا تضاف إلى رجل

معروف ، ولا إلى عالم موصوف . وإنما هى كتب متوارثة ، وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة

ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق . وكان صاحب المنطق نفسه بكىء اللسان ، غير موصوف بالبيان ، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ، ومعانيه وبخصائصه . وهم يزعمون أن جالينوس كان أنطق الناس ، ولم يذكروه بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة

وفى الفرس خطباء ، إلا أن كل كلام للفرس ، وكل معنى للعجم ، فإنما هو عن طول فكرة ، وعن اجتهاد وخلوة ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول التفكر ودراسة الكتب ، وحكاية الثانى علم الاول ، وزيادة الثالث فى علم الثانى ، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم

وكل شىء للعرب فانما هو بديهة وارتجال ، وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا إجالة فكرة ، ولا استعانة . وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام والى رجز يوم الخصام ، أو حين أن يمتح على رأس بئر ، أو يحدو ببعير ، أو عند المقارعة والمناقلة ، أو عند صراع ، أو فى حرب ، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب ، وإلى العمود الذى إليه يقصد ، فتأتيه المعانى أرسالا ، وتنثال عليه الالفاظ انثيالا ، ثم لا يقيده على نفسه ، ولا يدرسه أحداً من ولده

وكانوا أميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلفون . وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر وأقهر . وكل واحد فى نفسه أنطق ، ومكانه من البيان أرفع . وخطباؤهم أوجز ، والكلام عليهم أسهل . وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ أو يحتاجوا إلى تدارس . وليس هم كمن حفظ علم غيره ، واحتذى على كلام من كان قبله ، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم واتصل بعقولهم ، من غير تكلف ولا قصد ، ولا تحفظ ولا طلب . وإن شيئا الذى فى أيدينا جزء منه لبا لمقدار الذى لا يعلمه إلا من أحاط بقطر السحاب ، وعد التراب ، وهو الله الذى يحيط بما كان ، والعالم بما سيكون

ونحن أبقاك الله إذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز ، ومن المنثور والأسجاع ، ومن المزدوج ومالا يزدوج ، فمعنا العلم على أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة ، والرونق العجيب ، والسبك والنحت الذى لايستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم فى البيان أن يقول فى مثل ذلك إلا فى اليسير والنبذ القليل

ونحن لانستطيع أن نعلم أن الرسائل التى فى أيدى الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة ، وقديمة غير مولدة ، إذا كان مثل ابن المقفع ، وسهل بن هرون ، وأبى عبيد الله ، وعبد الحميد ، وغيلان ، وفلان وفلان لايستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل ، ويصنعوا مثل تلك السير .

وأخرى انك متى أخذت بيد الشعوبى فأدخلته بلاد الاعراب الخُلَّص ، ومعدِن الفصاحة التامة ، ووقفته على شاعر مفلق ، أو خطيب مِصقع ، علم أن الذى قلت هو الحق ، وأبصر الشاهد عيانا ، فهذا فرق ما بيننا وبينهم

فتفهم عنى فهمك الله ماأنا قائل فى هذا . واعلم أنك لم ترقوما قط أشقى من هولاء الشعوبية ، ولا أعدي على دينه ، ولا أشد استهلا كا لعرضه ، ولا أطول نصبا ، ولا أقل غُنما ، من أهل هذه النِّحْلَةِ : وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم ، وتوقد نار الشنآن فى قلوبهم ، وغليان تلك المراجل الفائرة ، وتسعّر تلك النيران المضطرمة . ولو عرفوا أخلاق كل ملة ، وزى كل لغة ، وعللهم فى اختلاف إشاراتهم وآلاتهم ، وشمائلهم وهيآتهم ، وما علة كل شيء من ذلك ، ولم اختلقوه ولم تكلفوه ؟ لأراحوا أنفسهم ، وخففت مؤنتهم على من خالطهم

والدليل على أن أخذ العصا مأخوذ من أصل كريم ، ومن معدِن شريف ، ومن المواضع التى لايعيبها إلا جاهل ، ولا يعترض عليها الا معاند ، اتخاذ سليمان ابن داود صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليه ، العصا لخطبته وموعظته ، ولمقاماته وطول صلاته ، ولطول التلاوة والانتصاب . فجعلها لتلك الخصال جامعة ، قال الله عز وجل

وقوله الحق « فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَادَلَّهُمْ على مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ، فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ » والمنسأة هى العصا . وقال أبو طالب حين قام بدم الرجل الذى ضرب زميله بالعصا فقتله حين تخاصما فى حبل وتجاذبا :

أَمِنْ أَجْلِ حَبْلٍ لا أَبَاكَ عَلَوْتَهُ ... بِمِنْسَأَةٍ قد جاءَ حَبْلٌ وأَحْبُلُ

وقال آخر :

إِذَا دَبَبْتَ على الْمِنْسَاةِ مِنْ كِبَرٍ ... فَقَدْ تَبَاعَدَ عَنْكَ اللَّهْوُ والغَزَلُ

قال أبوعثمان : وإنما بدأنا بذكر سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام لانه من أنبياء العجم . والشعوبية إليهم أميل ، وعلى فضائلهم أحرص ، ولما أعطاهم الله أكثر وصفاً وذكراً . وقد جمع الله لموسى بن عمران فى عصاه من البرهانات العظام ، والعلامات الجسام ، ما عسى أن يفىء ذلك بعلامات عدّة من المرسلين ، وجماعة من النبيين . قال الله تبارك وتعالى فيما يذكر فى عصاه « إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا » إلى قوله « وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى » فلذلك قال الحسن بن هانئ فى شأن خصيب وأهل مصر حين اضطربوا عليه :

فَإِنْ تَكُ مِنْ فِرْعَوْنَ فِيكُمْ بَقِيَّةٌ ... فَإِنَّ عَصَا مُوسَى بِكَفِّ خَصِيبِ

ألم تر أن السحرة لم يتكلفوا تغليط الناس والتمويه عليهم إلا بالعصا ، ولا عارضهم موسى إلا بعصاه ؟ وقال الله عز وجل « وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، حَقِيقٌ عَلَى أَلَّا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ ، قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ » وقال الله عز وجل « قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ

الْمُلْقِينَ ، قَالَ أَلْقُوا ، فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاؤُا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ، فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ألا ترى أنهم لما سحروا أعين الناس واسترهبوهم بالعصى والحبال لم يجعل الله للحبال من الفضيلة فى إعطاء البرهان ما جعل للعصا ؟ وقدرة الله على تصريف الحبال فى الوجوه كقدرته على تصريف العصا

وقال الله تبارك وتعالى « فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ » فبارك الله كما ترى على تلك الشجرة وبارك فى تلك العصا ، وإنما العصا جزء من الشجرة . وقال الله عز وجل « وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا »

وقالت الحكماء: إنما تُبنى المدائن على الماء والكلأ والمحتطب

فجمع بقوله « أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا » النجم ، والشجر ، والملح ، واليقطين ، والبقل ، والعشب ؛ فذكر ما يقوم على ساق وما يتفنن ، وما يتسطح ، وكل ذلك مرعى . ثم قال على النسق « مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ » فجمع بين الشجر والماء والكلأ والماعون كله ، لأن الملح لا يكون إلا بالماء ، ولا تكون النار إلا من الشجر . وقال تبارك وتعالى : « الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ » وقال « أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ، أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ . نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ » والمرخ ، والعفار ، والسواس ، والعراجين ، وجميع عيدان النار ، وكل عود يقدح على طول الاحتكاك ، فهو غنى بنفسه بالغ للقوى وغير القوى . وحجر المرو يحتاج إلى قراعة الحديد ، وهما يحتاجان إلى العطبة ثم إلى الحطب . والعيدان

هى القادحة ، وهى المُورية ، وهى الحطب . قال الله عز وجل « الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُنَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ » والماعون : الماء والنار والكلأ . وقال الأسدى :

وكأنَّ أرْحُلَنا بأرْضِ مُحَصَّبٍ ... بِلِوَى عُنَيْزَةَ مِنْ مَقِيلِ النَّرْمُسِ

فى حَيْثُ خالَطَتِ الْخُزَامَى عَرْفَجاً ... يَأْتِيكَ قابِسُ أهْلِها لَمْ يَقْبِسِ

وإنما وصف خِصب الوادى ، ولدونة عيدانه ، ورطوبة الورق ، وهذا خلاف قوله :

فإنَّ السِّنَانَ يَرْكَبُ الْمَرْءَ حَدَّهُ ... من الْعارِ أوْ يَعْدُو على الأَسَدِ الوَرْدِ

وإنَّ الَّذِى يَنْهاكُمُ فِى طِلابِهَا ... يُنَاغِى نِسَاءَ الْحَىِّ فى طُرُّةِ الْبُرْدِ

يُعَلِّلُ والأَيَّامُ تَنْقُصُ عُمْرَهُ ... كما تَنْقُصُ النِّيرَانُ مِنْ طَرَفِ الزَّنْدِ

وذكر الله عز وجل النخلة فجعلها شجرة فقال : « أَصْلُها ثابِتٌ وفَرْعُها فِى السَّماءِ » وذكر رسول الله ﷺ حرمة الحرم فقال « لا يُخْتَلَى خلاها ، ولا يعضد شجرها » وقال الله عز وجل « وَأَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ » وتقول العرب : ليس شىء أدفأ من شجرة ، ولا أظل من شجرة . ولم يكلم الله موسى إلا من شجرة ، وجعل أكثر آياته فى عصاه ، وهى من الشجرة . ولم يمتحن الله عز وجل صبر آدم وحواء — إذ هما أصل هذا الخلق وأوله — إلا بشجرة ، ولذلك قال « ولا تَقْرَبا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ » وجعل بيعة الرضوان تحت شجرة . وقال : « وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ تَنْبُتُ بالدُّهْنِ وصِبْغٍ لِلآكِلِينَ » وسدرة المنتهى التى عندها جنة المأوى شجرة . وشجرة سر تحتها سبعون نبيًّا لا تعبل ولا تسرف . وحين اجتهد إبليس فى الاحتيال لآدم وحواء عليهما السلام لم يصرف الحيلة إلا إلى الشجرة وقال : « هَلْ أَدُلُّكَ على شَجَرَةِ الْخُلْدِ ومُلْكٍ لا يَبْلَى »

وفيما ضرب من الأمثال بالعصا قالوا : قال جميل بن يصبهرى حين شكا اليه الدهاقين شر الحجاج : أخبرونى أين مولده ؟ قالوا : الحجاز . قال : ضعيف معجب .

قال : فمنشؤه ؟ قالوا: الشام . قال : ذاك شر . ثم قال : ما أحسن حالكم إن لم تبدلوا معه بكاتب منكم ـ يعنى من أهل بابل ـ فابتلوا بزاذان فروخ الأعور . ثم ضرب لهم مثلا فقال : إن فأساً ليس فيه عود ألقى بين الشجر ، فقال بعض الشجر لبعض : ما ألقى هذا هاهنا لخير . فقالت شجرة عادية : إن لم يدخل فى است هذا منكن عود فلا تخفنه . وقال يزيدُ بنُ مُفَرِّغ :

العَبْدُ يُقْرَعُ بالعَصا والحُرُّ تَكْفِيهِ المَلامَهْ

قالوا: أخذه من الفَلتَانِ الفَهمىِّ حيث قال :

العَبْدُ يُقْرَعُ بالعَصا والحُرُّ تَكْفِيهِ الإشارَهْ

وقال مالكُ بنُ الرَّيْبِ :

العَبْدُ يُقْرَعُ بالعَصا والحُرُّ يَكْفِيهِ الوَعِيدُ

وقال بشَّارٌ :

الحُرُّ يُلْحَى والعَصا لِلعَبْدِ وليسَ لِلمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ

وقال آخر :

حاوَلْتُ حِينَ صَرَمْتَنِي والمَرْءُ يَعْجَزُ لا مَحالَهْ
والدَّهْرُ يَلْعَبُ بالفَتَى والدَّهْرُ أَرْوَغُ من ثُعالَهْ
والمَرْءُ يَكْسِبُ مالَهُ بالشُّحِّ يُورِثُهُ الكَلالَهْ
والعَبْدُ يُقْرَعُ بالعَصا والحُرُّ تَكْفِيهِ المَقالَهْ

ومما يدخل فى باب الانتفاع بالعصا أن عامرَ بنَ الظَّرِبِ العَدْوانىَّ حكم العرب فى الجاهلية لما أسن واعتراه النسيان أمر بنته أن تقرع بالعصا إذا هو فَهَّ عن الحكم وجار عن القصد ، وكانت من حكيمات بنات العرب حتى جاوزت فى ذلك مقدار صُحْرِ بنت لُقْمان ، وهند بنت الخُس ، وخُمَعَة بنت حابس بن مَليل الإياديين ، وكان يقال لعامر : ذو الحلم ، ولذلك قال الحارثُ بن وَعْلَة :

وزَعَمْتُمُ أنْ لا حُلومَ لنَا إنَّ العَصا قُرِعَتْ لِذِى الحِلْمِ

وقال المُتَلَمِّسُ :

لِذِى الحِلْمِ قبلَ اليَوْمِ ماتُقْرَعُ العَصا ... وما عُلِّمَ الإنْسَانُ إلاّ لِيَعْلَما

وقال الفَرَزدقُ بن غالب :

فإنْ كُنْتُ أنْسانِى حُلُومُ مُجَاشِعٍ ... فإنَّ العَصا كانتْ لِذِى الحِلْمِ تقْرَعُ

ومن ذلك حديث سَعيد بن مالك بن ضُبَيْعَةَ بن قيس بن ثَعْلَبَةَ واعتزم الملك على قتل أخيه إن هو لم يصب ضميره فقال له سعيد : أبيت اللعن ، أتدعنى حتى أقرع بهذه العصا أختها ؟ فقال له الملك : وما علمه بما تقول العصا ؟ فقرع بها وأشار بها مرة ثم رفعها ثم وضعها ففهم المعنى فأخبره ونجا من القتل

وذكر العصا يجرى عندهم فى معان كثيرة ، تقول العرب : العصا من العُصية ، والأفعى بنت حية . تريد أن الأمر الكبير يحدث عن الأمر الصغير . ويقال : طارت عصا فلان شققاً . وقال الأسدى :

عِصِىُّ الشَّمْلِ منْ أسَدٍ أرَاها ... قَدِانْصَدَعَتْ كما انْصَدَعَ الزُّجاجُ

يقال : فلان شق عصا المسلمين . ولا يقال : شق ثوباً ، ولا غير ذلك مما يقع عليه إسم الشق . وقال العَتَّابى فى مديح بعض الخلفاء :

إمامٌ لهُ كَفٌّ تَضُمُّ بَنانُها ... عَصا الدِّينِ مَمْنُوعٌ منَ البَرْىِ عُودُها

وعَيْنٌ مُحِيطٌ بالبريَّةِ طَرْفُها ... سَوَاءٌ عليهِ قُرْبُهَا وبَعِيدُها

وقال المُضَرِّسُ الأسدى :

وألْقَتْ عَصاها واسْتَقَرَّتْ بها النَّوَى ... كما قَرَّ عَيْنًا بالإيَابِ المُسافِرُ

وقال المضرس أيضاً :

فألْقتْ عَصا التَّسْيارِ عَنْها وخَيَّمَتْ ... بأرْجاءِ عَذْبِ المَاءِ بِيضٍ مَحافِرُهْ

يقال لبنى أسد : عبيد العصا . يعنى أنهم ينقادون لكل من حالفوا من الرؤساء . قال بشرُ بن أبى خازم :

عَبِيدُ العَصا لمْ يَتْقُكَ بِذِمَّةٍ ... سِوَى شَيْبِ سَعْدٍ إنَّ شَيْبَكَ وَاسِعُ

وتسمى العرب كل صغير الرأس «العصا» وكان عُمر بن هُبَيرة صغير الرأس .

قال سويد :

فمَنْ مُبْلِغٌ رَأْسَ العَصا أنَّ بَيْنَنا ضَغائِنَ لا تُنْسَى وإنْ قَدُمَ الدَّهْرُ

وقال آخر :

فمَنْ مُبْلِغٌ رَأْسَ العَصا أنَّ بَيْنَنا ضَغائِنَ لا تُحْصَى وإنْ قيلَ سُلَّتِ
رَضِيتَ لَتَيْسٍ بالقَليلِ ولم تَكُنْ أخًا راضِيًا لَوْ أنَّ نَعْلَكَ زَلَّتِ

وكان والبةُ [1] صغير الرأس ، فقال أبو العتاهية في رأس والبةَ ورؤس قومه :

رُؤُسُ عِصِيٍّ كُنَّ مِنْ عُودِ أثْلَةٍ لَهَا قادِحٌ يَفْرِي وآخَرُ مُجْرِبُ

والدليل على أنهم كانوا يتخذون المخاصر في مجالسهم كما يتخذون القنا والقسى في المحافل ، قول الشاعر في بعض الخلفاء :

في كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُها عَبِقٌ مِنْ كَفِّ أرْوَعَ في عِرْنِينِهِ شَمَمُ
يُغْضِي حَياءً ويُغْضَى مِنْ مَهابَتِهِ فَما يُكَلَّمُ إلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ

وقال الآخر :

مَجالِسُهُمْ خَفْضُ الحَدِيثِ وقَوْلُهُمْ إذا ما قَضَوْا في الأَمْرِ وَحْيُ المَخاصِرِ

وقال الانصارى :

يُصِيبُونَ فَصْلَ القَوْلِ في كلِّ خُطْبَةٍ إذا وَصَلُوا أيْمانَهُمْ بالمَخاصِرِ

وحدثنى بعض أصحابنا قال: كنا منقطعين إلى رجل من كبار أهل العسكر ، وكان لَبْثُنا عنده يطول فقال بعضنا : إن رأيت أن تجعل لنا أمارة إذا ظهرت لنا حفظنا ولم نتعبك بالقعود ، فقد قال أصحاب معاوية لمعاوية . مثل الذى قلنا

(١) والبة : هو والبة بن الحباب الأسدى . كان من شعراء الدولة العباسية ، وهو أستاذ أبى نواس ، وكان شاعراً ظريفاً عابثاً وصافاً للشراب ، وقد هاجى بشارا وأبا العتاهية فظفرا به ففر منهما إلى الكوفة . ومن جيد شعره ورقيقه قوله :

ولها ولا ذنب لها حب كأطراف الرماح
في القلب يقدم والحشى فالقلب مجروح النواحى

لك فقال : أمارة ذلك أن أقول : إذا شئتم . وقيل ليزيد مثل ذلك فقال : إذا قلت : على بركة الله . وقيل لعبد الملك مثل ذلك فقال : إذا ألقيت الخيزرانة من يدى . قالوا : فأى شىء تجعل لنا أصلحك الله ؟ قال : اذا قلت : ياغلام الغداء

وفى الحديث أن رجلا ألحّ على النبى ﷺ فى طلب بعض المغنم وبيده مخصرة فدفعه بها فقال : يارسول الله ، أقِصَّنِي ؟ فلما كشف النبى ﷺ له عن بطنه احتضنه وقبل بطنه

وفى تثبيت شان العصى وتعظيم أمرها والطعن على ذمّ حاملها قالوا : كانت لعبد الله بن مسعود عشر خصال، أولها : السّواد ،وهو سِرار النبى ﷺ فقال ﷺ « إذنك علىّ أن يُرفع الحجاب وتسمع سوادى » وكان معه مسواك النبى ﷺ وكانت معه عصاه .

ودخل عمر بن سعد على عمر بن الخطاب حين رجع اليه من عمل حمص ـ وليس معه إلا جراب واداوة وقصعة وعصاة ـ فقال له عمر : ماالذى أرى بك ؟ من سوء الحال أم تصنُّع ؟ قال : وما الذى ترانى ؟ أو لست ترانى صحيح البدن؟ معى الدنيا بحذافيرها . قال : وما معك من الدنيا ؟ قال:معى جرابى أحمل فيه زادى ، ومعى قصعتى أغسل فيها ثوبى ، ومعى أداوتى أحمل فيها مائى لشرابى ، ومعى عصاى إن لقيت عدوا قاتلته ، وان لقيت حية قتلتها ، وما بقى من الدنيا تبع لما معى

وقال الهيثم بن عدى عن الشَّرْقِيِّ بن القَطَامِيِّ ، وسأله سائل عن قول الشاعر :

لا يَعْدِلَنَّ أُتاوِيُّونَ تَضْرِبُهُمْ ... نَكْباءُ صِرٌّ بأصْحابِ المُحِلّاتِ

قال : أليس المحلات الدلو والمقدحة والقربة والفأس ؟ قال :فأين أنت عن العصا ؟ والصَّفن خير من الدلو أجمع . وقال النَّمِرُ بنُ تَوْلَبٍ :

أفْرَغْتُ فِى حَوْضِها صَفْنِي لِتَشْرَبَهُ ... فِى دَائِرٍ خَلَقِ الأَعْضَاءِ أهْدَامِ

وأما العصا فلو شئت أن أشغل مجلسى كله بخصالها لفعلت

وتقول العرب فى مديح الرجل الجلد الذى لا يفتات عليه بالرأى : ذلك الفحل

لايقرع أنفه . وهذا كلام يقال للخاطب إذا كان على هذه الصفة . لان الفحل اللئيم إذا أراد الضراب ضرب أنفه بالعصا . وقد قال ذلك أبُو سُفيَانَ بنُ حَرْبِ ابنِ أُمَيَّةَ عندما بلغه من تزويج النبى ﷺ بأم حبيبة ، وقيل له : مثلك تنكح نساؤه بغير إذنه ؟ فقال : ذلك الفحل لايقرع أنفه . والحمار الفاره يفسده السوط وتصلحه المقرعة . وأنشد لسَلاَمَةَ بنِ جَنْدَلٍ (١)

إنَّا إذا مَا أتَانَا صارِخٌ فَزِعٌ كانَ الصرَاخُ لهُ قَرْعَ الظَّنابِيبِ (٢)

وقال الحجاج : والله لأعصبنكم عصب السلمة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الابل . وذلك لأن الاشجار تعصب أغصانها ثم تخبط بالعصى لسقوط الورق وهشيم العيدان . ودخل أبو مجلز على قُتيبة بخراسان وهو يضرب رجالا بالعصى

(١) سلامة بن جندل : شاعر جاهلى قديم من شعراء تميم المعدودين ، وفارس من فرسانهم المشهورين، ويعد من شعراء العرب المقلين . ولهذا اختار له المفضل الضبى قصيدته التى منها هذا البيت فى المفضليات التى شرحناها ونشرناها أخيراً ، وأول القصيدة كما فى المفضليات :

أودى الشباب حميداً ذو التعاجيب أودى وذلك شأو غير مطلوب

وهي طويلة أنظرها هناك . وبعد نشر المفضليات وقع لى ديوان سلامة بن جندل الذى نشره الأب لويس شيخو فرأيته فى ص ٢٦ منه يقول : ولهذه القصيدة مطلع في ستة أبيات لم يرد هنا (يعنى في الديوان) وقد ورد في بعض نسخ المفضليات طبعة ليبسك ص ٢٦ . . . . وهو كما يأتى :

يا دار أسماء بالعليـاء من إضم بين الدكادك من قو فمعصوب
كانت لنـا مرة داراً فغيرهـا مر الرياح بسافي الترب مجلوب
هل في سؤالك عن أسماء من حوب وفى السلام وإهداء المناسيب
ليست من الزل أردافا إذا انصرفت ولا القصار ولا السود العناكيب
إنى رأيت ابنة السعدى حين رأت شيبى وما خل من جسمى وتخنيبى
تقول حين رأت رأسى ولمتـه شمطاء بعد بهيم اللون غربيب

(٢) الظنابيب جمع ظنبوب ،والظنبوب مقدم عظم الساق ، والمعنى :إذا جاءنا مستغيث كانت إغاثته الجد في نصرته

فقال: أيها الامير ، إن الله قدجعل لكل شيء قدراً ، ووقت فيه وقتا ، فالعصى للأنعام والبهائم ، والسوط للحدود والتعزير ، والدرة للأدب ، والسيف لقتال العدو والقَوَد .

ثم قال الشَّرْقِيُّ : دعنا من هـذا ، خرجت من المَوْصِلِ وأنا أريد الرقة مستخفيا ـ وأنا شاب خفيف الحال ـ فصحبنى من أهل الجزيرة فتى مارأيت بعده مثله ، فذكر أنه تغلبى من ولد عمْرِو بنِ كلْثُوم ، ومعه مزود وركوة وعصاً ، فرأيته لايفارقها وطالت ملازمته لها ، فكدت من الغيظ عليه أرمى بها فى بعض الأودية فكنا نمشى فإذا أصبنا دواباً ركبناها ، وإذا لم نُصِب الدواب مشينا . فقلت له فى شأن عصاه ، فقال لى : إن موسى بن عمران صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه حين آنس من جانب الطور ناراً وأراد الاقتباس لأهله منها لم يأت النار من مقدار تلك المسافة القليلة إلا ومعه عصاه ، فلما صار بالوادى المقدس من البقعة المباركة قيل له : ألق عصاك واخلع نعليك . فرمى نعليه راغبا عنهما حين نزه الله ذلك الموضع عن الجلد غير الذكى ، وجعل الله جماع أمره من أعاجيبه وبرهاناته فى عصاه ثم كلمه من جوف شجرة ولم يكلمه من جوف إنسان ولا جان

قال الشرقى : إنه ليكثر من ذلك وإنى لأضحك منها وناً بما يقول ، فلما برزنا على حمارينا تخلف المكارى ، فكان حماره يمشى ، فإذا تلكأ أكرهه بالعصا ، وكان حمارى لا ينساق وأعلم أنه ليس فى يدى شيء يكرهه ، فسبقنى الفتى إلى المنزل فاستراح وأراح ، ولم أقدر على البراح . حتى وافانى المكارى ، فقلت : هـذه واحدة . فلما أردنا الخروج من الغد لم نقدر على شيء نركبه ، فكنا نمشى ، فاذا أعيا توكا على العصا ، وربما أحضر ووضع العصا على وجه الارض فاعتمد عليها ومرّ كأنه سهم والح حتى انتهينا إلى المنزل وقد تفسختُ من الكلال ، وإذا فيه فضل كبير ، فقلت : هذه ثانية . فلما كان فى اليوم الثالث — ونحن نمشى فى أرض ذات أخاقيق وصدوع — إذ هجمنا على حيّة منكرة فساورتنا

فلم تكن عندى حيلة إلا خذلانه وإسلامه إليها والهرب منها ، فضربها بالعصا ، فثقلت ، فلما بهشت له ورفعت صدرها ضربها حتى وقذها ، ثم ضربها حتى قتلها ، قلت : هذه ثالثة ، وهى أعظمهن . فلما خرجنا فى اليوم الرابع قرمت والله الى اللحم ، وأنا هارب معدم ، إذا أرنب قد اعترضت فحذفها فما شعرت والله إلا وهى معلقة وأدركنا ذكاتها ، فقلت : هذه رابعة . وأقبلت عليه فقلت له : لو أن عندنا ناراً لما أخرت أكلها الى المنزل ، قال : فان عندك ناراً ، فأخرج عويداً من مزوده ثم حكه بالعصا فأورت ايراء المرخُ والعفارُ عنده لا شىء ، ثم جمع ما قدر عليه من الغثاء والحشيش ، وأوقد ناره وألقى الارنب فى جوفها فاخرجناها — وقد لزق بها من الرماد والتراب مانغصها إلى — فعلقها بيده اليسرى ثم ضرب بالعصا على جنوبها وأعراضها ضرباً رقيقاً حتى أنتثر كل شىء عليها ، فأكلناها وسكن القرم وطابت النفس ، فقلت : هذه خامسة . ثم أنا نزلنا ببعض الخانات وإذا البيوت ملأى روثاً وترابا ، ونزلنا بعقب جند وخراب متقدم ، فلم نجد موضعا نظل فيه ، فنظر الى حديدة مسحاة مطروحة فى الدار فأخذها فجعل العصا نصابا لها ، ثم قام فجرف جميع ذلك الروث والتراب وجرد الارض بها جردا حتى ظهر بياضها وطابت ريحها ، فقلت : هذه سادسة . وعلى أى حال لم تطب نفسى أن أضع طعامى وثيابى على تلك الارض ، فنزع والله العصا من حديدة المسحاة فوتدها فى الحائط وعلق ثيابى عليها ، فقلت : هذه سابعة . فلما صرت إلى مفرق الطرق وأردت مفارقته قال لى : لو عدلت معى فبت عندى كنت قد قضيت حق الصحبة ، والمنزل قريب . فعدلت معه ، فأدخلنى فى منزل يتصل ببيعه ، قال فمازال يحدثنى ويطرقنى ويلطفنى الليل كله ، فلما كان السحر أخذ خشبة ثم أخرج تلك العصا بعينها فقرعها بها فاذا ناقوس ليس فى الدنيا مثله ، وإذا هو أحذق الناس بضربه ، فقلت له : ويلك ، أما أنت مسلم ؟ وأنت رجل من العرب من ولد عمرو بن كلثوم ؟ قال : بلى . قلت : فلم تضرب بالناقوس ؟

قال : جعلت فداك ، إن أبى نصرانى ، وهو صاحب البيعة ، وهو شيخ ضعيف ، فإذا شهدته بررته بالكفاية . وإذا هو شيطان مارد ، وإذا أظرف الناس كلهم وأكثرهم أدبا وطلبا . فخبرته بالذى أحصيته من خصال العصا بعد أن كنت هممت أن أرمى بها . فقال : والله لو حدثتك عن مناقب نفع العصا إلى الصبح لما استنفدتها

ومن جمل القول فى العصا وما يجوز فيها من المنفع والمرافق ، تفسير شعر غنية الأعرابية فى شأن ابنها ، وذلك أنها كان لها ابن شديد العرامة ، كثير التلفت إلى الناس . مع ضعف أسر ، ودقة عظم ، فواثب مرة فتى من الاعراب ، فقطع الفتى أنفه ، وأخذت غنية دية أنفه ، فحسنت حالها بعد فقر مدقع . ثم واثب آخر ، فقطع أذنه فأخذت الدية ، فزادت دية أذنه فى المال وحسن الحال . ثم واثب بعد ذلك آخر ، فقطع شفته . فلما رأت ماقد صار عندها من الابل والغنم والمتاع والكسب بجوارح ابنها حسن رأيها فيه فذكرته فى أرجوزة لها تقول فيها:

أَحْلِفُ بِالْمَرْوَةِ يَوْمًا والصَّفَا أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ الْعَصَا

فقيل لابن الاعرابى : ماتفاريق العصا ؟ قال : العصا تقطع ساجورا وتقطع عصا الساجور فتصير أوتادا ، ويفرق الوتد فتصير كل قطعة شظاظا ، فان كان رأس الشظاظ كالفلكة صار للبختى مهارا ـ وهو العود الذى يدخل فى أنف البختى ـ ، واذا فرق المهار جاءت منه تواد

والسواجير تكون للكلاب والاسرى من الناس . وقال النبى ﷺ « يؤتى بناس من هاهنا يقادون الى حظوظهم بالسواجير »

وإذا كانت قناة فكل شقة منها قوس بندق ، قال : فان فرقت الشقة صاوت سهاما ، فإن فرقت السهام صارت حظاء ـ وهى سهام صغار ـ قال الطرماح: كحظاء الغلام . والواحدة حظوة وسروة فان فرقت الحظاء صارت مغازل. فان فرقت المغزل شَعَبَ به الشَّعَّابُ أقداحه المصدوعة المشقوقة ، على أنه لايجد لها أصلح منها . وقال الشاعر :

نَوَافِذَ أَطْرَافِ الْقَنَا قَدْ شَكَكْتُهُ كَشَكِّكَ بِالشَّعْبِ الْإِنَاءَ الْمُثَلَّمَا

فاذا كانت العصا صحيحة سالمة ففيها من المنافع الكبار ، والمرافق الاوساط والصغار ، مالا يحصيه أحد . وإذا فرقت ففيها مثل الذى ذكرنا وأكثر . فأى شىء يبلغ فى المرفق والمرد مبلغ العصا . وفى قول موسى على نبينا وعليه السلام « ولى فيها مآرب أخرى » دليل على كثرة المرافق فيها ، لانه لم يقل ولى فيها مأربة أخرى ، والمآرب كثيرة ، فالذى ذكرنا قبل هذا داخل فى تلك المآرب .

ولا نعرف شعرا يشبه معنى شعر غنية لايغادر منه شيئاً ، ولكن زعم أصحابنا أن أعرابيين ظريفين من شياطين الأعراب حطمتهما السنة فاتحدرا إلى العراق واسم أحدهما « حيدان » فبينماهما يتماشيان فى السوق فإذا فارس قد أوطأ دابته رجل حيدان فقطع إصبعا من أصابعه ، فتعلقا به حتى أخذا منه أرش الاصبع — وكانا جائعين مقرورين — فحين صار المال فى أيديهما قصدا لبعض الكرابج فابتاعا من الطعام ماشتهيا : فلما أكل صاحب حيدان فشبع أنشأ يقول :

فَلَا غَرَّتْ مَا كَانَ فِى النَّاسِ كُرْبَجٌ وَمَا بَقِيَتْ فِى رِجْلِ حَيْدَانَ إِصْبَعُ

وهذا الشعر وشعر غنية من المظرف الناصع الذى سمعت به ، وظرف الاعراب لايقوم له شىء

وناس كثير لا يستعملون فى القتال الا العصا . منهم الزنج قبيلة كنجوبة والنمل والكلاب وتكفوا وثبتوا على ذلك يعتمدون فى حروبهم . ومنهم النبط ولهم بها ثقافة وشدة وغلبة . وأثقف ما تكون الاكراد إذا قاتلت بالعصى . وقتال المخارجات كلها بالعصى ، ولهم هناك ثقافة ومنظر حسن ، ولقتالهم منزلة بين السلامة والعطب

والناس يضربون المثل بقتال البقار بقناته . ويقال فى المثل : ما هو إلا أبنة عصا ، وعُقدة رِشا . ويقال للراعى : انه لضعيف العصا . إذا كان قليل الضرب

بها للابل شديد الاشفاق عليها : قال الراعى [١]

ضَعيفُ العصَابادِى العُرُوقِ تَرَى لهُ عليْها إذا ما أجْدَبَ النّاسُ إصْبَعا

وإذا كان الراعى جَلْدا قويا عليها قالوا : صلب العصا . ولذلك قال الراجز :

صُلْبُ العَصَاباقٍ على أذَاتِها

وقال الآخر فى معنى الراعى :

لا تَضْرِباها وأشْهِرَا العِصِيَّا

ويقولون : قد أقبل فلان ولا نت عصاه . إذا أصابه السُّواف [٢] فرجع وليس معه إلا عصاه ، لانه لايفارقها كانت له إبل أم لا . ويقولون : كلما قرعت عصا بعصا ، وعصا على عصا ، وعصا عصا ـ قالوا ـ أخذوا فلانا بذلك .

وقال حُميدُ بنُ ثَور :

اليَوْمَ تُنْتَزَعُ العَصا منْ رَبِّها ويَلُوكُ ثِنْيَ لِسانِهِ المِنْطِيقُ

(١) الراعى : هو عبيد بن حصين بن معاوية النميرى ، يكنى أبا جندل ، والراعى لقب غلب عليه لكثرة وصفه الابل وجودة نعته إياها ، وكان شاعراً فحلا من شعراء الاسلام ، وما زال مقدماً مفضلا حتى اعترض بين جرير والفرزدق فاستكفه جرير فأبى أن يكف فهجاه بقصيدته التى يقول فيها :

ألم ترنى صبيت على عبيد وقد فارت أباجله وشابا
أعد له مواسم حاميات فيشفى حر شعلتها الجرابا
فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ففضحه . وقال محمد بن سلام : كان الراعى من رجال العرب ووجوه قومه ، وكان يقال له في شعره : كأنه يعتسف الفلاة بغير دليل . أى أنه لا يحتذى شعر شاعر ولايعارضه ، وكان مع ذلك بذيئاً هجاء لعشيرته . وهذا البيت الذى جاء به الجاحظ هو من قصيدة فيها يقول :

بنى وابش إنا هوينا جواركم وما جمعتنا نية قبلها معاً
خليطين من حيين شتى تجاورا جميعاً وكانا بالتفرق أضيعا
أرى أهل ليلى لايبالى أسيرهم على حالة المحزون أن يتصدعا

(٢) السواف : مرض تهلك به الابل

ويكتب مع قوله :

تَخْشَى العَصا والزَّجْرَ إنْ قيلَ حَلِ ... يُرْسِلُها التَّغْمِيضُ إنْ لمْ تُرْسَلِ (١)

وقال آخر :

هذا وَوِرْدُ بُزُّلٍ وسُدْسِ ... يُغْلِي بِهَا كلُّ مُسِيمٍ مُرْغِسِ (٢)

رُدَّتْ مِنَ الغَوْرِ وأكْنافِ الرَّسِي ... من عُشْبِ أحْوَى وحَمْضٍ مُورِسِ (٣)

وَذائِدٍ جَلْدِ العَصا وكَهْمَسِ ... إنْ قِيلَ قُمْ قامَ وإنْ قِيلَ اجْلِسِ (٤)

دَاسَتْ سِمَاطَيْ عَفَرٍ مُدَعَّسِ (٥)

ويدل على شدة قتالهم بالعصا قول بَشَامَةَ بن حزْن النَّهْشَلِيِّ (٦)

فِدًى لِرِعاءِ بالبُحَيْرَةِ دَبُّوا ... بأعْصِيهِمُ والماءُ بَرْدُ المَشارِبِ (٧)

وآلى نُعَيْمٌ لا تَجُوزُ بحَوْضِهِ ... فقُلْتُ تَحَلَّلْ يا نُعَيْمُ بنُ قارِبِ

فإنَّ زِياداً لمْ يَكُنْ لِيَرُدَّها ... وسَبْرَةَ عنْ ماءِ النَّضِيحِ المُقارِبِ

---

(١) حل : كلمة تزجر بها الابل فيقال لها : حل حل

(٢) بزل وسدس : البزل : جمع بازل ، وهو البعير في تاسع سنيه ، وليس بعده سن تسمى . والسدس : البعير قبل أن يبزل . المسيم هنا بمعنى المبتاع . المرغس : الناعم الرافه

(٣) الغور : كل ما انخفض من الأرض . الرسى : العمود الثابت وسط الجباء ، كذا عرفه الفيروزبادى ، ولا أدرى ما علاقة ذلك العمود بما يودى اليه معنى البيت؟

(٤) الكهمس : القبيح الوجه (٥) سماطى عفر : جانبى طريق . مدعس : كثير الآثار

(٦) بشامة بن حزن النهشلى : لم نعثر له على ترجمة فيما بين أيدينا من كتب ، حتى البغدادى في كتابه خزانة الأدب يقول أنه لم ير له ترجمة في كتب الأنساب . ولعله من شعراء الاسلام . وهو صاحب القصيدة التى اختارها أبو تمام في حماسته وقال إنها لبعض بنى قيس بن ثعلبة والتى أولها

إنا محيوك يا سلمى فحيينا ... وإن سقيت كرام الناس فاسقينا

وإن دعوت إلى جلى ومكرمة ... يوما سراة كرام الناس فادعينا

إنا بنى نهشل لا ندعى لأب ... عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

الخ (٧) دبوا : منعوا وردوا

أغرَّكَ أنْ جاءتْ ظِماءً وباشَرَتْ بأعناقِها بَرْدَ النَّصابِ الصَّباصِبِ (١)
تَماوَلْنَ ما فى الحَوْضِ ثمَّ امْتذَينَهُ بجِذْعٍ وأعناقٍ طِوالِ الذَّوائِبِ (٢)

ويقولون: فلان ضعيف العصا. إذا كان لا يستعمل عصاه. ولذلك قال البَعيث:

وأنْتَ بِذاتِ السِّدْرِ منْ أمِّ سالِمٍ ضَعِيفُ العَصَا مُسْتَضْعَفٌ مُتَهَضَّمُ

وقال الآخر:

وَما صادِياتٌ حُمْنَ يوْماً ولَيْلَةً على الماءِ يخْشَيْنَ العِصِيَّ حَوَانِ
لَوَائِبُ لا يَصْدُرْنَ عَنْهُ بِوِجْهَةٍ ولاهُنَّ من بَرْدِ الحِياضِ دَوانِ (٣)
يَرَيْنَ حَبابَ الماءِ والمَوْتُ دُونَهُ فَهُنَّ لِأصْوَاتِ السُّقاةِ رَوانِ
بأوْجَعَ مِنِّى جُهْدَ شَوْقٍ وغُلَّةٍ إليْكِ ولكِنَّ العَدُوَّ عَدانِي

وقال الآخر:

فَما وَجَدُ مِلْواحٍ منَ الهِيمِ حَلْئَتْ عَنِ الماءِ حتى جَوْفُها يَتَصَلْصَلُ (٤)
تَحُومُ وتَغْشاها العِصِيُّ وحَوْلَها أقاطِعُ أنْعامٍ تَعِلُّ وتَنْهَلُ
بأعْظَمَ مِنِّى غُلَّةً وتَعَطُّفاً إلى الوِرْدِ إلاَّ أنَّنى أتَجَمَّلُ

ويقال: ضرب فلان ضرب غرائب الإبل: وهى تضرب عند الهرب، وعند الخلاط، وعند الحوض، أشد الضرب. وقال الحارثُ بن صَخْرٍ:

بضَرْبٍ يُزِيلُ الهامَ عَنْ سَكَناتِهِ كما ذِيدَ عَنْ ماءِ الحِياضِ الغَرائِبُ

وقال الآخر:

لِلْهامِ ضَرَّابُونَ بالمَناصِلِ ضَرْبَ المُذِيدِ غُرْبَ النَّواهِلِ (٥)

(١) النصاب: أصل الحوض. الصباصب: ما بقى فيه من ماء (٢) امتذينه: تركن ماءه يسيل من صنبوره (٣) لوائب: عطاش يحمن حول الماء ولا يصلن إليه
(٤) الملواح: الشديد الظمأ. الهيم: النوق العطاش حلئت: منعت من الورود. يتصلصل: يعنى أنه لجفافه من الماء كان له صلصال وهو صوت الطين الجاف (٥) المذيد: الدافع المانع

وقال ابن أحمر :

رَوْدُ الشَّبابِ كأنها غُصْنُ بِحَرام مَكَّةَ ناعِمٌ نَضْرُ

وقال الآخر :

إمَّا تَرَيْنِي قائِماً فى جُلٍّ جَمِّ الفُتُوقِ خَلَقٍ هَمَلِّ
مُحاذِراً أبْغض عَنْ تَحتلِّ عِنْدِ اعتِلاَلِ دَهْرِكِ المُعْتَلِّ
فقَدْ أرَى فى اليَلْمَقِ الرِّفَلِّ أصْوَنَ للانْسِ جَمِيلَ الدَّلِّ(١)
لدْنًا كخُوطِ الْبانةِ المبتَلِّ

وتكون العصا محراثا ، وتكون مخصرة ، وتكون المخصرة قضيب حبرة ، وعود ساجور . ثم تكون تودية . ويقال للرجل إذا كانت فيه أبنة : فلان يخبأ العصا . وقال الشاعر :

زَوْجُكِ زَوْجٌ صَالحٌ لـكِنَّهُ يَخْبا العَصا

وفى الأمثـال : تحذفه بالقول كما تحذف الأرنب بالعصا . وقال إياسُ بن قَتادهَ العَبْشَمىُّ :

سأنْحَرُ أُولاَها وأحْذِفُ بالْعَصا عَلَى إثْرِها إنِّى لِمـا قُلْتُ عازِمُ

قال ابنُ كُنَاسَةَ فى شرط الراعى على صاحب الابل : ليس لك أن تذكر أمى بخـير ولا شر ، ولك حذفى بالعصا عند غضبك أصبت أم أخطأت ، ولى مقعدى من النار وموضع يدى من الحار والقار . كان العتبى يحدث فى هذا بحديثين أحدهما قوله عن الاعرابى : وكان إذا خرست الألسن عن الرأى حذف بالصواب كما تحذف الأرنب بالعصا . وأما الحديث الآخر فذكر أن قوماً أضلوا الطريق فاستأجروا أعرابيًّا يدلهم على الطريق فقال : إنى والله لا أخرج معكم حتى أشرط لـكم وأشرط عليكم . قالوا له : فهـات مالك . قال : يدى مع أيديكم فى الحار والقار ، ولى موضعى من النار موسع علىّ ما فيه ، وذكر والدى عليكم محرم .

(١) اليلمق الرفل : القباء الواسع

قالوا : فهذا لك ، فما لنا عليك إن أذنبت ؟ قال : إعراضة لا تؤدى إلى تعب وعتب ، وهجرة لا تمنع من مجامعة السفرة . قلوا : فإن لم تعتب . قال : فحذفة بالعصا أخطأت أم أصابت . وهـذان الحديثان لم أسمعهما من عالم وإنما قرأتهما فى بعض الكتب من المستحدثين

ولأهل المدينة عِصىّ فى رؤسها عُجر لا تكاد أكفهم تفارقها إذا خرجوا إلى ضياعهم ومتنزهاتهم ، ولهم فيها أحاديث حسنة ، وأخبار طيبة .

وكان الأفشين[1] يقول : إذا ظفرت بالعرب شـدخت رؤس عظمائهم بالدبوس . والدبوس شبيه بهذه العصا التى فى رأسها عجرة . وقال جحشوية :

يا رَجُـلاً هَـامَ بِلِيَّادِ ... مُعْتَدِلٍ كالغُصْنِ مَيَّـادِ
هامَ بهِ غَسَّانُ لَمَّـا رَآى ... أَيْرًا لهُ مِثْلَ عَصا الحادِى
ولمْ يَزَلْ يَهْوَى أَبُو مالِكٍ ... كلَّ قَنًى كالغُصْنِ مُنْآدِ
يُعْجِبُهُ كلُّ مَتِينِ القُوَى ... لِلطَّعْنِ فى الأدْبارِ مِعْتَادِ

(١) الأفشين : هو خيذر بن كاوس كان من أكابر قواد المعتصم وفحول شجعانه ، قيل ان أصله من سلالة ملوك فارس ، ولاه المعتصم المشرق ووجهه لحرب بابك الخرمى ، بعد أن استفحل أمره ، واستشرى شره ، وصار خطراً يتهدد الدولة ، وبعد أن هزم جيوش السلطان مراراً عدة ، وقتل من القواد جماعة لا يستهان بشأنهم ، فلما انتدب له الافشين صمد له وقاومه أشد مقاومة ، وما زال به يضيق عليه وبابك ينهزم بين يديه بالرغم من جيوشه التى لا عد لها ولا حصر ، حتى الجأه الافشين إلى مدينته البذ ، فلما ضاق أمره خرج هارباً بأهله إلى بلاد الروم في زى التجار فعرفه بعض البطارقة فأسره وبعث به إلى الافشين فحمله الافشين إلى المعتصم فقطعه وصلبه وانتهى أمره . وبهذا عظم شأن الافشين وكبر خطره . ثم علم المعتصم من أمره ما أحفظه عليه لأنه كشف عليه أنه يحاول قلب الدولة ويكاتب المازيار يحسن له الخلاف والعصيان ، وبعد تحرى أمره ، وكشف خبيئته ، قبض عليه المعتصم وقتله ثم صلبه على خشبة بابك ، ووجده لا يزال بقلفته لم يختن ،ووجد في بيته أصناماً أحرقوه بها . وكان ذلك في سنة ٢٢٦ هـ ٨٤٠ م

وقالوا : تغمض الناقة عينها كى تركب العصا إلى الحوض . وهو معنى قول أبى النجم :

تَخْشَى العَصا والزَّجْرَ إنْ قِيلَ حَلِ ... يُرْسِلُها التَّغْمِيضُ إنْ لَمْ تُرْسَلِ

وهذا مثل قول الهُذلىُّ :

ولأَنْتَ أشْجَعُ منْ أُسامةَ إذْ ... شَدُّوا المَناطِقَ فَوْقَها الحَلَقُ
حَدُّ السيُوفِ على عَوَاتِقِهِمْ ... وعلى الأَكُفِّ ودُونَها الدَّرَقُ
كَغَمَاغِمِ النِّيرَانِ بَيْنَهُمُ ... ضَرْبٌ تَغَمَّضُ دُونَهُ الْحَدَقُ

وقال حُميدُ بن ثَوْرٍ الهِلالىُّ :

اليَوْمَ تُنْتَزَعُ العَصَا منْ رَبِّها ... ويَلُوكُ ثِنْيَ لِسانِهِ المِنْطِيقُ

يقال : رجل كالقناة ، وفرس كالقناة . وقال الشاعر :

مَتَى مايَجِئْ يَوْمًا إلى المالِ وَارِثى ... يَجِدْ جَمْعَ كَفٍّ غيرِ مَلْآى ولاصفْرِ
يَجِدْ فَرَسًا مِثْلَ القَنَاةِ وصَارِمًا ... حُسَامًا إذا مَاهُزَّ لَمْ يَرْضَ بالْهَبرِ

وجاء فى الحديث : أجدبت الارض على عهد عمر رضى الله تعالى عنه ، حتى ألقت الرعلة العِصِى ، وعطلت النعم ، وكسر العظم . فقال كعب : ياأمير المؤمنين إن بنى اسرائيل كانوا إذا أصابتهم السنة استسقوا بعصبة الأنبياء . فكان ذلك سبب استسقائه بالعباس بن عبد المطلب .

وساورت حية أعرابياً فضربها بعصاه وسلم منها فقال :

لوْلاَ الهِرَاوَةُ والكَفَّانِ أنْهَلَنى ... حَوْضَ المَنِيَّةِ قَتَّالٌ لِمَنْ وَرَدَا

وقال الآخر :

دَعا ابْنُ مُطِيعٍ لِلْبِيَاعِ فَجِئْتُهُ ... إلى بَيْعَةٍ قَلْبِى لَهَا غيرُ آلِفِ
فَنَاوَلَنى خَشْنَاءَ لَمَّا لَمَسْتُهَا ... بِكَفٍّ لَيْسَتْ منْ أُكُفِّ الخَلاَئِفِ
منَ الشَّثْنَاتِ الكَزْمِ إنْ نَكَرَتْ لَمْسَهَا ... ولَيْسَتْ منَ البِيضِ الرِّقَاقِ اللَّطَائِفِ
مُعَاوِدَةً حَمْلَ الهِرَاوَى لِقَوْمِها ... فَرُوراً إذا ما كانَ يَوْمُ التَّنَائِفِ

وقال الحجاج بن يوسف لأنس بن مالك : والله لأقلعنك قلع الصمغة ، ولأعصبنك عصب السلمة ، ولأجردنك تجريد الضب . وقال عمر رضي الله تعالى عنه لأبي مريم الحنفي : والله لا أحبك حتى تحب الارض الدم المسفوح .

لان الارض لاتقبل الدم ، فاذا جف الدم تقلع جلباً .

وقد أسرف المتلمّسُ حيث يقول :

أحارِ ثُ إنّا لوْ تُساطُ دِماؤُنا تَزَايَلْنَ حتى لا يَمَسَّ دَمٌ دَمَا

وأشدّ سرفا منه قول أبي بكر الشيباني قال : كنت أسيراً مع بني عم لي من بني شيبان ـ وفينا من موالينا جماعة ـ في أيدي التغالبة فضربوا أعناق بني عمي وأعناق الموالي على وهدة من الارض ، فكنت والذي لا آله إلا هو أرى دم العربي يمتازُ من دم الموالي حتى أرى بياض الارض بينهما ، فاذا كان هجينا قام فوقه ولم يعتزل . وأنشد الاصمعي :

يُذَدْنَ وقد أُلقِيتَ في قَعْرِ حُفْرَةٍ كما ذِيدَ عنْ حَوْضِ الْعِرَاكِ غَرَائِبُهْ

وقال العبّاسُ بن مرْدَاسٍ :

نُقاتِلُ عنْ أحْسَابِنا بِرِمَاحِنا فَنَضْرِبُهُمْ ضَرْبَ المُذِيدِ الخَوَامِسا

وقال الفرزدق بن غالب :

ذَكَرْتُ وقدْ كادَتْ عَصَا البَيْنِ تَنشَظِي خَيالَكَ من سَلْمَى وذُو اللُّبِّ ذاكِرُ

وقال الاسدي :

إذا المَرْءُ أوْلاكَ الهَوَانَ فأوْلِهِ هَوَانًا وإنْ كانَتْ قَرِيبًا أوَاصِرُهْ

ولا تَظْلِمِ المَوْلَى ولا تَضَعِ العَصا على الجَهْلِ إنْ طارَتْ إليْكَ بَوَادِرُهْ

وقال جرير بن عطية :

ألا رُبَّ مَصْلُوبٍ حَمَلْتُ على العَصا وبابُ اسْتِهِ عَنْ مِنْبَرِ المُلْكِ زَائِلُ

وقالوا في مديح العصا نفسها مع الاغصان وكرم جوهر العِصي والقِسي :

إذا قامَتْ لِسَبْحَتِها تَثَنَّتْ كأنَّ عِظامَها مِنْ خَيْزُرانِ

وقال المؤمل بن أميل :

والقَوْمُ كالعِيدانِ يَفضُلُ بَعْضُهُم ... بَعضاً كذَاكَ يفُوقُ عُودٌ عُودا
لوْ تَستَطِيعُ عنِ القَضاءِ حِيادَةً ... وعَنِ المَنِيَّةِ أن تُصيبَ مَحِيدا
كانَتْ تُقيِّدُ حينَ تَنزِلُ مَنزِلاً ... فالآنَ صارَ لها الكَلالُ قُيُودا

وقال آخر :

وأسْلَمها البَاكُونَ إلاَّ حَمامةٌ ... مُطَوَّقةٌ وَرْقاءُ بانَ قَرِينُها
تُجاوِبُها أُخْرَى على خَيزُرانةٍ ... يَكادُ يُدنيها منَ الأَرْضِ لِينُها

وقال الآخر :

ألا أيُّها الرَّكْبُ المُخِبُّونَ هلْ لكُمْ ... بأُخْتِ بَنى هِنْدٍ عُتَيْبَةَ منْ عَهْدِ
أألقَتْ عَصاها واستَقَرَّتْ بها النَّوَى ... بأرْضِ بَنى قابُوسَ أمْ ظَعَنَتْ بَعْدِى

وقال الآخر :

ألا هَتَفَتْ وَرْقاءُ فى رَوْنَقِ الضحَى ... على غُصُنٍ غَضِّ النَّباتِ منَ الرَّنْدِ

وقال آخر فى امرأة رآها فى شارة وبزة ، فظن بها جمالا ، فلما سفرت فإذا هى غول ، فقال :

وأظْهَرَها رَبِّى بِمَنٍّ وقُدْرَةٍ ... علىَّ ولوْلا ذاكَ مُتُّ منَ الكَرْبِ
فَلَمَّا بَدَتْ سَبَّحْتُ منْ قُبْحِ وَجهِها ... وقُلْتُ لها السَّاجُورُ خيرٌ منَ الكَلْبِ

وقال النبى ﷺ « يؤتى بقوم من هنا يقادون إلى حظوظهم فى السواجير » والساجور يسمى « الزمارة » قالوا : وفى الحديث : فأتى الحجاج بسعيد بن جبير وفى عنقه زمارة . وقال بعض المسجنين :

ولِى مِسْمَعانِ وزَمَّارَةٌ ... وظِلٌّ مَدِيدٌ وحِصْنٌ أمَقْ
وكَمْ عائِدٍ لى وكَمْ زائِرٍ ... لوْ ابْصَرَنى زائِراً قد شَهَقْ

المسمعان : القيدان . وسمى الغل الذى فى عنقه زمارة . وأما قول الوليد :

إسْقِنى يا زُبَيْرُ بالقَرْقارَهْ ... قدْ ظَمِينا وحَنَّتِ الزَّمَّارَهْ

إسْقِنى إسْقِنى فإنَّ ذُنُوبى قدْ أحاطَتْ فمَا لها كفَّارَهْ

فالزمارة هاهنا المزمار . وقال صاحب الزمارة فى صفة السجن :

فَبِتُّ بأحْصَنِها مَنزِلاً ثَقِيلاً على عُنقِ السَّالِكِ
ولَسْتُ بِضَيْفٍ ولا فى كِرا ولاَ مُسْتَعِيرٍ ولاَ مالِكِ
ولِى مِسْمَعَانِ فأدْناهُما يُغَنِّى ويُمْسِكُ فى الحالِكِ
ولَيْسَ بغَصْبٍ ولاَ كالرهُونِ ولاَ يُشْبِهُ الوَقْفَ عنْ هالِكِ
وأقْصَاهُما ناظِرٌ فى السَّماءِ عَمْدًا وأرْسَخُ من عارِكِ

المسمعان هاهنا أحدهما قيده والآخر صاحب الجرس

أخبرنى الكلابى قال : قاتلت بنو عم لى بعضُهم بعضاً فجعل بعضهم ينضم إلى بعض لواذاً منى ، وليس لى فى ذلك هِجِّيرٌ إلا قولى :

قدْ جَعَلَتْ تأوِى إلى جُثْمانِها وكِرْسِها العَادِيِّ منْ أعْطانِها

فلما طلبوا القصاص قلت : دونكم يا بنى عمى حقكم ، فنحن اللحم وأنتم الشفرة ، إن وهبتم شكرت ، وإن اعتقلتم عقلت ، وإن اقتصصتم صبرت .

قال : سألت يونس عن قوله : نَسْيًا مَنْسِيًّا ؟ قال : تقول العرب إذا ارتحلوا عن المنزل ينزلونه : أنظروا إلى أنْسائكم . وهى العصا ، والقدح ، والشظاظ ، والحبل . قال: فقلت : إنى ظننت أن هـذه الأشياء لا ينساها أربابها الا لأنها أهون المتـاع عليهم ؟ قال : ليس ذلك كذلك ، والمتاع الجافى يذكر بنفسه ، وصغار المتاع تذهب عنها العيون ، وإنما تذهب نفوس العامّة إلى حفظ كل شىء ثمين وإن صغر جسمه . ولا يقفون على أقدار فوت الماعون عند الحاجة وفقـد المحلاَّت فى الأسفار. وقال يونس : المنسى ماتقادم العهد به ونسى حيناً لهوانه ، ولم تكن مريم لتضرب المثل فى هذا الموضع بالأشياء النفيسة التى الحاجة إليها أعظم من الحاجة إلى الشىء الثمين فى الأسواق . وقال الأشهبُ بنُ رُميلة أو نهشَلُ ابن حَرِىّ :

قالَ الأَقارِبُ لا تَغْرُرْكَ كَثْرَتُنا وأَغْنِ نَفْسَكَ عنّا أيُّها الرَّجُلُ
عَلَّ بَنِيَّ يَشُدُّ اللهُ أعْظُمَهُمْ والنَّبْعُ يَنْبُتُ قضْباناً فيكْتَهِلُ

وكان فرس الأخنس بن شِهَابٍ يسمى « العصا » والأخنس « فارس العصا » وكان لِجَذِيمَة الأبرش فرس يقال لها « العصا » ولبنى جعفر بن كلاب « شحمة » و « الغدير » و « العصا » ، فشحمة فرس جزْءِ بن خَالد ، والعصا فرس عَوفِ بن الأحوص ، والغدير فرس شريح بن الأحوص . و « العصا » أيضا فرس شبيب ابن كعب الطائى . وقال بعضهم أو بعض خطبائهم :

وليْسَ عَصاهُ منْ عَرَاجِينِ نَخْلَةٍ ولاذات سَيرٍ منْ عِصِيِّ المُسافِرِ
ولكِنَّها إمَّا سَأَلْتَ فَنَبْعَةٌ ومِبْرَاثُ شَيْخٍ منْ جِيادِ المخاصِرِ

والرجل يتمنى إذا لم تكن له قوة وهو يجد مَس العجز فيقول : لو كان فى العصا سير ؟ وكذلك قال حبيب بن أوس :

مَالَكَ منْ هِمَّةٍ وعَزْمٍ لوْ أنَّهُ فى عَصاكَ سَيرْ
رُبَّ قَلِيلٍ حَدَا كَثِيرًا كَمْ مَطَرٍ بَدْؤُهُ مُطَيْرْ
صَبراً على النائِباتِ صَبراً مَا فَعَلَ اللهُ فهْوَ خَيْرْ

وإذا لم يجعل المسافر فى عصاه سَيرا سقطت من يده إذا نعس

وسئل عن قوله « وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أخْرَى ؟ » قال : لست أحيط بجميع مآرب موسى عليه السلام ، ولكنى سأنبئكم بُجملا تدخل فى باب الحاجة إلى العصا : من ذلك أنها تُحمل للحية ، والعقرب ، والذئب ، والفحل الهائج ، ولعير العانة فى زمن هيج الفحول ؛ وكذلك فحول الجحور فى المروج ، ويتوكأ عليها الكبير الدانف ، والسقيم المدنف ، والأقطع الرجل ، والأعرج ، فانها تقوم مقام رجل أخرى . وقال أعرابى مقطوع الرجل :

اللهُ يَعْلَمُ أنى منْ رِجالِهِمُ وإنْ تَخَدَّدَ عنْ مَتْنَىَّ أطْمارِى
وإنْ رُزِئْتُ يَداً كانَتْ تُجَمِّلُنى وإنْ مَشَيْتُ على زُجٍّ ومِسْمارِ

والعصا تنوب للأعمى عن قائده ، وهى للقصّار ، والفاشكار ، والدباغ ، ومنها المِفأد للملة [١] ومحراك للتنور ، قال الشاعر :

إذا كانَ ضَرْبُ الخُبزِ مَسْحاً بخِرْقَةٍ وأُخْمِدَ دُونَ الطّارِقِ التَّنُّورُ

كأنه يكره أن ينفض عنها الرماد بعصا ، فيستدل على أنه قد أنضج خبزته ، يصفه بالبخل

وهى لدق الجص والجبسين [٢] والسمسم ، قال الشماخ بن ضرار :

وجَرٌّ شِوَاءٍ بالعَصا غيرَ مُنْضَجِ

ولخبط الشجر ، وللفبج ، وللمكارى ، فانهما يتخذان المخاصر ، فاذا طال الشوط وبعدت الغاية استعانا فى حُضرهما وهرولتهما فى أضعاف ذلك بالاعتماد على وجه الارض ، وهى تعدل من ميل المفلوج ، وتقيم من ارتعاش المبرسم ، ويتخذها الراعى لغنمه ، وكل راكب لمركبه ، ويدخل عصاه فى عروة المِزود ويمسك بيده الطرف الآخر ، وربما كان أحد طرفيها بيد رجل والطرف الآخر بيد صاحبه وعليها حمل ثقيل ، وتكون إن شئت وتداً فى حائط ، وإن شئت ركزتها فى الفضاء وجعلتها قبلة ، وإن شئت جعلتها مِظلة ، وإن جعلت فيها زجًّا كانت عنزة . وان زدت فيها شيئا كانت عكازاً ، وإن زدت فيها شيئاً كانت مِطرداً ، وإن زدت فيها شيئا كانت رمحا ، والعصا تكون سوطا وسلاحا

وكان رسول الله ﷺ يخطب بالقضيب ، وكفى بذلك دليلا على عظم غَنائِها وشرف حالها ؛ وعلى ذلك الخلفاء وكبراء العرب من الخطباء

وقد كان مَروان بن محمد ـ حين أحيط به ـ دفع البُرد والقضيب إلى خادم وأمره أن يدقهما فى بعض تلك الرمال ، ودفع إليه بنتا له وأمره أن يضرب عنقها فلما أخذ الخادم فى الأسرى قال : إن قتلتمونى ضاع ميراث النبى ﷺ فأمنوه على أن يسلم ذلك لهم

---

(١) المفأد للملة : المحراك للرماد الحار (٢) والحيسين ، في الأصل : والجيين ، وليس هذا مكانه ، وإنما هو الجيسين كما أثبتناه

وقال فى صفة قناة:

وأسْمَرُ عانِقٌ فيهِ سِنانٌ شُرَاعِيٌّ كَساطِعةِ الشُّعاع

وقال آخر :

هَوْنَةٌ فى الْعِيانِ تهتزُّ فيهِ كاهتزَازِ القَناةِ تحْتَ العُقَابِ

ومما يجوز في العصا قول الشاعر :

لِلْهامِ ضَرَّابُون بالمَناصِلِ ضَرْبَ المُذِيدِ غُرْبَ النَّواهِلِ

وقال عباس بن مِرداس :

نُطاعِنُ عَنْ أحْسابِنا بِرِماحِنا ونضْرِبُهُمْ ضَرْبَ المُذِيدِ الخَوامِسا

وقال آخر :

دَافِعَ عنها جَلَبِيٌّ وَحْشِي فهُوَ كَعُودِ النَّبْعَةِ الأَجَشِّ

وقال نُصَيْبُ الأَسود :

ومَنْ يُبْقِ مالاً عُدَّةً وصِيانةً فلاَالدَّهْرُ مُبْقِيهِ ولاالشُّحُّ وافِرُهْ

ومَنْ يَكُ ذا عُودٍ صَلِيبٍ يُعِدُّهُ لِيَكْسِرَ عُودَالدَّهْرِ فالدَّهْرُ كاسِرُهْ

وقال آخر :

تَخَيَّرْتُ منْ نَعْمانَ عُودَ أرَاكَةٍ لِهِنْدٍ ولكِنْ مَنْ يُبَلِّغُهُ هِنْدَا

خَلِيلَيَّ عُوجا بارَكَ اللهُ فِيكُما وإنْ لم تكُنْ هِنْدٌ لأَرْضِكُما قصْدا

وقُولاَ لها ايْسَ الضلالُ أجارَنا ولكِنَّنا جُرْنا لِنَلْقاكُمْ عمْدا

وقال الآخر :

وتِلْكَ ثِيابِي لمْ تُدَنَّسْ بِغَدْرَةٍ وَوَرْيُ زِنادِي فى ذُرَى المجدِ ثاقِبُ

ولوْ صادَفَتْ عُودًا سِوَى عُودِ نَبْعَةٍ وهَيْهاتَ أفْنَتْهُ الخُطُوبُ النَّوائِبُ

وقال الآخر :

عَصا شَرْيانَةٍ دُهِنَتْ بِزُبْدٍ تَدُقُّ عِظامَهُ عَظْماً فَعَظْما

وليس هذا مثل قول لقيط بن زُرارة :

إذا دَهنُوا رِماحَهُمْ بِزَيْتٍ فإنَّ رِماحَ تيم لا تَضِيرُ

وقال صالح بن عبد القدوس :

لا تدْخُلَنْ بِنَمِيمَةٍ بينَ العَصا ولحائِها

وقال سِبْلُ بنُ مَعبد البجلىُّ :

بَرَتْنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ منْ كلِّ جانِبٍ كما يَنْبَرِى دونَ اللِّحاءِ عَسِيبُ

وقال أوْسُ بن حجرٍ :

لحوْتُهُمُ لحوَ العصا فطَرَدْتُهُمْ إلى سَنَةٍ جُرْذانُها لمْ تُحَلَّمِ

وقال الرَّقاشىُّ فى صفة القناة التى تبرى منها القِسِىّ :

منْ شُقُقٍ خُضْرٍ بِرُوصِيَّاتِ صُفْرِ اللِّحاءِ وحَلُوفِيَّاتِ
جُدِلْنَ حتى إضْنَ كالحَيَّاتِ وشائِقاً غيرَ مُؤَنَّباتِ
آنَقَهُنَّ مُتَمَطِّراتِ عمْرُو بنُ عُصْفُورٍ على اسْتِثْباتِ

وقال محمد بن يسير :

ومُشَمِّرٍ بنَ عنِ السَّواعِدِ حُسَّرٍ عَنْها بكلِّ دَقِيقَةِ التَّوْتِيرِ
ليْسَ الذِى تَشْوِى يَداهُ رَمِيَّةً فيهِمْ بِمُعْتَذِرٍ ولا مَعْذُورِ
عطْفِ السِّياتِ مَوانِعٍ فِي عطْفِها تُعْزَى إذا نُسِبَتْ إلى عُصْفُورِ

ذهب إلى قوله :

فى كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مَنُوعُ

وهذا مثل قوله :

خَرْقاءُ إلاَّ أنَّها صَنَاعُ

وهذا مثل قوله :

غادَرَ داءً ونَجا صَحِيحا

ومثل قوله :

حتى نَجَا منْ جَوْفِهِ وما نَجَا

وإذا طال قيام الخطيب صار فيه انحناء وجَناء ، وقال الأسَدِىُّ :

أنا ابنُ الخالِدَيْنِ إذا تَلاقى منَ الأيَّامِ يَوْمٌ ذُو ضِجاجِ
كأنَّ اللُّعْبَ والخُطَباءَ فِيهِ قِسِىٌّ مُثَقَّفٍ ذَاتُ اعْوِجاجِ

وعلى هذا قال الشَّمَّاخُ بنُ ضِرَارٍ :

فأضحَتْ تَفالَى بالسِّتارِ كأنها رِماحٌ تَحاها وجهةَ الرِّيحِ رَاكِزُ

وقال العُمانيُّ :

عاتٍ يَرَى ضَرْبَ الرِّجالِ مَغْنَما إذا رآى مُصَدِّقًا تَجهَّما
وهَزَّ فى الكَفِّ وأبْدَى مِعْصَما هَرَاوةً بِنَبْعَةٍ أو سَلَما
تَتْرُكُ ما رَامَ رُفاتًا رِمَما

وقال أُمَيَّةُ بن الأَشكَرِ :

هَلاَّ سألْتِ بِنا إن كُنْتِ جاهِلَةً فَفى السُّؤالِ منَ الإعْياءِ شَافِيها
تُخبِرْكِ عَنَّا مَعَدٌّ إنْ هُمُ صَدَقُوا وَمَنْ قَبائِلِ نَجْرَانٍ يَمانِيها
وبالجِيادِ نَجرُ الخَيْلَ عابِسَةً كأنَّ مَذْرُورَ مِلْحٍ فى هَوَادِيها
قَوْمٌ إذا فَزِعُ الأَقْوامِ طافَ بِهِمْ أَلْقَى العِصِىَّ عِصِىُّ الجَهْلِ بارِيها

قال : والرجل إذا لم يكن معه عصا فهو « باهل » و « ناقة باهل وباهلة » إذا كانت بغير صرار ، وقال الراجز :

أبهَلَها ذا يَدِها وسَبَّحا ودَقَّتِ المَرْكُوَّ حتى ابْلَنْدَحا

إحتجنا أن نذكر ارتفاق بعض الشعراء من المُرجان بالعصىّ عند ذكر العصا وتصرفها فى المنافع . والذى نحن ذاكروه من ذلك فى هذا الموضع قليل من كثير مما ذكرناه فى « كتاب العرجان » فان أردتموه فهو هناك موجود إن شاء الله تعالى

قالوا: ولما شاع هجاء الحَكَمِ بن عبدلٍ الأسدِىِّ لمحمد بن حسان بن سعد وغيره من الولاة والوجوه ، هابه أهل الكوفة واتقى لسانه الصغير والكبير — وكان الحكم أعرج لاتفارقه عصاه — فترك الوقوف بأبوابهم وصار يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسوله فلا يُحبس له رسول ، ولا يؤخر لقراءة الكتاب ثم تأتيه الحاجة على أكثر ما قدر ، وأوفر ما أمل ، فقال يحيى بن نوفَلٍ :

عَصا حَكَمٍ فى الدَّارِ أوَّلُ داخِلٍ وَنَحْنُ على الأَبْوَابِ نُقْصَى ونُحْجَبُ

وأما قول بشر بن أبى خازم :

لِلّه دَرُّ بَنى حَدَّاءَ من نَفَرٍ ... وكلُّ جارٍ على جيرانِهِ كابُ

إذا غَدَوْا وعِصِىُّ الطَّلْحِ أرْجُلُهُمْ ... كما تُنَصَّبُ وَسْطَ البَيْعَةِ الصُّلُبُ

وإنما يعنى أنهم كانوا عُرجا فأرجلهم كعصىّ الطلح ، وعصى الطلح معوجة. وكذلك قال مَعْدانُ الأعمى فى قصيدته الطويلة التى وصف فيها الغالية والرافضة والتميمية والزيدية :

والَّذِى طَفَّفَ الجِدَارَ من الذُّعـــــرِ وقدْ باتَ قاسِمَ الأَنْفالِ

فَغَـدَا خامِعاً بِوَجْهٍ هَشِيمٍ ... وبِساقٍ كَعُودِ طَلْحِ بالِ

وقال بعض العُرجان ممن جعل العصا رجلا :

ما لِلْكَواعِبِ يا دَهْماءُ قدْ جَعَلَتْ ... تَزْوَرُّ عَنِّى وتُلْقَى دُونِىَ الخُمُرُ

لا أسْمَعُ الصَّوْتَ حتى أسْتَدِيرَ لهُ ... لَيْـلاً طَوِيلاً يُناغِينِى لهُ القَمَرُ

وقال رجل من بنى عجل :

وَشَى بى وَاشٍ عِنْدَ لَيْـلَى سَفاهَةً ... فقالَتْ لهُ لَيْـلَى مَقالَةَ ذِى عَـقْلِ

وَخَبَّرَها أنى عَرَجْتُ فلمْ تكُنْ ... كَوَرْهاءَ تَجْتَرُّ المَلامَةَ لِلْبَعلِ

ومابِىَ من عَيْبِ الفَتَى غيرَ أننِي ... جَعَلْتُ العَصا رِجْلاً أُقِيمُ بها رِجْلِى

وقال أبو ضبة فى رجله :

وقدْ جَعَلْتُ إذا ما نِمْتُ أوْجَعَنِي ... ظَهْرِى وقُمْتُ قِيامَ الشارِفِ الظَّهْرِى

وكُنْتُ أمشِى على رِجْلَيْنِ مُعْتَدِلاً ... فَصِرْتُ أمشِى على رِجْلٍ من الشَّجَرِ

وقال أعرابى من بنى تميم :

ومابِىَ من عَيْبِ الفَتَى غيرَ أنَّنى ... ألِفْتُ قَناتِى حينَ أوْجَعَنى ظَهْرِى

قال : ودخل الحَكَمُ بن عَبْدلٍ الأسدِىُّ وهو أعرج على عبدالحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو أعرج ، وكان صاحب شرطه أعرج ، فقال ابن عَبْدَلٍ :

أَلْقِ الْعصا ودَعِ التَّخادُعَ والتَّمِسْ عَمَلاً فَهٰذِى دَوْلَةُ الْعُرْجانِ
لأَمِيرِنا وأَمِيرِ شُرْطَتِنا مَعًا لِكِلَيْهِما يا قَوْمَنا رِجْلانِ
فإِذَا يَكُونُ أَمِيرُنا ووَزِيرُنا وأَنا فإِنَّ الرَّابِعَ الشَّيْطانُ

ومما يدلك على أن للعصا موقعاً منهم وأنها تدور مع أكثر أمورهم قول مزرد ابن ضرار :

فجاء على بَكْرٍ ثَقالٍ يَكُدُّهُ عَصا إِسْتِهِ وحَيَّ العجابَةِ بالفَهْرِ

ويقولون : اعتصى بالسيف . إذا جعل السيف عصا ، وإنما اشتقوا للسيف اسما من العصا لأن عامة المواضع التى تصلح فيها السيوف تصلح فيها العصى ، وليس كل موضع تصلح فيه العصا يصلح فيه السيف . وقال الآخر :

ونَحْنُ صَدَعْنا هامَةَ ابنِ مُحَرِّقٍ كذَلِكَ نَقْضِى بالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ

وقال عمرو بن الإطنابة :

وفَتًى يَضْرِبُ الكَتِيبَةَ بالسَّيْـ ـفِ إِذا كانَتِ السُّيُوفُ عُصِيًّا

وقال عمرو بن مُحرِز :

نَزَلوا إِليهِمْ والسُّيُوفُ عِصِيُّهُمْ وتَذَكَّرُوا دِمَنًا لهُمْ وذُحُولاً

وقال الفرزدق بن غالب بن صعصعة :

إِنَّ ابنَ يُوسُفَ مَحْمُودٌ خَلائِقُهُ سِيَّانِ مَعْرُوفُهُ فى النَّاسِ والمَطَرُ
هُوَ الشِّهابُ الَّذِى يُرْمَى العَدُوُّ بِهِ والمُشْرَفِيُّ الذى تَعْصَى بِهِ مُضَرُ

يقال : عصى بالسيف ، واعتصى به .

قال العريان بن الاسود فى ابن له مات :

ولقَدْ تَحْمِلُ المُشاةُ كَرِيمًا لَيِّنَ العُودِ ماجِدَ الأَعْرَاقِ
ذاكَ قَوْلِى ولا كَقَوْلِ نِساءٍ مُعْوِلاتٍ يَبْكِينَ لِلأَوْرَاقِ

وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إن البحر خلق عظيم ، يركبه خلق صغير ، كأنهم دود على عود . وقال واثلة السدوسى :

رأيتك لما شبت أدركك الذى ... يصيب سراة الأزد حين تشيب
سفاهة أحلام وبخل بنائل ... وفيك لمن عاب المزون عيوب
لقد صبرت للذل أعواد منبر ... تقوم عليها فى يديك قضيب
وقد أوحشت منهم رساتيق فارس ... وفى المصر دور جمة ودروب

وأنشد الأصمعى :

أعددت للضيفان كلبا ضاريا ... وهراوة مجلوزة من أرزن
ومعاذرا كذبا ووجها باسرا ... وتشكيا غض الزمان الألزن
وشذاة مرهوب الأذى قاذورة ... خشن جوانبه داوظ ضيزن
وبكف محبوك اليدين عن العلا ... والباع مسود الذراع مقحزن
وتجنيا لهم الذنوب والتقى ... بغليظ جلد الوجنتين عشوزن

وقال جرير :

تصف السيوف وغيرك يعصى بها ... يا ابن القيون وذاك فعل الصيقل

وقال الراعى :

تبيت ورجلاها أذانان لاستها ... عصا إستها حتى يكل قعودها

وقال أعرابى للحطيئة : ماعندك ياراعى الغنم ؟ قال : عجراء من سلم . قال : انى ضيف . قال : للضيفان أعددتها . وقال الشماخ بن ضرار :

إلى بقر فيهن للعين منظر ... وملهى لمن يلهو بهن أنيق
رعين الندى حتى إذا وقد الحصا ... ولم يبق من نوء السماك بروق

وقال امرؤ القيس :

قولا لدودان عبيد العصا ... ما غركم بالأسد الباسل

وقال على بن العذير :

وإذا رأيت المرء يشعب أمره ... شعب العصا ويلح فى العصيان
فاعمد لما تعلو فمالك بالذى ... لا تستطيع من الأمور يدان

وقال الآخر :

وهَجْهاجةٍ لا يَمْلأُ اللَّيْلُ صَدْرَهُ ... إذا النُّكْسُ أغْضَى طَرْفَهُ غيرَ أرْوَعِ
صَحيحٍ بَرِيءِ العُودِ منْ كلِّ أُبْنَةٍ ... وجَمَّاعِ نَهْبِ الخَيرِ منْ كلِّ مَجْمَعِ

وقال مسكين الدارمى :

تَسْمُو بأعناقٍ وتَحْبِسُها ... عَنها عِصِيُّ الذَّادَةِ العُجْرُ

حَباب بن موسى، عن مجالد، عن الشعبى، عن جرير بن قيس قال : قدمت المدائن بعد ماضُرب على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه فلقينى ابن السوداء وهو ابن حرب فقال لى : ما الخبر . فقلت : ضرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها ويعيش من أشد منها . قال : لوجئتمونا بدماغه فى مائة صرة لعلمنا أنه لايموت حتى يذودكم بعصاه : وقال الله تبارك وتعالى « وإذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ » وقال الشاعر :

رَأَيْتُ الغانِياتِ نَفَرْنَ مِنِّى ... نُفُورَ الوَحْشِ منْ رَامٍ مُفِيقِ
رَأَيْنَ تَغَيُّرِى وأَرَدْنَ لَدْناً ... كَغُصْنِ البَانِ ذِى الفَنَنِ الوَرِيقِ

وقال أبو العتاهية :

عَرِيتُ منَ الشَّبابِ وكانَ غَضّاً ... كما يَعْرَى منَ الوَرَقِ القَضِيبُ
ألا لَيْتَ الشَّبابَ يَعُودُ يَوْماً ... فأخْبِرَهُ بِمَا صَنَعَ المَشِيبُ

وقال الآخر :

فَإنْ عَمِرْتُ لَقَدْ عَمِرْتُ كأنَّنى ... غُصْنٌ تُثَنِّيهِ الرِّياحُ رَطِيبُ
وكَذَكَ حَقًّا مَنْ يُعَمَّرْ يُبْلِهِ ... كَرُّ الزَّمانِ عَلَيهِ والتَّقْلِيبُ
حتى يَعُودَ منَ البِلَى وكأنَّهُ ... فى الكَفِّ أفْوَقُ ناصِلٌ مَعْصُوبُ
مَرِطُ القِذاذِ فليسَ فِيهِ مَصْنَعٌ ... لا الرِّيشُ يَنْفَعُهُ ولا التَّعْقِيبُ

وقال عُرْوة بن الوَرْدِ :

أليْسَ وَرَائِى أنْ أُدِبَّ على العصا ... فَيأمَنَ أعْدَائِى ويَسْأمَنِى أهْلِى ؟

وأنشد :

عَصَوْا السُّيُوفَ الهِنْدِ واعتَرَكَتْ بِهِمْ ... بَرَاكَاءُ مَوْتٍ لا يَطِيرُ غُرَابُهَا

وقال لبيد :

أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي ... لُزُومُ العَصَا تُحْنَى عَلَيْهَا الأَصَابِعُ؟

وقال آخر :

نُقِيمُ العَصَا مَا كَانَ فِيهَا لُدُونَةٌ ... وَتَأْبَى العَصَا فِي يُبْسِهَا أَنْ تُقَوَّمَا

وقال الآخر :

إِنَّ الغُصُونَ إِذَا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْ ... وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوَّمْتَهَا الخَشَبُ

وقال جرير :

مَا لِلْفَرَزْدَقِ مِنْ عِزٍّ يَلُوذُ بِهِ ... إِلَّا بَنُو العَمِّ فِي أَيْدِيهِمُ الخَشَبُ

سِيرُوا بَنِي العَمِّ فَالأَهْوَازُ مَنْزِلُكُمْ ... وَنَهْرُ تِيرَى فَمَا تَدْرِيكُمُ العَرَبُ

وقال جرير فى هجائه بنى حنيفة :

أَبْنَاءُ نَخْلٍ وَحِيطَانٍ وَمَزْرَعَةٍ ... سُيُوفُهُمْ خَشَبٌ فِيهَا مَسَاحِيهَا

قَطْعُ الدِّيَارِ وَسَقْيُ النَّخْلِ عَادَتُهُمْ ... قِدْمًا وَمَا جَاوَزَتْ هَذَا مَسَاعِيهَا

لَوْ قِيلَ أَيْنَ هَوَادِي الخَيْلِ مَا عَلِمُوا ... قَالُوا لِأَعْجَازِهَا هَذِي هَوَادِيهَا

أَوْ قِيلَ إِنَّ حِمَامَ المَوْتِ آخِذُكُمْ ... أَوْ تُلْجِمُوا فَرَسًا قَامَتْ بَوَاكِيهَا

لَمَّا رَأَتْ خَالِدًا بِالعِرْضِ أَهْلَكَهَا ... قَتْلًا وَأَسْلَمَهَا مَا قَلَّ طَاغِيهَا

دَانَتْ وَأَعْطَتْ يَدًا لِلسِّلْمِ طَائِعَةً ... مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ سَيْفُ اللهِ يُفْنِيهَا

وقال سَلامة بن جَنْدَل :

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ ... كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَابِيبِ

ويقال للخطاب إذا كان مرغوباً فيه كريماً : ذاك الفحل الذى لايقرع أنفه . لأن الفحل اللئيم إذا هب على الناقة الكريمة ضربوا وجهه بالعصا . وقال آخر :

كَأَنَّهَا إِذْ رُفِعَتْ عَصَاهَا ... نَعَامَةٌ أَوْحَدَهَا رَأَلَاهَا

وممن أضافوه إلى عصاه داود ملكين اليشكرى وقد كان ولى شُرطة البصرة

وجاء فى الحديث أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه أفاض من جمع وهو يحرش بعيره بمحجنه . وقال الأصمعى : المحجن العصا المعوجة . وفى الحديث المرفوع « أنه طاف بالبيت يستلم الأركان بمحجنه ، ثم يجذبه إليه » يريد بذلك تحريكه . وقال الراعى :

فألقَى عَصا طَلْحٍ ونَعْلاً كأنَّها جَناحُ السُّمانَى رأسُها قدْ تَصوَّعا

والعصا أيضاً فرس شَبيب بن كريب الطائى

أبو الحسن عن على بن سليمان قال : كان شبيب بن كريب الطائى يصيب الطريق فى خلافة على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه ، فبعث إليه أحمر بن شَميط العجلى وأخاه فى فوارس ، فهرب شبيب وقال :

ولَمَّا أنْ رَأيْتُ ابْنَىْ شَميطٍ بِسكَّةِ طَيِّئٍ والبَابُ دُونى
تَجَلَّلْتُ العصا وعَلِمْتُ أنِّى رَهينُ مُخَيَّسٍ إنْ يَثْقِفُونى (١)
ولوْ أنْظَرْتُهُمْ شَيْئًا قَليلاً لَساقُونى إلى شَيْخٍ بَطِينِ (٢)
شَديدِ مجالِزِ الكَفَيْنِ صُلْبٍ على الحَدَثانِ مُجْتَمعِ الشُّؤُونِ (٣)

وقال النَّجاشىُّ لأم كثير ابنة الصلت :

ولَسْتِ بِهِنْدِىٍّ ولكِنَّ ضَيْعَةً على رَجُلٍ لوْ تَعْلَمِينَ مُزِير
وأعْجَبَتْنِى لِلسَّوْطِ والوَطْءِ والعصَا ولمْ تُعْجِبِينى خُلَّةً لِأَمِير (٤)

وقال أعشى بنى ربيعة (٥)

وكانَ الخلائفُ بَعْدَ الرَّسُو لِ كُلُّهُمْ أُسْوَةً خاشِعا

---

(١) رهين مخيس : رهين سجن ، والتخييس من صفات السجن وهو التذليل

(٢) الشيخ البطين : هو على بن أبى طالب كرم الله وجهه وكان يوصف بكبر البطن

(٣) شديد مجالز الكفين : أصل الجلز ، الطى واللى والمد والنزع ، والمعنى أنه قوى اليدين معتمل الكفين (٤) الخلة هنا بمعنى الزوجة (٥) أعشى بنى ربيعة ، كان فى الأصل اعشى بن ربيعة وليس كذلك والصواب ما أثبتناه ، واسم أعشى بنى ربيعة ، صالح بن خارجة

شَهِيدَيْنِ مِنْ بَعْدِ صِدِّيقِهِمْ ... وكانَ ابنُ صَخْرٍ هوَ الرَّابِعا (١)
وكانَ ابنهُ بعدَهُ خامِسا ... مُطيعاً لِمَنْ قَبْلَهُ سامعا (٢)
ومَرْوانُ سادِسُ مَنْ قدْ مَضَى ... وكانَ ابنهُ بعدَهُ سابعاً (٣)
وبِشْرٌ يُدَافِعُ عبدَ العزيزِ ... مضى ثامِناً ذا وذا تاسِعا
وأيُّهُمُ ما يكُنْ سائِساً ... لها لم يكُنْ أمرُها ضائِعا
فأمَّا تَرَيْنِي حَلِيفَ العصَا ... فقدْ كُنْتُ مِنْ وثْبَةٍ خامِعا (٤)
فَساوَمَنِي الدَّهْرُ حتى اشْتَرَى ... شَبابِي وكنْتُ لهُ مانِعا

وقال عوف بن الخرع :

أَلاَ أَبْلِغا عَنِّي جُرَيْحَةَ آيَةً ... فهلْ أنتَ عنْ ظُلْمِ العَشِيرَةِ مُقْصِرُ
وإنْ ظَمِنَ الحَيُّ الجَمِيعُ لِطِيَّةٍ ... فأمرُكَ مَعْصِيٌّ وشرْبُكَ مُغْوِرُ (٥)
أفي صِرْمَةٍ عشْرِينَ أوْ هِيَ دُونَها ... قَشِيرٌ ثُمَّ عَصاكُمْ فانْظُرُوا كيفَ تُنْشَرُ (٦)
زَعَمْتُمْ مِنَ الهُجْرِ المُضَلِّلِ أنَّكُمْ ... سَتَنْصُرُكُمْ عَمْرٌو عليْنا ومَنْقَرُ (٧)
فَيَاشَجَرَ الوَادِي ألا تَنْصُرُونَهُمْ ... وقدْ كانَ بالمَرُّوتِ رِمْثٌ وسَخْبَرُ (٨)

---

(١) ابن صخر : هو معاوية بن أبي سفيان ، وهذا يدل على أن هذا الاعشى كان أموى الهوى فلم يذكر علياً ولا ولده الحسن ، وجعل معاوية رابع الخلفاء ومضى فى قصيدته على هذا النحو من الحساب الفاسد (٢) يريد بالخامس يزيد بن معاوية (٣) ويريد بالسابع عبد الملك بن مروان (٤) الخمع : العرج أو شبهه (٥) لطيته : لنيته التى انتواها (٦) الصرمة : القطعة من الابل (٧) الهجر : فاحش القول . المروت : واد لبنى حمان بن عبد العزى وله يوم من أيام العرب بين تميم وبنى قشير ، وفيه يقول الشاعر :

فان تك هامة بهراة تزقوا ... فقد أزقيت بالمروت هاما

(٨) الرمث : شجر يشبه العضاه لا يطول ولكنه ينبسط ورقه ، وهو شبيه بالاشنان الابل تتحمض به . والسخبر : شجر إذا طال تدلت رؤوسه وقيل هو من شجر الشمام له قضب مجتمعة وجرثومة . وله عيدان كالكرات كثرة . وهذا البيت آية في التهكم والاستخفاف

ألمْ تجْعَلُوا تَيْمًا على شُعْبَتَىْ عَصًا فَمَا يُنْطِقُ المَعْرُوفَ إلاَّ مُعَذَّرُ ؟

وقال رجل من محارب يرثى ابنه :

ألمْ يَكُ رَطْباً يَعْصِرُ القَوْمُ ماءَهُ وماعُودُهُ لِلْكامِرِينَ بِيابِسِ

وقال حاجب [بن] زرارة: والله ما القعقاع برطب فيعصر ، ولا بيابس فيكسر

وقال حماد عجرد :

وجَرَوْا على مَا عُوِّدُوا ولِكلِّ عِيدَانٍ عُصارَهْ

وقال أيضا :

فأنْتَ أكْرَمُ مَنْ يَمْشِي على قَدَمٍ وأنصَرُ النَّاسِ عِنْدَ النَّاسِ أغصانا

لَوْ مَجَّ عُودٌ على قَوْمٍ عُصارَتَهُ لَمَجَّ عُودُكَ فِينا المِسْكَ والْبانا

وقال آخر :

وإنّا وجَدْنا النّاسَ عُودَيْنِ طَيِّباً وعُوداً خَبِيثاً مايَبِضُّ على العَصرِ

تَزِينُ الْفَتَى أخْلاقُهُ وتَشِينُهُ وتُذْكَرُ أخْلاقُ الفَتَى وهْوَ لا يَدْرِي

وقال المؤمل بن أميل :

كانَتْ تُقَيِّدُ حِينَ تَنزِلُ مَنزِلاً فاليَوْمَ صارَ لها الكَلالُ قُيُودا

والقَوْمُ كالعِيدانِ يَفْضُلُ بَعْضُهُمْ بَعضاً كذَاكَ يَفُوقُ عودٌ عُودا

وقالت ليلى الأخْيَلِيَّة :

نَحْنُ الأَخائِلُ لا يَزَالُ غُلامُنا حتى يَدِبَّ على العَصا مَذْكُورا

أنظر أبقاك الله فى كم فن تصرف فيه ذكر العصا من أبواب المنافع والمرافق ؟ وفى كم وجه صرّفه الشعراء وضرب به المثل ؟ ونحن لو تركنا الاحتجاج لمخاصر البلغاء ، وعصىّ الخطباء ، لم نجد بداً من الاحتجاج لجلة المرسلين وكبار النبيين لأن الشعوبية قد طعنت فى جملة هذا المذهب على قضيب النبى ﷺ وعنزته ، وعلى عصاه ومخصرته ، وعلى عصا موسى — لان موسى عليه السلام قد كان اتخذها من قبل أن يعلم ماعند الله فيها ، وإلى مايكون صيُّور أمرها ، ألا ترى أنه

لما قال الله عز وجل : «وما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسَى» قال : « هِيَ عَصَايَ أتوَكَّأُ عَلَيْهَا وأهُشُّ بِهَا على غَنَمِي ولِيَ فِيهَا مآرِبُ أخْرَى ؟ » وبعد ذلك قال : « أَلْقِهَا يا مُوسَى فألقَاها فإذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى » ومن يستطع أن يدعى الإحاطة بما فيها من مآرب موسى الا بالتقريب ، وذكر ما خطر على البال ؟ — وقد كانت العصا لا تفارق يد سليمان بن داود عليهما السلام : فى مقاماته ، ولا صلواته ولا فى موته ولا فى أيام حياته ، حتى جعل الله تسليط الارَضةِ عليها — وسليمان ميت وهو معتمد عليها — من الآيات عند من كان لا يعلم أن الجن لم تكن تعلم إلا ما تعلم الانس

ولو علم القوم أخلاق كل ملة ، وزى أهل كل لغة ، وعللهم فى ذلك ، واحتجاجهم له ، لقل شغبهم ، وكفونا مؤنتهم . وهذه الرهبان تتخذ العصى من غير سقم ولا نقصان فى جارحة ، ولا بد للجاثليق من قناع ، ومن مظلة ، وبُرْطُلَّة [1] ومن عكازة ، ومن عصا ، من غير أن يكون الداعى الى ذلك كبراً ولا عجزاً فى الخلقة وما زال المطيل القيام بالموعظة أو القراءة أو التلاوة يتخذ العصا عند طول القيام ويتوكأ عليها عند المشى ، كأن ذلك زائد فى التكهل والزمانة [2] وفى نفى السخف والخفة

وبالناس حفظك الله أعظم الحاجة إلى أن يكون لكل جنس منهم سيما ، ولكل صنف منهم حلية وسمة يتعارفون بها . قال الفرزدق :

بِهِ نَدَبٌ مِمَّا يَقُولُ ابْنُ غَالِبٍ يَلُوحُ كَمَا لاحَتْ وُسُومُ المُصَدَّقِ [3]

وقال الآخر :

أنارَ حتى صَدَقَتْ يَمانُهُ وظَهَرَتْ مِنْ كَرَمٍ آيَاتُهُ

وأنشد أبو عبيدة :

---

(١) البرطلة : شبه المظلة قيل أن أصلها ابن المظلة ، وليست عند الأصمعى من كلام العرب بل هي نبطية (٢) الزمانة : الرزانة (٣) به ندب : به آثار جروح . وسوم المصدق : العلامات التى يضعها جابى الصدقات على ابل الصدقة ولا تكون هذه الوسوم إلا بالكى

سَقَاها مِيسَمٌ من آلِ عَمْرٍو إذا ما كانَ صاحِبُها جَحِيشا

وذكر بعض الاعراب ضروبا من الوسم فقال :

بِهِنَّ فى خُطَّافِهـا عَلْطٌ وَسَمْ وَحَلَقٌ فى آخِرِ الذِّفْرَى نَظِمْ

مَعْهـا نِظامٌ مِثْلُ خَطِّ بالقَلَمْ وقُرْمَةٌ ولَسْتُ أدْرِى مَنْ قَرَمْ

عَرْضٌ وخَبْطٌ لِمُجَلِّيها الوَسَمْ

وقال الله تبارك وتعالى : « سِيماهُمْ فى وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السُّجُودِ » وكما خالفوا بين الأسماء للتعارف ، وقال عز وجل : « وجَعَلْناكُمْ شُعُوبًا وقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ »

فعند العرب العمة وأخذ المخصرة من السيما ، وقد لايلبس الخطيب الملحفة ولا الجبة ولا القميص ولا الرداء ، والذى لابد منه العمة والمخصرة . وربما قام فيهم وعليه إزاره قد خالف بين طرفيه ، وربما قام فيهم وعليه عِمامته وفى يده مخصرته ، وربما كان قضيباً ، وربما كانت العصا ، وربما كانت قناة . وفى القنا ماهو أغلظ من الساق ، وفيها ماهو أدق من الخنصر ، وقد تكون محكمة الكعوب مثقفة من الاعوجاج ، قليلة الأبن ، وربما كان العود نبعا ، وربما كان شوحطا ، وربما كان من أبنوس ، ومن غرائب الخشب ، ومن كرائم العيدان ، ومن تلك الملس المصفاة ، وربما كانت لب غصن كريم . فان للعيدان جواهر كجواهر الرجال ، ولولا ذلك لما كانت فى خزائن الخلفاء والملوك ، ومنها مالا تقربه الأرضة ولا تؤثر فيه القوادح . والعكاز إذا لم يكن فى أسفله زُجٌّ فهو عصا ، لأن أطول القنا أن يقال : رمح خطل ، ثم رمح نائر ، ثم رمح مخموس ، ثم رمح مربوع ثم رمح مطرد ، ثم عكاز ، ثم عصا ، ثم من العصى نُصْبُ المَساحى ، والمرور ، والقُدم ، والفؤوس ، والمعاول ، والمناجل ، والطبر زينات [1] ثم تكون من ذلك نصب

(١) الطبرزينات : جمع طبرزين ، ومعناه الفأس وأصل الكلمة فارسية : تبر ، تبر ، وهي آلة تستعمل في القتال

السكاكين ، والسيوف ، والمشامل ، وكل سهام نبعية ، وغير ذلك من العيدان التى امتدحها أوس بن حجر ، أو الشماخ بن ضرار ، أو أحد من الشعراء ، فانما هى من كل عصا وكل قوس بندق فانما جىء بقناتها من بروص ، ومدح بيريها وصنعتها عصفور القواس . وقال الرقاشى (١) :

أنْعَتُ قَوْساً نَعْتَ ذِى انْتِفاءْ ... جاءَ بِهَا جالِبُ بِرْوصاءْ
عِنْدَ اعْتِيامٍ مِنْهُ وانْتِصاءْ ... كافِيَةَ الطُّولِ على انْتِهاءْ
مَجْلُوزَةَ الأَكْعُبِ فى اسْتِواءْ ... سالِمَةً مِنْ أَبَنِ السَّيْساءْ
فَلَمْ تَزَلْ مَساحِلُ البَرَّاءْ ... تأْخُذُ مِنْ طَوائِفِ اللِّحاءْ
حتى بَدَتْ كالحَيَّةِ الصَّفْراءْ ... تَرْنُو إلى الطَّائِرِ فى السَّماءْ
بِمُقْلَةٍ سَرِيعَةِ الإِقْذاءْ ... لَيْسَتْ بِكَحْلاءَ ولا زَرْقاءْ

وقال آخر :

قدْ أَغْتَدِى مَلْثَ الظَّلامِ بِفِتْيَةٍ ... لِلرَّمْىِ قدْ حَسَرُوا لهُ عن أَذْرُعِ (٢)
مُتَنَكِّبِينَ خَرائِطاً لِبَنادِقٍ ... مِنْ بَيْنِ مَضْفُورٍ وبينِ مُرَسَّعِ (٣)
بِأَكُفِّهِمْ قُضْبانُ بَرْوَصَ قدعَدَوْا ... لِلطَّيرِ قَبْلَ نُهُوضِها لِلْمَرْتَعِ
تُقْذِى مَنِيَّاتُ الطُّيُورِ عُيُونَها ... يَوْماً إذا رَمِدَتْ بِأَيْدِى النُّزَّعِ
صُفْرِ البُطُونِ كأَنَّ لِيطَ مُتُونِها ... سَرَقُ الحَرِيرِ نَواضِرٌ لم تُشْبَعِ (٤)

وكانت العنزة التى تحمل بين يدى رسول الله ﷺ - وربما جعلوها قبلة -

(١) الرقاشى : هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش ، كان شاعراً مطبوعاً ، نقى الكلام سهل النظام ، من شعراء البرامكة ومن المختصين بهم ، المستظلين بظلهم ، وكان بينه وبين أبى نواس منافرات ومناقضات ، حفظ للبرامكة فضلهم ، فرثاهم بعد نكبتهم ، وعرض نفسه بوفائه لهم لمخاطر جسام (٢) ملث الظلام : اختلاط الليل

(٣) متنكبين خرائطا : حاملين على عواتقهم خرائط البنادق وهى أوعية من أدم . المرسع : المتداخلة سيوره بعضها فى بعض (٤) صفر البطون : خماصها . ليط متونها : ما لزق بها . سرق الحرير : شققه

أشهر وأذكر من أن يحتاج فى تثبيتها إلى ذكر الاسناد . وكانت سيماء أهل الحرم إذا خرجو من الحرم إلى الحل فى غير الأشهر الحرُم أن يتقلدوا القلائد ويعلقوا عليهم العلائق ، وإذا أوذم [١] أحدهم الحج تزيا بزى الحاج واذا ساق بدنة أشعرها [٢] وخالفوا بين سمات الابل والغنم ، وأعلموا البحيرة [٣] بغير علم السائبة ، وأعلموا الحامى [٤] بغير علم الفحول . وكذلك الفَرَع والرجبية والوصيلة والعتيرة [٥] من الغنم ، وكذلك سائر الاغنام السائمة . واذا كانت الابل من حباء ملك غرزوا فى أسنمتها الريش والخرق ؛ ولذلك قال الشاعر :

يَهَبُ الهِجانَ بريشها وَرِعائِها كاللَّيْلِ قَبْلَ صَباحِهِ المُتَبَلِّجِ

وإذا بلغت الابل ألفا فقأوا عين الفحل ، فإن زادت فقأوا العين الأخرى ، فذلك « المفقأ » و « المعمى » . وقال شاعرهم :

فَقَأْتُ لها عَيْنَ الفَحِيلِ تَعَيُّفًا وفِيهِنَّ رَعْلاءُ المَسامِعِ والحام

وقال آخر :

وهَبْ لَنا وأَنْتَ ذُو امتِنانِ نَفْقاءُ فِيها أَعْيُنُ البُعْرَانِ

وقال الآخر :

فَكانَ شُكْرَ القَوْمِ عِنْدَ المِنَنِ كَيُّ الصَّحِيحاتِ وفَقْءُ الأَعْيُنِ

وإذا كان الفحل من الابل كريما قالوا « فحيلٌ » وإذا كان الفحل من النخل كريما قالوا « فحال » وقال الراعى :

كانَتْ نَجائِبُ مُنْذِرٍ ومُحَرِّقٍ أُمَّاتُهُنَّ وطُرْقُهُنَّ فَحِيلا

وكان الكاهن لا يلبس المصبغ ، والعراف لا يدع تذييل قميصه وسحب ردائه

---

(١) أوذم : فرض (٢) أشعرها : علمها أى وضع عليها شعاراً (٣) البحيرة : القلوص التى تنتجها السائبة وكانوا يشقون أذنها . وقد نهى عنها فى قوله : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصلة ولا حام » (٤) الحام : البعير الذى امتد عمره فتركوه بلا انتفاع منه (٥) الفرع : أول نتاج الشاة . والرجبية : شاة كانت تذبح قرباناً للآلهة في رجب . والوصيلة : الشاة تلد ذكراً ثم أنثى . والعتيرة : شاة تذبح لآلهتهم

والحكم لايفارق الوبر . وكان لحرائر النساء زى ، ولكل مملوك زى ، ولذوات الرايات زى . وكان الزبرقان يصبغ عمامته بصُفرة ، وذكره الشاعر فقال :

وأشْهَدُ منْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثيرَةً يَحُفُّونَ سِبَّ الزِّبْرقانِ المُعصْفَرَا

وكان أبو أحيْحة سعيد بن العاص إذا اعتمَّ لم يعتمَّ معه أحد ، هكذا فى الشعر ولعل ذلك أن يكون مقصوراً فى بنى عبد شمس ، وقال أبو قيس بن الأسلت :

وكانَ أبو أحَيْحةَ قدْ عَلِمْتُمْ بمكةَ غيرَ مُهْتَضَمٍ ذَمِيمِ
إذا شَدَّ العِصابةَ ذاتَ يَوْمٍ وقامَ إلى المَجالِسِ والخُصُومِ
فقَدْ حَرُمَتْ على مَنْ كانَ بَيْتِي بمكةَ غيرَ مُدْخِلٍ سَقِيمِ
وكانَ البَحْتَرِىُّ غَداةَ جَمْعٍ يُدافِعُهُمْ بِلُقْمانَ الحَكِيمِ
بأزْهَرَ منْ سَراةِ بَنِى لُؤَىٍّ كَبَدْرِ اللَّيْلِ راقَ على النُّجومِ
هوَ البَيْتُ الذِى بُنِيَتْ عليهِ قُرَيْشُ السرِّ فى الزَّمَنِ القَدِيمِ
وسَطْتَ ذَوَائِبَ الفَرْعَيْنِ مِنْهُم فأنْتَ لُبابُ سرِّهِمِ الصَّمِيمِ

وقال غَيْلانُ بن خرشة للاحنف : يا أبا بحر ، مابقاء مافيه العرب ؟ قال : إذا تقلدوا السيوف ، وشدّوا العمائم ، واستجادوا النعال ، ولم تأخذهم حَمِيّة الأوغاد . قال : وماحمية الأوغاد ؟ قال : أن يعدوا التواهب ذلا . وقال الاحنف : استجيدوا النّعال فإنها خلاخل الرجال . والعرب تسمى السيوف بحمائلها « أردية » وقال على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قولا أحسن من هذا قال : تمام جمال المرأة فى خفها ، وتمام جمال الرجل فى لمته . وممّا يؤكد ذلك قول مجنون بنى عامر :

أأعْقِرُ مِن جَرّا كريمةَ ناقَتِي وَوَصْلِيَ مَفْرُوشٌ لِوَصْلِ منازِلِ
إذا جاءَ قَعْقَعْنَ الحُلِىَّ ولمْ أكُنْ إذا جِئْتُ أرْجُوصَوْتَ تِلكَ الخلاخِلِ
ولمْ تُغْنِ سيجانُ العِراقَيْنِ نَقْرَةً درفْشُ القلنسَى بالرِّجالِ الأطاوِلِ

والعصابة والعمامة سواء ، وإذا قالوا : سيد معمم . فانما يريدون أن كل جناية

يجنيها الجانى فى تلك العشيرة فهى معصوبة برأسه ، وقال دُرَيْدُ بن الصمة [١] :

أبْلِغْ نُعَيْماً وأوْفى إنْ لَقِيتَهُما ... إنْ لم يكنْ كانَ فى سَمْعَيْهِما صَمَمُ [٢]

فلاَ يَزالُ شِهابٌ يُسْتضاءُ بهِ ... يَهْدِى المَقانِبَ مالم تهلكِ الصُّمَمُ [٣]

عارِى الأَشاجِعِ مَعصُوبٌ بِلِمَّتِهِ ... أمْرُ الزَّعامَةِ فى عِرْنِينِهِ شَمَمُ

وقال الكنانى :

تَنَخَّبْتُها لِلنَّسْلِ وهْىَ غَرِيبَةٌ ... فجاءَتْ بهِ كالبدرِ خِرْقاً مُعَمَّما [٤]

فلوْشاتَمَ الفِتْيانَ فى الحَىِّ ظالِماً ... لَمَا وَجَدُوا غيرَ التكذبِ مَشْتَما

ولذلك قيل لسعيد بن العاص « ذو العصابة » وقد قال القائل :

كَعابٌ أبُوها ذُو العِصابةِ وابْنُهُ ... وعُثْمانُ ما أكْفاؤُها بكَثِيرِ

يقولها خالد بن يزيد [٥] .

---

(١) دريد بن الصمة : كان في الجاهلية فارساً مقدماً ، وشجاعاً بطلا ، وشاعراً مخلا ، وكان أطول الفرسان الشعراء غزواً ، وأبعدهم أثراً . وأكثرهم ظفراً ، وأيمنهم نقيبة : وكان سيد بنى جشم وفارسهم وقائدهم فى حروبهم ، غزا نحو مائة غزوة ما أخفق في واحدة منها . أدرك الاسلام ولم يسلم وكان قد شاخ وأصبح لا فضل فيه للحرب ، وأخرجه قومه معهم يوم حنين فى صف المشركين . وإنما أخرجوه تيمنا به ، واستارة برأيه فقتل إذ ذاك عن مائة سنة . وكان ذلك فى سنة ٨ هـ ٦٢٩ م

وهذه الأبيات التى رواها له الجاحظ قالها يوم قتل مجمع بن مزاحم اليربوعى أخاه عبد يغوث بن الصمة ، وكان نازلا بين أظهر بنى الصارد

(٢) وبعد هذا البيت :

فما أخى بأخى سوء فينقصه ... إذا تقارب بابن الصارد القسم

(٣) المقانب جمع مقنب ، والمقنب : القطعة من الجيش . الصمم : الشجعان

(٤) الخرق : الكريم (٥) خالد بن يزيد ، بن معاوية بن أبى سفيان : كان من سادات بنى أمية وعظمائهم ، وكان من المعدودين فى السخاء والعقل والفصاحة ، وكان عالماً جليل القدر ، وشاعراً بليغاً ، وهو أول من نقل كتب اليونان إلى العربية توفى سنة ٨٢ هـ ٧٠١ م . وهذا البيت الذى استشهد به الجاحظ من أبيات قالها حينما طلق

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : العمائم تيجان العرب .

وقيل لاعرابى : إنك لتكثر لبس العمامة ؟ قال : إن شيئاً فيه السمع والبصر لجدير أن يوقى من القرّ .

وذكرت العمامة عند أبى الأسود الدؤلى فقال : جُنَّةٌ فى الحرب ، ومكنة من الحر ، ومَدْفأة من القرّ ، ووقارٌ فى النَّدِىّ ، وواقية من الاحداث ، وزيادة فى القامة ، وهى تعد عادة من عادات العرب . وقال عمرو بن امرئ القيس [1] :

يا مَالِ والسيِّدُ المُعَمَّمُ قدْ ... يُبْطِرُهُ بَعدَ رَأْيِهِ السَّرَفُ

نحنُ بما عِنْدَنا وأنْتَ بما عِـ ... ـدَكَ رَاضٍ والرَّأْىُ مُخْتَلِفُ [2]

وكان من عادة فرسان العرب فى المواسم والجموع وفى أسواق العرب كأيام « عكاظ » و « ذى المجاز » وما أشبه ذلك التقنع ، إلا ما كان من أبى سليط طريف بن تميم أحد بنى عمرو بن جندب فانه كان لا يتقنع ولا يبالى أن يثبت عينه جميع فرسان العرب . وكانوا يكرهون أن يعرفوا ، فلا يكون لفرسان عدوّهم هم غيرهم . ولما أقبل « حَمِيْصَةُ الشيبانى » يتأمل طريفاً قال طريف :

أوَ كلَّما وردَتْ عُكاظُ قَبِيلَةٌ ... بَعَثُوا إلَىَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

فَتَوَسَّمُونِى إننى أنا ذاكُمُ ... شاكٍ سِلاَحِى فى الحَوادِثِ مُعْلَمُ

تَحْنِى الأَغَرُّ وفَوْقَ جِلْدِى نَثْرَةٌ ... زَغْفٌ تَرُدُّ السَّيفَ وهو مُثَلَّمُ

زوجته آمنة بنت سعيد بن العاص وتزوجها بعده الوليد بن عبد الملك . روى منها أبو العباس المبرد هذين البيتين :

فتاة أبوها ذو العصابة وابنه ... وعثمان ما أكفاؤها بكثير

فان تقتلتها والخلافة تنقلب ... بأكرم علقى منبر وسرير

(١) عمرو بن امرىء القيس : كان يكنى أبا سريح ، وهو أحد بنى الحارث بن الخزرج ، وهو جد عبد الله بن رواحة ، كان شاعراً فحلا ، وكان من حكام العرب وقضاتهم . وهذان البيتان هما من أبيات قالها يخاطب بها مالك بن العجلان حين رد قضاءه فى واقعة من وقائع الأوس والخزرج (٢) أراد : نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض فكف عن خبر الأول إذ كان في الآخر معناه

ولِكلِّ بَكْرِيٍّ إلَيَّ عَدَاوَةٌ وأَبُو رَبِيعَةَ شانِئٌ ومُحَلَّمُ

فكان هذا من شأنهم ، وربما مع ذلك أعلم الفارس منهم نفسه بسيما ، كان حمزة يوم بدر معلّما بريشة نعامة حمراء ، وكان الزبير معلما بعمامة صفراء ، ولذلك قال درهم بن زيد :

إنَّكَ لاقٍ غَداً غُوَاةَ بَنِى المَلَكاءِ فانْظُرْ ما أنْتَ مُزْدَهِفُ (١)

يَمْشُونَ فى البَيْضِ والدُّرُوعِ كَما تَمْشِي جِمالٌ مَصاعِبٌ قُطُفُ (٢)

فأبْدِ سِماكَ يَعْرِفُوكَ كَما يُبْدُونَ سِماهُمْ فَتَعْتَرِفُ

وكان « المقنع الكندى (٣) الشاعر ، واسمه « محمد بن عمير » كان الدهر مقنعا ، والقناع من سيما الرؤساء ، والدليل على ذلك ، والشاهد الصادق ، والحجة القاطعة ، أن رسول الله ﷺ كان لايكاد يرى إلا مقنعا ، وجاء فى الحديث «حتى كأنّ الموضع الذى يصيب رأسه من ثوبه ثوب دهان» . وكان « المقنع » (٤)

---

(١) روى أبو الفرج الأصبهانى هذا البيت هكذا :

انك لاق غدا غواة بنى عمى فانظر ما أنت مزدهف

(٢) وهذا البيت يرويه أبو الفرج لمالك بن العجلان من قصيدة له وبعده :

كما تمشى الأسود في رهج الموت إليه وكلهم لهف

ويظهر أن الجاحظ قد خلط بين قصيدتى درهم بن زيد ومالك بن العجلان وكثيراً ما يفعل . ومن الغريب أن الجاحظ لم يذكر مالك بن العجلان ضمن هؤلاء الذين يتقنعون أو يخفون أنفسهم فى الحرب ، لأن مالكا كان إذا شهد الحرب يغير لباسه ويتنكر لئلا يعرف فيقصد . ولهذا قال له درهم في أبياته : فأبد سماك .

(٣) المقنع الكندى : اسمه محمد بن ظفر بن عمير ، والمقنع لقب غلب عليه لأنه فيما قيل كان أجمل الناس وجهاً ، وأمدهم قامة ، وأكملهم خلقاً . وقد زعموا أنه كان إذا سفر اللثام عن وجهه أصابته العين فيمرض ويلحقه عنت ، فكان لايمشى إلا مقنعاً. وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان ذا محل كبير وشرف ومروءة وسودد فى عشيرته ، مع جود وسخاء ، وسماحة وكرم ، وكان لا يرد سائلا ، ولا يخيب قاصداً (٤) المقنع : هو المقنع الخراسانى ، اسمه عطاء . كان في مبدأ أمره قصاراً من أهل مرو من قرية يقال لها كره ، وكان مشوه الخلق أعور قصيراً ، وكان

الذى خرج بخراسان يدعى الربوبية لايدع القناع فى حال من الحالات ، وجهل ادعاء الربوبية من جهة المناسخة فادعاها من الوجه الذى لايختلف فيه الأحمر والاسود والمؤمن والكافر أن باطله مكشوف كالنهار لايعرف فى شىء من الملل والنحل القول بالتناسخ إلا من هذه الفرقة من الغالية ، وهذا « المقنع » كان قصاراً من أهل مرو ، وكان أعور ألكن ، فما أدرى أيهما أعجب : أدعواه بانه رب ، أو إيمان من آمن به وقاتل دونه ؟ وكان اسمه عطاء .

وقال الآخر :

إذا المَرْءُ أثْرَى ثمَّ قالَ لِقَوْمِهِ ... أنا السَّيِّدُ المُفْضَى اليهِ المُعَمَّمُ

ولم يُعطِهِمْ شيئاً أبَوْا أنْ يَسُودَهُمْ ... وهانَ عَلَيهِمْ زَعمُهُ وهوَ أَلْوَمُ

وقال آخر :

إذا كَشَفَ اليَوْمُ العَماسُ مِنَ اسْتِهِ ... فَلاَ يَرْتَدِى مِثْلِى ولا يَتَعَمَّمُ

قالوا : وكان « مصعب بن الزبير » يتعمم العقداء وهو أن يعقد العمامة فى القفاء .

وكان « محمد بن سعد بن أبى وقاص » الذى قتله الحجاج يعتم الميلاء .

وقال الفرزدق :

ولوْ شَهِدَ الخيلَ ابنُ سَعْدٍ لَقَنعُوا ... عِمامَتَهُ المَيْلاءَ عَضْباً مُهَنَّدَا

يعرف شيئاً من الشعبذة والنيرنجيات فاستغوى العامة وضعاف العقول واستمالهم وجمع منهم جموعا وخرج على الدولة مدعياً النبوة لابل الربوبية . ومن شعبذته أنه خيل للناس صورة قمر يطلع ويراه الناس من مسافة بعيدة ، واتخذ لنفسه وجهاً من ذهب تقنع به ليحجب دمامته وسوء خلقه ، وكان يقول بالحلول فيزعم أن الله حل في ادم ثم فى نوح ثم في نبى بعد نبى حتى حل فيه ، وعمر قلعة سنام فيما وراء النهر من رستاق كيش وتحصن فيها وجمع فيها الطعام والعلوفة وبث دعاته في الناس فطلبه المهدى ووجه إليه الجيوش فحاصرته فلما أيقن بالهلاك جمع إليه نساءه وسائر أهله وسقاهم السم فماتوا عن آخرهم ثم أحرق كل ما كان بالقلعة من دابة وطعام وثياب وألقى نفسه في النار . وذلك فى سنة ١٦٣ هـ ٧٧٩ م

وقال شمعلة بن أخضر الضبي :

جَلَبْنا الخيلَ مِن أطْرَافِ فَلْجٍ ... تَرَى فِيهَا مِنَ الغَزْوِ اقْوِرَارا
بِكلِّ طِمِرَّةٍ وبِكلِّ طِرْفٍ ... يَزِينُ سَوَادُ مُقْلَتِهِ العِذَارا
حَوَالَى عاصِبٍ بالتَّاجِ مِنَّا ... جَبِينَ أغَرَّ يَسْتَلِبُ الدُّوَارا
رَئِيسٌ ما يُنَازِعُهُ رَئِيسٌ ... سِوَى ضَرْبِ القِدَاحِ إذا اسْتَشَارا

وأنشد :

إذا لَبِسُوا عَمَائِمَهُمْ طَوَوْها ... على كَرَمٍ وإنْ سَفَرُوا أنارُوا
يَبِيعُ ويَشْتَرِي لهُمُ سِوَاهُمْ ... ولَكِنْ بالطِّعَانِ هُمُ تِجَارُ
إذا ما كُنْتَ جارَ بَنِي لُؤَيٍّ ... فأنْتَ لأكْرَمِ الثَّقَلَيْنِ جارُ

وأنشد :

ودَاهِيَةٍ جَرْهَا جارِمٌ ... جَعَلْتَ رِدَاءَكَ فِيهَا خِمَارا

ولذكر العمائم مواضع ، قال زيد بن كثوة العنبرى :

مَنَعْتَ مِنَ العُبَّارِ أطْهَارَ أُمِّهِ ... وبَعْضُ الرِّجالِ المدَّعِينَ زَنَاهُ
فجاءَتْ بِهِ عَبْلَ القَوَامِ كأنَّما ... عِمامَتُهُ فَوْقَ الرِّجالِ لِوَاهُ

لأن العمامة ربما جعلوها لواء ، ألا ترى أن « الأحنف بن قيس » يوم « مسعود بن عمرو » حين عقد « لعبس بن طلق » اللواء إنما نزع عمامته من رأسه فعقدها له ؟

وربما شدوا بالعمائم أوساطهم عند المجهدة ، وإذا طالت العقبة . ولذلك قال شاعرهم :

فَسِيرُوا فَقَدْ جَنَّ الظَّلامُ عَلَيكُمُ ... فَباسْتِ الذِي يَرْجُو القِرَى عِندَ عاصِمِ
دُفِعْنا إلَيْهِ وهْوَ كالذِّيخِ حاظِياً ... نَشُدُّ على أكْبادِنا بالعَمائِمِ (١)

وقال الفرزدق :

بَنِي عاصِمٍ إنْ تَلْحَبُوها فإنَّكُمْ ... مَلاحِي لِسُوآتِ دُسُمُ العَمائِمِ

(١) الذيخ : حيوان خبيث قالوا أنه يتولد بين الذئب والضبع

وقال آخر :

خَليليَّ شُدَّا لِي بِفَضْلِ عِمَامَتِي ... على كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ إلَّا صَمِيمُهَا

العرب تلهج بذكر النعال ، والفرس تلهج بذكر الخفاف . وفى الحديث المأثور أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الحمر والصفر ، ويقولون هو من زينة نساء آل فرعون .

وأما قول شاعرهم :

إذا اخضَرَّتْ نِعالُ بَنى غُرَابٍ ... بَغَوْا ووَجَدْتَهُمْ أسْرَى لِئاما

لم يُرد صفة النعل ، وإنما أراد بأنهم إذا اخضرت الأرض وأخصبوا طغوا وبغوا ، كما قال الآخر :

وأطْوَلُ فى دَارِ الحِفاظِ إقامَةً ... وأوزَنُ أحْلاماً إذا النعْلُ أخْضَلا

ومثل قوله :

يا ابْنَ هِشَامٍ أهْلَكَ النَّاسَ اللَّبَنْ ... فَكلُّهُمْ يَسْعَى بِسَيفٍ وقَرَنْ

وأما قول الآخر :

وكَيفَ أَرَجِّي أنْ أسُودَ عَشِيرَتِى ... وأُمِّيَ مِنْ سَلْمَى أبُوها وخالُها

رَأيتُكُمُ سُوداً جِعادًا ومالِكٌ ... مُخَصَّرَةٌ بِيضٌ سِباطٌ نِعالُها

فلم يذهب إلى مدح النعال فى أنفسها ، وإنما ذهب إلى سباطة أرجلهم وأقدامهم ، ونفى الجعودة والقصر عنهم ، وقال النابغة :

رِقاقُ النِّعالِ طَيِّبٌ حُجزَاتُهُم ... يُحَيَّوْنَ بالرَّيْحانِ يَومَ السَّبَاسِبِ

يَصُونُونَ أجْسادًا قَدِيمٌ نَعِيمُها ... بخالصَةِ الأرْدَانِ خُضْرِ المَناكِبِ

قال: وبنو الحارث بن سدوس لم ترتبط حماراً قط ، ولم تلبس نعلا قط إذا انقبت ، وقد قال قائلهم :

ونُلْقِي النِّعالَ إذا تُقُبِّتْ ... ولا نَسْتَمِينُ بأخْلاقِها

ونَحْنُ الدُّؤابَةُ مِنْ وائِلٍ ... إلَيْنا تَمُدُّ بأعْناقِها

وهم رهط « خالد بن معمر » يقول فيه شاعرهم :

مُعاوِيَ أمِّرْ خالِدَ بنَ مُعَمَّرٍ فإنَّكَ لولاَ خالِدٌ لم تُؤَمَّرِ

وقائلهم يقول :

أغاضِبَةً عَمرُو بنُ شَيْبانَ أنْ رأتْ عَدِيدَيْنِ من جَرْثومَةٍ ودَخِيسِ

فلوْ شاءَ رَبّى كانَ أيْرُ أبيكُمُ طويلاً كأَيْرِ الحارِثِ بنِ سَدُوسِ

وكان عمر رضى الله تعالى عنه جعل رياسة بكر « لمَجْزَأَةَ بن ثَوْرٍ » ، فلما استشهد مجزأة جعلها أبو موسى لخالد بن المعمر ، ثم ردها عثمان على « شقيق بن مجزأة » بن ثور ، فلما خرج أهل البصرة إلى صفين تنازع شقيق وخالد الرياسة فصيرها عند ذلك على إلى حُضين بن المنذر فرضى كل واحد منهما ، وكان يخاف أن يصيرها إلى خصمه ، فسكنت بكر وعرف الناس صحة تدبير على رضى الله تعالى عنه فى ذلك . وأما قول الآخر :

يا لَيْتَ لى نَعْلَيْنِ من جِلْدِ الضَّبُعْ وشَرَكاً مِن أسْتِها لا تَنْقَطِعْ

كلّ الحِذاءِ يَحْتَذِى الحافِى الوَقِعْ

فهذا كلام محتاج ، والمحتاج يتجوز . أما قول « النجاشى »[1] لهند بن عاصم :

إذا اللهُ حَيَّا صالِحاً من عِبادِهِ كَرِيماً فَحيَّا اللهُ هِنْدَ بنَ عاصِمِ

وكلُّ سَلُولِيٍّ إذا ما لَقِيتَهُ سَرِيعٌ إلى داعِى النَّدَى والمَكارِمِ

ولا يأكلُ الكلْبُ السَّرُوقُ نِعالَهُمْ ولا تَنْتَقِى المُخَّ الَّذِى فى الجَماجِمِ

فقال يونس : كانوا لا يأكلون الأدمغة ولا ينتعلون إلا بالسبت

وقال كثير :

إذا نُبِذَتْ لم تَطْبِ الكلابَ رِيحُها وإنْ وُضِعَتْ فى مَجْلِسِ القَوْمِ شُمِّتِ

(١) النجاشى : اسمه قيس بن عمرو بن مالك من بنى الحارث بن كعب . شاعر فحل من شعراء اليمن ، أسلم فيمن أسلم من قومه ، وكان من شيعة على كرم الله وجهه يوم صفين ، وكان رقيق الدين

وقال عتيبة بن الحارث وهو ابن فسوة :

إلى مَعْشَرٍ لا يَخْصِفُونَ نِعالَهُم ولا يَلْبَسُونَ السِّبْتَ مالم يُخَصَّرِ

وإذا مدح الشاعر النعال بالجودة فقد بدأ يمدح لابسها قبل أن يمدحها قال الله تبارك وتعالى لموسى على نبينا وعليه السلام « إخْلَعْ نَعلَيْكَ إنك بالوَادِى المُقدَّسِ طُوَى »

وقال بعض المفسرين : كان من جلد غير ذكىّ . وقال الزبيرى : ليس كما قال ، بل أعلمه حق المقام الشريف ، والمدخل الكريم . ألا ترى أن الناس إذا دخلوا إلى الملوك ينزعون نعالهم خارجاً ؟ قال : وحدثنا سلام بن مسكين قال : ما رأيت الحسن إلا وفى رجليه النعل ، رأيته على فراشه وهى فى رجليه ، وفى مسجده وهو يصلى وهى فى رجليه . وكان بكر بن عبد الله تكون نعله بين يديه فإذا نهض إلى الصلاة لبسها ؛ وروى ذلك عن عمرو بن عبيد ، وهاشم الأوقص ، وحوشب ، وكلاب ، وعن جماعة من أصحاب الحسن

وكان الحسن يقول : ما أعجب قوماً يرون أن رسول الله ﷺ صلى فى نعليه فلما انفتل من الصلاة علم أنه قد كان وطئ على كذا وكذا ، وأشباهاً لهذا الحديث ، ثم لا نرى أحداً منهم يصلى منتعلا

وأما قوله :

قامَ بَنَاتى بالنِّعالِ حَوَاسِراً وأَلْصَقْنَ وَقْعَ السِّبْتِ تَحْتَ القَلائِدِ

فإن النساء ذوات المصائب إذا قعدن فى المناحات كن يضربن صدورهن بالنعال .

وقال محمد بن يسير :

كَمْ أَرَى من مُسْتَعجِبٍ من نِعالٍ ورِضائى مِنْها بِلُبْسِ البَوَالى

كلّ جَرْدَاءَ قد تَحيَّفَها الخَصـــفُ بأَقْطارِها بسَرْوِ النِّعالِ

لا تُدانى وليسَ تُشْبِهُ فى الخِلـــقةِ إنْ أُبْرِزَتْ نِعالَ المَوَالِى

لا ولا عنْ تَقادُمِ العَهْدِ مِنْها بَلِيتْ لا ولا لِبَكْرِ اللَّيالِى

ولقدْ قُلْتُ حِينَ أُوثِرُ ذا الْوِدْ ... دِ عَلَيْهَا بِثَرْوَتِي وَبِمَالِي
مَنْ يُغَالِي مِنَ الرِّجَالِ بِنَعْلٍ ... فَسَوَائِي إِذَا بِهِنَّ يُغَالِي
أَوْ بِغَاهُنَّ لِلْجَمَالِ فَإِنِّي ... فِي سِوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمَالِي
فِي إِخَائِي وَفِي وَفَائِي وَرَأْيِي ... وَعَفَافِي وَمَنْطِقِي وَفِعَالِي
مَا وَقَانِي الْحِفَا وَبَلَّغَنِي الْحَا ... جَةَ مِنْهَا فَإِنَّنِي لَا أُبَالِي

وقال خلف الأحمر :

سَقَى حُجَّاجَنَا نَوْءُ الثُّرَيَّا ... عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَطْلٍ وَبُخْلِ
هُمُ جَمَعُوا النِّعَالَ فَأَحْرَزُوهَا ... وَسَدُّوا دُونَهَا بَابًا بِقُفْلِ
إِذَا أَهْدَيْتُ فَاكِهَةً وَشَاةً ... وَعَشْرَ دَجَايِجٍ بَعَثُوا بِنَعْلِ
وَمِسْوَاكَيْنِ طُولُهُمَا ذِرَاعٌ ... وَعَشْرٌ مِنْ رِدِيِّ الْمُقْلِ خَشْلِ
فَإِنْ أَهْدَيْتُ ذَاكَ لِتَحْمِلُونِي ... عَلَى نَعْلٍ فَدَقَّ اللهُ رِجْلِي

وقال كثير :

كَأَنَّ ابْنَ لَيْلَى حِينَ يَبْدُو فَتَنْجَلِي ... سُجُوفُ الْخِبَاءِ عَنْ مَهِيبٍ مُشَمَّتِ
مُقَارِبُ خَطْوٍ لَا يُغَيِّرُ نَعْلَهُ ... رَهِيفُ الشَّرَاكِ سَهْلَةُ الْمُتَسَمَّتِ
إِذَا طُرِحَتْ لَمْ تَطَّبِ الْكَلْبَ رِيحُهَا ... وَإِنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ شُمِّتِ

وقال بشار :

إِذَا وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ نَعْلُهَا ... تَضَوَّعَ مِسْكًا مَا أَصَابَتْ وَعَنْبَرَا

ولما قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لصعصعة بن صوحان فى المنذر ابن الجارود ماقال ، قال صعصعة : يا أمير المؤمنين ، لئن قلت ذاك إنه لنظار فى عطفيه ، تفال فى شراكيه ، تعجبه حُمرة برديه .

وذم رجل ابن التوام فقال : رأيته مشحم النعل ، دَرِن الجورب ، مغضَّن الخف ، دقيق الجربان .

وقال الهيثم : يمين لا يحلف بها الأعرابى أبداً ، أن يقول : لا أورد الله لك

صادراً ، ولا أصدر لك وارداً ، ولا حططت رحلك ، ولا خلعت نعلك .

وقال آخر :

عَلِقَ الفُؤَادُ بِرَيِّقِ الجَهْلِ وأَبَرَّ واسْتَعْصَى عَلَى الأَهْلِ
وَصَبَا وقدْ شابتْ مَفارِقُهُ سَفَهًا وكيفَ إصابَةُ الكَهْلِ
أدْرَكتُ مُعْتَصَرِي وأدْرَكَنِي حِلْمِي ويَسَّرَ قائِدِي نَعْلِي

﴿ ثم رجع الكلام الى القول فى العصا ﴾

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى تعظيم شأن عصا موسى على نبينا وعليه السلام : الدابة ينشق عنها الصفا ، معها عصا موسى وخاتم سليمان ، تمسح المؤمن بالعصا وتختم الكافر بالخاتم .

وجعل الله تبارك وتعالى أكبر آداب النبى ﷺ فى السواك وحض عليه ﷺ . والمسواك لا يكون إلا عصا .

وقال أبو الوجيه : قضبان المساويك البشام ، والضرو ، والغمم ، والاراك ، والعرجون ، والجريد ، والإسحل

وقد يلبس الناس الخفاف والقلانس فى الصيف ، كما يلبسونها فى الشتاء ، إذا دخلوا على الخلفاء وعلى الامراء وعلى السادة والعظماء ، لان ذلك أشبه بالاحتفال وبالتعظيم والاجلال ، وأبعد من التبذل والاسترسال . وأجدر أن يفصلوا بين مواضع أنسهم فى منازلهم ، ومواضع انقباضهم .

وللخلفاء عمة ، وللفقهاء عمة ، وللبغالين عمة ، وللاعراب عمة ، وللصوص عمة ، وللأبناء عمة ، وللروم والنصارى عمة ، ولا صحاب التشاجى عمة

ولكل قوم زى : فللقضاة زى ، ولا صحاب القضاة زى ، وللشرط زى ، وللكتاب زى ، ولكتاب الجند زى ؛ ومن زيهم أن يركبوا الحمير ، وإن كانت الهماليج لهم معرضة

وأصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب : فمنهم من يلبس المبطنة ،

ومنهم من يلبس الدراعة ، ومنهم من يلبس القباء ، ومنهم من يلبس الباز بكمند ويعلق الخنجر ويأخذ الجرز ويتخذ الجمة

وزى مجالس الخلفاء فى الصيف : القطن ، وفى الشتاء : فرش الصوف ، وترى أن ذلك أجزل وأكمل وأفخم وأقبل ، ولذلك وضعت ملوك العجم على رؤسها التيجان ، وجلست على الأسرة ، وظاهرت بين الفرش . وهل يملأ عيون الاعداء ، ويرعب قلوب المخالفين ، ويحشو صدور العوام إفراط التعظيم ، وتعظيم شأن السلطان والزيادة فى الاقدار ، إلا الآلات ؟ وهل دواؤهم إلا فى التهويل عليهم ؟ وهل يصلحهم إلا إخافتك إياهم ؟ وهل ينقادون لما فيه الحظ لهم ، ويسلمون بالطاعة التى فيها صلاح أمورهم ، إلا بتدبير يجمع المحبة والمهابة ؟

وكانت الشعراء تلبس الوشى والمقطعات والأردية السود وكل ثوب مشهّر ، وقد كان عندنا منذ نحو من خمسين سنة شاعر ينزيا بزى الماضين ، وكان له برد أسود يلبسه فى الصيف والشتاء فهجاه بعض الطياب من الشعراء فقال فى قصيدة له :

بِعْ بُرْدَكَ الاسْوَدَ قَبْلَ البَرْدِ فى قِرَّةٍ تأتيكَ صِمًّا صَرْدِ

وكان لجربان قميص بشار الاعمى وجبته لبنتان ، فكان إذا أراد نزع شىء منهما أطلق الأزرار فسقطت الثياب على الاوض ولم ينزع قميصه من جهة رأسه قط « وقُدُوَيْهِ العدوى الشحاجى » لم يلبس قميصا قط ، وهو اليوم حى ، وهو شيخهم . وسعيد بن العاص الجواد الخطيب لم ينزع قميصه قط . فقدوية الشحاجى ضد سعيد بن العاص الاموى .

وقال الحطيئة :

سَعِيدٌ فلاَ تَغْرُرْكَ قِلَّةُ لَحْمِهِ تَخَدَّدَ عنْهُ اللَّحْمُ وهُوَ صَلِيبُ

وكان شديد السواد نحيفا .

ومن شأن المتكلمين أن يشيروا بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم ، فاذا أشاروا بالعصا فكأنهم قد وصلوا بأيديهم أيدياً أخر . ويدلك على ذلك قول الانصارى حيث يقول :

وسارَتْ لَنا سَيَّارَةٌ ذاتُ سُؤْدُدٍ بكُوم المَطايا والخُيُولِ الجماهِرِ
يَؤُمُّونَ مَلْكَ الشَّامِ حتى تمكَّنُوا مُلُوكاً بأَرْضِ الشَّامِ فوْقَ المَنابِرِ
يُصِيبُونَ فَصْلَ القَوْلِ فى كلِّ خُطْبَةٍ إذا وَصَلُوا أيمانَهُمْ بالمخاصِرِ

وقال الكميت بن زيد :

ونَزُورُ مَسْلَمَةَ المُهَذَّ ذَبَ بالمُؤَيَّدَةِ السَّوَائِرْ
بالمُذْهَبَاتِ المُعْجِبا تِ لِمُفْحَمٍ مِنَّا وشاعِرْ
أهْلِ التَّجارِبِ فى المحا فِلِ والمَقاوِلِ بالمخاصِرْ

وأيضا إن حمل العصا والمخصرة دليل على التأهب للخطبة ، والتهيؤ للاطناب والاطالة ، وذلك شيء خاص فى خطباء العرب ومقصور عليهم ومنسوب إليهم ، حتى انهم ليذهبون فى حوائجهم والمخاصر فى أيديهم اتقاء وتوقعاً لبعض مايوجب حملها والاشارة بها

وعلى ذلك المعنى أشار النساء بالمآلى وهن قيام فى المناحات . وعلى ذلك المثال : ضرب الصدور بالعمال

وإنما يكون العجز والذلة فى دخول الخلل والنقص على الجوارح ، فأما الزيادة فيها فالصواب فيه ، وهل ذلك الا كتعظيم كور العمامة ، واتخاذ القضاة القلانس العظام فى حمارة القيظ ، واتخاذ الخلفاء العمائم على القلانس ؟ فان كانت القلانس مكشوفة زادوا فى طولها وحدة رؤسها حتى تكون فوق قلانس جميع الامة ، وكذلك القناع لأنه أهيب

وعلى ذلك المعنى كان يتقنع « العباس بن محمد » و « عبد الملك بن صالح » و « العباس بن موسى » وأشباههم . و « سليمان بن أبى جعفر » و « عيسى بن جعفر » و « اسحق بن عيسى » و « محمد بن سليمان » ثم « الفضل بن الربيع » و « السندى بن شاهك » واشباههما من الموالى . لأن ذلك أهيب فى الصدور وأجل فى العيون . والمتقنع أروع من الحاسر ، لأنه إذا لم يفارقه الحجاب وإن

كان ظاهراً فى الطرق وكان أشبه بملاينة العوام وسياسة الرعية . وطرح القناع ملابسة وابتذال ومؤانسة ومقاربة

والدليل على صواب هذا العمل من بنى هاشم ، ومن صنائعهم ، ورجال دعوتهم ، وأنهم قد علموا حاجة الناس إلى أن يهابوهم ، وأن ذلك هو صلاح شأنهم ، أن رسول الله ﷺ كان أكثر الناس قناعا

والدليل على أن ذلك كان فى الاسلاف المتبوعين أنا نجد رؤساء جميع أهل الملل وأرباب النحل على ذلك . ولذلك اتخذوا فى الحروب الرايات والاعلام ، وإنما ذلك كله خرق سود وحمر وصفر وبيض . وجعلوا اللواء علامة للعقد ، والعلم فى الحروب مرجعا لصاحب الجولة . وقد علموا أنها وإن كانت خرقاً على عصىّ أن ذلك أهيب فى القلوب ، وأهول فى الصدور ، وأعظم فى العيون . ولذلك أجمعت الامم رجالها ونساؤها على إطالة الشعور ، لان ذا الجمة أضخم هامة وأطول قامة ، والكاسى أفخم من العارى ، ولولا أن حلق الرأس طاعة وعبادة وتواضع وخضوع ، وكذلك السعى ورمى الجمار ، لما فعلوا ذلك . وفى الحديث : انه لايفتح عمورية إلا رجال ثيابهم ثياب الرهبان ، وشعورهم شعور النساء . وكل مازادوه فى الابدان ووصلوه فى الجوارح فهو زيادة فى تعظيم تلك الابدان

والعصىّ والمخاصر — مع الذى عددناه ، ومع الذى ذكرناه ، ونريد ذكره من خصال منافعها — كله باب واحد فى المعنى

والمغني قد يوقع بالقضيب على أوزان الأغانى ، والمتكلم قد يشير برأسه ويده على أقسام كلامه وتقطيعه ، ففرقوا ضروب الحركات على ضروب الألفاظ وضروب المعانى ، ولو قبضت يده ومنع حركة رأسه لذهب ثلثا كلامه

وقال عبد الملك بن مروان : لو ألقيت الخيزرانة من يدى لذهب شطر كلامى

وأراد معاوية سحبان وائل على الكلام ، وقد كان اقتضبه اقتضاباً ، فلم ينطق حتى أتوه بمخصرة فرطلها بيده فلم تعجبه ، حتى أتوه بمخصرته من بيته . والمثل

المضروب بعصا الأعرج يقولون : أقرب من عصا الأعرج ، ويضربون المثل بعصا النهدى ، وقال علقمة فى صفة فرس أنثى :

سُلَاءَةٌ كعَصا النَّهْدِى غُلَّ لها مُنَظَّمٌ من نَوَى قُرَّانَ مَعْجُومُ

ويضربون المثل برميح أبى سعد ، وكان أبو سعد أعرج وفد فى وفد عدوان . قال ذو الأصبع العدوانى :

إنْ تَكُنْ شِكَّتى رُمَيْحَ أبى سَعْـ ـدٍ فَقَدْ أَحْمِلُ السِّلاحَ مَعاً

قال عباس بن مرداس :

جَزَى اللهُ خيراً خيرَنا لِصَدِيقِهِ وزَوَّدَهُ زَاداً كَزَادِ أبى سَعْدِ

وزَوَّدَهُ صِدْقاً وبِرّاً ونائِلاً وما كانَ فى تِلْكَ الوِفادَةِ من حَمْدِ

وقال آخر :

فآبَ بِجَدْوَى زامِلٍ وابنُ زامِلٍ عَدُوُّكَ أوجَدْوَى كُلَيْبِ بنِ وائِلِ

ويقولون : لو كان فى العصاسير ؟ ويقولون : ماهو إلا أبنة عصا ، وعقدة رشا . ويقولون : أخرج عوده كعصا البقار . وأخرج عوده كعصا الحادى .

وكان أبو العتاهية أهدى إلى أمير المؤمنين المأمون عصا نبع ، وعصا شريان ، وعصا أبنوس ، وعصى أخرى كريمة العيدان ، شريفة الاغصان ، وأردية قطرية ، وركاء يمانية ، ونعالا سبتية ، فقبل من ذلك عصا واحدة وردّ الباقى . وبعث اليه مرة أخرى بنعل وكتب اليه :

نَعْلٌ بَعَثْتُ بِها لِتَلْبَسَها تَسعَى بها قَدَمٌ إلى المَجْدِ

لو كنتُ أقْدِرُ أن أُشِرَّكَها خَدِّى جَعَلْتُ شِرَاكَها خَدِّى

فقبلها

الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، أن الشجرة التى نودى منها موسى على نبينا وعليه السلام هى عوسج ، وأنه نودى من جوف العوسج ، وأن عصاه كانت من آس الجنة ، وأنها كانت من العود الذى فى وسط الورقة ، فكان

طولها طول موسى عليه السلام . وقالوا من العليق .

وقال آخر :

صَفْرَاءُ من نَبْعٍ كلَوْنِ الوَرْسِ أَبْدَأُها بالدَّهْنِ قَبْلَ نَفْسِي

وأنشد الاصمعى عن بعض الاعراب :

ألا قالَتِ الخَنْساءُ يَوْمَ لَقِيتُها كَبِرْتَ ولم تَجْزَعْ مِنَ الشَّيْبِ مَجْزَعا
رَأَتْ ذا عَصاً يَمْشِي عَلَيْها وشَيْبَةٍ تَقَنَّعَ مِنْها رَأْسُهُ ما تَقَنَّعا
فَقُلْتُ لها لا تَهْزَئِي بى فَقَلَّما يَسُودُ الفَتَى حتى يَشِيبَ ويَصْلَعا
وللقارِحُ اليَعْبُوبُ خيرٌ علالَةً مِنَ الجَذَعِ المُجْرَى وأَبْعَدُ منزَعا

وقال اسحق بن سويد :

فى رِدَاءِ النبىِّ أَقْوَى دَلِيلٍ ثمَّ فى العَقْبِ والعَصا والقَضِيبِ

وقال أبو الشيص الاعمى [1] فى هرون الرشيد :

يا بَنى هاشِمٍ أَفِيقُوا فإنَّ الـ ـمُلْكَ مِنكُمْ حَيْثُ العَصا والرِّدَاءُ
ما لِهرُونَ فى قُرَيْشٍ كِفَاءٌ وقُرَيْشٌ لَيْسَتْ لهُمْ أَكْفاءُ

وقال الآخر :

على خَشَباتِ المُلْكِ مِنْهُ مَهابَةٌ وفى الحَرْبِ عَبْلُ السَّاعِدَيْنِ قَرُوعُ

(١) أبو الشيص : هو محمد بن رزين بن سليمان بن تميم ، وهو عم دعبل بن على الخزاعى . وأبو الشيص لقب غلب عليه ، وكنيته أبو جعفر . شاعر معروف يعد فى طبقة دون طبقة مسلم بن الوليد ، وأشجع السلمى ، وأبى نواس ، وكان منقطعاً إلى عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعى أمير الرقة ، صرف أكثر شعره فى مدحه وأغناه عقبة عن سؤال غيره . قال عبد الله بن المعتز : قال لى أبو خالد العامرى : من أخبرك أنه كان في الدنيا أشعر من أبى الشيص فكذبه ، والله لكان الشعر أهون عليه من شرب الماء على العطشان . قلت : وأنا لا تعجبنى هذه الأحكام ولا أعنى بمن يصدرها لما فيها من المجازفة وعدم التقدير ، ولخلوها من البرهان الذى يقيم أودها . قيل أن أبا الشيص كف بصره فى أواخر عمره ومات مقتولا بيد غلام في سنة ١٩٦ هـ ٨١١ م

يَشُقُّ الوَغَى عنْ رَأْسِهِ فَضْلُ نَجْدَةٍ وأَبْيَضُ منْ مَاءِ الحَدِيدِ وَقِيعُ

ومما يجوز أيضاً فى العصا قول أبى الشيص :

أَنْعَى فَتى الجودِ إلى الجودِ ما مِثْلُ مَنْ أَنْعَى بموجودِ
أَنْعَى فَتى مصَّ الثرَى بعدَهُ بقيَّةَ المـاءِ منَ العُودِ

ومن هذا البأب قول عبد الله بن جُدعان :

فلمْ أرَ مِثْلَهُمْ حَيَّيْنِ أبْقَى على الحَدَثانِ إنْ طَرَقَتْ طُرُوقا
وأصبرَ عِنْدَ ضَنْكِ الأَمْرِ منْهُمْ وأَسْلَكَهُمْ لأَحْزَنِهِ طريقَا
شَرِيْتُ صلاحَهُمْ بِتلادِ مَالِى فَعادَ الغُصْنُ مُعْتَدِلاً ورِيقَا

ويقولون للرجل إذا أفاد وأثرى وكثرت نعمته : ضع عصاك. وقد وضع عصاه . وقال أبو الأعور سعيد [1] بن زيد بن عمرو بن نفيل :

وتَجرُّ الأَذْيالَ فى نِعْمَةٍ زَوْ لِ تَقُولانِ :ضَعْ عَصاكَ لِدهْرِ

ويقولون للمستوطن فى البلد والمستطيب للمكان : قد ألقى عصاه . وقال زهير ابن أبى سُلمى :

فلمَّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقًا جِمامُهُ وضَعْنَ عُصِيَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ [2]

---

(١) كان سعيد من السابقين الأولين في الاسلام ، وكان اسلام عمر عنده في بيته لا نه كان زوج أخته فاطمة . هاجر وشهد أحداً والمشاهد بعدها ، ولم يشهد بدراً ، وكان شجاعاً فارساً ، وشاعراً بليغاً توفى سنة ٥١ هـ ٦٧١ م عن ثلاث وسبعين سنة

(٢) وردن الماء: جئنه وحللن به ، وهى مياه المحاضر التى كانوا ينزلون بها في غير زمن المرتبع . زرقا جمامة : صاف ماؤه على كثرته ، وأنه لم يكدره وارد قبلهن . وهذا البيت من قصيدة مشهورة ضمن المعلقات ، وأولها :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

كتاب الزهد

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

نبـدأ باسم الله وعونه بشيء من كلام النساك فى الزهد ، وبشيء من ذكر أخلاقهم ومواعظهم

عوف عن الحسن قال : لا تزول قدما ابن آدم حتى يسأل عن ثلاث : شبابه فيم أبلاه ، وعمره فيم أفناه ، وماله من أين كسبه وفيم أنفقه .

وقال يونس بن عبيد : سمعت ثلاث كلمات لم أسمع بأعجب منهن ، قول حسان بن أبى سنان : ما شيء أهون من ورع ، إذا رابك أمر فدعه . وقول ابن سيرين : ما حسدت أحداً على شيء قط . وقول مؤرق العجلى : لقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة ما قضاها ولا يئست منها . فقيل لمؤرق: ماهى ؟ قال : ترك مالا يعنينى

وقال أبوحازم الأعرج : إن عوفينا من شر ما أعطينا لم يُضرنا فقد مازوى عنا

وقال أبو عبد الحميد : لم أسمع أعجب من قول عمر : لو أن الصبر والشكر بعيران ما باليت أيهما ركبت

وقال ابن ضُبارة : إنا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة ، أهون من الصبر على عذاب الله

وقال زياد عبد عَياش بن أبى ربيعة : أنا من أن أمنع الدعاء أخوف منى من أن أمنع الإجابة

وقال له عمر بن عبد العزيز رحمه الله : يا زياد ، إنى أخاف الله مما دخلت فيه . قال : لست أخاف عليك أن تخاف ، وإنما أخاف عليك أن لا تخاف . وقال

بعض النساك : كفى موعظة أنك لا تموت إلا بحياة ، ولا تحيا إلا بموت . وهو الذى قال : إصحب من ينسى معروفه عندك . وهو الذى قال : لا تجعل بينك وبين الله منعما ، وعدّ النعم منه عليك مغرماً

ودخل سالم بن عبد الله مع هِشام بن عبد الملك البيتَ فقال له هشام : سلنى حاجتك . قال : أكره أن أسأل فى بيت الله غير الله

وقيل لرابعة القيسية : لو كلمنا رجال عشيرتك فاشتروا لك خادماً تكفيك مؤنة بيتك ؟ فقالت : والله إنى لأستحى أن أسأل الدنيا من يملك الدنيا فكيف أسألها من لا يملكها ؟

وقال بعض النساك : ديارُكم أمامكم ، وحياتكم بعد موتكم

وقال السموأل بن عادياء اليهودى :

مَيتاً خُلقتُ ولمْ أكُنْ منْ قَبلها شَيئاً بموتُ فمتُّ حينَ حَييتُ

وقال أبو الدَّرداء : كان الناس ورقاً لاشوك فيه ، وهم اليوم شوك لاورق فيه

الحسن بن دينار ، قال : رأى الحسن رجلا يكيد بنفسه فقال : إنّ أمراً هذا آخره ، لجدير أن يزُهد فى أوله ، وإن أمراً هذا أوله ، لجدير أن يخاف آخره

وقال أبو حازم : الدنيا غرَّت أقواماً ، فعملوا فيها بغير الحق ، ففاجأهم الموت ، فخلفوا ما لهم لمن لا يحمدهم ، وصاروا إلى من لا يعذرهم ، وقد خُلفنا بعدهم فينبغى لنا أن ننظر إلى الذى كرهناه منهم فنجتنبه ، وإلى الذى غبطناهم به فنستعمله

موسى بن داود رفع الحديث قال : النظر إلى خمسة عبادة : النظر إلى الوالدين ، والنظر إلى البحر ، والنظر إلى المصحف ، والنظر إلى الصخرة ، والنظر إلى البيت

عبد الله بن شداد قال : أربع من كُن فيه برئ من الكبر : من اعتقل البعير وركب الحمار ، ولبس الصوف ، وأجاب دعوة الرجل الدون

وذكر عند أنس الصوم فقال : ثلاث من أطاقهن فقد ضبط أمره : من تسحر ومن قال [١] ، ومن أكل قبل أن يشرب ، وشرب ثم لم يأكل ، فقد ضبط نفسه

وقال الجماز [٢] : ليس يقوى على الصوم إلا من كثر لَقمه ، وطاب أدمه

مجالد بن سعيد عن الشعبي قال : حدثني مُرّة الهمدانى ـ قال مجالد : وقد رأيته ـ وحدثنا إسماعيل بن أبى خالد أنه لم ير مثل مُرّة قط ، كان يصلى فى اليوم والليلة خمسمائة ركعة . وكان مُرة يقول لما قتل عثمان رضى الله تعالى عنه : حمدت الله ألا أكون دخلت فى شىء من قتله ، فصليت مائة ركعة ، فلما وقع الجمل وصفين حمدت الله ألا أكون دخلت فى شىء من تلك الحروب ، وزدت مائتى ركعة ، فلما كانت وقعة النهروان حمدت الله إذ لم أشهدها ، وزدت مائة ركعة ، فلما كانت فتنة ابن الزبير حمدت الله إذ لم أشهدها وزدت مائة ركعة .

---

(١) قال : من القيلولة ، النوم فى الظهيرة (٢) الجماز : هو ابن أخت سلم الخاسر ، كان شاعراً جيد القريحة فى الهجاء ، وكان ظريفاً مستهتراً ، هجا أبا العتاهية وعبد الصمد بن المعذل والجاحظ وغيرهم فلم يقم له منهم أحد . ومن أفضل ما قاله في أبي العتاهية قوله ، وقد دخل عليه وهو ينشد قثم بن جعفر بن سليمان ، فأنشأ يقول :

ما أقبح التزهيد من واعظ ... يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقا ... أضحى وأمسى بيته المسجد
يخاف أن تنفد أرزاقه ... والرزق عند الله لا ينفد
والرزق مقسوم على من ترى ... يناله الأبيض والأسود

وهجا الجماز عبد الصمد بن المعذل بقوله:

ابن المعذل من هو ... ومن أبوه المعذل
سألت وهبان عنه ... فقال : بيض محول

ووهبان هذا كان رجلا يبيع الدجاج . فقال عبد الصمد يهجو الجماز :

نسب الجماز مقصور إليه منتهاه ... يترا آى نسب الناس فما يخفى سواه
يتحاجى في أبي الجماز من هو كاتباه ... ليس يدرى من أبو الجماز إلا من يراه

هذه رواية أبي الفرج ، ومن الغريب أن يموت بن المزرع روى هذا الشعر للجاحظ فى الجماز كما أثبتناه فى ترجمته في صدر الجزء الأول

وأنا أسأل الله أن يغفر لمرة ، على أنا لا نعرف لبعض ماقال وجها ، لانك لا تعرف فقيها من أهل الجماعة لايستحل قتال الخوارج كما أنا لا نعرف أحداً منهم لا يستحل قتال اللصوص ، وهذا ابن عمر وهو رئيس الحلسية وزعيمهم قد لبس السلاح لقتال نجدة . وقيل لشُريح : الحمد لله الذى سلمك من القتال فى شىء من هذه الفتن . قال : فكيف أصنع بقلبى وهواى ؟ وقال الحسن : قتل الناقة رجلٌ واحد ، ولكنّ الله عمّ القوم بالعذاب لأنهم عمّوه بالرضا . وسئل عمر بن عبد العزيز عن قتلة عثمان وخاذليه وناصريه فقال : تلك دماء كفّ الله يدى عنها فأنا أحب ألا أغمس لسانى فيها

ودخل أبو الدرداء على رجل يعوده فقال : كيف تجدك ؟ قال : أفرق من الموت . قال : فمن أصبت الخير كله ؟ قال : من الله . قال : فلم تفرق ممن لم تصب الخير كله إلا منه ؟

ولما قذف ابرهيم عليه السلام فى النار قال له جبرائيل عليه السلام : ألك حاجة ياخليل الله ؟ قال : أما إليك فلا .

ورأى بعض النساك صديقا له من النساك مهموما فسأله عن ذلك فقال : كان عندى يتيم أحتسب فيه الأجر ، فمات . قال : فاطلب يتيما غيره ، فإن ذلك لا يعدمك إن شاء الله تعالى ؟ قال : أخاف ألا أصيب يتيما فى سوء خلقه ؟ قال : أما إنى لو كنت مكانك لم أذكر سوء خلقه .

ودخل بعض النساك على صاحب له وهو يكيد بنفسه فقال : طب نفساً فإنك تلقى ربا رحيما . قال : أما ذنوبى فإنى أرجو أن يغفرها الله لى ، وليس اغتمامى إلا لمن أدَعُ من بناتى . قال له صاحبه : الذى ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجه يحفظ بناتك !

وكان مالك بن دينار يقول : لو كانت الصحف من عندنا لا قللنا الكلام وقال يونس بن عبيد : لو أمرنا بالجزع لصبرنا . وكان يقول كسبت فى هذه

السوق ثمانين ألف درهم مافيها درهم إلا وأنا أخاف أن أسأل عنه

سمع عمرو بن عبيد عبد الرحمن بن حذيفة يقول : قال الحطيئة : إنما أنا حسبٌ موضوع . فقال عمرو : كذب ترحه الله ، ذلك التقوى .

وقال أبو الدرداء : نِعْمَ صومعة المؤمن منزل يكف فيه نفسه وبصره وفرجه وإياكم والجلوس فى هذه الاسواق فإنها تلغى وتلهى

(عظة بالغة للحسن البصرى)

وقال الحسن : يا ابن آدم ، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً . يا ابن آدم ، إذا رأيت الناس فى الخير فنافسهم فيه ، وإذا رأيتهم فى الشر فلا تغبطهم فيه . الثواء ههنا قليل ، والبقاء هناك طويل . أمتكم آخر الامم ، وأنتم آخر أمتكم ، وقد أسرع بخياركم فماذا تنظرون ؟ المعاينة ؟ فكأن قد . هيهات هيهات ذهبت الدنيا بحالها ، وبقيت الأعمال قلائد فى أعناق بنى آدم ، فيالها موعظة لو وافقت من القلوب حياة . أما إنه والله لا أمة بعد أمتكم ، ولا نبى بعد نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم . أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم ، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحقه آخركم . من رأى محمداً ﷺ فقد رآه غاديا ورائحا ، لم يضع لبنةً على لبنةٍ ، ولا قصبة على قصبة ، رفع له علم فشمر إليه . فالوحاء الوحاء . والنجاء النجاء ، علام تعرجون ، أتيتم ورب الكعبة . قد أسرع بخياركم وأنتم كل يوم ترذلون ، فماذا تنتظرون ؟ إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ على علم منه ، اختاره لنفسه ، وبعثه برسالته ، وأنزل عليه كتابه ، وكان صفوته من خلقه ورسوله إلى عباده ، ثم وضعه من الدنيا موضعاً ينظر إليه أهل الأرض ، وآتاه منها قوتا وبلغة ، ثم قال « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » فرغب أقوام عن عيشه ، وسخطوا مارضى له ربه ، فأبعدهم الله وسحقهم . يا ابن آدم طأ الأرض بقدمك فانها عن قليل قبرك ، واعلم أنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك . رحم الله رجلا نظر فتفكر ، وتفكر فاعتبر ، وأبصر فصبر ، فقد

أبصر أقوام ولم يصبروا ، فذهب الجزع بقلوبهم ، ولم يدركوا ماطلبوا ، ولم يرجعوا إلى ما فارقوا . يا ابن آدم ، اذكر قوله « وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً » عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك ، خذوا صفاء الدنيا وذروا كدرها ، فليس الصفو ماعاد كدراً ، ولا الكدر ماعاد صفواً . دعوا ما يَريبكم إلى مالا يريبكم ، ظهر الجفاء ، وقلت العلماء ، وعَفَتِ السُّنَّةُ ، وشاعت البدعة ، لقدصحبت أقواماً ما كانت صحبتهم إلا قرة العين ، وجلاء الصدور ، ولقد رأيت أقواماً كانوا لحسناتهم أشفق من أن ترد عليهم منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها ، وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم الله عليكم منها ، مالى أسمع حسيساً ، ولا أرى أنيساً ؟ ذهب الناس وبقى النساس ، لو تكاشفتم ما تدافنتم ، تهاديتم الأطباق ، ولم تتهادوا النصائح . قال ابن الخطاب : رحم الله امرا أهدى إلينا مَساوينا . أعدوا الجواب فإنكم مسئولون . المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ، ولكنه أخذه من قِبَل ربه ، إن هذا الحق قد جهد أهله وحال بينهم وبين شهواتهم ، وما يصبر عليه إلا من عرف فضله ورجا عاقبته ، فمن حمد الدنيا ذم الآخرة ، وليس يكره لقاء الله إلا مقيم على سخطه . يا ابن آدم ، الايمان ليس بالتحلى ولا بالتمنى ، ولكنه ما وقر فى القلب وصدقه العمل

وكان إذا قرأ « أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ » قال : عمَّ ألهاكم ؟ عن دار الخلود ، وجنة لا تبيد ، هذا ، والله فضح القوم ، وهتك الستر ، وأبدى العُوار ، تنفق مثل دينك فى شهواتك سرفا ، وتمنع فى حق الله درهما ؟ ستعلم يالكع . الناس ثلاثة : مؤمن وكافر ومنافق . فأما المؤمن فقد ألجمه الخوف ، وقوّمه ذكر العرض وأما الكافر فقد قمعه السيف ، وشرده الخوف ، فأذعن بالجزية ، وسمح بالضريبة وأما المنافق ففى الحجرات والطرقات ، يُسرّون غير ما يعلنون ، ويُضمرون

غير ما يُظهرون . فاعتبروا إنكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة . ويلك ، قتلت وليه ثم تتمنى عليه جنته ؟

وكان يقول : رحم الله رجلا خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه ، فان وافقه حمد ربه وسأله الزيادة من فضله ، وإن خالفه أعتب وأناب ، وراجع من قريب ، رحم الله رجلا وعظ أخاه وأهله فقال : يا أهلى ، صلاتكم صلاتكم ، زكاتكم زكاتكم ، جيرانكم جيرانكم ، إخوانكم إخوانكم ، مساكينكم مساكينكم ، لعل الله يرحمكم . فان الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده فقال « وكان يأمرُ أهلهُ بالصلاةِ والزَّكاةِ وكانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا » يا ابن آدم ، كيف تكون مسلماً ولم يسلم منك جارك ؟ وكيف تكون مؤمناً ولم يأمنك الناس ؟

وكان يقول : لا يستحق أحد حقيقة الايمان حتى لا يعيب الناس بعيب هو فيه ، ولا يأمر باصلاح عيوبهم حتى يبدأ باصلاح ذلك من نفسه فإنه إذا فعل ذلك لم يصلح عيباً إلا وجد فى نفسه عيباً آخر ، ينبغى له أن يصلحه . فاذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره ، وإنك ناظر إلى عملك بوزن خيره وشره ، فلا تحقرن شيئاً من الخير وإن صغر ، فانك إذا رأيته سرك مكانه ، ولا تحقرن شيئا من الشر وإن صغر ، فانك إذا رأيته ساءك مكانه .

وكان يقول : رحم الله عبداً كسب طيباً ، وأنفق قصداً ، وقدم فضلا ، وجهوا هـذه الفضول حيث وجهها الله ، وضعوها حيث أمر الله ، فان من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم ، ويؤثرون بالفضل . ألا إن هذا الموت قد أضر بالدنيا ففضحها ، فلا والله ما وجد ذوُلُب فيها فرحا ، فاياكم وهذه السبل المتفرقة التى جماعها الضلالة ، ومعادها النار ؟ أدركت من صدر هذه الأمة قوماً كانوا إذا جنهم الليل ، فقيام على أطرافهم ، يفترشون خدودهم ، تجرى دموعهم على خدودهم يناجون مولاهم فى فكاك رقابهم ؛ إذا عملوا الحسنة سرتهم ، وسألوا الله أن يتقبلها منهم ، وإذا عملوا سيئة ساءتهم ، وسألوا الله أن يغفرها لهم . يا ابن

آدم ، إن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس هاهنا شيء يغنيك ، وإن كان يغنيك مايكفيك فالقليل من الدنيا يكفيك . يا ابن آدم ، لاتعمل شيئا من الحق رياء ، ولا تتركه حياء

وكان يقول : إن العلماء كانوا قد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا ، وكانوا يقضون بعلمهم على أهل الدنيا مالا يقضى أهل الدنيا بدنياهم فيها . وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم لأهل العلم رغبة فى علمهم ، فأصبح اليوم أهل العلم يبذلون علمهم لأهل الدنيا رغبة فى دنياهم ، فرغب أهل الدنيا بدنياهم عنهم ، وزهدوا فى علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم

وكان يقول : لاأذهب إلى من يوارى عنى غناه، ويبدى لى فقره، ويغلق دونى بابه ، ويمنعنى ماعنده ، وأدع من يفتح لى بابه ويبدى لى غناه ويدعونى إلى ماعنده .

وكان يقول : يا ابن آدم ، لاغنى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر ، مؤمن مهتم ، وعلج أغتم ، وأعرابى لافقه له . ومنافق مكذب ، ودنياوى مترف . نعق بهم ناعق فاتبعوه ، فراش نار ، وذبان طمع . والذى نفس الحسن بيده ماأصبح فى هذه القرية مؤمن إلا أصبح مهموماً رزيناً ، وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله . الناس مادامو ا فى عافية مستورون ، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم : فصار المؤمن إلى إيمانه ، والمنافق إلى نفاقه . أى قوم ، إن نعمة الله عليكم أفضل من أعمالكم ، فسارعوا إلى ربكم فإنه ليس لمؤمن راحة دون الجنة ، ولا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همه.

وقال الحسن فى يوم فطر - وقد رأى الناس وهيآتهم - : إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضماراً لخلقه ، يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته ، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا ، فالعجب من الضاحك اللاعب فى اليوم الذى يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون . أما والله لو أن كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسىء باساءته ، عن ترجيل شعر ، أو تجديد ثوب .

﴿ عظات لعمر بن الخطاب ﴾

وحدث عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال : ألناس طالبان : طالب يطلب الدنيا فارفضوها فى نحره ، فإنه ربما أدرك الذى طلب منها فهلك بما أصاب منها ، وربما فاته الذى طلب منها فهلك بما فاته منها . وطالب يطلب الآخرة فإذا رأيتم طالب الآخرة فنافسوه .

وحدث عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال : أيها الناس : إنه أتى علىّ حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن أنه إنما يريد به الله وماعنده ، ألا وقد خيل إلىّ أن أقواما يقرأون القرآن يريدون به ما عند الناس . ألا فأريدوا الله بقراءتكم ، وأريدوه بأعمالكم . فإنا كنا نعرفكم إذا الوحى ينزل وإذا النبى ﷺ بين أظهرنا . فقد رُفع الوحى ، وذهب النبى ﷺ فانما أعرفكم بما أقول لكم . ألا فمن أظهر لنا خيراً ظننا به خيراً وأثنينا به عليه ، ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه . أقدعوا هذه النفوس عن شهواتها فانها طلّعة ، فانكم إلا تقدعوها تنزع بكم إلى شرّ غاية . إن هـذا الحق ثقيل مرئ ، وإن الباطل خفيف وبئ ، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة . ورب نظرة زرعت شهوة ، وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا .

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعـد فكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل .

وقال أبو حازم الأعرج : وجدت الدنيا شيئين : شيئاً هو لى لن أعجله دون أجله ولو طلبته بقوة السموات والارض . وشيئاً هو لغيرى لم أنله فيما مضى ولا أناله فيما بقى . يمنع الذى لى كما يمنع الذى لغيرى منى . ففى أى هذين أفنى عمرى وأهلك نفسى ؟

ودخل على بعض ملوك بنى مروان فقال : يا أبا حازم ، ما المخرج مما نحن فيه ؟ قال : تنظر إلى ماعندك فلا تضعه إلا فى حقه ، وما ليس عندك فلا تأخذه إلا بحقه

قال : ومن يطيق ذلك يا أبا حازم ؟ قال : فمن أجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين . قال : ما مالك ؟ قال : مالان . قال : ماهما ؟ قال : الثقة بما عند الله ، واليأس مما فى أيدى الناس . قال : إرفع حوائجك إلينا . قال : هيهات ، رفعتها إلى من لا تختزل الحوائج دونه . فإن أعطانى منها شيئاً قبلت ، وإن زوى عنى شيئاً رضيت

وقال الفضيل بن عياض : يا ابن آدم ، إنما يفضلك الغنىُّ بيومين ، أمس قد خلا ، وغد لم يأت ، فإن صبرت يومك أحمدت أمرك وقويت على غدك ، وإن جزعت يومك أذممت أمرك وضعفت عن غدك ، وإن الصبر يورث البرء ، وإن الجزع يورث السقم ، وبالسقم يكون الموت ، وبالبرء تكون الحياة

وقال الحسن : أبا فلان ، أترضى هذه الحال التى أنت عليها للموت إذا نزل بك ؟ قال : لا . قال : أفتحدث نفسك بالإنتقال عنها إلى حال ترضاها للموت إذا نزل بك ؟ قال : حديثاً بغير حقيقة . قال : أفبعد الموت دار فيها مستعتب ؟ قال : لا . قال : فهل رأيت عاقلا رضى لنفسه بمثل الذى رضيت به لنفسك ؟

﴿ كلام منسوب لسيدنا عيسى ﴾

قال عيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليه « ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، وإلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها ، فأماتوا منها ما خشوا أن يميت قلوبهم ، وتركوا منها ماعلموا أن سيتركهم » ورأوه يخرج من بيت مومسة فقيل له : يا روح الله ما تصنع عند هذه ؟ قال : إنما يأتى الطبيب المرضى . وقال حين مر ببعض الخلق فشتموه ، ثم مر بآخرين فشتموه ، فكلما قالوا شراً قال خيراً فقال له رجل من الحواريين : كلما زادوك شراً زدتهم خيراً ، حتى كأنك إنما تغربهم بنفسك وتحثهم على شتمك ! قال : كل إنسان يعطى مما عنده . وقال : ويلكم ياعبيد الدنيا ، كيف تخالف فروعكم أصولكم ، وعقولكم أهواؤكم . قولكم شفاء يبرئ الداء ،

وعملكم داء لا يقبل الدواء. ولستم كالكرمة التى حبر ورقها، وطاب ثمرها، وسهل مرتقاها. بل أنتم كالثمرة التى قل ورقها، وكثر شوكها، وصعب مرتقاها. ويلكم يا عبيد الدنيا. جعلتم العمل تحت أقدامكم من شاء أخذه. وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم لا يستطاع تناولها. لا عبيد أتقياء ولا أحرار كرام. ويلكم أجراء السوء ألأجر تأخذون، والعمل تفسدون. سوف تلقون ما تحذرون. يوشك رب العمل أن ينظر فى عمله الذى أفسدتم، وفى أجره الذى أخذتم. ويلكم غرماء السوء، تبدؤن قبل قضاء الدين بالنوافل. تطوعون وما أمرتم به لا تؤدون، إن رب الدين لا يقبل الهدية حتى يقضى دينه

وكان أبو الدرداء يقول: أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب، واحذر أن تظلم من لا ناصر له إلا الله. وقال وزر العبد:

لَعَمْرُ أبى المَمْلُوكُ ما عاشَ إنَّهُ ... وإنْ أعجَبَتْهُ نَفْسُهُ لَذَلِيلُ

تَرَى النَّاسَ أنصَاراً عليهِ ومالَهُ ... مِنَ النَّاسِ إلاَّ ناصِرُونَ قَلِيلُ

وقال شيخ من أهل المدينة: المعرِّض بالناس اتقى صاحبه ولم يتق ربه.

وكان بكر بن عبد الله يقول: أطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم. وقال: من كان له من نفسه واعظ عارضه ساعة الغفلة وحين الحمية

وقال على رضى الله تعالى عنه للأشتر: أنظر فى وجهى؟ حين جرى بينه وبين الأشعث بن قيس ما جرى

وكانت العجم تقول: إذا غضب الرجل فليستلق، وإذا أعيا فليرفع رجليه

وقال أبو الحسن: كان لرجل من النساك شاة، وكان معجباً بها، فجاء يوماً فوجدها على ثلاث قوائم فقال: من صنع هذا بالشاة؟ قال غلامه: أنا. قال: ولم؟ قال: أردت أن أغمك. قال: لاجرم لأغمن الذى أمرك بغمى. إذهب فأنت حر

سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو بن علقمة قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس وهو يقول: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه من ذلك

الصبر إلا كان ما عاضه الله أفضل مما انتزع منه. ثم قرأ « إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ »

أخبرنا أبو الحسن على بن محمد عن أصحابه قال : حضرت عمرو بن عبيد الوفاة فقال لعديله : نزل بى الموت ولم أتأهب له ، اللهم إنك تعلم أنه لم يسنح لى أمران لك فى أحدهما رضى ولى فى الآخر هوى إلا آثرت رضاك على هواى ، فاغفر لى .

ولما خبر أبو حازم سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للمذنبين قال : فأين رحمة الله ؟ قال أبو حازم « قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ »

قالوا : وخرج عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه من داره فرأى فى دهليزه أعرابيا فى بَتٍّ ، أشعث ، غائر العينين ، مشرف الحاجبين ، فقال : يا أعرابى ، أين ربك ؟ قال : بالمرصاد .

وكان الاعرابى عامر بن عبد قيس وكان ابن عامر سيره اليه

قال : وغدا أعرابى من طيء مع امرأة له فاحتلبا لبنا ثم قعدا يتجمعان. فقالت له امرأته : أنحن أنعم عيشاً أم بنو مروان ؟ قال : هم أطيب طعاماً منا ، ونحن أردأ كسوة منهم . وهم أنعم منا نهاراً ، ونحن أظهر منهم ليلا

قال : وعظ عمر بن الخطاب رجلا فقال : لا يلهك الناس عن نفسك فان الأمر يصير إليك دونهم ، ولا تقطع النهار سادراً فانه محفوظ عليك ما عملت . وإذا أسأت فأحسن فانى لم أر شيئاً أشد طلبا ولا أسرع دركاً من حسنة حديثة لذنب قديم .

قال : وكان بلال بن مسعود يقول: زاهدكم راغب ، ومجتهدكم مقصر ، وعالمكم جاهل ، وجاهلكم مغتر .

مسلمة بن محارب قال : قال عامر بن عبد قيس : الدنيا والدة للموت ، ناقضة للمبرم ، مرتجعة للعطية ، وكل من فيها يجرى إلى مالا يدرى ، وكل مستقر فيها

غير راض بها ، وذلك شهيد بأنها ليست بدار قرار .

قال الحسن : من أيقن بالخلف جاد بالعطية .

وقال أسماء بن خارجة : اذا قدمت المودة سمج الثناء

وقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القُرَظى : عظنى؟قال : لا أرضى نفسى لك ، إنى لأصلى بين الغنى والفقير فأميل على الفقير وأوسع على الغنى .

وقال الحسن : ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل

قال : وكان أبو بكر رضى الله عنه إذا قيل له : مات فلان. قال : لا إله إلا الله . وكان عثمان يقول : فلا إله إلا الله . وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه كثيراً ما ينشد :

لا تَزَالُ تَنْعَى مَيِّتاً حتى تكُونَهْ وقدْ يَرْجو الفَتى الرجا فيَمُوتُ دُونَهْ

وركب سليمان بن عبد الملك يوماً فى زى عجيب ، فنظرت إليه جارية فقالت : إنك لمعنى ببيتى الشاعر . قال : وماهما ؟ فأنشدته :

أنْتَ نِعْمَ المَتاعُ لوْ كُنْتَ تَبْقَى غيرَ أنْ لا بَقاءَ لِلإنْسَانِ

لَيْسَ فِيما بَدَا لَنا مِنْكَ عَيْبٌ كانَ في النَّاسِ غيرَ أنَّكَ فانِ

قال : ويلك ، نعيت إلى نفسى ؟

قال : وصام رجل سبعين سنة ثم دعا الله فى حاجة لم يستجب له فرجع إلى نفسه فقال : منك أُتيت . فكان اعترافه أفضل من صومه . وقال : من تذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته فى ظلم عباده

وقال الحسن : إذا سرك أن تنظر إلى الدنيا بعدك فانظر إليها بعد غيرك.

وكان الحسن يقول : ليس الايمان بالتمنى ، ولا بالتحلى ، ولكن ما وقر فى القلوب وصدقه العمل

ومات ذر بن أبى ذر الهمدانى من بنى مرهبة ـ وهو ذر بن عمر بن ذر ـ فوقف أبوه على قبره فقال : يا ذر ، شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك . ثم قال :

اللهم إنك وعدتنى بالصبر على ذر ، صلواتك ورحمتك اللهم ، وقد وهبت ما جعلت لى من أجر على ذرّ لذرّ فلا تعرفه قبيحاً من عمله . اللهم وقد وهبت له إساءته إلىّ فهب لى إساءته إلى نفسه فإنك أجود وأكرم . فلما انصرف عنه التفت إلى قبره فقال : ياذرّ ، قد انصرفنا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك .

سحيم بن حفص قال : قال هانئ بن قبيصة لحرقة ابنة النعمان — ورآها تبكى — : مالك تبكين ؟ قالت : رأيت لأهلك غضارة . ولم تمتلئ دار قط فرحا إلا امتلأت حزنا

ونظرت امرأة أعرابيـة إلى امرأة حولها عشرة من بنيها كأنهم الصقور فقالت : لقد ولدت أمكم حزنا طويلا

وقال النبى ﷺ لأزواجه « أسرعكن لحاقا بى أطولكن يداً » فكانت عائشة تقول : أنا تلك أطولكن يداً . فكانت زينب بنت جحش ، وذلك أنها كانت امرأة كثيرة الصدقة وكانت صناعاً تصنع بيدها وتبيعه وتصدق به . قال الشاعر :

فَما إنْ كانَ أكثرَهُمْ سَوَاماً وَلكِنْ كانَ أطْوَلَهُمْ ذِراعا

وكان الحسن يقول : ما أنعم الله على عبد نعمة إلا وعليه فيها تبعة ، إلا ما كان من نعمته لسليمان على نبينا وعليه السلام فان الله عز وجل قال عز ذكره : « هَذَا عَطاؤُنا فامْنُنْ أو أمْسِكْ بِغَيرِ حِسَابٍ »

وباع عبـدالله بن عتبة بن مسعود أرضاً بثمانين ألفاً ، فقيل له : لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخراً ؟ قال : أنا أجعل هذا المال ذخراً لى عند الله ، واجعل الله ذخراً لولدى . وقسم المال

وقال رجل : صحبت الربيع بن خيثم سنتين ، فما كلمنى إلا كلمتين ، قال لى مرة : أمك حية ؟ وقال لى مرة أخرى : كم فى بنى تميم من مسجد ؟ وقال أبو فروة : كان طارق صاحب شرط خالد بن عبد الله القسرى مرّ بابن شُبرمة — وطارق فى موكبه — فقال ابن شُبرمة :

أرَاها وإنْ كانَتْ تُحبُّ فإنها سَحابةُ صَيْفٍ عَنْ قَرِيبٍ تَقْشَعُ

اللهم لى دينى ولهم دنياهم . فاستعمل ابن شُبرمة على القضاء بعد ذلك ، فقال ابنه : أتذكر قولك يوم مرّ طارق فى موكبه ؟ فقال : يا بنى ، إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد أبوك مثلهم ، يا بنى إن أباك أكل من حلوائهم وحط فى أهوائهم

قال الحسن : من خاف الله أخاف منه كل شىء ، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شىء . وقال الحسن : ما أعطى رجل من الدنيا شيئاً إلا قيل له : خذه ومثله من الحرص

قال : ومرّ مروان بن الحكم فى العام الذى بويع فيه بزُرارة بن جُزَى الكلابى — وهم على ما لهم — فقال : كيف أنتم آل جزى ؟ قالوا : بخير ، زرعنا الله فأحسن زرعنا ، وحصدنا فأحسن حصادنا

وقال الحسن : ابن آدم ، إنما أنت عدد ، فإذا مضى يوم فقد مضى بعضك مسلمة قال : وقال الحسن : بن آدم ، إن كان يغنيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يغنيك ؛ وإن كان لا يغنيك منها ما يكفيك فليس فيها شىء يغنيك . قال : نزل الموت بفتى كان فيه رمق فرفع رأسه فإذا أبواه يبكيان عند رأسه . فقال : ما لكما تبكيان ؟ قالوا : تخوفاً عليك من الذى كان منك من إسرافك على نفسك . فقال : لا تبكيا ، فوالله ما يسرنى أن الذى بيد الله بأيديكما

أبو الحسن عن على عن عبد الله القرشى قال : قال قتادة : يعطى الله العبد على نية الآخرة ما شاء من الدنيا ، ولا يعطى على نية الدنيا إلا الدنيا

عوانة قال : قال الحسن : قدم علينا بِشر بن مَروان أخو الخليفة وأمير المصرين وأشبّ الناس ، فأقام عندنا أربعين يوماً ، ثم طعن فى قدمه فمات فأخرجناه إلى قبره ، فلما صرنا به إلى الجبانة فإذا نحن بأربعة سودان يحملون صاحباً لهم إلى قبره ، فوضعنا السرير فصلينا عليه ، ووضعوا صاحبهم فصلوا عليه ، ثم حملنا بشراً إلى قبره ، ودفنا بشراً ، ودفنوا صاحبهم ، ثم انصرفوا وانصرفنا ، ثم

التفتُّ التفاتة فلم أعرف قبر بشر من قبر الحبشى . فلم أرشيئاً قط كان أعجب منه

وقال عبد الله بنُ الزُّبَعْرَى :

والعَطِيَّاتُ خِسَاسٌ بَيْنَنَا وسَوَاءٌ قَبرُ مُثْرٍ ومُقِلْ

وتقول الحكماء : ثلاثة أشياء يستوى فيها الملوك والسوقة ، والعلية والسفلة ، الموت ، والطلق ، والنزع

وقال الهيثم بن عدى عن رجاله : بينا حُذيفة بن اليمان وسلمان الفارسى يتذاكران أعاجيب الزمان وتغير الأيام ـ وهما فى عرصة إيوان كسرى ـ وكان أعرابى من غامد يرعى شويهات له نهاراً فإذا كان الليل صيَّرهن الى داخل العرصة ، وفى العرصة سرير رخام كان كسرى ربما جلس عليه ـ فصعدت غنيمات الغامدى على سرير كسرى ، فقال سلمان : ومن أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدى على سرير كسرى

قال : لما انصرف على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه من صفين مر بمقابر فقال : السلام عليكم أهل الديار الموحشة ، والمحال المقفرة ، من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، أنتم لنا سلف فارط ، ونحن لكم تبع ، وبكم عما قليل لاحقون . اللهم اغفر لنا ولهم ، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم ، الحمد لله الذى جعل الأرض كِفاتاً أحياء وأمواتاً ، والحمد لله الذى منها خلقكم ، وعليها يحشركم ، ومنها يبعثكم ، طوبى لمن ذكر المعاد ، وأعد للحساب ، وقنع بالكفاف .

وقال عمر رضى الله تعالى عنه : استغزروا العيون بالتذكر

وقال الشاعر :

سَمِعْنَ بهَيْجَا أوْجَفَتْ فَذَكَرْنَهُ ولا يَبْعَثُ الاحزانَ مِثْلُ التَّذَكُّرِ

وقال أعرابى :

لا تُشْرِفَنَّ يَفاعاً إنَّهُ طَرِبٌ ولا تُغَنِّ إذا ما كُنْتَ مُشْتاقا

قال ابن الاعرابى : سمعت شيخا اعرابيا يقول : إنى لأسر بالموت ولا دين ولا بنات .

على بن الحسن قال : قال صالح المرى : دخلت دار الموريانى فاستفتحت ثلاث آيات من كتاب الله استخرجتها حين ذكرت الحال فيها قوله «فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا» وقوله : «ولَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ» وقوله «فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا» قال : فخرج إلى أسود من ناحية الدار فقال : يا أبا بشر هذا سخط المخلوق ، فكيف سخط الخالق ؟

قال : وأصاب ناسا مطر شديد وريح وظلمة ورعد وبرق فقال رجل من النساك : اللهم إنك قد أريتنا قدرتك فأرنا رحمتك .

عوانة قال : قال عبد الله بن عمر : فاز عمر بن أبى ربيعة بالدنيا والآخرة ، غزا البحر فأحرقوا سفينته فاحترق

قال : وطلق أبو الخندق امرأته أم الخندق فقالت : أتطلقنى بعد طول الصحبة ؟ فقال : ما دهاك عندى غيره . وكان أبو اسحق يقول : ما ألأمها من كلمة؟

قال : مرّ عمر بن الخطاب بقوم يتمنون فلما رأوه سكتوا قال : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا نتمنى . قال : فتمنوا وأنا أتمنى معكم . قالوا : فتمن . قال : أتمنى رجالا ملء هذا البيت مثل أبى عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى أبى حذيفة [1] ، إن سالما كان شديد الحب لله لو لم يخف الله ما عصاه . وقال رسول الله ﷺ : «لكل أمة أمين ، وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح»

شعبة عن عمر بن مرة قال : قدم وفد من أهل اليمن على أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقرأ عليهم القرآن فبكوا ، فقال أبو بكر : هكذا كنا حتى قست القلوب وقال أبو بكر : طوبى لمن مات فى نأناة الاسلام .

وقال سعد بن مالك أو معاذ : ما دخلت فى صلاة فعرفت مَن عن يمينى ولا من عن شمالى ، ولا شيّعت جنازة قط إلا حدثت نفسى بما يقال له وما يقول .

---

(١) سالم مولى أبى حذيفة بن عتبة ، كان من كبار الصحابة أصله من أهل أصطخر اخى النبى بينه وبين أبى بكر ، شهد المشاهد وقتل يوم اليمامة فى حرب مسيلمة الكذاب سنة ١١ هـ ٦٣٢ م

وما سمعت رسول الله ﷺ قال شيئا قط إلا علمت أنه كما قال

قال أبو الدرداء[١] : أضحكنى ثلاث ، وأبكانى ثلاث : أضحكنى مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل لا يغفل عنه ؛ وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخط ربه أم راض ، وأبكانى هول المطلع ، وانقطاع العمل ، وموقفى بين يدى الله ولا يُدْرَى أيؤمر بى إلى الجنة أم الى النار

سحيم بن حفص قال : رأى إياس بن قتادة العبشمى شيبة لحيته فقال : أرى الموت يطلبنى وأرانى لا أفوته ، أعوذ[بالله]من فجاآت الأمور ، وبغتات الحوادث . يا بنى سعد ، إنى قد وهبت لكم شبابى ، فهبوا لي شيبتى . ولزم بيته فقال له أهله : إنك تموت هزلا . فقال : لأن أموت مؤمنا مهزولا ، أحب إلىّ من أن أموت منافقا سمينا .

وذكر قوم إبليس فلعنوه وتغيظوا عليه . وقال أبو حازم الأعرج:[٢] وما إبليس ؟ لقد عُصى فما ضرّ ؛ وأطيع فما نفع .

وقال بكر بن عبد الله المزنى[٣] : الدنيا ما مضى منها فحلم ، ومابقى منها فأمانى

ودخل أبو حازم مسجد دمشق فوسوس إليه الشيطان : إنك قد أحدثت بعد وضوئك ، فقال له : أو قد بلغ هذا من نصحك ؟ وقال بعض الطياب :

عَجِبْتُ مِنْ إبْلِيسَ فِى كِبْرِهِ وخُبْثِ مَا أظْهَرَ مِنْ نِيَّتِهْ
تَاهَ عَلَى آدَمَ فى سَجْدَةٍ وَصَارَ قَوَّادًا لِذُرِّيَّتِهِ

فأنشدتها مِسمع بن عاصم فقال : وأبيك لقد ذهب مذهب الفضل بن مسلم

---

(١) أبو الدرداء : اسمه عويمر بن مالك .كان من الصحابة ، وكان قبل اسلامه تاجراً. مات بالشام سنة ٣٢ هـ ٦٥٢ م (٢) أبو حازم الأعرج : اسمه سلمة بن دينار مولى بنى ليث بن بكر ، وقد يقال له أبو حازم المدنى . وكان أعرج ، وكان قاصا بمسجد المدينة . مات سنة ١٤٢هـ ٧٥٩ م (٣) بكر بن عبد الله المزنى : تابعى جليل،وهو من مزينة مضر وكانت أمه موسرة وزوجها كثير المال ، وكان بكر حسن اللباس جداً قيل أن قيمة كسوته أربعة آلاف درهم.وكان صالحاً تقياً . مات سنة ١٠٨هـ ٧٢٦ م

وقال مُطَرِّفُ بنُ عبد الله بن الشِّخِّير[1]: لا تنظروا الى خفض عيشهم . ولين ثيابهم ، ولكن انظروا الى سرعة ظعنهم ، وسوء منقلبهم

قال أبو ذر : لقد أصبحت وان الفقر أحب إليّ من الغنى ، والسقم أحب الىّ من الصحة ، والموت أحب الىّ من الحياة . قال هشم : لكنى لا أقول ذلك .

وقال داود النبى : اللهم لا صحة تطغينى ، ولا مرض يضنينى ، ولكن بين ذلك

وقال الحسن : إن قوماً جعلوا تواضعهم فى ثيابهم ، وكبرهم فى صدورهم ، حتى لَصاحب المدرعة بمدرعته أشد فرحا من صاحب المِطرف بمطرفه

وقال داود النبى : إن لله سطوات ونقمات ، فإذا رأيتموها فداووا قرحكم بالدُّعاء ، فإن الله تبارك وتعالى يقول : لولا رجالٌ خُشَّع ، وصبيان رُضَّع ، وبهائم رُتَع ، لصببت عليكم العذاب صبًّا

قال : اشترى محرز بن صفوان بدنة بتسعة دنانير فقيل له : أتشترى بدنة بتسعة دنانير وليس عندك غيرها ؟ قال : سمعت الله تبارك وتعالى يقول : « لكم فيها خير »

وقيل لمحمد بن سوقة : أتحج وعليك دين ؟ قال : هو أقضى للدين

وقال : ولقى ناسك ناسكا ومعه خف فقال : ما تصنع بهذا ؟ قال : أعده للشتاء . وكانوا يستحيون من هذا

قال أبو ذر : تخضمون وتقضم والموعد الله ...!

قال الزبير : يكفينا من خضمكم القضم ، ومن نصكم العَنَق

وقال أيمن بن خُرَيم :

رجَوْا بالشِّقاقِ الأَكلَ خَضْماً فقَدْ رَضَوْا أخيراً من الكلِ الخَضْمِ أنْ يأكُلُوا القَضْما

وقال عمرو لمعاوية : من أصبر الناس ؟ قال من كان رأيه رَادًّا لهواه

وتواصفوا حال الزهد بحضرة الزُّهرى . فقال الزهرى : الزاهد من لم يغلب الحرام صبره ، والحلال شكره

---

(١) مطرف بن عبد الله بن الشخير الحريشى ، يكنى أبا عبد الله ، تابعى كانت لأبيه صحبة ، وكان ينزل ماء على ثلاث ليال من البصرة يقال له الشخير ، مات فى سنة ٨٨هـ ٧٠٦م

وذكر عند أعرابى رجل بشدة الإجتهاد ، وكثرة الصوم ، وطول الصلاة ، فقال : هذا رجل سوء ، وما يظن هذا أن الله يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب؟

وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : ما ظنك بخالق الكرامة لمن يريد كرامته وهو عليه قادر ؟ وما ظنك بخالق الهوان لمن يريد هوانه وهو عليه قادر ؟

وزعم أبو عمرو الزعفرانى قال : كان عمرو بن عُبيد عند حفص بن سالم فلم يسأله أحد من أهله وحشمه حاجة إلا قال : لا . فقال عمرو : أقل من قول : لا ، فإنه ليس فى الجنة : لا . قال : وقال عمرو : كان رسول الله ﷺ إذا سئل ما يجد أعطى ، وإذا سئل ما لا يجد قال: يصنع الله . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : أكثروا لهن من قول : لا ، فإن : نعم ، يضربهن على المسألة . وإنما يخص عمر بذلك النساء

قال الحسن : أدركت أقواماً كانوا من حسناتهم أشفق من أن ترد عليهم منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها

قال أبو الدرداء : من يشترى منى عادا وأموالها بدرهم ؟

ودخل على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه المقابر فقال : أما المنازل فقد سكنت ، وأما الأموال فقد قسمت ، وأما الأزواج فقد نكحت ، فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ؟ ثم قال : والذى نفسى بيده لو أذن لهم فى الكلام لأخبروا أن خير الزاد التقوى

قال أبو سعيد الزاهد : عيرت اليهود عيسى بن مريم بالفقر فقال : من الغنى أُتيتم

وقال آخر : لو لم يعرف من شرف الفقر إلا أنك لا ترى أحداً يعصى الله ليفتقر . وهذا الكلام بعينه مدخول

وسأل الحجاج أعرابياً عن أخيه محمد بن يوسف : كيف تركته ؟ فقال : تركته عظيما سميناً . قال : ليس عن هذا أسألك ؟ قال : تركته ظلوماً غشوماً . قال : أو ما علمت أنه أخى ؟ قال : أتراه بك أعز منى بالله ؟

وقال بعضهم : نجد فى زبور داود : من بلغ السبعين اشتكى من غير علة

جعفر بن سليمان قال قال محمد بن حسان النبطى : لا تسأل نفسك العام ما أعطتك فى العام الماضى

أبو اسحق بن المبارك قال : قيل لخالد بن يزيد بن معاوية : ما أقرب شىء ؟ قال : الأجل . قيل : فما أبعد شىء ؟ قال : الأمل . قيل : فما أوحش شىء ؟ قال : الميت . قيل : فما آنس شىء ؟ قال : الصاحب الموانى

وقال آخر : آنس شىء الموتى

وقال الآخر : نسى عامر بن عبد الله بن الزبير عطاءه فى المسجد فقيل له : قد أخذ . فقال : سبحان الله ، وهل يأخذ أحد ما ليس له ؟

جرير بن عبد الحميد عن عطاء بن السائب عن عبدة الثقفى قال : لا يشهد علىّ الليل بنوم أبداً ، ولا يشهد علىّ النهار بأكل أبداً . فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فعزم عليه فكان يفطر فى العيدين وأيام التشريق

وقال الحسن بن أبى الحسن : يكون الرجل عالماً ولا يكون عابداً ، ويكون عابداً ولا يكون عاقلا ، وكان مسلم بن يسار عالماً عابداً عاقلا

وقال عبادة بن الصامت : من الناس من أوتى علما ولم يؤت حلما ، وشداد بن أوس أوتى علما وحلما

قال ابرهيم : كان عمرو بن عبيد عالما عاقلا عابداً ، وكان ذا بيان وحلم وصاحب قرآن

ابراهيم بن سعيد عن أبى عبد الله القيسى قال : قال أبو الدرداء : لا يحرز المؤمن من شرار الناس إلا قبره

وقال عيسى بن مريم : الدنيا لابليس مزرعة ، وأهلها له حراثون

عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال : ما الدنيا فى الآخرة إلا كنفجة الارنب

قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : لولا أن أسير فى سبيل الله ، وأضع جبهتى لله ، وأجالس أقواماً ينتقون لى أحسن الحديث كما ينتقى أطايب التمر لم أبال أن أكون قد مِت

قال عامر بن عبد قيس[1] : ما آسى من العراق إلا على ثلاث : ظماء الهواجر وتجاوب المؤذنين ، وإخوان لى منهم الأسود بن كلثوم

وقال المؤرق العجلى[2] : ضاحك معترف بذنبه ، خير من باك مُدِلّ على ربه . وقال : خير من العجب بطاعة أن لا تأتى بطاعة

قالوا: كان الربيع بن خيثم يقول : لا تطعم إلا صحيحاً ، ولا تكس إلا جديداً ، ولا تعتق إلا سويا

وقال بعض الملوك لبعض العلماء : أذمم لى الدنيا ، فقال : أيها الملك ، الآخذة لما تعطى ، المورثة بعد ذلك الندم ، السالبه ما تكسو ، المعقبة بعد ذلك الفضوح ، تسد بالأراذل مكان الأفاضل ، وبالعجزة مكان الحزمة ، تجد فى كل من كل خلفا ، وترضى بكل من كل بدلا ، تُسكن دار كل قرن قرنا ، وتطعم سؤر كل قوم قوما

---

(١) عامر بن عبد قيس : هو عامر بن عبد الله بن عبد القيس العنبرى ، يكنى أبا عبد الله ، كان فاضلا خيراً ، وفصيحاً مفحماً . سيره (نفاه) عبد الله بن عامر إلى الشام بأمر عثمان فمات هناك ، وكان سبب تسييره أن حمران بن أبان كتب فيه ؛ أنه لا يأكل اللحم ، ولا يغشى النساء ، ولا يقبل الأعمال . فعرض بأنه خارجى . فكتب عثمان إلى ابن عامر أن ادع عامراً فان كانت فيه هذه الخصال فسيره . فسأله فقال : أما اللحم فانى مررت بقصاب يذبح ولا يذكر اسم الله ، فاذا اشتهيت اللحم اشتريت شاة فذبحتها . وأما النساء فان لى عنهن شغلا . وأما الأعمال فما أكثر من تجدونه سواى . فقال له حمران : لا أكثر الله فينا أمثالك . فقال له عامر : بل أكثر الله فينا أمثالك كساحين وحجامين (٢) مؤرق العجلى : هو مؤرق بن المشمرج . يكنى أبا المعتمر . عابد صالح مات سنة ١٠٥ هـ ٧٢٣ م

وكان سعيد بن أبى العَروبة يطعم المساكين السكر ويتأول قوله تعالى « ويُطْعِمُونَ الطَّعام علَى حُبِّهِ »

وكان محمد بن على إذا رأى مبتلى أخفى الاستعاذة ، وكان لايسمع من داره للسائل : بورك فيك ، ولا ياسائل خذ هذا. وكان يقول : سموهم بأحسن أسمائهم .

وتمنى قوم عند يزيد الرَّقاشى فقال يزيد : سأتمنى كما تمنيتم ، قالوا : تمن . قال : ليتنا لم نُخلق ، وليتنا إذ خلقنا لم نمت ، وليتنا اذ متنا لم نبعث ، وليتنا إذ بعثنا لم نحاسب ، وليتنا إذ حوسبنا لم نعذب ، وليتنا اذ عذبنا لم نخلد .

وقال رجل لأم الدَّرْداء : انى لأجد فى قلبى داء لا أجد له دواء ، وأجد قسوة شديدة ، وأملا بعيداً ، قالت : اطلع فى القبور ، واشهد الموتى

ابن عون[1] قال : قلت للشعبى : أين كان علقمة[2] من الاسود؟[3] قال : كان الأسود قواما صواما ، وعلقمة مع البطىء وهو يسبق السريع

وقيل لغالب بن عبدالله الجهضمى : إنا نخاف على عينيك العمى من طول البكاء ، قال : هو لها شهادة

محمد بن طلحة بن مُضرب عن محمد بن جحادة قال : لماقتل الحسين رضى الله تعالى عنه أتى قوم الربيع بن خيثم فقالوا : لنستخرجن اليوم منه كلاما ، فقالوا : قتل الحسين ! قال : الله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون . وأتته بنية له فقالت : يا أبت أذهب ألعب ؟ فقال : اذهبى فقولى خيراً وافعلى خيراً :

وقال أبو عبيدة : استقبل عامر بن عبد قيس رجل فى يوم حلبة قال فقال : من سبق يا شيخ ؟ قال : المقربون

---

(١) ابن عون : هو عبدالله بن عون بن أرطبان مزنى بالولاء ، يكنى أبا عون . تقى صالح . مات سنة ١٥١ هـ ٧٦٨ م

(٢) علقمة : هو علقمة بن قيس النخعى ، يكنى أبا شبل . تقى صالح . مات سنة ٦٢ هـ ٦٨١ م (٣) الأسود : هو الأسود بن يزيد بن قيس النخعى ، يكنى أبا عبد الرحمن ، صالح خير . مات سنة ٧٤ هـ ٦٩٣ م

على بن سليم قال : قيل للربيع بن خيثم : لو أرحت نفسك ؟ قال : أراحتها أريد أن عمر كان كيسا

وقال أبو حازم : ليتق الله أحدكم على دينه كما يتقى على نعله

جعفر بن سليمان الضبعى قال : أتى مطرف بن عبدالله بن الشخير أبى فجلس مجلس مالك بن دينار وقد قام فقال أصحابه : لو تكلمت ؟ قال : هذا ظاهر حسن « إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً »

وقال رجل لآخر — وباع منه ضيعة له : أما والله لقد أخذتها ثقيلة المؤونة ، قليلة المعونة . فقال الآخر : أنت لقد أخذتها بطيئة الاجتماع ، سريعة التفرق

واشترى رجل من رجل دارا فقال لصاحبه : لو صبرت لاشتريت منك الذراع بعشرة دنانير . فقال : وأنت لو صبرت لبعتك الذراع بدرهم

ورأى ناسك ناسكا فى المنام فقال له : كيف وجدت الأمر يا أخى ؟ قال : وجدنا ماقدمنا ، وربحنا ما أنفقنا ، وخسرنا ما خلفنا

وقال بكر بن عبد الله المزنى : اجتهدوا فى العمل ، فان قصر بكم ضعف فكفوا عن المعاصى

وقال أعرابى : أنه ليقتل الحُبارى جوعا ظلم الناس بعضهم لبعض

وقيل لمحمد بن على : من أشد الناس زهدا ؟ قال : من لا يبالى الدنيا فى يد من كانت . وقيل له : من أخسر الناس صفقة ؟ قال : من باع الباقى بالفانى . وقيل له : من أعظم الناس قدراً ؟ قال : من لا يرى الدنيا لنفسه قدرا

الأصمعى عن شيخ من بكر بن وائل أن هانئ بن قَبيصة أتى حُرَقَة بنت النعمان وهى باكية فقال لها : لعل أحداً آذاك ؟ قالت : لا ، ولكن رأيت غَضارة فى أهلكم ، وقل ما امتلأت دار سروراً إلا امتلأت حزناً

وقالوا : يهرم ابن آدم وتشب له خلتان : الحرص ، والامل

الأصمعى قال : قال محمد بن واسع :[١] ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث : بُلغة من عيش ليس لأحد علىّ فيها منة ، ولا لله علىّ فيها تبعة ، وصلاة فى جمع أكْفى سهوها ، ويدخر لى أجرها ، وأخ إذا ما أعوججت قومنى

وقال آخر : ما آسى من العراق إلا على ثلاث : ليل الحريق ، ورطب الشكر ، وحديث ابن أبى بكرة [٢]

وقال آخر : إذا سمعت حديث أبى نضرة ، [٣] وكلام ابن أبى بكرة ، فكأنك مع لسان الحُمَّرَة [٤]

وقال أبو يعقوب الخزيمى الأعور : تلقانى مع طلوع الشمس سعيد بن وهب [٥]

---

(١) محمد بن واسع : ابن جابر من الازر ، كان مع قتيبة بن مسلم بخراسان فى غمار جنده ، وكان فى الزهد والعبادة أوحد زمانه . قال ابن قتيبة : مات سنة ١٢٠ هـ ٧٣٧ م

(٢) ابن أبى بكرة : لعله عبيد الله بن أبى بكرة ، قيل : كان جميلا على شدة سواده ، وكان شجاعا باسلا ، وجواداً كريماً ، أقطع عمر بن عبيد الله بن معمر القرشى سبعمائة جريب في دفعة . (قلت : الجريب يختلف مقداره باختلاف الأقاليم ، فبعض الناس يجعله ٣٠٦٠٠ ذراعاً ، وبعضهم يجعله ١٠٠٠٠٠ ذراعاً أرضاً زراعية) فخاف عمر أن لا يراه أبداً إلا أخذ بركابه . وكان عبد الملك ينعته (بسيد أهل الشرق) ولاه الحجاج سجستان فغزا العدو فأصابه وأصحابه جوع شديد فمات وهلك معه خلق كثير وذلك في سنة ٧٨ هـ ٦٩٧ م ورثاهم أعشى همدان بقوله :

أسمعت بالجيش الذين تمزقوا ... وأصابهم ريب الزمان الاعوج
لبثوا بكابل يأكلون خيارهم ... فى شر منزلة وشر معـــرج
لم يلق جيش فى البلاد كما لقوا ... فلمثلهم قل للنوائح تنشج

أو لعله : عبد الرحمن بن أبى بكرة ، ولم أقف له على خبر فيما بين يدى من كتب

(٣) أبو نضرة : هو المنذر بن مالك العوقى ، كان لسنا بيناً محبباً إلى القلوب ورعاً ، مات سنة ١٠٤ هـ ٧٢٢ م (٤) ابن لسان الحمرة : قال ابن قتيبة : هو ورقاء بن الأشعر ، كان أنسب العرب وأعظمهم بصراً (٥) سعيد بن وهب : كان كاتباً بليغاً ، وشاعراً مطبوعاً ، ونديماً ظريفاً ، نشأ بالبصرة وأقام ببغداد مختصاً بالفضل بن يحى البرمكى ، حظيا عنده ، بذل جل شعره في الغزل والنسيب ، وكان فى أول أمره فاسقاً فاتكا ثم

فقلت: أين تريد ؟ قال : أدور على المجالس فلعلى أسمع حديثا حسنا . ثم لم أتجاوز بعيداً حتى تلقانى أنس بن أبى شيخ [1] فقلت له : أين تريد ؟ قال : عندى حديث حسن فانا أطلب له إنسانا حسن الفهم حسن الاستماع. قلت : حدثنى فانا كذاك ، قال : أنت حسن الفهم ، ردىء الاستماع ، وما أرى لهذا الحديث إلا اسماعيل ابن غزوان

هشام قال : أخبرنى رجل من أهل البصرة قال : ولد للحسن بن أبى الحسن غلام فقال له بعض جلسائه : بارك الله لك فى هبته ، وزادك فى أحسن نعمته . فقال الحسن : الحمد لله على كل حسنة ، وأسأل الله الزيادة فى كل نعمة ، ولا مرحبا بمن إن كنت عائلا أنصبنى ، وان كنت غنيا أذهلنى ، لا أرضى بسعيى له سعيا ، ولا بكدى له فى الحياة كداً ، حتى أشفق عليه من الفاقة بعدوفاتى ، وأنا بحال لا يصل إلى من همه حزن ، ولا من فرحه سرور .

وقال الحسن للمغيرة بن مخارش التميمى : إن مَن خوفك حتى تلقى الأمن خير لك ممن آمنك حتى تلقى الخوف .

وقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : ما أحسن الحسنة فى أثر الحسنة ، وما أقبح السيئة فى أثر السيئة ؟

الحسن قال : ما رأيت يقينا لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من أمر نحن فيه.

وكان الحسن إذا ذكر الحجاج قال : كان يتلو كتاب الله على لُحَم وجُذَام ، ويعظ عظة الأزارقة . ويبطش بطش الجبارين . . وكان يقول : اتقوا الله فان عند الله حجاجين كثيرا .

وكان سنان بن سلمة بن قيس يقول : اتقوا الله فان عند الله أياما مثل شوال .

تاب ونسك وتزهد وأناب ومات على مذهب مرضى فى عهد المأمون (أنظر ترجمته بالأغانى ج ٢١) (١) أنس بن أبى شيخ : كان من بابة سعيد بن وهب ، وكان مختصا بجعفر بن يحيى البرمكى نديما له حظيا عنده

قال خالد بن صفوان: بت ليلتى أتمنى كلها فكسيت البحر الاخضر بالذهب الاحمر، فاذا الذى يكفينى من ذلك رغيفان وكوزان وطمران

وكان الحسن يقول: إنكم لاتنالون ماتحبون إلا بترك ماتشتهون، ولاتدركون ماتؤملون إلا بالصبر على ماتكرهون

ودخل قوم على عوف بن أبى جميلة فى مرضه فأقبلوا يثنون عليه فقال: دعونا من الثناء، وأمدونا بالدعاء.

وقال أبو حازم: نحن لانريد أن نموت حتى نتوب، ونحن لانتوب حتى نموت.

وكان الحسن يقول: يابن آدم، نهارك ضيفك فأحسن إليه، فانك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك، وإن أسأت إليه ارتحل بذمك، وكذلك ليلك

وقيل لبعض العلماء: من أسوأ الناس حالا؟ قال: عبد الله بن عبد الأعلى الشيبانى القائل عند موته: دخلتها جاهلا، وأقمت فيها جائراً، وأخرجت منها كارها. يعنى الدنيا.

وقيل لآخر: من أسوأ الناس حالا؟ قال: من قويت شهوته، وبعدت همته، واتسعت معرفته، وضاقت مقدرته.

وقيل لآخر: من شر الناس؟ قال: من لايبالى أن يراه الناس مسيئا

وقيل لآخر: من شر الناس؟ قال: القاسى. فقيل له: أيما شر. ألوقاح، أم الجاهل، أم القاسى؟ قال: القاسى

وذكر أبو صفوان عن البطال أبى العلاء من بنى عمرو بن تميم قال: قيل له قبل موته: كيف تجدك يا أبا العلاء؟ قال: أجدنى مغفوراً لى. قالوا: قل إن شاء الله! قال: قد شاء الله، ثم قال:

أُوصِيكُمُ بالجِلَّةِ التِّلَادِ ... فإنما حَوْلَكُمُ الأَعادِى

قال ابن الأعرابى: كان العباس بن زُفَر لايكلم أحداً حتى تنبسط الشمس، فاذا انفتل عن مصلاه ضرب الأعناق وقطع الأيدى والأرجل. وكان جرير بن

الخطفى لا يتكلم حتى تطلع الشمس ، فاذا طلعت قذف المحصنات . قال : ومرت به جنازة فبكى وقال : أحرقتنى هذه الجنازة . قيل : فلم تقذف المحصنات ؟ قال : يبدو لى ولا أصبر . وكان يقول : أنا لا أبتدى ولكن أعتدى

الحسن بن الربيع الكندى باسناد له قال : قال رجل للنبى ﷺ : دلنى على عمل إذا أنا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ؟ قال : ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس

قال : وبلغنى عن القاسم بن محيمرة الهمدانى انه قال : إنى لاغلق بابى فما يجاوزه همى

قال أبو الحسن : وجد فى حجر مكتوب : ابن آدم ، لو انك رأيت يسير مابقى من أجلك ، لزهدت فى طول ما ترجو من أملك ، ولرغبت فى الزيادة فى عملك ولقصرت من حرصك وحيلك ، وإنما يلقاك غداً ندمك ، وقد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك ، وتبرأ منك القريب ، وانصرف عنك الحبيب ، فلا أنت إلى أهلك بعائد ، ولا فى علمك بزائد

وقال عيسى بن مريم : تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير العمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل ؟ قال : أوحى الله تبارك وتعالى إلى الدنيا : من خدمنى فاخدميه ، ومن خدمك فاستخدميه . وقال : من هوان الدنيا على الله انه لا يُعْصَى إلا فيها ، ولا ينال ماعنده إلا بتركها .

ومر عيسى بن مريم بقوم فقال : مابالهم يبكون ؟ فقالوا : على ذنوبهم . قال : اتركوها تغفر لكم .

وقال زياد بن أبى زياد مولى عياش بن أبى ربيعة : دخلت على عمر بن عبد العزيز فلما رآنى ترجل عن مجلسه فقال : إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلا فلا تأخذ عليه شرف المجلس

وقال الحسن : إن أهل الدنيا وإن دقدقت بهم الهماليج ، ووطئ الناس أعقابهم فإن ذل المعصية فى قلوبهم

قالوا: وكان الحجاج يقول إذا خطب : إنا والله ماخلقنا للفناء ، وإنما خلقنا للبقاء ، وإنما ننتقل من دار إلى دار . وهذا من كلام الحسن

ولما ضرب عبد الله بن على تلك الأعناق قال له قائل: هذا والله جهد البلاء! فقال عبد الله : ما هذا وشرطة الحجام إلا سواء ، وإنما جهد البلاء فقر مُدْقع بعد غنى موسع

وقال آخر : أشد من الخوف الشيء الذى يشتد من أجله الخوف

وقال آخر : أشد من الموت ما يتمنى له الموت ، وخير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت له الحياة

وقال أهل النار : « يا مالك ليقض علينا ربك » قال : « إنكم ماكثون » فلما لم يجابوا إلى الموت قالوا « أفيضوا علينا من الماء » وقالوا : ليس فى النار عذاب أشد على أهله من علمهم بأنه ليس لكربهم تنفيس ، ولا لضيقهم ترفيه ، ولا لعذابهم غاية ؛ ولا فى الجنة نعيم أبلغ من علمهم بأن ذلك الملك لا يزول

قالوا : قارف الزُّهرى[1] ذنبا فاستوحش من الناس وهام على وجهه فقال زيد ابن على : يازهرى ، لَقَنُوطُك من رحمة الله التى وسعت كل شيء أشد عليك من ذنبك . فقال الزهرى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » . ورجع إلى أهله وماله وأصحابه

قال ابن المبارك[2] أفضل الزهد أخفاه

---

(١) الزهرى : هو محمد بن مسلم القرشى ، كان من أعلام التابعين ، رآى عشرة من الصحابة وسمع منهم ، وروى عنه جماعة من الأئمة منهم مالك بن أنس وسفيان الثورى وغيرهما . وكان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله مشتغلا بها عن كل أحد فقالت له زوجته : والله لهذه الكتب أشد على من ثلاث ضرائر . مات سنة ١٢٤ هـ ٧٤١ م

(٢) ابن المبارك : هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك ، العالم الفقيه الزاهد الورع ، تفقه على سفيان الثورى وأخذ عن الأوزاعى وروى الموطأ عن مالك بن أنس ، كانت له منزلة في النفوس ، وجلالة فى القلوب ، قدم الرشيد الرقة وقدمها في الوقت ابن المبارك فانحفل الناس خلف ابن المبارك وداس بعضهم بعضا وارتفعت الغبرة فأشرفت جارية للرشيد فلما رأت تجمع الناس قالت: ماهذا ؟ قالوا : عالم أهل خراسان

الأوزاعى[١] عن مكحول[٢] قال : إن كان فى الجماعة الفضيلة ، فإن فى العُزلة السلامة

اسماعيل عن عياش عن عبد الله بن دينار قال : قال ﷺ إن الله كره لكم اللعب فى الصلاة ، والرفث فى الصيام ، والضحك فى المقابر

وقال أزدشير مرة : إحذروا صولة الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع

وقال واصل بن عطاء : المؤمن إذا جاع صبر ، وإذا شبع شكر

وقيل لعامر بن عبد قيس : ما تقول فى الإنسان ؟ قال : ما عسى أن أقول فيمن إذا جاع ضرع ، وإذا شبع طغى

ونظر أعرابى فى سفره إلى شيخ قد صحبه فرآه يصلى فسكن إليه ، فلما قال : أنا صائم . إرتاب به وأنشأ يقول :

صلَّى فأعْجَبَنِي وصامَ فَرَابَنِي ... عَدَّ القَلُوصَ عنِ المُصلّى الصَّائِمِ

وهو الذى يقول :

لمْ يخْلُقِ اللهُ مَسْجُوناً تُسائِلُهُ ... مابالُ سِجْنِكَ ؟ إلاَّ قالَ : مَظْلُومُ

الثورى ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن يحيى بن جعدة ، قال : كان يقال : إعمل وأنت مشفق ، ودع العمل وأنت تحبه

قال : وقيل لرابعة القيسية : هل عملت عملا قط ترين أنه يقبل منك ؟ قالت : إن كان شىء نخوفى من أن يرد علىّ

قدم الرقة . فقالت : هذا والله الملك لا ملك هرون الذى لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان . وكان ابن المبارك غازيا ، وله شعر . ولد بمرو سنة ١١٨ هـ ٧٣٦ م وتوفى بهيت سنة ١٨٢ هـ ٧٩٨م

(١) الأوزاعى : هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى الامام الفقية الحجة الورع ، سمع من الزهرى وعطاء وابن أبى كثير ، وعنه أخذ الثورى وابن المبارك وخلق كثير . كان مولده ببعلبك سنة ٨٨ هـ ٧٠٦ م وتوفى ببيروت سنة ١٥٧ هـ ٧٧٣ م

(٢) مكحول : هو مكحول الشامى ، أصله من كابل مولى من موالى العرب . كان نقيا ورعا مات سنة ١١٣ هـ ٧٣١ م

وقال محمد بن كعب القُرَظِي لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين، لا تنظرن إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك تريد أن تجوز عنك

الحسن قال : كان مَن قبلكم أرق قلوباً وأصفق ثياباً ، وأنتم أرق منهم ثياباً وأصفق قلوباً

عبد الله بن المبارك قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح بن عبدالله الحكمى : إن استطعت أن تدع مما أحل الله لك ما يكون حاجزاً بينك وبين ما حرم الله عليك فافعل ، فإنه من استوعب الحلال كله تاقت نفسه إلى الحرام

وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه لخالد بن الوليد حين وجهه : إحرص على الموت توهب لك الحياة

وقال رجل : أنا أحب الشهادة . فقال رجل من النساك :أحبها إن وقعت عليك ، ولا تحبها حب من يريد أن يقع عليها

وقال رجل لداود بن نصير الطائى العابد : أوصنى ؟ فقال : إجعل الدنيا كيوم صُمته ، واجعل فطرك الموت . فكأن قد والسلام . قال : زدنى ؟ قال : لا يراك الله عند ما نهاك عنه ، ولا يفقدك عند ما أمرك به . قال : زدنى ؟ قال : ارض باليسير مع سلامة دينك ، كما رضى قوم بالكثير مع هلاك دينهم

قال رجل ليونس بن عبيد[1] أتعلم أحداً يعمل بعمل الحسن ؟ قال : والله ما أعرف أحداً يقول بقوله ، فكيف يعمل بمثل عمله ؟ قال : فصفه لنا ؟ قال : كان إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حميمه ، وإذا جلس فكأنه أسير قد أمر بضرب عنقه ، وكان إذا ذكرت النار عنده فكأنها لم تخلق إلا له

وهيب بن الورد قال : بينا أنا أدور فى السوق إذ أخذ آخذ بقفائى فقال لى : يا وهيب ، اتق الله فى قدرته عليك ، واستحى الله فى قربه منك

وقال عبد الواحد بن زيد : ألا تستحيون من طول ما لا تستحيون؟

(١) يونس بن عبيد : أصله من عبد القيس ، كان تقياً ورعاً . مات سنة ١٣٨هـ ٧٥٥م

الهيثم قال : كان شيخ من أعراب طيئ كثير الدعاء بالمغفرة له ، فقيل له فى ذلك ، فقال : والله إن دعائى بالمغفرة مع قبيح إصرارى لَلؤم ، وإن تركى الدعاء مع قوة طمعى لعجز

قال أبو بشر صالح المرى : إن تكن مصيبتك فى أخيك أحدثت لك خشية فنعم المصيبة مصيبتك ، وإن تكن مصيبتك بأخيك أحدثت لك جزعا فبئس المصيبة مصيبتك

وقال عمرو بن عبيد لرجل يعزيه : كان أبوك أصلك ، وابنك فرعك ، فما بقاء شىء ذهب أصله ولم يبق فرعه ؟

وقال الحسن إن امرأ ليس بينه وبين آدم إلا أب قد مات لمعرق فى الموت

وقالوا : أعظم من الذنب اليأس من الرحمة ، وأشدّ من الذنب المماطلة بالتوبة

ابن لَهيعة عن سيار بن عبد الرحمن قال : قال لى بكير بن الأشج : ما فعل خالك ؟ قلت : لزم بيته . قال : أما لئن فعل لقد لزم قوم من أهل بدر بيوتهم بعد مقتل عثمان رضى الله تعالى عنه فما خرجوا منها إلا إلى قبورهم

وقال الحسن : إن لله تراثك فى خلقه لولا ذلك لم ينتفع النبيون وأهل الانقطاع إلى الله بشىء من أمور الدنيا ، وهى : الأمل ، والأجل ، والنسيان

وقال مُطرف بن عبد الله لابنه : يا بنى ، لا يلهينك الناس عن نفسك ، فإن الأمر خالص إليك دونهم ، إنك لم تر شيئاً هو أشد طلباً ولا أسرع دَرَكا من توبة حديثة لذنب قديم

وفى الحديث أن أبا هريرة مرّ بمروان وهو يبنى داره فقال : يا أبا عبد القدوس ابن شديداً ، وأمّل بعيداً ، وعش قليلاً ، وكلْ خضما ، والموعد الله

وكان عمرو بن خولة أبو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، وأمه خولة من المسامعة ، وكان ناسكا يجتمع إليه القراء والعلماء يوم الخميس . فقال الشاعر :

وأصبحَ زَوْرُكَ زَوْرَ الخميس إليك كمرعيّة وارده

وقال الآخر [وذكر] ابن سيرين :

فأنتَ باللَّيل ذِئْبٌ لا حَرِيمَ لهُ وبالنَّارِ على سَمْتِ ابن سِيرين

وقال ابن الاعرابى : قال بعض الحكماء : لا يغلبن جهـل غيرك بك علمك بنفسك . قال : وصلى محمد بن المنكدر [1] على «عمران بقرة» فقيل له فى ذلك فقال : إنى لأستحيي من الله أن أرى أن رحمته تعجز عن عمران بقرة

﴿ باب ﴾

وقال محمد بن يَسير [2]

كأنَّهُ قد قِيلَ فى مَجْلسٍ قد كُنتُ آتيهِ وأغشاهُ

مُحمدٌ صَارَ إلى رَبِّهِ يَرْحَمُنا اللهُ وإيَّاهُ

وقال الآخر [3]

لَقَـلَّ عاراً إذا ضَيْفٌ تَضَيَّفنى ما كانَ عِندِى إذا أعْطيْتُ مَجهُودِى

---

(١) محمد بن المنكدر بن هدير من بنى تيم قريش رهط أبى بكر الصديق ، كان تقيا فاضلا، مات سنة ١٣١ هـ ٧٤٨م

(٢) محمد بن يسير ، وفى الأغانى: ابن يشير الرياشى . وهذا تصحيف والصواب ابن يسير كما ذكره الجاحظ ، وكذلك هو عند المبرد . شاعر ظريف مقل من شعراء المحدثين لم يفارق البصرة ، وكان ماجناً هجاء خبيثاً . وهذان البيتان اللذان أوردهما له الجاحظ من أبيات رواها المبرد هكذا :

ويل لمن لم يرحم الله ومن تكون النار مثواه

يا حسرتى فى كل يوم مضى يذكرنى الموت وأنساه

من طال في الدنيا به عمره وعاش فالموت قصاراه

كأنه قد قيل فى مجلس قد كنت آتيه وأغشاه

صار اليسيرى إلى ربه يرحمنا الله وإياه

(٣) قوله : وقال الآخر : قد روى هذه الأبيات أبو الفرج الأصبهانى لمحمد بن يسير نفسه قال : قال محمد بن سعد : كنا في حلقة التوزى فلما تقوضت أنشدنا محمد ابن يسير لنفسه :

جهد المقل إذا أعطاه مصطبر أو مكثر من غنى سيان في الجود

لا يعدم السائلون الخير أفعله إما نوال وإما حسن مردود

فَضْلُ المُقِلِّ إذا أعْطاهُ مُصْطَبِراً ومُكثِرٍ فى الغِنى سِيَّانِ فى الجُودِ
لا يَعْدَمُ السَّائِلُونَ الخَيرَ أفْعَلُه إمَّا نَوَالِى وإمَّا حُسْنُ مَرْدُودِى

وكان الربيع بن خيثم إذا قيل له : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحنا ضعفاء مذنبين، نأكل أرزاقنا، وننتظر آجالنا. وقال ابن المقفع : الجود بالمجهود منتهى الجود

قال مطرف بن عبد الله : كان يقال : لم يلتق مؤمنان إلا كان أفضلهما أشدهما حبًّا لصاحبه، وكنت أرى أنى أشد حبًّا لمذعور بن طُفيل منه لى ، فلما سُير لقيني ليلا فحدثني فقلت : ذهب الليل ، قال : ساعة . فعلمت أنه كان أشد حبًّا لى منى له ، فلما أصبح سيره ابن عامر (١) مع عامر (٢)

وقالوا لعيسى بن مريم : من نجالس ؟ قال : من تذكركم بالله رؤيته ، ويزيد فى علمكم منطقه ، ويرغبكم فى الآخرة عمله

اسحق بن ابرهيم قال : دخلنا على كهمس العابد فجاءنا بإحدى عشرة بُسرة حمراء فقال: هذا الجهد من أخيكم، والله المستعان

الأصمعى عن السكن الحرشى قال : اشتريت من أبى المنهال سيار بن سلامة شاة بستين درهماً فقلت : تكون عندك حتى آتيك بالثمن . قال : ألست مسلماً ؟ قلت : بلى . قال : فخذها . فأخذتها ثم انطلقت بها فأتيته بالستين فأخرج منها خمسة دراهم وقال : اعلفها بهذه

---

(١) ابن عامر : هو عبد الله بن عامر بن كريز العبشمى . كان من شجعان الصحابة وخيارهم ، فتح عامة فارس وخراسان وسجستان وكابل . واتخذ النباج وغرس فيها فهى تدعى نباج ابن عامر، واتخذ القريتين وغرس بها نخلا وأنبط عيونا تعرف بعيون ابن عامر بينها وبين النباج ليلة على طريق المدينة . وحفر الحفير ، ثم حفر السمينة ، واتخذ بقرب قباء قصراً وجعل فيه زنجاً ليعملوا فيه فماتوا فتركه ، واتخذ بعرفات حياضاً ونخلا ، وولى البصرة لعثمان بن عفان فاحتفر بها نهرين ، وحفر نهر الأبلة ، وكان يقول : لو تركت لخرجت المرأة فى حداجتها على دابتها ترد كل يوم ماء وسوقا حتى توافي مكة . وكان على بن أبى طالب يقول عنه: أنه فتى قريش : مات سنة ٥٩هـ ٦٧٨م.

(٢) عامر : هو عامر بن عبد قيس المار ذكره

وقال مُساور الوراق[١] لابنه :

شمِّرْ قَمِيصَكَ واستَعِدَّ لِقَائل ... واحكُكْ جبينك للقضاء بثُوم
واجْعَلْ صِحابَكَ كلَّ حِبرٍ ناسِكٍ ... حَسَنِ التعهُّدِ للصَّلاةِ صَؤُومِ
مِنْ ضَرْبِ حَمَّادٍ هُنَاكَ ومِسْمَعٍ ... وسِماكِ العَبْسِيِّ وابنِ حَكيمِ
وعليْكَ بالغَنَوِيِّ فاجلِسْ عِنْدَهُ ... حتى تَنالَ وَدِيعَةً لِيَتِيم

قال : بينا سليمان بن عبد الملك يتوضأ ليس عنده غير خاله والغلام يصب عليه إذ خر الغلام ميتاً فقال سليمان :

قَرِّبْ وُضُوءَكَ يا حُصَيْنُ فإنما ... هَذِى الحياةُ تَعِلَّةٌ ومَتَاعُ

ونظر سليمان فى مرآة فقال : أنا الملك الشاب . فقالت جارية له :

أنْتَ نِعْمَ المَتاعُ لو كُنْتَ تَبْقَى ... غَيرَ أنْ لا بَقاءَ لِلإنْسانِ

وقيل لسعيد بن المسيب[٢] إن محمد بن ابرهيم بن محمد بن طلحة ، سقط عليه حائط فقتله ؟ فقال : إن كان أوصولا لرحمه ، فكيف يموت مِيتَةَ سوء ؟

وقال أسماء :

---

(١) مساور الوراق : هو مساور بن سوار بن عبد الحميد . شاعر كوفي ظريف من أصحاب الحديث ورواته ، روى عن صدر من التابعين ، وروى عنه وجوه أصحاب الحديث ، وهذه الأبيات التى رواها له الجاحظ رواها أبو الفرج الأصبهانى بسنده مع زيادة وتغيير قليل وهي :

شمر ثيابك واستعد لقائل ... واحكك جبينك للمعهود بثوم
إن العهود صفت لكل مشمر ... دبر الجبين مصفر موسوم
أحسن وصاحب كل قارناسك ... حسن التعهد للصلاة صؤوم
من ضرب حماد هناك ومسعر ... وسماك العتكى وابن حكيم
وعليك بالغنوى فاجلس عنده ... حتى تصيب وديعـــة ليتيم
تغنيك عن طلب اليوع نسيئة ... وتكف عنك لسان كل غريم
وإذا دخلت على الربيع مسلما ... فاخصص شبابة منك بالتسليم

(٢) سعيد بن المسيب : كان أفقه أهل الحجاز ، وأعبر الناس للرؤيا ، وقد جمع بين الحديث والفقه والنسك والتعبير ولد سنة ١٣ هـ ٦٣٤ م ومات سنة ٩٤ هـ ٧١٢ م

عيَّرتَنى خَلَقًا أبْلَيْتُ جِدَّتَهُ وهل رأيْتَ جَدِيدًا لم يَعُدْ خَلَقًا ؟

وتمثّل عبد الملك بن مروان فقال :

وكلُّ جَدِيدٍ يا أُمَيْمُ إلى بِلَى وكلُّ امْرِئٍ يَوْمًا يَصيرُ إلى كانا

وقال آخر :

فاعْمَلْ على مَهَلٍ فإنَّكَ مَيِّتٌ واكْدَحْ لِنَفْسِكَ أيُّها الإنْسانُ

فكأنَّ ماقد كانَ لم يكُ إذ مَضَى وكأنَّ ما هوَ كائنٌ قدْ كانا

وكان عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه يقول : إنى لأكره أن يأتى علىّ يوم لا أنظر فيه إلى عهد الله ، يعني المصحف . وكان عثمان رضى الله تعالى عنه حافظاً وكان حجره لا يكاد يفارق المصحف ، فقيل له فى ذلك فقال : إنه مبارك جاء به مبارك

ولما مات الحجاج خرجت عجوز من داره وهى تقول :

اليَوْمَ يَرْحَمُنا مَنْ كانَ يَغْبِطُنا واليومَ نَتْبَعُ مَنْ كانُوا لنَا تَبَعَا

حدثنى بكر بن المعتمر عن بعض أصحابه قال : قال أبو عثمان النهدى[1] أتت علىَّ ثلاثون ومئة سنة ما منى شىء إلا وقد أنكرته ، إلا أملى ، فإنه يزيد

وقال مسور بن مَخْرَمَةَ[2] لجلسائه : لقد وارت الأرض أقواماً لو رأونى معكم لاستحيت منهم . وأنشدنى أعرابى :

---

(١) أبو عثمان النهدى : هو عبد الرحمن بن مل من قضاعة ، أدرك النبى ولم يره ، شهد فتح القادسية وجلولاء وتستر ونهاوند واليرموك وأذربيجان . وكان يسكن الكوفة فلما قتل الحسين بن على تحول إلى البصرة ، وبها مات سنة ٧٥ هـ ٦٩٤ م

(٢) مسور بن مخرمة : هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن عبد مناف . أمه أخت عبد الرحمن بن عوف . كان يعدل بالصحابة وليس منهم . قال يوماً : إن يزيد بن معاوية يشرب الخمر . فجلده معاوية الحد فقال :

أيشربها صرفاً يفت ختامها أبو خالد ويجلد الحد مسور؟

وكان مع ابن الزبير بمكة فأصابه حجر فمات سنة ٦٤ هـ ٦٨٣ م

مَا يمْنع النَّاسُ شيأ جئتُ أطْلبه ... إلاَّ أرَى الله يَكفِي فقْدَ مامَنَعُوا

وجزع بكر بن عبد الله على امرأته ، فوعظه الحسن ، فجعل يصف فضلها ، فقال الحسن : عند الله خير منها . فتزوّج أختها فلقيه بعد ذلك فقال : يا أبا سعيد ، هى خير منها . وأنشد :

يُؤَمِّلُ أنْ يُعَمِّرَ عُمر نوح ... وأمر الله يَطْرُقُ كلَّ لَيْلهْ

عوف عن الحسن قال : قال النبى ﷺ للمسلم على أخيه ستّ خصال : يسلم عليه إذا لقيه ، وينصح له إذا غاب ، ويعوده إذا مرض ، ويشيِّع جنازته إذا مات ، ويجيبه إذا دعا ، ويشمته إذا عطس

وقال أعرابى :

تبَصَّرْنى بالعَيش عِرْسِى كأنما ... تبَصَّرْنى الأَمْرَ الذِى أنا جاهِلُهْ
يَعيشُ الفَتى بالفقرِ يوْماً وبالغَنَى ... وَكُلاً كأَنْ لمْ يلق حينَ يزايِلُهْ

وأنشد أبو صالح :

ومشيدٍ داراً ليَسكن دَارَه ... سكن القبور وداره لم تسكن

وكان صالح المرى أبو بشر ينشد فى قصصه وأنشد غيره :

فباتَ يُرَوِّى أصول الفَسِيل ... فماشَ الفَسِيلُ ومات الرَّجُلْ

وقال الآخر :

إذا أبْقَتِ الدُّنْيا على المرْءِ دِينَهُ ... فما فاتَ منْ شىءٍ فليسَ بضائرِ
فلن يَعدل الدُّنْيا جَناحَ بَعُوضَةٍ ... ولا وَزْنَ زِفٍّ منْ جَناحِ طائرِ
فما رَضِىَ الدُّنْيا ثوَاباً لِمؤمن ... وما رضِىَ الدُّنيا عِقابا لكافِرِ

وقال الآخر :

أبعد بشرٍ أسيراً فى بيوتهم ... يرجو الخفارة منِّي آلُ ظَلاَّم
فلن أُصَالِحَكُمْ مادُمْتُ ذا فرسٍ ... واشتدَّ قبضاً على السِّيلان إبهامى
فإنما النَّاسُ باللهِ أُمَّتهم ... أكائِل الطير أوجثو لآرام

هُمْ يهلكون ويبقى بعضُ ما صنعوا كأنّ آثارهم خُطَّتْ بأقلام

وأنشد لمحمد بن يسير :

عَجبا لى ومن رضانى بحال أنا منها على شفا تغرير
عالماً لا أشكّ أنّى إذا مـــت إلى عَدْن أو عذاب السعير
كلما مرَّ بى على أهلِ نادٍ كنتُ حِينًا بهم كثيرَ المرور
قيلَ : مَنْ ذا على سَرير المنايا؟ قيل : هذا محمدُ بنُ يَسير

وأنشد:

لِكلِّ أناسٍ مقبرٌ لِفنائِهمْ فهم ينقصون والقبورُ تزيدُ
هُمُ جيرةُ الأحياء أما محلُّهم فدانٍ ولكنَّ اللقاء بعيدُ

وقال أبو العتاهية :

سُبْحانَ ذِى المَلَكُوتِ أيَّةُ لَيْلة نَخَضَتْ بِوَجْهِ صَباحِ يَومِ المَوْقِفِ
لوْ أنَّ عَيْنًا وَهَمَتْها نَفسُها مَافِى الفِراقِ مُصَوَّرًا لمْ تَطرِفِ

وقال أبو العتاهية :

يا خَاطِبَ الدُّنيا إلى نَفْسِها تَنَحَّ عن خِطْبَتِها تَسْلَمِ
إنَّ التى تَخْطُبُ غَرَّارةٌ سَرِيعَةُ العُرْسِ منَ المَأتَمِ

وقال الآخر :

نادَاهُما بفِراقٍ بَيْنَهما الزَّمان فأسْرَعا
وكَذَاكَ ما زَالَ الزَّمانُ مُفَرِّقًا ما جَمَّعا

وقال الآخر :

يا وَيْحَ هَذِى الأَرْضِ ما تَصْنَعُ أكُلَّ حَيٍّ فَوْقَها تَصْرَعُ
تَزْرَعُهُمْ حتى إذا ما أتَوْا عادَتْ لهمْ تَحْصُدُ ما تَزْرَعُ

وقال الآخر :

ذَكَرْتُ أبا أرْوَى فَبِتُّ كأنَّنِي بِرَدِّ أمُورِ المَاضِيَاتِ وَكِيلُ

لِكُلِّ اجْتِماعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وكلُّ الَّذِي دُونَ المَماتِ قَلِيلُ
وإن افْتِقادِي وَاحِداً بَعْدَ واحِدٍ دَلِيلٌ على أنْ لا يَدُومَ خَلِيلُ

وقال محمد بن المنتشر : إذا أيسر الرجل ابتلى به أربعة : مولاه القديم ينتفى منه ، وامرأته يتسرى عليها ، وداره يهدمها ويبنى غيرها ، ودابته يستبدل بها

وقال الآخر :

يُجَدِّدُ أحْزَاناً لَنا كلُّ هَالِكٍ ونُسْرِعُ نِسْياناً ولم يأتِنا أمْنُ
وإنَّا ولا كُفْرَانَ لِلّهِ رَبِّنا لكالْبُدْنِ لا تَدْرِى متى يَوْمُها البُدْنُ

الأوزاعى عن مكحول قال : ان كان فى الجماعة فضل فإن فى العزلة سلامة

أبو جناب الكلبى عن أبى المحجل عن ابن مسعود قال : ثلاث من كن فيه دخل الجنة : مَن اذا عرف حق الله عليه لم يؤخره ، وكان عمله الصالح فى العلانية على قوام من السريرة ، وكان قد جمع مع ما قد عمل صلاح ما يؤمله . وقال : كفى موعظة أنك لا تحيى الا بموت ، ولا تموت الا بحياة

وقال أبو نواس .

شَاعَ فِىَّ الفَنَاءُ عُلْوًا وسُفْلاً وأُرانى أموتُ عُضْوًا فَعُضْوَا
ذَهَبَتْ جِدَّتى بطَاعَةِ نَفْسِى وتذكَّرْتُ طاعَةَ اللهِ نِضْوَا

وقال الآخر :

وكم منْ أكلَةٍ مَنَعتْ أخاها بلذَّةِ ساعَةٍ أكلاتِ دَهْرِ
وكم منْ طَالِبٍ يَسْعَى لِشَىْءٍ وفِيهِ هَلاكُهُ لو كانَ يَدْرِى

وقال الآخر :

كلُّ امرِئٍ مُصَبَّحٍ فى أهْلِهِ والمَوْتُ أدْنَى من شِرَاكِ نَعْلِهِ

وقال آخر :

واسْتَيْقِنِى فى ظُلَمِ البُيُوتِ أنَّكِ إنْ لم تُقْتَلِى تَمُوتِى

وقال عنترة :

بَكرتْ تخوِّفُنى الحُتُوفَ كأننى أصبَحْتُ عن غَرَضِ الحُتُوفِ بمَعْزِلِ

فأجبتها إنَّ المَنِيَّةَ مَنْهَلٌ ... لا بُدَّ أنْ أُسقَى بكأسِ المَنهَلِ
فاقْنَي حَياءَكِ لا أبا لَكِ واعلَمي ... أنِّي امْرُؤٌ سأمُوتُ إنْ لم أُقْتَلِ
إنَّ المَنِيَّةَ لوْ تُصَوَّرُ صُوِّرَتْ ... مِثْلي إذا نَزَلوا بِضَنْكِ المَنزِلِ

وقال أبو العتاهية :

أُذْنَ حَيٍّ تَسمَعُ ... واسْمَعِي ثُمَّ عِي وعِ
عِشْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً ... ثُمَّ وَافَيْتُ مَضْجَعِي
أنا رَهْنٌ لِمَصْرَعِي ... فاحْذَرِي مِثْلَ مَصْرَعِي
لَيْسَ زَاداً سِوَى التُّقَى ... فَخُذِي مِنْهُ أوْ دَعِي

وقال الخليل بن أحمد :

عِشْ ما بَدَا لكَ قَصْرُكَ المَوْتُ ... لا مَهْرَبٌ مِنهُ ولا فَوْتُ
بَيْنا غِنى بَيْتٍ وبَهْجَتُهُ ... آلَ الغِنى وتَقَوَّضَ البَيتُ

وقال أبو العتاهية

إسْمَعْ فقد أسْمَعكَ الصَّوْت ... إنْ لمْ تُبادِر فهُوَ الفَوْتُ
نَلْ كلَّما شِئْتَ وعِشْ سالِمًا ... آخِرُ هذا كلِّهِ المَوْتُ

وقالو الوزيرى :

وأعْلَمُ أنَّنِي سَأصِيرُ مَيْتاً ... إذا سارَ النَّوَاجِعُ لا أسِيرُ
وقالَ السَّائِلُونَ: مَنِ المُسَجَّى ... فقال المخبِرُونَ لهُمْ : وزِيرُ

وقال أبو العتاهية :

الحَقُّ أوْسَعُ مِنْ مُعا ... لجَةِ الهَوَى ومَضِيقِهِ
لا تَعْرِضَنَّ لِكلِّ أمْـ ... ـرٍ أنْتَ غيرُ مُطِيقِهِ
والعَيْشُ يَصْلُحُ إنْ مَزَجْـ ... ـتَ غَلِيظَهُ بِرَقِيقِهِ
لا يَخْدَعَنَّكَ زُخْرُفُ الـ ... ـدُّنيَا بِحُسْنِ بَرِيقِهِ

وإذا رأيتَ الرأيَ مُضْـ ـطَرِبًا فَخُذْ بِوَثِيقِـهِ
ولَرُبمـا غَصَّ البخيـ ـلُ إنِ اسْتُنِيلَ بريقِهِ

وقال أيضًا :

مَنْ أجابَ الهوَى إلى كلِّ ما يَدْعُـ ـوهُ مِمَّا يُضِلُّ ضَلَّ وتاهَا
ومَنْ رَأى عِبْرَةً فَفَكَّرَ فيها آذَنَتْهُ بالبَيْنِ حِينَ يَراها
رُبمـا اسْتَغْلَقَتْ أُمُورٌ على مَنْ كانَ يأتِي الأُمُورَ منْ مَأْتاها
وسيأوِي إلى يَدٍ كلُّ ما تأ تِي ويأوِي إلى يَدٍ حسـناها
قدْ تكُونُ النَّجاةُ تكرهها النفـ ـس وتأتِي ما كانَ فيهِ رَدَاها

وقال أيضًا :

لوْ أنَّ عَبْدًا لهُ خَزائِنُ ما فِي الـ أرْضِ ماعاشَ خَوْفَ إمْلاقِ
يا عَجَبًا كُلُّنا يَحِيدُ عَنِ الـ حِينِ وكلٌّ لَحِينِهِ لاقِ
كأَنَّ حَيًّا قَدْ قامَ نادِبُهُ والْتَفَّتِ السَّاقُ مِنْهُ بالسَّاقِ
واسْتَلَّ مِنْهُ حَياتَهُ مَلَكُ المَوْ تِ خَفِيًّا وقِيلَ مَنْ رَاقِ

وقال السموأل بن عادياء :

تُعَيِّرُنا أنَّا قليـلٌ عَدِيدُنا فقُلْتُ لها إنَّ الكِرَامَ قَلِيلُ
وما قَلَّ مَنْ كانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنا شَبابٌ تَسامَى لِلْعُلَى وكُهُولُ
وما ضَرَّنا أنَّا قَلِيلٌ وجارُنا عَزِيزٌ وجارُ الأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
فنَحْنُ كماءِ المُزْنِ ما فِي نِصَابِنا كَهامٌ ولا فِينا يُعَدُّ بَخِيـلُ
وأسْيافُنا فِي كلِّ شَرْقٍ ومَغْرِبٍ بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُولُ
مُعَوَّدَةٌ أنْ لا تُسَلَّ نِصَالُهـا فَتُغْمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيـلُ
سَلِي إنْ جَهِلْتِ النَّاسَ عَنَّا وعنهُمُ وليسَ سَوَاءً عالِمٌ وَجَهُولُ

وقال الرَّبيع بن أبى الحُقَيق :

وَمَنْ يَكَ عاقِلاً لم يَلْقَ بُؤْسًا ... يُنِخ يَوْمًا بِساحَتِهِ القَضاءُ
تَعاوِرُهُ بَناتُ الدَّهْرِ حتى ... تَثَلَّمَهُ كما ثُلِمَ الإناءُ
وكلُّ شَدِيدَةٍ نزلت بِحَيٍّ ... سَيَأْتِى بَعْدَ شِدَّتِها رَخاءُ
وبَعْضُ خَلائِقِ الأَقْوامِ دَاءٌ ... كَدَاءِ الشَّيْخِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ

وأنشد :

قد حالَ من دُونِ لَيْلَى مَعْشَرٌ قُذُمٌ ... وهُمْ على ذَاكَ من دُونى مَوَالِيها
واللهُ يَعْلَمُ أنّى إنْ أَنَتْ حِجَجٌ ... وحِيلَ منْ دُونِها أنْ لسْتُ ناسِيها

وأنشد :

ولَيْلٍ يَقُومُ القَوْمُ من ظُلُماتِهِ ... سَوَالِ بَصِيراتُ العُيونِ وعُورُها
كأنَّ لنا مِنْهُ بُيوتًا حَصِينَةً ... مُسُوحًا أعالِيها وسَاجًا كُسُورُها

وقالوا : أتى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان، أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ،وهو عامل سليمان بن عبدالملك ، فسأله أن يكلم سليمان فى حاجة له فوعده أن يقضيها فلم يفعل ، وأتى عمر بن عبد العزيز فكلمه فقضى حاجته،فقال سعيد :

ذُمِمْتَ ولم تُحْمَدْ وأدركْتُ حاجتى ... تَوَلَّى سِوَاكُمْ شُكْرَها واصْطِناعَها
أَبَى لَكَ فِعْلَ الخَيرِ رَأْىٌ مُقَصِّرٌ ... ونَفْسٌ أضاقَ اللهُ بالخَيرِ باعَها
إذا هِىَ حَثَّتْهُ على الخَيرِ مَرَّةً ... عَصاها ، وإنْ هَمَّتْ بشَرٍّ أطَاعَها
سَيَكْفِيكَ ما ضَيَّعْتَ مِنها وإنَّما ... يُضِيعُ الأُمُورَ سادِراً مَنْ أضاعَها
وَلايَةُ مَنْ وَلاَّكَ سُوءَ بَلائِها ... وَوَلَّى سِوَاكَ أجْرَها واصْطِناعَها

وأنشد :

إذا ما أطعْتَ النَّفْسَ مالَ بِكَ الهوَى ... إلى كلِّ ما فِيهِ عَلَيْكَ مَقالُ

وأنشد :

حَسْبُ الفَتى منْ عَيْشِهِ زَادٌ يُبَلِّغُهُ المحلاَّ
خُبْزٌ ومَاءٌ بارِدٌ والظِّلُّ حِين يُرِيدُ ظِلا

وأنشد :

وَما العَيْشُ إلاَّ شَبعةٌ وتَشَرُّقٌ وتمرٌ كأَخْفافِ الرِّباع وماء

قالوا: إستبطأ عبد الملك بن مروان ابنه مَسلمة فى مسيره إلى الروم فكتب إليه:

لمن الظعائن سَيرهن تَزَحُّفُ سير السفين إذا تقاعس تُجْدَفُ

فلما قرأ مَسلمة الكتاب كتب إليه :

ومستعجبٍ مما يرَى مِنْ أناتِنا ولوْ زَبنتــه الحربُ لم يترمرَمِ

ومَسلمة هو القائل عند مادلى بعضهم فى قبره فتمثل بعض من حضر فقال :

وما كانَ قيسٌ هُلْكهُ هلكَ واحِدٍ ولَـكنهُ بنيانُ قوْمٍ تهـدَّمَا

فقال مسلمة : لقد تكلمت بكلمة شيطان ، هلا قلت :

إذا مُقرمٌ منَّا ذَرَا حَدُّنا بهِ تخمطَ فِينَا نابُ آخرَ مقرمِ

وكان مسلمة شجاعاً خطيباً ، وبارع اللسان جواداً ، ولم يكن فى ولد عبد الملك مثله ومثل هشام بعده

وقال بعض الاعراب يهجو قوماً :

تصبَّرْ للبـلاء الحتم صبرا إذا جاوَرْتَ حىَّ بني أبانِ
أقامُوا الدَّيدَبانَ على يفاعٍ وقالوا لى احترِسْ لِلدَّيدَبانِ
فانْ أبْصَرْتَ شَخْصاً منْ بَعيدٍ فصفق بالبنان على البنانِ
تراهُمْ خَشيةَ الأَضْياف خُرْساً يُقِيمُونَ الصلاَةَ بلاَ أذَانِ

وقال بعض الأعراب يمدح قوماً :

وسَارٍ تعناهُ المبيتُ فلم يدَعْ لهُ حابِسُ الظلماء واللَّيْلِ مذْهبا
رَأى نارَ زَيْدٍ منْ بَعيدٍ فخالهـا وقد كذَبتهُ النفسُ والظَّنُّ كوكبا

رَفَعْتُ لَهُ بِالْكَفِّ نَارًا تَشُبُّهَا ... شَآمِيَّةٌ نَكْبَاءُ أَوْ عَارِضٌ صَبَا
وَقُلْتُ ارْفَعُوهَا بِالصَّعِيدِ كَفَى بِنَا ... مُشِيرًا لِسَارِى لَيْلَةٍ أَنْ تَأَوَّبَا
فَلَمَّا أَتَانَا وَالسَّمَاءُ تَبُلُّهُ ... نَقُولُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبَا
وَقُمْتُ إِلَى الْبَرْكِ الْهَوَاجِدِ فَانْتَقَتْ ... بِكَوْمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ لَهَا النِّيُّ مَهْرَبَا
فَرَحَّبْتُ أَعْلَى الْجَنْبِ مِنْهَا بِطَعْنَةٍ ... دَعَتْ مُسْتَكِنَّ الْجَوْفِ حَتَّى تَصَبَّبَا

وقال الآخر :

وَاسْتَيْقِنِي فِى ظُلَمِ الْبُيُوتِ ... أَنَّكِ إِنْ لَمْ تَقْتُلِى تَمُوتِى

وقال أبو سعيد الزاهد : من عمل بالعافية فيمن دونه أعطى العافية ممن فوقه

وقال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى على نبينا وعليه : فى المال ثلاث خصال ، قالوا: وما هى يا روح الله ؟ قال : يكسبه من غير حله . قالوا : فإن كسبه من حله؟ قال : يمنعه من حقه . قالوا : فإن وضعه فى حقه ؟ قال: يشغله إصلاحه عن عبادة ربه

قيل لرجل مريض : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى لم أرض حياتى لموتى

سعيد بن بشير عن أبيه أن عبد الملك قال ، حين ثقل ورأى غسالا يلوى ثوباً بيده : وددت أنى كنت غسالا لا أعيش إلا بما أكتسب يوماً فيوماً . فذكر ذلك لأبى حازم فقال : الحمد الذى جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه، ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه

الهيثم قال : أخبرنا موسى بن عبيدة الزيدى ، عن عبد الله بن خداش الغفارى ، قال : قال أبو ذر : فارقت رسول الله ﷺ وقوتى من الجمعة إلى الجمعة مُدٌّ ، ولا والله لا أزداد عليه حتى ألقاه . قال : وكان يقول : إنما مالك لَكَ أو للجائحة أو للوارث ، فاغن ولا تكن أعجز الثلاثة

فضيل بن عياض ، عن المطرح بن يزيد ، عن عبد الله بن زحر ، عن على ابن يزيد ، عن القاسم مولى يزيد بن معاوية ، عن أبى أمامة الباهلى ، قال : قال عمر رضى الله تعالى عنه : أدبوا الخيل ، وتسوكوا ، واقعدوا فى الشمس ، ولا

تجاورنكم الخنازير ، ولا يرفعن فيكم الصليب ، ولا تأكلوا على مائدة تشرب عليها الخمر ، وإياكم وأخلاق العجم ، ولا يحل لمؤمن أن يدخل الحمام إلا بمئزر ، ولا لامرأة إلا من سقم ، فإن عائشة رضى الله تعالى عنها حدثتنى قالت : حدثنى خليلى على مفرشى هذا قال : إذا وضعت المرأة خمارها فى غير بيت زوجها هتكت ما بينها وبين الله ، فلم تناهى دون العرش

﴿ نساك البصرة وزهادها ﴾

عامر بن عبد قيس ، وبجالة بن عبدة العنبريان ، وعثمان بن أدهم ، والأسود ابن كلثوم ، وصلة بن أشيم ومذعور بن الطفيل ؛ ومن بنى منقر : جعفر وحرب ابنا جرفاس . كان الحسن يقول : إنى لا أرى كالجعفرين جعفرا . يعنى جعفر بن جرفاس ، وجعفر بن زيد العبدى . ومن النساء: معاذة العدوية امرأة صلة بن أشيم ، ورابعة القيسية

﴿ زهاد الكوفة ﴾

عمرو بن عتبة ، وهمام بن الحرث ، والربيع بن خيثم ، وأويس القرنى

وقال الراجز :

مَنْ عاشَ دَهْراً فَسَيَأْتِيهِ الأَجَلْ والمَرْءُ تَوّاقٌ إلى مَالَمْ يَنَلْ
المَوْتُ يَتْلُوهُ ويُلْهِيهِ الأَمَلْ

وقال الآخر :

لا يَغُرَّنْكَ عِشَاءً سَاكِنٌ قَدْ يُوَافِى بالمَنِيَّاتِ السَّحَرْ

وقال الآخر :

كُلُّنا يَأْمُلُ مَدًّا فى الأَجَلْ والمَنَايا هِىَ آفاتُ الأَمَلْ

وقال الآخر :

أنتَ وهَبْتَ الفِتْيَةَ السَّلاَهِبْ وهَجْمَةً يَحارُ فيها الحالِبْ
وغَنَماً مِثْلَ الجَرادِ السَّارِبْ مَتَاعُ أيَّامٍ وكلٌّ ذَاهِبْ

وقال المسعودى :

إنَّ الْكِرَامَ مُنَاهِبُو ... كَ المجْدَ كلَّهمُ فَنَاهِبْ
أخْلِفْ وأتْلِفْ، كل شَيْـ ... ـئٍ زَعْزَعَتْهُ الرِّيحُ ذاهِبْ

وقال التميمى :

إذا كانَتِ السَّبْعُونَ سِنَّكَ لمْ يكُنْ ... لِدَائِكَ إلاَّ أنْ تَمُوتَ طَبِيبُ
وإنْ امْرَأً قدْ سَارَ سَبْعِينَ حِجَّةً ... إلى مَنْهَلٍ مِنْ وِرْدِهِ لقَرِيبُ
إذا مامضَى القَرنُ الذِى كنْتَ فيهمُ ... وخُلِّفتَ فى قرن فأنْتَ غريبُ
إذا ماخلوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فلاَ تَقُلْ ... خَلوْتُ ولكن قلْ علىَّ رَقِيبُ

وقال غسان خال الغدار :

إبْيَضَّ مني الرَّأسُ بعدَ سَوَادِ ... ودَعا المشيبُ حليلتى بِبِعَادِ
واسْتُحْصِدَ القرنُ الذِى أنا مِنْهُمُ ... وكَفَى بِذَاكَ عَلاَمَةً لِحَصَادِى

وكان على بن موسى بن ماهان كثيراً ما يقول « ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين » وكان كثيراً ما يقول : ويلٌ للظالمين من الله

وقال ابن واسع : الاتقاء على العمل أشد من العمل

وكان أبو وائل النهشلى يقول فى أول كلامه : إن الدهر لا يذوق طعم الفراق ولا يذيقه أهله ، وإنما ينغمسون فى ليل، ويطغون فى نهار. فيوشك شاهد الدنيا أن يغيب، وغائب الآخرة أن يشهد . وقال : سأل رجل رجلا حاجة فقال له المسؤل : إذهب بسلام . فقال له السائل : قد أنصفنا من ردنا إلى الله

الخزامى ، عن سفيان بن حمزة ، عن كثير بن الصلت : أن حكيم بن حزام باع داره من معاوية بستين ألف درهم ، فقيل له : غبنك والله معاوية . فقال : والله ما أخذتها فى الجاهلية إلا بزق من خمر، أشهدكم أنها فى سبيل الله ، فانظروا أينا المغبون؟

قال سفيان الثورى : ليس من ضلالة إلا عليها زينة، فلا تعرضن دينك لمن يبغضه إليك

وقال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل .
وأتى مسلما نصرانى يعزيه فقال له : مثلى لا يعزى مثلك، ولكن أنظر إلى ما زهد فيه الجاهل فارغب فيه .

وكان الحسن بن زيد بن على بن الحسين بن على يلقب : ذا الدمعة ، فإذا عوتب فى كثرة البكاء قال : وهل تركت النار والسهمان لى مضحكا ؟ يريد قتل زيد بن على أبيه، ويحيى بن زيد أخيه

وقيل لشيخ من الاعراب : قمت مقاما خفنا عليك منه . قال : ما الموت أخاف ، شيخ كبير ، ورب غفور ، ولا دين ولا بنات .

قال أبو العتاهية :

وكما تبلَى وُجوهٌ فى الثرَى ... فكذا يَبْلَى عليهِنَّ الحزَنْ

وقال بشار :

كَيْفَ يَبْكى لِمُحْبَسٍ فى طلُول ... مَنْ سَيَقْضِى لحبْسِ يَوْمٍ طَوِيلِ
إنَّ فِى البَعْثِ والحِسَابِ لَشُغْلاً ... عَنْ وُقُوفٍ بكلِّ رَسْمٍ مَحِيلِ

وقال محمود الوراق :

أليْسَ عَجِيبًا بأنَّ الْفَتَى ... يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذِى فى يَدَيْه
فَمِنْ بَيْنِ بَاكٍ لهُ مُوجَعٍ ... وبيْن مُعَزٍّ مُعَزٍّ إليه
ويَسْلبه الشيْبُ شَرخَ الشَّبابِ ... فليْسَ يُعزِّيهِ خَلْقٌ عليْه

وقال أيضاً :

بَكَيْتَ لِقُرْبِ الأَجَلْ ... وبُعْدِ فَوَاتِ الأَمَلْ
وَوَافِدِ شَيْبٍ طَرَا ... بِعَقِبِ شَبَابٍ رَحَلْ
شَبَابٌ كأَنْ لم يكُنْ ... وشَيْبٌ كانْ لمْ يَزَلْ
طَوَاكَ بشيرُ البقَا ... وحَلَّ بَشيرُ الأَجَلْ
طَوَى صاحِبٌ صاحِباً ... كذَاكَ اخْتِلَافُ الدُّوَلْ

وقال محمود أيضاً :

رأيْتُ صلاحَ المَرْءِ يُصْلِحُ أهْلَهُ ... ويُعْدِيهِمُ داءَ الفَسادِ إذا فَسَدْ
يُعَظَّمُ فى الدُّنيا بِفَضْلِ صلاحِهِ ... ويُحْفَظُ بعدَ الموْتِ فى الأهْلِ والوَلَدْ

وقال الحسن بن هانئ :

أيَّةَ نارٍ قَدَحَ القَادِحُ ... وأىَّ جِدٍّ بلَغَ المَازِحُ
للهِ دَرُّ الشَّيْبِ منْ وَاعِظٍ ... وناصِحٍ لوْ حظِيَ النَّاصِحُ
يَأْبَى الفَتَى إلاَّ اتِّباعَ الهوَى ... ومَنْهَجُ الحَقِّ لهُ واضِحُ
فاسْمُ بعينيك إلى نِسْوَةٍ ... مُهُورُهنَّ العَمَلُ الصَّالِحُ
لا يَجْتَلِى العذْرَاءَ منْ خِدْرِها ... إلاَّ امْرُؤٌ ميزَانُهُ رَاجِحُ
مَنِ اتَّقَى اللهَ فذَاكَ الَّذِى ... سِيقَ إلَيْهِ المَتْجَرُ الرَّابِحُ

وقال أيضاً :

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِرَامٍ ... وامْضِ عَنْهُ بِسَلاَمِ
مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ ... لَكَ مِنْ دَاءِ الكَلاَمِ
إنَّمَا السَّالِمُ مَنْ أَلْـ ... ـجَمَ فَاهُ بِلِجَامِ
رُبَّمَا اسْتَفْتَحْتَ بالمَزْ ... حِ مَغَالِيقَ الحِمَامِ
رُبَّ لَفْظٍ سَاقَ آجَا ... لَ فِئَامٍ لِفِئَامِ
فالْزَمِ الصَّمْتَ فإنَّ ... الصَّمْتَ أبْقَى لِلْجَمَامِ
والمَنَايَا آكِلاَتٌ ... شَارِباتٌ لِلاَنَامِ
شِبْتَ يا هذَا وَمَا تَتْـ ... ـرُكُ أخْلاَقَ الغُلاَمِ ؟

وقال أيضا :

كُنْ مِنَ اللهِ يَكُنْ لَكْ ... وَاتَّقِ اللهَ لَعَلَّكْ
لا تَكُنْ إلاَّ مُعَدًّا ... لِلْمَنَايَا فَكَأَنَّكْ
إنَّ لِلْمَوْتِ لَسَهْمًا ... وَاقِعًا دُونَكَ أوْ بِكْ
نَحْنُ نَجْرِى فى أفَانِيـ ... ـنِ سُكُونٍ وَنُحَرِّكْ

فعلى اللهِ توكلْ وبتقواهُ تمسكْ

وقال أيضاً :

يا نُواسيُّ تفكرْ وتعزْ وتصبرْ
ساءكَ الدهرُ بشيءْ ولما سرَّكَ أكثرْ
يا كبيرَ الذنبِ عفوُ اللهِ منْ ذنبكَ أكبرْ

قال سعيد بن ربيعه بن مالك بن سعيد بن زيد مناة بن تميم :

ألا إنما هذا الملالُ الذي ترى وإدبارُ جسمي من رَدَى العثراتِ
وكمْ منْ خليلٍ قدْ تجلدتُ بعدهُ تقطعُ نفسي بعدهُ حسراتِ

وهذا من قديم الشعر

وقال الطرماح في هذا المعنى :

وشيبني أنْ لا أزالَ مناهضاً بغيرِ قوىً أنزو بها وأبوعُ
وأنَّ رجالَ المالِ أضحوا ومالهمْ لهمْ عندَ أبوابِ الملوكِ شفيعُ
أمختر مي ريبُ المنونِ ولمْ أنلْ منَ المالِ ما أعصى بهِ وأطيعُ

ومن قديم الشعر قول الحرث بن يزيد ، وهو جد الاحيمر اللص السعدي:

لا لا أعقُّ ولا أحوبُ ولا أغيرُ على مضرْ
لكنما أغزو إذا ضجَّ المطيُّ منَ الدبرْ

وقال آدم بن عبد العزيز :

وإنْ قالتْ رجالٌ قدْ تولَّى زمانكمُ وذا زمنٌ جديدُ
فما ذهبَ الزمانُ لنا بمجدٍ ولاحسبٍ إذا ذُكرَ الجدودُ
وما كنا لنخلدَ إذْ ملكنا وأيُّ الناسِ دامَ لهُ الخلودُ ؟

وقيل لاخيه بعد أن رأوه حمالا : لقد حطك الزمان، وعضك الحدثان، فقال:

ما فقدنا منْ عيشنا إلاَّ الفضولْ

وقال عروة بن أذينة الكناني :

نُراعُ إذا الجنائزُ قابلتنا ويُحزننا بكاهُ الباكياتِ

كَرَوعةِ ثلةٍ لِمُغارِ ذِئْبٍ فلمَّا غابَ عادَتْ رَاتِعاتِ

وقالت خنساء بنت عمرو :

تَرْتَعُ ما غفلتْ حتى إذا ادَّكَرَتْ فإنما هِيَ إقبالٌ وَإدْبارُ

وقال أبو النجم :

فلوْ تَرَى التيوسَ مضجعاتِ عرفتَ أنْ لسْنَ بسَالِماتِ

أقُولُ إذْ جِئْنَ مُذَبحاتِ ألمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ راتِعاتِ

ما أقْرَبَ الموْتَ مِنَ الحياةِ !

وقال سليمان بن الوليد :

رُبَّ مَغْرُوسٍ يُعاشُ بِهِ عدِمتهُ كف مُغْتَرِسِهْ

وكذَاكَ الدَّهْرُ مَأْثَمُهُ أقْرَبُ الاشْياءِ مِنْ عُرُسِهْ

وقال آخر :

يا راقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُوراً بأوَّلِهِ إنَّ الحوادِثَ قدْ يطرُقنَ أسْحارَا

وقالت امرأة فى بعض الملوك :

أبْكِيكَ لا لِلنَّعيمِ والأُنَسِ بلْ لِلْمَعالى والرُّمْحِ والفرَسِ

أبكى على فارِسٍ فُجِعْتُ بِهِ أرْمَلنى قبلَ ليلةِ العرْسِ

﴿ أخلاط من شعر وأحاديث ونوادر ﴾

قال هبيرة بن وهب المخزومى :

وانَّ مَثَالَ المَرْءِ في غيرِ كُنْهِهِ لَكالنبْلِ نَهْوِى ليْسَ فِيها نِصَالُها

وقال الرَّاجز :

والقَوْلُ لا تَمْلِكُهُ إذا نَمَى كالسَّهْمِ لا يَرْجِعُهُ رَامٍ رَمَى

وإلى هذا ذهب عامر الشعبى حيث يقول : وإنك على إيقاع مالم توقع أقدر منك على ردّ ماقد أوقعت . وأنشد :

فَدَاوِيْتُهُ بالحِلْمِ والمَرْءُ قادِرٌ علي سَهْمِهِ مادَامَ فى كَفِهِ السَّهْمُ

وقال الأنصارى :

وبَعْضُ القولِ ليْسَ له حَصاةٌ ... كمَخْضِ الماءِ لَيْسَ لهُ إناءُ
وبَعْضُ خَلائقِ الأَقْوامِ داءٌ ... كدَاءِ الشَّيْخِ لَيْسَ لهُ دَوَاءُ

وقال الآخر :

ومَوْلًى كدَاءِ البَطْنِ أمَّا لِقاؤُهُ ... فَحِلْمٌ وأمَّا غيْبُهُ فظُنُونُ

وقال آخر :

تقسم أولاد الملةِ مغنمى ... جِهاراً ولم يغلبك مِثْلُ مغلبِ

وقال الثلب : وهنَّ شرٌّ غالِبٍ لمنْ غلبْ

وقال النبى ﷺ إذا كتب أحدكم فليترب كتابه فان التراب مبارك. وقال: هو أنجح للحاجة . وذكر الله عز وجل آدم الذى هو أصل البشر فقال « إنَّ مَثَلَ عيسى عِنْدَ اللهِ كمَثَلِ آدمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ » ولذلك كنى النبى ﷺ عليا : أبا تراب . قالوا : وكانت أحب الكنى إليه

وقال الآخر :

وإنْ جِئْتَ الأَميرَ فقُلْ سَلَامٌ ... عليكَ ورَحمةُ اللهِ الرَّحيمِ
وأمَّا بعْدَ ذَاكَ فَلى غريمٌ ... من الأَعْرَابِ قُبِّحَ منْ غريمِ
لهُ أَلْفٌ علىَّ ونِصْفُ أَلْفٍ ... ونِصْفُ النصْفِ فى صَكٍّ قديم
دَرَاهِمُ ما انْتفَعْتُ بها ولكِنْ ... وَصلتُ بها شُيُوخَ بَنى تَميم

وقال الكميت :

حَلَفْتُ بِرَبِّ النَّاسِ يا أمَّ خالِدٍ ... بأَمْلَكِ إذ أصواتنا الهلَّ والهب
ولا خالِدٌ يَسْتطعمُ المَاءَ قائِمًا ... بعذْلِكِ والدَّاعى إلى الموْتِ يَنْعب

وقال ابن نوفل :

تَقُولُ لِما أصَابكَ أطْعِمُونى ... شَرَاباً ثمَّ بلْتَ على السَّرِيرِ
لأعلاجٍ ثمانيةٍ وشَيْخٍ ... كَبيرِ السِّنِّ ذِى بَصَرٍ ضَرِيرِ

وقال ابن هَرِمة :

تَرَاهُ إذا ما أبْصَرَ الضَّيْفَ كَلْبُهُ يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وهْوَ أعْجَمُ

وقال المهلب : عجبت لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الأحرار بمعروفه؟

وقال الشاعر :

رُزِقْتُ لُبًّا ولَمْ أُرْزَقْ مُرُوءَتَهُ وَما المُرُوءَةُ إلاَّ كَثْرَةُ المالِ

إذا أرَدْتُ مُساماةً تُقاعِدُنى عمّا يُنَوِّهُ باسْمى رِقَّةُ الحالِ

وقال الأحنف :

فلوْ مُدَّ سَرْوِى بمالٍ كَثِيرٍ لجِدْتُ وكُنْتُ لهُ باذِلا

فإن المُرُوءَةَ لا تُسْتَطاعُ إذا لَمْ يَكُنْ مَالُها فاضِلاَ

وقال جرير بن يزيد :

خيرٌ مِنَ البُخْلِ لِلْفَتَى عَدَمُه ومِنْ بَنِينَ أعقَّةٍ عُقُمه

قال : ومشى رجال من بنى تميم إلى عَتَّاب بن ورقاء ومحمد بن عمير ، فى عشر ديات ، فقال محمد بن عمير : علىّ دية : فقال عتاب : علىّ الباقية . فقال محمد : نعم العون على المروءة المال

وقال آخر :

ولا خيرَ فى وَصْلٍ إذا لم يكُنْ لهُ على طُولِ مَرِّ الحادِثاتِ بَقاءُ

وقال الآخر :

شِفاءُ الحُبِّ تَقْبيلٌ وشَمٌّ وضَمٌّ بالبُطُونِ على البُطُونِ

وأنشد :

واللهِ لا أرْضَى بَطولِ ضَمٍّ ولا بِتَقبيلٍ ولا بشَمِّ

إلا بِهَزْهازٍ يُسَلِّى هَمِّى يَسقطُ مِنْهُ فَتَخِى فى كُمِّى

لِمِثْلِ هذا وَلَدَتْنِي أُمِّى

وقال آخر :

لا ينفعُ الجاريةُ الخِضابُ ولا الوِشاحانِ ولا الجلْبابُ
مِنْ دُونِ أنْ يصطفقَ الأَرْكابُ وتلتقى الأسْبابُ والأَسْبابُ
ويخرجَ الزُّبّ لهُ لعابُ

وقال آخر :

ولقدْ بَدَا لِى أنَّ قلبك ذاهلٌ عنى وقلبى لوْ بدا لَك أذْهَلُ
كلٌّ يُجامِلُ وهوَ يُخفى بُغضه إنَّ الكريمَ على القلى يتجمَّلُ

وقال الآخر :

وحظُّكَ زَوْرَةٌ فى كلِّ عامٍ مواقفة على ظهرِ الطريقِ
سلاماً خالياً من كلِّ شَىْءٍ يَعُودُ به الصَّدِيقُ على الصَّدِيقِ

وقال الآخر :

وزعمتَ أنى قد كَذَبْتُكَ مرة بَعْضَ الحديثِ فما صَدَقتُكَ أكثرُ

وقال الآخر :

أهينوا مَطاياكم فإنى وجدتهُ يَهُونُ على البِرْذَوْنِ مَوْتُ الفَتى النَّدْبِ

وقال الآخر :

لا يحفلُ البُرْدُ مَنْ يُبْلى حَوَاشِيَهُ ولا تُبالى على مَنْ راحَتِ الإبِلُ

وقال الآخر :

ألا لا يبالى البُرْدُ مَنْ جرَّ فَضْلَه كما لا تُبالى مُهرَةٌ مَنْ يقودُها

وقال الآخر :

وإنى لأرثى لِلكَرِيمِ إذا غَدَا على حاجَةٍ عِندَ اللَّئِيمِ يُطالِبُهْ
وأرْثى لهُ مِنْ مَجلِسٍ عندَ بابِهِ كمَرْثِيَتى للطَّرْفِ والعِلجِ راكِبُهْ

وقال الفرزدق :

أتَرْجُو رَبِيعٌ أنْ يجىءَ صِغارُها بخَيرٍ وقد أعيَى رَبِيعاً كِبارُها

وقال الشاعر :

ألم تَرَ أنَّ سيرَ الخيرِ ريثٌ وأنَّ الشرَّ راكبُه يَطيرُ

وقال ابن يسير :

تأتى المكارهُ حينَ تأتى جُملةً وترَى السُّرورَ يجىءُ فى الفلَتاتِ

(عيوب تمنع من السؤدد)

قيل لبلال بن أبى بُردة : لم لاتولى أبا العجوز بن أبى شيخ العراق ؟ وكان بلال مستعرضا فيهم، وهو من بلهجيم ، قال : لانى رأيت منه ثلاثا : رأيته يحتجم فى بيوت أخوانه ، ورأيت عليه مظلة وهو فى الظل ، ورأيته يبادر بيض البقيلة

وكان عندى شيخ عظيم البدن ، جهير الصوت ، يستقصى الإعراب ، وقد ولده رجل من أهل الشورى ، . وكان بقربى عبد أسود دقيق العظم،دميم الوجه ، ورآنى أكبره ، فقال لى حين نهض ورأى عظما : يا أباعثمان ، لا والله أن يساوى ذلك العظم البالى ، بصرت عينى به فى الحمام وتناول قطعة من نخار فأعطاها رجلا وقال له: حك بها ظهرى، أفتظن هذا ياأبا عثمان يفلح أبدا؟

قال أبو الحسن : سأل الحجاج غلاما فقال له : غلام مَن أنت ؟ قال: غلام سيد قيس. قال : ومن ذاك ؟ قال : زرارة بن أوفى.قال: كيف يكون سيد قيس وفى داره التى ينزلها سكان ؟ (١)

قال : وقال رجل لابنه : إذا أردت أن تعرف عيبك فخاصم شيخا من قدماء جيرانك . قال : ياأبت، لو كنت إذا خاصمت جارى لم يعرف عيبى غيرى كان ذلك رأيا ، ولكن جارى لايعرفنى عيبى حتى يعرفه عدوى .

وقد أخطأ الذى وضع هذا الحديث لأن أباه نهاه ولم يأمره .

وقال الآخر :

إصْطَنِعنى وأقِلنى عَثرتى إنها قد وَقَعتْ مِنى بِقُرْ

(١) السكان : دفة السفينة

واعْلَمَنْ أَنَّ لَيْسَ الفادِرْهَمِ لَمَدِيحِي وهِجائِي بِخَطَرْ
يَذْهَبُ المالُ ويَبقى المَنْطِقُ شائِعاً يأثُرُه أهْلُ الخبرْ
ثُمَّ أرْمِيكُمْ بوَجْهٍ بارِزٍ لَسْتُ أمْشِي لِعَدُوٍّ بِخَمَرْ

وقال أشهب بن رميلة ، يوم صفين : إلى أين يابنى تميم ؟قد ذهب الناس ، أتفرون وتعذرون ؟

قال : ونهض الحرث بن حوط الليثى إلى على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه وهو على المنبر فقال:أتظن أنانظن أن طلحة والزبير كانا على ضلال ؟ قال : ياحار، إنه ملبوس عليك ، إن الحق لايعرف بالرجال ، فاعرف الحق تعرف أهله

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : لا أدركت أنا وأنت زمانا يتغايرون فيه على العلم كما يتغايرون على الازواج

قال : وبعث قسامة بن زهير العنبرى إلى أهله بثلاثين شاة ونحى صغير فيه سمن فسرق الرسول شاة وأخذ من رأس النحى شيأ من السمن ،فقال لهم الرسول: ألكم إليه حاجة أخبره بها ؟ فقالت له امرأته : أخبره أن الشهر محاق ، وأن جدينا الذى كان يطالعنا وجدناه مرثوما [1] فاسترجع منه الشاة والسمن

قال سليمان بن على لرؤبة : مابقى من باهك يا أبا الحجاف ؟ قال : يمتد ولا يشتد ، وأستعين بيدى ثم لا أورد، وأطيل الظمأ ثم أقصر . قال : ذلك الكِبَرُ. قال : لا . ولكنه طول الرغاث .

قيل لاعرابى : أى الدواب آكل ؟ قال : برذونة رغوث . وقيل لغيره : لم صارت اللبؤة أنزق وعلى اللحم أحرص ؟ قال : هى الرغوث

قال : وقال عبد الله بن عمر : إتقوا من تُبغضه قلوبكم .

وقال اسماعيل بن غزوان : لاتنفق درهماً حتى تراه ، ولاتثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه ، فالصابر هو الذى يشكر ، والجازع هو الذى يكفر

(١) مرثوم : مكسور

عامر بن يحيى بن أبى كثير قال : لاتشهد لمن لا تعرف ، ولا تشهد على من لا تعرف ، ولا تشهد بما لا تعرف

أبو عبد الرحمن الضرير عن على بن زيد بن جُدعان عن سعيد بن المسيب قال : قال النبى ﷺ رأس العقل بعد الايمان بالله التودد إلى الناس

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : لاسمر إلا لثلاثة : مسافر ، ومصل ، وعروس .

﴿ قريش أفصح العرب ﴾

وقال معاوية يوماً : مَن افصح الناس ؟ فقال قائل . قوم ارتفعوا عن خلخانية الفرات ، وتيامنوا عن كشكشة تميم ، وتياسروا عن كسكسة بكر ، ليست لهم غمغمة قضاعه ، ولا طُمطمانية حمير . قل : من هم ؟ قال : قريش . قال : ممن أنت ؟ قال : من جرم

وقال الراجز :

إنَّ تميماً أُعْطِيَتْ تماماً ... وأُعْطِيَتْ مآثِرًا عِظاما
وعَدَداً وحَسَباً قَمْقاما ... وباذِخاً من عِزِّها قُدَاما
فى الدَّهْرِ أعْيا النَّاسَ أنْ يُرَاما ... إذا رَأيتَ مِنهُمُ الأَجْساما
والدَّل والشِّيْمَةَ والكلاَما ... وأذْرُعاً وقَصَراً وهاما (١)
عَرَفْتَ أنْ لم يُخْلَقُوا طغَاما ... ولم يَكُنْ أبوهُمُ مِسقاما
لم تَرَ فِيمَنْ يَأكلُ الطَّعاما ... أقلَّ منهم سَقطًا وذَاما

تقول العرب: لو لم يكن فى الابل إلا أنها رقوء الدم . قال جندل بن صخر ، وكان عبداً مملوكا :

وما فك رِقّى ذاتُ دَلٍّ خبرْنَجٍ ... ولا شانَ مالى صدْقةٌ وعقولُ (٢)
ولكنْ نمانى كلُّ أبْيضِ خِضْرِمٍ ... فأصْبَحتُ أدْرى اليومَ كيفَ أقولُ

(١) القصر: الاعناق الغلاظ ، يعنى أنهم فى تمام الخلق (٢) الخبرنج : المرأة الناعمة

وقال الفقيمى :

وما كُنْتُ نَوَّاماً ولكنَّ ثائراً أناخَ قليلاً فَوْقَ ظَهْرِ سَبِيلِ
وقد كُنْتُ مَخْزُونَ اللِّسانِ وُمفْحَماً فأصْبَحتُ أُدْرِى اليوم كيفَ أقولُ

وقال المُغيرة بن شعبة :مَن دخل فى حاجة رجل فقد ضمنها .

وقال عمر رضى الله تعالى عنه : لكل شى شرف وشرف المعروف تعجيله

وقال رجل لابرهيم النخعى : أعد الرجل الميعاد ، قال: الى متى ؟ قال : إلى وقت الصلاة

قال : وقال لى بعض القرشيين : من خاف الكذب أقل من المواعيد .

وقال : أمران لا يسلمان من الكذب : كثرة المواعيد ، وشدة الاعتذار

قال ابرهيم النظام . قلت « لخنجير كور » ممرور الزياديين : اقعد ههنا حتى أرجع إليك . قال : أما حتى ترجع فانى لا أصبر لك ، ولكن أقعد لك الى الليل

﴿ رسالة ابن سيابة إلى يحيى بن خالد بن برمك (١) ﴾

وبلغنى أن عامة أهل بغداد يحفظونها فى تلك الايام، وهى كما ترى، وأولها:

(١) ابن سيابة : هو ابرهيم بن سيابة مولى بنى هاشم ، كان شاعراً من متوسطى شعراء وقته ، غير نابه الذكر ولا شريف الشعر . وإنما اختص بمودته ومدائحه ابرهيم الموصلى وابنه اسحق ، فكانا يتغنيان بشعره ، ويشيدان بذكره ، ويذكرانه للخلفاء والوزراء،ويسببان له بذلك النفع والعطاء الجزيل . وكان مع هذا ماجناً خليعا طيب النادرة . عوتب يوماً على مجونه وعبثه فقال : ويلكم،لأن ألقى الله تبارك وتعالى بذل المعاصى فيرحمنى أحب إلى من أن ألقاه أتبختر دلالا بحسناتى فيمقتنى . وكتب يوماً إلى صديق له يقترض منه شيئاً ، فكتب إليه يعتذر له ويحلف أنه ليس عنده ما سأله، فكتب إليه : إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وإن كنت ملوما فجعلك الله معذوراً، وروى له صاحب الأغانى هذه الكلمة : إذا كانت فى جيرانك جنازة وليس فى بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة.فان المصيبة عندك أكبر منها عند القوم،وبيتك أولى بالمأتم من بيتهم . قلت : وهذه الكلمة قد رويت لابرهيم النظام أحد شيوخ المعتزله وهي بالنظام أشبه (راجع ص ٧٨ من الجزء الأول من البيان والتبيين) وأحب ابن سيابة جارية سوداء فلام عليها وعوتب فقال :

للأصيد الجواد ، الوارى الزناد ، الماجد الاجداد ، الوزير الفاضل ، الأشم الباذل ، اللباب الحلاحل ؛ من المستكين المستجير ، البائس الضرير : فإنى أحمد الله ذا العزة القدير ، إليك وإلى الصغير والكبير ، بالرحمة العامة ، والبركة التامة : أما بعد ، فاغنم واسلم ، واعلم ان كنت تعلم ، انه من يَرحم يُرحم ، ومن يحرم يُحرم ، ومن يُحسن يَغنم ، ومن يصنع المعروف لا يعدم ، وقد سبق إلى تغضبك على ، واطراحك لى ، وغفلتك عنى ، بما لا أقوم له ولا أقعد ، ولا أنتبه ولا أرقد ، فلست بحى صحيح ، ولا بميت مستريح ، فررتُ بعد الله منك إليك ، وتحملت بك عليك ، ولذلك قلت :

أسْرَعَتْ بى حتفًا إليكَ خطائى ... فأناخَتْ بمذْهبٍ ذِى رَجاء
رَاغِبٌ رَاهِبٌ إليْكَ يُرَجِّى ... مِنْكَ عَفْوًا عنْهُ وفَضْلَ عَطاء
ولَعمرِى ما مَنْ أضَرَّ ومَنْ نا ... بَ مُقِرًّا مِنْ ذَنْبِهِ بِسَواء

فان رأيت ، أراك الله ما تحب ، وأبقاك فى خير ، أن لا تزهد فيما ترى من تضرعى وتخشعى ، وتذللى وتخضعى ، فان ذلك ليس منى بنحيزة ولا طبيعة ، ولا

يكون الخال فى وجه قبيح ... فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام معشوق على من ... يراها كلما فى العين خالا ؟

ومن قوله :

أعيانى الشادن الربيب ... أكتب أشكو فلا يجيب
من أين ألتى شفاء ما بى ... وإنما دائى الطبيب
يارب فرج إذاً وعجل ... فانك السامع المجيب

ويحيى بن خالد بن برمك : كان إليه الأمر والنهى وتصريف أمور الدولة العباسية في عهد هرون الرشيد ، وكان من النبل والعقل وجميل الخلال على أكمل ما يكون عليه الرجل ، وكان من البلغاء الأبيناء ، والكرام الأسخياء . وكان المأمون يقول : لم يكن كيحيى بن خالد وكولده — الفضل وجعفر ومحمد وموسى — أحد في الكفاية والبلاغة والجود والشجاعة . وكان مولد يحيى في سنة ١٢٠ هـ ٧٣٧ م ومات في حبس الرشيد حينما نكب البرامكة سنة ١٩٠ هـ ٨٠٥ م

على وجه تصنع ولا تخدع ، ولكنه تذلل وتخشع ، وتضرع من غير ضارع ولا مهين ، ولا خاشع لمن لا يستحق ذلك، إلا لمن التضرع له عز ورفعة وشرف

محمد بن حرب الهلالى قال: دخل زفر بن الحرث على عبد الملك بعد الصلح فقال : مابقى من حبك للضحاك ؟ فقال : مالا ينفعنى ولا يضرك . قال : شد ما أجبتموه معاشر قيس ! قال : أجبناه ولم نواسه ، ولو كنا آسيناه لقد كنا أدركنا ما فاتنا منه . قال : فما منعك من مواساته يوم المرج ؟ قال : الذى منع أبك من مواساة عثمان يوم الدار . قال الشاعر :

لِكلِّ كَرِيمٍ منْ ألأَيْم قَوْمِهِ ... على كلِّ حَالٍ حَاسِدُونَ وكُشَّحُ

قالوا : وقال سليمان بن سعد : لو صحبنى رجل فقال اشترط على خصلة واحدة ولا تزد عليها لقلت : لا تكذبنى . قال : وكان يقال: أربع خصال يسود بها المرء : العلم ، والأدب ، والعفة ، والأمانة

وقال الشاعر :

لئنْ طِبْتَ نَفْساً عَنْ ثنائى فإنَّنى ... لأطيبُ نفساً عنْ ندَاكَ على عُسرِى
فلَسْتُ إلى جَدْوَاكَ أعْظَمُ حاجَةٍ ... على شِدَّة الإعْسَارِ مِنْكَ إلى شُكْرِى

وقال الآخر :

أإنْ سمتنى ذُلا فعفْتُ حِياضَهُ ... سخطتَ؟ ومَنْ يأبَ المذِلَّةَ يُعْذَرِ
فهلْ أنا مُسترْضِيكَ لا مِنْ جِنايَةٍ ... جَنَيْتُ ولكنْ مِنْ تَجَنِّيكَ فاغْفِرِ

وقال إياس بن قتادة :

وإنَّ مِنَ السَّادَاتِ مَنْ لوْ أطَعتَهُ ... دَعكَ إلى نارٍ يَفُورُ سَعِيرُها

وقال الآخر :

عَزَمتُ على إقامَةِ ذِى صباح ... لأَمْرٍ ما يُسَوَّدُ مَنْ يَسُودُ

وقال الهذلى :

وإنَّ سيادَةَ الأَقْوَامِ فاعْلَمْ ... لها صَعْدَاءُ مَطْلَبُها طَوِيلُ

وقال حارثة بن بدر :

إذا الهمُّ أمْسَى وهُوَ دَاءٌ فأمْضه ... ولستَ بِمُمْضِيهِ وأنتَ تُغَازِلُهْ

ولا تُنْزِلَنْ أمْرَ الشَّدِيدَةِ بامْرِئٍ ... إذا رَامَ أمْرًا عَوَّقَتْـهُ عَوَاذِلُهْ

وَقُلْ لِلْفُؤَادِ إنْ نَزَا بِكَ نَزْوَةً ... مِنَ الرَّوْعِ أفْرِخْ أكْثَرُ الرَّوْعِ باطِلُهْ

وقال الآخر :

وإنَّ بِقَوْمٍ سَوَّدُوكَ لَفَاقَةً ... إلى سَيِّدٍ لَوْ يَظْفَرُونَ بِسَيِّدِ

وقال آخر :

وماسُدْتَ فِيهِمْ أنَّ فَضْلَكَ عَمَّهُمْ ... ولكنَّ هذَا الحَظَّ فِي النَّاسِ يُقْسَمُ

وقال حارثة بن بدر :

خَلَتِ الدِّيارُ فَسُدْتُ غير مُسَوَّدِ ... ومِنَ الشَّقَاءِ تفَرُّدِي بالسُّؤْدُدِ

الفضل بن تميم قال : قال المغيرة : من لم يغضب لم يعرف حلمه .

وقال الشاعر :

وما بالُ ضَبْعٍ ظَلَّ يَطْلُبُ دَائِبًا ... فَرِيسَتَهُ بينَ الأُسُودِ الضَّرَاغِمِ

وقال الاخر :

ذَكَرْتُ بِها عَهْداً على الهجْرِ والقِلَى ... ولا بُدَّ لِلْمُشْتَاقِ أنْ يَتَذَكَّرَا

وقال الاخر .

إذا ما شفيتُ النفسَ أبْلغتُ عُذْرَها ... ولاَ لومَ فى أمْرٍ إذا بَلغَ العُـذْرُ

وقال الآخر :

لعمْرُكَ ما الشَّكْوَى بأمرِ حَزَامَةٍ ... ولا بدَّ من شَكْوَى إذا لم يكُنْ صبرُ

وقال الآخر :

لَوْلا ثلاثٌ هنَّ عَيْشُ الدَّهْرِ ... المَـاءُ والنَّوْمُ وأُمُّ عَمْرِو

لَمَا خَشِيتُ مِنْ مَضِيقِ القَبرِ

وقال لقيط بن زُرارة :

شَتَّانَ هذا والعِناقُ والنَّوْمْ والمَشْرَبُ البارِدُ في ظِلِّ الدَّوْمْ

وقال والبة [بن الحباب] :

ما العَيْشُ إلاَّ فى المُدَام وفى اللِّثام والقُبَلْ
وإرَادَةِ الظَّبِى الغَرِير تَسُومُهُ ما لا يُحلْ

وقال شيخ من أهل المدينة : ما كنت أريد أن أجلس إلى قوم إلا وفيهم من يحدث عن الحسن ، وينشد الفرزدق .

وقال مجيب : لا ترى امرأةً مُصبرة العين ، ولا امرأة عليها طاق يمنة ، ولا شريفا يهنأ بعيرا .

وقال أبو براح : ذهب الفتيان فما ترى فى مفرق الشعر بالدهن معلقا نعله ، ولا ديكين فى خطار ، [1] ولا صديقا له صديق إن قمر ضغا ، وإن عوقب جزع ، وإن خلا بصديق فى خنثة ، وإن ضُرب أقر ، وإن طال حبسه ضجر ، ولا ترى فتى يحسن أن يمشى فى قيده ولا يخاطب أميره .

قال أبو الحسن : قال أبو عباية : ترى زقاق براقش ، وبسانين هزارمرد ، ما كان يسلكه غلام إلا بخفير ، وهم اليوم يخترقونه . قلت : هذا من صلاح الفتيان ، قال : لا ، ولكن من فسادهم .

اليقطرى قال : قيل لطفيل العرائس : كم إثنان فى اثنين ؟ قال : أربعة أرغفة

وقال رجل لرجل : انتظرتك على الباب بقدر ما يأكل إنسان جُرد قتين .

عبد الله بن مصعب قال : أرسل على بن أبى طالب كرم الله وجهه عبد الله ابن عباس لما قدم البصرة فقال : ائت الزبير ولا تأت طلحة ، فان الزبير ألين ، وإنك تجد طلحة كالثور عاقصا قرنه يركب الصعوبة [2] ويقول : هى أسهل ،

(١) فى خطار : في مراهنة . وكان فى الاصل : في حظار ، وما اخترناه أجود

(٢) عاقصا قرنه : يعنى متعطرسا متعجرفا . يركب الصعوبة ويقول هى اسهل : الذى في النهج : يركب الصعب ويقول هو الذلول .

فاقرأ عليه السلام وقل له : يقول لك ابن خالك : عرفتنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق، فما عدا مما بدا !؟ (١) قال : فأتيت الزبير فقال: ماجبا يا ابن لبابة ، أزائرا جئت أم سفيرا ؟ قلت : كل ذلك ، وأبلغته ماقال علىّ فقال الزبير : أبلغه السلام وقل : بيننا وبينك عهد خليفة ، ودم خليفة ، واجتماع ثلاثة ، وانفراد واحد ، وأم مبرورة ، ومشاورة العشيرة ،ونشر المصاحف ، فتحل ماأحلت ،وتحرم ماحرمت . فلما كان من الغد حرش بين الناس غوغاؤهم فقال الزبير : ما كنت أرى أن مثل ماجئنا له يكون فيه قتال ؟

قال: ومن جيد الشعر قول جرير :

لَئِنْ عُمِّرَتْ تَيمٌ زَماناً بِعِزَّةٍ لقد حُدِيَتْ تيمٌ حداءً عَصبصبَا (٢)

فلاَ يضغمَنَّ اللَّيْثُ تَيماً بغرَّةٍ وتيمٌ يَشُمُّونَ الفريسَ المنيبَا (٣)

وقال الاعرابى : كحلنى بالميل الذى تكحل به العيون الداءة

وقال ابن أحمر :

وهَجْلٍ من قسا ذَفَرِ الْخُزَامَى تهادَى الجِرْبياءُ به الحَنينا (٤)

بها تتزَخَّرُ القلعُ السَّوَارى وجنَّ الخازبازُ بهِ جُنونا (٥)

تكادُ الشمسُ تخشعُ حينَ يَبْدُو لهنَّ وما نزَلْنَ وما عَسينَا

وقال الحكم الخضرى :

كم تظاهرَ نيها وتربعَتْ بَقْلاً بِعَيْهَمَ والحمى مَجنونا

(١) فما عدا مما بدا : كان فى الاصل : بدالك . والتصويب عن النهج، قال الشريف الرضى : هو أول من سمعت منه هذه الكلمة ، أعنى فماعدا مما بدا . والمعنى : ما الذى صرفك عما كان بدا وظهر منك ؟ (٢) حديت تيم حداء عصبصبا . يعنى سيقت سوقا شديدا (٣) فلا يضغمن : فلايعضن . الفريس المنيب : المقتول بالناب (٤) الهجل : لمطمئن من الأرض . قسا : اسم مكان . ذفر الخزامى : منتشر فيه ريح الخزامى ، قال ابو حنيفة : والخزامى عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهور طيبة الريح لها نور كنور البنفسج . والجربياء : ريح تهب بين الصبا والجنوب (٥) تتزخر القلع السوارى : تجتمع السحب السارية . والخازبار : ضرب من ذباب الرياض

والمجنون المصروع ، ومجنون بنى عامر ، ومجنون بنى جعدة ، واذا نفر النبات قيل: قد جن. قال الشنفرى :(١)

وجَلَّتْ ودَقَّتْ واسْبَكَرَّتْ وأنضرت فلو جُنَّ إنْسانٌ منَ الحُسْنِ جُنَّت

قال : وسمع الحجاج امرأة من خلف حائط تناغى طفلا فقال : مجنونة أو أم صبى ؟ وقال أبو ثمامة بن عازب :

وكأنَّهمُ قدْ ذاقنا فكأنَّما يرَوْنَ علَيْنا جِلدَ أجربَ هائِلِ

وقال الثعلبى :

يَرَى النَّاسُ مِنَّا جلدَ أسودَ سالخٍ وفرْوَةَ ضِرْغامٍ منَ الأُسْدِ ضيغمِ

وأنشد الأصمعى :

مُنهرِتِ الشِّدْقَيْنِ عَوْدٍ كما كملْ كأنَّما قُمِّصَ منْ ليطِ جُعَلْ

وقال نُصيب لعمر بن عبد العزيز : إن لى بنية ذررت عليها من سوادى .

وقال عبد الملك للوليد : لا تعزل أخاك عبدالله عن مصر ، وانظر عمك محمد ابن مروان فأقره على الجزيرة ، وأما الحجاج فأنت أحوج اليه منه اليك ، وانظر على بن عبد الله فاستوص به خيرا . فضرب عليا بالسياط ، وعزل أخاه وعمه

وقال أبو نخيلة :

أنا ابنُ سعدٍ وتوَسَّطْتُ العجمْ فأنا فِيها شِئْتُ منْ خالٍ وعَمْ

وأنشد:

هُمُ وسَطٌ يَرْضَى الإلهُ بحكمهم إذا نَزَلَتْ إحْدَى اللَّيالى بمُعْظَمِ

(١) الشنفرى : هو الذى يضرب به المثل فى العدو فيقال : أعدى من الشنفرى . وهو من الأزد . وكان من شياطين العرب وأصحاب الغارات فيهم، وكان مع هذا شاعرا وإليه تنسب اللامية المعروفة بلامية العرب . وقال ابو بكر بن دريد: إن القصيدة المنسوبة الى الشنفرى التى أولها :

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم فانى إلى قوم سواكم لأميل

هي لخلف الأحمر ، قال : وهي من المقدمات فى الحسن والفصاحة والطول

يجعلون ذلك من قول الله تبارك وتعالى « وكَذَلِكَ جَعَلْنا كُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً »

وأنشد:

ولوْلاَ خُلَّةٌ سَبَقَتْ إليْهِ ... وأخْوٌ كانَ منْ عَرَقِ المدَامِ
دَلَفْتُ لهُ بأبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ ... كما يَدْنُو المُصافِحُ لِلسَّلاَمِ

وقال يزيد بن ضبة :

لا تُبْدِيَنَّ مَقَالَةً مَأْثُورَةً ... لاتَسْتَطِيعُ إذا مَضَتْ إدْرَاكَها

وقال ابنُ مَيَّادَةَ :

يا أيُّها النَّاسُ رُدُّوا القَوْلَ واسْتَمِعُوا ... وكل قَوْلٍ إذا ما قِيلَ يُسْتَمَعُ

وقال جرير :

ما المُدْلِجُ الغادِي إلَيْهِ بِسُحْرَةٍ ... إلاَّ كآخَرَ قاعِدٍ لَمْ يَبْرَحِ

وقال العلاء بنُ المِنْهال الغَنَوِى فى شريك بن عبد الله :

فَلَيْتَ أبا شَرِيكٍ كانَ حَيًّا ... فَيَقصرُ عنْ مقالتهِ شَرِيكْ
ويَتْرُكَ مِنْ تَدَرِّيهِ علينا ... إذا قُلْنا لهُ : هذا أبُوكْ

وقال طارق بن دينار الطائى :

ما إنْ يَزَالُ بِبَغْدَادٍ يُزَاحِمُنا ... عَلَى البَرَاذِينِ أشْباهُ البرَاذِينِ
ما شِئْتَ منْ بَغْلَةٍ سفواء ناجِيَةٍ ... ومِنْ إناثٍ وقَوْلٍ غيرِ مَوْزُونِ
أعْطاهُمُ اللهُ أمْوَالاً ومَنْزِلَةً ... مِنَ المُلُوكِ بلاَ عَقْلٍ ولا دِينِ

وقال منقذ بن دينار الهلالى :

لاَ تَذْكُرَنَّ صَنِيعَةً سَلَفَتْ مِنْـ ... ـكَ وإن كُنْتَ لستَ تُنكِرُها
عِنْدَ امْرِيءٍ أنْ تَقُولَ إنْ ذُكِرَتْ ... يَوْمًا منَ الدَّهْرِ لستُ أذْكُرُها
فإنَّ إحْيَاءَها إمَاتَتَها ... وإنَّ مَنَا بِها يُكَدِّرُها

قال بعض الحكماء : صاحبك من ينسى معروفه عندك ، ويتذكر حقوقك عليه

وقال منقر بن فروة المنقرى :

وإنْ خِفْتَ من أمْرٍ فَوَاتًا فَوَلِّهِ ... سِوَاكَ وعَنْ دَارِ الأَذَى فتحوَّلِ

وما المَرْءُ إلَّا حيثُ يَجْعَلُ نَفسهُ ... ففى صالحِ الأعمالِ نفسَكَ فاجْعَلِ

ونظر أبو الحرث جُمَيْن [1] إلى برذون يستقى عليه الماء فقال: وما المَرْءُ إلَّا حيثُ يجعَلُ نَفسهُ . لو هملج هذا البرذون لم يجعل للراوية .

وأنشد :

لَا خيرَ فى كلِّ فتًى نؤُوم ... لا يَعْتَرِيهِ طارِقُ الهُمُوم

وأنشد :

إجْعَلْ أبا حَسنٍ كَمَنْ لا تَعْرِفُ ... واهجرْهُ مُقتِرِفًا وإنْ لم يخلفِ

آخِ الكِرَامَ المنصفينَ وصِلْهُمُ ... واقْطَعْ مَوَدَّةَ كلِّ مَنْ لم يُنْصِفِ

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير :

ما زَالَ عِصْيانُنا لِلهِ يُسْلِمُنا ... حتى دُفِعنا إلى بَحْيٍ ودِينارِ

إلى عُلَيْجَيْنِ لم يَقْطَعْ يَمارُهُما ... قدطَالَماسَجَدَا لِلشَّمْسِ والنَّارِ

وشاتم أعرابى أعرابياً فقال : إنكم لتعتصرون العطاء ، وتُعيرون النساء ، وتبيعون الماء .

وقال أبو الاسود الدؤلى :

لنا جِيرَةٌ سَدُّوا المَجازَةَ بَيْنَنا ... فإنْ ذَكَرُوكَ السَّدَّ فالسَّدُّ أكْيَسُ

ومن خيرِ ما أُلْصِقْتَ بالدَّارِ حائِطٌ ... تَزِلُّ بهِ صُنْعُ الخطاطيفِ أملَسُ

وأنشد :

إذا لم يَكُنْ لِلْمَرْءِ بُدٌّ مِنَ الرَّدَى ... فأكرَمُ أسبابِ الرَّدى سَبَبُ الحُبِّ

---

(١) أبو الحرث جمين : زعم الفيروزبادى أن المحدثين أخطأوا فى اسمه ، والصواب عنده أن اسمه جميز ، مستشهداً على ذلك بقول أبى بكر بن مقسم :

إن أبا الحرث جميزا ... قد أوتى الحكمة والميزا

وعندى أن الاسم جمين صحيح ، وما سماه هذا الشاعر جميزاً إلا من باب التندر به والتلاعب باسمه لغرابته

وقال الآخر :

وإذا شَنِئْتُ فتى شَنِئْتُ حَدِيثَهُ ... وإذا سَمِعْتُ غِناءَهُ لم أَطْرَبِ

وأنشد المسروحى لكامل بن عكرمة :

لها كلَّ عامٍ مَوْعِدٌ غيرُ مُنْجَزٍ ... ووَقْتٌ إذا ما رَأْسُ حَوْلٍ تَجَرَّما

فإنْ وَعَدَتْ شرًّا أتى قَبْلَ وقْتِهِ ... وإنْ وعَدَتْ خيراً أراثَ وعتَّما

وقال الآخر :

ألم تَرَ أنَّ سيرَ الخيرِ رَيْثٌ ... وأنَّ الشَّرَّ راكِبُهُ يَطِيرُ

وقال محمد بن يسير :

تأتى المَكارِهُ حِينَ تأتى جُمْلَةً ... وترَى السُّرُورَ يَجِىءُ فى الفَلَتاتِ

وقال الاخر :

إذا ما بَرِيدُ الشَّام أقبلَ نَحْوَنا ... ببَعْضِ الدَّواهِى المُفْظِعاتِ فأسْرَعا

فإنْ كانَ شرًّا سارَ يَوْماً ولَيلةً ... وإنْ كانَ خيْراً أقْصَدَ السَّيْرَ أرْبَعا

وقال آخر :

فإذا نَهَضْتُ فما النُّهُوضُ بدائِمٍ ... وإذا نَكِبْتُ توَالَتِ النَّكَباتُ

وقال آخر :

وتُعْجِبنا الرُّؤْيا فَجُلُّ حَدِيثِنا ... إذا نحْنُ أصْبَحْنا الحَدِيثَ عَنِ الرُّؤْيا

وإنْ حَسُنَتْ لم تأتِ عَجْلَى وأبْطأتْ ... وإنْ قَبُحَتْ لم تَحْتَبِسْ وأتَتْ عَجْلَى

قيل لأعرابى : ما أعددت للشتاء ؟ قال : جلة ريوضا ، وصيصة سلوكا ، وشملة مكودا ، وقرمصا دفيئا ، وناقة مجالحة . وقيل لاخر : ماأعددت للشتاء ؟ قال : شدة الرعدة . وقيل لاخر : كيف ليلكم ؟ قال : سحر كله . وقيل لاخر : كيف البرد عندكم ؟ قال : ذلك إلى الريح . وقال مَعْنُ بنُ أوْسٍ المُزَنى :

فلاَ وأبى حَبِيبٍ ما نَفاهُ ... مِنَ الأرْضِ بنى ربيعةَ من هَوانِ

وكانَ هُوَ الغَنِىُّ إلى غِناهُ ... وكانَ مِنَ العَشِيرَةِ فى مَكانِ

تَكَنَّفَهُ الوُشاةُ فأزْعجُوهُ ... ودَعْسٌ من قُضاعةَ غيرُ وانِ

فَلَوْلَا أَنَّ أُمَّ أَبِيهِ أُمِّي ... وَأَنَّ مَنْ قَدْ هَجَاهُ فَقَدْ هَجَانِي
وَأَنَّ أَبِي أَبُوهُ لَذَاقَ مِنِّي ... مَرَارَةَ مِبْرَدِي وَلَكَانَ شَانِي
إِذًا لَاصَابَهُ مِنِّي هِجَاءٌ ... يَمُرُّ بِهِ الرَّوِيُّ عَلَى لِسَانِي
أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

وقال بعض اليهود :

وَلَوْ كُنْتُ أَرْضَى لَا أُبَالِكَ بِالَّذِي ... بِهِ الْعَائِلُ الْجَشَّامُ فِي الْخَفْضِ قَانِعُ
إِذًا قَصَرَتْ عِنْدِي الْهُمُومُ وَأَصْبَحَتْ ... عَلَيَّ وَعِنْدِي لِلرِّجَالِ صَنَائِعُ

﴿ ذكر ماقيل فى المهالبة وغيرهم ﴾

إِنَّ الْمُهَالِبَةَ الْكِرَامَ تَحَمَّلُوا ... دَفْعَ الْمَكَارِهِ عَنْ ذَوِي الْمَكْرُوهِ
زَانُوا قَدِيمَهُمُ بِحُسْنِ حَدِيثِهِمْ ... وَكَرِيمَ أَخْلَاقٍ بِحُسْنِ وُجُوهِ

وقال أبو الجهم العدوى فى معاوية بن أبى سفيان :

نُقَلِّبُهُ لِنَخْبُرَ حَالَتَيْهِ ... فَنَخْبُرَ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينَا
نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا ... نَمِيلُ إِذَا نَمِيلُ عَلَى أَبِينَا

وقال الآخر فى هذا الشكل :

إِنْ أَجْزِ عَلْقَمَةَ بْنَ سَيْفٍ سَعْيَهُ ... لَا أَجْزِهِ بِبَلَاءِ يَوْمٍ وَاحِدِ
لَأُحَبِّيَنَّ حُبَّ الصَّبِيِّ وَرَمْيَهُ ... رَمْيَ الْهَدِيِّ إِلَى الْغَنِيِّ الْوَاجِدِ
وَلَقَدْ شَفَيْتُ غَلِيلَتِي فَنَتَعْتُهَا ... مِنْ آلِ مَسْعُودٍ بِمَاءٍ بَارِدِ

وقال بُكير بن الاخنس:

نَزَلْتَ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيًا ... فَقِيرًا بَعِيدَ الدَّارِ فِي سَنَةِ مَحْلِ
فَمَا زَالَ بِي إِلْطَافُهُمْ وَافْتِقَادُهُمْ ... وَإِكْرَامُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي

وقال فى كلمة له أخرى :

وَقَدْ كُنْتُ شَيْخًا ذَا تَجَارِبَ جَمَّةً ... فَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ كَالصَّبِيِّ الْمُدَلَّلِ

ورآى المهلب وهو غلام فقال :

خُذُونِي بِهِ إِنْ لَمْ يَسُدْ سَرَوَاتِهِمْ ... وَيَبْرَعَ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ مِثْلُ

وقال الحزين فى طلحة بن عبد الله من ولد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه

فإنْ تَكُ يا طَلْحَ أعْطَيْتَنِي جُمَالِيَّةً تَسْتَحِقُّ السِّفَارَا
فمَا كانَ نَفْعُكَ لِي مَرَّةً ولا مَرَّتَيْنِ ولكِنْ مِرَارَا

وقال أبو الطمحان :

سأمْدَحُ مالكاً فى كلِّ رَكْبٍ لَقِيتُهُمُ وأتْرُكُ كلَّ رَذْلِ
فمَا أنا والبَكارَةُ مِنْ مَخَاضٍ عِظامٍ جِلَّةٍ سدسٍ وبُزْلِ
وقدْ عَرَفَتْ كِلابُكُمُ ثِيابِى كأنِّى مِنْكُمُ ونَسِيتُ أهْلِي
نَمَتْكُمْ مِنْ بَنِى شَمْخٍ زِنادٌ لها ما شِئْتَ مِنْ فَرْعٍ وأصْلِ

وقال أبو الشغب :

ألا إنَّ خيرَ النَّاسِ قدْ تَعْلَمُونَهُ أسِيرُ ثَقِيفٍ مُوثَقاً فى السَّلاسِلِ
لَعَمْرِى لئنْ أعْمَرْتُمُ السِّجْنَ خالِدًا وَأوْطَأتُمُوهُ وَطأةَ المُتَثاقِلِ
لقَدْ كانَ نَهَّاضاً بكلِّ مُلِمَّةٍ ومُعْطِى اللها غمْرًا كثيرَ النَّوافِلِ
فإنْ تَسْجِنُوا القَسْرِىَّ لا تَسْجِنُوا اسْمَهُ ولا تَسْجِنُوا مَعْرُوفَهُ فى القَبائِلِ

ومن هذا الباب قول أعشى همدان فى خالد بن عتّاب بن ورقاء :

رَأيْتُ ثَناءَ النَّاسِ بالغَيْبِ طَيِّبًا عَلَيْكَ وقالوا مَاجِدٌ وَابْنُ مَاجِدِ
بَنِى الحارِثِ السَّامِينَ لِلْمَجْدِ إنَّكم بَنَيْتُمْ بِناءً ذِكْرُهُ غيرُ بائِدِ
هَنِيئًا لِما أعْطَاكُمُ اللهُ واعْلَمُوا بأنِّى سَأطْرِى خالِدًا فى القَصائِدِ
فإنْ يَكُ عَتَّابٌ مَضَى لِسَبِيلِهِ فَمَا مَاتَ مَنْ يَبْقَى لهُ مِثْلُ خالِدِ

ومن هذا الشكل قول الحسين بن مطير الاسدى : (١)

---

(١) الحسين بن مطير الأسدى. أسدى بالولاء. كان شاعراً راجزاً فصيحاً متقدماً من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية . وكان يذهب في زيه وفي كلامه مذهب الأعراب وأهل البادية . قال أبو عبيدة : والله لوددت أن الشعراء قاربت الحسين بن مطير فى قوله :

مخصرة الأوساط زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودها
بصفر تراقيها وحمر أكفها وسود نواصيها وبيض خدودها

أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولاَ لِقَبْرِهِ ... سَقَتْكَ الغَوَادِي مَرْبَعًا ثُمَّ مَرْبَعَا (١)

أَيَا قَبرَ مَعْنٍ كُنْتَ أَوَّلَ حُفْرَةٍ ... مِنَ الأَرْضِ خُطَّتْ لِلسَّمَاحَةِ مَوْضِعا

وَيَا قَبرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ ... وَقَد كَانَ مِنْهُ البَرُّ وَالبَحْرُ مُتْرَعا

بَلَى قَدْ وَسِعْتَ الجُودَ وَالجُودُ مَيِّتٌ ... وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِقْتَ حَتَّى تَصَدَّعا

فَلَمَّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الجُودُ وَالنَّدَى ... وَأَصْبَحَ عِرْنِينُ المَكَارِمِ أَجْدَعا

فَيَا عَيشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ... كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعا

تَعَزَّ أَبَا العَبَّاسِ عَنْهُ وَلاَ يَكُنْ ... جَزَاؤُكَ مِنْ مَعْنٍ بِأَنْ تَتَضَعْضَعَا

فَمَا مَاتَ مَنْ كُنْتَ ابْنَهُ لاَ وَلاَ الَّذِي ... لَهُ مِثْلُ مَا أَسْدَى أَبُوكَ وَمَا سَعَى

تَمَنَّى أُنَاسٌ شَأْوَهُ مِنْ ضَلاَلِهِمْ ... فَأَضْحَوا عَلَى الأَذْقَانِ صَرْعَى وَظُلَّعَا

وهذا مثل قول مُسلم بنِ الوليدِ (٢) فى يزيدَ بن مزيد (٣)

---

(١) معن : هو معن بن زائدة الشيبانى . كان من كبار الولاة في الدولتين الأموية والعباسية ، وكان شجاعاً بطلا وفارساً مغواراً وجواداً كريماً ، وكان شاعراً مبيناً . ولاه أبو جعفر المنصور سجستان بعد أن رضى عنه . وله فيها آثار وأحوال وقصده بها الشعراء، فكان يجيزهم ويجزل لهم العطاء . وبينا كان في داره صناع يعملون له بعض الاصلاح اندس بينهم جماعة من الخوارج فقتلوه وهو يحتجم فتتبعهم ابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة حتى قتلهم بأسرهم ، وكان قتله بمدينة بست سنة ١٥١ هـ ٧٦٨ م

(٢) مسلم بن الوليد : يلقب صريع الغوانى . كان مولى الانصار . وكان شاعراً مبدعاً كثير الافتنان حسن التصرف في القول ، وكان من متقدمى شعراء الدولة العباسية ، ولد ونشأ بالكوفة ، وكان هو وأخوه سليمان الأعمى منقطعين إلى يزيد بن مزيد الشيبانى ومحمد بن منصور بن زياد . ثم اختص بعد ذلك بالفضل بن سهل ، فقلده الفضل ديوان المظالم بجرجان وبها توفى سنة ٢٠٨ هـ ٨٢٣ م . وترجمة مسلم مبسوطة بسطاً كافياً فى كتاب « مهذب الأغانى » فليرجع اليها هناك من شاء

(٣) يزيد بن مزيد : كان ابن أخى معن بن زائدة المار ذكره . وكان من الأمراء المشهورين ، وكان من الشجاعة والكرم في الذروة . ولاه الرشيد أرمينية ثم ضم إليه أذربيجان . ولولا يزيد وبلاؤه في محاربة الوليد بن طريف الشيبانى الخارج على

قَبرٌ بِبَرْدَعَةَ اسْتَسَرَّ ضَرِيحُهُ ... خطَراً تُناصِرُ دُونَهُ الأَخْطارُ (١)

أَبْقَى الزَّمانُ على مَعَدٍّ بَعْدَهُ ... حُزْناً كَعُمْرِ الدَّهرِ لَيْسَ يَعارُ (٢)

نَفَضَتْ بِهِ الآمالُ أَحْلاسَ الغِنى ... واسْتَرْجَعَتْ نُزَّاعَها الأَمْصارُ (٣)

فاذْهَبْ كما ذَهَبَتْ غَوادِي رَبْعَةٍ ... أَنَّى عَلَيها السَّهْلُ والأَوْعارُ

﴿ ذكر حروف من الادب من حديث بنى مروان وغيرهم ﴾

قيل : إذا رسخ الرجل فى العلم رفعت عنه الرؤيا الصالحة

مسلمة قال : كان عند عمر بن عبدالعزيز رجلان فجعلا يلحنان فقال الحاجب: قوما فقد آذيتما أمير المؤمنين. قال عمر : أنت آذى لى منهما

المدائنى قال : قعد قدام زياد رجل ضباعى من قرية باليمن يقال لها ضباع ، وزياد يبنى داره ، فقال له : أيها الامير ، لو كنت عملت باب مشرقها من قبل مغربها ، وباب مغربها من قبل مشرقها ؟ فقال : أنى لك هذه الفصاحة ؟ قال : إنها ليست من كتاب ولا حساب ولكنها من ذكاوة العقل . فقال : ويلك الثانى شر

شعبة عن الحكم قال : قال عبد الرحمن بن أبى ليلى : لا أمارى أخى فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه

ابن أبى الزناد قال : إذا اجتمعت حُرمتان تركت الصغرى للكبرى

وعن أبى بكر الهذلى ، واسمه سلمى ، قال : إذا جمع الطعام أربعا فقد كمل ، إذا كان حلالا ، وكثرت عليه الايدى ، وسمى الله على أوله ، وحمد على آخره

سلطان الرشيد لكان للدولة العباسية من الشأن غير شأنها . ولبلغ البرامكة منها ما أرادوا . توفي يزيد سنة ١٨٥ هـ ٨٠١ م

(١) فى الاصل : ببرذعة ، وقد ضبطها ابن خلكان بالدال فجاريناه. الذى في الامالى: قبر بحلوان أسر ضريحه (٢) الذى في وفيات الأعيان وفي مهذب الاغانى : أبقى الزمان على ربيعة . (٣) الذى بالأمالى : نفضت بك الاحلاس نفض إقامة ✡ واستعجلت نزاعها الامصار . والذى في المهذب : واسترجعت رؤادها . والذى في وفيات الاعيان : نقضت بك الاحلاس آمال الغنى ✡ واسترجعت زوارها .

وقال ابن قميئة :

وأهْوَنُ كفٍّ لا تضيرُكَ ضيرَةً ... يَدٌ بينَ أيْدٍ فى إناءِ طَعامِ
يَدٌ من قريبٍ أو غريبٍ بقَفْرَةٍ ... أتَتْكَ بها عَبراءُ ذاتُ قَتامِ

وقال حماد عجرد :

حُبَيشٌ أبُو الصَّلْتِ ذو خِبْرَةٍ ... بما يُصْلِحُ المِعْدَةَ الفاسِدَهْ
تَخَوَّفَ تُخْمَةَ أصْحابِهِ ... فَعَوَّدَهُمْ أكلَةً واحِدَهْ

وقال سُويد المرائد :

إنّى إذا ما الأمْرُ بَيَّنَ شَكُّهُ ... وبَدَتْ بَصائِرُهُ لِمَنْ يَتأمَّلُ
وتَبرَّأ الضُّعَفاءُ مِنْ إخْوانِهِمْ ... وأَلَحَّ من حَرِّ الصَّمِيمِ الكَلْكَلُ
أدْعُ التى هِىَ أرْأفُ الخَلّاتِ بى ... عِنْدَ الحَفِيظَةِ لِلَّتى هِىَ أجْمَلُ

(ومما يكتب فى باب العصا)

[قال حسان بن الغدير (١)]

قالَتْ أُمامَةُ يَوْمَ بُرْقَةِ واسِطٍ ... يا ابْنَ الغَدِيرِ لقَدْ جَعَلْتَ تَغَيَّرُ (٢)
أصْبَحْتَ بَعْدَ زَمانِكَ الماضِى الذى ... ذَهَبَتْ شَبِيبَتُهُ وغُصْنُكَ أخْضَرُ (٣)

(١) ليس في الاصل إسم الشاعر لا نكرة ولا معرفة، فأثبتناه . ولهذه الابيات قصة لطيفة ذكرها صاحب الامالى فى الذيل بسنده قال : حدثنى مجمع بن يعقوب الانصارى قال : أدركت حسان بن الغدير شيخاً كبيراً من أجمل الشيوخ وأحسنهم . فحدثنى قال : سارت سائرة من بنى جشم بن بكر ، فرأيت فيهم فتاة ما رأيت في نساء العرب مثلها حسناً ، فكنت أخطبها ، فلم يقدر لى تزويجها ، فضرب الدهر بيننا ، فانى بعد ذلك بأربعين سنة لقى بلادى إذ أهلوها قد ساروا ، وإذا بها عجوز تسأل عنى ، فلما دفعت إلى ورأت كبرى قالت : أأنت ابن الغدير ؟ فقلت : نعم ، قالت : لقد أكل الدهر عليك وشرب ؟ قال : فذلك قولى فيها ، وقد كبرت أيضاً وتغيرت : قالت أمامة . الخ (٢) تغير : في ذيل الامالى : تنكر (٣) الذى في ذيل الامالى :

أصبحت بعد شبابك الغض الذى ... ولت شبيبته وغصنك أخضر

شَيْخاً دِعامَتُكَ العَصَا ومُشَيَّعاً لا تَبْتَغِي خَبَراً وَلاَ تُسْتَخْبَرُ (١)

ويضم البيت الاخير إلى قوله:

وهلاكُ الفَتَى أنْ لا يُرَاحَ إلى النَّدَى وأنْ لا يَرَى شَيْأً عَجِيباً فَيَعْجَبَا

ومَنْ يَبْتَغِي مِنِّي الظَلامَةَ يَلْقَنِي إذا مارَ آنى أصْلَعَ الرَّأسِ أشْيَبَا

وقال بعض الحكماء: أعجب من العجب ترك التعجب من العجب. وقيل لشيخ هِمٍّ: أى شيء تشتهى؟ قال: أسمع بالأعاجيب

وأنشد:

عَرِيضُ البِطانِ جَدِيبُ الخِوَانِ قَرِيبُ المِرَاثِ مِنَ المَرْتَعِ

فَنِصْفُ النَّهارِ لِكِرْيَاسِهِ ونِصْفٌ لِمَأكَلِهِ أجْمَعِ

ومما يضم إلى العصا قوله:

لَعَمْرِي لَئِنْ حُلْتُ عَنْ مَنْهَلِ الصِّبَا لَقَدْ كُنْتُ وَرَّاداً لِمَشْرَبِهِ العَذْبِ

لَيَالِيَ أغْدُو بَيْنَ بُرْدَيْنِ لاَهِياً أمِيسُ كَغُصْنِ البَانَةِ النَّاعِمِ الرَّطْبِ

سَلامٌ على سَيرِ القِلاصِ مَعَ الرَّكْبِ ووَصْلِ الغَوَانِي والمُدَامَةِ والشُّرْبِ

سَلامَ امْرِئٍ لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ سِوَى نَظَرِ العَيْنَيْنِ أوْ شَهْوَةِ القَلْبِ

وقال حاجب بن ذبيان لاخيه زرارة:

عَجِلْتَ مَجِيءَ المَوْتِ حِينَ هَجَرْتَنِي وفِي القَبْرِ هَجْرٌ يَا زُرَارَ طَوِيلُ

وقال الآخر:

أَلَمْ تَعْلَمِي يا عَمْرَكِ اللهُ أنَّنِي كَرِيمٌ على حِينِ الكِرَامُ قَلِيلُ

وأنِّي لا أُخْزَى إذا قِيلَ مُقْتِرٌ جَوَادٌ وأُخْزَى أنْ يُقَالَ بَخِيلُ

(١) وبعد هذا البيت الذى فى الاصل قوله:

فأجبتها أن من يعمر يعترف ما تزعمين ويب عنه المنظر

ولقد رأيت شبيه ما عيرتنى يسرى على به الزمان ويبكر

وجعلت يغضبنى اليسير وملنى أهلى وكنت مكرماً لا أكهر

وشربت فى القعب الصغير وقادنى نحو الجماعة من بنى الاصغر

وإنْ لا يكُنْ عظْمِي طَوِيلاً فإننى ... لهُ بالخِصَالِ الصَّالحاتِ وَصُولُ
إذا كنْتُ فى القَوْمِ الطِّوَالِ فضَلْتُهُمْ ... بِعارِفَةٍ حتى يُقَالَ طَوِيلُ
ولا خيرَ فى حُسْنِ الجُسُومِ وطُولِها ... إذا لمْ يَزِنْ حُسْنَ الجُسُومِ عُقُولُ
وكائنْ رَأَيْنا منْ فُرُوعٍ طَوِيلَةٍ ... تمُوتُ إذا لمْ تُحْيِهِنَّ أُصُولُ
ولَمْ أرَ كالمَعْرُوفِ أمَّا مَذَاقُهُ ... فَحُلْوٌ وأمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

وقال زياد بن زيد :

إذا ما انْتَهَى عِلْمِى تَنَاهَيْتُ عِنْدَهُ ... أطالَ فأمْلَى أمْ تَنَاهَى فأقْصَرَا
ويُخْبِرُنِى عنْ غائِبِ المَرْءِ فِعلُهُ ... كَفَى الفِعْلُ عمَّا غَيَّبَ المَرْءُ مُخْبِرَا

وقال آخر :

أَبِرُّ فمَا يَزْدَادُ إلاَّ حَمَاقَةً ... ونَوْكًا، وإنْ كانَتْ كَثِيراً مَخَارِجُهْ

وقال ابن الرُّقاع (١):

وقَصِيدَةٍ قدْ بِتُّ أجْمَعُ بَيْنَها ... حتى أُقَوِّمَ مَيْلَهَا وسِنَادَهَا
نَظَرَ المُثَقِّفِ فى كُعُوبِ قَنَاتِهِ ... حَتى يُقِيمَ ثِقَافُهُ مُنْآدَهَا
وعَلِمْتُ حتى لَسْتُ أسْأَلُ عالِمًا ... عنْ حَرْفِ واحِدَةٍ لكى أزْدَادَهَا

وقال بعض الاعراب :

لَوْلاَ مَسَرَّةُ أقْوَامٍ تَصَعَّدُنى ... أو الشَّمَاتَةُ مِنْ قَوْمٍ ذوى إحَنِ
ماسَرَّنِى أنَّ إبْلِى فِى مَبَارِكِهَا ... وأنَّ أمْرًا قَضَاهُ اللهُ لمْ يكُنِ

وقال الآخر :

وإنِّى لَأَهْوَى ثُمَّ لا أتَّبِعُ الهَوَى ... وأُكْرِمُ خِلاَّنِى وَفِىَّ صُدُودُ
وفى النَّفْسِ عنْ بَعْضِ التَّعَرُّضِ غِلْظَةٌ ... وَفى العَيْنِ عنْ بَعْضِ البُكَاءِ جُمُودِ

وقال كُثير :

تَرَى القَوْمَ يُخْفُونَ التَّبَسُّمَ عِنْدَهُ ... وَيُنْذِرُهُمْ عَوْرَ الكَلامِ نَذِيرُهَا
فلا هاجِرَاتُ القَوْلِ يُؤْثَرْنَ عِنْدَهُ ... ولا كَلِمَاتُ النُّصْحِ مِقْصًى مُشِيرُهَا

(١) راجع القصيدة بتمامها فى هامش الجزء الثانى من البيان والتبيين ص ١٩٠

وقال المقشعر :

يَقَرُّ بِعَيْنِى أَنْ أَرَى قِصَدَ القَنَا ... وَصَرْعَى رِجالٍ فِى وَغًى أَنا حاضِرُهْ

وقال الكميت :

أَحْسَنُ مِنْها ذِيَادُ خامِسَةٍ ... فِى الْوِرْدِ أَوْ فَيْلَقٌ يُجالِدُها

وقال صالح بن مخراق ، فى كلام له : لولا أن الله تبارك وتعالى قال « كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ » لأنبأتكم أنى لا أكرهه

وقال الآخر :

تَرَكْتُ الرُّكَابَ لأَرْبَابِهَا ... وَأَكْرَهْتُ نَفْسِى عَلَى ابْنِ الصَّعَق

جَعَلْتُ يَدِىَّ وِشَاحًا لَهُ ... وَبَعْضُ الْفَوَارِسِ لَا يَعْتَنِقْ

قال : قال عمر بن عبد العزيز يوما فى مجلسه : من أم النعمان بن المنذر ؟ فقال روح بن الوليد بن عبد الملك : سلمى بنت عقاب . قال : إنه ليقال ذلك ، ياحاجب أحسن إذنه .

قالوا : عشر خصال فى عشرة أصناف من الناس ، أقبح منها فى غيرهم . الضيق فى الملوك ، والغدر فى الأشراف ، والكذب فى القضاة ، والخديعة فى العلماء ، والغضب فى الابرار ، والحرص فى الاغنياء ، والسفه فى الشيوخ ، والمرض فى الاطباء ، والزهو فى الفقراء ، والفخر فى القراء

وأنشد :

وَلَا تَقْبَلُوا عَقْلًا وَأُمُّوا بِغَارَةٍ ... بَنِى عَبْدِ شَمْسِ بَيْنَ دُومَةَ وَالْهَضْبِ

وَهُزُّوا صُدُورَ الْمَشْرَفِيِّ كَأَنَّمَا ... يَقَعْنَ بِهَامِ الْقَوْمِ فِى حَنْظَلٍ رَطْبِ

ويضم إلى بيت الكميت وبيت المقشعر قول الحكمى :

أَحْسَنُ عِنْدِى مِنَ انْكِبَابِكَ بِالْـ ... ـمِهْرِ مُلِحًّا بِهِ عَلَى وَتِدِ

وُقُوفُ رِيحَانَةٍ على أُذُنٍ ... وسيرُ كأسٍ إلى فم بيدِ

وفى باب غير هذا يقول حسان بن ثابت :

مَا أُبَالِى أَنَبَّ بِالْحَزْنِ تَيْسٌ ... أَمْ لَحَانِى بِظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ

وأنشدوا :

خُبِّرْتُ أَنَّ طُوَيْلِبًا يَغْتَابُنَا ... بِعَضِيهَةٍ يَتَحَلَّلُ الأَقْوَالاَ

مَاضَرَّ سَادَةَ نَهْشَلٍ أَهْجَاهُمُ ... امْ قَامَ فِى عُرْضِ الْحَوَىَّ فَبَالاَ

وقال الفرزدق فى هذا المعنى :

مَاضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلٍ أَهْجَوْتَهَا ... أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ

وقال الآخر فى هذا المعنى :

مَا يَضِيرُ الْبَحْرَ أَمْسَى زَاخِراً ... أَنْ رَمَى فِيهِ غُلاَمٌ بِحَجَرْ

(ومما يزاد فى باب العصا)

قول جرير بن الخطفى :

وَيُقْضَى الأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ ... وَلاَ يُسْتَأْمَرُونَ وَهُمْ شُهُودُ

وَقَدْ سَلَبَتْ عَصَاكَ بَنُو تَمِيمٍ ... فَمَا تَدْرِى بِأَىِّ عَصًا تَذُودُ

وقال الحسن بن عرفطة بن نضلة :

لِيَهْنِكَ بُغْضٌ فى الصَّدِيقِ وَضِنَّةٌ ... وَتَحْدِيثُكَ الشَّىءَ الَّذِى أَنتَ كَاذِبُهْ

وَأَنَّكَ مِهْدَاهُ الْخَنَا نَطْفُ الثَّنَا ... شَدِيدُ السِّبَابِ رَافِعُ الصَّوْتِ غَالِبُهْ

وَأَنَّكَ مَشْنُوءٌ إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ ... بَلاَكَ وَمِثْلُ الشَّرِّ يُكْرَهُ جَانِبُهْ

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْجَهْلِ أَدْنَى إِلَى الرَّدَى ... وَلاَ مِثْلَ بَعْضِ النَّاسِ غَمْضَ صَاحِبُهْ

وقال قتادة بن خرجة التغلبى :

خَلِيلَىَّ يَوْمَ السَّلْسَلَيْنِ لَوْ أَنَّنِى ... بِهِيرَا اللِّوَا أَنْكَرْتُ مَا قُلْتُمَالِيَا

وَلَكِنَّنِى لَمْ أَنْسَ مَاقَالَ صَاحِبِى ... نَصِيبُكَ مِنْ ذُلٍّ إِذَا كُنْتَ نَائِيَا

وقال خالد بن نضلة :

إِذَا كُنتَ فِى قَوْمٍ عِدًى لَسْتَ مِنْهُمُ ... فَكُلْ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيِّبِ

وقال أحمد بن يوسف ، وكان يتعشق يحيى بن سعيد بن حماد :

إنَّ يَحْيَى بنَ سَعِيدٍ يَشْتَهِي أنْ أشْتَهِيه
فَهْوَ يَلْقانِي بِتَوْرٍ بِم وأحْيانًا بِتِيه

وقال أبو سعيد ، دعى بنى مخزوم فى مهاجاة دعبل :

ولولاَ نِزَارٌ لَضاقَ الفَضَاء وَلَمْ يَبْقَ حِرْزٌ ولا مَعْقِلُ
وأخْرَجَتِ الأرْضُ أثْقالَها وأُدْخِلَ فى استِ امِّهِ دِعْبَلُ

وقال :

حَدق الآجال آجالُ والهوَى لِلْمَرْءِ قَتالُ
والهوَى صَعْبٌ مَرَاكِبُهُ ورُكُوبُ الصَّعْبِ أهْوَالُ
لَيْسَ منْ شَكلى فأشْتُمُهُ دِعْبَلٌ والنَّاسُ أشْكال
هِمَّتِي فى التَّاجِ ألْبسُهُ ولهُ فى الشِّعْرِ آمالُ

وقال :

هذا اللُّبانىُّ يحوِى جَوَائِزَ الخلَفَاء
فَفِي حِرِامِّى مَدِيحِى وَفِى حِرِامِّى هِجَائِى
وفِى حِرِامِّى وإنْ كُنْتُ سَيِّدَ الشُّعَرَاء

وقال محمد بن يسير :

فِي حِرِامِّ النَّاسِ كلِّهِمِ أنا فِى هذَا منَ أوَّلِهِمْ
لَسْتَ تَدْرِى حِينَ تَخْبُرُهُم أيْنَ أدْناهُمْ منَ أفْضَلِهِمْ

وقال :

إذا مَا جَاوَزَ النُّدَمَاء خَمْساً بِرَبِّ البَيْتِ والسَّاقِي الأَدِيبِ
فأيْرٌ فِي حِرِامِّ فَتًى دَعانا وأيْرٌ فِى حِرِامِّ فَتًى مُجِيبِ

وقال سلم الخاسر :

بِهَارُونَ قَرَّ الملكُ فى مُسْتَقَرِّهِ وأشْرَقَتِ الدُّنْيا وأيْنَعَ نُورُها

وليس لأيام المكارم غاية ... تتم بها إلا وأنت أميرها

وقال بشار بن برد :

من فتاة صب الجمال عليها ... فى حديث كلذة النشوان
ثم فارقت ذاك غير ذميم ... كل عيش الدنيا وإن طال فان

وقال مزاحم العقيلى :

تزين سنا المأوى كل عشية ... على غفلات الزين والمتجمل
وجوها لو ان المدلجين اعتشوا بها ... صدعن الدجى حتى يرى الليل ينجلى

وقال المسعودى :

إن الكرام مناهبوك المجد كلهم ... فناهب
أخلف وأتلف كل شىء عزعزعته الريح ذاهب

قال شيخ من الاطباء : الحمد لله فلان يزاحمنا فى الطب ولم يختلف إلى البيمارستان تمام خمسين سنة

وحدثنى محمد بن عبدالملك صديق لى قال : سمعت رجلا من فرسان طبرستان يقول : فلان يدعى الفروسية ولو كلف أن يخلى فروج فرسه منحدراً من جبل لما قدر عليه

وقال بعض العبيد :

أيبعثنى فى الشاء وابن مخيلد ... على هجمة قد لوحتها الطبائخ
متى كان حمران النبانى راعياً ... وقد راعه بالذود أسود سالخ

وقال كثير فى عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

تكلمت بالحق المبين وإنما ... تبين آيات الهدى بالتكلم
ألا إنما يكفى القنا بعد زيغه ... من الأود البادى ثقاف المقوم

الأصمعى قال : قال ابن عبيد : لا يزال الناس بخير ماداموا إذا اختلج فى صدر الرجل شىء وجد من يفرج عنه

قال البعيث فى إبرهيم بن عدى :

ترى مِنبر العبد اللئيم كأنما ثلاثةُ غِرْبان عليه وُقوعُ

وقال الأعشى :

رُبَّ رِفْدٍ هرَقتهُ ذلك اليو م وأسرَى من معشرٍ أقيالُ

وقالوا : لا وَكس ولا شطط

وقال الشاعر :

ومدَجج كرِهَ الكُماةُ نِزَالَهُ لا مُمعنٌ هرَباً ولا مُستسلم

وقال زهير :

دُونَ السَّماء وفوْقَ الأَرْضِ قدرُهما عندَ الدُّنَابَى فلا فوتٌ ولا دَرَكُ

وقالوا : خير الأمور أوساطها ، وشر السير الحقحقة ، قال : والمثل السائر والصواب المستعمل : لا تكن حلوا فتزد د ، ولامراً فتلفظ

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إن هذا الامر لايصلحه إلا لين فى غير ضعف ، وشدة فى غير عنف

وكان الحجاج يجاوز العنف إلى الخرق ، وكان كماوصف نفسه قال : أنا حديد حقود ، وذو قسوة حسود . وذكره آخر فقال : كان شراً من صبى

وقال أكثم بن صيفى : تناؤا فى الديار ، وتواصلوا فى المزار

وكان نامىْ الشهوريقول : اللهم باعد بين نسائنا ،وقارب بين رعائنا ، واجعل الاموال فى سمحائنا

وقال آخر :

شتى مَراجِلهم فَوضَى نِساؤهم فكلهم لابيه ضيزنٌ سلفُ

وقال آخر : مَن أمل أحداً هابهْ ، ومَنْ قصرَ عن شىء عابهْ

وقال الآخر :

رَجَعنا سالمينَ كما بدَأنا وما خابتْ غنيمةُ سالمينا

وقال امرؤ القيس بن حُجر : ١٥

لقدْ نقبتُ فى الافاقِ حتى رَضِيتُ من الغنيمة بالإيابِ

وقيل لابن عباس : أيما أحب إليك ، رجل يكثر من الحسنات ويكثر من السيئات ، أو يقل من الحسنات والسيئات ؟ قال : ما أعدل بالسلامة شيئا

وقالت أعرابية :

لا تحْمدُونى فى الزيارَة إننى أزُورُكم إنْ لا أجد متعللا

يعقوب بن داود قال : ذم رجل الأشتر فقال له رجل من النخع : اسكت فان حياته هزمت أهل الشام، وموته هزم أهل العراق

أبو الحسن قال : أرسلت الخيل أيام بشر بن مروان فسبق فرس عبد الملك ابن بشر ، فقال له اسمعيل بن الاشعث : والله لأرسلن غداً مع فرسك فرساً لا يعرف أن أباك أمير العراق . فجاء فرس إسمعيل سابقا ، فقال : ألم أعلمك ؟

وقال أبو العتاهية :

أيا مَن لى بأُنسِكَ يا أُخيًّا ومَنْ لِى أنْ أبُثَّكَ ما لَدَيَّا
كَفَى حزَناً بدَفْنِكَ ثمَّ أنِّى نَفَضتُ تُرابَ قبرِكَ عَنْ يَدَيا
طَوَتْكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بعد نَشْرٍ كذَاكَ خُطُوبُهُ نَشْراً وطَيًّا
فلوْ نَشَرَتْ قُوَاكَ إلى المَنايا شكَوْتُ إليْكَ ما صنَعتْ إليَّا
بكيْتُكَ يَا أُخىَ بِدَرِّ عَيْنِي فلمْ يُغْنِ البُكاءُ عليكَ شيًّا
وكانت فى حَيَاتِكَ لِى عِظَاتٌ فأنتَ اليومَ أوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

وقال الآخر :

أبَعْدَ الَّذِى بالنَّعْفِ نَعف كُوَيكبٍ رَهِينةَ رَمسٍ بَينَ تُرْبٍ وجَنْدَلِ
أُذَكِّرُ بالبُقْيَا عَلَى مَنْ أصَابَنِي وبُقْيَاىَ أنِّى جَاهِدٌ غيرُ مُؤتَلِ

يقول : وهذا بقياى

﴿ كلام عن حلم معاوية ﴾

قال : قيل لشريك بن عبد الله : كان معاوية حليماً . قال : لو كان حليماً ما سفه الحق ولا قاتل عليا ، ولو كان حليماً ما حمل أبناء العبيد على حرمه ، ولما أنكح إلا الأكفاء . وأصوب من هذا قول الآخر : كان معاوية يتعرض ويحلم إذا أسمع ، ومن تعرض للسفيه فهو سفيه . وقال الآخر : كان يحب أن يظهر حلمه وقد كان طار اسمه بذلك فكان يحب أن يزداد فى ذلك

وقال الفرزدق :

وَكانَ يُجيرُ الناسَ مِنْ سَيْفِ مالِكٍ ... فَأَصْبَحَ يَبْغى نَفْسَهُ مَنْ يُجيرُهُ
وَكانَ كَغَمْزِ السُّوءِ قامَتْ بِظُلْفِها ... إِلَى مُدْيَةٍ تَحْتَ التُّرابِ تُثيرُها

وقال التوت اليمانى :

عَلَى أَىِّ بابٍ أَطْلُبُ الْإِذْنَ بَعْدَمَا ... حُجِبْتُ عَنِ الْبابِ الَّذِى أَنَا حاجِبُهْ

وهذا مثل قوله :

وَالسَّبَبُ الْمانِعُ حَظَّ الْعاقِلِ ... هُوَ الَّذِى سَبَّبَ رِزْقَ الْجاهِلِ

ومثله :

وَرُبَّتَ حَزْمٍ كانَ لِلسُّقْمِ عِلَّةً ... وَعِلَّةُ بُرْءِ الدَّاءِ حَظُّ الْمُغَفَّلِ

وقال آخر :

يَخِيبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرُهُ ... وَيُعْطَى الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صاحِبُهُ

وقال عثمان بن الحويرث لعمرو بن العاص :

لَهُ أَبَوانِ فَهْوَ يُدْعَى إِلَيْهِما ... وَشَرُّ الْعِبادِ مَنْ لَهُ أَبَوانِ
وَقَدْ حَكَمَا فِيهِ لِتَصْدِيقِ أُمِّهِ ... وَكانَ لَها عِلْمٌ بِهِ بِبَيانِ
فَقالَتْ صَراحاً وَهِىَ تَعْلَمُ غَيْرَهُ ... وَلَكِنَّها تَهْذِى بِغَيْرِ لِسانِ

وقال الآخر :

يَطْلُبْنَ بِالْقَوْمِ حاجاتٍ تَضَمَّنَها ... بَدْرٌ بِكُلِّ لِسانٍ يَلْبَسُ الْمِدَحا

كأنَّ فَيْضَ يَدَيْهِ قَبْلَ مَسْأَلَةٍ بَابُ السَّمَاءِ إذَا مَا بِالحَيَا انْفَتَحَا
وَكَّلْتَ بِالدَّهْرِ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ مِنْ جُودِ كَفَّيْكَ تَأْسُو كُلَّمَا جَرَحَا

ومثله :

إذا افْتَقَرَ المُنْهَالُ لَمْ يُرَ فَقْرُهُ وَإِنْ أَيْسَرَ المُنْهَالُ أَيْسَرَ صَاحِبُهْ

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : من أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج

وقال يزيد بن المهلب ، وكان فى سجن الحجاج : لهفى على طَلِبَةٍ بمئة ألف وفرج فى جبهة أسد

وأنشد:

رُبَّمَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الأَمـ ـرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ العِقَالِ

وأنشد:

كَرِهْتُ وَكَانَ الخَيْرُ فِيمَا كَرِهْتُهُ وَأَحْبَبْتُ أَمْرًا كَانَ فِيهِ شَبَا القَتْلِ

وهذا مثل قوله تعالى « وعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وهو خيرٌ لكمْ وعَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهو شَرٌّ لكم »

وكان يقال : خذ مقتصد العراق، ومجتهد الحجاز

وقال الآخر :

لِكُلِّ كَرِيمٍ مِنْ أَلائِمِ قَوْمِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ حَاسِدُونَ وَكُشَّحُ

وقال جرير :

إِنِّي لآمُلُ مِنْكَ خَيْرًا عَاجِلاً وَالنَّفْسُ مُولَعَةٌ بِحُبِّ العَاجِلِ

وقال تبارك وتعالى «قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ»

وقال ابن هرمة :

أَشَمُّ مِنَ الَّذِينَ بِهِمْ قُرَيْشٌ تُدَاوِى بَيْنَهَا عَيْنَ القَتِيلِ
كَأَنَّ تَلَأْلُؤَ المَعْرُوفِ فِيهِ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِى السَّيْفِ الصَّقِيلِ

وقال أمرؤ القيس :

أجارَتَنا إنَّ المَزارَ قريبُ ... وإنى مقيمٌ ما أقامَ عَسيبُ

أجارَتَنا إنا غَريبانِ ههُنا ... وكلُّ غريبٍ للغريبِ نَسيبُ

وقال بشار :

وإذا أغَرْتَ فلا تكُنْ جَشِعاً ... تَسْمُو لِغَثِّ الكسْبِ تَكْسِبُهُ

وقال حسان بن ثابت :

أَهدَى لهمْ مِدَحِى قَلْبٌ يُوازِرُهُ ... فِيمَا أُحِبُّ لِسَانٌ حائِكٌ صَنَعٌ

وقال الأصمعى : أنشدنا أبو مهدية :

ضَحُّوا بأشْمَطَ عُنْوانِ السجُودِ بهِ ... يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وقُرْآنا

وقال الخزرجى يرد على أبى قيس بن الأسلت ، واسمه صيفى :

أَتَفْخَرُ صَيْفِي فِيما تقُو ... لُ أنْ نِلْتُمُ عَيْلَةً أرْبَعَهْ

عَرَانِينَ كلُّهُمُ ماجِدٌ ... كثيرُ الدَّسائِعِ والمَنْفَعَهْ

فَهلاَّ حَضَرْتَ غَداةَ البقِيـ ... ـعِ لمَّا استَمالَ أبُو صَعْصَعَهْ

ولكنْ كَرِهْتُمْ شُهُودَ الوَغَى ... وكُنْتُمْ كذَلِكَ فى المَعْمَعَهْ

سِرَاعا إلى القَتْلِ فى خِفْيَةٍ ... بِطاءً عنِ القَتْلِ في المَجْمَعَهْ

وأنشد الأصمعى :

آنى النَّدِىَّ فلا يُقَرِّبُ مَجْلِسِى ... وأُقِيدُ لِلشَّرَفِ الرَّفيعِ حِمَارِيَا

وقال حبيب بن أوس :

كالخُوطِ فِي القَدِّ والغَزالةِ فى البَهـ ... ـجةِ وابْنِ الغَزَالِ في غَيْدِهْ

وما حَكاهُ ولا نَعِيمَ لهُ ... فى جِيدِهِ بَلْ حَكاهُ فِى جَيَدِهْ

إلى المُفَدَّى أبى يزِيدَ الذِى ... يَضِلُّ غَمْرُ المُلُوكِ فى ثَمَدِهْ

ظِلُّ عُفَاةٍ يُحِبُّ زَائِرَهُ ... حُبَّ الكبيرِ الصَّغيرَ مِنْ وَلَدِهْ

إذا أناخُوا بِبابِهِ أخَذُوا ... حُكْمَهُمُ مِنْ لِسانِهِ ويَدِهِ

وقال أيضاً :

لَعَمْرُكَ ما كانُوا ثلاثةَ إخْوَةٍ ولكِنَّهُمْ كانُوا ثلاثَ قبائلِ

﴿ ومن خطباء الخوارج ﴾

قَطَرِيُّ بنُ الفُجاءةِ أحد بنى كنانة بن حرقوص ، وكنيته أبو نعامة فى الحرب وفى السلم أبو محمد ، وهو أحد رؤساء الأزارقة ، وكان خطيباً فارساً ، خرج زمن مصعب بن الزبير وبقى عشرين سنة ، وكان يدين بالاستعراض والسباء وقتل الاطفال . وكان آخر من بُعث إليه سفيان بن الأبرد الكلبى ، وقتله سورة بن الجبر الدارمى من بنى أبان بن دارم

﴿ ومن خطباء الخوارج وشعرائهم وعلمائهم ﴾

حبيب بن جدرة ، عداده فى بنى شيبان ، وهو مولى لهلال بن عامر

ومن علمائهم وخطبائهم وأئمتهم : الضحاك بن قيس ، أحد بنى عمرو بن محلم ابن ذهل بن شيبان ، ويكنى أباسعيد ، ملك العراق وصلى خلفه عبدالله بن عمر (١) وعبد الواحد بن سليمان ، وقال شاعرهم :

ألم تَرَ أنَّ اللهَ أظْهرَ دِينَهُ وصَلَّتْ قُرَيْشٌ خلْفَ بكْرِ بْنِ وَائلِ

ومن علمائهم وخطبائهم : نصر بن ملحان ، وكان الضحاك ولاه الصلاة بالناس والقضاء بينهم

ومن علمائهم : مليل وأصغر ابنا عبد الرحمن ، وأبو عبيدة كورين ، واسمه مسلم ، وهو مولى لعروة بن أذينة

ومن علمائهم وخطبائهم وشعرائهم وقعدهم وأهل الفقه [منهم] : عمران بن حطان ، ويكنى أبا شهاب ، أحد بنى عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ،

ومن الخوارج من بنى ضبة ثم أحد بنى صبيح : القاسم بن عبد الرحمن بن صديق ، وكان ناسبا ، عالما داهيا ، وكان يشوب ذلك ببعض الظرف

(١) يعنى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز

ومن علمائهم ونسابهم وأهل اللسن منهم : الجون بن كلاب ، وهو من أصحاب الضحاك

ومن رجالهم وأهل البيان والنجدة منهم : خراشة، وكان ركاضا ولم يكن أعتقد

أخبرنى أبو عبيدة قال: كان مسمار مستخفياً بالبصرة فتخلصت إليه فأخبرنى أنه الذى طعن مالك بن على فى فيه ، وذلك أنه فتح فاه يقول : أنا أبو على ، فاتحا فاه ، فطعنه فى جوب فمه

ومن شعرائهم : عتبان بن وصيلة الشيبانى ، وهو الذى يقول :

ولا صلحَ مادَمتَ مَنابِرُ أَرْضِنَا يَقُومُ عَلَيْهَا مِنْ ثَقِيف خطيبُ

وعن عيسى بن طلحة قال: قلت لابن عباس : أخبرنى عن أبى بكر ؟ قال : كان خيرا كله على الحدة وشدة الغضب ، قال : قلت : أخبرنى عن عمر ؟ قال : كان كالطائر الحذر قد علم أنه قد نصب له فى كل وجه حبالة ، وكان يعمل لكل يوم بما فيه على عنف السياق . قال : قلت : أخبرنى عن عثمان ؟ قال : كان والله صواما قواماً لم يخدعه نومه عن يقظته . قال : قلت : فصاحبكم ؟ [1] قال : كان والله مملوا حلماً وعلماً ، غرته سابقته وقرابته ، وكان يرى أنه لا يطلب شيئاً إلا قدر عليه . قلت : أكنتم ترونه محدوداً ؟ قال : أنتم تقولون ذاك

﴿ كلام فى الأدب ﴾

قال معاوية : ما رأيت سرفا قط إلا وإلى جنبه حق مضيع

وقال عثمان بن العاص : الناكح مغترس فلينظر أمرؤ حيث يضع غرسه

وقالت هند ابنة عتبة: المرأة غل ولا بد للعنق منه ، فانظر من تضعه فى عنقك

وقال ابن المقفع . الدين رق فانظر عند من تضع نفسك

وقال عمرو بن مسعدة ، أو ثابت أبو عباد : لا تستصحب من يكون استمتاعه بمالك وجاهك أكثر من إمتاعه لك بشكر لسانه وفؤاد علمه ، ومن

(١) يعنى الامام على كرم الله وجهه

ومن كانت غايته الاحتيال على مالك وإطرائك فى وجهك ، فإن هذا لا يكون إلا ردىء الغيب، سريعاً إلى الذم

بسم الله الرحمن الرحيم

قد قلنا فى صدر هذا الجزء الثالث فى ذكرنا العصا ووجوه تصرفها ، وذكرنا من مقطعات كلام النساك ، ومن قصار مواعظ الزهاد ، وغير ذلك مما يجوز فى نوادر المعانى ، وقصار الخطب ، ونحن ذاكرون على اسم الله وعونه صدراً من دعاء الصالحين والسلف المتقدمين ، ومن دعاء الأعراب ، فقد أجمعوا على استحسان ذلك واستجادته ، وبعض دعاء الملهوفين والنساك المتبتلين

قال الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ « قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ » وقال « أَدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ » وقال تعالى « وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً » وقال « وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ »

قالوا : كان عمرو بن معاوية العقيلى يقول : اللهم قنى عثرات الكلام

وقال اعرابى لرجل سأله : جعل الله الخير عليك دليلا ، ولا جعل حظ السائل منك عذرة صادقة

وقال بعض كرام الأعراب ممن يقرض الشعر ويؤثر الشكر :

لَعَلَّ مُفِيدَاتِ الزَّمَانِ يُفِدْنِى ... بَنِى صَامِتٍ فى غير شىء يضيرها

وقال شيخ أعرابى : اللهم لا تنزلنى ماء سوء فأكون امرأ سوء

قال : وسمعت عمر بن هبيرة يقول فى دعائه : اللهم إنى أعوذ بك من صديق مطر ، وجليس مغر ، وعدو مسر

قال : كتب ابن سيابة إلى صديق له ، إما مستقرضا وإما مستفرضا ، فذكر صديقه خلة شديدة ، وكثرة عيال ، وتعذر الأمور ، فكتب اليه ابن سيابة : إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وإن كنت مليماً فجعلك معذوراً

قال الأصمعى : سمعت اعرابياً يقول : أعوذ بك من الفواقر والبواقر ، ومن

جار السوء فى دار المُقامة والظعن ، ومما ينكس برأس المرء ويغرى به لئام الناس

قال الأصمعى : قيل لخالد بن نضلة : قال عبد يغوث بن وقاص : ما أذم فيها إلا غطينا، ليس خالد بن نضلة ، يعنى مضر ، قال خالد : اللهم إن كان كاذباً فقتله على يد الأُم حى فى مضر . فقتلته تيم الرباب

قالوا : وقف سائل من الأعراب على الحسن فقال : رحم الله عبدا أعطى من سعة ، وآسى من كفاف ، وآثر من قلة

وقال فى الأثر المعروف: حصنوا أموالكم بالزكاة، وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء

ومن دعائهم: أعوذ بك من بَطر الغنى ، وذلة الفقر

قال : ومن دعاء السلف : اللهم احملنا من الرجلة ، وأغننا من العيلة

وسأل اعرابى فقيل له : بورك فيك ، فتوالى ذلك عليه من غير مكان فقال: وكلكم الله إلى دعوة لا يحضرها نية

وقال اعرابى : أعوذ بك من سقم وعدواه، وذى رحم ودعواه ، ومن فاجر وجدواه، وعمل لا ترضاه

وسأل أعرابى فقال له صبى من جوف الدار : بورك فيك ، فقال : قبح الله هذا الفم ، لقد تعلم الشر صغيراً. وهذا السائل هو الذى يقول :

رُبَّ عجوزٍ عرمسٍ زبون سَريعة الردِ على المسكين
تَحسبُ أن بوركها يكفينى إذا غدوت باسطاً يمينى

وقال آخر : اللهم أعنى على الموت وكربته ، وعلى القبر وغمته ، وعلى الميزان وخفته ، وعلى الصراط وزلته ، وعلى يوم القيامة وروعته

وقالت عجوز ، بلغها موت الحجاج: اللهم أنت أمته، فأمت سنته

وكان محمد بن على بن الحسين يقول : اللهم أغنى على الدنيا بالغنى ، وعلى الآخرة بالتقوى

وقال عمرو بن عبيد . اللهم أغننى بالافتقار إليك ، ولا تفقرنى بالاستغناء

عنك . وقال عمرو : اللهم أغنى على الدنيا بالقناعة ، وعلى الدين بالعصمة

قال : ومرض عوف بن أبى جميلة فعاده قوم فجعلوا يثنون عليه فقال : دعونا من الثناء وأمدونا بالدعاء

قال: وسمعت عمر بن هبيرة يقول : اللهم إنى أعوذ بك من طول الغفلة ، وإفراط الفطنة ، اللهم لا تجعل قولى فوق عملى ، ولا تجعل أسوأ عملى ما قارب من أجلى

وقال أبو مذحج : اللهم اجعل خير عملى ما ولى أجلى

ودعت أعرابية لرجل فقالت : كبت الله كل عدو لك إلا نفسك

وقال يزيد بن جبل : احرس أخاك إلا من نفسه

قال : ودعا أعرابى فقال : اللهم هب لى حقك ، وأرض عنى خلقك

قال : وكان قوم نساك فى سفينه فى البحر فهاجت الريح بأمر هائل فقال رجل منهم : اللهم قد أريتنا قدرتك ، فأرنا عفوك ورحمتك

قال : وسمع مطرف رجلا يقول : استغفر الله وأتوب إليه ، فأخذ بذراعه وقال: لعلك لا تفعل ، من وعد فقد أوجب

وقال رجل لابن قيم : كيف أصبحت ؟ قال : إن كان من رأيك أن تسد خلتى ، وتقضى دينى ، وتكسو عورتى ، خبرتك . وإلا فليس المجيب بأعجب من السائل

وقال آخر : اللهم أمتعنا بخيارنا ، وأعنا على شرارنا ، واجعل الاموال فى سمحائنا

وقال أعرابى : اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا ، وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا

وقال أعرابى ، ورأى إبل رجل قد كثرت بعد قلة فقيل : إنه قد تزوج أمة فجاءته بنافجة مال ، فقال : اللهم إنا نعوذ بك من بعض الرزق

أبو مجيب الربعى قال : قال أعرابى : جنبك الله الأمرين ، وكفاك شر الأجوفين

ألا جوفان : البطن والفرج ، والأمران : الجوع والعرى

وجاء فى الحديث : من وقى شر قبقبه ، وذبذبه ، ولقلقه ، فقد وقى الشر كله

وقال أعرابى : منحكم الله منحة ليست بحداء ولا نكداء ولا ذات داء

قال : قيل لابرهيم النخعى : أى رجل أنت لولا حدة فيك ؟ قال : أستغفر الله مما أملك ، وأستصلحه مالا أملك

وقال أعرابى ، ومات ابن له : اللهم إنى قد وهبت له ما قصرفيه من برى ، فهب لى ماقصرفيه من طاعتك

قال : لما صافّ قتيبة بن مسلم الترك وهاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع وقال: انظروا ما يصنع ؟ فقيل : هاهو ذاك فى أقصى الميمنة جانحا على سية قوسه ينضنض بأصبعه نحو السماء ، قال قتيبة : تلك الأصبع الفاردة أحب إلى من مئة ألف سيف شهير ، وسنان طرير

أبو الدرداء قال : إن أبغض الناس إلى أن أظلمه من لم يستعن على إلا بالله

وقال خالد بن صفوان : احذروا مجانيق الضعفا . يعنى الدعاء . وقال : لا يستجاب إلا لمخلص أو مظلوم

قال : وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يقول : اللهم إن ذنوبى لاتضرك ، وإن رحمتك إياى لاتنقصك ، فاغفر لى مالا يضرك ، وأعطنى مالا ينقصك

وقال أعرابى . اللهم إنك حبست عنا قطر السماء ، فذاب الشحم ، وذهب اللحم ، ورق العظم ، فارحم أنين الآنة ، وحنين الحانة ؛ اللهم ارحم تحيرها فى مراتعها ، وأنينها فى مرابضها

قال : وحجت أعرابية فلما صارت بالموقف قالت : أسألك الصحبة يا كريم الصحبة ، وأسألك سترك الذى لاتزيله الرياح ، ولا تخرقه الرماح

وقيل لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : كم بين السماء إلى الأرض ؟ قال : دعوة مستجابة . فقالوا : كم بين المشرق إلى المغرب ؟ قال : مسيرة يوم للشمس . ومن قال غير هذا فقد كذب

قال : وحج أعرابى فقال : اللهم إن كان رزقى فى السماء فأنزله ، وإن كان فى الارض فأخرجه ، وإن كان نائيا فقربه ، وإن كان قريباً فيسره

أبو عثمان اليقطرى ، عن عبد الله بن سلم الفهرى قال : لما ولى مسروق السلسلة انبرى له شاب فقال له : وقاك الله خشية الفقر وطول الامل ، فلا تكونن دريئة للسفهاء ، ولا شينا للفقهاء

وقال أعرابى فى دعائه: اللهم لاتخيبنى وأنا أرجوك ، ولا تعذبنى وأنا أدعوك ، اللهم فقد دعوتك كما أمرتنى ، فاجبنى كما وعدتنى

وقال عبد الله بن المبارك: قالت عائشة : يابنى ، لا تطلبوا ما عند الله من عند غير الله بما يسخط الله

قال : وقال رجل من النساك : إن ابتليت أن تدخل مع ناس إلى السلطان فاذا أخذوا فى الثناء فعليك بالدعاء

وقال الكذاب الحرمازي :

لاهُمَّ إنْ كانَتْ بَنُو عُمَيره ... رَهْطَ التَّلِبِّ دَعوةً مَبْتُورَهْ
قدْ أجْمَعُوا لِخِلْقةٍ مَقْصُورَهْ ... واجْتَمَعُوا كأنَّهمْ قارُورَهْ
فِى غَنَمٍ وابِلٍ كَثِيرَهْ ... فابْعَثْ عليهمْ سنَةً قاشُورَهْ

تحتلق المالَ احتلاق النورَه

وقال أعرابى :

لاهُمَّ أنْتَ الرَّبُّ تُسْتَغاثُ ... لَكَ الحَياةُ ولَكَ المِيرَاثُ
وقدْ دَعاكَ النَّاسُ فاسْتَغاثُوا ... غِياثَهُمْ وعِنْدَكَ الغِياثُ
لمْ يَبْقَ إلاَّ عَكْرِشٌ أنْكاثُ ... وشَيِحٌ أصولُها مِثاثُ

وطاحت الألبان والأرماث

وكان سعد بن أبى وقاص يسمى المستجاب الدعوة ، وقال لعمر حين شاطره ماله : لقد هممت . فقال له عمر : أن تدعو الله على ؟ قال : نعم . قال : إذاً لاتجدنى بدعاء ربى شقيا

وقال رسول الله ﷺ كم من ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره. منهم البراء بن مالك ، وجمع الناس إليه ، وقد دهمهم العدو ، فاقسم فمنحهم الله أكتافهم

الأصمعى وأبو الحسن قالا : أخبرنا إبرهيم بن حبيب بن الشهيد عن أبيه أو عن غيره قال : بلغ سعداً شىء فعله المهلب فى العدو ، والمهلب يومئذ فتى ، فقال سعد : اللهم لا تره ذلا . فيرون أن الذى ناله المهلب بتلك الدعوة

وقال آخر :

المَوْتُ خيرٌ منْ رُكُوبِ العارِ والعارُ خيرٌ منْ دُخُولِ النَّارِ

واللهُ منْ هذَا وهذَا جارِى

قالها حسين بن على رضى الله تعالى عنهما

وقال الآخر ، وكان قد وقع فى الناس وباء جارف وموت ذريع فهرب على حماره ، فلما كان فى بعض الطريق ضرب وجه حماره راجعاً إلى حيه وقال :

لَنْ يُسْبَقِ اللهُ على حِمَارِ ولا علَى ذِى مَيْعَةٍ خطار

قدْ يُصْبِحُ اللهُ أمَامَ السَّارِى

وسمع مجاشع الربعى رجلا يقول : الشحيح أعذر من الظالم . فقال : إن شيئين خيرهما الشح لناهيك بهما شرًّا

قال المغيرة بن شعبة: سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا يقول فى دعائه : اللهم اجعلنى من الأقلين . فقال له عمر : ما هذا الدعاء ؟ قال : سمعت الله يقول « وقليل ماهم » وسمعته يقول « وقليل من عبادى الشكور » فقال عمر : عليك من الدعاء بما يعرف

وقال ناس من الصحابة لعمر : ما بال الناس كانوا إذا ظلموا فى الجاهلية فدعوا استجيب لهم؟ ونحن لا يستجاب لنا وإن كنا مظلومين ؟ قال: كانوا ولا

زاجرلهم إلا ذاك ، فلما أنزل الله تبارك وتعالى الوعد والوعيد والحدود والقصاص والقود ، وَكَلَهُمْ الى ذلك

وقال عمر رضى الله تعالى عنه : فى يوم كذا وكذا ، من شهر كذا وكذا ، لساعة كذا وكذا ، ألا يدعو الله فيها أحد إلا استجيب له . فقال له قائل : أرأيت إن دعا فيها منافق ؟ قال : فإن المنافق لا يوفق لتلك الساعة . ولما صعد المنبر قابضاً على يد العباس يوم الاستسقاء لم يزد على الدعاء بالاستغفار ، فقيل له : إنك لم تستسق ، وإنما كنت تستغفر ! قال : قد استسقيت بمجاديح السماء

ذهب إلى قوله « وَاستَغفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيكُمْ مِدْرَاراً » وكان عمر حمل الهرمزان مع جماعة فى البحر فغرقوا ، قال ابن سيرين : لو كان دعا عليهم بالهلاك لهلكوا

قال محمد بن على لابنه : يا بنى ، إذا أنعم الله عليك نعمة . فقل : الحمد لله ، وإذا حزبك أمر فقل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإذا أبطأ عنك الرزق فقل : استغفر الله . قالوا : وكان محمد بن على لا يُسمع المبتلى الاستعاذة من البلاء

قال قوم ليزيد بن أسد : أطال الله بقاءك . قال : دعونى أمت وفىّ بقية تبكون بها علىّ

رأى سالم بن عبد الله سائلا يسأل يوم عرفة فقال : يا عاجز ، أفى هذا اليوم تسأل غير الله ؟

قال : كان رجل من الحكماء يقول فى دعائه : اللهم احفظنى من الصديق . وكان يقول : اللهم اكفنى بوائق الثقات

حدثنى صديق لى كان ولى ضياع الرى قال : قرأت على باب شيخ منهم : جزى الله من لا نعرفه ولا يعرفنا أحسن الجزاء ، ولا جزى من نعرفه ويعرفنا إلا ماهو أهله ، إنه عدل لا يجور

وكان على رواشم عمر بن مهران التى يرشم بها على الطعام : اللهم احفظه ممن يحفظه

وقال المغيرة بن شعبة فى كلام له : إن المعرفة لتنفع عند الكلب العقور والجمل الصؤول ، فكيف بالرجل الكريم ؟

أبو الحسن قال : قالت امرأة من الأعراب : اللهم إنى أعوذ بك من شر قريش وثقيف ، وما جمعت من اللفيف ، وأعوذ بك من عبدٍ ملك أمره ، ومن عبد ملأ بطنه

قال : مر عمر بن عبد العزيز برجل يسبح بالحصى فإذا بلغ المئة عزل حصاة فقال له عمر : ألق الحصى وأخلص الدعاء

وكان عبد الملك بن هلال الهنائى عنده زنبيل ملآن حصى فكان يسبح بواحدة واحدة ، فإذا مل شيأ طرح ثنتين ثنتين ، ثم ثلاثا ثلاثا ، فإذا مل قبض قبضة وقال : سبحان الله بعدد هذا ، وإذا مل شيأ قبض قبضتين وقال : سبحان الله بعدد هذا ، فإذا ضجر أخذ بعروتى الزنبيل وقلبه وقال : الحمد لله بعدد هذا ، وإذا بكر لحاجة لحظ الزنبيل وقال : الحمد لله عدد مافيه

قال غيلان : إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب

قال سعيد بن المسيب : مربى صَلَّة بن أشيم فما تمالكت أن نهضت إليه فقلت له : يا أبا الصهباء ، أدع الله لى ؟ فقال : رغبك الله فيما يبقى ، وزهدك فيما يفنى ، ووهب لك اليقين الذى لا تسكن النفس إلا إليه ، ولا تعول فى الدين إلا عليه

أبو الحسن قال : سمع رجل بمكة رجلا يدعو لأمه فقال له : مابال أبيك ؟ قال : هو رجل يحتال لنفسه

أبو الحسن عن عروة بن سليمان العبدى قال : كان عندنا رجل من بنى تميم يدعو لأبيه ويدع أمه ، فقيل له فى ذلك فقال : إنها كلبية

ورفع أعرابى يده بمكة قبل الناس فقال : اللهم اغفر لى قبل أن يدعك الناس

وقال النبى ﷺ ان الله يحب الملحين فى الدعاء

وقال آخر : دعوتان أرجو أحداهما كما أخاف الاخرى: دعوة مظلوم أعنته ، ودعوة ضعيف ظلمته

قال : وكان من دعاء أبى الدرداء : اللهم أمتعنا بخيارنا ، وأعنا على شرارنا واجعلنا خيارا كلنا ، وإذا ذهب الصالحون فلا تبقنا

وقال آخر لبعض السلاطين : أسألك بالذى أنت بين يديه أذل منى بين يديك، وهو على عقابك أقدر منك على عقابى ، إلا نظرت فى أمرى نظر من يرثى أحب إليه من سقمى

قالوا : وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير يقول : اللهم إنك أمرتنا بما أمرتنا ولا نقوى عليه الا بعونك ، ونهيتنا عما نهيتنا ولا ننتهى عنه إلا بعصمتك، واقعة علينا حجتك ، غير معذورين فيما بيننا وبينك ، ولا مبخوسين فيما عملنا لوجهك

عبد العزيز بن أبان عن سفيان فى قوله تعالى « دعواهم فيها سبحانك اللهم» قال : كان أحدهم إذا أراد أن يدعو قال : سبحانك اللهم

سفيان عن ابن جريج عن عكرمة قال : فى قوله تعالى « قد أُجيبتْ دعوتكما» قال : كان موسى عليه السلام يدعو وهرون يؤمن ، فجعلهما الله داعيين

قال: ولما وقع يونس فى البحر وقد وكل به حوت فلما وقع ابتلعه فهوى به إلى قرار الارض فسمع تسبيح الحصى فنادى يونس فى الظلمات « أن لا آله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين » قال : ظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر، وظلمة الليل . وقال تبارك وتعالى « فلولا أنه كان من المسبحين لَلبثَ فى بطنه إلى يوم يُبعثون »

وفى الحديث المرفوع أن من دعاء النبى ﷺ أعوذ بك من قلب لا يخشع ، وبطن لا يشبع ، ودعاء لا يسمع

على بن سليم أن قيس بن سعد قال : اللهم ارزقنى حمداً ومجداً ، فإنه لا حمد إلا بفعال ، ولا مجد إلا بمال

وقال رجل فى مجلس الحسن : ليهنك الفارس . قال الحسن : فلعله خامرٌ ، إذا وهب الله لرجل ولداً فقل : شكرت الواهب ، وبورك لك فى الموهوب ، وبلغ أشده ، ورزقت بره

أبو سلمة الانصارى قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ما أحسن تعزية أهل الميت ! وتعزيتهم : لايحزنكم الله تعالى ولا يفتنكم وأنابكم ما أثاب المتقين وأوجب لكم الصلاة والرحمة

قال : كان أبو بكر رضى الله تعالى عنه إذا عزى رجلا قال : ليس مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة ، الموت أشد ماقبله وأهون ما بعده ، اذكروا فقد رسول الله ﷺ تهن عندكم مصيبتكم صلى الله على محمد وعظم أجركم

وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه إذا عزى قوما قال : إن تجزعوا فأهل ذلك الرحم ، وإن تصبروا ففى ثواب الله عوض من كل فائت ، وإن أعظم مصيبة أصيب بها المسلمون محمد ﷺ وعظم الله أجركم

وعزى عبدالله بن عباس عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه على بُنى له مات فقال : عوضك الله منه ما عوضه منك

وهذا الصبى الذى مات هو الذى كان عمر بن الخطاب قال فيه : ريحانة أشمها وعن قريب ولد بار أو عدو ضار

سفيان قال : كان أبو ذر يقول : اللهم أمتعنا بخيارنا ، وأعنا على شرارنا

قال : ودعا أعرابى فقال : اللهم إنى أعوذ بك من الفقر المدقع ، والذل المضرع

عزت امرأة المنصور على أبى العباس ، مقدمه من مكة . فقالت : أعظم الله أجرك ، فلا مصيبة أعظم من مصيبتك ، ولا عوض أعظم من خلافتك

قالوا : وقال عمر بن عبدالعزيز ، وقد سمعوا وقع الصواعق ، ودوىّ الريح ، وصوت المطر ، فقال ، وقد فزع الناس : هذه رحمته ، فكيف نقمته ؟

وقال أبو اسحق : اللهم إن كان عذاباً فاصرفه ، وإن كان صلاحا فزد فيه ، وهب لنا الصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، اللهم إن كانت منحة فمن علينا بالعصمة ، وإن كان عقاباً فمن علينا بالمغفرة

وقال أبو ذر : الحمد لله الذى جعلنا من أمة تغفر لهم السيئات ، ولا تقبل من غيرهم الحسنات

وكان الفضل بن الربيع يقول : المسألة للملوك من تحية النوكى ، فإذا أردت أن تقول : كيف أصبحت ؟ فقل : صبحك الله بالخير ، وإذا أردت أن تقول : كيف تجدك ؟ فقل: أنزل الله عليك الشفاء والرحمة

قال أحمد الهجيمى أبو عمر أحد أصحاب عبد الواحد بن زيد : اللهم يا أجود الأجودين ، ويا أكرم الأكرمين ، ويا أعفى العافين ، ويا أرحم الراحمين ، ويا أحكم الحاكمين ، ويا أحسن الخالقين ، فرج عنى فرجاً عاجلا تامًّا هنيئاً مباركا لى فيه ، إنك على كل شىء قدير

وكان عبد الله الشقرى — وهو الكعبى أحد أصحاب المضمار من غلمان عبد الواحد بن زيد وكنيته أبو محمد وكنية عبد الواحد أبو عبيدة — يقول : اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، اللهم هب لى يقيناً ، وأدم لى العافية ، وافتح علىّ باب رزقى فى عافية ، وأعوذ بك من النار والعار ، والكذب والسخف ، والخسف والقذف ، والحقد والغضب ، وحببنى إلى خلقك ، وحببهم إلىّ ، وأسألك فرجاً عاجلا فى عافية ، إنك على كل شىء قدير

﴿ دعاء الغنوى فى حبسه ﴾

أعوذ بك من السجن والدين ، والسب والضرب ، ومن الغل والقيد ، ومن التعذيب والتجسيس ، وأعوذ بك من الحور بعد الكور ، ومن شر العدو فى النفس والأهل والمال ، وأعوذ بك من الهم والأرق ، ومن الهرب والطلب ، ومن الاستخذاء والاستخفاء ، ومن الاطراد والاغراب ، ومن الكذب والعضيهة ، ومن السعاية والنميمة ، ومن لؤم القدرة ، ومقام الخزى فى الدنيا والآخرة ، إنك على كل شىء قدير

﴿ ومن دعائه فى الحبس ﴾

أسألك طول العمر فى الأمن ، والعافية ، والحلم ، والعلم ، والحزم ، والأخلاق الحسنة السنية ، والأفعال المرضية ، واليسر والتيسير ، والنماء والتشمير ، وطيب

الذكر، وحسن الأحدوثة ، والمحبة فى الخاصة والعامة ، وهب لى ثبات الحجة ، والتأييد عند المنازعة والمخاصمة ، وبارك لى فى الموت ، إنك على كل شىء قدير

وكان صالح المرى كثيراً مايردد فى مجلسه : أعوذ بك من الخسف والمسخ ، والرجفة والزلزلة ، والصاعقة والريح المهلكة ، وأعوذ بك من جهد البلاء ، ومن شماتة الأعداء . وكان يقول : أعوذ بك من التعب والتعذر ، والخيبة وسوء المنقلب ، اللهم من أرادنى بخير فيسر لى خيره ، ومن أرادنى بشر فاكفنى شره ، اللهم أسألك خصب الرحل ، وصلاح الأهل

وكان عيسى بن أبى المدور يقول : أعوذ بك من الذلة والقلة ، ومن الاهانة والمهنة ، والإخفاق والوحدة ، وأعوذ بك من الحيرة وقلة الحيلة ، وأعوذ بك من جهد البلاء، وشماتة الأعداء

محمد بن عبد الله قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : من أعطى الدعاء لم يحرم الإجابة ، قال الله تعالى « أدعونى أستجب لكم » ومن أعطى الشكر لم يحرم الزيادة ، لقوله عز وجل « لئن شكرتم لأزيدنكم » ومن أعطى الاستغفار لم يحرم القبول ، لقوله تعالى « واستغفر الله إن الله غفور رحيم »

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كونوا أوعية الكتاب ، وينابيع العلم ، وسلوا الله رزق يوم بيوم

وروى محمد بن علي عن آبائه عن النبى ﷺ قال : إذا سألتم الله فسلوه بباطن الكفين ، وإذا استعذتموه فاستعيذوه بظاهرهما

وقال آخر : اللهم إنى أعوذ بك من بطر الغنى وذلة الفقر

أبو سعيد المؤدب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : سلوا ربكم حتى الشسع ، فإنه إن لم ييسره لم يتيسر

سحيم عن طاوس قال : يكفى من الدنيا ما يكفى العجين من الملح

قال : سأل رجل رجلا حاجة فقال المسؤل : إذهب بسلام . فقال السائل :

قد أنصفنا من ردنا إلى الله فى حوائجنا

مجالد عن الشعبى قال : قال النبى ﷺ اللهم أذهب ملك غسان ، وضع مُهور كندة

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : لكل شىء رأس . ورأس المعروف تعجيله

﴿ اسمعيل بن ابرهيم ونطقه بالعربية دون تلقين ﴾

القول فى إنطاق الله تعالى اسمعيل بن ابرهيم صلى الله على نبينا وعليهما بالعربية المبينة على غير التلقين والتمرين ، وعلى غير التدريب والتدريج ، وكيف صار عربياً أعجمى الأبوين ، وأول من عليه أن يقر بهذا القحطانى، فإنه لابد من أن يكون له أب كان أول عربى من جميع بنى آدم عليه السلام ولو لم يكن ذلك كذلك وكان لا يكون عربياً حتى يكون أبوه عربياً وكذلك أبوه وكذلك جده ، كان ذلك موجباً لان يكون نوح عليه السلام عربياً وكذلك آدم عليه السلام

قال أبو عبيدة : حدثنا مسمع بن عبد الملك عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين عن آبائه قال : أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسمعيل وهو ابن أربع عشرة سنة ، قال النبى ﷺ شهدت الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة وكنت أنبل على عمومتى. يريد أجمع لهم النبل . قال أبو عبيدة : فقال له يونس : صدقت يا أبا يسار ، هكذا حدثنى نصر بن طريف

وروى قيس بن الربيع عن بعض أشياخه عن ابن عباس أن الله ألهم إسمعيل العربية إلهاما ، وقال الله تبارك وتعالى « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » قال : قد يرسل الله الرسول الى قومه ، ولو أرسل فى ذلك الوقت إلى قوم آخرين لما كان الثانى ناقضا للاول ، وإذا كان الأمر كذلك كان قومه أول من يفهم عنه ثم يصيرون حجة على غيرهم ، وإذا كان الله عز وجل قد بعث محمداً ﷺ إلى العجم فضلا عن العرب فقحطان وإن لم يكونوا من قومه أحق بلزوم

الغرض من سائر العجم . وهـذا الجواب جواب عوام النزارية ، فاما الخواص الخلص فانهم قالوا : العرب كلهم شيء واحد لأن الدار والجزيرة واحدة ، والاخلاق والشيم واحدة ، وبينهم من التصاهر والتشابك والاتفاق فى الاخلاق وفى الاعراق من جهة الخؤولة المرددة ، والعمومة المشتبكة ، ثم المناسبة التى بنيت على غريزة التربة ، وطباع الهواء والماء ، فهم فى ذلك شيء واحد فى الطبيعة واللغة ، والهمة والشمائل ، والمراعى والراية ، والصناعة والشهوة ، فاذا بعث الله عز وجل نبيا من العرب فقد بعثه إلى جميع العرب ، وكلهم قومه ، ولانهم جميعا يد على العجم ، وعلى من حاربهم من الامم ، لأن تناكحهم لا يعدوهم ، وتصاهرهم مقصور عليهم

قالوا : والمشاكلة من جهة الاتفاق فى الطبيعة والعادة ، ربما كانت أبلغ وأوغل من المشاكلة من جهة الرحم ، نعم حتى تراه أغلب عليه من أخيه لأمه وأبيه ، وربما كانت أشبه به خَلقاً وخُلقاً ، وأدباً ومذهباً ، فيجوز أن يكون الله تبارك وتعالى حين حول إسمعيل عربياً أن يكون كما حول طبع لسانه إلى لسانهم ، وباعده من لسان العجم ، أن يكون أيضا حول سائر غرائزه ، وسلخ سائر طبائعه ، فنقلها كيف أحب ، وركبها كيف شاء ، ثم فضله بعد ذلك بما أعطاه من الاخلاق المحمودة ، واللسان البين ، بما لم يكن عندهم ، وكما خصه من البيان بما لم يخصهم به فكذلك يخصه من تلك الاخلاق ومن تلك الدلائل بما يفوقهم ويروقهم ، فصار باطلاق اللسان على غير التلقين والترتيب وبما نقل [إليهم] من طبائعه ، ونقل إليه من طبائعهم ، وبالزيادة التى أكرمه الله بها أشرف شرفا وأكرم كرما

وقد علمنا أن الخرس والاطفال إذا أدخلوا الجنة وحولوا فى مقادير البالغين والى الكمال والتمام لا يدخلونها إلا مع الفصاحة بلسان أهل الجنة ، ولا يكون ذلك إلا على خلاف الترتيب والتدريج والتعليم والتقويم . وعلى ذلك المثال كان كلام عيسى بن مريم عليه السلام فى المهد وانطاق يحيى عليه السلام بالحكمة صبيا ، وكذلك القول فى آدم وحواء عليه السلام

وقد قلنا فى ذئب أهبان بن أوس ، وغراب نوح ، وهدهد سليمان ، وكلام النملة ، وحمار عُزير ، وكذلك كل شيء أنطقه الله بقدرته ، وسخره لمعرفته ومشيئته وانما يمتنع البالغ من المعارف من قبل أمور تعرض من الحوادث ، وأمور فى أصل تركيب الغريزة ، فإذا كفاهم الله تلك الآفات ، وحصنهم من تلك المواضع ، ووفر عليهم الذكاء ، وجلب إليهم جياد الخواطر ، وصرف أوهامهم إلى التعرف ، وحبب إليهم التبين ، وقعت المعرفة ، وتمت النعمة . والموانع قد تكون من قبل الأخلاط الأربعة ، على قدر القلة والكثرة والكثافة والرقة . ومن ذلك مايكون من جهة سوء العادة وإهمال النفس ، فعندها يستوحش من الفكرة ، ويستثقل النظر . ومن ذلك ما يكون من الشواغل العارضة ، والقوى المنقسمة . ومن ذلك مايكون من خرق المعلم ، وقلة رفق المؤدب ، وسوء صبر المثقف ، فإذا صفّى الله ذهنه ونقحه وهذبه وثقفه ، وفرغ باله ، وكفاه انتظار الخواطر ، وكان هو المقيد له ، والقائم عليه ، والمريد لهدايته ، لم يلبث أن يعلم . وهذا صحيح فى الأوهام ، غير مدفوع فى العقول ، وقد جعل الله الخال أباً . وقالوا : الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم

وقد رأينا اختلاف صور الحيوان على قدر اختلاف طبائع الأماكن ، وعلى قدر ذلك شاهدنا اللغات والأخلاق والشهوات . ولذلك قالوا : فلان ابن بجدتها ، وفلان بيضة البلد ، يقع ذما ، ويقع حمداً ، وقال زياد : والله للكوفة أشبه بالبصرة من بكر بن وائل بتميم . ويقولون : ما أشبه الليلة بالبارحة ! كأنهم قالوا : ما أشبه زمان يوسف بن عمر بزمان الحجاج . وقال سهل بن عمرو : أشبه أمرأ بعضُ بزه . وقال الأضبط بن قُرَيع : بكل واد بنو سعد

ولولا أن الله عز وجل أفرد إسمعيل من العجم ، وأخرجه بجميع معانيه إلى العرب ، لكان بنو إسحق أولى به ، وإنما ذلك كرجل قد أحاط علمه بأن هذا الطفل من نجل هذا الرجل ، ولكن لما كان من سفاح لم يجز أن يضيفه إليه ويدعوه أباه . وقد جعل الله نسب ابن الملاعنة نسب أمه وإن ولد على فراش أبيه ، وقد

أرسل الله موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون وقومه ، وإلى جميع القبط وهما أمتان : كنعانى وقبطى ، وقد جعل الله قوم كل نبى هم المبلغين والحجة ، ألا ترى أنا نزعم أن عجز العرب عن مثل نظم القرآن حجة على العجم من جهة إعلام العرب العجم أنهم كانوا عن ذلك عجزة ؛ وقال النبى ﷺ « خصصت بأمور ، منها أنى بُعثت إلى الأحمر والأسود ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض طهوراً » فدل بذلك على أن غيره من الرسل إنما كان يرسل الى الخاص ، وليس يجوز لمن عرف صدق ذلك الرسول من سائر الأمم أن يكذبه وينكر دعواه ، والذى عليه ترك الإنكار والعمل بشريعة النبى الأول

هذا فرق مابين من بعث إلى البعض ، ومن بعث إلى الجميع * انقضى الباب

(حديث يوم السقيفة)

قال : وقال حباب بن المنذر يوم السقيفة : انا جُذيلها المحكك ، وعُذيقها المُرَجَّب ، إن شئتم كررناها جَذعة ، منا أمير ومنكم أمير ، فإن عمل المهاجرى شيئاً فى الأنصارى رد ذلك عليه الأنصارى ، وإن عمل الأنصارى شيئاً فى المهاجرى رد عليه المهاجرى . فأراد عمر الكلام فقال أبو بكر : على رسلك ؟

نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاماً ، وأوسطهم داراً ، وأكرم الناس أحساباً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس ولادة فى العرب ، وأمسهم رحماً برسول الله ﷺ أسلمنا قبلكم ، وقدمنا فى القرآن عليكم ، فأنتم إخواننا فى الدين ، وشركاؤنا فى الفىء ، وأنصارنا على العدو ، آويتم ونصرتم وآسيتم ، فجزاكم الله خيراً ، نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، ولا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش ، أنتم محقوقون أن لا تنفسوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم

قالوا : فإنا قد رضينا وسلمنا

عيسى بن نذير قال : قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : نحن أهل الله ، وأقرب الناس بيتاً من بيت الله ، وأمسهم رحماً برسول الله ﷺ ، إن هذا الأمر إن

تطاولت إليه الخزرج لم تقصر عنه الأوس ، وإن تطاولت إليه الأوس لم تقصر عنه الخزرج ، وقد كان بين الحيّين قَتْلى لا تنسى ، وجراح لا تداوى ، فإن نعق منكم ناعق فقد جلس بين لَحيي أسد ، يضغمه المهاجرى ويجرحه الأنصارى

قال ابن دأب : فرماهم والله بالمسكتة

من حديث ابن أبى سفيان بن حويطب عن أبيه عن جده قال : قدمت من عمرتى فقال لى أهلى : أعلمت أن أبا بكر بالموت ؟ فأتيته فإذا عيناه تذرفان . فقلت : يا خليفة رسول الله ، أما كنت أول من أسلم ، وثانى اثنين فى الغار ؟ فصدقت هجرتك ، وحسنت نصرتك ، ووليت فأحسنت صحبتهم ، واستعملت خيرهم عليهم ؟ قال : وحسناً ما صنعت ؟ قلت : نعم والله ، قال : والله لله أشكر له ، وأعلم به ، ولا يمنعنى ذلك من أن أستغفر الله . فما خرجت حتى مات

أبو الخطاب الزرارى عن حجناء بن جرير قال : قلت : يا أبت إنك لم تهج أحداً إلا وضعته الا التيم ! قال : إنى لم أجد حسباً فأضعه ، ولا بناء فأهدمه . قال : وقيل للفرزدق : أحسن الكميت فى مدائحه فى تلك الهاشميات ؟ قال : وجد آجراً وجصاً فبنى

عامر بن الأسود قال : دخل رجل من ولد عامر بن الظرب على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال له : خبرنى عن حالك فى جاهليتك ، وعن حالك فى إسلامك ؟ قال : أما جاهليتى فما نادمت فيها غير لمة ، ولا هممت فيها بأمة ، ولا خمت فيها عن بهمة ، ولا رآنى راء إلا فى ناد أو عشيرة ، أو حمل جريرة ، أو خيل مغيرة

عوانة قال : قال عمر : الرجال ثلاثة ، رجل ينظر فى الأمور قبل أن تقع فيصدرها مصدرها ، ورجل متوكل لا ينظر فإذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأى وقبل قولهم . ورجل حائر بائر لا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشدا

قال : كلم علباء بن الهيثم السدوسى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

فى حاجة ، وكان أعور دميماً جيد اللسان ، حسن البيان ، فلما تكلم فى حاجته فأحسن ، صَعَّدَ عمر بصره فيه وحدره ، فلما أن قام قال : لكل أناس فى جميلهم خبر

أخبرنا عيسى بن يزيد عن أشياخه قال : قدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة ابنة عثمان : وا أبتاه بوبكت ، فقال معاوية : يا ابنة أخى ، إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً . وأظهرنا لهم حلماً تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره ، وإن نكثنا بهم نكثوا بنا ، ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا ، ولأن تكونى ابنة عم أمير المؤمنين خير من أن تكونى امرأة من عرض المسلمين! ؟ وقالت عائشة ابنة عثمان فى أبان ابن سعيد بن العاص حين خطبها وكان نزل بأيلة وترك المدينة :

نَزَلْتَ بِبَيْتِ الضبِّ لا أنت ضائرٌ ... عدُوًّا ولاَ مُستنفعاً أنت نافعُ

أبو الحسن قال : قال سلامة بن روح الجذامى لعمرو بن العاص : إنه كان بينكم وبين العرب ناب فكسرتموه ، فما حملكم على ذلك ؟ قال : أردنا أن نخرج الحق من جفير الباطل

قدم بيعة على إلى الكوفة يزيد بن عاصم المحاربى فبايع أبو موسى فقال عمار لعلى : والله لينقضن عهده ، وليحلن عقده ، وليفرنَّ جهده ، وليسلمن جنده

وقال على فى رواية الشعبى : حملت إليكم درة عمر لأضربكم بها لتنتهوا فأبيتم حتى اتخذت الخيزرانة فلم تنتهوا . وقد أرى الذين يريدون السيف ولا آتى لأصلحكم بفسادى

﴿ مقطعات من نوادر الأعراب وأشعارهم ﴾

كانت العادة فى كتب الحيوان أن أجعل فى كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الاشعار . لما ذكرت عجبك بذلك ، فأحببت أن يكون حظ هذا الكتاب فى ذلك أوفر إن شاء الله تعالى

قال أبو العرف الطُّهَوِى :

وَافَى الوُفُودُ فَوافَى من بنى جمل ... بكرُ الوفادة فانى السنِّ عُرْزُومُ

كزُّ الملاطين فى السربال حين مشى ... وفى المجالس لحاظٌ رُزَامِيمُ
لمّا رآى الْباب والبواب أخرجه ... لؤم مخالطه جبن وتحزيمُ
قد كانَ لِي بكُمُ علمٌ وكانَ لَكُمْ ... مَمشًى وَراءَ ظهورِ القوْمِ مَعلومِ

وقال الحرث بن حِلزة . قال أبو عبيدة : الباقى مصنوع :

يا أيها المُزْمِعُ ثمَّ انْثَنَى ... لا يثنك الحازى ولا الشاحِجُ
ولا قعيدٌ أغضبٌ قرْنهُ ... هاجَ لهُ منْ مرتع هائج
بينا الفتى يَسعى ويُسْعَى له ... تاحَ له من أمره خالج
يترُكُ ما رُفِّحَ منْ عَيْشِهِ ... يَعْبَثُ فِيهِ هَمَجٌ هامِجُ
قُلْتُ لِعَمْرٍو حينَ أرْسَلْتُهُ ... وقدْ حَبَى منْ دُونِنا عالِجُ
لا تَكْسَعِ الشُّوْلَ بأغْبارِها ... إنَّكَ لا تَدْرِى مَنِ النَّاتِجُ
وَاصْبُبْ لِأَضْيافِكَ أَلْبانَها ... فإنَّ شَرَّ اللَّبَنِ الْوَالِجُ

وقال زَبَّان بن يسار بن عمرو بن جابر :

تُخبرُ طَيرَةَ فِيها زِيادٌ ... لِتُخبرهُ وما فِيها خَبِيرُ
أقامَ كأنَّ لُقْمانَ بنَ عادٍ ... أشارَ لهُ بحِكْمَتِهِ مُشِيرُ
تَعلَّمْ أنَّهُ لا طَيْرَ إلاَّ ... عَلى مُتَطَيِّرٍ وهْوَ الثُّبُورُ
بَلَى شَىءٌ يُوافِقُ بَعْضَ شىءٍ ... أحايِينًا وَباطِلُهُ كَثِيرُ
ومَنْ يُنزَحْ بِهِ لا بُدَّ يَوْمًا ... يَجِىءُ بِهِ نَعِىٌّ أوْ بَشِيرُ

وقال بعض الأعراب :

نجيبةُ بطال لدُنْ شبَّ هَمُّهُ ... لُعابُ الْغُوانِى والمُدامُ المُشَعْشَعُ
جَلاَ المِسْكُ والحَمامُ وَالْبِيضُ كالدُّمَى ... وطِيبُ الدِّهانِ رَأْسُهُ فهْو أنْزَعُ
اسَيْلِمُ ذَاكُمْ لاَخَفًا بِمَكانِهِ ... لِعَيْنٍ تَدَجَّى أوْ لِأُذْنٍ تَسَمَّعُ
منَ النَّفَرِ الشُّمِّ الَّذِينَ إذا انْتَدَوْا ... وهابَ الرِّجالُ حَلْقَةَ الْبابِ قَعْقَعُوا
إذا النَّفَرُ السُّودُ الْيَمانُونَ نَمْنَمُوا ... لهُ حَوْكَ بُرْدَيْهِ أطَالُوا وأوْسَعُوا

وقال بعض الأعراب :

أَلْبانُ إبلِ تعلة بن مُسافر ... ما دَامَ يملكها عليَّ حرام
وطعامُ عمران بن أوْفَى مِثله ... ما دَامَ يَسلكُ فى البطونِ طعام
إنَّ الذِينَ يَسُوغُ فى أحلاقِهِمْ ... زَادٌ يمنُّ عليْهِمُ لَلِئَامُ
لَعَنَ الإلهُ تَعِلَّةَ بنَ مُسافِرٍ ... لَعْناً يُشَنُّ عليْهِ منْ قُدَّام

وقال بعض الأعراب :

نجيبةُ قَوْمٍ شَادَها القَتُّ والنَّوَى ... بِيثرِبَ حتى نَيُّها مُتَظاهِرُ
فَقُلْتُ لَهَا سِيرِى فَمَا بِكِ عِلَّةٌ ... سَنامُكِ مَلْمُومٌ وَنابُكِ فاطِرُ
فَمِثْلُكِ أوْ خَيْرًا تَرَكْتُ رَزِيَّةً ... تُقَلِّبُ عَيْنَيْها إذا مَرَّ طَائِرُ

وقال بعض الأعراب ، مجهول الاسم ، وهو من جيد محدث أشعارهم :

حَفَرْنا على رَغْمِ اللَّهازِمِ حُفْرَةً ... بِبَطْنِ فُلَيْحٍ والأَسِنَّةُ جُنَّحُ
وقَدْ غَضِبُوا حتى إذا مَلأُوا الرُّبَى ... رَأَوْا أنَّ إقْرَارًا عَلَى الضَّيْمِ أرْوَحُ

وقال رجل من محارب :

وقائِلَةٍ تَطَوَّفْ فى جَدَادٍ ... وأنْتَ إخالُ مُعْطًى لوْ تَقُومُ
فقُلْتُ الضَّارِباتُ الطَّلْحِ وَهْناً ... عَلَى يُمْنَاىَ إذْ وَضَحَ النُّجُومُ
قَصَرْنَ عَلَيَّ بَعْدَ اللهِ فَقْرِى ... فلاَ أسَلُ الصَّدِيقَ ولا أَلُومُ

وقال حاتم الطائى:

وإنى لأَسْتَحيى حَياءً يَسُرُّنِى ... إذا اللُّؤْمُ منْ بَعْضِ الرِّجالِ تَطَلَّعا
إذا كانَ أصْحابُ الإناءِ ثلاثةً ... حَيِيًّا ومُسْتَحْيًا وكَلْبًا مُجَشَّعَا
فإنِّى لأَسْتَحْيِى أكِيلِىَ أنْ يَرَى ... مكانَ يَدِى منْ جانِبِ الزَّادِ أقْرَعا
أكِفُّ يَدِى مِنْ أنْ تَمَسَّ أكُفَّهُمْ ... إذا نَحْنُ أهْوَيْنا وَحاجَتِنا مَعَا
وإنَّكَ مَهْما تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ ... وفَرْجَكَ نالاَ مُنْتَهَى الذَّمِّ أجْمَعا

قال : وأظنها لبعض اليهود :

وإنّى لأَسْتَبْقِى إذَا العُسْرُ مَسَّنِي ... بَشَاشَةَ وَجْهِى حِينَ تُبْلَى المَنَاقِعُ
فأُعْفِى تَرَى قَوْمِى ولوْ شِئْتُ نَوَّلُوا ... إذا ما تَشَكَّى المُلْحِفُ المُتَضَارِعُ
مَخَافَةَ أنْ أُقْلَى إذا جِئْتُ زَائِراً ... وتُرْجِعُنِي نَحْوَ الرِّجَالِ المَطَامِعُ
فأَسْمَعَ مَنًّا أوْ أُشَرَّفَ مُنعِمًا ... وكلُّ مُصَادِى نِعْمَةٍ مُتَوَاضِعُ

وقال بعض بنى أسد :

ألاَ جَعَلَ اللهُ اليَمَانِينَ كُلَّهُمْ ... فِدًى لِفَتَى الفِتْيَانِ يَحْيَى بْنِ حَيَّانِ
ولوْلاَ عُرَيْقٌ فِىَّ مِنْ عَصَبِيَّةٍ ... لَقُلْتُ وأَلْفًا مِنْ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانِ
ولَكِنَّ نَفْسِى لَمْ تَطِبْ بِعَشِيرَتِى ... وطِبْتُ لَهُ نَفْسًا بِأَبْنَاءِ قَحْطَانِ

وقال ثروان ، أو ابن ثروان ، مولى لبنى عذرة :

ولو كُنْتُ مَوْلَى قَيْسِ عَيْلاَنَ لَمْ نَجِدْ ... عَلَىَّ لِإِنْسَانٍ مِنَ النَّاسِ دِرْهَمَا
ولَكِنَّنِى مَوْلَى قُضَاعَةَ كُلِّهَا ... فَلَسْتُ أُبَالِى أَنْ أُدِينَ وتَغْرَمَا
أُولَئِكَ قَوْمِى بَارَكَ اللهُ فِيهِمُ ... على كُلِّ حَالٍ مَا أَعَفَّ وأَكْرَمَا
جُفَاةُ المَحَزِّ لاَ يُصِيبُونَ مَفْصِلاً ... ولاَ يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إلاَّ تَخَذُّمَا

وقال آخر :

أيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللهِ وابْنَةَ مَالِكٍ ... ويَا ابْنَةَ ذِى البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ
إذا مَا عَمِلْتِ الزَّادَ فالْتَمِسِى لَهُ ... أَكِيلاً فإِنِّى لَسْتُ آكُلُهُ وَحْدِى
كَرِيمًا قَصِيًّا أوْ قَرِيبًا فإِنَّنِي ... أَخَافُ مَذَمَّاتِ الأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِى
وكَيْفَ بِشِبَعِ المَرْءِ زَاداً وَجَارُهُ ... خَفِيفُ المَعَى بَادِى الخَصَاصَةِ والجَهْدِ
ولَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ ... يُلاَحِظُ أَطْرَافَ الأَكِيلِ على عَمْدِ
وَإِنِّى لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا ... وَمَا فِىَّ إلاَّ تِلْكَ مِنْ شِيمَةِ العَبْدِ

وقال ابن عبدل :

ولَوْ شَاءَ بِشْرٌ كَانَ مِنْ دُونِ بَابِهِ ... طَمَاطِمُ سُودٌ أوْ صَقَالِبَةٌ حُمْرُ

ولكنَّ بِشْراً سَهَّلَ البابَ لِلَّتي ... يكونُ لِبِشْرٍ عِنْدَها الحمدُ والأَجْرُ
بَعيدُ مَرَادِ العَيْنِ ما ردَّ طَرْفَهُ ... حِذَارَ الغَوَاشِي بابُ دارٍ ولا سِتْرُ

وقال بعض الحجازيين :

لو كنتُ أحمِلُ خَمْراً يومَ زُرْتُكُمُ ... لم يُنْكِرِ الكلبُ أنِّي صاحبُ الدَّارِ
لكنْ أتيتُ وريحُ المِسْكِ يفْعَمُنِي ... والعَنْبَرُ الوَرْدُ أذْكِيهِ على النَّارِ
فأنكرَ الكلبُ ريحي حينَ أبْصَرَنِي ... وكانَ يَعْرِفُ رِيحَ الزِّقِّ والقَارِ

وقال ابن عبدل :

نِعْمَ جارُ الجزيرةِ المُرْضِعِ الغَرْ ... رَى إذا ما غدَا أبو كُلْثُومِ
طاوِياً قد أصابَ عِنْدَ صَدِيقٍ ... من غَدَاءٍ مُلَبَّقٍ مَأْدُومِ
ثمَّ أنْحَى بِجَمْرِهِ حاجِبَ السَّمْـ ... ـسِ فألقَى كالمَعْلَفِ المَهْدُومِ

وقال حبيب بن أوس :

وحَياةِ القَريضِ إحياؤُكَ الجُـ ... ـودَ فإنْ ماتَ الجوادُ ماتَ القَريضُ
يا مُحِبَّ الإحسانِ في زَمَنٍ أصْـ ... ـبَحَ فيهِ الإحسانُ وهْوَ بَغِيضُ

وقال :

ثمَّ اطْرَحْتُمْ قَرَابَتِي وآصِرَتِي ... حتى تَوَهَّمْتُ أنِّي من بَنِي أسَدِ
وطَلْعَةُ الحمدِ أقْلَى في عُيُونِهِمِ ... وفي صُدُورِهِمِ من طَلْعَةِ الأَسَدِ

وقال :

إيَّاكَ يَعْنِي القَائِلُونَ بِقَوْلِهِمْ ... إنَّ الشَّقِيَّ بكلِّ حَبْلٍ يُخْنَقُ
مِنْ شَاعِرٍ وَقَفَ الكلامُ بِبابِهِ ... واكْتَنَّ في كَنَفَيْ ذُرَاهُ المَنْطِقُ
سِرْ حَيْثُ شِئْتَ من البلادِ فَلِي بها ... سُورٌ عليكَ من الرِّجالِ وخَنْدَقُ
قد ثَقَّفَتْ مِنْهُ الشَّآمُ وسَهَّلَتْ ... مِنْهُ الحِجَازُ ورَقَّقَتْهُ المَشْرِقُ

وقال :

بَنُو عَبْدِ الكَرِيمِ نُجُومُ لَيْلٍ ... تُرَى في كُلِّ طَيِّءٍ أبَداً تَلُوحُ

إذا كانَ الهِجاءُ لهُمْ ثَواباً فَخيِّرْنى لِمَنْ خُلِقَ المديحُ

وقال :

أىُّ شَىءٍ يكُونُ أحْسَنَ منْ صَـــبٍّ أديبٍ مُتَيَّمٍ بأديبِ

وقال :

نَقِّلْ فؤادَكَ حَيْثُ شِئْتَ منَ الهَوَى مَا الحُبُّ إلاَّ لِلْحَبيبِ الأوَّلِ
كَمْ مَنزِلٍ فى الأرْضِ يَألَفُهُ الفَتَى وحَنِينُهُ أبَدًا لأوَّلِ مَنزِلِ

وقال :

إشْرَبْ فإنَّكَ سَوْفَ تَعْلَمُ أنَّهُ قَدَحٌ يُصِيبُ العِرْضَ مِنْهُ خُمارُ
عادَاكَ أسْوارُ الكَلامِ بِشُرَّدٍ عُونِ القَريضِ حُتُوفُها أبْكارُ
غُرَرٌ مَنى ماشِئْتُ كُنَّ شَواهِدِى إنْ لَمْ يَكُنْ لِى والِدٌ عَطَّارُ

وقال سَلَمَةُ بنُ الحَرِثِ الأنْمارى:

أبْلِغْ سُبَيْعاً وأنْتَ سَيِّدُنا قِدْماً وَأوْفى رِجالِنا ذِمَما
أنَّ بَغِيضاً وأنَّ إخْوَتَهـا ذُبْيانَ قَدْ ضَرَّمُوا الذى اضْطَرَمَا
نُبِّئْتُ أنْ حَكَّمُوكَ بَيْنَهُمُ فلاَ يَقُولُنَّ بِئْسَ مَا حَكَمَا
إنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَةٍ بِشَأنِهِمِ تَعْرِفُ ذَا حَقِّهِمْ ومَنْ ظَلَمَا
وتُنْزِلُ الامْرَ فِى مَنـازِلِهِ حَزْماً وعَزْماً وتُحْضِرُ الفُهُمَا
ولا تُبالِى مَنِ المُحِقّ ولا المُبـــطِلَ لاَ إلَّةً ولاَ ذِمَمَا (١)
فاحكُمْ فأنْتَ الحَكِيمُ بَيْنَهُمُ لَنْ يَعْدِمُوا الحُكْمَ ثابِتًا صَتَمَا
واصْدَعْ أدِيمَ السَّواءِ بَيْنَهُمُ على رِضَا مَنْ رَضِىَ ومَنْ رَغِمَا
إنْ كانَ مَالاً فَفُضَّ عِدَّتَهُ مَالاً بِمَالٍ وإنْ دَمًا فَدَمَا
هذا وإنْ لَمْ تُطِقْ حُكومَتَهُمْ فانْبِذْ إلَيْهِمْ امُورَهُمْ سَلَمَا

وقال آخر :

أبْلِغْ ضِرَارًا أبا عَمْرٍو مُغَلْغَلَةً أنْ كُلُّ قَوْلِكَ ظَهْرَ الغَيْبِ يَأْتِينَا

(١) الالة هنا بمعنى الحلف أو القرابة . والذمة : العهد

إذْهَنْ قَبيصةَ إنْ صُلْحٌ هممتَ بهِ ... إنَّ ضِرَاراً لَكُمْ رَهْنٌ بما فِينا
إنَّ ضُحيكاً قَتيلٌ من سَرَاتِكُمُ ... وإنَّ حِطَّانَ مِنَّا فاعْدِلوا الدِّينَا(١)
وَانهَ عُبَيْداً فلا يُؤْذِي عَشيرَتَهُ ... نَهْيُكَ خيرٌ لهُ مِنْ نَهْيِ ناهِينَا

وقال آخر :

بَنِي عَدِيٍّ ألا يَنْهَى سَفِيهُكُمُ ... إنَّ السَّفِيهَ إذا لَمْ يَنْهَ مَأْمُورُ

وقال حضرمى بن عامر الاسدى ، ومات أخوه ، فقال جزء : قد فرح بأكل الميراث :

قد قالَ جَزْءٌ ولَمْ يَقُلْ جَلَلاَ ... أنِّى تَزَوَّجْتُ ناعِماً جَذِلاَ
إنْ كُنْتَ أزْمَعْتَنى بها كَذِباً ... جَزْءٌ فلاقَيْتَ مِثْلَها عَجِلاَ
أفْرَحُ أنْ أُرْزَأَ الكِرَامَ وأنْ ... أُورِثَ ذَوْداً شَصَائِصاً نَبَلاَ؟

وقال حريث بن سلمة بن مرارة :

تَقُولُ ابنةُ العَمْرِيِّ لَمَّا رَأَيْتُها ... تَنَكَّرْتَ حتى كِدْتُ مِنْكَ أُهالُ
فإنْ تَعْجَبِي مِنِّى عُمَيْرُ فقَدْ أتَتْ ... لَيَالٍ وَأيَّامٌ عَلَىَّ طِوَالُ
وإنِّى لَمِنْ قَوْمٍ تَشِيبُ سَرَاتُهُمْ ... كذَاكَ وفِيهِمْ نَائِلٌ وَفِعَالُ
ولوْلَقِيتِ ما كُنْتُ أُلْقَى من العِدَى ... إذَا سَالَ مِنْهَا مَفْرِقٌ وقَذَالُ
ولَكِنَّها فى كِلَّةٍ كلُّ شَوْءَةٍ ... وفِى الصَّيْفِ كِنٌّ بارِدٌ وحِجَالُ
تُصَانُ وتُعْلَ المِسْكَ حتى كأنَّها ... إذا وَضَعَتْ عَنْها النَّصِيفَ غَزَالُ

وقال بعض الخوارج لامرأته ، وأرادت أن تنفر معه :

إنَّ الحَرُورِيَّةَ الحَزَّا إذا رَكِبُوا ... لا تَسْتَطِيعُ لهمْ أمْثالُكِ الطَّلَبَا
إنْ يَرْكَبُوا فَرَساً لا تَرْكَبِى فَرَسا ... ولا تُطِيقِى مَعَ الرَّجَّالَةِ الخَبَبَا

وقال خُزَز بن لوذان لامرأته فى شبيه بهذا :

لا تَذْكُرِى مُهْرِى ومَا أطْعَمْتُهُ ... فيكُونَ جِلْدُكِ مِثْلَ جِلْدِ الأجْرَبِ

(١) الدين : الجزاء

إنَّ الغَبُوقَ لهُ وأنتِ مَسُوءَةٌ ... فَأْوِهِي مَا شِئْتِ ثُمَّ تَحَوَّبِي
كذَبَ العَتِيقُ وماءُ شَنٍّ بَارِدٍ ... إنْ كُنْتِ سَائِلَتِي غَبُوقًا فاذْهَبِي
إنِّي لأَخْشَى أنْ تَقُولَ خَلِيلَتِي ... هَذا غُبَارٌ سَاطِعٌ فَتَلَبَّبِي
إنَّ العَدُوَّ لهُمْ إلَيْكِ وَسِيلَةٌ ... إنْ يَأْخُذُوكِ تَكَحَّلِي وتَخَضَّبِي
ويكُونُ مَرْكَبُكِ القَعُودَ وحِدْجُهُ ... وابْنُ النَّعَامَةِ يَوْمَ ذلِكَ مَرْكَبِي
وأنا امْرُؤٌ إنْ يَأْخُذُونِي عَنْوَةً ... اقْرَنْ إلى شَرِّ الرِّكابِ وأُجْنَبِ

وأراد أعرابي أن يسافر فطلبت إليه امرأته أن تكون معه فقال :

إنَّكِ لَوْ سَافَرْتِ قَدْ مَذِحَتْ ... وَحَكَّكِ الحِنْوَانِ فانفتحتِ

وقُلْتِ هذا صَوْتُ دِيكٍ تَحْتِي

المذح : سحج إحدى الفخذين بالاخرى

وفى شبيه بهذا المعنى الاول يقول عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة :

وأعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ ... وَرَيَّانُ مُلْتَفُّ الحَدَائِقِ أخْضَرُ
ووَالٍ كَفَاهَا كلَّ شَيْءٍ يُهِمُّهَا ... فَلَيْسَتْ لشَيْءٍ آخِرَ الدَّهْرِ تَسْهَرُ

وقال سلامة بن جندل هذه الابيات وبعث بها إلى صعصعة بن محمود بن عمرو بن مرثد ، وكان أخوه أحمر بن جندل أسيراً فى يده ، فاطلقه له :

سَأجْزِيكَ بالوُدِّ الذِى كانَ بَيْنَنَا ... أصَعْصَعَ إنِّى سَوْفَ أجْزِيكَ صَعْصَعَا (١)
سأُهْدِى وإنْ كُنَّا بِتَثْلِيثَ مِدْحَةً ... إلَيْكَ وإنْ حَنَّتْ بُيُوتَكَ لَعْلَعَا
فإنْ يَكُ مَحْمُودٌ أبَاكَ فإنَّنَا ... وجَدْنَاكَ مَحْمُودَ الخَلائِقِ أرْوَعَا (٢)
وإنْ شِئْتَ أهْدَيْنَا ثَنَاءً ومِدْحَةً ... وإنْ شِئْتَ أهْدَيْنَا لَكُمْ مِئَةً مَعَا (٣)

(١) الذى فى ديوان سلامة بن جندل المطبوع في بيروت :

سأجزيك بالقد الذى قد فككته ... سأجزيك ما أبليتنا العام صعصعا

(٢) رواية الديوان هكذا :

فان يك محمود أباك فاننا ... وجدناك منسوباً إلى الخير أروعا

(٣) رواية الديوان هكذا

قال [صعصعة بن محمود] الثناء والمدحة أحب الينا

وقال أوس بن حجر ، حين حبس وأقام عنـد فضالة بن كندة ، وتولت خدمته حليمة أبنة فضالة ، شاكرا لذلك :

لَعَمْرُكَ ما مَلَتْ ثَوَاءً ثَوَى بِهَا ... حَلِيمةُ إِذْ أَلْقَى مَرَاسِيَ مَقْعَدِ
ولَكِنْ تَلَقَّتْ بِالْيَدَيْنِ ضَمَانَتِى ... وحَلَّ بِفَلْجٍ فالقَنَافِذِ عُوَّدِى
وقد غَبَرَتْ شَهْرَىْ رَبِيعٍ كِلَيْهِما ... بِحَمْلِ البَلَايَا والخِبَاءِ المُمَدَّدِ
ولَمْ تُلْهِها تِلْكَ التَّكَالِيفُ أَنَّها ... كما شِئْتَ مِنْ أُكْرُومَةٍ وتَخَرُّدِ
هِىَ ابنَةُ أَعْرَاقٍ كِرَامٍ تَمِيمُهَا ... إِلَى خُلُقٍ عَفْوٍ بَرَازِنِهِ قَدِ
سأَجْزِيكِ أَوْ يَجْزِيكِ عَنَّا مُثَوِّبٌ ... وحَسْبُكِ أَنْ يُثْنَى عليكِ وتُحْمَدِي

وقال الخريمى :

ولَمْ أَجْزِهِ إِلاَّ المَوَدَّةَ جاهِدًا ... وحَسْبُكَ مِنِّى أَنْ أَوَدَّ فأَجْهَدَا

وقال الاسدى :

وإِنى أُحِبُّ الخُلْدَ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ ... وكالخُلْدِ عِنْدِى أَنْ أَمُوتَ ولم أُلَمْ

وقال الحادرة :

فأَثْنُوا عَلَينا لا أَبَا لِأَبِيكُمُ ... بِإِحْسَانِنا إِنَّ الثَّنَاءَ هُوَ الخُلْدُ

وأنشد الأصمعى لمهلهل :

فَقَتْلاً بِتَقْتِيلٍ وعَقْراً بِعَقْرِكُمْ ... جَزَاءَ العَطَاءِ لا يَمُوتُ مَنِ اثْأَرْ

وضاف أبو الشليل العنبرى بنى حكم ، فخذا من عنزة فقال :

أَرَانِى فى بَنِى حَكَمٍ قَصِيًّا ... عَلى قَتَرٍ أَزُورُ ولا أُزَارُ
أُنَاسٌ يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ دُونِى ... وتَأْتِينِى المَعَاذِرُ والقُتَارُ

وقال آخر :

إِذا مَدَّ أَرْبَابُ البُيُوتِ بُيُوتَهُمْ ... على رُجَّحِ الأَكْفَالِ أُلْوَانِهازِهْرُ

وإن شئت أهدينا ثناء ومدحة ... وإن شئت عدينا لكم مئة معاً

فإنَّ لنا مِنهَا خِباءً يَحُفُّنا ... إذا نحنُ أمسَينا المَجاعةُ والفَقرُ

وقال آخر، وهو أبو المهوش الاسدى:

تَرَاهُ يُطَوِّفُ الآفاقَ حِرْصاً ... لِيأكلَ رَأسَ لُقمانِ بنِ عادِ

وقال أيضاً:

وبنُو الفُقَيمِ قليلةٌ أحلامُهمْ ... نُطُفُ اللِّحَى مُتَشابِهُو الألوانِ

لوْ يَسمَعُونَ بأكلةٍ أو شَربةٍ ... بعُمانَ أصبَحَ جَمعُهمْ بعُمانِ

مُتأبِّطينَ بَذِيهم وبَناتِهم ... صُعرُ الأنوفِ لِريحِ كلِّ دُخانِ

وقال آخر:

وجيرَةٍ لَنْ ترَى فى النَّاسِ مِثلَهُمُ ... إذَا يكُونُ لهمْ عِيدٌ وإفطارُ

إنْ يُوقِدُوا يُوسِعُونى منْ دُخانِهِم ... وليْسَ يَبدُو لنا ما تُنضِجُ النَّارُ

وقال أبو الطروق الضبى، فى خاقان بن عبد الله بن الأهتم:

وشَكَّ النَّاسُ فى خاقانَ لَمَّا ... أتى لولادِهِ سَنةٌ وشَهرُ

وقالتْ أختُهُ إنى بَرِيءٌ ... إلى الرَّحمنِ منكَ وذاكَ نُكرُ

ولم يُسمَعْ بحَملٍ قبلَ هذَا ... أتى من دُونِهِ دَهرٌ ودَهرُ

فنافَرَها فألحقَهُ شَبِيبٌ ... وأثبتَهُ فثابَ عليهِ وفرُ

وقال مَكى بن سَوَادة البُرجُمى:

نحيرَ اللُّؤمُ يَبغِى مَنْ يُحالِفُهُ ... حتى تَناهَى إلى أبْناءِ خاقانِ

أزْرَى بكُمْ يا بَنى خاقانَ أنَّكُمُ ... من نَسلِ حَجَّامةٍ من قِنِّ هِزَّانِ

سَفَّاكةٍ لدِماءِ القَوْمِ آكلةٍ ... قِدْماً لأَمْوالِهِمْ من غيرِ سُلطانِ

لوْ تَسألونَ بهَا أيُّوبَ جاءَكُمُ ... على الَّذِى قُلْتُ أيُّوبٌ ببُرْهانِ

أيَّامَ تُعطِيهِ خَرْجاً منْ حِجامَتِها ... يوْماً فيوْماً تُوَفِّيهِ بأُرْبانِ

فإن رَدَدْتُمْ عَليهِ ما يقُولُ أتى ... على مَقالَتِهِ فِيها بتِبْيانِ

ثمَّ اشتَرَاها أبو خاقانَ حِينَ عَسَتْ ... فالتقطتْ نُقطَةً مِنهُ بأقْطانِ

فاستدخلتها ولا يدرى بما فعلت ... حتى إذا ركضت جاءت بخاقان

وقال اللعين المنقرى في آل الأهتم :

وكيف تسامون الكرام وأنتم ... دوارج حبر يونَ فدع القوائم

بنو ملصق من ولد حذام لم يكن ... ظلوماً ولا مستنكراً للمظالم

وقال آخر :

قالت عهدتك مجنوناً فقلت لها ... إن الشباب جنون بروءه الكبر

وقال أعرابى وهو أبو حية النميرى :

رمتنى وستر الله بينى وبينها ... عشية أرآم الكناس رميم

ألا رب يوم لو رمتنى رميتها ... ولكن عهدى بالنضال قديم

رميم التى قالت لجارات بيتها ... ضمنت لكم أن لا يزال بهيم

وقال أبو يعقوب الأعور :

بقلبى سقام لست أحسن وصفه ... على أنه ما كان فهو شديد

تمر به الأيام تسحب ذيلها ... فتبلى به الايام وهو جديد

وقال الثقفى :

من كان ذا عضد يدرك ظلامته ... إن الذليل الذى ليست له عضد

تنبو يداه إذا ما قل ناصره ... ويأنف الضيم إن أثرى له عدد

وقال أشجع السُّلَمى فى هرون أمير المؤمنين :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد ... رصدان ضوء الصبح والإظلام

فإذا تنبه رعته وإذا هدى ... سلت عليه سيوفك الأحلام

وقال :

إنتجع الفضل أو تخل من الـ ... ـدنيا فهاتان غايتا الهمم

وقال :

أبت طبرستان إلا الذى ... يعم البرية من دائها

ضَمَمتَ مَناكِبَها ضَمَّةً رَمَتْكَ بما بَينَ أحشائِها

وقالوا : لم يدع الأول للآخر معنى شريفاً ولا لفظا بهياً إلا أخذه ، إلا بيت عنترة :

فترى الذبابَ بها يُغنِّي وَحدَهُ غَرِداً كَفِعْلِ الشَّارِبِ المترنِّمِ

هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعَهُ بذِراعِهِ فِعْلَ المُكِبِّ على الزِّنادِ الأَجْذَمِ

وقال الفقيمى قاتل غالب أبى الفرزدق :

وما كُنتُ نَوَّاماً ولكِنَّ ثائِراً أناخَ قَليلاً فوْقَ ظهْرِ سَبِيلِ

وقد كُنتُ مَخْزُونَ اللِّسانِ ومُفْحَماً فأصْبَحتُ أدْرِى اليَوْمَ كيْفَ أقُولُ

وقال أبو المثلم الهذلى (١)

أصَخْرُ بنَ عَبدِ اللهِ إن كُنتَ شاعِرًا فإنَّكَ لا تُهْدِى القَرِيضَ لِمُفْحَمِ

وقال الهُذلى (٢)

---

(١) أبو المثلم الهذلى : هو أحد شعراء هذيل المعدودين ، كان بينه وبين صخر بن عبد الله الخيثمى الهذلى المعروف بصخر الغى تنافس . وكان صخر خليعاً ذا بأس وشر ، ومن شره أنه عمد إلى رجل مزنى كان جاراً لبنى خناعة بن سعد بن هذيل فقتله ، فأخذ أبو المثلم يحرض قومه على مطالبته بدم جارهم المزنى فبلغ ذلك صخراً فقال يذكر أبا المثلم وما فعله :

إنى بدهماء عز ما أجد عاودنى من حبها زؤد

عاودنى حبها وقد شحطت صرف نواها فانى كمد

فلست عبداً للموعدين ولا أقبل ضيما أوتى به أحد

جاءت كبير كيما أخفرها والقوم صيد كأنهم رمدوا

في المزنى الذى حششت به مال ضريك تلاده نكد

إن امتسكه فبالغداء وإن أقتل بسيفى فانه قود

فرد عليه أبو المثلم بقصيدة منها البيت الذى في الأصل

(٢) الهذلى : هو أبو العيال الهذلى وقد مرت ترجمته فى ٢١ ص من الجزء الاول

على عبدِ بن زُهْرَةَ طُو لَ هذا الدَّهْرِ أنتحِبُ (١)
أخٌ لى دُونَ مَنْ لى مِنْ بَنِي عَمِّى وإنْ قَرُبوا
طَوَى مَنْ كانَ ذا نَسَبٍ إلَىَّ وزادَهُ النَّسَبُ
أبُو الأَضْيافِ والأَيْتام ساعةَ لا يُعَدُّ أبُ
ألا لِلّهِ دَرُّكَ مِنْ فتى قومٍ إذا ركبُوا (٢)
وقالوا مَنْ فتى لِلثَّغرِ يَرْقُبُنا ويَرْتَقِبُ (٣)
فكُنْتَ أخاهُمُ حَقًّا إذا تُدْعَى لها تَثِبُ (٤)
وقد ظَهَرَ السَّوابِغُ فيهِمُ والبَيْضُ واليَلَبُ
أقامَ لدَى مَدِينَةِ آ لِ قُسطَنْطِينَ وانقَلَبُوا
نَجِيباً حِينَ يُدْعَى إنَّ آباءَ الفَتى نُجُبُ

وقال أدهم بن محرز الباهلى :

لَمَّا رَأَيْتُ الشيْبَ قد شانَ أهلَهُ تَفَتَّيْتُ وابتَعْتُ الشَّبابَ بدِرْهَمِ

وقال آكل المرار الملك (٥)

إنَّ مَنْ غَرَّهُ النِّساء بِشَيْءٍ بَعْدَهِنْدٍ لَجاهلٌ مغْرُورُ (٦)
حُلوَةُ العَيْنِ واللسانِ ومُرٌّ كلُّ شَيْءٍ يُجِنُّ منها الضَّمِيرُ
كلُّ أُنثَى وإنْ بَدَتْ لَكَ منها آيَةُ الحُبِّ حُبُّها خَيتَعُورُ (٧)

(١) رواية الأصبهانى : طول الليل أكتئب (٢) رواية الأصبهانى : إذا رهبوا
(٣) رواية الأصبهانى : فتى للحرب (٤) رواية الأصبهانى

فكنت فتاهم فيها إذا يدعى لها يثب

(٥) آكل المرار الملك : هو الحرث بن عمرو الكندى جد امرىء القيس . وكان ابن هبولة الغسانى سبى امرأته فلحقه الحرث فقتله وارتجع المرأة ، وكان قد نال منها فقال لها : هل كان أصابك ؟ قالت : نعم والله ما اشتملت النساء على مثله . فأوثقها بين فرسين ثم استحفزهما حتى قطعاها وقال الأبيات (٦) ويروى : بود (٧) ويروى :

كل أنثى وإن بدا لك منها آية الود حبها خيتعور

والخيتعور : الكثير التقلب لا يدوم على حال

وقال طفيل الغنوى [١]

إنّ النّساء كأشجارٍ نَبَتْنَ معًا ... منها المُرارُ وبَعْضُ المُرِّ مأكولُ
إن النِّساء مَتى يُنهبْنَ عَنْ خُلُقٍ ... فإنّهُ واجِبٌ لا بُدَّ مَفْعُولُ

وقال علقمة بن عَبَدَةَ [٢]

فإنْ تَسألونى بالنِّساء فإنّني ... بَصيرٌ بأدْواء النِّساء طَبِيبُ
إذا شابَ رَأسُ المَرْءِ أوْقلَّ مالُهُ ... فَليْسَ لهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصِيبُ
يُرِدْنَ ثَرَاءَ المَالِ حَيْثُ عَلِمنَهُ ... وشَرْخُ الشَّبابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ

وقال أبو الشَّغب السعدى :

أبَعْدَ بَنِى الزَّهْراء أرجُو بَشاشةً ... من العَيْشِ أوْأرجُو رَخاءً من الدَّهْرِ
غطارفةٌ زُهْرٌ مَضَوْا لِسَبيلِهِمْ ... أَلَهْفى على تِلْكَ الْغطارِفةِ الزُّهْرِ

---

(١) طفيل الغنوى: هو طفيل بن عوف بن غنى بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان شاعر جاهلى معدود ، كان وصافا للخيل مجيداً . قال قتيبة بن مسلم لأعرابى من غنى قدم عليه خراسان : أى بيت قالته العرب أعف ؟ قال : قول طفيل :

ولا أكون وكاء الزاد أحبسه ... لقد علمت بأن الزاد مأكول

قال : فأى بيت قالته العرب في الحرب أجود ؟ قال : قول طفيل :

بجيش إذا قيل اركبوا لم يقل لهم ... عواوين يخشون الردى أين نركب

قال : فأى بيت قالته العرب في الصبر أجود ؟ قال : قول نافع بن خليفة الغنوى:

ومن خير ما فينا من الأمن أننا ... متى ما نوافي موطن الصبر نصبر

قال قتيبة : فما تركت لاخوانك من باهلة ؟ قال : قول صاحبهم :

وإنا اناس ما تزال سوامنا ... تنور نيران العدو مناسمه
وليس لنا حى نضاف إليهم ... ولكن لنا عود شديد شكائمه

(٢) علقمة بن عبدة : هو المعروف بعلقمة الفحل ، شاعر من فحول شعراء الجاهلية ومقدميهم . مات سنة ٦٢٥ م . والأبيات التى رواها الجاحظ فى الأصل هى من قصيدة بارعة مطلعها :

طحا بك قلب فى الحسان طروب ... بعيد الشباب عصر حان مشيب

وهي طويلة ، أرجع إليها فى المفضليات مشروحة بقلمنا شرحاً وافياً

يُذَكِّرُنِيهِمْ كلُّ خيرٍ رَأَيتُهُ وشرٌّ فما أنفكُّ منهُمْ على ذِكْرِ

وقال أبو حزابة (١) فى عبد الله بن ناشرة :

ألاَ لا فتًى بَعْدَ ابْنِ ناشِرَةَ الفَتَى ولا خيرَ إلاَّ قدْ تَوَلَّى وأدْبَرَا
وكانَ حَصادًا لِلْمَنايا ازدَرَعْنَهُ فهلاَّ تَرَكْنَ النَّبْتَ ما كانَ أخضَرا
لَحَا اللهُ قَوْمًا أسْلَمُوكَ ورَفَّعُوا عَناجِيجَ أعْطَتْهَا يمينُكَ ضُمَّرا (٢)
أما كان فيهمْ فارِسٌ ذُو حَفيظَةٍ يَرَى المَوْتَ فى بَعْضِ المَواطِنِ أعذَرا (٣)
يَكُرُّ كما كَرَّ الكُلَيبِيُّ بَعْدَ ما رأى المَوْتَ تَحْدُوهُ الأسِنَّةُ أحْمَرا (٤)
فكَرَّ عليه الوَرْدَ يَدْمَى لَبانُهُ وما كَرَّ إلاَّ رَهْبَةً أنْ يُعَيَّرا

وقال أعرابى :

رَعاكِ ضَمانُ اللهِ يا أُمَّ مالِكٍ وللهُ أن يَشفِيكِ أرْعَى وأوْسَعُ
يُذَكِّرُنِيكِ الخَيرُ والشَّرُّ والذى أخافُ وأرْجُو والذِى أتَوَقَّعُ

وقال دريد بن الصمّة :

وقالوا ألاَ تَبكى أخاكَ وقدْ أرَى مكانَ الأسَى لكِنْ بُنِيتُ على الصبرِ
فقُلتُ أعَبْدَ اللهِ أبْكى أمِ الذِى على الجَدَثِ البَاقِي قَتِيلَ أبى بكرِ
وعَبْدَ يَغُوثٍ أوْ يَمِينَى خالِداً وعَزَّ المصَابُ وضْعُ قَبْرٍ إلى قبرِ

(١) أبو حزابة : هو الوليد بن حنيفه التميمى ، شاعر من شعراء الدولة الأموية ، كان من أهل البادية فتحضر وسكن البصرة ، ثم اكتتب في بعث سجستان فكان بها مدة ثم عاد إلى البصرة ، وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجاء . ثم خرج مع ابن الأشعث وقتل معه سنة ٨٣ هـ ٧٠٢ م . وكان ابن ناشرة معه بسجستان وقتل فى فتنة ابن الزبير (٢) ويروى : وجردوا ، بدل ورفعوا (٣) ويروى :

أما كان فيهم ماجد ذو حفيظة يرى الموت في بعض المواطن أخفرا

(٤) خلط صاحب الأغانى هذا البيت بالبيت بعده ورواه هكذا:

يكر كما كر الكليبي مهره وما كر إلا خشية أن يعيرا

ومن هذه القصيدة قوله :

لعمرى لقد هدت قريش عروشنا بأبيض نفاح العشيات أزهرا
فلا صلح حتى ترحف الخيل والقنا بنا وبكم أن يصدر الأمر مصدرا

أَبَى القَتْلُ إلاَّ آلَ صِمَّةَ إنَّهُمْ ... أَبُوا غيرَهُ والقَدْرُ يَجْرِى إلى القَدْرِ
فإمَّا تَرَيْنا مَا تَزَالُ دِماؤُنا ... لَدَى ثائِرٍ يَسْعَى بِها آخِرَ الدَّهْرِ
فإنَّا لِلَحْمِ السَّيْفِ غيرَ نَكيرَةٍ ... ونَلْحَمُهُ حِيناً فليْسَ بِذِى نُكْرِ
يُغارُ علَيْنا واتِرِينَ فَيُشْتَفَى ... بِنا إنْ أصِبْنا أوْ نُغِيرُ على وَتْرِ
قَسَمْنا بِذاكَ الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ بَيْنَنا ... فلاَ يَنْقضِى إلاَّ ونَحْنُ على شَطْرِ

وقال آخر :

إذا مَا تَرَاآهُ الرِّجالُ تَحَفَّظُوا ... فلَمْ تَنْطَقِ العَوْرَاءُ وهْوَ قَرِيبُ
حَبِيبٌ إلى الزُّوَّارِ غِشْيانُ بَيْتِهِ ... جَمِيلُ المُحَيَّا شَبَّ وهْوَ أدِيبُ
فَتًى لا يُبالِى أنْ يَكُونَ بجِسْمِهِ ... إذا نالَ خَلاَّتِ الكِرَامِ شُحُوبُ
حَلِيمٌ إذا مَا الحِلْمُ زَيَّنَ أهْلَهُ ... مَعَ الحِلْمِ فى عَيْنِ العَدُوِّ نَجِيبُ
حَلِيفُ النَّدَى يَدْعُوهُ النَّدَى فيُجِيبُهُ ... قَرِيباً ويَدْعُوهُ النَّدَى فيُجِيبُ
يَبِيتُ النَّدَى يا أُمَّ عَمْرٍو ضَجِيعُهُ ... إذا لَمْ يَكُنْ فى المُنْقَياتِ حَلُوبُ

يقول : إذا كان الجدب ولم يكن للمال لبن فهو وهوب مطعام فى هذا الزمن ، والمنقيات : المهازيل التى ذهب نقيهن ، والنقى : مخ العظام وشحم العين ، وجمعه أنقاء ، وناقة منقية : أى ذات نقى

وقال آخر :

أَلاَ تَرَيْنَ وقدْ قَطَّعْتِنى عَذَلاً ... ماذا مِنَ الفَوْتِ بينَ البُخْلِ والجُودِ
إلاَّ يَكُنْ وَرِقٌ يَوْماً أجُودُ بها ... لِلْمُعْتَفِينَ فإنِّى لَيِّنُ العُودِ

والى هذا ذهب ابن يسير حيث يقول :

لا يَعْدَمُ السَّائِلُونَ الخيرَ أفْعَلَهُ ... إمَّا نَوَالِى وإمَّا حُسْنُ مَرْدُودِى

وقال الهذلى [1]

(١) الهذلى : هو أبو المثلم المار ذكره قريباً . وهذا البيت من أبيات يرثى بها صخر الغى لما قتل وأولها حسب رواية صاحب الأغانى :

وهَّابُ مالاً تَكادُ النفسُ تُرْسِلُهُ من التِّلادِ وَصُولٌ غيرُ مَنَّانِ (١)

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : ومن الشوارد التى لا أرباب لها قوله :

إنْ يَفْخَرُوا أوْ يَعْدِرُوا أوْ يَبْخَلُوا لمْ يَحْلِفُوا
يَغْدُوا عليكَ مُرَجَّلِيـ ـنَ كأنَّهُمْ لمْ يَفْعَلُوا
كأبى يَرَاقِشَ كلَّ لوْ نٍ لوْنُهُ يَتَحَيَّلُ

ومثله فى بعض معانيه :

أكُولٌ لِأَرْزَاقِ العِبَادِ إذا شَتَا صَبُورٌ على سوءِ الثَّناءِ وَقَاحُ

وقال :

وما نَفَى عَنْكَ قَوْماً أنْتَ خائِفُهُمْ كَمِثْلِ وَقْكَ جُهَّالاً بِجُهَّالِ
فاقْعَسْ إذا حَدَبُوا واحْدَبْ إذا قَعَسُوا ووازِنِ الشَّرَّ مِثْقالاً بِمِثْقالِ

وقال الراجز :

وقد تَعَلَّلْتُ ذَمِيلَ العَنَسِ بالسَّوْطِ فى دَيْمُومَةٍ كالتُّرْسِ
إذ عَرَجَ اللَّيْلُ بِرَوْحِ الشَّمْسِ

وقال الراجز :

قد كُنْتُ إذْ حَبْلُ صِبَاكَ مُدْمَشُ وإذْ أُهاضِيبُ الشبابِ تبغَشُ

لو كان للدهر مال كان قلده لكان للدهر صخر مال قنيان
آبى الهضيمة باب بالعظيمة متـ ـلاف الكريمة لانكس ولاوان
حامى الحقيقة نسال الوريقة معـ ـقال الوسيقة جلد غير ثنيان
رباء مرقبة مناع مغلبة ركاب سلهبة قطاع أقران
هباط أودية شهاد اندية حمال ألوية سرحان فتيان
يحمى الصحاب إذا جد الضراب ويكفى القائلين إذا ما كل العانى
ويترك القرن مصفرا أنامله كأن فى ريطتيه نضخ أرقان

(١) وبعد الأبيات السابقة روى صاحب الأغانى هذا البيت هكذا :

يعطيك مالا تكاد النفس تسلمه من التلاد وهوب غير منان

وقال الراجز :

طالَ عَلَيْهِنَّ تَكالِيفُ السُّرَى والنَّصُّ فى حينِ الهَجيرِ والضُّحَى
حتى عَجاهُنَّ فما تَحْتَ العَجَى رَواعِبٌ يَخْضِبْنَ مِبيَضَّ الحَصَى

سمع ذلك ابن وهيب [1] فرام مثله فقال :

يَخْضِبُ مَرْوًا دماً نجيعًا من فَرْطِ ما تُنكِبُ الحَوَامِى

وقال عامر ملاعب الأسنة :

دَفَعْتُكُمُ عنّي وما دَفْعُ راحَةٍ بِشَيْءٍ إذا لم تَسْعَنِ بالأَناملِ
يُضَعضِعُنى حِلْمِي وكَثْرَةُ جَهْلِكُم عليَّ وأنّى لا أصُولُ بجاهِلِ

وقال آخر :

لا بُدَّ لِلسُّؤْدُدِ من أرْماحِ ومنْ سَفِيهٍ دائِمِ النُّباحِ
ومنْ عَدِيدٍ يُتَّقَى بالرَّاحِ

وقال أبو نخيلة لبعض سادات بنى سعد :

وإنَّ بقَوْمٍ سَوَّدُوكَ لَفاقَةً إلى سَيِّدٍ لوْ يَظْفَرُونَ بسَيِّدِ

وتمثل سفيان بن عيينة وقد جلس على مرقب عال وأصحاب الحديث مدى البصر يكتبون ، بقول الآخر :

خَلَتِ الدِّيارُ فَسُدْتُ غيرَ مُسَوَّدِ ومِنَ الشَّقاءِ تفَرُّدِى بالسُّؤْدُدِ

وقال الأول فى الأحنف :

وإنَّ منَ السَّادَاتِ مَنْ لوْ أطَعْتَهُ دَعاكَ إلى نارٍ يَفُورُ سَعِيرُها

وقال آخر :

فأصْبَحتَ بَعْدَ الحِلْمِ فى الحَىِّ ظالِمًا تَخَبَّطُ فِيهِمْ والمُسَوَّدُ يَظْلِمُ

(١) ابن وهيب : هو محمد بن وهيب الحميرى . شاعر من متوسطى شعراء الدولة العباسية ، أصله من البصرة وسكن بغداد وكان مختصا بالحسن بن سهل ، وكان يتشيع . وهو من مؤدبى الفتح بن خاقان

وقال رجل من بنى الحرث بن كعب يقال له سويد :

إنّى إذا ما الأمْرُ بَيَّنَ شكّهُ ... وبَدَتْ بَصائِرُهُ لِمَنْ يَتأمَّلُ
وتبرَّأ الضُّعفاءُ من إخْوانِهِمْ ... وألَحَّ من حَرِّ الصَّميمِ الكلكلُ
أدَعُ التى هىَ أرْفَقُ الحالاتِ بى ... عِنْدَ الحفيظةِ لِلَّتى هِىَ أجْمَلُ

وقال الآخر :

ذَهَبَ الَّذينَ أُحِبُّهُمْ فَرَطًا ... وبَقِيتُ كالمَغْمُورِ فى خَلَفِ
مِنْ كلِّ مَطْوِىٍّ على حَنَقٍ ... مُتَصَنِّعٍ يُكْفَى ولا يَكْفِى

وقال أبو الطمحان القينى :

فكَمْ فِيهِمُ مِنْ سَيِّدٍ وابنِ سَيِّدٍ ... وفِىٍّ بِعَقْدِ الجارِ حِينَ يُفارِقُهْ
يَكادُ الغَمامُ الغُرُّ يَرْغَبُ أنْ يَرَى ... وُجُوهُ بَنى لُؤْمٍ ويَنْهَلُّ بارِقُهْ

وقال طفيل الغنوى :

وكانَ هُرَيْمٌ من سِنانٍ خَلِيفةً ... وعَمْرٍو ومن أسْماءَ لَمَّا تَغَيَّبُوا
نُجُومُ سَماءٍ كلَّما انْقَضَّ كَوْكَبٌ ... بَدَا وانْجَلَتْ عنهُ الدُّجُنَّةُ كَوْكَبُ

وقال رجل من بنى نهشل :

إنّا لَمِنْ مَعْشَرٍ أفْنَى أوَائِلَهُمْ ... قِيلُ الكُماةِ ألا أيْنَ المُحامُونا
لوْ كانَ فى الألْفِ مِنّا واحِدٌ فَدَعَوْا ... مَنْ عاطِفٌ خالَهُمْ إيّاهُ يَدْعُونا
ولَيْسَ يَذْهَبُ مِنّا سَيِّدٌ أبَدًا ... إلاّ افْتَلَيْنا غُلامًا سَيِّدًا فِينا

وقال بعض الحجازيين :

إذا طَمِعٌ يَوْمًا عَرانِى قَرِينُهُ ... كتائِبَ يَأْسٍ كَرَّها وطِرادُها
أكِدُّ ثِمادِى والمِياهُ كَثِيرَةٌ ... أُعالِجُ مِنها حَفْرَها واكْتِدادُها
وأرْضَى بِها مِنْ بَحْرِ آخَرَ إنَّهُ ... هُوَ الرِّىُّ إنْ تَرْضَى النُّفُوسُ ثِمادُها

وقال أبو محجن الثقفى :

ألَمْ تَسْألْ فَوارِسَ من سُلَيْمٍ ... بِنَضْلَةَ وهْوَ مَوْتُورٌ مَشِيحُ

رَأْوْهُ فازْدَرَوْهُ وهْوَ خِرْقٌ ... ويَنفَعُ أهلَهُ الرَّجُلُ القَبِيحُ
فَلَمْ يَخْشَوْا مَصالتَهُ عَليهِمْ ... وتحْتَ الرَّغْوةِ اللَّبَنُ الصَّرِيحُ
فكَرَّ عَليهِمْ بالسَّيْفِ صَلْتًا ... كما عَضَّ الشِّبَا الفَرَسُ الجَمُوحُ
فأطلَقَ غِلَّ صاحبِهِ وأرْدَى ... جَرِيحًا مِنْهُمُ ونَجَى جَرِيحُ

وقال بعض اليهود :

سَئِمْتُ وأمْسَيْتُ رَهْنَ الفِرَا ... شِ ومِنْ حَمْلِ قَوْمٍ ومِنْ مَغْرَمِ
ومِنْ سَفَهِ الرَّأْيِ بَعْدَ النُّهَى ... ورُمْتُ الرَّشادَ فلَمْ يَفْهَمِ
فلوْ أنَّ قَوْمِى أطاعُوا الحَلِيمَ ... ولَمْ تَتَعَدَّ ولَمْ تَظْلِمِ
ولَكِنَّ قَوْمِى أطَاعُوا السَّفِيهَ ... حَتَى تَعَكَّظَ أهْلُ الدَّمِ
فأوْدَى السَّفِيهُ بِرَأْيِ الحَلِيمِ ... فانْتَشَرَ الأمْرُ لَمْ يُبْرَمِ

وقال بعض الشعراء :

وكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ ... ولا يَشْقَى بِقَعْقَاعٍ جَلِيسُ
ضَحُوكُ السِّنِّ إنْ أمَرُوا بِخَيْرٍ ... وعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقٌ عَبُوسُ

وقال آخر :

ولَسْتُ بِزَمَّجَةٍ فى الفِرَاشِ ... وجَأَبَةٍ يَحْتَمِى أنْ يُجِيبَا
ولا ذِى قَلَازِمَ عِنْدَ الحِيَاضِ ... اذا ما الشَّرِيبُ أرَابَ الشَّرِيبا

وقال حجل بن نضلة :

جاءَ شَقِيقٌ عارِضًا رُمْحَهُ ... إنَّ بَنِى عَمِّكَ فيهِمْ رِمَاحْ
هَلْ أحْدَثَ الدَّهْرُ لنَا نَكْبَةً ... أمْ هَلْ رَفَتْ أمُّ شَقِيقٍ سِلَاحْ ؟

وقال :

وَيْلُ امِّ لَذَّاتِ الشَّبابِ مَعِيشَةً ... مَعَ الكَثْرِ يُعْطَاهُ الفَتَى المُتْلِفِ النَّدِى
وقَدْ يَقْصُرُ القَلُّ الفَتَى دُونَ هَمِّهِ ... وقَدْ كانَ لَوْلَا القَلُّ طَلَّاعَ أنْجُدِ

وقال الآخر :

قامَتْ تُخاصِرُنِي بِقُنَّتِهَا ... خَوْدٌ تَأَطَّرُ غادَةٌ بِكْرُ
كلٌّ يَرَى أَنَّ الشَّبابَ لَهُ ... فِي كلِّ مَبْلَغِ لَذَّةٍ عُذْرُ

وقال سعد بن ربيعة بن مالك بن سعد بن زيد مناة ، وهو من قديم الشعر وصحيحه :

أَلَا إِنَّما هذَا السَّلَالُ الَّذِي تَرَى ... وإِدْبارُ جِسْمِي مِنْ رَدَى العَبَرَاتِ
وكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قد نَجَلْدْتُ بَعْدَهُ ... تَتَطَّعُ نَفْسِي دُونَهُ حَسَرَاتِ

وقال الطرِمّاح في هذا المعنى :

وشَيَّبَنِي أَنْ لا أَزَالَ مُناهِضاً ... بِغيرِ ثَرًا أَسْرُو بِهِ وأَبُوعُ
أَمُخْبِرِي رَيْبُ المَنُونِ ولَمْ أَنَلْ ... مِنَ المَالِ ما أَعْصَى بِهِ وأُطِيعُ

وقال الأضبط بن قُرَيْعٍ :

لِكلِّ هَمٍّ مِنَ الهُمُومِ سَعَهْ ... والمُسْيُ والصُّبْحُ لا فَلَاحَ مَعَهْ
فَصِلْ حِبَالَ البَعِيدِ إِنْ وَصَلَ الـ ... ـحَبْلَ وأَقْصِ القَرِيبَ إِنْ قَطَعَهْ
لا تَحْقِرَنَّ الفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ ... تَرْكَعَ يَوْماً والدَّهْرُ قد رَفَعَهْ
قد يَجْمَعُ المالَ غيرُ آكِلِهِ ... ويَأْكُلُ المالَ غيرُ مَنْ جَمَعَهْ

وقال اعرابي ، ونحر ناقة في حُطمة أصابتهم :

أَكَلْنا الشَّوَى حتى إِذَا لَمْ نَجِدْ شَوًى ... أَشَرْنا إِلى خَيْرَاتِها بالأَصَابِعِ
ولِلسَّيْفُ أَحْرَى أَنْ تُباشِرَ حَدَّهُ ... مِنَ الجُوعِ لا تُثْنَى عَلَيهِ المَضَاجِعُ
لَعَمْرُكَ ما سَلَّيْتُ نَفْساً شَحِيحَةً ... عنِ المالِ في الدُّنْيا بِمِثْلِ مَجَاوِعِ

وقدم ناقة له أخرى إلى شجرة ليكون المحتطب قريباً من المنحر فقال :

وأَدْنَيْتُها مِنْ رَأْسِ عَشَّاءَ عَشَّةٍ ... مُفَصَّلَةِ الأَفْنانِ صَهْبٍ فُرُوعُها
وقُلْتُ لها لَمَّا شَدَدْتُ عِقالَها ... وبالكَفِّ مُمْهاةٌ شَدِيدٌ وُقُوعُها

لقد عُنِيَتْ نَفْسِي عليكِ شَحِيحَةً ولكِنْ بُسَخِّي شَحَّةَ النَّفْسِ جُوعُها

وقال أسقف نجران :

منعَ البَقاءَ تَصَرُّفُ الشَّمْسِ وطُلوعُها منْ حَيْثُ لا تُمْسِي
وطُلوعُها بَيْضاءُ صافِيَةً وغُرُوبُها صَفْرَاءُ كالوَرْسِ
اليَوْمَ نَعْلَمُ ما يَجِيءُ بِهِ ومَضَى بِفَصْلِ قَضائِهِ أمْسِ

وقال آخر :

وهُلْكُ الفَتَى أنْ لا يُرَاحَ إلى النَّدَى وأنْ لا يَرَى شَيْأً عَجِيباً فيُعْجَبا
ومَنْ يَبْغِنِي مِنِّي الظُّلَامَةَ يَلْقَنِي إذا ما رَآنِي أصْلَعَ الرَّأسِ أشْيَبا

﴿ أشعار فى الخمر ﴾

وقال سحيم بن وثيل الرياحى :

تَقُولُ حَدْرَاءُ لَيْسَ فِيكَ سِوَى الخَمْـــرِ مَعَابٌ يَعِيبُهُ أحَدُ
فقُلْتُ أخْطَأْتِ بَلْ مُعاقَرَتِي الخَمْـــرَ وبَذْلِي فِيها الذِي أجِدُ
هوَ الثَّناءُ الذِي سَمِعْتِ بِهِ لا سَبَدٌ مُخْلِدِي ولا لَبَدُ
ويْحَكِ لَوْلَا الخُمُورُ لَمْ أحْفِلِ العيْـــشَ وَلا أنْ يَضُمَّنِي لَحَدُ
هِيَ الحَيَا والحَيَاةُ واللَّهْوُ لا أنْتِ ولا نَزْوَةٌ ولا وَلَدُ

وقال عبد راع :

غَضِبَتْ عَلَيَّ لِأَنْ شَرِبْتُ بِجَزْءَةٍ فَلَئِنْ أبِيتِ لأَشْرَبَنْ بِخَرُوفِ
ولَئِنْ نَطَقْتِ لأَشْرَبَنَّ بِنَعْجَةٍ حَمْرَاءَ منْ آلِ المَذَالِ سَحُوفِ

وقال :

ناحَتْ رُقَيَّةُ منْ شاةٍ شَرِبْتُ بِها ولا تَنُوحُ على ما يأكلُ الذِّيبُ

وقال أبو حفص القريعى :

قَدْ تَغَرَّبْتُ لِلشَّقَاوَةِ حِيناً حِينَ بَدَّلْتُ لِلسَّعَادَةِ نُوقَا
يَوْمَ فارَقْتُ بَلْدَتِي وقَرَارِي وتَبَدَّلْتُ سُوءَ رَأْيِي وَمُوقَا

لَيْتَ عِنْدِي بِخَيْرِ مِعْزَايَ عَشْرًا ... طَيْلَسَانًا من الطِّرَازِ عَتِيقا
وبِخَمْسٍ مِنهنَّ أيضًا قَمِيصًا ... سابريًّا أُمِيسُ فيهِ رَقِيقا
قد هجَرْتُ النَّبِيذَ مُذْ هُنَّ عِنْدِي ... ونَمَزَّتْ رِسلَهُنَّ مَذِيقَا
فوَجَدْتُ المَذِيقَ يُوجِعُ بَطْنِي ... ووجَدْتُ النَّبِيذَ كانَ صَدِيقَا
يعِدُ النَّفْسَ بالعَشِيِّ مُناها ... ويَسُلُّ الهُمُومَ سَلًّا رَفِيقا

وكان فتى طيب من ولد يقطين لا يصحو ، وكان فى أهله روافض يخاصمون فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فقال :

رُبَّ عَقارٍ باذِرَنجِيَّةٍ ... اصْطَدْتُها من بَيْتِ دِهْقانِ
جَنْدَرْتُ أرْواحًا وطَيَّبْتُها ... بَعْدَ انْسِاخٍ طَالَ في الحانِ
سَكَتَّا وسَلَتَّا لم يَخُضْ فى أذًى ... منْ قَتْلِ عُثْمانَ بن عَفَّانِ
ولا أبى بَكْرٍ ولا طَلْحَةٍ ... ولا زُبَيرٍ يَوْمَ عُثْمانِ
أللهُ يَجْزِيهِمْ بأعمالِهِمْ ... لَيْسَ عَلينا عِلْمُ ذَا الشَّانِ

وقال المُنخَّلُ اليَشكُرِيُّ :

ولقدْ شَرِبْتُ منَ المُدَا ... مةِ بالصَّغيرِ وبالكَبيرِ
ولقدْ شَرِبْتُ الخَمْرَ بالخَيْـ ... ـلِ الإناثِ وبالذُّكُورِ
فإذا سَكِرْتُ فإنَّنِى ... رَبُّ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ
وإذا صَحَوْتُ فإنَّنِي ... رَبُّ الشُّوَيْهَةِ والبَعِيرِ
يا رُبَّ يَوْمٍ لِلْمُنَخَّلِ ... قد لَهَا فيهِ قَصِيرِ

وقال أبو عطاء السندى[1] لزائر له ورآه يومئ الى امرأته :

---

(١) ابو عطاء السندى : هو أفلح بن يسار مولى بنى أسد . شاعر من شعراء الدولتين ، له مدائح فى بنى أمية وبنى العباس . وكان ألثغ ألكن لا يكاد يبين ، وكان مع هذا من أحسن الناس بديهة ، واشدهم عارضة ، وكان له غلام فصيح سماه عطاء وتكنى به ، فكان يرويه أشعاره فينشدها بين يدى من يتنجعه . مات فى أواخر عهد المنصور سنة ١٦٨ هـ ٨٠٢ م

كلْ هَنيئا وما شَرِبْتَ مَرِيئاً ثمَّ قُمْ صاغِرًا فغيرَ كَرِيمِ (١)
لا أحبُّ النَّديمَ يُومِضُ بالعَيْنِ إذا ما خَلاَ بعِرْسِ النَّدِيمِ (٢)

وقال ، وتعرضت له امرأة صاحبه :

رُبَّ بَيضَاءَ كالقَضِيبِ تثنَّى قد دَعَتْنى لوَصْلِها فأبيْتُ
ليْسَ شانِي تَحرُّجًا غيرَ أنّى كُنْتُ نَدْمانَ زَوْجِها فاستَحيْتُ

وقال آخر :

فَلا واللهِ لا أُلْفِي وشَرْباً أُنازِعُهمْ شَرَاباً ما حَيِيتُ
ولا واللهِ ما أُلْفَى بلَيْلٍ أُراقِبُ عِرْسَ جارى ما بَقِيتُ
سأتْرُكُ ما أخافُ علىَّ منهُ مَقالتَهُ وأجْمَلُهُ السُّكُوتُ
أبَى لى ذاكَ آباءٌ كِرَامٌ وأجْدَادٌ بمَجْدِهِمِ رُبِيتُ

وقال السحيمى :

وما لِيَ وجْهٌ فى اللِّئامِ ولا يَدٌ ولكِنَّ وَجْهِي فى الكِرَامِ عَرِيضُ
أهَشُّ إذا لاقَيْتُهُمْ وكأننى إذا أنا لاقَيْتُ اللِّئامَ مَرِيضُ

وقال ابن كناسة (٣)

فىَّ انْقِباضٌ وحِشْمَةٌ فإذا لاقَيْتُ أهْلَ الوَفاءِ والكَرَمِ
خَلَّيْتُ نفْسى على سَجِيَّتِها وقُلْتُ ما قُلْتُ غيرَ مُحتَشِمِ

---

(١) رواية الأغانى : ثم قم صاغرا وانت ذميم . على الأقوياء (٢) رواية الأغانى:
لاأحب النديم يومض بالطر ف إذا ماخلا لعرس النديم

(٣) ابن كناسة : هو محمد بن كناسة عبد الله بن عبد الأعلى الأسدى . يكنى أبا يحيى . وكان ابن أخت ابرهيم بن ادهم الزاهد العابد المشهور .كان شاعرا من شعراء الدولة العباسية . ولد ونشأ بالكوفة ، وكان تقيا صالحا لايمدح ولا يهجو ، وقد روى عنه شيء من الحديث . وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير، وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة فى الشعر . مات سنة ٢٠٧ هـ ٨٢٢ م

وقال عبد الرحمن بن الحكم [١]

وكأسٍ ترَى بينَ الأنامِ وبينها ... قَذَى العَيْنِ قد نازَعْتُ أُمَّ أبانِ
ترَى شارِبيها حين يَعْتَقِبانِها ... يَميلانِ أحْياناً ويَعْتَدِلانِ
فما ظَنّ ذا الوَاشِي بأبْيَضَ ماجِدٍ ... وبَدَّاءَ خَوْدٍ حينَ يَلْتَقِيانِ

وقال الرَّمّاحُ بنُ مَيَّادَةَ [٢]، وكان الأصمعي يقول: ختم الشعر بالرماح، وأظن النابغة أحد عمومته:

ألا رُبَّ خَمَّارٍ طَرَقْتُ بسُدْفَةٍ ... منَ اللَّيْلِ مُرْتاداً لنَدْمانَ الخمرَا
فأنهلْتُهُ خَمْرًا وأحْلِفُ أنهـا ... طِلاءُ حلالٌ كي يُحَمِّلَني الوِزْرَا

وقال آخر:

ولقدْ شَرِبْتُ الخمرَ حتى خِلْتُنى ... لَمّا خَرَجْتُ أجُرُّ فَضْلَ المِئْزَرِ
قابُوس أوْ عمْرو بنَ هِنْدٍ قاعِدًا ... يُجبى لهُ ما بينَ دارَةِ قَيْصَرِ
فى فِتْيَةٍ بِيضِ الوُجوهِ خضارِمٍ ... عِنْدَ النِّدَامِ عَشِيرُهمْ لم يَخْسَرِ

وقال ابن ميادة:

ومُعَتَّقٍ حُرِمَ الوُقُودُ كرَامةً ... كَدَمِ الذَّبِيحِ نُمُجُّهُ أوْدَاجُهُ
ضَمِنَ الكُرُومُ له أوائِلَ حَمْلِهِ ... وعلى الدِّنانِ تَمـامُهُ ونِتاجُهُ

وأنشد اللائح لبعض الروافض:

إذا المُرْجِئُ سَرَّكَ أنْ تَرَاه ... يَمُوتُ بدائه منْ قَبْلِ مَوْتِهْ
فَجَدِّدْ عنْدَهُ ذِكْرَى عَلِيٍّ ... وصَلِّ على النبيِّ وأهْلِ بيْتِهْ

---

(١) عبد الرحمن بن الحكم ـ كان في الاصل: ابن الحكيم ـ هو ابن أبي العاص ابن أمية، يكنى أبا مطرف. شاعر اسلامى من متوسطى شعراء زمانه

(٢) الرماح بن ميادة: هو الرماح بن أبرد بن ثوبان المرى، يكنى أباشرحبيل، وميادة أمه غير عربية. كان شاعرا مقدما من شعراء الدولتين الاموية والعباسية

﴿ ما قيل فى البرامكة من الهجاء ﴾

وقال بعضهم فى البرامكة :

إذا ذُكِرَ الشِّرْكُ فى مَجْلِسٍ ... أنارَتْ وُجوهُ بَنى بَرْمَكِ
وإنْ تُلِيَتْ عِنْدَهمْ آيةٌ ... أتَوْا بالأَحادِيثِ عَنْ مَزْدَكِ(١)

وقال آخر :

لَعَنَ اللهُ آلَ بَرْمَكَ إنّى ... صِرْتُ مِنْ أجْلِهِمْ أخا أسْفارِ
إنَّ لِكُ ذُو القَرْنَيْنِ قد مَسَحَ الأَرْ ... ضَ فإنّى مُوَكَّلٌ بالْعِيارِ

وقال آخر :

إنَّ الفَرَاغَ دَعانى ... إلى ابْتِناءِ المَساجِدْ
وإنَّ رَأْيَ فِيهَا ... كَرَأْيِ يَحيى بنِ خالِدْ

وقال أبو الهول في جعفر بن يحيى :

أصْبَحتُ مُحتَاجاً إلى الضَّرْبِ ... فى طَلَبِ الْعُرْفِ إلى الكَلْبِ
إذا اشتَكى صَبٌّ إليهِ الهوَى ... قالَ لهُ مالى ولِلصَّبِّ
أعْنِي فتى يَطْعَنُ فى دِينِهِ ... بِشِبِ مَعَهُ خَشَبَ الصَّلْبِ

وقال رجل من أهل الشام :

أبَعْدَ مَرْوانَ وبعدَ مَسلَمَهْ ... وبعدَ إسْحَقَ الَّذِى كان لَهْ
صارَ على الثَّغْرِ فَرَنْجُ الرَّخَمَهْ ... إنّ لنا بفِعْلِ يَحيى نِقْمَهْ
مُهْلِكَةً مُبِيرَةً مُنتَقِمَهْ ... أكلَ بَنى بَرْمَكَ أكلَ الحُطَمَهْ
إنّ لِهذَا الأَكلِ يَوْماً تُخَمَهْ ... أيْسَرُ شَيْءٍ فيهِ حَزُّ الغَلْصَمَهْ

---

(١) مزدك . ويقال مردك . ظهر هذا الزنديق فى أيام قباذ بن فيروز من ملوك الفرس الساسانية ، وادعى النبوة وأن رسالته تنحصر في التساوى والتشارك بين الناس في أموالهم ونسائهم، واجابه قباذ الى دعوته، ولقى الناس من ذلك الأمرين ، ولما تولى انوشروان بن قباذ قتل مردك وتتبع المزدكية حتى أتى عليهم تقتيلا وتشريدا ورد الامور الى نصابها

وقال الشاعر :

ما رَعَى الدَّهْرُ آلَ بَرْمَكَ لَمَّا ... أنْ رَمَى مُلْكَهُمْ بأمْرٍ بَدِيعِ
إن دَهْراً لم يَرْعَ حَقّاً لِيَحيى ... غيرُ رَاعٍ ذِمامَ آلِ الرَّبيعِ

وقال سهل بن هرون فى يحيى بن خالد :

عَدُوٌّ تلادِ المَالِ فِيما يَنُوبُهُ ... مَنوعٌ إذا ما مَنْعُهُ كانَ أحْزَما
مُذَلِّلُ نَفْسٍ قدْ أبَتْ غيرَ أنْ تَرَى ... مَكارِهَ ما تأتى منَ الحَقِّ مَغْنَما

وقال حسان بن حسان :

مَنْ مُبْلِغٌ يَحيى ودُونَ لِقائِهِ ... زَبَرَاتُ كلِّ خُنابِسٍ هَمْهامِ
يارَاعِيَ السُّلْطانِ غيرَ مُفَرِّطٍ ... فى لِبْنِ مُخْتَبِطٍ وطِيبِ شَمَامِ
يُغْدِي مَسارِحَهُ ويُصْفِي شَرْبَهُ ... ويَبِيتُ بالرَّبَوَاتِ والأعْلامِ
حتى يُنَحْنِحَ ضَارِباً بِجِرَانِهِ ... ورَسَتْ مَرَاسِيهِ بِدَارِ سَلامِ
فى كلِّ ثَغْرٍ حَارِسٌ منْ قَبْلِهِ ... وشُعاعُ طَرْفٍ لا يُفَتِّرُ سَامِ

وهذا شبيه بقول العتابى فى هرون :

إمَامٌ لهُ كَفٌّ يَضُمُّ بَنانُها ... عَصَا الدِّينِ مَمْنُوعاً منَ البَرْيِ عُودُها
وعَيْنٌ مُحِيطٌ بالبَرِيَّةِ طَرْفُها ... سَوَاءٌ عليهِ قُرْبُها وبَعِيدُها
وأسْمَعُ يَقْظَانٌ يَبِيتُ مُناجِياً ... لهُ فى الحَشَا مُسْتَوْدَعاتٍ يَكِيدُها
سَمِيعٌ إذا نادَاهُ منْ قَعْرِ كُرْبَةٍ ... مُنادٍ كَفَتْهُ دَعْوَةٌ لا يُعِيدُها

وقال كلثوم بن عمرو العتابى :

تَلُومُ على تَرْكِ الغِنَى باهِلِيَّةٌ ... طَوَى الدَّهْرُ عنها كلَّ طِرْفٍ وتالِدِ
رأتْ حَوْلَها النَّسْوَانَ يَرْفُلْنَ فى الكُسَا ... مُقَلَّدَةً أجْيادُها بالقَلائِدِ
يَسُرُّكِ أنى نِلْتُ ما نالَ جَعْفَرٌ ... منَ المُلْكِ أوْ ما نالَ يَحْيَى بْنُ خالِدِ
وأنَّ أمِيرَ المُؤْمِنِينَ أغَصَّنى ... مَغَصَّهُما بالمُرْهَفَاتِ البَوَارِدِ

ذريني تجثني ميتتي مطمئنة ... ولم أتقحم هول تلك الموارد
فإن كريمات المعالي مشوبة ... بمستودعات في بطون الأساود

وقال الحسن بن هانئ :

عجبت لهرون الإمام وما الذي ... يروي ويرجو فيك ياخلقة السلق
قفا خلف وجه قد أطيل كأنه ... قفا ملك يقضي الحقوق على نبق
وأعظم زهواً من ذباب على خرا ... وأبخل من كلب عقور على عرق
أرى جعفراً يزداد بخلاً ودقة ... إذا زاده الرحمن في سعة الرزق
ولو جاء غير البخل من عند جعفر ... لما وضعوه الناس إلا على الحمق

(ما قيل في البرامكة من المديح)

ولما أنشد ابن حفصة الفضل بن يحيى بن خالد :

ضربت فلا شلت يد خالدية ... رتقت بها الفتق الذي بين هاشم

قال له الفضل : قل فلا شلت يد برمكية ، فخالد كثير ، وليس برمك إلا واحداً

وقال سلم في يحيى ، ويحيى يومئذ شاب :

وفتى خلا من ماله ... ومن المروءة غير خال
وإذا رآى لك موعدا ... كان الفعال مع المقال
لله درك من فتى ... مافيك من كرم الخلال
أعطاك قبل سؤاله ... فكفاك مكروه السؤال

ومن جيد ماقيل فيهم :

للفضل يوم الطالقان وقبله ... يوم أناف به على خاقان
مامثل يوميه اللذين تواليا ... في غزوتين حواهما يومان
عصمت حكومته جماعة هاشم ... من أن يجرد بينها سيفان
تلك الحكومة لا أتي عن لبسها ... عظم الثنا وتفرق الحكمان

وقال الحسن بن هانئ فى جعفر بن يحيى :

ذَاكَ الوَزِيرُ الَّذِي طَالَتْ عِلاَوَتُه ... كأَنَّهُ ناظِرٌ فى السَّيْفِ بالطُّولِ

ذكروا أن جعفر بن يحيى كان أول من عرض الجربانات لطول عنقه

وقال معدان الأعمى ، وهو أبو السرى السميطى :

يَوْمَ تُشْفَى النُّفُوسُ من يَعصُرِ اللُّؤْ ... مِ ويُثْنَى بسَامَةِ الرَّحَّالِ

وعَدِيٍّ وتَيْمِها وثَقِيفٍ ... وأُمَيٍّ وتَغْلِبٍ وهِلاَلِ

لا حَرُورٌ ولا النَّوَائِبُ تَنْجُو ... لا ولا صَحْبُ واصِلِ الغَزَّالِ

غيرَ كَهْفِى ومَنْ يلُوذُ بكَهْفِى ... فَهُمُ رَهْطُ الأعْوَرِ الدَّجَّالِ

وبَنُو الشَّيْخِ والقَتِيلُ بفَجٍّ ... بَعْدَ يَحْيَى ومُؤْثِمِ الأَشْبَالِ

سَنَّ ظُلْمَ الإمامِ فى القَوْمِ بِشْرٌ ... إنَّ ظُلْمَ الإمامِ ذُو عُقَّالِ

وقال الكميت :

آمَتْ نِساءَ بَنِى أُمَيَّةَ مِنهُمُ ... وبَنُوهُمُ بمَضِيعَةٍ أيْتَامُ

نامتْ جُدودُهمُ واُستُلِبَ نَجْمُهُمْ ... والنَّجْمُ يَسْقُطُ والجُدودُ تَنَامُ

خَلَتِ المَنابرُ والأَسِرَّةُ مِنهمُ ... فَعَلَيهِمُ حتى المَماتِ سَلاَمُ

وقال خليفة أبو خلف بن خليفة :

أعْفِنى آلَ هاشِمٍ يا أُمَيَّا ... جَعَلَ اللهُ بَيْتَ مالِكِ فَيَّا

أنْ عَصَى اللهَ آلُ مَرْوانَ والعَا ... صِى لقد كانَ لِلرَّسولِ عَصِيَّا

لوْ تَصَفَّحتَ أولِياءَ عَلِىٍّ ... لم تَجِدْ فى جَمِيعِهِمْ باهِلِيَّا

وقال الراعى فى بنى أمية :

بنى أُمَيَّةَ إنَّ اللهَ مُلْحِقُكُمْ ... عَمًّا قَلِيلٍ بِعُثْمانَ بنِ عَفَّانَ

وقال كعب الأشقرى [1] لعمر بن عبد العزيز :

---

(١) كعب الاشقرى : هو كعب بن معدان الاشقرى الأزدى : شاعر مجيد وخطيب بليغ ، وفارس شجاع . كان من أصحاب المهلب الذين أبلوا بين يديه فى حروب الازارقة

إن كُنْتَ تحفَظُ مايَليكَ فإنَّما ... عمَّالُ أرضِكَ بالْبِلَادِ ذِئابُ
لَنْ يَستَجِيبُوا لِلَّذِى تَدْعو لهُ ... حتى يُجلد بالسُّيوفِ رِقابُ
بأكُفٍّ مُنْصَلِتِيْنِ أهْلِ بَصائِرٍ ... فى وَقْعِهِنَّ مَزَاجِرٌ وعِقابُ
هَلاَّ قُرَيْشٌ ذَكَّرُوا بثُغُورِها ... حَزْمٌ وأحْلاَمٌ هُناكَ رِغابُ
لوْلا قُرَيْشٌ نَصْرُها ودِفاعُها ... أُلْفِيتُ مُنْقَطِعاً بِىَ الاسْبابُ

فلما سمع هذا الشعر قال : لمن هـذا ؟ قالوا : لرجل من أزد عمان ، يقال له كعب الأشقرى . قال : ما كنت أظن أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر

قال [أبو] اليقظان : وقام إلى عمر بن عبد العزيز رجل وهو على المنبر فقال :

إنَّ الَّذِينَ بَعَثْتَ فى أقْطارِها ... نبَذُوا كِتابَكَ واسْتُحِلَّ المَحْرَمُ
طُلْسُ الثِّيابِ على مَنابِرِ أرْضِنا ... كُلٌّ يَجورُ وكُلُّهمْ يَتَظَلَّمُ
وأرَدْتَ أنْ يَلِيَ الأَمانةَ مِنْهمُ ... عَدْلٌ وهَيهاتَ الأَمينُ المُسْلِمُ

وكان زيد بن على كثيراً ما يتمثل بقول الشاعر :

شرَّدَهُ الخوفُ وأزْرَى بهِ ... كذَاكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الجِلاَدْ
مُنْخَرِقُ الخفَّينِ يَشْكُو الوَجَى ... تَنْكُبُهُ أطْرَافُ مَرْوٍ حِدَادْ

وقال عبد الله بن كثير السهمى ، وكان يتشيع ، لولادة كانت نالته ، وسمع عمال خالد بن عبد الله القسرى يلعنون علياً والحسن والحسين على المنابر :

لَعَنَ اللهُ مَنْ يَسُبُّ عليًّا ... وحُسَيْناً منْ سُوقَةٍ وإمامِ
أيَسُبُّ المُطيَّبونَ جُدوداً ... والكِرَامُ الأَخْوَالِ والأَعمامِ
يَأمَنُ الطبىُ والحَمامُ ولا يَأ ... مَنُ آلُ الرَّسولِ عِنْدَ المَقامِ
طِبْتَ بيْتاً وطَابَ أهْلُكَ أهْلا ... أهْلَ بَيْتِ النبىِّ والإسْلاَمِ
رَحمةُ اللهِ والسَّلاَمُ عليهِمْ ... كلَّما قامَ قائِمٌ بِسَلاَمِ

خير بلاء . قال الفرزدق : شعراء الاسلام أربعة : أنا ، وجرير ، والأخطل ، وكعب الاشقرى . مات مقتولا بيد أخ له من أمه بعمان سنة ١٠٢ هـ ٧٢٠ م

وقال حين عابوه بذلك الرأى :

إنَّ امْرَأً أمْسَتْ مَعايِبُهُ ... حُبُّ النبيِّ لَغيرِ ذى ذَنْبِ
وَبَنى أبى حَسَنٍ ووَالِدِهِمْ ... مَنْ طابَ فى الأَرْحامِ والصلْبِ
أيُعَدُّ ذَنْباً أنْ أحبَّهُمُ ... بَلْ حُبُّهُمْ كَفَّارَةُ الذنْبِ

وقال يزيد بن أبى بكر بن دأب الليثى :

اللهُ يَعْلَمُ فى عَلِيٍّ عِلْمَهُ ... وكَذَاكَ عِلْمُ اللهِ فى عُثْمانِ

وقال السيد الحميرى[1]

إنى امْرُؤٌ حِمْيَرِىٌّ غيرُ مُؤْتَشِبٍ ... جَدِّى رُعَيْنٌ وأخْوَالِي ذَوُو يَزَنِ
ثُمَّ الوَلاءُ الذِى أرْجُو النَّجاةَ بِهِ ... يَوْمَ القِيامَةِ لِلْهادِى أبى الحَسَنِ

وقال ابن أذينة[2]

---

(١) السيد الحميرى : هو اسمعيل بن محمد بن يزيد الحميرى ، والسيد لقبه ، ويكنى أبا هاشم ، شاعر متقدم مطبوع . قيل أن أكثر الناس شعرا في الجاهلية والاسلام ثلاثة : بشار ، وابو العتاهية ، والسيد . وكان السيد غاليا في التشيع ، وكان يذهب مذهب الكيسانية ويقول بأمامة محمد بن الحنفية . ومن أرق ماروى له قوله :

ماجرت خطرة على القلب منى ... فيك إلا استترت عن أصحابى
من دموع تجرى فان كنت وحدى ... خاليا أسعدت دموعى انتحابى
إن حبى أياك قد سل جسمى ... ورمانى بالشيب قبل الشباب
لو منحت اللقا شفى بك صبا ... هائم القلب قد ثوى فى التراب

(٢) ابن أذينة : هو عروة بن اذينة الليثى الكنانى ، يكنى أبا عامر . شاعر غزل متقدم من شعراء المدينة . وهو يعد من الفقهاء والمحدثين ؛ روى عنه مالك بن أنس وعبد الله بن عمر العدوى . وقفت سكينة بنت الحسين على عروة يوما فقالت : يا أبا عامر ، أنت الذى تزعم أن لك مروءة وأن غزلك من وراء عفة وأنك تقى ؟ قال : نعم ، قالت : أفأنت الذى تقول :

قالت وابثتها وجدى فبحت به ... قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى فقلت لها ... غطى هواك وما ألقى على بصرى

قال لها . بلى . فقالت : جوارى حرائر إن كان هذا خرج من قلب سليم

سَمِينُ قُرَيْشٍ مانِعٌ مِنْكَ لَحْمَهُ وغَثُّ قُرَيْشٍ حَيْثُ كانَ سَمِينُ

وقال ابن الرقيات :

ما نَقَمُوا مِنْ بَنِى أُمَيَّةَ إلاَّ أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إنْ غَضِبُوا
وأنهمْ مَعْدِنُ المُلوكِ ولاَ تَصْلُحُ إلاَّ عليهمُ العَرَبُ

وقال عروة بن أذينة :

إذا قُرَيْشٌ تَوَلَّى خيرُ صالِحِها فاسْتَيْقِنَنَّ بأنْ لا خيرَ في أحَدِ
رَهْطُ النبيِّ وأوْلَى النَّاسِ مَنزِلَةً بكلِّ خيرٍ وأثْرَى النَّاسِ فى العَدَدِ

وقال حسان بن ثابت يرثى أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه :

إذا تَذَكَّرْتَ شَجْواً مِنْ أَخِى ثِقَةٍ فاذْكُرْ أخاكَ أبا بكْرٍ بما فَعَلاَ
التَّالِىَ الثَّانِىَ المحْمُودُ مَشْهَدُهُ وأوَّلُ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَّقَ الرُّسُلاَ
وثانِىَ اثْنَيْنِ فى الغارِ المُنِيفِ وقدْ طافَ العَدُوُّ بهِ إذْ صَعَّدَ الجَبَلاَ
وكانَ حُبُّ رَسُولِ اللهِ قدْ عَلِمُوا خيرَ البريَّةِ لمْ يَعْدِلْ بهِ رَجُلاَ

وقال بعض بنى أسد :

لما تخيَّرَ رَبِّى فارْتضَى رَجُلاً مِنْ خَلْقِهِ كانَ مِنَّا ذلكَ الرَّجُلُ
لنا المَساجِدُ نَبْنِيها ونَعْمُرُها وفي المَنابِرِ قَعْدَانٌ لنَا ذُلُلُ

وقال يزيد بن الحكم بن أبى العاص فى شأن السقيفة :

قَدِ اخْتَصَمَ الأَقْوامُ بعْدَ مُحَمَّدٍ فَسائِلْ قُرَيْشاً حِينَ جَدَّ اخْتِصامُها
ألَمْ تَكُ مِنْ دُونِ الخَلِيفَةِ أُمَّةٌ بكَفَّىْ امْرِئٍ مِنْ آلِ تَيْمٍ زِمامُها
هَدَى اللهُ بالصِّدِّيقِ ضُلاَّلَ أُمَّةٍ إلى الحَقِّ لَمَّا ارْفَضَّ عنْها نِظامُها

وقالت صفية فى ذلك اليوم :

قدْ كانَ بَعْدَكَ أنْباءٌ وهَنْبَثَةٌ لو كُنْتَ شاهِدَها لَمْ تَكْثُرِ الخُطَبُ
إنَّا فَقَدْناكَ فَقْدَ الأرْضِ وابِلَها واخْتَلَّ قَوْمُكَ فاشْهَدْهُمْ فقدْ سَغِبُوا

وقال الفرزدق :

صلّى صُهَيْبٌ ثلاثاً ثمَّ أسْلَمَها ... إلى ابْنِ عَفّانَ مُلْكاً غيرَ مَقْصُورِ
وِلايَةً منْ أبي حَفْصٍ لِثالِثِهِمْ ... كانُوا أخِلاَّءَ مَهْدِيٍّ ومَحْبُورِ

وقال مزرد بن ضرار يرثي عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه :

عليْكَ السَّلامُ منْ إمامٍ وبارَكَتْ ... يَدُ اللهِ في ذاكَ الأَدِيمِ المُمَزَّقِ
قَضَيْتَ أُمُوراً ثمَّ غادَرْتَ بَعْدَها ... بَوَائِقَ في أكْمَامِهَا لمْ تُفَتَّقِ
وما كُنْتُ أخْشى أنْ تَكُونَ وفاتُهُ ... بكَفَّيْ سَبَنْتَى أزْرَقِ العَيْنِ مُطْرِقِ

قال: وسمعوا في تلك الليلة هاتفاً يقول :

لِيَبْكِ على الإسْلامِ مَنْ كانَ باكِياً ... فقَدْ أوْشَكُوا هُلْكاً وما قَدُمَ العَهْدُ
وأدْبَرَتِ الدُّنْيا وأدْبَرَ خَيرُها ... وقدْ مَلَّها مَنْ كانَ يُوقِنُ بالوَعْدِ

وعن أبي الحجاف عن مسلم البطين :

إنّا نُعاتِبُ لا أبالَكَ عُصْبَةً ... علقوا الفرَى وبَرَوْا منَ الصِّدِّيقِ
وبَرَوْا سِفاهاً منْ وَزِيرِ نَبِيِّهِمْ ... تَبّاً لِمَنْ يَبرَا مِنَ الفارُوقِ
إنّي على رَغْمِ العُدَاةِ لَقائِلٌ ... دِيناً بِدِينِ الصَّادِقِ المَصْدُوقِ

وقال الكميت :

فقُلْ لِبَنِي أُمَيَّةَ حَيْثُ حَلُّوا ... وإنْ خِفْتَ المُهَنَّدَ والقَطِيعَا
أجاعَ اللهُ مَنْ أشْبَعْتُمُوهُ ... وأشْبَعَ مَنْ بِجُودِكُمُ أُجِيعَا
بِمَرْضِيِّ السِّياسَةِ هاشِمِيٍّ ... يَكُونُ حَيّاً لِأُمَّتِهِ رَبِيعا

وقال حرب بن المنذر بن الجارود :

فَحَسْبِي منَ الدُّنْيا كَفافٌ يُقِيمُنِي ... وأثْوابُ كَتّانٍ أزُورُ بها قَبْرِي
وحُبِّي ذَوِي قُرْبَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... فَما سُؤْلُنا إلاَّ المَوَدَّةَ منْ أجْرِ

وجه التدبير في الكتاب اذا طال ، أن يداوى مؤلفه نشاط القارئ له ويسوقه الى حظه بالاحتيال له ، فمن ذلك أن يخرجه من شيء إلى شيء ، ومن

باب إلى باب ، بعد أن لايخرجه من جملة ذلك الفن ، ومن جمهور ذلك العلم

وقد يجب أن نذكر بعض ما انتهى إلينا من كلام خلفائنا من ولد العباس ، ولو أن دولتهم أعجمية خراسانية ، ودولة بنى مروان عربية أعرابية ، وفى أجناد شامية ، والعرب أوعى لما تسمع ، وأحفظ لما تأتى ، ولها الأشعار التى تقيد عليها مآثرها ، وتخلد لها محاسنها ، وجرت من ذلك فى إسلامها على مثل عادتها فى جاهليتها ، فبنت بذلك لبنى مروان شرفا كثيراً ، ومجداً كبيراً ، وتدبيراً لايحصى

ولو أن أهل خراسان حفظوا على أنفسهم وقائعهم فى أهل الشام وتدبير ملوكهم وسياسة كبرائهم وما جرى فى ذلك من فرائد الكلام وشريف المعانى ، كان فيما قال المنصور وما فعل فى أيامه وأسس لمن بعده ما يفى بجماعة ملوك بنى مروان

ولقد تتبع أبو عبيدة النحوى ، وأبو الحسن المدائنى ، وهشام الكلبى ، والهيثم بن عدى ، أخباراً اختلفت ، وأحاديث تقطعت ، فلم يدركوا إلا قليلا من كثير ، وممزوجا من خالص

وعلى كل حال فانا إذا صرنا إلى بقية مارواه العباس بن محمد ، وعبد الملك ابن صالح ، والعباس بن موسى ، واسحق بن عيسى ، واسحق بن سليمان ، وأيوب ابن جعفر ، وما رواه ابرهيم بن السندى [1] عن السدى وعن صالح صاحب المصلى عن مشيخة بنى هاشم ومواليهم ، عرفت بتلك البقية كثرة ما فات ،

---

(١) ابرهيم بن السندى : والسندى بن شاهك ، كان كما قال عنه الجاحظ : رجلا لانظير له ، وكان خطيبا ، وكان ناسبا ، وكان فقيها ، وكان عروضيا وحافظا للحديث رواية للشعر ، شاعر ، وكان فخم الألفاظ ، شريف المعانى ، وكان كاتب القلم ، كاتب العمل ، وكان يتكلم بكلام رؤبة ، ويعمل فى الخراج بعمل زاذان فروخ الاعور . وكان منجما ، طبيبا . وكان من رؤساء المتكلمين ، عالما بالدولة شديد الحب لأبناء الدعوة ، وكان احفظ الناس لما سمع ، وأقلهم نوما ، وأصبرهم على السهر . لو قلت : لسانه كان أردع على هذا الملك من عشرة الاف سيف شهير وسنان طرير ، لكان ذلك قولا ومذهبا

وبذلك الصحيح أين موضع الفساد مما صنعه الهيثم بن عدى ، وتكلفه هشام ابن الكلبى

﴿ شىء من سياسة بنى العباس وأدبهم ﴾

وسنذكر جملا مما انتهى إلينا من كلام المنصور ، ومن شأن المأمون وغيرهما وإن كنا قد ذكرنا من ذلك طرفا ، ونقصد من ذلك الى التخفيف والتقليل فانه يأتى من وراء الحاجة ويعرف بجملته مراد البقية

قال : وكان المنصور داهياً أريباً مصيباً في رأيه سديداً ، وكان مقدما فى علم الكلام ومكثرا من كتاب الآثار ، ولكلامه كتاب يدور فى أيدى العارفين الوراقين معروف عندهم ، ولما هم بقتل أبى مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشاورة فيه ، فأرق فى ذلك ليلته ، فلما أصبح دعا باسحق بن مسلم العقيلى فقال له : حدثنى حديث الملك الذى أخبرتنى عنه بجران ، قال : أخبرنى أبى عن الحصين بن المنذر أن ملكا من ملوك فارس يقال له سابور الأكبر كان له وزير ناصح ، قد اقتبس أدباً من آداب الملوك ، وشاب ذلك بفهم فى الدين ، فوجهه سابور داعية إلى خراسان ، وكانوا قوما عجما يعظمون الدنيا جهالة بالدين ، ويخلون بالدين استكانة لقوت الدنيا ، وذلا لجبابرتها ، فجمعهم على دعوة من الهوى يكيد بها مطالب الدنيا واغتر بقتل ملوكهم لهم وتخولهم إياهم ، وكان يقال : لكل ضعيف صولة ، ولكل ذليل دولة ، فلما تلاحمت أعضاء الامور التى لتح استحالت حربا عوانا شالت أسافلها بأعاليها ، فانتقل العز إلى أرذلهم ، والنباهة إلى أخملهم ، فاشربوا له حباً مع خفض من الدنيا افتتح بدعوة من الدين ، فلما استوثقت له البلاد بلغ سابور أمرهم وما أحال عليه من طاعتهم ، ولم يأمن زوال القلوب وغدرات الوزراء ، فاحتال فى قطع رجائه عن قلوبهم وكان يقال :

وماقُطِعَ الرجاء بمثلِ يأسٍ تبادهُ القلوبُ على اغترارِ

فصمم على قتله عند وروده عليه برؤساء أهل خراسان وفرسانهم ، فقتله فبغتهم بحدث فلم يرعهم إلا ورأسه بين أيديهم ، فوقف بهم بين الغربة ، ونأى

الرجعة ، وتخطف الاعـداء ، وتفرق الجماعة ، واليأس من صاحبهم ، فرأوا أن يستتموا الدعوة بطاعة سابور ويتعوضوه من الفرقة ، فأذعنوا له بالملك والطاعة وتبادروه بمواضع النصيحة .فلـكهم حتى مات حتف أنفه

فاطرق المنصور مليا ثم رفع رأسه وهو يقول :

لذِى الحِلْمِ قِبْلَ اليَوْمِ ماتُقْرَعُ العَصا ... وَمَا عَلِمَ الإنْسَانُ إلاَّ لِيَعْلَمَا

وأمر اسحق بالخروج ودعا بأبى مسلم فلما نظر اليه داخلا قال :

قدِ اكْتَنَفَتْكَ خَلَّاتٌ ثلاثٌ ... جَلَبْنَ عليْكَ مَحْذُورَ الحِمام

خِلَافُكَ وامْتِـانُكَ تَرْتَمِينى ... وقَوْدُكَ لِلْجَماهيرِ الْعِظَامِ

ثم وثب إليه ، ووثب معه بعض حشمه بالسيوف ، فلما رآهم وثب ، فبدره المنصور فضربه ضربة طوحه منها ثم قال :

إشْرَبْ بكأسٍ كُنْتَ تَسْقِى بِهَا ... أمَرَّ فى الحَلْقِ منَ العَلْقَمِ

زَعَمْتَ أنَّ الدِّينَ لا يُقْتَضَى ... كَذَبْتَ فاسْتَوْفِ أبا مُجْرِمِ

ثم أمر فحز رأسه وبعث به إلى أهل خراسان وهم ببابه ، فجالوا حوله ساعة ، ثم رد عن شغبهم انقطاعهُم عن بلادهم واحاطة الاعداء بهم فذلوا وسلموا له ، فـكان إسحق إذا راى المنصورى قال :

وماضَرَبُوا لَكَ الأَمْثالَ إلاَّ ... لِتَحْذُوا إنْ حَذَوْتَ على مِثالِ

وكان المنصور إذا رآه قال :

وخَلَّفَهَا سَابُورُ لِلنَّاسِ يُقْتَدَى ... بأمْثالِهـا فى المُعْضِلَاتِ العَظَائِمِ

وكان المهدى يحب القيان وسماع الغناء ، وكان مُعْجَباً بجارية يقال لهاجوهر ، وكان اشتراها من مروان الشامى ، فدخل عليه ذات يوم مروان الشامى وجوهر تغنيه فقال مروان :

أنتِ ياجَوْهَرُ عِنْدِى جَوْهَرَهْ ... فى بَيَاضِ الدُّرَّةِ المُشْتَهَرَهْ

فإذا غَنَّتْ فَنَارٌ ضَرِمَتْ ... قَذَفَتْ فى كلِّ قَلْبٍ شَرَرَهْ

فاتهمه المهدى وأمر به فدفع فى عنقه إلى أن خرج ، ثم قال لجوهر : أطربنى فأنشأت تقول :

وأنتَ الذِى أخلَفْتَنى ماوَعَدْتَنى ... وأشمَتَّ بى مَنْ كانَ فيكَ يَلُومُ
وأبْرَزْتَنى لِلنّاسِ ثمَّ تَرَكْتَنى ... لهُمْ غَرَضًا أُرمَى وأنْتَ سَلِيمُ
فلوْ أنَّ قَوْلاً يَكلِمُ الجِسْمَ قدْ بَدَا ... بِجسْمِيَ منْ قَولِ الوُشَاةِ كُلُومُ

فقال المهدى :

ألاَ ياجَوْهَرَ القَلْبِ لقدْ زِدْتِ على الجَوْهَرْ
وقد أكملَكِ اللهُ بحُسنِ الدَّلِّ والمَنْظَرْ
إذا ماصُلْتِ ماأحْسَنَ خلْقِ اللهِ بالمَزْهَرْ
وغَنَّيْتِ فَفاحَ البَيْتُ منْ رِيقِكِ بالعَنْبَرْ
فلاواللهِ مَا المَهْدِيُّ أوْلَى مِنْكِ بالمِنْبَرْ
فإنْ شِئْتِ فِي كَفِّكِ خَلْعُ ابْنِ أبى جَعْفَرْ

قال الهيثم : أنشدت هرون، وهوولى عهد أيام موسى ، بيتين لحمزة بن بيض فى سليمان بن عبد الملك :

حازَ الخِلافَةَ والدَاكَ كِلاَهُما ... من بيْنِ سَخطَةِ ساخِطٍ أوْ طائِعِ
أبَوَاكَ ثمَّ أخُوكَ أصْبَحَ ثالِثًا ... وعلى جَبِينِكَ نُورُ مُلْكٍ ساطِعِ

قال : يايحيى ، أكتب لى هذين البيتين .

ولما مدح ابن هرمة أبا جعفر المنصور أمر له بالفى درهم فاستقلها ، وبلغ ذلك أبا جعفر فقال : أما يرضى أنى حقنت دمه ،وقد استوجب إراقته ، ووفرت ماله، وقد استحق تلفه ، وأقررته وقد استأهل الطرد ، وقربته وقد استحق البعد ؟ أليس هو القائل فى بنى أمية :

إذا قيل مَنْ عِندَ رَيْبِ الزَّما ن لِمُعتَرٍّ فِهْرٍ ومُحْتاجها
ومَنْ يَعْجِلُ الخيلَ يَوْمَ الوَغَى بإلْجامِها قَبْلَ إسراجِها
أشارَتْ نِساءُ بَنى مالِكٍ إليكَ بهِ قبلَ أزْواجِها

قال ابن هرمة : فانى قد قلت فيك أحسن من هذا . قال : هاته . قال : قلت :

إذا قُلْتُ أيُّ فتًى تَعْلَمُونَ أهَشُّ إلى الطَّعْنِ بالذّابلِ
وأضْرَبُ لِلْقِرْنِ يومَ الوَغَى وأطْعَمُ فى الزَّمَنِ المـاحِل
أشارَتْ إليكَ أكُفُّ الورَى إشارَةَ غَرْقى إلى ساحِلِ

قال المنصور : أما هذا الشعر فمسترق ، وأما نحن فلا نكافئ إلا بالتى هى أحسن .

﴿ سياسة المنصور فى العفو عن المسىء ﴾

ولما احتال أبو الازهر المهلب [بن عبيثر المهرى] لعبد الحميد بن ربعى بن خالد بن مغداق ، وأسلمه [إلى] حميد [بن قحطبة وأسلمه حميد] الى المنصور قال : لاعذر فأعتذر وقد أحاط بى الذنب ، وأنت أولى بما ترى ، قال : لست أقتل أحدا من آل قحطبة ، بل أهب مسيئهم إلى محسنهم ، وغادرهم لوفيهم ، قال : إن لم يكن فىَّ مصطنع فلا حاجة لى فى الحياة ، ولست أرضى أن أكون طليق شفيع ، وعتيق ابن عم . قال : اسكت مقبوحا مشقوحا ، اخرج فانك أنوك جاهل ، أنت عتيقهم وطليقهم ما حييت .

ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب فى شأن ابرهيم بن عبد الله وصار إلى المنصور أمر الربيع بخلع سواده والوقوف به على رؤس اليمانية فى المقصورة يوم الجمعة ، ثم قال : قل لهم ، يقول لكم أمير المؤمنين : قد عرفتم ما كان من إحسانى إليه ، وحسن بلائى عنده ، وقديم نعمتى عليه ، والذى حاول من الفتنة ، ورام من البغى ، وأراد من شق العصا ، ومعاونة الأعداء ، وإراقة الدماء ، وأنه قد استحق بهذا من فعله أليم العقاب ، وعظيم العذاب ، وقد رآى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجميل لديه ، وربَّ نعمائه السابغة عنده ، لما يتعرفه أمير المؤمنين

من حسن عائدة الله عليه ، وما يؤمله من الخير العاجل والآجل عند العفو عمن ظلم ، والصفح عمن أساء ، وقد وهب أمير المؤمنين مسيئهم لمحسنهم ، وغادرهم لوفيهم

﴿ وصف المأمون لصنوف العلم ﴾

وقال سهل بن هرون يوماً وهو عند المأمون : من أصناف العلم ما لا ينبغى للمسلمين أن يرغبوا فيه ، وقد يُرغب عن بعض العلم كما يُرغب عن بعض الحلال

قال المأمون : قد يسمى بعض الناس الشيء علماً وليس بعلم ، فإن كنت أردت هذا فوجهه الذى ذكرنا ، ولو قلت : إن العلم لا يدرك غوره ، ولا يسبر قعره ، ولا تبلغ غايته ، ولا يستقصى أصنافه ، ولا يضبط آخره ، فالأمر على ما قلت ، فإذا كان الأمر كذلك فابدأوا بالأهم فالأهم ، وابدأوا بالفرض قبل النفل ، فإذا فعلتم ذلك كان عدلا وقولا صدقا ، وقد قال بعض العلماء : اقتصد من أصناف العلم ما هو أشهى الى نفسك ، وأخف على قلبك ، فإن نفاذك فيه على حسب شهوتك وسهولته عليك ، وقال أيضاً بعض العلماء : لست أطلب العلم طمعاً فى بلوغ غايته ، والوقوف على نهايته ، ولكن التماس مالا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل إغفاله ، وقال آخرون : علم الملوك النسب والخبر وجمل الفقه ، وعلم التجار الحساب والكتاب ، وعلم أصحاب الحرب درس كتب المغازى وكتب السير . فأما أن تسمى الشيء علماً وتنهى عنه من غير أن يكون شيء يشغل عما هو أنفع منه ، بل تنهى نهياً جزماً ، وتأمر أمراً حتماً ، والعلم بصر وخلافه عمى ، والاستبانة للشر ناهية عنه ، والاستبانة للخير آمرة به

ولما قرأ المأمون كتبى فى الإمامة فوجدها على ما أمر به ، وصرت اليه ، وقد كان أمر اليزيدى بالنظر فيها ليخبره عنها قال لى : قد كان بعض من نرتضى عقله ونصدق خبره ، خبرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة ، وكثرة الفائدة ، فقلت: قد تربى الصفة على العيان ، فلما رأيتها رأيت العيان قد أربى على الصفة ، فلما فليتها أربى الفَلْيُ على العيان كما أربى العيان على الصفة ، وهذا كتاب لايحتاج

الى حضور صاحبه، ولا يفتقر الى المحتجين عنه ، قد جمع استقصاء المعانى ، واستيفاء جميع الحقوق ، مع اللفظ الجزل ، والمخرج السهل ، فهو سوقى ملوكى ، وعامى خاصى

(مجادلة المأمون للخراسانى المرتد)

ولما دخل عليه المرتد الخراسانى وقد كان حمله من خراسان حتى وافى به العراق ، قال له المأمون :

لأن أستحييك بحق أحب الىّ من أن أقتلك بحق ، ولأن أقبلك بالبراءة أحب الىّ من أن أدفعك بالتهمة ؛ قد كنت مسلماً بعد أن كنت نصرانياً ، وكنت فيها أتيح ، وأيامك أطول ، فاستوحشت مما كنت به آنساً ، ثم لم تلبث أن رجعت عنا نافراً ، نخبرنا عن الشى الذى أوحشك من الشىء الذى صار آنس لك من إلفِكَ القديم وأنسك الأول ؟ فإن وجدت عندنا دواء دائك تعالجت به ، والمريض من الأطباء يحتاج إلى المشاورة ، وإن أخطأك الشفاء ، ونبا عن دائك الدواء ، كنت قد أعذرت ولم ترجع على نفسك بلائمة ، فإن قتلناك قتلناك بحكم الشريعة ، أو ترجع أنت فى نفسك إلى الاستبصار والثقة ، وتعلم أنك لم تقصر فى اجتهاد ، ولم تفرط فى الدخول فى باب الحزم ؟

قال المرتد : أوحشنى كثرة ما رأيت من الاختلاف فيكم .

قال المأمون : لنا اختلافان ، أحدهما : كالاختلاف فى الأذان ، وتكبير الجنائز ، والاختلاف فى التشهد ، وصلاة الأعياد ، وتكبير التشريق ، ووجوه القراآت ، واختلاف وجوه الفتيا ، وما أشبه ذلك ، وليس هذا باختلاف ، إنما هو تخيير وتوسعة ، وتخفيف من المحنة ، فمن أذن مثنى وأقام مثنى لم يؤثم ، ومن أذن مثنى وأقام فرادى لم يحوب ؛ لا يتعايرون ولا يتعايبون ، أنت ترى ذلك عيانا وتشهد عليه تبيانا . والاختلاف الآخر : كنحو اختلافنا فى تأويل الآية من كتابنا ، وتأويل الحديث عن نبينا مع إجماعنا على أصل التنزيل ، واتفاقنا على عين الخبر ، فان كان الذى أوحشك هذا حتى أنكرت من أجله هذا الكتاب فقد ينبغى أن يكون اللفظ

بجميع التوراة والانجيل متفقا على تأويله ، كما يكون متفقاعلى تنزيله ، ولا يكون بين جميع النصارى واليهود اختلاف فى شىء من التأويلات ، وينبغى لك أن لا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف فى تأويل ألفاظها ، ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثة رسله لايحتاج إلى تفسير لفعل ، ولكنا لم نر شيئاً من الدين والدنيادفع إلينا على الكفاية ، ولو كان الامر كذلك لسقطت البلوى والمحنة ، وذهبت المسابقة والمنافسة ، ولم يكن تفاضل ، وليس على هذا بنى الله الدنيا ،

قال المرتد : أشهد أن الله واحد لاند له ولا ولد ، وأن المسيح عبده ، وأن محمدا صادق ، وانك أمير المؤمنين حقا .

فأقبل المأمون على أصحابه فقال :فروا عليه عرضه ، ولا تبروه فى يومه ريثما يعتق إسلامه كيلا يقول عدوه انه أسلم رغبة ، ولا تنسوا بعدُ نصيبكم من بره وتأنيسه ونصرته والعائدة عليه

﴿ دفاع المأمون عن ايقاع الملوك بخاصتهم ﴾

حدثنا احمد بن أبى دواد [1] قال : قال لى المأمون : لايستطيع الناس أن

---

(١) احمد بن أبى دؤاد : كان من ذوى المروءة والعصبية ، وكان من أصحاب واصل ابن عطاء المعتزلى ، ويعد من رؤس أهل الكلام ، وكان خطيبا بليغا وشاعرا فصيحا ، وهو أول من افتتح الكلام مع الخلفاء . ومن كلامه : ليس بكامل من لم يحمل وليه على منبر ولو أنه حارس ، وعدوه على جذع ولو أنه وزير . وكان من جلساء المأمون ثم من خاصة المعتصم ، وقدولاه المعتصم القضاء خلفا ليحيى بن أكثم . وكان ممن أعان على فتنة القول بخلق القرآن . ومدحه أبو تمام فقال :

لقد أنست مساوى كل دهر محاسن أحمد بن أبى دؤاد
وما سافرت فى الآفاق إلا ومن جدوالكراحلتى وزادى

وكان بين القاضى احمد بن أبى داود وبين الوزير محمد بن عبد الملك الزيات منافسات وكان الجاحظ فى جانب ابن الزيات،ولما نكب ابن الزيات ورضى ابن أبى داؤد عن الجاحظ وضع له الجاحظ كتاب« البيان والتبيين» وأهداه إليه فأجازه ابن أبى دؤاد عليه بمبلغ خمسة الآلاف دينار. توفى سنة ٢٤٠ هـ ٨٥٤ م .

ينصفوا الملوك من وزرائهم ، ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بين الملوك وحماتهم وكفاتهم، وبين صنائعهم وبطانتهم ، وذلك أنهم يرون ظاهر حرمة وخدمة، واجتهاد ونصيحة ، ويرون إيقاع الملوك بهم ظاهراً حتى لا يزال الرجل يقول : ما أوقع به إلا رغبة فى ماله أو رغبة فى بعض مالا تجود النفوس به ، ولعل الحسد والملال وشهوة الاستبدال اشتركت فى ذلك ، وهناك خيانات فى صلب الملك أو فى بعض الحرم؟ فلا يستطيع الملك أن يكشف للعامة، وضع العورة فى الملك ، ولا أن يحتج لتلك العقوبة بما يستحق ذلك الذنب ، ولا يستطيع الملك ترك عقابه لما فى ذلك من الفساد، على علمه بأن عذره غير مبسوط للعامة، ولا معروف عند أكثر الخاصة

﴿ من آداب الملوك ﴾

ونزل رجل من أهل العسكر فعدا بين يدى المأمون وشكا إليه مظلمته، فاشار بيده : أن حسبك . فقال له بعض من كان يقرب من المأمون : يقول لك أمير المؤمنين : إركب، قال المأمون : لا يقال لمثل هذا : إركب ، إنما يقال له: انصرف

وحدثنى ابرهيم بن السندى قال: بينا الحسن اللؤلؤى يحدث المأمون ليلا وهو بالرقة وهو يومئذ ولى عهد وأطال الحسن الحديث حتى نعس المأمون . فقال الحسن: نعست أيها الامير ! ففتح عينيه وقال : سوقى ورب الكعبة ، ياغلام خذ بيده

﴿ ذكر بقية ﴾

﴿ كلام النوكى والموسوسين والجفاة والاغبياء ﴾

﴿ وما ضارع ذلك وشاكله ﴾

وأحببنا أن لا يكون مجموعا فى مكان واحد إبقاء على نشاط القارئ والمستمع

مر ابن أبى علقمة بمجلس بنى ناجية فكبا حماره لوجهه فضحكوا منه فقال: مايضحككم ؟ رأى وجوه قريش فسجد

أبو الحسن قال : أتى رجل عباديا صيرفياً يستسلف منه مئتى درهم ، فقال : وما تصنع بها ؟ قال : أشترى بها حماراً فلعلى أربح فيه عشرين درهما . قال : إذاً

أنا وهبتك العشرين، فما حاجتك إلى المئتين ؟ قال : ما أريدالا المئتين ، فقال : أنت لا تريد أن تردها على

قال : وأتى قوم عباديا فقالوا : نحب أن تسلف فلانا ألف درهم وتؤخره سنة. فقال : هاتان حاجتان ، وسأقضى لكم إحداهما ، وإذا فعلت ذلك فقد أنصفت : أما الدراهم فلا تسهل علىّ ،ولكنى أؤخره سنتين

ولعب رجل قدام بعض الملوك بالشطرنج، فلما رآه قد استجاد لعبه وفاوضه الكلام قال له : لم لا تولينى نهر بوق ؟ قال : أوليك نصفه ، أكتبوا له عهده على بوق . وقال له مرة : ولنى أرمينية ؟ قال : يبطئ على أمير المؤمنين خبرك

وقدم آخر على صاحب له من فارس فقال له : قد كنت عند أمير المؤمنين فأى شيء ولاك ؟ قال : ولانى قفاه

قال : ونظر أمير إلى أعرابى فقال : لقد هم لى الامير بخير ؟ قال : مافعلت . قال : فبشر ؟ قال : وما فعلت ؟ قال : إن الأمير لمجنون

قال أبو الحسن : شهد مجنون على امرأة ورجل بالزنا فقال الحاكم : تشهد أنك رأيته يدخله ويخرجه ؟ قال : والله لو كنت جلدة أستها لما شهدت بهذا

قال : وكان رجل من أهل الرى يجالسنا فاحتبس عنا فأتيته فجلست معه على بابه وإذا رجل يدخل ويخرج فقلت : من هذا ؟ فسكت . ثم أعدت ، فسكت . فلما أعدت الثالثة قال : هو زوج أخت خالتى

وقال الشاعر :

إذا المَرْءُ جازَ الأَرْبَعينَ ولم يَكُنْ ... لهُ دونَ ما يأتى حَياءٌ ولا سترُ

فدَعْهُ ولا تَنفِسْ عليهِ الَّذِى أتى ... ولوْ جَرَّ أرسانَ الحَياةِ لهُ الدَّهرُ

اعرابى خاصمته امرأته إلى السلطان فقيل له : ماصنعت ؟ قال :خيراً، كبها الله لوجهها وأمر بى إلى السجن

قال أبو الحسن : عرض الأسد لأهل قافلة فتبرع عليهم رجل فخرج إليه فلما

رآه سقط وركبه الأسد، فشدوا عليه بأجمعهم فتنحى عنه الأسد فقالوا له: ما حالك؟ قال: لا بأس علىّ، ولكن الأسد خرى فى سراويلى

قال أبو عباية السليطى: قد فسد الناس، قلت: وكيف؟ قال: ترى بساتين هزار مرد هذه ما كان يمر بها غلام إلا بخفير، قلت: هذا صلاح. قال: لا بل فساد.

أبو الحسن قال: خطب سعيد بن العاص عائشة ابنة عثمان على أخيه فقالت: لا أتزوجه. قال: ولم؟ قالت: هو أحمق، له برذونان أشهبان، فيحتمل مؤنة اثنين وهما عند الناس واحد

قال: كان المغيرة بن المهلب ممروراً، وكان عند الحجاج يوماً فهاجت به مِرته فقال له الحجاج: ادخل المتوضأ. وأمر من يقيم عنده حتى يتقيأ ويفيق

قال أبو الحسن: قالت خَيرة بنت ضمرة القشيرية امرأة المهلب للمهلب: إذا انصرفت من الجمعة فأحب أن تمر بأهلى، قال لها: إن أخاك أحمق، قالت: فانى أحب ان تفعل. فجاء وأخوها جالس وعنده جماعة فلم يوسع له فجاس المُهلب ناحية ثم أقبل عليه فقال له: مافعل ابن عمك فلان؟ قال: حاضر. فقال: أرسلى اليه؟ ففعل. فلما نظر اليه غير مرفوع المجلس قال: يا ابنا خناء، ألمهلب جالس ناحية وأنت جالس فى صدر المجلس؟ ووائبه. فتركه المهلب وانصرف، فقالت له خيرة: أمررت بأهلى؟ قال: نعم وتركت أخاك الأحمق يُضرب

قال: وكتب الحجاج الى الحكم بن أيوب: أخطب على عبدالملك بن الحجاج امرأة جميلة من بعيد، مليحة من قريب، شريفة فى قومها، ذليلة فى نفسها، أمَةً لبعلها. فكتب إليه: قد أصبتها لولا عظم ثديها! فكتب إليه الحجاج: لا يحسن نحر المرأة حتى يعظم ثدياها، قال المرار بن منقذ العدوى (١)

صَلْتَةُ الخدِّ طويلٌ جِيدُها ضَخْمَةُ الثَّدْيِ ولمّا يَنكَسِرْ

(١) راجع القصيدة التى منها هذا البيت بالمفضليات مشروحة بقلمنا

قال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه : لا ، حتى تدفئ الضجيع ، وتروى الرضيع

وقال ابن صديقة لرجل رأى معه خفا : ما هذه القلنسوة ؟ فاحتكموا إلى عرباض فقال عرباض : هى قلنسوة الرجلين

قال أبو اسحق: قلت لخنجير كوز : وعدتك أن تجىء ارتفاع النهار فجئتنى صلاة العصر ! قال : جئتك ارتفاع العشى

قال : قيل لاعرابى: ما اسم المرق عندكم ؟ قال : السخين. قال : فاذا برد ؟ قال: لا ندعه حتى يبرد

باع نخاس من أعرابى غلاماً فأراد أن يتبرأ من عيبه قال : إعلم أنه يبول فى الفراش . قال : إن وجد فراشاً فليبل فيه

حدثنا صديق لى قال: أتانى أعرابى بدرهم فقلت له : هذا زائف ، فمن أعطاك هذا ؟ قال : لص مثلك

وقال زيد بن كثوة : أتيت بنى كش هؤلاء فاذا عرسٌ ، وبلق الباب فَادْرَنْفَقَ وأدمج فيه سرعان من الناس ، وألصتُ ولوج الدار فدلظنى الحداد دلظة دهورنى على قمة رأسى ، وأبصرت شيخان الحى هناك ينتظرون المزية فعجت إليهم فوالله أن زلنا نظار نظار حتى عقل الظل ، فذكرت اخلائى من بنى تبر فقصدتهم وأنا أقول :

تَرَكْنَ بَنِى كَشٍّ ومافى دِيارِهِمْ ... عَوَامِدَ واعْصُوصَيْنَ نَحْوَ بنى تَبْرِ

إلى مَعْشَرٍ شُمِّ الأُنُوفِ قِرَاهُمُ ... إذانزلَ الأَضْيافُ مِنْ قِمَعِ الجَزْرِ

وانصرفت وأتيت باب كش وإذا الرجال صَنَيْتَانِ ، وإذا أرمداء كثيرة ، وطهاة لا تحصى ، ولحمان فى جمان الاكام

صالح بن سليمان قال : أحمق الشعراء الذى يقول :

أُهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيتُ فإنْ أمتْ ... أُوَكِّلْ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بِها بَعْدِى

ولا يشبه قول الآخر :

فلا تَنْكَحي إنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بيْننا أغَمَّ القَفا والوَجْهِ ليْسَ بأنْزَعا

قال: مات لابن مُقرن غلام فحفر لهم اعرابى قبره بدرهمين ، وذلك فى بعض الطواعين ، فلما أعطوه الدرهمين قال: دعوهما حتى يجتمع لى عندكم ثمن ثوب

وأدخل أعرابى إلى المربد جنيبا له فنظر اليها بعض الغوغاء فقال : لاإله إلا الله، ما أسمن هذه الجزر ؟ قال له الاعرابى : مالها تكون جزراً جزرك الله ؟

قال أبو الحسن: جاء رجل الى رجل من الوجوه فقال: أنا جارك ، وقد مات أخى فلان ، فمر لى بكفن . قال : لا والله ما عندى اليوم شيء ، ولكن تعهدنا وتعود بعد أيام فسيكون الذى تحب . قال : أصلحك الله ، فنملحه الى أن يتيسر عندكم شيء ؟

قال: كان مولى البكرات يدعى البلاغة، فكان يتصفح كلام الناس ، فيمدح الردئ ويذم الجيد ، فكتب إلينا رسالة يعتذر فيها من ترك المجيء فقال : وقطعنى عن المجيء إليكم أنه طلعت فى إحدى اليتى ابنى بثرة فعظمت حتى صارت كأنها رمانة صغيرة .

وقال على الأسوارى : فلما رأيته أصفر وجهى حتى صار كأنه الكشوث .

وقال محمد بن الجهم : إلى أين بلغ الماء منك ؟ قال : الى العانة ، قال شعيب بن زرارة : لو كان قال: الى الشعرة كان أجود ؟ وقال له محمد بن الجهم : هذا الدواء الذى جئت به قدركم آخذ منه ؟ قال : قدر بعرة

وقال علىّ : جاءنى رجل حزنبل من ههنا الى ثمة .

(شيء من سخف قاسم التمار)

وقال قاسم التمار : بينهما كما بين السماء إلى قريب من الارض . وقال قاسم التمار : أينما رأيت إيوان كسرى كأنما رفعت عنه الايدى أول من أمس . وأقبل على أصحاب له وهم يشربون النبيذ، وذلك بعد العصر بساعة، فقال لبعضهم : قم

صل فاتتك الصلاة ؟ ثم أمسك عنه ساعة ثم قال لآخر : قم صل ويلك فقد ذهب الوقت ! فلما أكثر عليهم فى ذلك وهو جالس لايقوم يصلى قال له واحد منهم: فأنت[لم] لم تصل ؟ فاقبل عليه فقال : ليس والله يعرفون أصلى فى هذا ؟ قلت : وأى شىء أصلك ؟ قال : لانصلى لان هذه المغرب قد جاءت . وقال قاسم : أنا أنفس بنفسى على السلطان . وأتى منزل ابن أبى شهاب وقد تعشى القوم وجلسوا على النبيذ فأتوه بخبز وزيتون وكامخ فقال : أنا لاأشرب النبيذ إلا على زهومة . وقال : حين بعت البغل بدأت بالسرج . وقال : ليس فى الدنيا ثلاثة أنكح منى ، أنا أكسل منذ ثلاث ليال فى كل ليلة عشر مرات . كأن الإكسال عنده هو الانزال . وقال : ذهب والله منى الأطيبين ؟ قلت : وأى شىء الأطيبين ؟ قال : قوة اليدين والرجلين . وقال : فالتوى لى عرق حين قعدت منها مقعد الرجل من الغلام . وقال فى غلام له رومى : ماوضعت بينى وبين الارض أطيب منه ، قال: ومحمد بن حسان لايشكرنى ؟ ووالله ماناك حاذرا قط إلا على يدى

وقال أبو خشرم : ماأعجب أسباب النيك ؟ فقيل له : النيك وحده ، قال: سمعنا الناس يقولون : ما أعجب أسباب الرزق ، وما أعجب الاسباب !

وكان قاسم التمار عند ابن لاحمد بن عبد الصمد بن على وهناك جماعة ، فأقبل وهب المحتسب يعرض له بالغلمان ، فلما طال ذلك على قاسم أراد أن يقطعه عن نفسه بأن يعرفه هو أن ذلك القول عليه ، فقال : إشهدوا جميعا أنى أنيك الغلمان ، واشهدوا جميعا أنى أعفج الصبيان ، والتفت التفاتة فرأى الاخوين الهذليين وكانا يعاديانه بسبب الاعتزال فقال : عنيت بقولى . فقال : اشهدوا جميعا أنى لوطى أى على دين لوط . قال القوم بأجمعهم : أنت لم تقل اشهدوا أنى لوطى ، إنما قلت : اشهدوا أنى أنيك الصبيان !

قال سفيان السدوسى : لم يكن فى الارض أحد قط أعلم بالنجوم ثم بالقرآت من « ماشا الله » كان يريد ماشا الله المنجم ، وكان يقول : هو أكفر عندى من رام هرمز ، يريد أكفر من هرمز

وممن وسوس: غلفاء بن الحرث ملك قيس عيلان ، وسوس حين قتل اخوته ، وكان يتغلف ويغلف أصحابه بالغالية فسمى غلفاء بذلك ،

وكان رجل ينيك البغلات فجلس يوما يحدث عن رجل كيف نال بغلة . وكيف انكسرت رجله ، وكيف كان ينالها ، قال : كان يضع تحت رجله لَبِنة فبينا هو ينحى فيها إذ انكسرت اللبنة من تحت رجله وإذا أنا على قفاى

ومن الاحاديث المولدة التى لاتكون ، وهو مليح فى ذلك ، قولهم: ناك رجل كلبة فعقدت عليه ، فلما طال عليه البلاء رفع رأسه فصادف رجلا يطلع عليه من سطح فقال له الرجل : اضرب جنبها ، فلما ضرب جنبها وتخلص قال: قاتله الله ، أىّ نياك كلبات هو !

وكان عندنا قاص أعمى ليس يحفظ من الدنيا إلا حديث جرجيس ، فلما بكى واحد من النظارة قال القاص : أنتم بأى شىء تبكون ؟ إنما البلاء علينا معاشر العلماء

قال : وبكى حول أبى شيبان وُلده وهو يريد مكة قال : لاتبكوا يابنى فانى أريد أن أضحى عندكم . وقال أخوه : ولدت فى رأس الهلال ، للنصف من شهر رمضان ، إحسب أنت الآن هذا كيف شئت ! وقال : تزوجت امرأة مخزومية عمها الحجاج بن الزبير الذى هدم الكعبة . وقال : ذلك لم يكن أباً انما كان والداً ، وقال أبو دينار : هو وإن كان أخاً فقد ينبغى أن ينصف .

ومن المجانين: على بن اسحق بن يحيى بن معاذ ، وكان أول ماعرف من جنونه أنه قال: أرى الخطأ قد كثر فى الدنيا ، والدنيا كلها فى جوف الفلك ، وإنما نؤتى منه وقد تخلخل وتخرم ونزايل فاعتراه مايعترى الهرماء ، وإنما هو مجنون فكم يصبر؟ وسأحتال فى الصعود إليه ، فانى إن بخرته ورندجته وسويته انقلب هـذا الخطأ كله إلى الصواب . وجلس مع بعض متعاقلى فتيان العسكر وجاءهم النخاس بجوار فقال : ليس نحن فى تقويم الأبدان ، إنما نحن فى تقويم الاعضاء: ثمن أنف هذه خمسة وعشرون ديناراً ، وثمن أذنيها ثمانيـة عشر ، وثمن عينيها ستة وسبعون ،

وثمن رأسها بلا شيء من حواسها مائة دينار ، فقال صاحبه المتعاقل : ههنا باب هو أدخل فى الحكمة من هذا ، كان ينبغى لقدم هذه أن تكون لساق تلك ، وأصابع تلك أن تكون لقدم هذه ، وكان ينبغى لشقى تيك أن تكونا لفم تيك ، وأن تكون حاجباتيك لجبينى هذه . فسمى مقوم الأعضاء

ومن النوكى : كلاب بن ربيعة ، وهو الذى قتل الخثعمى قاتل أبيه دون أخوته ، وهو القائل :

ألم ترَنى ثأرْتُ بشَيْخِ صِدْقٍ وقد أخذَ الإدَاوةَ فاحْتَسَاها
ثأرتُ بِشيْخِهِ شَيخاً كرِيماً شِفاء النَّفْسِ إن شَيْءٌ شَفاها

ومنهم : نعامة ، وهو بيهس ، وهو الذى قال : مكره أخاك لا بطل . واياه يعنى الشاعر :

ومن حذَرِ الأيَّامِ ما حَزَّ أنفَهُ قَصيرٌ ولاقى الموْتَ بالسَّيْفِ بَيْهَسُ
نَعامةُ لمَّا صَرَّعَ القوْمُ رَهطَهُ تَبيَّنَ فى أثْوَابِهِ كيفَ يَلْبَسُ

وقال الحضرمى : أما أنا فأشهد أن تميما أكثر من محارب

وقال حيان البزار : قبح الله الباطل ، الرطب بالسكر والله طيب

قال أبو الحسن : سمعت الصغدى الحارثى يقول : كان الحجاج أحمق ، بنى مدينة واسط فى بادية النبط ثم قال لهم : لا تدخلوها ، فلما مات دبوا إليها من قريب

مسعدة بن المبارك قال : قلت للبكراوى : أبا مرأتك حمل ؟ قال : شيء ليس بشيء ،

قال : بنى عبيد الله بن زياد البيضاء ، فكتب رجل على باب البيضاء : شيء ، ونصف شيء ، ولا شيء ، الشيء : مهران الترجمان ، ونصف الشيء : هند ابنة أسماء ، ولا شيء : عبيد الله بن زياد . فقال عبيد الله : أكتب إلى جنبه : لولا الذى زعمت انه لاشيء لما كان ذلك الشيء شيأ ، ولا ذلك النصف نصفا

وقال هشام بن عبد الملك يوما فى مجلسه : يعرف حمق الرجل بخصال : بطول

لحيته ، وشناعة كنيته ، وبشهوته ، ونقش خاتمه . فأقبل رجل طويل اللحية فقال : هذه واحدة ، ثم سأله عن كنيته فاذا هى شنعاء ، فقال : هاتان ثنتان . ثم قال : وأى شىء أشهى إليك ؟ قال : رمانة مصاصة ، قال : أمصك الله بظرَ أمك

وقيل لأبى القمقام لم لا تغزو أو تخرج الى المصيصة ؟ قال : أمصنى الله إذاً ببظر أمى .

وقالوا لأبى الأصبغ بن ربعى : أما تسمع بالعدو وما يصنعون فى البحر ؟ فلم لاتخرج الى قتال العدو ؟ قال : أنا لا أعرفهم ولا يعرفونى فكيف صاروا لى أعداء ؟

قال : كان الوليد بن القعقاع عاملا على بعض الشام ، فكان يستسقى فى كل خطبة ، وإن كان فى أيام الشعرى ، فقام إليه شيخ من أهل حمص فقال : أصلح الله الأمير ، إذاً تفسد القطانى ! يعنى الحبوب ، واحدها قطنية

وأما نفيس غلامى فانه كان إذا صار إلى فراشه فى كل ليلة فى سائر السنة يقول فى دعائه : اللهم حوالينا ولا علينا

قال : وكان بالرقة رجل يحدث عن بنى إسرائيل ، وكان يكنى أبا عقيل ، فقال له الحجاج بن حنتمة : ما كان اسم بقرة بنى اسرائيل ؟ قال : حنتمة ، فقال له رجل من ولد أبى موسى : فى أى الكتب وجدت هذا ؟ قال : فى كتاب عمرو ابن العاص

ومن اللحانين الاشراف : ابن ضحيان الازدى ، وكان يقرأ : قل يا أيها الكافرين ، فقيل له فى ذلك ، فقال : قد عرفت القراءة فى ذلك ، ولكنى لا أجل أمر الكفرة

وقال حبيب بن أوس :

ما وَلَدَتْ حَوَّاءُ أحمَقَ لِحيَةً ... من سائِلٍ يرْجُو الغِنَى من سائِلِ

وقال أيضا :

أيُوسفُ جِئْتَ بالعَجَبِ العَجيبِ ... تَرَكْتَ النّاسَ فى شَكٍّ مُرِيبِ

سَمِعْتُ بكلِّ داهيـةٍ نادٍ ولم أسْمَعْ بسَرَّاحٍ أديبِ
أما لوْ أنَّ جهلَكَ عادَ علماً إذًا لنفَذْتَ في علمِ الغيُوبِ
وما لَكَ بالغريبِ يدٌ ولـكنْ تعاطيكَ الغريبَ من الغريبِ

وأنشدوا :

أرى زمناً نوْكاً وأسعدَ أهلُهُ ولـكنَّما يشقَى بهِ كل عاقلِ
مشَي فوْقَهُ رِجلاهُ والرأسُ تحتَهُ فكَبَّ الأعالى بارْتفاعِ الأسافلِ

وهذه أبيات كتبناها فى غير هذا المكان من هذا الـكتاب ، ولـكن هذا المكان أولى بها

وقال الشاعر :

وللدَّهرِ أيَّامٌ فـكُنْ فى لباسِهـا كلبْستِهِ يوْماً أجدَّ وأخلقَا
وكُنْ أكيسَ الكيْسَى إذا كُنْتَ فيهِمُ وإن كنتَ فى الحمقى فكُنْ أنْتَ أحمقَا

وقال الآخر :

وأنْزلَنى طُولَ النوَى دارَ غرْبةٍ إذا شئْتُ لاقيْتُ الذى لا أشاكلُه
فحامقَتُهُ حتى يقـالَ سَجيَّةٌ ولوْ كانَ ذا عقْلٍ لكُنْتُ أعاقِلُهْ

وقال أبو العتاهية :

مَنْ سابقَ الدَّهرَ كَبا كَبْوَة لم يَستقِلْها منْ خطا الدَّهر
فاخْطُ مَعَ الدَّهرِ على ماخَطا واجْرِ مَعَ الدَّهْرِ كما يجْرِى
ليْسَ لِما ليْستْ لهُ حِيلَةٌ مَوْجُودة خيرٌ من الصَّبرِ

وقال بشر بن المعتمر :

حِيلةُ ما ليستْ له حِيلةٌ حُسْنُ عزَاءِ النفْس والصبر

وقال صالح بن عبد القدوس :

وإنَّ عَناءَ أنْ تُفهِّمَ جاهِلاً ويَحْسَبُ جَهْلاً أنَّهُ منْكَ أفهَمُ
مَتى يَبْلُغُ البُنْيانُ يوْماً تمامَهُ إذا كُنْتَ تبْنِيهِ وآخرُ يَهْدِمُ

وقال بشر بن المعتمر :

إذا الغَبِيُّ رَأيتَـهُ مُسْتَغْنِياً أعْيا الطَّبِيبَ وحِيلَةَ المُحتَالِ

ومن المجانين : مهدى بن الملوح الجعدى ، وهو مجنون بنى جعدة ، وبنو المجنون قبيل من قبائل بنى جعدة ، وهو غير هذا المجنون ، وأما مجنون بنى عامر وبنى عقيل ، فهو : قيس بن معاذ ، وهو الذى يقال له : مجنون بنى عامر ، وهما شاعران ، قيل ذلك لهما لتجنهما بعشيقتين كانتا لهما ، ولهما أشعار معروفة .

﴿ رأى فيما كان يروى ﴾

وقد أدركت رواة المسجدين والمربدين : ومن لم يرو أشعار المجانين ، ولصوص الأعراب ، ونسيب الأعراب ، والأرجاز الأعرابية القصار ، وأشعار اليهود ، والأشعار المنصفه ، فانهم كانوا لايعدونه من الرواة . ثم استبردوا ذلك كله ووقفوا على قصار الاحاديث والقصائد والفقر والنتف من كل شىء ، ولقد شهدتهم وماهم على شىء أحرص منهم على نسيب العباس بن الاحنف ، فما هو إلا أن أورد عليهم خلف الاحمر نسيب الأعراب ، فصار زهدهم فى نسيب العباس بقدر رغبتهم فى نسيب الاعراب ، ثم رأيتهم منذُ سنيات ومايروى عندهم نسيب الأعراب إلا حدث السن قد ابتدأ فى طلب الشعر أو فتيانى متغزل .

وقد جلست إلى أبى عبيدة ، والأصمعى ، ويحيى بن نجيم ، وأبى مالك عمرو بن كركرة ، مع من جالست من رواة البغداديين فما رأيت أحداً منهم قصد إلى شعر فى النسيب فأنشده ، وكان خلف يجمع ذلك كله ، ولم أرغاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب ، ولم أرغاية رواة الاشعار إلا كل شعر فيه غريب ، أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج ؛ ولم أرغاية رواة الاخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل ، ورأيت عامتهم - فقد طالت مشاهدتى لهم - لايقفون الا على الالفاظ المتخيرة والمعانى المنتخبة ، وعلى الالفاظ العذبة ، والمخارج السهلة ، والديباجة الكريمة ،

وعلى الطبع المتمكن ، وعلى السبك الجيد ، وعلى كل كلام له ماء ورونق، وعلى المعانى التى إذا صارت فى الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم ، وفتحت للسان باب البلاغة ، ودلت الاقلام على مدافن الالفاظ ، وأشارت إلى حسان المعانى ، ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام فى رواة الكتاب أعم ، وعلى ألسنة حذاق الشعراء أظهر ، ولقد رأيت أبا عمرو الشيبانى يكتب أشعاراً من أفواه جلسائه ليدخلها فى باب التحفظ والتذاكر ، وربما خيل إلى أن أبناء أولئك الشعراء لا يستطيعون أبداً أن يقولوا شعراً جيداً لمكان إغراقهم فى أولئك الآباء

ولولا أن أكون عياباً، ثم للعلماء خاصة ، لصورت لك فى هذا الكتاب بعض ما سمعت من أبى عبيدة، ومن هو أبعد فى وهمك من أبى عبيدة ؟

قال ابن المبارك : كان عندنا رجل يكنى أبا خارجة ، فقلت له : لم كنوك أبا خارجة ؟ قال: لأنى ولدت يوم دخل سليمان بن على البصرة

وكان عندنا شيخ حارس من علوج الجبل ، وكان يكنى أبا خزيمة ، فقلت لأصحابنا : هل لكم فى مسألة هذا الحارس عن سبب كنيته ؟ فلعل الله يفيد من هذا الشيخ علما ، وان كان فى ظاهر الرأى غير مأمول ولا مطمع ؟ وهذه الكنية كنية زُرارة بن عدس ، وكنية خازم بن خزيمة ، وكنية حمزة بن أدرك ، وكنية فلان وفلان ، وكل هؤلاء إما قائد متبوع ، وإما سيد مطاع ، ومن أين وقع هذا العلج الألكن على هذه الكنية ؟ فدعوته فقلت له : هذه الكنية كناك بها إنسان أو كنيت بها نفسك ؟ قال : لا ، ولكنى كنيت بها نفسى . قلت : فلم أخترتها على غيرها ؟ قال : وما يدرينى ؟ قلت : ألك ابن يسمى خزيمة ؟ قال : لا قلت : أفكان أبوك أو عمك أو مولى لك يسمى خزيمة ؟ قال : لا ، قلت : فاترك هذه الكنية واكتن بأحسن منها وخذ منى ديناراً ! قال : لا والله ولا بجميع الدنيا

أعطى المحلول ابنه درهما وقال : زنه . فطرح وزن درهمين وهو يحسبه وزن درهم ، فلما رأى الدرهم قد شال وضع معه وزن درهم ، فلما رفعه وجده شائلا ، فألقى معه حبتين ، فقال له أبوه : كم فيه ؟ قال : ليس فيه شيء ؟ وهو ينقص حبتين

وكان عندنا قاص يقال له أبو موسى كوش ، فأخذ يوما فى ذكر قصر الدنيا وطول أيام الآخرة ، وتصغير شأن الدنيا وتعظيم شأن الآخرة ، فقال : إن الذى عاش خمسين سنة لم يعش شيأ وعليه فضل سنتين ! قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : خمسا وعشرين سنة ليل هو فيها لا يعقل قليلا ولا كثيراً ، وخمس سنين قائلة ، وعشرين سنة إما أن يكون صبياً ، واما أن يكون معه سكر الشباب ، فهو لا يعقل ، ولا بد من صبحة بالغداة ، ونعسة بين المغرب والعشاء ، وكالغشى الذى يصيب الانسان مراراً فى دهره ، وغير ذلك من الآفات ، فاذا حصلنا ذلك فقد صح أن الذى عاش خمسين سنة لم يعش شيأ وعليه فضل سنتين

وقال بعض الهلاك : دخل فلان على كسرى فقال : أصلحك الله ، مالأمر فى كذا كذا

قال رجل من وجوه أهل البصرة : حدثت حادثة أيام الفرس فنادى كسرى : الصلاة جامعة

وقلت لغلامى نفيس : بعثتك إلى السوق فى حوائج فاشتريت مالم آمرك به وتركت كل ما أمرتك به ؟ قال : يامولاى ، أنا ناقة وليس فى ركبتى دماغ . وقال نفيس لغلام لى : الناس ويلك أنت حياء كلهم أقل ، يريد أنت أقل الناس كلهم حياء

وقلت لقيس بن بربهة : هذا الصبى فى أى شيء أسلموه ؟ قال : فى أصحاب سند نعال . يريد فى أصحاب النعال السندية

﴿ تأويل حديث ﴾

روى الاصمعى وابن الاعرابى عن رجالهما أن رسول الله ﷺ قال : إنا معشر الأنبياء بكاء . فقال ناس : ألبكه القلة ، وأصل ذلك من اللبن ، فقد جعل صفة الانبياء قلة الكلام ، ولم يجعله من إيثار الصمت ، ومن التحصيل وقلة الفضول

قلنا : ليس فى ظاهر هـذا الـكلام دليل على أن القلة من عجز فى الخلقة ، وقد يحتمل ظاهر الـكلام الوجهين جميعا ، وقديكون القليل من اللفظ يأتى على الكثير من المعانى ، والقلة تكون من وجهين : أحدهما من جهة التحصيل والاشفاق من التكلف ، وعلى تصديق ذلك قوله تعالى « قُلْ ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ » وعلى البعد من الصنعة ومن شدة المحاسبة وحصر النفس حتى يصير بالتمرين والتوطين إلى عادة تناسب الطبيعة ، وتـكون من جهة العجز ونقصان الآلة ، وقلة الخواطر ، وسوء الاهتداء الى جياد المعانى ، والجهل بمحاسن الالفاظ ، ألا ترى أن الله قد استجاب لموسى على نبينا وعليه السلام حين قال : « وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَرُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً ، قالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرى » فلو كانت تلك القلة من عجز كان النبى ﷺ أحق بمسألة إطلاق تلك العقدة من موسى ، لأن العرب أشد تخراً ببيانها ، وطول ألسنتها ، وتصريف كلامها ، وشدة اقتدارها ، وعلى حسب ذلك كانت ذرايتها على كل من قصر عن ذلك التمام ، ونقص من ذلك الـكمال ، وقد شاهدوا النبى ﷺ وخطبه الطوال فى المواسم الـكبار ، ولم يطل التماساً للطول ولا رغبة فى القدرة على الـكثير ، ولـكن المعانى إذا كثرت ، والوجوه إذا أفننت كثر عـدد اللفظ وإن حذفت فضوله بغاية الحذف ، ولم يكن الله ليعطى موسى لتمام إبلاغه شيئاً لا يعطيه محمداً ، والذين بعث فيهم أكثر ما يعتمدون عليه البيان واللسن ، وإنما قلنا هذا لنحسم جميع وجوه الشغب لا أن أحداً من أعدائه شاهد هناك طرفا من العجز ؟ ولو كان ذلك مرئياً ومسموعا لاحتجوا به فى الملا ، ولتناجوا به فى الخلا ، ولتكلم به خطيبهم ، ولقال فيه شاعرهم ، فقد عرف الناس كثرة خطبائهم ، وتسرع شعرائهم

هذا على اننا لا ندرى أقال ذلك رسول الله ﷺ أم لم يقله ، لان مثل هذه

الاخبار يحتاج فيها إلى الخبر المكشوف، والحديث المعروف ، ولكنا بفضل الثقة وظهور الحجة نجيب بمثل هذا وشبهه

وقد علمنا ان من يقرض الشعر ، ويتكلف الاسجاع ، ويؤلف المزدوج ، ويتقدم فى تحبير المنثور ، وقد تعمق في المعانى ، وتكلف إقامة الوزن ، والذى تجود به الطبيعة وتعطيه النفس سهوا رهوا ، مع قلة لفظه وعدد هجائه ، احمد أمراً وأحسن مرقعاً من القلوب ، وأنفع للمستمعين من كثير خرج بالكد والعلاج، ولأن التقدم فيه ، وجمع النفس له وحصر الفكر عليه، لا يكون إلا ممن يحب السمعة، ويهوى الفلج والاستطالة ، وليس بين حال المتنافسين وبين حال المتحاسدين إلا حجاب رقيق ، وحجاز ضعيف ، والانبياء بمندوحة من هذه الصفة وفى ضد هذه الشيمة

وقال عامر بن عبد قيس : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان

وتكلم رجل عند الحسن بمواعظ جمة ومعان تدعو الى الرقة ،فلم ير الحسن رق ، فقال الحسن : إما أن يكون بنا شر أو بك ! يذهب إلى أن المستمع يرق على قدر رقة القائل

والدليل الواضح ، والشاهد القاطع ، قول النبى ﷺ نصرت بالصبا، وأعطيت جوامع الكلم . وهو القليل الجامع للكثير ، وقال الله تعالى وقوله الحق « وما علمناه الشعر » ، ثم قال « وما ينبغى له » ، ثم قال « ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون » ، فعم ولم يخص ، وأطلق ولم يقيد ، فمن الخصال التى ذمهم بها تكلف الصنعة ، والخروج إلى المباهاة ، والتشاغل عن كثير من الطاعة ، ومناسبة أصحاب التشديق ، ومن كان كذلك كان أشد افتقاراً إلى السامع من السامع اليه ، لشغفه أن يذكر فى البلغاء ، وصبابته باللحاق بالشعراء ، ومن كان كذلك غلبت عليه المنافسة والمغالبة ، وولد ذلك فى قلبه شدة الحمية وحب المحاربة

ومن سخف هذا السخف ، وغلب الشيطان عليه هذه الغلبة كانت حاله داعية إلى قول الزور ، والفخر بالكذب ، وصرف الرغبة الى الناس ، والافراط فى مديح من أعطاه ، وذم من منعه ، فنزه الله رسوله ولم يعلمه الكتاب والحساب ، ولم يرغبه فى صنعة الكلام ، والتقيد لطلب الالفاظ ، والتكلف لاستخراج المعانى فجمع له باله كله فى الدعاء إلى الله ، والصبر عليه ، والمجاهدة فيه ، والانبتات اليه والميل إلى كل مايقرب منه ، فأعطاه الاخلاص الذى لا يشوبه رياء ، واليقين الذى لا يعتوره شك ، والعزم المتمكن ، والقوة الفاضلة ، فاذا رأت مكانه الشعراء ، وفهمته الخطباء ، ومن قد تعبد للمعانى وتعود نظمها وتنضيدها ، وتأليفها وتنسيقها واستخراجها من مدافنها ، وإثارتها من أماكنها ، علموا أنهم لا يبلغون بجميع ما معهم مما قد استفرغهم واستغرق مجهودهم وبكثير ما قد خولوه ، قليلا مما يكون معه على البداهة والفجاءة من غير تقدم فى طلبه واختلاف الى أهله

وكانوا مع تلك المقامات والسياسات ، ومع تلك الكلف والرياضات ، لا ينفكون فى بعض تلك المقامات من بعض الاستكراه والزلل ، ومن بعض التعقيد والخطل ، ومن التفنن والانتشار ، ومن التشديق والاكثار ، ورأوه مع ذلك يقول : إياى والتشادق ، وأبغضكم إلى الثرثارون المتفيهقون ، ثم رأوه فى جميع دهره غاية فى التسديد والصواب التام ، والعصمة الفاضلة ، والتأييد الكريم ، وعلموا أن ذلك من ثمرة الحكمة ، ونتاج التوفيق ، وأن تلك الحكمة من ثمرة التقوى ، ونتاج الاخلاص

وللسلف الطيب حكم وخطب كثيرة ، صحيحة ومدخولة ، لايخفى شأنها على نقاد الالفاظ وجهابذة المعانى ، متميزة عند الرواة الخلص ، وما بلغنا عن أحد من جميع الناس أن أحداً ولّد لرسول الله ﷺ خطبة واحدة

فهذا وما قبله حجة فى تأويل ذلك الحديث إن كان حقاً

وفى كتاب الله المنزل أن الله تبارك وتعالى جعل منيحة داود الحكمة وفصل

الخطاب ، كما أعطاه إلانة الحديد ، وفى الحديث المأثور والخبر المشهور أن رسول الله ﷺ قال : شعيب خطيب الأنبياء ، وعلم الله سليمان منطق الطير ، وكلام النمل ، ولغات الجن ، فلم يكن عز وجل ليعطيه ذلك ثم يبتليه فى نفسه وبيانه عن جميع شانه بالقلة والمعجزة ، ثم لا تكون تلك القلة الا على الايثار منه للقلة فى موضعها ، وعلى البعد من استعمال التكلف ومناسبة أهل الصنعة والمشغوفين بالسمعة ، وهذا لا يجوز على الله عز وجل ، فان كان الذى رويتم من قوله : إنا معاشر الأنبياء بكاء على ما تأولتم وذلك ان لفظ الحديث عام فى جميع الأنبياء ، فالذى ذكرنا من حال داود وسليمان عليهما السلام وحال شعيب والنبى ﷺ دليل على بطلان تأويلكم ورد لعموم لفظ الحديث

وهذه جملة كافية لمن كان يريد الانصاف

﴿ تعليل أمية النبى ﷺ ﴾

وكان شيخ من البصريين يقول : إن الله إنما جعل نبيه أمّيًا لا يكتب ، ولا يحسب ، ولا ينسب ، ولا يقرض الشعر ، ولا يتكلف الخطابة ، ولا يتعمد البلاغة ، لينفرد الله بتعليمه الفقه وأحكام الشريعة ، ويقصره على معرفة مصالح الدين دون ما تتباهى به العرب من قيافة الأثر ، وعيافة الطير ، ومن العلم بالانواء وبالخيل ، وبالانساب ، وبالاخبار ، وتكلف قول الاشعار ، ليكون إذا جاء بالقرآن الحكيم ، وتكلم بالكلام العجيب ، كان ذلك أدل على انه من الله ، وزعم أن الله لم يمنعه معرفة آدابهم وأخبارهم وأشعارهم ليكون أنقص حظا من الحاسب والكاتب ، ومن الخطيب الناسب ، ولكن ليجعله نبيا وليتولى أمر تعليمه بما هو أزكى وأنمى ، فانما نقصه ليزيده ، ومنعه ليعطيه ، وحجبه عن القليل ليجلى له الكثير

﴿ رد هذا التعليل وإيراد تعليل آخر ﴾

وقد أخطأ هذا الشيخ ولم يرد إلا الخير ، وقال بمبلغ علمه ومنتهى رأيه ،

ولو زعم أن أداة الحساب والكتابة ، وأداة قريض الشعر وجميع النسب ، قد كانت فيه تامة وافرة مجتمعة كاملة ولكنه ﷺ صرف تلك القوى وتلك الاستطاعة إلى ما هو أزكى بالنبوة وأشبه بمرتبة الرسالة ، وكان إذا احتاج إلى البلاغة كان أبلغ البلغاء ، واذا احتاج الى الخطابة كان أخطب الخطباء ، وأنسب من كل ناسب ، وأقوف من كل قائف . ولو كان فى ظاهره والمعروف من شأنه أنه كاتب حاسب ، وشاعر ناسب ، ومتفرس قائف . ثم أعطاه الله برهانات الرسالة وعلامات النبوة ، لما كان ذلك مانعاً من وجوب تصديقه ، ولزوم طاعته ، والانقياد لأمره ، على سخطهم ورضاهم ، ومكروههم ومحبوبهم ، ولكنه أراد أن لا يكون للشاعر متعلق عما دعا إليه حتى لا يكون دون المعرفة بحقه حجاب وإن رق ، وليكون ذلك أخف فى المؤنة ، وأسهل فى المحنة ، فلذلك صرف نفسه عن الأمور التي كانوا يتكلفونها ويتنافسون فيها ، فلما طال هجرانه لقريض الشعر وروايته صار لسانه لا ينطق به ، والعادة توأم الطبيعة ، فأما فى غير ذلك فإنه إذا شاء كان أنطق من كل منطيق ، وأنسب من كل ناسب ، وأقوف من كل قائف ، وكانت آلته أوفر ، وأداته أكمل ، إلا أنها كانت مصروفة إلى ما هو أبعد ، وبين أن يضيف إليه العادة الحسنة وامتناع الشىء عليه من طول الهجران له فرق

ومن العجب أن صاحب هذه المقالة لم يره عليه السلام فى حال معجزة قط ، بل لم يره إلا وهو إن أطال الكلام قصر عنه كل مطيل ، وإن قصر القول أتى على غاية كل خطيب ، وما عدم منه إلا الخط وإقامة الشعر ، فكيف ذهب ذلك المذهب ، والظاهر من أمره عليه السلام غير ما توهم ؟؟؟

وسنذكر بعض ما جاء فى تفضيل الشعر والخوف منه ومن اللسان البليغ والمداراة له وما أشبه ذلك

﴿ تفضيل الشعر ومداراة البليغ ﴾

قال أبو عبيدة : اجتمع ثلاثة من بنى سعد يراجزون بنى جعدة ، فقيل لشيخ من بنى سعد : ما عندك ؟ قال : أرجز بهم يوماً إلى الليل لا أفتج . وقيل للآخر : ما عندك ؟ قال: أرجز بهم يوماً إلى الليل لا أنكف . فقيل للثالث : ما عندك ؟

قال : أرجز بهم يوماً إلى الليـل لا أنكش . فلما سمعت بنو جعدة كلامهم انصرفوا وخلوهم

قال : وبنو ضرار أحد بنى ثعلبة بن سعد لما مات أبوهم وترك الثلاثة الشعراء صبياناً وهم : شماخ ، ومُزرد ، وجزء . أرادت أمهم وهى أم أوس أن تتزوج رجلا يسمى أوساً ، وكان أوس هذا شاعراً فلما رأوه بنو ضرار بفناء أمهم للخطبة تناول شماخ حبل الدلو ثم متح وهو يقول : أُمُّ أُوَيْس نَكَحَتْ أُوَيْسا

وجاء مزرد فتناول الحبل فقال : أعْجَبَها حَذَارةً وكَيْسا

وجاء جزء فتناول الحبل فقال : أصْدَقَ مِنها لجبةً وتَيْسا

فلما سمع أويس رجز الصبيان بها هرب وتركها

قال أبو عبيدة : كان الرجل من بنى نمـير إذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال : نميرى كما ترى ، فما هو إلا أن قال جرير :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ من نُمَـيرٍ فلا كعْبًا بَلغْتَ ولا كِلابَا

فصار الرجل من بنى نمير إذا قيـل له : ممن الرجل ؟ قال : من بنى عامر ، قال : فعند ذلك قال الشاعر يهجو قوماً آخرين :

وسَوْفَ يَزِيدُكُمْ ضَعَةً هِجاءٌ كما وَضَعَ الهِجاءُ بَنى نُمَـيرِ

فلما هجاهم أبو الرديني العكلى فتوعدوه بالقتل قال [أبو] الرديني :

أتُوعِدُنى لِتَقتُلنى نُمَـيرٌ مَتى قَتَلَتْ نُمَيْرٌ مَنْ هَجاها ؟

فشد عليه رجل منهم فقتله . وما علمت فى العرب قبيلة لقيت من جميع ما هجيت به ما لقيت نمير من بيت جرير . ويزعمون أن امرأة مرت بمجلس من مجالس بنى نمير فتأملها ناس منهم فقالت : يا بنى نمير ، لا قول الله سمعتم ، ولا قول الشاعر أطعتم ! قال الله تعـالى « قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أبْصارِهِمْ » وقال الشاعر :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ من نُمَـيرٍ فلا كعباً بَلَغْتَ ولا كِلابَا

وأخلق بهذا الحديث أن يكون مولداً ، ولقـد أحسن من ولده . وفى نمير

شرف كثير . وهل أهلك عنزة وجرما وعُكلا وسلول وباهلة وغنيا إلا الهجاء؟ وهـذه قبائل فيها فضل كثير ، وبعض النقص ، فمحق ذلك الفضل كله هجاء الشعراء . وهل فضح الحبطات مع شرف حسكة بنى عتاب وعباد بن الحصين وولده إلا قول الشاعر :

رَأيتُ الخمرَ من شرِّ المَطايا كما الحَبَطاتُ شرُّ بنى تميمِ

وهل أهلك ظليم البراجم إلا قول الشاعر :

انَّ أباها فَقْحةٌ لدَارِمِ كما الظَّلِيمُ فَقْحةُ البَرَاجِمِ ؟

وهل أهلك بنى العجلان إلا قول الشاعر :

إذا اللهُ عادَى أهْلَ لُؤْمٍ ودِقَّةٍ فعادَى بَنى العَجْلانِ رَهْطَ ابنِ مُقْبِلِ
قَبِيلَتَهُ لا يَغْـدِرُونَ بذِمَّةٍ ولا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ
ولا يَرِدُونَ المَاءَ إلاَّ عَشِيَّةً إذا صَدَرَ الوُرَّادُ عن كلِّ مَنْهَلِ

وأما قول الاخطل :

وقد سَرَّنى من قَيسِ عَيْلانَ أننى رأيتُ بنى العَجْلانِ سادُوا بَنى بَدْرِ

فان هذا البيت لم ينفع بنى العجلان ولم يضر بنى بدر

قال أبو عبيدة : كان الرجل من بنى أنف الناقة إذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال : من بنى قُرَيع . فما هو إلا أن قال الحطيئة :

قومٌ هُمُ الأَنْفُ والاذْنابُ غيرُهُمُ ومن يُساوِى بأنْفِ النَّاقةِ الذَّنَبا ؟

فصار الرجل منهم إذا قيل له : ممن أنت ؟ قال : من بنى أنف الناقة

وناس سلموا من الهجاء بالخمول والقلة، كما سلمت غسان وغيـلان من قبائل عمرو بن تميم ، وابتليت الحبطات لأنها أنبه . والنباهة التى لا يضر معها الهجاء مثل نباهة بنى بدر ، وبنى فزارة ، ومثل نباهة بنى عدس بن زيد ، وبنى عبدالله ابن دارم ، ومثل نباهـة الديان بن عبد المدان ، وبنى الحرث بن كعب . فليس يسلم من مضرة الهجاء إلا خامل جداً ، أو نبيه جداً . وقد هجيت فزارة بأكل أير الحمار ، وبكثرة شعر القفا ، لقول الحرث بن ظالم:

فما قَوْمى بثَعلَبةَ بنِ سعدٍ ولا بفَزَارةَ الشعرِ الرِّقاب

ثم افتخر مفتخرهم بذلك ومدحهم به الشاعر فقال مزرد بن ضرار:

مَنيعٌ بينَ ثعلبةَ بنِ سَعْدٍ وبينَ فزَارةَ الشعر الرِّقاب

فما مَنْ كانَ بَينكُما بنِكْسٍ لَعمْرُكَ فى الخطُوبِ ولا بكابِ

وأما قصة أير الحمار فانما اللوم على المطعم لرفيقه مالا يعرفه ، فهل كان على الفزارى فى حق الأنفة أكثر من قتل من أطعمه الجوفان من حيث لا يدرى ؟ فقد هجوا بذلك وشرفهم وافر ، وقد هجيت الحرث بن كعب ، وكتب الهيثم ابن عدى فيهم كتابا فما ضعضع ذلك منهم ، حتى كأنه قد كتبه لهم

ولولا الربيع بن خيثم وسفيان الثورى ما علم الناس أن فى الرباب حيا يقال لهم بنو ثور

وفى عكل شعر وفصاحة ، وخيل معروفة الانساب ، وفرسان فى الجاهلية والاسلام . وزعم يونس أن عكلا أحسن العرب وجوها فى غب حرب . وقال بعض فتاك بنى تميم :

خليلى الفَتى العُكلِىُّ لم أرَ مِثلَهُ تحَلَّبَ كَفَّاهُ نَدًى شائع القَدْرِ

كأنَّ سُهَيْلاً حينَ أوْقدَ نارهُ بعَلْياءَ لا يخْفى على أحَدٍ يَسْرِى

ولم أكتب هذا الشعر ليكون شاهداً على مقدار حظهم فى الشرف ، ولكن لنضمه إلى قول جِرَان العَوْدِ :

أرَاقِبُ لمحاً من سُهَيْلٍ كأنَّهُ إذا ما بدَا من آخرِ اللَّيْلِ يَطْرِفُ

وربما أتيت القبيلة إذا برزت عليها اخوتها ، كنحو فقيم بن جرير بن دارم ، وزيد بن عبدالله بن دارم ، وكنحو الحرماز ومازن . ولذلك يقال : ان أصلح الامور لمن تكلف علم الطب ان لا يحسن منه شيئاً أو يكون من الحذاق المتطببين فانه إذا أحسن منه شيأ ولم يبلغ فيه المبالغ هلك وأهلك اهله . وكذلك العلم بصناعة الكلام ، وليس كذلك سائر الصناعات . فليس يضر من أحسن باب الفاعل

والمفعول به . وباب الاضافة وباب المعرفة والنكرة ان يكون جاهلا بسائر ابواب النحو . وكذلك من نظر فى علم الفرائض، فليس يضر من احكم باب الصلب ان يجهل باب الجد . وكذلك الحساب ، وهذا كثير

وذكروا ان حزن بن الحرث احد بنى العنبر ولد محجناً ، فولد محجن شعيث ابن سهم، فأغير على ابله فأتى اوس بن حجر يستنجده فقال له اوس : أوخير من ذلك احضض لك قيس بن عاصم؟

وكان يقال ان حزن بن الحرث هو حزن بن منقر ، فقال أوس :

سائِلْ بِها مَوْلاكَ قَيْسَ بن عاصِمٍ ... فَمَوْلاكَ مَوْلى السُّوءِ إن لم تُغَيَّرِ

لَعَمْرُكَ ما أدْرِى أمِنْ حَزْنِ مِحجَنٍ ... شُعَيْثِ بن سَهْمٍ أمْ لِحَزْنِ بنِ منْقِرِ

فما أنْتَ بالمَوْلى المُضَيِّعِ حَقَّهُ ... وما أنْتَ بالجارِ الضَّعِيفِ المُسَتَّرِ

فسعى قيس فى ابله حتى ردها عن آخرها

وقال الآخر :

أُلْهَى بَنى تَغلِبٍ عنْ كلِّ مَكْرُمَةٍ ... قَصِيدَةٌ قالها عَمْرُو بنُ كُلْثُومِ

ومما يدل على قدر الشعر عندهم بُكاء سيد بنى مازن مخارق بن شهاب حين أتاه محمد بن المكعبر العنبرى الشاعر فقال : إن بنى يربوع قد أغاروا على إبلى فاسع لى فيها ؟ فقال : وكيف وأنت جار وردان بن مخرمة ؟ فلما ولى عنه محمد محزوناً بكى مخارق حتى بل لحيته فقالت له ابنته: مايبكيك ؟ فقال : وكيف لاأبكى واستغاثنى شاعر من شعراء العرب فلم أغثه ؟ والله لئن هجانى ليفضحننى قوله ، ولئن كف عنى ليقتلنى شكره ؛ ثم نهض فصاح فى بنى مازن فردت عليه إبله .

وذكر وردان الذى كان أخفره فقال :

أقُولُ وقد بَزَّتْ بتَعْشارِ بَزَّةٍ ... لِوَرْدَانَ جِدَّ الآنَ فِيها أوالعَبِ

فَعَضَّ الَّذِى أبقى المَوَاسِى مِنْ أمَّهِ ... خَفِيرٌ رآها لم يُشَمِّرْ ويَغْضَبِ

إذا نَزَلَتْ وسْطَ الرِّبابِ وحَوْلَها ... إذا حُصِّنَتْ أُلْفا سِنانٍ مُجَرَّبِ

حَمَيْتَ خِزَاعِيًّا وأفْنَاءَ مازِنٍ ووِردَانَ يَحْمِي عن عَدِيِّ بنِ جُنْدُبِ
سَتَعْرِفُهَا وُلْدَانُ ضَبَّةَ كُلِّهَا بأعْيانِهَا مَرْدُودَةً لم تُغَيَّبِ

قال : وفد رجل من بنى مازن على النعمان بن المنذر فقال له النعمان : كيف مخارق بن شهاب فيكم ؟ قال : سيد كريم ، وحسبك من رجل يمدح نفسه ويهجو ابن عمه ! ذهب الى قوله :

تَرَى ضَيفَهَا فِيها يَبِيتُ بغِبطَةٍ وجارُ ابنِ قَيْسٍ جائعٌ يَتحَوَّبُ

قال : ومن قدر الشعر وموقعه فى النفع والضر أن لَيْلى بنت النضر بن الحرث ابن كلدة لما عرضت للنبى ﷺ وهو يطوف بالبيت واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشفت منكبه وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها قال رسول الله ﷺ لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته . والشعر [1]:

يا راكِباً إنَّ الأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ من صُبْحِ خامِسَةٍ وأنْتَ مُوَفَّقُ
أبْلِغْ بِهَا مَيْتًا بأنَّ قصيدَةً ما إنْ تَزَالُ بِها الرِّكَابُ تَخْفِقُ
فَلْيَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إن نادَيْتُهُ إن كان يَسْمَعُ مَيِّتٌ لا يَنْطِقُ
ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنى أبيهِ تَنُوشُهُ لِلّهِ أرْحامٌ هُنَاكَ تُشَقَّقُ
قَسْرًا يُقَادُ إلى المَنِيَّةِ مُتْعَبًا رَسْفَ المُقَيَّدِ وهْوَ عانٍ مُوثَقُ
أُمُحَمَّدٌ ها أنْتَ ضِنْوُ نَجِيبَةٍ فى قومِها والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
ما كانَ ضَرَّكَ لوْ مَنَنْتَ ورُبَّما مَنَّ الفَتى وهْوَ المَغِيظُ المُحنَقُ

قال : ويبلغ من خوفهم من الهجاء ومن شدة السب عليهم . وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك فى الأعقاب ، ويسب به الأحياء والأموات ، أنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق ، وربما شدوا لسانه بنسعة كما صنعوا بعبد يغوث بن وقاص المحاربى حين أسرته بنو تيم يوم الكلاب وهو الذى يقول :

أقُولُ وقد شَدُّوا لِسَانى بِنِسْعَةٍ أمَعْشَرَ تَيْمٍ أطْلِقُوا من لِسانِيا
وتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ كأن لم تَرَا قَبْلِى أسِيراً يَمانِيا

(١) وقد ينسب هذا الشعر الى قتيلة اخت النضر

كأنّى لم أركَبْ جَوَاداً ولم أقُلْ لخيلىَ كُرِّى كَرَّةً عن رِجاليا
فيارا كِباً إمّا عَرَضْتَ فبلّغَنْ نَدَاماىَ من نَجْرَانَ أن لاتَلاقيا
أبا كَرِبٍ والأَيْهَمَيْنِ كليْهما وقَيْساً بأعلى حَضْرَمَوْتَ اليَمانيا

وكان سألهم أن يطلقوا لسانه لينوح على نفسه ففعلوا ، فكان ينوح بهذه الأبيات ، فلما أنشد قومه هذا الشعر قال قيس : لبيك ، وإن كنت أخرتنى

وقيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : كيف تقول الشعر مع الفقه والنسك ؟ فقال : لا بد للمصدور من أن ينفث

وقال معاوية لصُحار العبدى : ما هذا الكلام الذى يظهر منك ؟ قال : شىء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا

وقال ابن حرب : من أحسن شيأً أظهره

وفى المثل : من أحب شيئاً أكثر ذكره

وقال : خاصم أبو الحويرث السحيمى حمزة بن بيض إلى المهاجر بن عبد الله فى طوىً له فقال أبو الحويرث:

أغْمَضت في حاجةٍ كانت تُؤَرِّقُنى لولا الذى قُلْتَ فيها قَلَّ تَغْمِيضى

قال : وما قلت لك ؟ قال :

حَلَفْتَ باللهِ لى أنْ سَوْفَ تُنْصِفُنى فَسَاغَ فى الحَلْقِ ريقٌ بَعدَ تَحْرِيضِ

قال: وأنا أحلف بالله لأنصفنك ، قال :

فاسألْ إلَىَّ عن إلَىَّ أنْ ما خُصُومتُهمْ أم كيفَ أنتَ وأصحابُ المَعارِيضِ

قال : أوجعهم ضرباً . قال :

فاسألْ سُحَيْماً إذا وافاكَ جَمْعُهُمُ هَلْ كانَ بالبِئْرِ حَوْضٌ قبلَ تَحْوِيضى

قال : فتقدمت الشهود فشهدت لأبى الحويرث . قال: فالتفت إلى ابن بيض فقال :

أنتَ ابنُ بَيْضٍ لعَمْرِى لستُ أُنكِرُهُ حَقًّا يَقِيناً ولكنْ مَنْ أبُو بيضِ؟

إن كُنتَ أنبضْتَ لى قَوْساً لتَرْمِيَنى ... فقد رَمَيْتُكَ رَمياً غيرَ تَنبِيضِ
أو كُنْتَ خَضْخَضْتَ لى وطْباً لِتَسقِيَنى ... فقد سَقَيْتُكَ وَطْباً غيرَ مَمْخُوضِ
إنَّ المُهاجِرَ عَدْلٌ فى حُكُومَتِه ... والعَدْلُ يَعدِلُ عندِى كلَّ تَعْرِيضِ

قال : وتزوج شيخ من الأعراب جارية من رهطه ، وطمع أن تلد له غلاما فولدت له جارية ، فهجرها وهجر منزلها وصار يأوى إلى غير بيتها ، فمر بخبائها بعد حول وإذا هى ترقص بُنيتها منه وهى تقول :

ما لأَبى حَمزَةَ لا يأتِينا ... يَظَلُّ فى البَيْتِ الَّذِى يَلِينا
غَضْبانَ أنْ لا نَلِدَ البَنِينا ... تاللهِ ما ذلِكَ فى أيْدِينا
وإنَّما نأخُذُ ما أعْطِينا

فلما سمع الأبيات مر الشيخ نحوهما حضراً حتى ولج عليها الخباء فقبلها وقبل بُنيتها وقال : ظلمتكما ورب الكعبة

وقال مسلم بن الوليد :

فإنى وإسْمَعيل عِنْدَ فِراقِنا ... لكالجِفْنِ يومَ الرَّوْعِ فارَقَهُ النَّصْلُ
أمُنتَجِعاً مَرْواً بأثْقالِ هَمِّهِ ... دَعِ الثِّقلَ واحمِلْ حاجةً مالها ثِقْلُ
ثَناءٌ كعَرْفِ الطِّيبِ يُهْدَى لأَهْلِهِ ... وليسَ لهُ إلاَّ بَنى خالدٍ أهْلُ
فإنْ أغْشَ قَوْماً بعْدَهُمْ أوْ أزُورَهُمْ ... فكالوَحْشِ يَدْنِيها منَ الأنسِ المَحلُ

وقال ابن أبى عيينة :

هَلْ كُنْتَ إلاَّ كلَحْمٍ مَيْتٍ ... دَعا إلى أكلِهِ اضْطِرارُ

وقال الآخر :

لَئِنْ حَبَسَ العَبَّاسُ عنَّا رَغِيفَهُ ... لَما فاتَنا من نِعْمَةِ اللهِ أكثرُ

وقال أبو كعب : كان رجل يجرى على رجل رغيفاً فى كل يوم ، فكان إذا أتاه الرغيف يقول : لعنك الله ولعن من بعثك ولعنى إن تركتك حتى أصيب خبراً منك

وقال بشار :

إذا بَلَغَ الرَّأْيُ النَّصيحةَ فاستَعِنْ ... برَأْيِ نَصيحٍ أوْ نَصيحةِ حازِمِ
ولا تَحْسَبِ الشورَى عليكَ غَضاضةً ... فإنَّ الخوافي عُدَّةٌ لِلْقَوادِمِ
وخَلِّ الهوَيْنا لِلضعيفِ ولا تَكُنْ ... نَؤُوماً فإنَّ الحَزْمَ ليسَ بنائِمِ
وأدْنِ على القُرْبى المُقَرِّبَ نَفْسَهُ ... ولا تُشْهِدِ الشُّورَى امْرَأً غيرَ كاتِمِ
وما خيرُ كَفٍّ أمْسَكَ الغُلُّ أُخْتَها ... وما خيرُ سَيْفٍ لم يُؤَيَّدْ بقائِمِ
فإنَّكَ لا تَسْتَطْرِدُ الهمَّ بالمُنى ... ولا تَبْلُغُ العُلْيا بغيرِ المَكارِمِ

وقال آخر :

تُعَرِّفُنِي هُنَيْدَةُ مَنْ بَنُوها ... وأعرِفُها إذا اشتَدَّ الغُبارُ
متى ما تَلْقَ مِنَّا ذا ثَناءٍ ... يَؤُزُّ كأنَّ رِجلَيْهِ شِجارُ
فلا تَعْجَلْ عليهِ فإنَّ فيهِ ... مَنافِعَ حينَ يَبْتَلُّ العِذارُ
أنا ابنُ المَضْرَحِيِّ أبي شَلِيلٍ ... وهلْ يَخْفَى على النَّاسِ النَّهارُ
ورَثْنا صُنعَهُ ولِكلِّ فَحْلٍ ... على أوْلادِهِ مِنْهُ نِجارُ

وقال أعشى همدان فى خالد بن عتاب بن ورقاء :

تُمَنِّينِي إمارَتَها تَمِيمٌ ... وما أمْرِي وأمْرُ بَنِي تَمِيمِ
وكانَ أبُو سُلَيمانٍ خَلِيلِي ... ولكنَّ الشَّراكَ من الأَدِيمِ
أتَيْنا أصْبَهانَ فهَزَّلَتْنا ... وكُنَّا قَبْلَ ذلكَ فى نَعِيمِ
أتَذْكُرُنا ومُرَّةَ إذْ غَزَوْنا ... وأنْتَ على بُغَيْلِكَ ذِي الشَّوُومِ
ويَرْكَبُ رَأْسَهُ فى كلِّ وَحْلٍ ... ويَعْثُرُ في الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ
وليسَ عَلَيْكَ إلاَّ طَيْلَسانٌ ... نُصَيْبِيٌّ وإلاَّ سَحْقُ نِيمِ

وقال آخر :

فَلَسْتُ مُسَلِّماً ما دُمْتُ حَيًّا ... على زَيْدٍ بتَسْلِيمِ الأَمِيرِ
أميرٌ يأكلُ الفالوذَ سِرًّا ... ويُطْعِمُ ضَيْفَهُ خُبزَ الشَّعِيرِ

أتذكرُ إذْ قباؤكَ جلدُ شاةٍ ... وإذ نعلاكَ من جلدِ البعيرِ
فسبحانَ الذي أعطاكَ مُلكا ... وعلَّمكَ الجلوسَ على السريرِ

وقال آخر :

دَعْ عنكَ مَرْوانَ لا تطلبْ إمارتَهُ ... ففيكَ راعٍ لها ما عِشْتَ شَرْشُور
ما بالُ بُرْدِكَ لم يمسسْ حواشيَهُ ... منْ نَرْمِداءَ ولا صنعاءَ تخبيرُ

وقال ابن فنان المحاربي :

أقولُ لمّا جِئْتُ مجلسَهُمْ ... قبحَ الإلهُ عمائمَ الخزِّ
لولا قُتيبةُ ما اعتجرْتَ بها ... أبدًا ولا أقعيْتَ في غرزِ
عجباً لهذا الخزِّ يلبسُهُ ... منْ كانَ مُشتاقاً إلى الخبزِ
منْ كانَ يشتو في عباءتِهِ ... مُتقبِّضاً كتقبُّضِ العنزِ

وقال ثابت قطنه في رجل كان المهلب ولاه بعض خراسان :

ما زالَ رأيُكَ يا مُهلَّبُ فاضلاً ... حتى بنيْتَ سُرادِقاً لوكيعِ
وجعلتَهُ ربًّا على أربابِهِ ... ورفعْتَ عبداً كانَ غيرَ رفيعِ
لو رأى أبوهُ سُرادِقاً أحدثتَهُ ... لبكى وفاضتْ عينُهُ بدموعِ

وقال ابن سيخان مولى المغيرة في بني مطيع العدويين :

حرامٌ كنتُ مني بسوءٍ ... وأذكرُ صاحبي أبداً بذامِ
لقدْ حرَّمتُ ودَّ بني مُطيعٍ ... حرامَ الدُّهنِ للرَّجلِ الحرامِ
وخزَّهمُ الذي لم يشترُوهُ ... ومجلسَهمْ بمُعتلجِ الظَّلامِ
وإنْ جنفَ الزَّمانُ مددْتُ حبلاً ... متيناً منْ حبالِ بني هشامِ
وريقُ عودهمْ أبداً رطيبٌ ... إذا ما اغبرَّ عيدانُ اللُّثامِ

وقال آخر :

لمنْ جزرٌ ينحرُها سويدٌ ... ألا يا مرَّ للمجدِ المُضاعُ
كأنَّكَ قد سعيْتَ بذمَّتيهِمْ ... وكنْتَ ثمالَ أيتامٍ جياعِ

وقال :

سُبْحانَ مَنْ سَبَّحَ السَّبْعُ الطِّباقُ لَهُ ... حتى لِهَرْثَمَةَ الذُّهْلِيِّ أبوابُ

وأنشدنا الاحيمر :

بأقبَّ مُنْصَلِتِ اللَّبانِ كأنَّهُ ... سِيدٌ تَنَصَّلَ من جُحُورِ سَعَالِي

وقالَ خَلَفٌ : لَمْ أرَ بَيْتاً أفادَ وجادَ، وسادَ وزادَ، وقادَ وعادَ ، ولا أفضل من قول امرىء القيس :

لهُ أيْطَلا ظَبْيٍ وساقا نَعامَةٍ ... وإرْخاءُ سِرْحانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

وقال الآخر :

رَمَى الفَقْرُ بالفِتْيانِ حتى كأنَّهُمْ ... بأقْطارِ آفاقِ البِلادِ نُجُومُ

وإنَّ امْرَأً لَمْ يفقر العام بَيْتَهُ ... ولَمْ يَتَخَدَّدْ لحمُهُ للئِيمُ

وقال عبد العزيز بن زُرارة الكلابي :

ولَيْلَةٍ منْ لَيالِ الدَّهْرِ صالَحَةٍ ... باشَرْتُ فيهَوْلِها مَرْآى ومُسْتَمَعا

ونَكْبَةٍ لوْ رَمَى الرَّامِي بها حَجَراً ... أصَمَّ منْ جَنْدَلِ الصَّمَّانِ لانْصَدَعا

مَرَّتْ عليَّ فَلَمْ أطْرَحْ لها سَلَبِي ... ولا اسْتَكَنْتُ لَها وَهْناً ولا جَزَعا

وما أزَالُ عَلى أرْجاءِ مَهْلَكَةٍ ... يُسائِلُ المَعْشَرُ الأعْداءُ ما صَنَعا

ولا رَمَيْتُ على خَصْمٍ بِفاقِرَةٍ ... إلا رَمَيْتُ بخَصْمٍ فَرَّ لِي جَذَعا

ما سُدَّ مُطَّلَعٌ يُخْشَى الهَلاكُ بِهِ ... إلا وجَدْتُ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُطَّلَعا

لا يَمْلأُ الهَوْلُ قَلبي قبلَ وقْعَتِهِ ... ولا يَضِيقُ لهُ صَدْرِي إذا وقَعا

وقال الآخر :

لقدْ طالَ إعْرَاضِي وصَفْحِي عَنِ الَّتِي ... أبلِّغُ عنكُمْ والقلوبُ قُلوبُ

وطالَ انْتِظارِي عَطْفَةَ الرَّحْمِ مِنكُمُ ... لِيَرْجِعَ وُدٌّ أوْ يُنِيبَ مُنِيبُ

فلا تَأمَنُوا مِنِّي عليكُمْ شَبِيهَها ... فَيَرْضَى بَغِيضٌ أوْ يُساءَ حَبِيبُ

ويَظْهَرَ مِنَّا في المَقالِ ومِنْكُمُ ... إذا ما ارْتَمَيْنا في النِّضالِ عُيُوبُ

فإنَّ لِسَانَ الْباحِثِ الدَّاءَ ساخِطًا ... نَبِى عَمِّنا أَلْوَى الْبَيانُ كَذُوبُ

وقال الأشهب بن رميلة :

وإنَّ الأُلَى حانَتْ بِفَلْجٍ دِماؤُهُمْ ... هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يا أُمَّ خالِدِ
هُمُ ساعِدُ الدَّهْرِ الَّذِى يَتَّقِي بِهِ ... وما خَيْرُ كَفٍّ لا تَنُوءُ بِساعِدِ
أُسُودُ شَرًى لاقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ ... تَساقَوْا على حَرْدٍ دِماءَ الأَساوِدِ

قوله : هم ساعد الدهر ، إنما هو مثل ، وهذا الذى تسميه الرواة البديع ، وقد قال الراعى :

هُمُ كاهِلُ الدَّهْرِ الَّذِى يَتَّقِي بِهِ ... ومَنْكِبُهُ إنْ كانَ لِلدَّهْرِ مَنْكِبُ

وقد جاء فى الحديث : موسى الله أحد ، وساعد الله أشد . والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وأربت على كل لسان ، والراعى كثير البديع فى شعره ، وبشار حسن البديع ، والعتابى يذهب شعره فى البديع

وقال كعب بن عدى :

شَدَّ الْعِقابَ على البَرِىءِ بِمَنْ جَنَى ... حَتَّى يَكُونَ لِغَيْرِهِ تَنْكِيلا .
والْجَهْلُ فى بَعْضِ الأُمُورِ إذا اغْتَدَى ... مُسْتَخْرِجٌ لِلْجاهِلِينَ عُقُولا

وقال زُفَر بن الحرث :

لَئِنْ عُدْتَ واللهِ الَّذِى فَوْقَ عَرْشِهِ ... مَنَحْتُكَ مَسْنُونَ الغِرارَيْنِ أَزْرَقا
فإنَّ دَواءَ الْجَهْلِ أَنْ تُضْرَبَ الطُّلَا ... وإنْ يُغْمَسَ العِرِّيضُ حَتَّى يُغَرْقَا

وقال مبذول العذرى :

ومَوْلًى كضِرْسِ السُّوءِ يُؤْذِيكَ مَسُّهُ ... ولا بُدَّ إنْ آذَاكَ أنكَ فاقِرُهْ
دَوِى الْجَوْفِ إنْ يُنْزَعْ يَسُؤْكَ مَكانُهُ ... وإنْ يَبْقَ يُصْبِحْ كلَّ يَوْمٍ تُحاذِرُهْ
يُسِرُّ لكَ الْبَغْضاءَ وهْوَ مُجامِلٌ ... وما كلُّ مَنْ يَجْنِي عَليكَ تُساوِرُهْ
وما كلُّ مَنْ مَدَّدْتَ ثَوْبَكَ دُونَهُ ... لِتَسْتُرَ مِمَّا قدْ أَتَى أنْتَ سَاتِرُهْ

وقال الآخر :

أطالَ اللهُ كَيْسَ بنى رَزِينٍ ... وحُمْقِى إنْ شَرِبْتُ لهم بِدَيْنِى
أأكْتُبُ إبلَهُمْ شاءً وفيها ... بِرَيْعِ فِصَالِها بِنْتا لَبُونِ
فما خُلِقُوا بِكَيْسِهِمِ دُهاةً ... ولا مُلَجاءُ بعدُ فيُعْجِبُونى

وقال آخر :

عَفارِيتاً علىَّ وأكلِ مالِى ... وعَجْزاً عَنْ أُناسٍ آخَرِينا
فَهلاَّ غيرَ عَمِّكُمْ ظَلَمْتُمْ ... إذا ما كُنتمُ مُتَظَلِّمِينا
فلوْ كُنتمْ لِكَيِّسَةٍ أكاسَتْ ... وكَيْسُ الأُمِّ أكيَسُ لِلْبَنِينا

وقالت رقية بنت عبد المطلب فى النبى ﷺ

أبُنَىَّ إنى رَأَيْتُ حَجَرٌ ... يَغْدُو بكفِّكَ حَيْثُما يَغْدُو
وأخافُ أنْ تَلْقَى غَوِيُّهُمُ ... أوْ أنْ يُصيبَكَ بَعْدُ مَنْ يَعْدُو

ولما دخل مكة لقيه جواريها يقلن :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَينا ... منْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعْ
وجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنا ... مَا دَعا لِلّهِ دَاعْ

يضاف إلى باب الخطب ، وإلى القول فى تلخيص المعانى ، والخروج من الامر المشبه بغيره ، قول حسان بن ثابت :

إنّ خالِى خَطِيبُ جابِيَةَ الجَوْ ... لاَنِ عِنْدَ النُّعْمانِ حينَ يَقُومُ
وهْوَ الصَّقْرُ عِنْدَ بابِ ابْنِ سَلْمَى ... يَوْمَ نُعْمانُ فى الْكُبُولِ سَقِيمُ
وسَطَتْ نِسْبَتِي الذَّوائِبَ مِنْهُمْ ... كلُّ دَارٍ فيها أبٌ لِى عَظِيمُ
وأبِي فى سُمَيْحَةَ الْقائِلُ الْفا ... صِلُ يَوْمَ الْتَفَّتْ عليهِ الخُصُومُ
يَفْصِلُ الْقَوْلَ بالْبَيانِ وذُو الرَّأْ ... يِ منَ الْقَوْمِ ظالِعٌ مَكْعُومُ
تِلْكَ أفْعالُهُ وفِعْلُ الزِّبَعْرَى ... خامِلٌ فى صَدِيقِهِ مَذْمُومُ
رُبَّ حِلْمٍ أضاعَهُ عدَمُ الـــمَالِ وجَهْلٍ غَطَّى عليهِ النَّعِيمُ

وَلِيَ النَّاسَ مِنْكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ أُسْرَةٌ مِنْ بَنِي قُصَيٍّ صَمِيمُ
وَقُرَيْشٌ يَحُولُ مِنَّا لِوَاذاً أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَّ مِنْهَا الْحُلُومُ
لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ الْعَوَاتِقُ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَحْمِلُ اللِّوَاءَ النُّجُومُ

ولما دفن سليمان بن عبد الملك أيوب وقف ينظر الى القبر ثم قال :

كُنْتَ لَنَا أُنْساً فَفَارَقْتَنَا فَالْعَيْشُ مِنْ بَعْدِكَ مُرُّ الْمَذَاقِ

وقربت دابته فركب ووقف على قبره وقال :

وُقُوفاً عَلَى قَبْرٍ مُقِيمٍ بِقَفْرَةٍ مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفَارِقِ

ثم قال : وعليك السلام . ثم عطف رأس دابته وقال :

فَإِنْ صَبَرْتُ فَلَمْ أُلْفِظْكَ مِنْ شِبَعٍ وَإِنْ جَزِعْتُ فَعِلْقٌ مُنْفَسٌ ذَهَبَا

المدائنى قال : لما مات محمد بن الحجاج جزع عليه فقال : اذا غسلتموه فاعلمونى فلما نظر اليه قال [1] :

الآنَ لَمَّا كُنْتَ أَكْرَمَ مَنْ مَشَى وَافْتَرَّ نَابُكَ عَنْ شَبَاةِ الْقَارِحِ

(١) وقد روى القالى هذه الرواية بسنده عن أبى عبيدة قال : لما هلك أبان بن الحجاج وأمه أم أبان بنت النعمان بن بشير فلما دفنه قام الحجاج على قبره فتمثل بقول زياد الأعجم :

ألآن لما كنت أكمل من مشى وافتر نابك عن شباة القارح
وتكاملت فيك المروءة كلها وأعنت ذلك بالفعال الصالح

فلما انصرف إلى منزله قال : أرسلوا خلف ثابت بن قيس الانصارى ، فأتاه . فقال : أنشدنى مرثيتك في ابنك الحسن فأنشده :

قد أكذب الله من نعى حسنا ليس لتكذيب موته ثمن
أجول في الدار لاأراك وفى الـ ـدار أناس جوارهم غبن
بدلتهم منك ليت أنهم أضحوا وبينى وبينهم عدن

قلت : والبيتان اللذان أتى بهما الجاحظ فى الاصل هما من قصيدة بالغة حد الاجادة الأقصى قالها زياد الأعجم يرثى بها المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة ، وهي مثبتة بأكملها في ذيل الأمالى

وتكاملت فيك المروءة كلها وأعنت ذلك بالفعال الصالح

ثم أتاه موت أخيه محمد بن يوسف فقال :

حسبي ثواب الله من كل ميت وحسبي بقاء الله من كل هالك

إذا ما لقيت الله عني راضياً فإن شفاء النفس فيما هنالك

تمثل معاوية في عبد الله بن بديل :

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

ويدنو إذا ما الموت لم يك دونه قدى الشبر يحمي الأنف أن يتأخرا

ورأى معاوية هزاله وهو متعر فقال :

أرى الليالي أسرعت في نقصي أخذن بعضي وتركن بعضي

حنين طولي وتركن عرضي أقعدني من بعد طول النهض

وتمثل عبد الملك حين وثب بعمرو بن سعيد الأشدق :

سكنته ليقل مني نفوره فأصول صولة حازم مستمكن

وحميته غضباً لنفسي إنه ليس المسيء سبيله كالمحسن

وسمع معاوية رجلا يقول :

ومن كريم ماجد سميدع يؤتى فيعطى من ندى ويمنع

فقال : هذا منا ، هذا والله عبد الله بن الزبير

﴿ وصف معاوية لقومه ﴾

المدائني قال : قال معاوية : إذا لم يكن الهاشمي جواداً لم يشبه قومه ، وإذا لم يكن المخزومي تيّاهاً لم يشبه قومه ، وإذا لم يكن الأموي حليماً لم يشبه قومه . فبلغ قوله الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما فقال : ما أحسن ما نظر لنفسه ؟ أراد أن تجود بنو هاشم بأموالها فتفتقر إلى ما في يديه ، وتزهو بنو مخزوم على الناس فتبغض وتشنأ ، وتحلم بنو أمية فتحب

وقال بشار :

أحسن صحابتنا فإنك مدرك بعض اللئانة باصطناع الصاحب

وإذا جفوتَ قطعتَ عنكَ لُبانتى ... والدُّرُّ يَقْطَعُهُ جفاءُ الحالبِ
تأتى اللَّئيمَ وما سعَى حاجاتُهُ ... عددَ الحصَى ويخيبُ سعْىُ الدَّائِبِ

وأنشد :

إذا ما أُمورُ النَّاسِ رثَّتْ وضُيِّعَتْ ... وجدْتُ أُمورِى كلَّها قد رَمَمْتُها

وقال أعرابى :

ندِينُ ويَقْضى اللهُ عنا وقد نرَى ... مَكانَ رِجالٍ لا يَدينُون ضيَّعا

وقال أعرابى :

وليسَ قَضاءُ الدَّيْنِ بالدَّيْنِ راحةً ... ولكنَّهُ ثِقْلٌ مُمِضٌّ إلى ثِقْلِ

وأنشد أبو عبيدة لعبيد العنبرى وهو أحد اللصوص :

يا رَبِّ عَفْوَكَ عن ذِى تَوْبةٍ وجِلٍ ... كأنَّهُ منْ حِذارِ النَّاسِ مَجْنُونُ
قد كانَ أسْلَفَ أعمالاً مُقارِبَةً ... أيَّامَ ليسَ لهُ عَقْلٌ ولا دِينُ

وقال أعرابى :

يا رَبِّ قد حلَفَ الأَقْوامُ واجتهَدُوا ... أيمانَهُمْ أنَّنى من ساكِنى النارِ
أيَحْلِفُونَ على عَمْيـاءَ ويْلُهُمُ ... جَهْلاً بعَفْوٍ عَظِيمِ العفْوِ غفَّارِ

وقال أعرابى وهو محبوس :

أسجْنًا وقَيْداً واغتِرَاباً ووحشَةً ... وذِكْرَى حبيب ؟ إنَّ ذا لَعظِيمُ
وإنَّ امْرَأً دامتْ مَوَاثِيقُ عَهْدِهِ ... على كلِّ ما لاقَيْتُهُ لَكرِيمُ

وقال أعرابى :

أيا أُمَّ عَمْرٍو بَيِّنِى أنْتِ كلَّما ... تَرَفَّعَ حادٍ أو دَعا كلُّ مُسْلِمِ
نَظَرْتُ إليها نَظْرَةً ما يَسُرُّنى ... وإن كُنْتُ مُحْتاجًا بها أَلْفُ دِرهَمِ

وقال الشاعر :

وما كثْرَةُ الشكْوَى بأمْرِ حزَامةٍ ... ولا بُدَّ من شَكْوَى إذا لم يَكُنْ صَبرُ

ومثله :

وأبثَثْتُ بَكْراً كل ما فى جَوَانحِي وجَرَّعْتُـهُ من مُرِّ ما أتجَرَّع
ولا بُدَّ من شَكْوَى إلى ذِى حفِيظةٍ إذا جَعلَتْ أسرَارُ نَفْسٍ تَطلعُ

وقال الشاعر :

حَسدُوا الفَتى إذْ لم يَنالوا سَعْيَهُ فالقَوْمُ أعْدَاءٌ لهُ وخُصومُ
كضَرَائر الحَسْناء قُلْنَ لوَجهِها حَسَـداً وبَغياً إنَّهُ لدَميمُ

وقال بُزُرْجَمِهْر : ما رأينا أشبه بالمظلوم من الحاسد

وقال الأحنف بن قيس : لا راحة لحسود

وقال الشعبى : الحاسد منغص بما فى يد غيره

وقال الله تبارك وتعالى « ومِنْ شَرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدْ »

وقال بعضهم يمدح أقواماً :

مُحسَّدُونَ وشرُّ النَّاسِ مَنزِلةً مَنْ عاشَ فى النَّاسِ يوْماً غيرَ مَحْسُودِ

وقال الشاعر :

الرِّزْقُ يأتى قَدَراً على مَهَلْ والمَرْءُ مَطْبُوعٌ على حُبِّ العَجَلْ

وقالوا : من تمام المعروف تعجيله

ووصف بعض الاعراب أميراً فقال : إذا أوعد أخر ، وإذا وعد عجل ، وعيده عفو ، ووعده إنجاز

وقال تبارك وتعالى « وكانَ الإنْسَانُ عَجُولاً »

ودخل عمرو بن عبيد على المنصور وهو يومئذ خليفة ـ وروى هذا الحديث العتبى عن عتبة بن هرون قال : شهدته وقد خرج من عنـده فسألته عما جرى بينهما فقال : رأيت عنده فتى لم أعرفه فقال لى : يا أبا عثمان ، أتعرفه ؟ فقلت لا . فقال : هذا ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين . فقلت له : قد رضيت له أمراً يصير اليه إذا صار وقد شغلت عنه . فبكى ثم قال : عظنى يا أبا عثمان ؟ فقلت

إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها . فلو أن هـذا الأمر الذى صار اليك بقى فى يدى من كان قبلك لم يصل إليك ، وتذكر يوماً يتمخض بأهله لا ليلة بعده

المدائنى قال : سمعت أعرابيًّا يسأل وهو يقول : رحم الله امرأ لم تمج أذنه كلامى ، وقدم لنفسه معاذة من سوء مقامى ، فإن البلاد مجدبة ، والحال سيئة ، والعقل زاجر ينهى عن كلامكم ، والفقر عارم يحملنى على أخباركم ، والدعاء أحد الصدقتين ، فرحم الله امرأً أمر بمير ، أو دعا بخير

وقال رجل من طيئ :

قَتَلْنا بقَتْلانا منَ القَوْمِ مِثْلَهُمْ ... كِرَاماً ولم نأخُذْ بهِمْ حَشَفَ التَّمْرِ

وقال آخر :

قَتَلْنا بهِمْ ما بينَ مَثْنى ومَوْحَدٍ ... وأَرْبَعَةٌ مِنهُمْ وآخَرُ خامِسُ

وقال آخر :

قَتَلْنا رِجالاً منْ تَمِيمٍ أخايِراً ... بقَوْمٍ كِرَامٍ منْ رِجالٍ أخايِرِ

وسئل بعض العرب : ما العقل ؟ قال : الإصابة بالظنون ، ومعرفة ما لم يكن بما قد كان

وقال جرير يعاتب المهاجر بن عبد الله :

يا قَيْسَ عَيْلانَ إنى قد نَصَبْتُ لكُمْ ... بالمَنْجَنِيقِ ولمّا أُرْسِلُ الحَجَرَا

فوثب المهاجر فأخذ بحقوه وقال : لك العُتبى يا أبا حزرة، لا ترسله ؟

وقال سُويد بن صامت :

ألا رُبَّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقاً ولو تَرَى ... مَقالَتَهُ بالغَيْبِ ساءَكَ ما يَفْرِى

مَقالَتُهُ كالشَّحْمِ ما دامَ شاهِداً ... وبالغَيْبِ مأثُورٌ على ثَغْرَةِ النَّحْرِ

تُبِينُ لكَ العَيْنانِ ما هُوَ كاتِمٌ ... من الشَّرِّ والبَغْضاءِ بالنَّظَرِ الشَّزْرِ

يَسُرُّكَ بادِيهِ وتحْتَ أدِيمِهِ ... نَمِيمَةُ غِشٍّ تُبْتَرَى عَقِبَ الظَّهْرِ

فرُشْنِي بخيرٍ ظالمًا قد بَرَيْتَنى وخيرُ الموَالى مَنْ يَرِيشُ ولا يَبْرِى

وقال حارثة بن بدر لما تخالفت الأزد وربيعة :

لا تحْسَبَنَّ فُؤادِى طائِراً فَزِعاً إذا تخالَفَ ضَبُّ البرِّ والنُّون

وأنشد ابن الأعرابى :

فإنْ أكُ قَصْداً فى الرِّجالِ فإنَّنِي إذا حَلَّ أمْرٌ ساحَتى لَحَلِيمُ
تُعيرُنى الإعدامَ والوَجهُ مُعْرِضٌ وسَيْفِى بأمْوَالِ التِّجارِ زَعِيمُ

وأنشد ابن الاعرابى لعمرو بن شاس :

متى يَبْلُغُ البُنْيانُ يَوْماً تمامَهُ إذا كُنْتَ تَبْنِيهِ وآخَرُ يَهْدِمُ

وقال عَبيد بن الأبرص :

ساعِدْ بأرْضٍ إذا كُنْتَ بها ولا تَقُلْ إنَّنى غَرِيب
قد يُوصِلُ النَّازِحُ النَّائِى وقَدْ يَقْطَعُ ذُو السَّهْمَةِ القَرِيبُ

وأنشد الاصمعى لكثير :

رَأيْت أبا الْوَلِيدِ غَداةَ جَمْعٍ بهِ شَيْبٌ وقدْ فَقَدَ الشَّبابا
ولكِنْ تحْتَ ذَاكَ الشَّيْبِ حَزْمٌ إذا مَا ظُنَّ أمْرَضَ أوْ أصَابا

ويمدحون باصابة الظن ويذمون بخطائه قال أوس بن حجر :

ألا أَلْمَعِىُّ الذِى يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كأَنْ قدْ رَأى وقدْ سَمِعا

وفى بعض الحكمة : من لم ينتفع بظنه لم ينتفع بيقينه

وقال السموأل بن عادياء :

وإنَّا لَقَوْمٌ ما نَرَى القَتْلَ سُبَّةً إذا مَا رَأتْهُ عامِرٌ وسَلُولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ الموْتِ آجالَنا لَنا وتَكْرَهُهُ آجالُهُمْ فتَطُولُ
تَسِيلُ على حَدِّ السُّيُوفِ نُفُوسُنا ولَيْسَتْ على غيرِ السُّيُوفِ تَسِيلُ
وما مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فى فِرَاشِهِ ولا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كانَ قَتِيلُ

وقال حسان بن ثابت :

لمْ تَقُتْها شَمْسُ النهارِ بسَيءٍ غيرَ أنّ الشّبابَ ليسَ يَدُومُ
لوْ يَدِبُّ الحَوْلِيُّ منْ ولَدِ الذَّرِّ عليْها لأَنْدَبَتْها الْكُلُومُ

وقال بشار بن برد :

مِنْ فَتاةٍ صُبَّ الجمالُ عَليْها فِي حَدِيثٍ كلذَّةِ النَّشْوَانِ
ثمَّ فارَقْتُ ذَاكَ غيرَ ذَمِيمٍ كلُّ عيْشِ الدنْيا وإنْ طالَ فانِ

وقال مزاحم العقيلي :

تَزِينُ سَنَا المَاوِيِّ كلَّ عَشِيَّةٍ على غَفَلاَتِ الزَّيْنِ والمُتَجَمِلِ
وُجُوهاً لَوانَّ المُدْلِجِينَ اعْتَشَوْا بها صَدَعْنَ الدُّجى حتى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجلي

وقال المسعودي :

إنّ الكِرَامَ مُناهِبُوكَ المجْدَ كلهُمْ فَناهِبْ
أخلِفْ وأتْلِفْ كلُّ شَيءٍ زَعْزَعَتْهُ الرِّيحُ ذَاهِبْ

﴿ خطبة شداد بن أوس ﴾

قال : قام شداد بن أوس . وقد أمره معاوية أن ينتقص عليا فقال :

الحمد لله الذى افترض طاعته على عباده ، وجعل رضاه عند أهل التقوى آثر من رضى خلقه ، على ذلك مضى أولهم ، وعليه يمضى آخرهم ؛ أيها الناس ، إن الآخرة وعد صادق ، يحكم فيها ملك قادر ، وإن الدنيا عرض حاضر ، يأكل فيها البر والفاجر ، وإن السامع المطيع لله لا حجة عليه . وإن السامع العاصى لله لا حجة له ؛ وإن الله إذا أراد بالعباد صلاحا عمل عليهم صلحاؤهم ، وقضى بينهم فقهاؤهم ، وملك المال سمحاؤهم ، وإذا أراد بهم شراً عمل عليهم سفهاؤهم ، وقضى بينهم جهلاؤهم ، وملك المال بخلاؤهم ، وان من صلاح الولاة أن يصلح قرناؤها ، ونصح لك يا معاوية من أسخطك بالحق ، وغشك من أرضاك بالباطل . قال : إجلس رحمك الله ، قد أمرنا لك بمال . قال : إن كان من مالك الذى تعهدت جمعه مخافة

تبعته فأصبته حلالا ، وأنفقته إفضالا، فنعم . وان كان مما شاركك فيه المسلمون فاحتجنته دونهم فأصبته اقترافا وأنفقته إسرافا فان الله يقول فى كتابه « إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين »

وأذن معاوية للاحنف بن قيس ، وقد وافى معاوية محمد بن الاشعث ، فقدمه عليه ، فوجد من ذلك محمد بن الاشعث ، واذن له فدخل فجلس بين معاوية والاحنف ، فقال معاوية : إنا والله ما أذنا له قبلك إلا ليجلس إلينا دونك ، وما رأيت أحداً يرفع نفسه فوق قدرها إلا من ذلة يجدها . وقد فعلت فعل من أحس من نفسه ذلا وضعة ، وإنا كما نملك أموركم نملك تأديبكم ، فأريدوا منا ما نريده منكم فانه أبقى لكم ، وإلا قصرنا كم كرها فكان أشد عليكم وأعنف بكم

وقال معاوية لرجل من أهل سبأ : ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة ! فقال : بل قومك أجهل ؟ قالوا حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الحق وأراهم البينات « اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » . ألا قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ؟

قال: ولما سقطت ثنيتا معاوية لف وجهه بعمامة ثم خرج إلى الناس فقال : لئن ابتليت لقد ابتلى الصالحون قبلى ، وإنى لأرجو أن أكون منهم ، ولئن عوقبت لقد عوقب الخاطئون قبلى ، وما آمن أن أكون منهم ، ولئن سقط عضوان منى لما بقى أكثر ، ولو أنى على نفسى لما كان لى عليه خيار تبارك وتعالى . فرحم الله عبداً دعا بالعافية ، فوالله لئن كان عتب علىّ بعض خاصتكم لقد كنت حدباً على عامتكم

ولما بلغت معاوية وفاة الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما دخل عليه ابن عباس فقال له معاوية : آجرك الله أبا العباس فى أبى محمد الحسن بن على — ولم يظهر حزناً — فقال ابن عباس : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وغلبه البكاء فرده

ثم قال : لا يسد والله مكانه حفرتك ، ولا يزيد موته فى أجلك ، والله لقد أصبنا بمن هو أعظم منه فقداً فما ضيعنا الله بعده . فقال له معاوية : كم كانت سنه ؟ قال : مولده أشهر من أن تتعرف سنه ! قال : أحسبه ترك أولاداً صغاراً ؟ قال : كلنا كان صغيراً فكبر ، ولئن اختار الله لأبى محمد ما عنده وقبضه إلى رحمته ، لقد أبقى الله أبا عبد الله ، وفى مثله الخلف الصالح

(وصية أعرابية لولدها)

الأصمعى عن أبان بن ثعلبة قال : مررت بامرأة بأعلى الأرض وبين يديها ابن لها يريد سفراً وهى توصيه فقالت : إجلس أمنحك وصيتى وبالله توفيقك . وقليل إجدائه عليك أنفع من كثير عقلك : إياك والنمائم فانها تزرع الضغائن ، ولا تجعل نفسك غرضاً للرماة ، فان الهدف إذا رمى لم يلبث أن ينثلم ، ومثل نفسك مثالا فما استحسنته من غيرك فاعمل به ، وما كرهته منه فدعه واجتنبه ؛ ومن كانت مودته بشره كان كالريح فى تصرفها . ثم نظرت فى فقالت : كأنك ياعراقى أعجبت بكلام أهل البدو ؟ ثم قالت لابنها : إذا هززت فهز كريماً فان الكريم يهتز لهزتك ، وإياك واللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها ؛ وإياك والعذر فإنه أقبح ما تعومل به ؛ وعليك بالوفاء ففيه النماء ؛ وكن بمالك جواداً وبدينك شحيحاً ؛ ومن أعطى السخاء والحلم فقد استجاد الحلة ، ريطتها وسربالها ؛ إنهض على اسم الله

وقال اعرابى لرجل مطله فى حاجة : إن مثل الظفر بالحاجة تعجيل اليأس منها إذا عسر قضاؤها ، وإن الطلب وان قل أعظم قدراً من الحاجة وإن عظمت ، والمطل من غير عسر آفة الجود

خطب الفضل الرقاشى إلى قوم من بنى تميم ، فخطب لنفسه ، فلما فرغ قام أعرابى منهم فقال : توسلت بحرمة ، وأدليت بحق ، واستندت إلى خير ، ودعوت الى سنة ، ففرضك مقبول ، وما سألت مبذول ، وحاجتك مقضية إن شاء الله تعالى . قال الفضل : لو كان الاعرابى حمد الله فى أول كلامه وصلى

على النبى ﷺ لفضحنى يومئذ

﴿ وصية الملك المنذر لولى عهده ﴾

المدائنى قال : قال المنذر بن المنذر لما حارب غسان بالشام لابنه النعمان يوصيه : إياك واطراح الاخوان واطراف المعرفة ؛ وإياك وملاحاة الملول، وممازحة السفيه ؛ وعليك بطول الخلوة والإكثار من السمر ، والبس من القِشر مايزينك فى نفسك ومروأتك ، واعلم أن جماع الخير كله الحياء ، فعليك به ، وتواضع فى نفسك ، وانخدع فى مالك ؛ واعلم أن السكوت عن الأمر الذى يعنيك خير من الكلام ، فإذا اضطررت إليه فتحر الصدق والإيجاز تسلم إن شاء الله تعالى

﴿ كلام فى تعزية بعض الملوك ﴾

قال : إن الخلق للخالق ، والشكر للمنعم ، والتسليم للقادر ، ولابد مما هو كائن ، وقد جاء مالا يرد ، ولا سبيل إلى رد ما قد فات ، وقد أقام معك ما سيذهب أو ستتركه ، فما الجزع مما لابد منه ؛ وما الطمع فيما لا يرجى ؛ وما الحيلة فيما سينقل عنك أو تنقل عنه ؟ وقد مضت أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد ذهاب الأصل ؟ أفضل الأشياء عند المصائب الصبر ، وإنما أهل الدنيا سفر لا يحلون الركائب إلا فى غيرها ، فما أحسن الشكر عند النعم ، والتسليم عند الغِيَرْ ، فاعتبر بمن رأيت من أهل الجزع فإن رأيت الجزع رد أحداً منهم إلى ثقة من درك فما أولاك به

واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف منها ، فاتق فان المرجع قريب

واعلم انه إنما ابتلاك المنعم ، وأخذ منك المعطى ، وما ترك أكثر ، فان نسيت الصبر فلا تنس الشكر ، وكلا فلا تدع ، واحذر من الغفلة استلاب النعم وطول الندامة ، فما أصغر المصيبة اليوم مع عظم الغنيمة غداً ، فاستقبل المصيبة بالحسبة تستخلف بها نعماً ، فإنما نحن فى الدنيا غرض يُنتضل فيه بالمنايا ونهب للمصائب ؛ مع كل جرعة شَرَقٌ ، ومع كل أكلة غَصَصٌ ، لاتنال نعمة إلا بفراق أخرى ، ولا يَستقبل مُعَمَّرٌ يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله ، ولا تحدث له

زيادة فى أكله إلا بنفاد ما قبله من رزقه ، ولا يحيى له أثر إلا مات له أثر ، ونحن أعوان الحتوف على أنفسنا ، وأنفسنا تسوقنا إلى الفناء ، فمن أين نرجو البقاء ؟ وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شيء شَرَفا إلا أسرعا الكرة فى هدم ما رفعا ، وتفريق ماجمعا ، فاطلب الخير من أهله ، واعلم أن خيراً من الخير معطيه ، وشراً من الشر فاعله

وقال أبو نواس :

أَتَتَبَّعُ الظُّرَفاءَ أَكْتُبُ عنهُمُ ... كَيْمَا أُحَدِّثُ مَنْ أُحِبُّ فَيَضْحَكا

وقال آخر :

قَدَرْتُ فلمْ أَتْرُكْ صلاحَ عَشِيرَتِى ... وما العَفْوُ إلاّ بَعْدَ قُدْرَةِ قادِرِ

وقال آخر :

أَخُو الجِدِّ إنّ جَدَّ الرِّجالُ وشَمَّرُوا ... وذُو باطِلٍ إنْ كانَ فِي القَوْمِ باطِلُ

قبيصة بن عمر المهلبى ان رجلا أتى ابن أبى عيينة فسأله أن يكتب إلى داود ابن يزيد كتابا ففعل وكتب فى أسفله :

إنّ امْرَأً قَذَفَتْ إليكَ بهِ ... فى البَحْرِ بَعْضُ مَرَاكِبِ البَحْرِ

تَجْرِى الرِّياحُ بهِ فنَحْمِلُهُ ... وتَكِفُّ أحْياناً فلاَ تَجْرِى

ويَرَى المَنِيَّةَ كلَّمَا عَصَفَتْ ... رِيحٌ بهِ لِلْهَوْلِ والذُّعْرِ

قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : ما وجد أحد فى نفسه كبرا إلا من مهانة يجدها فى نفسه

ودخل رجل من بنى مخزوم ، وكان زبيريا ، على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك : أليس قدردك الله على عقبيك ؟ قال : أو من رد اليك فقد رد على عقبيه ؟ فاستحيى وعلم انه قد أساء

وقال المخبل :

إذا أنْتَ لاقَيْتَ الرِّجالَ فلاَقِهِمْ ... وَعِرْضُكَ مِنْ غَثِّ الأُمُورِ سَلِيمُ

وقال النضر بن خالد :

كِبْرُهُ يَبْلُغُ الكَوَاكِبَ إلاَّ أنَّهُ فى مُرُوءَةِ البَقَّالِ

وقال خداش بن زهير :

النَّاسَ نَحْنُكَ أقْدَامٌ وأنْتَ لهُمْ رَأسٌ فكَيْفَ يُسَوَّى الرَّأسُ والقَدَمُ
إنَّا لَنَعْلَمُ أنَّا مَا بَقِيتَ لَنا فِينا السَّماحُ وفِينَا الجُودُ والكَرَمُ
وحَسْبُنا منْ ثَناءِ المَادِحِينَ إذا أثْنَوْا عَليْكَ بأنْ يَثْنُوا بِمَا عَلِمُوا

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : كانت قريش تألف منزل أبى بكر رضى الله تعالى عنه لخصلتين : للعلم والطعام ، فلما أسلم أسلم عامة من كان مجالسه

(بعض كلام الاعراب)

قال الأصمعى وقف أعرابى يسأل فقال :

ألاَ فَتًى أرْوَعُ ذُو جَمَالِ منْ عَرَبِ النَّاسِ أو المَوَالِى
يُعِينُنِي اليَوْمَ على عِيَالِي قدْ كَثَّرُوا هَمِّى وقَلَّ مَالِى
وسَاقَهُمْ جَدْبٌ وسُوءُ حالِ وقدْ مَلَلْتُ كَثْرَةَ السُّؤَالِ

وقال أعرابى :

يا ابْنَ الكِرَامِ وَالِداً وَوَلِدَا لا تَحْرِمَنَّ سَائِلاً تَعَمُّدَا
أفْقَرَهُ دَهْرٌ عليهِ قدْ عَدَا منْ بَعْدِ ما كانَ قَدِيماً سَيِّدَا

وقال أعرابى : اللهم إنى أسألك قلباً توابا أوّابا ، لا كافراً ولا مرتابا

وهب رجل لاعرابى شيأ فقال : جعل الله للخير عليك دليلا ، وجعل عندك رفدا جزيلا ، وأبقاك بقاء طويلا ، وأبلاك بلاء جميلا

وقف أعرابى على قوم فمنعوه فقال : اللهم اشغلنا بذكرك ، وأعذنا من سخطك وأولجنا الى عفوك ، فقد ضن خلقك برزقك ، فلا تشغلنا بما عندهم عن طلب ماعندك ، وآتنا من الدنيا القُنعان ، وإن كان كثيرها يسخطك ، فلا خير فيما يسخطك

الأصمعى قال : سمعت اعرابيا يدعو وهو يقول : اللهم اغفر لى إذا الصحف

منشورة ، والتوبة مقبولة ، قبل أن لا أقدر على استغفارك حين ينقطع الأمل ، ويحضر الاجل ، ويفنى العمل

وقال: سمعت اعرابيا يدعو وهو يقول : اللهم ارزقنى مالا أكبت به الاعداء وبنين أصول بهم على الأقوياء

وكان منادى سعد بن عبادة يقول على أطمه من : أراد خبزاً ولحماً فليأت أطم سعد . وخلفه قيس بن سعد ابنه ، وكان يفعل كفعله ، فاذا أكل الناس رفع يده إلى السماء وقال: اللهم إنى لا أصلح على القليل ولا يصلح القليل لى ، اللهم هب لى حمداً ومجداً ، لانه لا حمد إلا بفعال ، ولا مجد إلا بمال

وقال أعرابى : اللهم إن لك على حقوقا فتصدق بها علىّ ، وللناس على حقوقاً فأدها عنى ، وقد أوجبت لكل ضيف قرى وأنا ضيفك ، فاجعل قراى فى هذه الليلة الجنة

وقف أعرابى على قوم يسألهم فانشأ يقول :

هل مِنْ فَتًى عِنْدَهُ خُفَّانِ يَحْمِلُنِي ... عَلَيْهِما إِنَّنِي شَيْخٌ على سَفَرِ
أَشْكُو إِلَى اللهِ أَهْوَالاً أُمارِسُها ... منَ الصُّدَاعِ وأنى سَيِّئُ البَصَرِ
إذا سَرَى القومُ لَمْ أُبْصِرْ طَرِيقَهُمُ ... إِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ ضَوْءٌ منَ القَمَرِ

الأخفش قال : خرج أعرابى يطلب الصدقة ومعه ابنتان له ، فقالت ابنته لما رأت امساك الناس عنه :

يا أَيُّها الرَّاكِبُ ذُو التَّعْرِيسِ ... هلْ فِيكُمُ مِنْ طارِدٍ لِلْبُؤُسِ
عَنْ ذِي هُدَاجٍ بَيِّنِ التَّقْوِيسِ ... بِفَضْلِ مِرْبالٍ لَهُ دَرِيسِ
أَوْ فاضِلٍ مِنْ زَادِهِ خَسِيسِ ... أَثَابَهُ الرَّحْمٰنُ بالنَّفِيسِ

ووقف سائل على الحسن فقال : رحم الله عبداً أعطى من سعة ، أو آسى من كفاف ، أو آثر من قلة

وقال الطائى [حبيب بن أوس أبو تمام]

فتًى كلّما فاضَتْ عُيُونُ قَبِيلةٍ ... دَمًا ضحكَتْ عنهُ الأَحادِيثُ والذِّكْرُ
فتًى ماتَ بينَ الطعْنِ والضرْبِ ميتَةً ... تَقُومُ مَقامَ النصْرِ إذْ فاتَهُ النَّصْرُ

وقال :

بِكْرٌ إذا ابْتَسمتْ أراكَ وَمِيضُها ... نَوْرَ الأَقاحِ بِرَمْلَةٍ مِيعَاسِ (١)
وإذا مَشَتْ تَرَكَتْ بِصَدْرِكَ ضِعْفَ ما ... بِحُلِيِّها مِنْ كَثْرَةِ الوَسْوَاسِ
قالَتْ وقَدْ حُمَّ الفِرَاقُ فَكَأْسُهُ ... قَدْ خُولِطَ السَّاقِي بِهَا والحَامِسِ
لاتَنْسَيَنْ تِلْكَ العُهُودَ فإنما ... سُمِّيتَ إنْسَانًا لِأَنَّكَ ناسِ
هَدَأَتْ عَلى تَأْمِيلِ أَحْمَدَ هِمَّتِي ... وأَطَافَ تَقْلِيدِي بِها وَقِيَاسِي
نَوْرُ العَرَارَةِ نَوْرُهُ ونَسِيمُهُ ... نَشْرُ الخُزَامَى فِي اخْضِرَارِ الآسِ
إقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ ... فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ
لاتُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ ... مَثَلاً شَرُوداً فِي النَّدَى والْبَاسِ
فاللهُ قَدْ ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنُورِهِ ... مَثَلاً مِنَ المِشْكَاةِ والنِّبْرَاسِ

وقال :

إحْفَظْ رَسَائِلَ شِعْرٍ فِيكَ ما ذَهَبَتْ ... خَوَاطِرُ البَرْقِ إلاّ دُونَ ما ذَهَبَا
يَغْدُونَ مُغْتَرِباتٍ فِي البِلادِ فَمَا ... يَزَلْنَ يُؤْنِسْنَ فِي الآفَاقِ مُغْتَرِبَا
ولاتُضِيعُهَا فَمَا فِي الأَرْضِ أَحْسَنُ مِنْ ... نَظْمِ القَوَافِي إذَا مَا صَادَفَتْ أَدَبَا

أسر رؤبة فى بعض حروب تميم فمنع الكلام فجعل يصرخ : يا صاحباه ، يابنى تميم ، أطلقوا من لسانى

وربما قال الشاعر فى هجائه قولا لا يعيب به المهجو فيمتنع من فعله المهجو وإن كان لا يلحق فاعله ذم ، وكذلك إذا مدحه بشئ أولع بفعله وإن كان لا يصير إليه بفعله مدح ، فمن ذلك تقدم كلثم بنت سُريع مولى عمرو بن حُريث الى

(١) رملة ميعاس : قد سحها المطر

عبد الملك بن عمير وهو على قضاء الكوفة تخاصم أهلها ، فقضى لها عبد الملك على أهلها ، فقال هذيل الأشجعى :

أتاهُ وليدٌ بالشُّهودِ يقُودُهمْ ... على ما ادَّعَى من صامتِ المالِ والخَوَلْ
وجاءتْ إليهِ كلثمٌ وكلامُها ... شفاءٌ منَ الداءِ المُخامِرِ والخَبَلْ
فأدْلَى وليدٌ عِنْدَ ذاكَ بحقِّهِ ... وكانَ وليدٌ ذا مِرَاءٍ وذا جَدَلْ
وكان لها دَلٌّ وعينٌ كحيلةٌ ... فأدْلتْ بحُسْنِ الدَّلِّ منها وبالكَحَلْ
ففتَّنَتِ القبْطىَّ حتى قضى لها ... بغيرِ قضاءِ اللهِ فى السُّوَرِ الطُّوَلْ
فلوْ كانَ مَنْ بالقَصْرِ يَعلمُ عِلمَهُ ... لَما استَعْمَلَ القبْطىُّ فينا على عَمَلْ
لهُ حِينَ يَقْضِى لِلنساءِ تخاوُصٌ ... وكانَ وما فيهِ التَّخاوُصُ والحَوَلْ
إذا ذاتُ دَلٍّ كلَّمَتْهُ بحاجةٍ ... فَهَمَّ بأنْ يَقْضِي تَنحنَحَ أو سَعَلْ
وبرَّقَ عَينَيْهِ ولاكَ لِسانَهُ ... يَرَى كلَّ شَىْءٍ ماخلا شَخْصَها جَلَلْ

قال : فقال عبد الملك : أخزاه الله [والله] لربما جاءتنى السعلة أو النحنحة وأنا فى المتوضأ فأذكر قوله فأردها لذلك

وزعم الهيثم بن عدى عن أشياخه أن الشاعر لما قال فى شهر بن حوشب :

لقَدْ باعَ شهْرٌ دينَهُ بخَرِيطَةٍ ... فمَنْ يأمَنِ القُرَّاءَ بَعْدَكَ يا شهْرُ

مامس خريطة حتى مات

وقال رجل من بنى تغلب ، وكان ظريفا : مالقى أحد من تغلب مالقيت أنا ،

قلت: وكيف ذاك ؟ قال : قال الشاعر :

لا تَطْلُبَنَّ خُوَّلةً فى تَغْلِبِ ... فالزَّنْجُ أكْرَمُ منهُمُ أخْوَالا
لوْ أنَّ تَغلِبَ جُمِّعَتْ أحْسابُها ... يَوْمَ التَّفاخُرِ لم يَزِنْ مِثْقالا
تَلْقاهُمُ حُلَماءَ عَنْ أعْدائِهِمْ ... وعلى الصَّدِيقِ تَرَاهُمُ جُهَّالا
والتَّغلِبِىُّ إذا تَنحنَحَ لِلْقِرَى ... حَكَّ اسْتَهُ وتَمَثَّلَ الأمْثالا

والله إنى لأتوهم أن لو نهشت استى الأفاعى ما حككتها

﴿ كلام فى مقامات الشعراء فى الجاهلية والاسلام ﴾

كان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب ، وهم إليه أحوج لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم ، فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر

والذين هجوا فوضعوا من قدر من هجوه ، ومدحوا فرفعوا من قدر من مدحوه ، وهجاهم قوم فردوا عليهم فأفحموهم ، وسكت عنهم بعض من هجاهم مخافة التعرض لهم ، وسكتوا عمن هجاهم رغبة بأنفسهم عن الرد عليهم ، وهم فى الاسلام : جرير ، والفرزدق ، والأخطل ؛ وفى الجاهلية : زهير ، وطرفة ، والأعشى ، والنابغة ؛ هذا قول أبى عبيدة

وزعم أبو عمرو بن العلاء : أن الشعر فتح بامرئ القيس ، وختم بذى الرمة

ومن الشعراء من يحكم القريض ولا يحسن من الرجز شيئاً ، ففى الجاهلية منهم : زهير ، والنابغة ، والأعشى . وأما من يجمعهما : فامرؤ القيس ، وله شىء من الرجز ؛ وطرفة ، وله كمثل ذلك ، ولبيد وقد أكثر . ومن الاسلاميين من لا يقدر على الرجز وهو فى ذلك يجيد القريض : كالفرزدق ، وجرير ؛ ومن يجمعهما كأبى النجم ، وحميد الأرقط ، والعمانى ، وبشار بن برد . وأقل من هؤلاء يحكم القصيد ، والارجاز ، والخطب . وكان الكميت ، والبعيث ، والطرماح شعراء خطباء ، وكان البعيث أخطبهم ، وقال يونس : إن كان مغلباً فى الشعر لقد كان غلب فى الخطب . وإذا قالوا : غلب فهو الغالب

وقال الحسين بن مطير الأسدى :

فيا قبرَ مَعْنٍ كنتَ أوَّلَ حُفْرَةٍ ... من الأرضِ خُطَّتْ لِلْمَكارِمِ مَضْجَعا

فلمَّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الجُودُ والنَّدَى ... وأصْبَحَ عِرْنِينُ المَكارِمِ أجْدَعا

فَيَّ عِيشَ فى مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ... كما كانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعا

تَعَزَّ أبا العَبَّاسِ عَنْهُ ولا يَكُنْ ... جَزَاؤُكَ من مَعْنٍ بأنْ تَتَضَعْضَعا

فما ماتَ مَنْ كُنْتَ ابنَهُ لا ولا الذِى ... لهُ مِثْلُ ما أسْدَى أبُوكَ وما سَعَا
تمنَّى أُناسٌ شأوَهُ منْ ضَلالِهِمْ ... فأضْحَوْا على الأذْقانِ صَرْعَى وظُلِّعا

وقال مسلم الأنصارى يرثى يزيد بن مزيد :

قَبرٌ بِبرْدَعة استَسَرَّ ضَريحُهُ ... خَطَراً تقاصَرُ دُونَهُ الأخْطارُ
أبقَى الزَّمانُ على معَدٍّ بَعْدَهُ ... حُزْناً لَعمْرُ الدَّهرِ ليْسَ يُعارُ
نَفَضَتْ بِكَ الآمالُ أحْلاسَ الغِنى ... واسترْجَعَتْ نُزَّاعَها الامْصارُ
فاذْهَبْ كما ذَهَبَتْ غَوادِى مُزْنةٍ ... أثْنَى عَليها السَّهْلُ والأوعارُ

وقال هاشم الرقاشى :

أبْلِغْ أبا مِسمَعٍ عَنِّى مُغَلْغَلةً ... وفى العِتابِ حَياةٌ بَيْنَ أقْوامِ
قَدَّمْتَ قَبْلِى رِجالاً لم يَكُنْ لهُمُ ... فى الحَقِّ أنْ يَلِجُوا الابْوابَ قدَّامى
لوْ عُدَّ قبرٌ وقبرٌ كُنْتَ أكْرَمَهُمْ ... قبراً وأبْعَدَهُمْ من مَنزِلِ الذَّامِ
حتى جَعَلْتُ إذا ماحاجةٌ عَرَضَتْ ... بِبابِ قَصْرِكَ أدلُوها بأقْوامِ

وقال الأبيرد الرياحى يرثى أخاه :

فتًى إنْ هو اسْتَغنى تَخَرَّقَ فى الغِنى ... وإنْ قَلَّ مالٌ لم يؤدْ مَتْنَهُ الفقْرُ
وسامَى جَسِيماتِ الأُمُورِ فنالها ... على العُسرِ حتى يُدْرِكُ العُسْرَةَ اليُسرُ
تَرَى القَوْمَ فى العَزاءِ يَنْتَظِرُونَهُ ... إذا شَكَّ رَأْىُ القَوْمِ أوحَزَبَ الامرُ
فَلَيْتَكَ كُنْتَ الحَىَّ فى النَّاسِ باقِياً ... وكُنْتُ أنا المَيتَ الَّذِى غَيَّبَ القَبرُ
لقد كُنْتُ أسْتَغْنِى الإلٰهَ إذا اشْتَكَى ... مِنَ الاجْرِ لى فِيهِ وإنْ سَرَّنى الاجْرُ
وأجْزَعُ أنْ يَنَاى بِهِ بينُ لَيْلةٍ ... فَكَيْفَ ببَينٍ صارَ مِيعادَهُ الحَشْرُ

وقال أبو عبيدة: أنشدنى رجل من بنى عجل :

وكُنْتُ أعيرُ الدَّمْعَ قَبْلَكَ مَنْ بَكى ... فأنْتَ على مَنْ ماتَ بَعْدَكَ شاغِلُهْ
لقدْ رَحَلَ الحَىُّ المُقِيمُ وودَّعُوا ... فَمَنْ لم يَكُنْ بإزَائِهِ مَنْ يُنازِلُهْ
ولم يَكُ يَخشَى الجارُ مِنْهُ إذا دَنا ... أذاهُ ولا يَخشَى الحَرِيمَةَ سائِلُهْ

فتًى كانَ لِلْمَعْرُوفِ يَبْسِطُ كَفَّهُ إذا قَبِضَتْ كَفُّ البَخِيلِ ونائِلُهْ

قال : دخل معن بن زائدة على أبي جعفر المنصور فتارب فى خطوه ، فقال المنصور : لقد كبرت سنك ! قال : فى طاعتك ، قال : وإنك لَجَلْدٌ ، قال : على أعدائك ، قال : وأرى فيك بقية ! قال : هى لك

﴿ كتاب عبد الملك الى عمرو بن سعيد الأشدق ﴾

قال : كتب عبد الملك بن مروان إلى عمرو بن سعيد الأشدق حين خرج عليه : أما بعد فإن رحمتى لك تصرفني عن الغضب عليك ، لتمكن الخدع منك ، وخذلان التوفيق إياك ؛ نهضت بأسباب وهمتك أطماعك أن تستفيد بها عزًّا كنت جديراً لو اعتدلت أن لا تدفع بها ذلاً ، ومن رحل عنه حسن النظر واستوطنته الأمانى ، ملك الحين تصريفه ، واستترت عنه عواقب أمره ، وعن قليل يتبين من سلك سبيلك ، ونهض بمثل أسبابك ، انه أسير غفلة ، وصريع خدع ، ومغيض ندم ، والرحم تحمل على الصفح عنك ، ما لم تحلل بك عواقب جهلك ، وتزجر عن الإيقاع بك ؛ وأنت إن ارتدعت كنت فى كنف وستر ، والسلام

﴿ رد عمرو بن سعيد على عبد الملك ﴾

فكتب إليه عمرو : أما بعد فإن استدراج النعم إياك أفادك البغى ، ورائحة القدرة أورثتك الغفلة ، زجرت عما واقعت مثله ، وندبت إلى ما تركت سبيله ، ولو كان ضعف الأسباب يؤيس الطلاب ما انتقل سلطان ، ولا ذل عزيز ؛ وعن قليل تتبين مَن أسير الغفلة ، وصريع الخدع ، والرحم تعطف على الإبقاء عليك مع دفعك عَمًّا غيرك أقْوَم به منك . والسلام

﴿ كتاب عمر بن عبد العزيز الى عمر بن الوليد ﴾

قال أبو الحسن : كتب عمر بن عبد العزيز الى عمر بن الوليد بن عبد الملك : أما بعد فانك كتبت تذكر أن عاملا أخذ مالك بالحمية ، وتزعم أنى من الظالمين ! وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من أمَّرَك صبيًّا سفيهاً على جيش من جيوش المسلمين

لم تكن له فى ذلك نية إلا حب الوالد لولده ، وإن أظلم منى وأترك لعهد الله لأنت ، فأنت عمر بن الوليد وأمك صَنَّاجة تدخل دور حمص وتطوف فى حوانيتها ، رويدك أن لو قد التقت خلقتا البطان لحملتك وأهل بيتك على المحجة البيضاء ؛ فطالما ركبتم نَذَيَّاتِ الطريق ، مع أنى قد هممت أن أبعث إليك من يحلق دلادلك ؟ فإنى أعلم أنها من أعظم المصائب عليك ، والسلام

﴿ شدة مراقبة عبد الملك لولاته ﴾

قال أبو الحسن : كان عبد الملك بن مروان شديد اليقظة ، كثير التعاهد لولاته ، فبلغه أن عاملا من عماله قبل هديةً فأمر بإشخاصه إليه ، فلما دخل عليه قال له : أقبلت هدية منذ وليتك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، بلادك عامرة ، وخراجك موفور ، ورعيتك على أفضل حال . قال أجب فيما سألتك عنه ، أقبلت هدية منذ وليتك ؟ قال : نعم ، قال : لئن كنت قبلت ولم تعوض إنك للئيم ، ولئن أنلت مهديك لا من مالك أو استكفيته ما لم يكن يستكفاه إنك لجائر خائن ، ولئن كان مذهبك أن تعوض المهدى إليك من مالك وقبلت ما انهمك به عند من استكفاك وبسط لسان عائبك وأطمع أهل عملك إنك لجاهل ، وما فيمن أتى أمراً لم يخلُ فيه من دناءة ، أو خيانة ، أو جهل مُصْطَنَعٌ ؛ نحياه عن عمله

قال أبو الحسن : عرض أعرابى لعتبة بن أبى سفيان وهو على مكة فقال : أيها الخليفة ، قال : لستُ به ولم تبعد ، قال : يا أخاه ، قال : أسمعتَ فقل ، قال : شيخ من بنى عامر ، يتقرب إليك بالعمومة ، ويختص بالخؤلة ، ويشكو إليك كثرة العيال ، ووطأة الزمان ، وشدة فقر ، وترادف ضر ، وعندك ما يسعه ويصرف عنه بؤسه ، قال : استغفر الله منك وأستعينه عليك ، قد أمرت لك بغناك ، وليت إسراعى إليك يقوم بإبطائى عنك

وقال أعرابى يعيب قوماً : هم أقل الناس ذنوباً الى أعدائهم ، وأكثرهم جرماً الى أصدقائهم ، يصومون عن المعروف ، ويفطرون على الفحشاء

وقال مجاعة بن مرار لأبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه : إذا كان الرأى عند من لا يقبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، وكان المال عند من لا ينفقه ، ضاعت الأمور

الأصمعى قال : نعت أعرابى رجلا فقال : كأن الألسن والقلوب ريضت له ، فما تنعقد إلا على وده ، ولا تنطق إلا بثنائه

وقال أعرابى : وعد الكريم نقد وتعجيل ، ووعد اللئيم مطل وتعليل

أتى أعرابى عمر بن عبد العزيز فقال : رجل من أهل البادية ، ساقته الحاجة ، وانتهت به الفاقة ، والله يسألك عن مقامى غداً . فبكى عمر

وقال الشاعر :

وَمَنْ يُبْقِ مالاً عُدَّةً وصِيانةً ... فَلا البُخْلُ مُبْقِيهِ ولا الدَّهْرُ وافِرُهْ

وَمَنْ يَكُ ذَا عُودٍ صَلِيبٍ يُعِدُّهُ ... لِيَكْسِرَ عُودَ الدَّهرِ فالدَّهرُ كاسِرُهْ

وقال أبان بن الوليد لإياس بن معاوية : أنا أغنى منك ، فقال إياس : بل أنا أغنى منك ، قال أبان : وكيف ؟ ولى كذا وكذا ، وعدّد أموالا ، قال : إن كسبك لا يفضل عن مؤنتك ، وكسبى يفضل عن مؤنتى

وكان يقال : حاجب الرجل عامله على عرضه

وقال أبو الحسن : رأيت امرأة أعرابية غمضت ميتاً وترحمت عليه ثم قالت : ما أحق من ألبس العافية ، وأطيلت له النَّظِرَةَ أن لا يعجز عن النظر لنفسه قبل الحلول بساحته ، والحيالة بينه وبين نفسه ! ؟

وقال ابن الزبير لمعاوية ، حين أراد أن يبايع لابنه يزيد : أتقدم ابنك على من هو خير منه ؟ قال : كأنك تريد نفسك ؟ إن بيته بمكة فوق بيتك ! قال ابن الزبير : إن الله رفع بالاسلام بيوتاً فبيتى مما رفع . قال معاوية : صدقت ، وبيت حاطب بن أبى بلتعة

وقال : عاتب أعرابى أباه فقال : إن عظيم حقك علىّ لا يذهب صغير حقى

عليك ، والذى تَمُتُّ إلىّ به أمُتُّ بمثله إليك ، ولست أزعم أنا سواء ، ولكنى أقول : لا يحل لك الاعتداء

قال : مدح رجل قوماً فقال : أدبتهم الحكمة ، وأحكمتهم التجارب ، ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسويف الذى قطع الناس به آجالهم ، فأحسنوا المقال ، وشفعوه بالفعال

وقال بعض الحكماء : التواضع مع السخافة والبخل أحمد عند العلماء من الكبر مع السخاء والأدب ، فأعظمْ بحسنة عفتْ عن سيئتين ، وأفظع بعيب أفسد من صاحبه حسنتين

وقيل لرجل : مات صديق لك فقال : رحمة الله عليه ، لقد كان يملأ العين جمالا ، والأذن بياناً ، ولقد كان يرجى فلا يخشى ، ويخشى فلا يغشى ، ويعطى ولا يعطى ، قليلا لدى الشرّ حضورهُ ، سليما للصديق ضميره

وقام أعرابى ليسأل فقال : أين الوجوه الصباح ، والعقول الصحاح ، والألسن الفصاح ، والأنساب الصراح ، والمكارم الرباح ، والصدور الفساح ؟ تعيذنى من مقامى هذا ؟

ومدح بعضهم رجلا فقال : ما كان أفسح صدره ، وأبعد ذكره ، وأعظم قدره ، وأنفذ أمره ، وأعلى شرفه ، وأربح صفقة من عرفه ، مع سعة الغَناء ، وعظم الإناء ، وكرم الآباء

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لصعصعة بن صوحان : والله ما علمتك إلا أنك كثير المعونة ، قليل المؤنة ، فجزاك الله خيراً ، فقال صعصعة : وأنت فجزاك الله أحسن من ذلك ، فإنك ما علمتك بالله عليم ، والله فى عينك عظيم

﴿ وصية عبد الملك بن صالح العباسى لابنه ﴾

قال أبو الحسن : أوصى عبد الملك بن صالح [1] إبناً له فقال : أى بنىّ ،

(١) عبد الملك بن صالح : هو عبد الملك بن صالح بن على بن عبدالله بن عباس . يكنى أبا عبد الرحمن . كان من عظماء العباسيين ومن أجلاء ولاتهم ، ولى المدينة وقاد الصوائف للرشيد، ثم ولى الشام والجزيرة للأمين

حدث عن أبيه وعن مالك بن أنس . وكان من أفصح الناس وخطبائهم ، وكان نادر المثال في جلالته وعظيم قدره وصيانته . قيل ليحيى بن خالد البرمكى : كيف ولاه الرشيد المدينة من بين عماله ؟ فقال : أحب أن يباهي به قريشا ويعلمهم أن في بنى العباس مثله . وقد جعل الرشيد ولده القاسم في حجره . ولما عهد الرشيد الى ولديه الأمين والمأمون بالولاية بعده قال عبد الملك يحضه على العهد للقاسم معهما :

يا أيها الملك الذى لو كان نجما كان سعدا
للقاسم اعقد بيعة واوقد له في الملك زندا
الله فرد واحد فاجعل ولاة العهد فردا

فعهد الرشيد إليه معهما . ثم وشى به واش عند الرشيد فتنكر له ثم رضى عنه بعد خطب . وله فى هذا الرضا رواية حكاها اسحق بن ابرهيم الموصلى فقال :

دعانى جعفر بن يحيى البرمكى إلى منزله حتى نخلوا جميعا ، ونتغنى ونأخذ في شأننا بقية يومنا ، فلما صرنا إلى منزله طرحنا ثيابنا ودعا بالطعام فطعمنا ، وأمر باخراج الجوارى وقال : لتبرزن فليس عندنا من تحتشمن منه . فلما وضع الشراب دعا بقميص حرير فلبسه ودعا بخلوق فتخلق به، ثم دعا بمثل ذلك ، وجعل يغنينى وأغنيه ، ثم دعا بالحاجب فتقدم إليه وأمره بأن لا يأذن لأحد من الناس كلهم ، وإن جاء رسول أمير المؤمنين أعلمه أنه مشغول ، واحتاط في ذلك وتقدم فيه إلى جميع الحجاب والخدم ، ثم قال : إن جاء عبدالملك فأذنوا له — يعنى رجلا كان يأنس به ويمازحه ويحضر خلواته — ثم أخذنا في شأننا ، فوالله إنا لعلى حالة سارة عجيبة إذ رفع الستر ، وإذا عبدالملك بن صالح الهاشمى قد أقبل ، وغلط الحاجب ولم يفرق بينه وبين الذى يأنس به جعفر بن يحيى — وكان عبدالملك بن صالح الهاشمى من جلالة القدر والتقشف وفي الامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل ، وكان أمير المؤمنين قد اجتهد به أن يشرب معه أو عنده قدحا فلم يفعل ذلك ، رفعا لنفسه — فلما رأيناه مقبلا أقبل كل منا ينظر إلى

صاحبه ، وكاد جعفر أن ينشق غيظاً ، وفهم الرجل حالنا فأقبل نحونا حتى إذا صار إلى الرواق الذى نحن فيه نزع قلنسيته فرمى بها مع طيلسانه جانبا ثم قال : أطعمونا شيئاً ؟ فدعا له جعفر بالطعام وهو منتفخ غضباً وغيظاً ، فطعم ، ثم دعا برطل فشربه ، ثم أقبل الى المجلس الذى نحن فيه فأخذ بعضادتى الباب ثم قال : أشركونافيما أنتم فيه ؟ فقال له جعفر : أدخل . ثم دعا بقميص حرير وخلوق فلبس وتخلق ، ثم دعا برطل ورطل حتى شرب عدة أرطال ، ثم اندفع ليغنينا فكان والله أحسننا جميعاً غناء ، فلما طابت نفس جعفر وسرى عنهما كان به إلتفت إليه فقال له : إرفع حوائجك؟ فقال : ليس هذا موضع حوائج . فقال : لتفعلن ؟ ولم يزل يلح عليه حتى قال له : أمير المؤمنين على واجد ، فأحب أن ترضاه ؟ قال : فان أمير المؤمنين قدرضى عنك ، فهات حوائجك ؟ فقال : هذه كانت حاجتى . قال : إرفع حوائجك كما أقول لك ؟قال : على دين فادح . قال : هذه أربعة آلاف ألف درهم ، فان أحببت أن تقبضها فاقبضها من منزلى الساعة ، فانه لم يمنعنى من إعطائك إياها إلا أن قدرك يجل على أن يصلك مثلى ، ولكنى ضامن لها حتى تحمل من مال أمير المؤمنين غدا ؛ فسل أيضاً ؟ قال : إبنى تكلم أمير المؤمنين حتى ينوه باسمه ؟ قال : قد ولاه أمير المؤمنين مصر ،وزوجه بنته العالية ،ومهرها ألفى ألف درهم .(قلت :والذى تولى مصر هوابرهيم بن عبدالملك بن صالح)

قال اسحق : فقلت فى نفسى : قد سكر الرجل ، أعنى جعفرا ، فلما أصبحت لم تكن لى همة إلا حضور دار الرشيد . وإذا قد بكر ، ووجدت في الدار جلبة وإذا أبو يوسف القاضى ونظراؤه قد دعابهم ، ثم بعبد الملك بن صالح وابنه فدخلا على الرشيد فقال الرشيد لعبد الملك : إن أمير المؤمنين كان واجدا عليك ، وقد رضى عنك ، وأمر لك بأربعة الآلاف ألف درهم فاقبضها من جعفر بن يحيى الساعة ، ثم دعا بابنه فقال : إشهدوا أنى قد زوجته العالية بنت أمير المؤمنين وأمهرتها عنه ألفى ألف درهم من مالى ، ووليته مصر

قال اسحق : فلما خرج جعفر بن يحيى سألته عن الخبر فقال : بكرت على أمير المؤمنين فحكيت له ما كان منا وما كنا فيه حرفا حرفا ، ووصفت له دخول عبدالملك وما صنع فعجب لذلك وسر به ، ثم قلت له : قد ضمنت له عنك ياأمير المؤمنين ضمانا ، فقال : ماهو ؟ فأعلمته . قال : أوف له بضمانك ، وأمر باحضاره فكان مارأيت

ثم غضب عليه الرشيد وتنكر له فحبسه عند الفضل بن الربيع

وكتب إلى الرشيدوهو متنكر له :

أخلاى لى شجو وليس لكم شجو وكل امرئ من شجو صاحبه خلو
من اى نواحى الأرض أبغى رضا كم وأنتم أناس مالمرضاتكم نحو
فلا حسن نأتى به تعرفونه ولا إن أسأنا كان عندكم عفو

فلما وقف عليها الرشيد قال : والله إن كان قالها فقد أحسن ، وإن كان رواها فقد أحسن. وكتب إليه من السجن :

قل لأمير المؤمنين الذى يشكره الصادر والوارد
ياواحد الأملاك فى فضله مالك مثلى فى الورى واحد
إن كان لى ذنب ولاذنب لى حقا كما قد زعم الحاسد
فلا يضق عفوك عنى فقد فاز به المسلم والجاحد

ومن شعره وهو فى السجن :

لئن ساءنى سجنى لفقد أحبتى وأنى فيهم لا أمر ولا أحلى
فقد سرنى عزى بترك لقائهم وماانشكى من حجابى ومن ذلى

ولم يزل في محبسه حتى أطلقه الأمين بعد وفاة الرشيد وعقد له على الشام . ولعبدالملك كلام عجيب فى الحقد ، وهو أول من مدحه . قيل له : إن أخاك عبدالله يزعم أنك حقود فقال : إن كان الحقد بقاء الشر والخير لأهلهما إنهما عندى لباقيان :

إذا ما امرؤ لم يحقد الوتر لم تجد لديه لدى النعماء حمدا ولا شكرا

ومن هنا أخذ ابن الرومى قوله :

وخير سجيات الرجال سجية توقيك ماتسدى من القرض والفرض
وما الحقد إلا توأم الشكر في الفتى وبعض السجايا ينتسبن الى بعض
فحيث ترى حقدا على ذى إساءة فثم ترى شكرا على حسن القرض
إذا الأرض أدت ريع ماأنت زارع من البذر فيهافهى ناهيك من أرض
ولولا الحقود المستكنات لم يكن لينقض وترا آخر الدهر ذو نقض

وعبدالملك أول من ذم الشورى واحتج للاستبداد ، قال : ما ستشرت أحدا قط إلا تكبر عليك وتصاغرت لديه ، وداخلته العزة وداخلتك الذلة ، فعليك بالاستبداد فان صاحبه مبجل فى العيون ، مهيب فى الصدور ، وإذا افتقرت الى العقول حقرتك العيون ، فيتضعضع شأنك ، وتخف بك أركانك ، ويستحقرك الصغير ، ويستخف بك الكبير

مات فى أواخر أيام الأمين سنة ١٩٦ هـ ٨١١ م

إحلم فإن من حلم ساد ، ومن تفهم ازداد ، والقَ أهل الخير فإن لقاءهم عمارة للقلوب ، ولا تجمح بك مطية اللجاج ، وفِيكَ مَن أعتبك ، والصاحب المناسب لك ، والصبر على المكروه يعصم القلب ، المزاح يورث الضغائن ، وحسن التدبير مع الكفاف خير من الكثير مع الاسراف ، والاقتصاد يثمر القليل ، والاسراف يبير الكثير ، ونعم الحظ القناعة ، وشر ما صحب المرء الحسد ، وما كل عورة تصان ، وربما أبصر العَمِيُّ رشده ، وأخطأ البصير قصده ، والياس خير من الطلب إلى الناس ، والعفة مع الحرفة خير من الغنى مع الفجور ؛ أرفق فى الطلب ، وأجمل فى المكسب ؛ فإنه رُب طلب قد جر إلى حَرَبٍ ؛ ليس كل طالب بمنجح ، ولا كل مُلحٍّ بمحتاج ، والمغبون من غبن نصيبه من الله ، عاتب من رجوت عُتباه ، وفاكه من أمنت بلواه ؛ لا تكن مِضْحاكاً من غير عجب ، ولا مَشاءً إلى غير أرب ، ومن نأى عن الحق أضاق مذهبه ، ومن اقتصر على حاله كان أنعم لباله ، لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك ، فإنه إنما سعى فى مضرته ونفعك ، وعود نفسك السماح ، وتخير لها من كل خُلق أحسنه ، فإن الخير عادة ، والشر لجاجة ، والصدود آية المقت ، والتعلل آية البخل ، ومن الثقة كتمان السر ، ولقاح المعرفة دراسة العلم ، وطول التجارب زيادة فى العقل ، والقناعة راحة الأبدان ، والشرف التقوى ، والبلاغة معرفة رتق الكلام وفتقه ؛ بالعقل تستخرج الحكمة ، وبالحلم يستخرج غور العقل ؛ ومن شمر فى الأمور ، ركب البحور ؛ شر القول ما نقض بعضه بعضاً ؛ ومن سعى بالنميمة حذره البعيد ومقته القريب ؛ من أطال النظر بإرادة تامة أدرك الغاية ، ومن توانى فى نفسه ضاع ؛ من أسرف فى الأمور انتشرت عليه ، ومن اقتصد اجتمعت له ، واللجاجة تورث الضياع للأمور ، غبُّ الأدب أحمد من ابتدائه ، مبادرة الفهم تورث النسيان ، سوء الاستماع يعقب العى ، لا تحدث من لا يقبل بوجهه عليك ، ولا تنصت لمن لا ينمى بحديثه اليك ، البلادة للرجل هُجنة ، قلَّ مالكٌ إلا استأثر ، وقل

عاجز إلا تأخر ، الاحجام عن الأمور يورث العجز ، والاقدام عليها يورث اجتلاب الحظ ، سوء الطعمة يفسد العرض ، ويخلق الوجه ، ويمحق الدين ، ألهيبة قرين الحرمان ، والجسارة قرين الظفر ، وفيك من أنصفك ، وأخوك من عاتبك ، وشريكك من وفى لك ، وصفيك من آثرك ، أعدى الاعداء العقوق ؛ إتباع الشهوة يورث الندامة ، وفوت الفرصة يورث الحسرة ، جماع أركان الأدب : التأنى للرفق ، أكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك الى الرغائب ، فانك لا تجد بما تبذل من دينك ونفسك عوضاً ، لا تباعد النساء فيملنك ، واستبق من نفسك بقية فانهن إن يرين أنك ذو اقتدار خير من أن يطلعن منك على انكسار ، لا تملك المرأة الشفاعة لغيرها فتميل من شفعت لها عليك معها

أى بنى ، إنى قد اخترت لك الوصية ، ومحضتك النصيحة ، وأديت الحق إلى الله فى تأديبك ، فلا تغفلن الأخذ بأحسنها والعمل بها ، والله موفقك

قال الغنوى : احتضر رجل منا فصاحت ابنته ففتح عينيه وهو يكيد بنفسه فقال :

عزاء لا أبا لكِ إن شيئاً تولّى ليس يرجعهُ الحنينُ

وقال بعض الشعراء :

وما إنْ قتلناهُمْ بأكثرَ منهُمُ ولكنْ بأوفى بالطّعانِ وأكرما

المدائنى قال : كان يقال : إذا انقطع رجاؤك من صديقك فألحقه بعدوك

وقال عبد الملك بن صالح : لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانما سعى فى مضرته ونفعك

وقال مصعب بن الزبير : التواضع أحد مصائد الشرف

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إياك ومؤاخاة الاحمق فانه ربما أراد أن ينفعك فضرك

وكانوا يقولون : عشر فى عشرة هى فيهم أقبح منها فى غيرهم : الضيق فى الملوك ، والغدر فى ذوى الاحساب ، والحاجة فى العلماء ، والكذب فى القضاة ، والغضب فى ذوى الألباب ، والسفاهة فى الكهول ، والمرض فى الأطباء ، والاستهزاء فى أهل البؤس ، والفخر فى أهل الفاقة ، والشح فى الأغنياء

ووصف بعض الاعراب فرساً فقال : قد انتهى ضموره ، وذبل فريره ، وظهر حصيره ، وتفلقت غروره ، واسترخت شاكلته ، يقبل بزور الأسد ، ويدبر بعجز الذئب

ومات ابن لسليمان بن على فجزع عليه جزعا شديداً ، وامتنع من الطعام والشراب ، وجعل الناس يعزونه فلا يحفل بذلك ، فدخل عليه يحيى بن منصور فقال : عليكم نزل كتاب الله ، فأنتم أعلم بفرائضه ، ومنكم كان رسول الله ﷺ فأنتم أعرف بسنته ، ولست ممن يعلم من جهل ، ولا يقوم من عوج ، ولكنى أعزيك ببيت من شعر ، قال : هاته ، قال :

وهَوَّنَ ما ألقَى منَ الوَجْدِ أننى أُساكِنُهُ فى دَارِهِ اليَوْمَ أو غَدَا

قال : أعد ، فأعاد ، فقال : يا غلام الغداء

قال : دعا أعرابى فى طريق مكة فقال : هل من عائد بفضل ، أو مواس من كفاف ؟ فأمسك عنه فقال : اللهم لا تكلنا الى أنفسنا فنعجز ، ولا إلى الناس فنضيع

قال أبو الحسن : جاء خلف الأحمر إلى حلقة يونس حيث مات أبو جعفر فقال : قدْ طرَقَتْ بِنُكْرِها بنْتُ طَبَقْ

فقال له يونس: ماذا ؟ فقال: فذَمِّرُوها خبَرًا ضَخْمَ العَنَقْ

فقال يونس: وماهذا؟ فقال: مَوْتُ الإمامِ فِلقَةٌ منَ الفِلَقْ

قال أبو الحسن : أراد رجل أن يكذب بِلالاً فقال له يوماً : يا بلال ، ماسن فرسك ؟ قال: عظم . قال : فكيف جريه ؟ قال : يحضر ما استطاع . قال : فأين ينزل ؟ قال : موضعاً أضع فيه رجلى . فقال له الرجل : لا أتعنتك أبداً

قال : ودخل رجل على شريح القاضى يخاصم امرأة له فقال : السلام عليكم. قال : وعليكم . قال : إنى رجل من أهل الشام ، قال : بعيد سحيق . قال : وإنى قدمت إلى بلدكم هذا . قال : خير مقدم . قال : وإنى تزوجت امرأة . قال : بالرفاء والبنين . قال : وانهـا ولدت غلاماً . قال : ليهنك الفارس ، وقال : وقد كنت شرطت لها صداقها . قال : الشرط أملك. قال : وقد أردت الخروج بها إلى بلدى . قال : الرجل أحق بأهله . قال : فاقض بيننا ؟ قال : قد فعلت

قال : وخرج الحجاج ذات يوم فأصحر وحضر غداؤه فقـال : إطلبوا من يتغدى معى ؟ فطلبوا فاذا أعرابى فى شملة فأتى به . فقال : السلام عليكم . قال : هلم أيها الاعرابى ؟ قال : قد دعانى من هو أكرم منك فأجبته . قال : ومن هو ؟ قال : دعانى الله ربى الى الصوم ، فأنا صائم . قال : وصوم فى مثل هـذا اليوم الحار ! قال : صمت ليوم هو أحر منـه . قال : فأفطر اليوم وصم غداً ؟ قال : ويضمن لى الأمير أنى أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذاك اليه . قال: فكيف يسألنى عاجلا بآجل ليس اليه ؟ قال : إنه طعام طيب . قال : ماطيبه خبازك ولا طباخك ! قال : فمن طيبه ؟ قال العافية . قال الحجاج : بالله إن رأيت كاليوم ! أخرجوه

قال أبو عمرو: خرج صعصعة بن صوحان عائداً إلى مكة فلقيه رجل فقال له : ياعبد الله ، كيف تركت الأرض ؟ قال : عريضة أريضة، قال : إنما عنيت السماء ؟ قال : فوق البشر ، ومدى البصر ؛ قال : سبحان الله ، إنمـا أردت السحاب ؟ قال : تحت الخضراء وفوق الغبراء ، قال : إنما أعنى المطر ، قال : قد عفا الأثر ، وملأ القتر ، وبل الوبر ، ومطرنا أحيى المطر . قال : إنسى أنت أم جنى ؟ قال : بل إنسى من أمة رجل مهدى ﷺ

وقال بشار :

وَحَمْدٍ كبُرْدِ العَصْبِ حَمَّلْتُ صاحِبى إلى مَلِكٍ لِلصَّالحِينَ قَرِينِ

وقال أيضاً :

وبِكْرٍ كنَوَّارِ الرِّياضِ حَدِيثُها تَرُوقُ بِوَجْهٍ واضحٍ وقَوَامِ

﴿ كتاب من الحجاج إلى عبد الملك ﴾

وكتب الحجاج بن يوسف الى عبد الملك بن مروان : أما بعد فانا نخبر أمير المؤمنين أنه لم يصب أرضنا وابل منذ كتبت أخبره عن سُقيا الله إيانا ، إلا ما بل وجه الارض من الطَّشّ ، والرَّش ، والرذاذ[١] ، حتى دُقِعَت الارض واقشعرت واغبرَّت[٢] وثارت فى نواحيها أعاصير تذرو دقاق الارض من ترابها وأمسك الفلاحون بأيديهم من شدة الارض واعترازها[٣] وامتناعها ، وأرضنا أرض سريع تغيرها ، وشيك تنكرها ، سيء ظن أهلها عند قحوط المطر ، حتى أرسل الله بالقبول يوم الجمعة ، فأثارت زِبْرِجاً متقطعاً متمصرا[٤] ، ثم أعقبته الشمال يوم السبت فطحطحت[٥] عنه جهامه ، وألفت متقطعه ، وجمعت متمصره حتى انتضدفاستوى ، وطماوطحا ، وكان جونامُزْعِنا[٦] قريبا رواعده ، واعتدت عوائده بوابل منهمل منسجل[٧] يردف بعضه بعضاً ، كلما أردف شؤبوب[٨] ارتدفته شآبيب لشدة وقعه فى العراض[٩]

وكتبت الى أمير المؤمنين وهى ترمى بمثل قطع القُطن قد ملأ اليباب ، وسد الشعاب ، وسقى منها كل ساق . فالحمد لله الذى أنزل غيثه ، ونشر رحمته من بعد ما قنطوا ، وهو الولى الحميد ، والسلام

وهذا أبقاك الله آخر ما ألفناه من كتاب « البيان والتبيين » ونرجو أن نكون غير مقصرين فيما اخترناه من صنعته ، وأردناه من تأليفه ، فإن وقع على الحال التى أردنا ، وبالمنزلة التى أملنا ، فذلك بتوفيق الله وحسن تأييده ، وان وقع بخلافها فما قصرنا فى الاجتهاد ، ولكن حرمنا التوفيق ، والله سبحانه وتعالى أعلم ؟

« تم الجزء الثالث من كتاب البيان والتبيين — ويتمامه تم الكتاب ولله الحمد أولا وآخراً »

(١) الطش والرش والرذاذ: من صفات المطر (٢) دقعت واقشعرت واغبرت: زال منها كل نبات كان عليها (٣) اعترازها : اشتدادها (٤) متمصراً: متمزقا (٥) طحطحت : فرقت ومزقت (٦) مرثعنا : جودا درا كا (٧) منسجل : منصب منهمر
(٨) شؤبوب : دفعه من المطر (٩) العراض : الأودية . والله سبحانه وتعالى أعلم

خاتمة للشارح

يقول حسن بن احمد السندوبى : الحمد لله على حسن تيسيره ، وجميل توفيقه ، وبعد فقد كان الفراغ من مراجعة كتاب « البيان والتبيين » لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ بأجزائه الثلاثة ، وتحقيق الكثير من عباراته ، وإبانة الجم من مشكلاته ، وتعليق حواشيه ، والتعريف بالجمهور من رجالاته ، وفيهم شيوخ المعتزلة ، وزعماء الفرق ، ورؤس الخوارج ، وكبار القادة ، وعظماء الفاتحين ، وسادة الوعاظ ، والزهاد والنساك ، وثقات السند والرواة ، وجمهرة من الشعراء ، مما لم يسبقنى اليه سابق ، وقد فصلت مدمجاته ، وخلصت الملتبس من إشاراته ، وضبطت المبهم من كلماته ، ووضعت اللازم من عناوينه ، وعرضته فى هذا المعرض من الطبع الجميل فى مساء السبت ٢٥ شعبان سنة ١٣٤٥ — ٢٦ فبراير سنة ١٩٢٧

هذا ، ومن ينعم النظر فى هذه الطبعة ، وكان له اطلاع على ماسبق من طبعاته يعرف أنى قد بذلت فيها من الجهود ، وعانيت في أمرها من المجهود ، الشىء الكثير . على أننى ماحاولت في ذلك إرضاء مخلوق جل خطره . أو حقر أمره ، وما قصدت إلا رضاء الله وحده ، وهو الذى وفقنى ، وأعاننى ، ويسر لى من هذا الشأن مالم أكن أتوقعه ، فله الحمد على مايسر ، والشكر على ماوفق

وليكن في علم المطلع أننى كثيراً ماالجأت في إيضاح بعض العبارات إلى ماروى عن الثقات ، وتواتر عن الأثبات ، وإلى محفوظى الخاص . والى الذوق الأدبى في اطراد السياق ، فكنت أضيف الى بعض الجمل كلمات في ثناياها لايمكن أن يستقيم اسلوبها ، اوتؤدى الصحيح من معناها إلا بها ، غير أننى مع هذا لم أترك ما وضعت من هذه الكلمات تذهب بين ثنايا الموضوعات سدا ، بل وضعت أكثرها بين معقوفين هكذا [ ] وكثيرا ما بدلت بعض كلمات بغيرها ، وأشرت إلى ذلك في ذيل صفحاتها . إلا ماسهوت عن الاشارة إليه . ولست ادعى العصمة والسلامة في كل ماصنعت ؛ فأنا أعترف أنه وقعت بعض أغلاط مطبعية لايمكن أن يخلو كتاب من مثلها ، غير أنها لاتكاد تذكر ؛ ولا تكاد تخفى على أقل المطلعين إدراكا . لذلك اغفلت تبيانها ؛ والكمال لله وحده ، وهو حسبى ونعم الوكيل

حسن السندوبى

فهرس الجزء الثالث

من كتاب البيان والتبيين

	صفحة
كتاب العصا	٢
الشعوبية	٢
اوس بن حجر : ترجمته	٣
معنى بن أوس : ترجمته	٥
مطاعن الشعوبية على العرب بشأن العصا	٦
مطاعن الشعوبية على العرب بشأن آلات الحرب	٨
رد الجاحظ على الشعوبية	٩
بسطام بن قيس : ترجمته	١٠
ذؤاب بن ربيعة الاسدى : ترجمته	١١
والبة بن الحباب : ترجمته	٢٢
سلامة بن جندل : ترجمته	٢٤
حديث الشرقى بن القطامى عن فتى من تغلب يدور حول منافع العصا	٢٥
الراعى الشاعر : ترجمته	٢٩
بشامة بن حزن النهشلى	٣٠
الافشين : ترجمته	٣٣
الفضل الرقاشى : ترجمته	٥٣
دريد بن الصمة : ترجمته	٥٦
خالد بن يزيد : ترجمته	٥٦
عمرو بن امرىء القيس	٥٧
المقنع الكندى : ترجمته	٥٨
المقنع الخراسانى : ترجمته	٥٨
النجاشى الشاعر : ترجمته	٦٢
رجع إلى القول في العصا	٦٥
أبو الشيص الشاعر : ترجمته	٧٠
سعيد بن زيد : ترجمته	٧١
كتاب الزهد	٧٢
الجماز الشاعر : ترجمته	٧٤
عظات الحسن البصرى	٧٦
كلام منسوب لسيدنا عيسى	٨١
سالم مولى أبى حذيفة : ترجمته	٨٨
أبو الدرداء : ترجمته	٨٩
أبو حازم الأعرج : ترجمته	٨٩
بكر بن عبد الله المزنى : ترجمته	٨٩
مطرف بن عبد الله : ترجمته	٩٠
عامر بن عبد قيس : ترجمته	٩٣
مؤرق العجلى : ترجمته	٩٣
ابن عون : ترجمته	٩٤
علقمة بن قيس النخعى : ترجمته	٩٤
الأسود بن يزيد النخعى : ترجمته	٩٤
محمد بن واسع : ترجمته	٩٦
ابن أبى بكرة : ترجمته	٩٦
أبو نضرة : ترجمته	٩٦

	صفحة
ابن لسان الحمرة :ترجمته	٩٦
سعيد بن وهب الكاتب : ترجمته	٩٦
أنس بن أبي شيخ : ترجمته	٩٧
الزهرى : ترجمته	١٠٠
عبد الله بن المبارك : ترجمته	١٠٠
الاوزاعى : ترجمته	١٠١
مكحول الشامى : ترجمته	١٠١
يونس بن عبيد : ترجمته	١٠٢
محمد بن المنكدر : ترجمته	١٠٤
محمد بن يسير الرياش : ترجمته	١٠٤
عبد الله بن عامر : ترجمته	١٠٥
مساور الوراق : ترجمته	١٠٦
سعيد بن المسيب : ترجمته	١٠٦
ابو عثمان النهدى : ترجمته	١٠٧
مسور بن مخرمة : ترجمته	١٠٧
نساك البصرة وزهادها	١١٦
زهاد الكوفة	١١٦
أخلاط من شعر وأحاديث ونوادر	١٢١
عيوب تمنع من السؤدد	١٢٥
قريش أفصح العرب	١٢٧
رسالة ابن سيابه الى يحيى البرمكى	١٢٨
ابرهيم بن سيابه : ترجمته	١٢٨
يحيى بن خالد بن برمك : ترجمته	١٢٩
الشنفرى : ترجمته	١٣٤
أبو الحرث جمين	١٣٦
حسين بن مطير : ترجمته	١٣٩
معن بن زائدة : ترجمته	١٤٠
مسلم بن الوليد : ترجمته	١٤٠

	صفحة
يزيد بن مزيد : ترجمته	١٤٠
ومما يكتب في باب العصا	١٤٢
حسان بن الغدير : ترجمته	١٤٢
ومما يزاد في باب العصا	١٤٦
كلام عن حلم معاوية	١٥١
ومن خطباء الخوارج	١٥٤
ومن خطباء الخوارج وشعرائهم وعلمائهم	١٥٤
كلام فى الأدب	١٥٥
دعاء الغنوى في حبسه	١٦٦
ومن دعائه فى الحبس	١٦٦
اسماعيل بن ابرهيم ونطقه بالعربية	١٦٨
حديث يوم السقيفة	١٧١
مقطعات من نوادر الأعراب واشعارهم	١٧٣
أبو المثلم الهذلى : ترجمته	١٨٤
آكل المرار الملك : ترجمته	١٨٥
طفيل الغنوى : ترجمته	١٨٦
علقمة بن عبدة : ترجمته	١٨٦
أبو حزابة التميمى : ترجمته	١٨٧
محمد بن وهيب الحميرى : ترجمته	١٩٠
أشعار فى الخمر	١٩٤
أبو عطاء السندى : ترجمته	١٩٥
محمد بن كناسة : ترجمته	١٩٦
عبد الرحمن بن الحكم : ترجمته	١٩٧
الرماح بن ميادة : ترجمته	١٩٧
مزدك الزنديق الفارسى : ترجمته	١٩٨
ما قيل فى البرامكة من المديح	٢٠٠
كعب الاشقرى : ترجمته	٢٠١
السيد الحميرى : ترجمته	٢٠٣

	صفحة
وعرة بن اذينة : ترجمته	٢٠٣
ابرهيم بن السندى : ترجمته	٢٠٦
سياسة المنصور فى العفو عن المسىء	٢١٠
وصف المأمون لصنوف العلم	٢١١
مجادلة المأمون للخراسانى المرتد	٢١٢
دفاع المأمون عن ايقاع الملوك بخاصتهم	٢١٣
احمد بن أبى دؤاد : ترجمته	٢١٣
من آداب الملوك	٢١٤
بقية كلام النوكى والموسوسين الخ	٢١٤
شىء من سخف قاسم التمار	٢١٨
رأى فيما كان يروى	٢٢٤
تأويل حديث	٢٢٦
تعليل أمية النبى ﷺ	٢٣٠
رد هذا التعليل وايراد تعليل آخر	٢٣٠
تفضيل الشعر ومداراة البليغ	٢٣١
وصف معاوية لقومه	٢٤٥
خطبة شداد بن أوس	٢٥٠
وصية أعرابية لولدها	٢٥٢
وصية الملك المنذر لولى عهده	٢٥٣
كلام في تعزية بعض الملوك	٢٥٣
بعض كلام الأعراب	٢٥٥
كتاب عبد الملك إلى عمرو بن سعيد	٢٦١
رد عمرو بن سعيد على عبد الملك	٢٦١
كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد	٢٦٢
شدة مراقبة عبد الملك لولاته	٢٦٥
وصية عبد الملك بن صالح لابنه	٢٦٥
عبد الملك بن صالح : ترجمته	٢٧٢
كتاب من الحجاج إلى عبد الملك	٢٧٣
خاتمة للشارح	٢٧٤
الفهرس	

DATE DUE

JUN 02 2003

APR 27 2008

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0038556839

DATE DUE

DATE DUE

MAY 27 1986

OFFIC. APR 4 1988

PRINTED IN U.S.A.

09922105

INSERT

BOOK CARD

PLEASE DO NOT REMOVE.
A TWO DOLLAR FINE WILL
BE CHARGED FOR THE LOSS
OR MUTILATION OF THIS CARD.

ENTRY

09922105

GAYLORD

JAN 12 1981